

الله سنة لحمزة

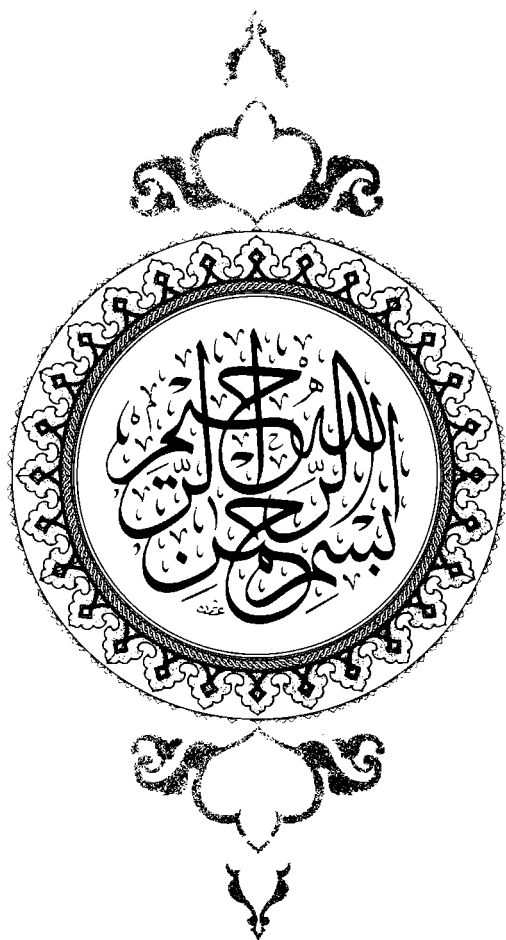
الدكتور عائض القرني

الله سنة طومة

تأليف

د. عائض القرني

دار المنهج



الطبعة الأولى
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م
جميع الحقوق محفوظة للناسر

عدد الأجزاء: (١)
عدد المجلدات: (١)
نوع الورق: شاموا
نوع التجلید: مجلد كرتوناچ
عدد الصفحات: (٨٤٨ صحيفة)
عدد ألوان الطباعة: لونان

اسم الكتاب: الأسطورة
المؤلف: د. عائض القرني
الإعداد: مركز دار المنهاج للدراسات والتحقیق العلمی
موضوع الكتاب: أدب
مقاس الكتاب: (٢٤ سم)
تصنيف ديوي الموضوعي: (٨١٨)

التصميم والإخراج: مركز المنهاج للصف والإخراج الفني

لا یسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال، أو نسخه، أو حفظه في أي نظام إلكتروني أو ميكانيكي يمكن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه، وكذلك لا یسمح بترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبقاً من الناسر.



9 789953 541402

الرقم المعیاري الدولي

ISBN: 978 - 9953 - 541 - 40 - 2



دَارُ الْمِنْهَاجِ

لبنان - بيروت - فاكس : 786230

دَارُ الْمِنْهَاجِ لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ

لصاحبها عمر بن سالم باجخيف
وفقه الله تعالى

المملكة العربية السعودية - جدة

حي الكندرة - شارع أبها تقاطع شارع ابن زيدون

هاتف رئيسي 6326666 - الإدارة 6300655

المكتبة 6322471 - فاكس 6320392

ص . ب 22943 - جدة 21416

عضو في الاتحاد العام للناشرين العرب
عضو في إدارة جمعية الناشرين السعوديين
عضو في نقابة الناشرين في لبنان

www.alminhaj.com

E-mail: info@alminhaj.com

الموزعون المعتمدون داخل المملكة العربية السعودية

جدة

مكتبة الشنقيطي

هاتف 6894558 - فاكس 6893638

جدة

مكتبة دار كنوز المعرفة

هاتف 6570628 - 6510421

مكة المكرمة

مكتبة نزار الباز

هاتف 5473838 - فاكس 5473939

مكة المكرمة

مكتبة الأسد

هاتف 5570506 - 5273037

المدينة المنورة

مكتبة الزمان

هاتف 8366666 - فاكس 8383226

المدينة المنورة

دار البدوي

هاتف 0503000240

الدمام

مكتبة المتنبي

هاتف 8413000 - فاكس 8432794

الطائف

مكتبة المزيني

هاتف 7365852

الرياض

مكتبة الرشد

هاتف 2051500 - فاكس 2052301

الرياض

دار التدمرية

هاتف 4924706 - فاكس 4937130

الرياض

مكتبة العبيكان

و جميع فروعها داخل المملكة
هاتف 4654424 - فاكس 2011913

الرياض

مكتبة جرير

و جميع فروعها داخل المملكة وخارجها
هاتف 4626000 - فاكس 4656363

الموزعون المعتمدون خارج المملكة العربية السعودية



فيرجن وفروعها في العالم العربي

الإمارات العربية المتحدة

حروف للنشر والتوزيع - أبو ظبي

هاتف 5593007 - فاكس 5593027

مكتبة الإمام البخاري - دبي

هاتف 2977766 - فاكس 2975556

مكتبة دبي للتوزيع - دبي

هاتف 2211949 - فاكس 2225137

الجمهورية اليمنية

مكتبة تريم الحديثة - حضرموت

هاتف 417130 - فاكس 418130

مملكة البحرين

مكتبة الفاروق - المنامة

هاتف 17272204 - فاكس 17256936

جمهورية مصر العربية

دار السلام - القاهرة

هاتف 22741578 - فاكس 22741750

مكتبة نزار الباز - القاهرة

هاتف 25060822 - جوال 0122107253

دولة الكويت

مكتبة دار البيان - حولي

هاتف 22616490 - فاكس 22616490

دار الضياء للنشر والتوزيع - حولي

هاتف 22658180 - فاكس 22658180

المملكة المغربية

مكتبة التراث العربي - الدار البيضاء

هاتف 022306240 - فاكس 022447666

دار الأمان - الرباط

هاتف 0537723276 - فاكس 0537200055

الجمهورية اللبنانية

الدار العربية للعلوم - بيروت

هاتف 785107 - فاكس 786230

مكتبة التمام - بيروت

هاتف 707039 - جوال 03662783

الجمهورية العربية السورية

مكتبة المنهاج القويم - دمشق
هاتف 2235402 - فاكس 2242340

المملكة الأردنية الهاشمية

دار محمد دنديس - عمان
هاتف 4653390 - فاكس 4653380

جمهورية الجزائر

دار البصائر - الجزائر
هاتف 773627 - فاكس 773625

الجمهورية التونسية

الدار المتوسطة للنشر - تونس
هاتف 70698880 - فاكس 70698633

الجمهورية التركية

مكتبة الإرشاد - إستانبول
هاتف 02126381633 - فاكس 02126381700

جمهورية الصومال

مكتبة دار الزاهر - مقديشو
هاتف 002525911310

جمهورية الهند

دار الكتاب العربي
Kottakkal. Malappuram
Mobile 9846161784

جمهورية أندونيسيا

دار العلوم الإسلامية - سوروبايا
هاتف 0062313522971
جوال 00623160600020

جمهورية فرنسا

مكتبة سنا - باريس
هاتف 48052928 - فاكس 48052997

جميع منشوراتنا متوافرة على

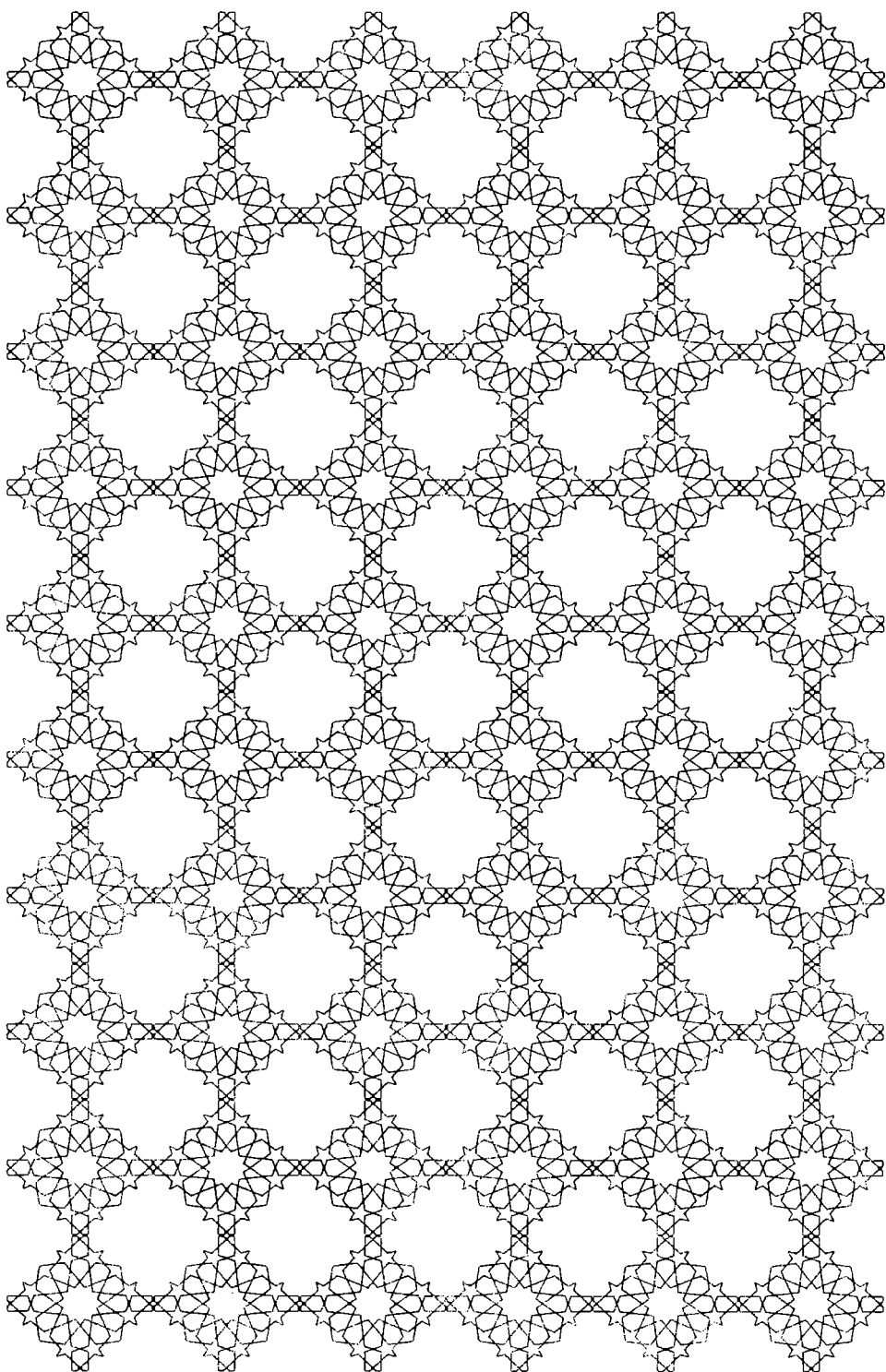
نيلا وفرات كوم

مكتبة نيل وفرات كوم
www.nwf.com

 **Furat**
Furat.com

موقع رائد لتجارة الكتب والبرمجيات العربية
E-mail: furat@furat.com

مُقدِّمة المؤلف



المقدمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن
والآله .

وبعد :

فهذا كتاب « الأسطورة » انتقيته من أحسن ما كتبت ، واصطفيته من أجمل
ما جمعت .

فكأنه واسطة العقد ، وبيت القصيد ، والغرة في وجه الفرس ، والتاج على
رأس الملك .

فكنت أبحث في مئات الصفحات لأختار صفحة واحدة ، وأفتش عشرات
المقالات لأصطفى مقالة واحدة .

وحرصت أن أجمع في « الأسطورة » بين أصالة المعنى ، وجمال المبني ؛
بحيث تكون الفكرة رائدة ، واللفظ حسناً جذاباً .

ولأن من النفوس ما لا يرضيها إلا الأجل والأكمل . . فحرصت على طلب
العزيم الغالي ، والنفيس الراقي ؛ من المعاني السديدة ، والجمل الأخاذة ،
والعبارات الباهرة .

في هذا الكتاب حديث مطلق ، وكلام مسجوع ، وتنقلات من فن إلى فن ،
ومن قضية لأخرى ، وكأنك في زورق إبداع .

تمرّ مرة بساحل ساحر ، ومرة بسفح أخضر ، وروض أفيح ، وجبل

شامخ ، وصحراء صامته ، ونهر مطرد ، حيث تشبع النفس في التأنق بين
مشاهد عديدة ومناظر مختلفة ، يجمعها السحر والأسر ، والجمال والجلال .
وعذري إن قصرت أنني اجتهدت ، وإن أخطأت فالخير قصدت .
فاقبل - رحمك الله - ما جادت به الذاكرة ، وسال به القلم على طبق من
حب ، فالمخلوق من النقص . . معذور إن لم يحرز الكمال .
والمجبول على العجز . . مسامح إذا لم يبلغ التمام .
وتقصير المجتهد عند الكريم . . مغتفر .
وذنب المحب لدى من أحبه . . يدخل في ديوان العفو .
وحسبي أنني أردت أن أشاركك في المتعة ، وأبهجك بالطريف من القول ،
والجميل من الحديث .

ومن وجد الإحسان قيلاً تقيّداً

فإن لم تصبنا منك دعوة . . فحظنا منك الصفح .

وإن لم نتلّ رضاك . . فيكفينا سترك .

ليسقَ عهدكُم عهد السرور فما كُتّم لأرواحنا إلا رياحينا

و. عَائِضُ الْقُرْنِي

كهف العزلة

- هذه فصوص من النصوص لأهل الخصوص ممن أراد الخلو .
- يا من اغتر بالناس ؛ ليس كل بيضاء شحمة ، ففر من الزحمة ، إلى غار الرحمة ﴿ فَأَوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ﴾ .
- في العزلة استدرار أمطار الأفكار ، واستذكار أبحار الأخبار ، والاعتبار بآثار الأخيار ، واختيار مآثر الأبرار .
- وفيها حجب الجاه ، وإلجام اللسان عن السفاه ، وحبس الطبع السارق عن الأشباه ، وحفظ مكنون النعمة عن الجناة ، والبعد عن كيد الجفاة .
- وفيها إقامة مهرجان العبادة وناموسها ، وفتح ديوان المعرفة وقاموسها ، والتعرف على نعيم الأيام وبؤسها ، والسلامة من غوائل الأشرار ونحوسها ، والخلوة بأقمار الرسالة وشموسها .
- وفيها السلامة من صروف الزمان ، وضياح الوقت مع الأقران ، وصرف الساعات في سوق الخسران ، والتعرض للتبذل والهوان ، والتحفي بفلان وعلان .
- ومن الفوائد : كسر جماح النفس الأمّارة ، ودحض الأمانى الغرّارة ؛ فإنّ مَنْ لابس الناس . . حفظوا عِثاره ، واستنبطوا أسرارَه ، وعرفوا غوره ومعياره .
- ومنها : حفظُ سرِّ الحر ، والبُعد عن شرر أهل الشر ؛ فإن من قرّ في قعر بيته واستقر . . أَمِنَ مِنْ حَرِّ الباطل والقر ، وَمِنْ تَجَرُّعِ الحق المر ، وَمِنْ فَرٍّ من

التبعات . . فقد أحسن المفرّ ، ولكل نبأ مستقرّ .

- ومنها : المتعة برحلة ذهنية بحراً أو برّاً ، والارتفاع عن السّفلة جاهاً وقدرّاً ، فكم من أحمق على عاقل تجرّاً ، والأوباش كالكلاب تهزّ هراً ، وتلوك عرضه جهراً وسراً ، ولا تنسَ قول تأبّط شرا :

عَوَى الذُّبُّ فَاسْتَأْنَسْتُ بِالذُّبِّ إِذْ عَوَى وَصَوَّتَ إِنْسَانٌ فَكِدْتُ أَطِيرُ

- ومنها : عدم شهود الحسود ، والغياب عن جمود الحقود ، وعهود الكنود ، ولؤم المروود ، ونذالة الجحود .

- خلد مع « المقدمة » في بيته ابن خلدون ، ولما اعتزل الجمهور ألف كتاب « الجمهورية » أفلاطون ، وزاد من الإبداع في « وحدته » ابن زيدون ، ودبّج في الانفراد « إلياذته » ابن عيذون ، وقال موسى : ﴿ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا إِلَى فَاعْزِلُون ﴾ .

فهذه الآية صريحة في الفرار بالدين ، وهجرة الأهل والبنين ، والقربات والأصدقاء والأوطان والأموال خوف الفتنة ، وما يلقاه الإنسان من المحنة . وقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم فاراً بدينه ، وكذلك أصحابه ، وجلس في الغار حسبما ورد في (سورة النحل) ، وقد نص الله تعالى على ذلك في (براءة) .

وفي الحديث : « كفّ عليك لسانك ، وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك » .

ففي العزلة السكوت ، ولزوم البيوت ، والرضا بالقوت ، والخطب مع العزّ ياقوت ؛ لأنّ الخلطة أسحر للقلب من هاروت وماروت ، ومصاولة الناس أشدّ من مصاولة طالوت وجالوت .

- لزوم العزلة بالعزّ أئمن من كل كنز ؛ ففيها ينشر لقبول البر ، وتنبت أرض العبادة بغيث الذكر وتهتز ، فلا تتشرّف بغير الوحدة مع الله وتعزّز .
 كُنْ مَعَ اللَّهِ عَلَى ذِكْرٍ وَوَحْدَةٍ وَأَعْتَزِلْ وَحْدَكَ إِنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ
 - كم خلوت بالعلم فأتحفني وشجاني ، وفي الزوايا خبايا كما قال الأرجاني ؛
 لأن من خالط الناس .. هان عندهم كما في شعر الجرجاني ، فالحمد لله الذي عصمني من الشرّ ونجّاني ، بعد ما لامني قلبي في الخلطة وهجاني .
 - فكن في الانفراد كالقروني أويس ، وبشرف العزلة كالأسدي دبّيس ، ورتّل وحدك أي الذكر كعبد الله بن قيس ، وانظر للناس كأنهم في رؤيا منام نظرَ أسماء بنت عميس ، وأسلم مع سليمان الولاية كبلقيس .
 أما ترى الهدهد وحّد وتفرد ، وأنذر وأوعد ، وخوّف وهذّد ؛ لأنه اعتزل في الطريق وتجرّد ، وتخلّى عن الخلق وتزهد ، فعرف المقصد فوقّ وسدّد ، ومدح ومجّد .
 - فاشرب في الوحدة رحيق الهناء من سيبويه ، وأشعل في ليل العزلة مصباح الأنس من نبط نفطويه ، واسحق مسك الإخلاص رهواً من علم إسحاق بن راهويه ، وعليك بالخلوة مع بدائع أبي الطيب وابن خالويه .
 - إن آنست وحشة .. فناد نفسك : يا نفس قرّي ولا تفري ، وجاهدي ولا تغتري ، وعلى صراط السلامة مرّي ، وفي جنات الأنهار استقري .
 - في العزلة ألف الفارابي « المدينة الفاضلة » ، ودبّج أبو حيان « المفاضلة » ، وبها تدرّب الجاحظ على المناظرة والمناضلة ، وأتقن أبو يعلى المجادلة ، وبها مهر ابن تيمية على المصاولة .
 - والتفرد للزمخشري كاف شاف ، ولهذا ألف « الكشف » ، وغاص في

البلاغة إلى الشغاف ، ونثر تلك الجواهر والألطف ، وكان في أيام تأليفه معتزلاً بين السعي والطواف .

- ومالك بن أنس ملك الأنس بعزة النفس ، وبقائه في بيته كالجلس ، وخلوته بالقرطاس والطرس ، لما صار الناس كالذئاب الطلس .

- فاجعل العقل رئيسك ، والعلم أنيسك ، والكتاب جليسك ، والقلم والدفتري طمسك وجديسك ، واتخذ القناعة كيسك .

- ولما ترك أبو الفرج الهمج ، وركب من الأدب الشج ، وهجر من هرج ومرج . . أتى في « الأغاني » بالمطربات والروائع والحجج .

- فاعتزل الفرق ، فمن لابس الفتن . . احترق ، ومن ركب بحر الغوغاء . . غرق ، وإذا رأيت الطبع يسرق من أخلاق الخلق الخرق . . فاهتف به : إن ابنك سرق .

- وارشف في العزلة من المزني مزنه ، واستفد من ابن المسيب سهله وحزنه ، وخذ من « الفتح » المفتاح ، ومن « الميزان » وزنه .

- واسبك في الوحدة سبائك محمود بن سبكتكين في غرته كما سبك الذهبي الذهب ، واترك من جاء ومن ذهب .

- واجلس مع ابن جرير لتنسى كل جريرة ، وفاكه « مقامات الحريري » فما أجمل حريره ، ولا تستكثر ليلة مع ابن كثير فليست كثيرة ، وسامر الشعر فرزدقه وجريره .

- وألقم كلب الفراغ حجراً بأخبار كليب ، واجعل للفراغ نصيباً من أبيات نصيب ، واستغن عن الأحباب بروائع خبيب ، وحادث خاطرك بروايات بلال وصُهب .

- ولا تترك يوسف علمك مع البطالين فيأكله الذيب ، بل جالس مالكا وابن أبي ذيب ، واقترب من ملك الأدب بمجالسة عبد الملك بن قريب ، وحدث مؤلف « جامع الأصول » و« الغريب » ، وشم « نفح الطيب » من تاريخ الغصن الرطيب .

- وأطفئ نار الشهرة بماء الخليل ، وأرسل على أبرهة المعصية الطير الأبابل ، ويكفيك (قال الله) عن قال وقيل ، واعتبر بأصحاب البقرة والناقة والفيل .

- وأطفئ نار الذنب بدمعة ، ونور ليل الوحشة من الذكر بشمعة .
- واغزل خيوط الحكمة كما فعل الغزالي ، وبرز في العلم تبريز البرزالي ، فلن تدرك المعالي إلا بهمة أبي المعالي ، والتقلل من الدنيا كالقالي .
- واصنع في بيتك كوز السنة كصنع الصنعاني ، وأزل شوك الهم بـ« نيل الشوكاني » ، واجلس على جوزاء الاستغناء عن الناس كما فعل الجرجاني ، وإذا مللت فأنشد :

مَغَانِي الشُّعْبِ طِيباً فِي الْمَغَانِي

- وما أسعد من توسد « المسند » للإمام أحمد ، وما آنس من جالس مُسَدِّد بن مُسَرَّهَد ، وحدث « الكامل » للمبرّد ، ودرس أخبار عبد المؤمن الموحد ، وابن تيمية المُجَدِّد .

- واعتمد على رب العباد ، واعتبر بما حصل للمعتمد بن عباد ، ولا يشغلك شكسبير عن الشيخ الكبير محمد بن جرير ، أو العالم الخطير ابن كثير ، أو الجهبذ النحرير ابن الوزير ، فقد فاح بخور البخاري ، وحلّ لك الإشكال « فتح الباري » ، ودلّك في ليل الجهل « هدي الساري » .

- واشتر جمل القناعة بهمة وثابة كوثبة الأشر يوم الجمل ، واطلب الولاية بالصفاء للولي كصفاء علي يوم صفين ، واعلم أن الدواء الفاتر في مصاحبة الدفاتر ، وأن السيف الباتر هو الحديث الصحيح المتواتر .
- العالم إذا اعتزل . . اشتغل بما نزل ، فهو على حد الحديث : « دعها ؛ فإنَّ معها سقاءها وحذاءها ، ترد الماء وترعى الشجر » .
- لزم عطاء بن أبي رباح الحرم ثلاثين سنة ، فعاد بالعطاء الرابع ، والسعي الناجح ، والعمل الصالح .
- ومكث أبو طاهر السلفي ستين سنة في منارة الجامع يكرر ويؤلف ، ويحبر ويصنّف .
- وظن أعداء السرخسي أنه سيخر ، فوضعوه في السجن كالمربوط ، مع القيد والضغوط ، فألف كتاب « المبسوط » .
- وترك ابن الأثير المال الكثير ، والذهب النثير ، والفراس الوثير ، فصنّف « جامع الأصول » الكتاب الرائع المثير .
- كيف تكون وحدك والله يقول : « أنا جليس من ذكرني » ؟! فنعم الأنيس والجليس ، ومن ترك ذكره فجليسه إبليس .
- أمرض ابن سينا بشفائه الحساد ، وأذكى الغزالي بـ« إحيائه » الجمر في الرماد ، ومتع ابن القيم المسافرين إلى الله بـ« زاد المعاد » ، وجاب ابن بطوطة مع انفراده البلاد والوهاد ، ونزل كل واد .
- أنت نطفة ، يكفيك غرفة وغرفة ، وقطفة ورشفة :
- لَمْ أَمْتِطَأُوكَ مَوْجَ الْبَحْرِ تَرْكِبُهُ وَأَنْتَ يَكْفِيكَ مِنْهُ غُرْفَةُ الْوَشَلِ ؟
- مخالطة الفجرة كسرة تورث الحسرة ، وملك كسرى تغني عنه كسرة .

- العزلة مع المصحف الشريف ، والكوز والرغيف ، في إيوان نظيف ،
ومجلس ظريف ، أهنأ من مجلس فيه صياح الرفاق ، بأسعار الأسواق ،
وأخبار الآفاق .

- نسأل الله خلوة حلوة ، مع عزٍّ في عزلة ، واجتهاداً في انفراد ، وسياحة
في راحة ، وصمتاً مع حفظ وقت .

- اجعل الذكر قوتاً ، والعلم ياقوتاً ، واغتنم راحة البال في طاعة ذي
الجلال ، واجتنب خلطة العوام ؛ فإنهم هوام ، ومن بذّر في صرف الأيام .
صار كالمسكين على موائد اللثام .

- كان بعض السلف لا يخرج إلا لجماعة أو جمعة ، وكان يستر العبادة
خوفاً من الرياء والسمعة ؛ لأن من مكّن الناس من نفسه . . داسوه ؛ فإن الناس
لو مكّنوا من جبلٍ . . دكوه ، ولو ازدحموا على باب حديد . . لفكّوه .

- لا تغترّ بجلبه الناس وقت الرخاء ؛ فإنهم أسباب البلاء ، فهم ذباب
طمع ، وبعوض جشع ، يطمعون إذا بارق المال لمع ، ويُقبلون إذا نجم الدنيا
سطع ؛ فإذا وقعت في المصائب ، وضرتك النوائب . . خلعوا بينك وبينهم
العهد ، وأخلفوا الوعد ، وأدّعوا قدم الجفاء ، خسة وقلة وفاء ؛ لأنه نُسخ
الصفاء ، وعلى المروءة العفاء .

- لا يحملك معرفة ضعف الناس وعجزهم على الإساءة إليهم ، أو هضم
حقوقهم ، بل خفِ الله في الناس ولا تخفِ الناس ، وارحُ الله في الناس ولا ترجُ
الناس ، وأنزل الناس منزلة الأموات ؛ فإن الأموات أموات غير أحياء ، فهم
لا يصلّون ولا يقطعون ، ولا يضرّون ولا ينفعون ، ولا يضعون ولا يرفعون ،
فوالله ؛ لا يخفض ولا يرفع ، ولا يضر ولا ينفع ، ولا يصل ولا يقطع إلا الله .

- واعلم أنك في بيتك ملك ، وكأنك في العز كالْمُشْتَرِي في الفلك ، فإنك في بيتك سلطان ، فأنت ككسرى في الإيوان ، أو الوزير في الديوان .

- قال أحد العلماء كما في كتاب « إدام القوت » : لو تشفعت في كافر أو في أحد أبنائي . . لرجوت الإجابة للكافر ؛ لأن المخامرة تُذهب الاحترام .

- في الخُلطة تُذيب قلبك برؤية متكبر ، والتعرض لعتوّ متجبر ، وفي العزلة قدرك أكبر ؛ لأنك في حرز الصون كاللؤلؤ المكنون ، والدّر المخزون ، وأهيب الناس مَنْ لا تراه العيون .

- والرسول صلى الله عليه وسلم اعتزل في الغار فجاءه جبريل بالوحي العظيم ، واعتزلت مريم فأنت بعيسى النبي الكريم .

- كن عصامياً كالأصمعي والزم صومعتك ، فما يعصم من الفتن إلا من اتبع المعصوم .

- أبو مسلم تكبر وتجبّر ، وخالط أبا جعفر ، فبقر بطنه بالخنجر .

- واعتزل الثورة والثوار سفيان الثوري ، فثار له القبول في القلوب .

- وخالط البرامكة الرشيد فبرك على صدورهم ، ووضع ركبته في رقابهم ، واعتزله الفضيل بن عياض ، فعوّضه الله بفضله عن كل فضل ، وفي الله عوض من كل نذل .

- مد رجلك في بيتك ، ولا تمد يدك في بيت غيرك ؛ فإن من يمد رجله . . لا يمد يده .

- وشمّ وردة العزة في العزلة ، ولا تنسَ إليّاذة : (اعتزل ذكر الأغاني) ، واسمع ابن الوردي ينادي في كل ناد ، ويصيح في كل واد ، لمن مدّ الأيدي للأعادي :

أَنَا لَا أَزْغَبُ تَقْيِيلَ يَدٍ قَطْعُهَا أَحْسَنُ مِنْ تِلْكَ الْقُبْلِ

- والله ؛ لو برزت للناس بتاج مثلشل ، في همة تشرشل ، ولو فرشت للناس بالذهب الأسفلت ، في مجد روزفلت . . لقلبوا مدحك قدحاً ، وجدك مزحاً ، وكذّروا صفوك مساءً وصباحاً .

- اشرب من دنان عزلتك كما دوّن دانتى في روما مقالته : (العزلة في الدار مملكة الأفكار) ، وفي دفاتر فلوتير : (إن حسن التفكير في البعد عن الكثير) .

- لو كان لي كَرّة . . لاعتزلت الناس بالمرّة ، فخلطتهم تذهب المسرّة ، ولكن الحمد لله عرفنا الاختلاط وضرّه ، والاجتماع وشرّه ، وعذرنا قول ابن مطيع لله درّه :

أَنَا الَّذِي فَارَزْتُ يَوْمَ الْحَرَّةِ وَالْشَيْخُ لَا يَفِرُّ إِلَّا مَرَّةً

- سكن في الكوخ طاغور ، فأنشد على الفور : يا أهل الدور والقصور ، أنا أسعد منكم ، سعادتكم بجواهر البحور ، ودر النحور ، وسعادتي بفرائد المعارف وقلائد المصاحف ، نحن عبيد الله ، وأنتم عبيد الدينار الذي يؤدي إلى النار .

- أحب المتنبي الشهرة فباع قريضه ، وترك الفريضة ، وسافر في آماله العريضة ، فصار خويضة .

- إذا احتجب القمر بالخسوف . . قام الناس يصلون في صفوف ، والكل يبكي بكاء الملهوف ؛ لأن الغائب مقدّر ، والمحجوب موَقّر ، فلا تبذل وجهك لكل سفيه ، فيصيبك من رماد الجهل سوافيه ، وما فيه يكفيه .

- صفق المجد لابن مقلة وانبسط ، وفرح واغتبط ، وجمع حوله الشرط ،

فَعَزَلَ وَسَقَطَ ، ثُمَّ قَطَعُوا يَمِينَهُ ، وَأَبْكُوا عَيْنَهُ ، وَدَاسُوا جَبِينَهُ .

- من خالط الأشرار انتكس وارتكس ، ومن رافق الفجار تعس .

- لم تحمد سيرة ابن الزيات ؛ لأنه صب الزيت على النار بإيذاء أحمد ،

وزيت أحمد سني يكاد يضيء ولو لم تمسه نار ، فوضع ابن الزيات في فرن فاشتعل بنار الخلاص ، والجروح قصاص .

- لما رأى سعدُ العقوق . . خرج إلى العقيق ، فذبح على الخلاص من الدنيا

عقيقة ؛ حمداً لله على سلامته من شر ابنه العاق .

- رفض عمر بن سعد بن أبي وقاص عزلة والده وخالط المسيئين ، وتورط

في قتل الحسين ، زرع مع ابن زياد حنظلة البغي بعد قطع ريحانة الرسول صلى الله عليه وسلم .

- لو كان لابن بقية بقايا من عقل التقية . . لما أركبه عضد الدولة منبر

الصلب ، ليقول فيه ابن الأنباري :

عُلُوٌّ فِي الْحَيَاةِ وَفِي الْمَمَاتِ

- وفي مذكرات كونفوشيوس : الناس عبيد الفلوس ، لهم نيب على المال

كنيب التيوس .

وعلى ذكر النيب ، يقول حسان الشاعر المصيب ، وهو من باب

التأديب والتعذيب والتأنيب ، لمن اهتم بكلام العوام ، الهوام السوام ، عبّاد الحطام :

مَا أَبَالِي أَنْبَ بِالْحُزْنِ تَيْسُ أَمْ لَحَانِي يَظْهَرُ غَيْبِ لَيْثٍ

يا من خاف من الناس القصف والسيف والخسف ؛ فر إلى غار العزلة

واقراً : ﴿ فَأَوُوا إِلَى الْكَهْفِ ﴾ .

- والله ما أعزّ ابن المعتز لما قال في عزّ العزلة : من حطّمته العيون ..
حطّمته الأقدام .

- ما اجتراً الطفل على البعير إلا لكثرة مشاهدته ؛ لأن المبدول أرخص من
الشعير .

- من غباء الحمار : أنه عرضة للصغار والكبار ، ولهذا اجتنب ركوبه ذوو
الأخطار ، أما الخيول .. فاعتزلت في الإصطبل ، فامتطأها أهل الفضل ، ولما
تبدّل الحمار واحتار ، ضُرب مثلاً للفجار : ﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَثْقَارًا ﴾ .

- لما لزم الأسد العرين وحصّن بالأسورة ، وكانت مشاهدته معسرة .. صار
مهاباً : ﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنَفِرَةٌ * فَزَتْ مِنْ قُورٍ ﴾ .

- ولو لم يدرك الوهم هامان .. لفرّ من الملعون ، ولكنه استقر لعون
فرعون ، وليته سمع : فرّ عن عون فرعون ، وتناول شراب الخلطة فصار
كالمبطون المطعون .

- اعتزل كالأسد ولا تبرز بروز الجمل ؛ فإن أسامة بن زيد أخذ من الأسد
اسمه فاعتزل يوم الجمل ، فلما صفا له قلبه ترك صفين ، وما قاتل بين
الصفين ؛ لأنه تذكر : « قتلته بعد ما قال : لا إله إلا الله » .

- لا تصدق الجمهور إذا أجلب ؛ فإنه برق خُلب ، وهم عند الطمع أغش
وأكذب ، إذا سمعت لحذاء أحدهم طريقة ، ولصوته لقلقة ، ولكلامه
شقسقة .. فلا ترفع به رأساً ، فهو أحق من هَبَّقة ، واهجر تلك الطبقة ، فإن
رضيت بهم .. فقد وافق شئ طبقة .

- ما أطلق على ابن دقيق العيد المحقق المدقق ، حتى بخل بالدقائق في
عزلة علمه ؛ لأن الشوق حمله إلى المعالي ، فكأنه سمع شوقي بعده بزم :
عزلة علمه ؛ لأن الشوق حمله إلى المعالي ، فكأنه سمع شوقي بعده بزم :

دَقَّاتُ قَلْبِ الْمَرْءِ قَائِلَةٌ لَهُ إِنَّ الْحَيَاةَ دَقَائِقُ وَثَوَانٌ

- اعتزل إبراهيم الشرك فصار حنيفاً ، واعتزل الأحنف الجهل فصار حليماً ، واعتزل أبو حنيفة السفهاء فصار فقيهاً ، فالدين حنفي ، والحلم أحنفي ، والفقه حنفي :

نَحْنُ الْخَنَفِيُّونَ كَمْ مِنْ أَخْنَفٍ فِينَا وَكَمْ مِنْ عَثَرٍ أَوْ حَاتِمٍ

- تيم ابن تيمية بسنة النبي صلى الله عليه وسلم ، وبشجاعة أبي بكر التيمي ، وغيره مُتَيَّم بأبواب السلاطين ، فصاروا كالأيتام على موائد اللثام .
- انفرد الشافعي في خلوة شرعية بعد ما هاجرت به الأم ، فأخرج لنا كتاب « الأم » ، فعلم ملايين من الشافعية ، ومحاسنه تشفع له :

وَإِذَا الْحَبِيبُ أَتَى بِذَنْبٍ وَاحِدٍ جَاءَتْ مَحَاسِنُهُ بِأَلْفِ شَفِيعٍ

- اعتزل الهدهد فوحد وتعبّد ، وصار آية في التفرّد ، سبى قلبه خبر سبأ ، فأتى إلى النبي منها نبأ ؛ لأنه اختبأ ، ففتح عليه الذي يخرج الخبأ في السماوات والأرض ، فصار مختبئاً عن العيون ، وكأنه المقصود بقول الشاعر :

تَغَطَّيْتُ مِنْ دَهْرِي بِظِلِّ جَنَاحِهِ فَعَنَيْتَنِي تَرَى دَهْرِي وَلَيْسَ يَرَانِي

فَلَوْ تَسَأَلَ الْأَيَّامَ مَا أَسْمِي لَمَا دَرَتْ وَأَيْنَ مَكَانِي مَا عَرَفْنَ مَكَانِي

- اختفى الدر في قاع البحر ، فوضع على النحر ، وعلق على السحر ، وبرز الخشب فسمي بالحطب ، وأحرقوه بنار ذات لهب ، فاجعل نفسك حمالة الشوق لا حمالة الحطب :

حَبِيبَتِي أَنْتِ كَالْجُوزَاءِ عَالِيَةٍ حَمَالَةُ الْحُبِّ لَا حَمَالَةُ الْحَطَبِ

- يا عمرو الدّهء ؛ لا تخالط الدهماء إلا في الجمعة والجماعة ، كما نصّ

عليه الحكمان : الكتاب والسنة عام الجماعة .

- اعتزل موسى في الطور ، فعاد بالكتاب المسطور ، وسمى السامري مع أهل الجهل ، وجالس أهل الدجل ، فعاد بفكرة العجل .
ومن كلام بعض الأعلام : العزلة بدون عين العلم زلة ، وبدون زاء الزهد علة .

- اعتزل مع الكتاب المنزل ؛ فإن الأمة كانت تعزل والقرآن ينزل ، اعتزل أحمد ابن حنبل المسدد ، فقدّم لنا « المسند » ، وخالف أحمد بن أبي دؤاد المعتصم ، فصرفه عن سنة المعصوم في مسألة خلق القرآن ، فبالغ المعتصم في حبس أحمد وجلده ، وحبس الله ابن أبي دؤاد بالفالج في جلده .
ولبعضهم في العزلة :

مَنْ حَمَدَ النَّاسَ وَلَمْ يَبْلُغْهُمْ ثُمَّ بَلَّاهُمْ ذَمًّا مَنْ يَحْمَدُ
وَصَارَ بِالْوَحْدَةِ مُسْتَأْنَسًا بِوَحْشَةِ الْأَقْرَبِ وَالْأَبْعَدِ

- صحبة الأخيار رصيد ، صحبتهم الكلب فمُدح بأنه باسط ذراعيه بالوصيد ، وصحب الفيل أهل التضليل فرمي بطير أبايل .
وقيل للعتّابي : من تُجالس اليوم ؟ قال : من أبصق في وجهه ولا يغضب ، قيل له : ومن هو ؟ قال : الحائط .

وقيل لِدِعْبَل الشاعر : ما الوحشة عندك ؟ قال : النظر إلى الناس ، ثم أنشأ يقول :

مَا أَكْثَرَ النَّاسَ لَا بَلْ مَا أَقْلَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَقُلْ فَنَدَا
إِنِّي لَأَفْتَحُ عَيْنِي حِينَ أَفْتَحُهَا عَلَى كَثِيرٍ وَلَكِنْ لَا أَرَى أَحَدًا

- من السماجة والسداجة بروز الدجاجة ، لو لزمت المسكينة السكينة .

ما ذبحت بالسكينة ، برزت من بيتها تقول : قيط قيط ، وما علمت أن الثعلب في الطريق ، فالحمق أوصلها لقطع الحلق بلا حق .

وقيل لغزوان الرقاشي : ما لك لا تجالس إخوانك ؟ فقال : إني أصبت راحة قلبي في مجالسة مَنْ عنده حاجتي .

وكان الفضيل إذا رأى الليل مقبلاً . . فرح به ، وقال : أخلو فيه بربي ، وإذا أصبح . . استرجع كراهة لقاء الناس .

وجاء رجل إلى مالك بن دينار وإذا هو جالس وكلب قد وضع رأسه على ركبتيه ، قال : فذهبت أطرده ، فقال : دعه يا هذا لا يضرّك ولا يؤذي ، وهو خير من جليس السوء .

وقيل لبعضهم : ما حملك أن تعتزل عن الناس ؟ فقال : خشيت أن أُسلب ديني ولا أشعر . وهذا إشارة منه إلى مسارقة الطبع واكتسابه الصفات الذميمة من قرناء السوء .

- سَلِمَ محمد بن مسلمة لما سلك المسالمة من الفتنة ، وعمل بحديث : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » . فمكث ساعات في بيته ولسان حاله ينشد :

سَلِمْتُ سَلِمْتُ مِنْ أَلْعَاهَاتِ مَا سَلِمْتُ سَلَامُ سَلِمْتُ وَمَا قَدْ أَوْرَقَ السَّلَامُ

- أبصر الحسن البصري حُسن الشريعة فاعتزل نُصب المنصب .

- فَجَّرَ موسى (لا إله إلا الله) الصخور ، وعبد بنو إسرائيل عجلاً يخور ؛ لأن عِزَّ العزلة مع العزيز في رأس موسى ، وذل الخلطة بملامسة ومماسة السامري في رؤوس السفلة ، فأثمرت للسامري ذلاً (لا تماس) .

- قَضَى نهارك مع ابن المبارك ، وترنّم (يا عابد الحرمين . . .) ؛ لتثور

في رأسك النخوة لمجد الإسلام الغابر ، فحبّ السلف يصل الخلف على
حمير معقّرة صفوف الخيول المضمرة .

وقال ابن أبي حازم :

طَبَّ عَنِ الْإِمْرَةِ نَفْسًا وَأَرْضَ بِالْوَحْشَةِ أَنْسًا
مَا عَلَيْهَا أَحَدٌ يَسْـُـوِي عَلَى الْخَبْرَةِ فَلَسَا
وقال آخر :

قَدْ بَلَوْتُ النَّاسَ طُرًّا لَمْ أَجِدْ فِي النَّاسِ حُرًّا
صَارَ أَحْلَى النَّاسِ فِي الْعَيْشِ إِذَا مَا ذِيقَ مُرًّا
- اعتزال المبتدع وباء ، كاعتزال الجهم الجاهل ، المحرج على
سوق جهنم ، فبخار الضلال فاح من رأسه ؛ لأنه لم يطالع « صحيح
البخاري » .

- اعتزال السني سلامة ؛ لأنه على محبّة ، كاعتزال مسلم بن الحجاج ،
فقد قوى الإسلام بحججه في كتابه .

وقال أحدهم :

لَوْ كَانَ لِي بُدٌّ مِنَ النَّاسِ قَطَعْتُ حَبْلَ النَّاسِ بِأَلْيَاسِ
الْعِزُّ فِي الْعُزْلَةِ لَكِنَّهُ لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنَ النَّاسِ
- إذا أصابك برد الوحدة . . فسبح الله وحده ، وتدفا بكساء الكسائي ،
وتدثر بفروة الفراء ، واشرب توت ابن التين في آنية الزجاج ، وأسورة ذهب
الذهبي حلال لك ؛ لأنه على الأثر في « سير أعلامه » .

- كيف تستوحش وجلسائك ابن المسيب وسيبويه ، يسقيانك لبن الفطرة في

كأس السنة ؟!

سَقَانَا وَأَسْقَى الْأَرْضَ مِنْ سَيْبِ جُودِهِ وَلِلْأَرْضِ مِنْ كَأْسِ الْكَرَامِ نَصِيبُ

- لا تصغ لـ « أغاني الأصبهاني » ، واستمع لمعاني أحمد الشيباني ، فنحن أهل سماع رباني للمثاني ، وخشوع رحماني لجلال المعاني .

- الفلاح والنجاح والصلاح في أذان بلال بن رباح ، وفتيا عطاء بن أبي رباح ، فالموالي بطاعة الوالي في العوالي .

- وقد أغنانا الله عن أبي مسلم والحجاج بـ « صحيح مسلم بن الحجاج » ؛ لأن « صحيحه » يخرج لنا ألف شعبة بن الحجاج ، أبطال الحجاج ، وبدور الابتهاج ، فقد سئمنا من عصابات الحلاج .

- ابن سينا يمرض ، وشفاؤه يمرض ، فلا تورد مرضى الفلسفة أهل السفه على أصحاب أهل السنة ، فسناء سماء السنة يكاد يذهب بأبصار الفجار ، ويطفىء شرر الأشرار .

- جالس الفراوي والفراء ، وإياك والفارابي وابن الفراء ، والفرار من أهل الافتراء .

- خرج علينا ابن سينا من مكمنه يصيح : قاط قاط ، ثم خلع لثمته وأماط ، فإذا هو يدعو لسقراط وبقرات وديمقراط . قلنا : لا تتحدلق وطلّق المنطق ، فالعود لسنة أحمد أحمد ، فسبح وتحمد ، ولا تتكلف وتحدد ، فبنجك آثار جنونك ، ومجونك أثمر مرضى قولنجك .

- اجزم في عزم ، وأقدم في حزم ، فإل ابن حزم ، فقد تجلّى في « المحلّى » ، وتولّى من الأثر ما تولّى ، وليته يوم ترقى للأعراض توقى ؛ لأنه ما تبقى ، لما شق جماجم المخالفين شقاً ، فكأنه المقصود بالبيت :

إِنَّ عَلَى رَاعِي اللَّوَاءِ حَقًّا أَنْ يَخْضِبَ الصَّعْدَةَ أَوْ تَنْدَقَّا

- نكسون عُزل منكوساً ، وكلنتون ذهب مكبوتاً ، وسبى الأسبان فكر فرانكو ففرّ مكروهاً .

- اجتمع جمال وتيتو ونهرو ، فيا قبح توت النهر الآسن .

- مد بورقية رقبتة يطاول مرقاب الشريعة ؛ لأنه ما راقب ربّه ، فكتب في الخانة المنسية من الذاكرة التونسية .

- لماذا تستمع نشرة الأخبار ؟ وما فيها إلا : قدمت كوندليزا رايز في روزرايز ، تلبس الجنز وتوزع الجوائز ، وهي التي في العراق قتلت العجائز ، وأخرجت الجنائز ، فهل هذا جائز ؟!

- ما سمع ابن بلأ أذان بلال حتى وضع في الزنزانة ، فلما استفاق وجد أبا مدين في الديوان .

- الآن أقبلتم يا دهاقين السياسة ، أما رأيتم سقوط جمجمة تيتو ، وتمزق منديل بنظير بوتو ، وانكسار ظهر هيراهيتو .

- دخل سُل السياسة في السلال فرُمي بالكرسي ، فرأى الإيراني رؤيا فصدّق ، فسرى به العزل إلى سوريا طريداً شريداً .

- حلم السادات بالسيادة على الوسادة ، فقال : لا مناص من ركوب الباص ، فانهمر عليه الرصاص ، والجروح قصاص .

- مناديل مانديلا في الزنزانة أشرف من تاج جنكيز خان ؛ لأن مانديلا رفض أن يتمنل به أزلام الدول ، وجنكيز خان خان الإخوان ، وجلس على الخوان بلا استئذان .

- عليك بالتقرّد ، فما سمّي عمر المقدام حتى تفرّد ، ولا حاتم حتى جاد وجوّد ، ولا عامر بن الطفيل حتى ساد وتسيّد ، وكنا نتحرّى البحري ليحرّر :

عَمَرُوا الْقَنَا فِي مَذْحِجٍ أَوْ حَاتِمٌ فِي طَيْءٍ
أَوْ عَامِرٌ فِي خَنْدِفٍ

لا تكن كـ (تاكسي) البلدة ، لا يعرف قصده ، ولكن كن غريباً من الخلان
في كل بلدة .

- أحي بالاحياء شوقك ، وأمت بالذكر شهوتك ، وكن كالضفدع تخرج
رأسها من الماء لتتهوئ ثم تعود .

فَجَاءَهُ الْوَحْيُ وَجِبْرِيلُ نَزَلَ
أَهْلُ الْقَوَافِي أَبْدَعُوا وَأَكْثَرُوا
كُنْ حِلْسَ بَيْتِ يَا أَخِي وَأَسْلِمِ
فَزِدْ كَمِثْلِ الصَّاحِبِ ابْنِ مَسْلَمَةَ
وَلِلْغَفَارِيِّ كَأَبِي ذَرٍّ وَرَدَّ

- ولا أتم الله لمن تعلّق في وحدته بتميمة الرّياء ، وأتم الله النعمة لمن حقق

قول أبي تمام :

وَطُولُ مَقَامِ الْمَرْءِ فِي الْحَيِّ مُخْلِقٌ
فَإِنِّي رَأَيْتُ الشَّمْسَ زَيْدَتْ مَحَبَّةً
إِلَى النَّاسِ أَنْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسَرْمَدٍ
لِدِيَّاجَتِيهِ فَاغْتَرِبَ تَجَدَّدَ

- تجرّأ الجمال على الجمل ؛ لأنه فقد جمال الهيبة بالخلطة ، وتفرد

الأسد ؛ فرهبه البلد .

- قيمة الديك الرومي السمين عشرة دراهم ؛ لأنه مبذول ، وقيمة الصقر مئة

ألف درهم ؛ لأنه عزيز نادر .

- اشرب من جرّة ، واستند على آجرة ، ويكفيك عن طعام المكثرين حزمة

جرجير ، فمن طلب الأجر في جوار الجبار لم يجر رجله بالذل أحد .

- رَغِيفَ فِي غُرْفَةٍ خَيْرَ مِنَ الْجَوَاهِرِ مَعَ الْجُمْهُورِ ، إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ لَأَدَاءِ حَقِّ
مِنْ مَاءِ الْخَيْرِ غُرْفَةً بِيَدِ الْحَذَرِ .

- تَغَنَّ فِي الْعِزْلَةِ بِالْقُرْآنِ ، وَتَفَقَّهَ بِـ« الْمَغْنِيِّ » ، وَاسْتَرَوْحَ مَعَ أَبِي الْفَرَجِ
بِـ« الْأَغَانِيِّ » ، وَأَنْشَدَ لِكُلِّ زَائِرٍ :

كِلَانَا غَنِيٌّ عَنْ أَخِيهِ حَيَاتُهُ وَنَحْنُ إِذَا مِتْنَا أَشَدُّ تَغَانِيَا
- يَا عَيْيَطُ ! اتْرَكَ التَّخْلِيْطَ ، فَمَا ذَبَحْتَ الدَّجَاجَةَ حَتَّى دَلَّتْ عَلَى نَفْسِهَا بِقَاطِ
قَيْطِ .

- سُمِّيَ الْعَصْفُورُ عَصْفُورًا ؛ لِأَنَّهُ عَصَى وَفَرَّ ، وَطَارَ وَمَا اسْتَقَرَّ ، فَسَكَنَ
أَعْلَى الْأَشْجَارِ ، وَأَكَلَ أَلَذَّ الثَّمَارِ ، وَسَكَنَ الدِّيكُ عَلَى الدَّكَّةِ ، فَفَصَلُوا
بِالسَّكِينِ فَكِهِ ، فَصَارَتْ رِجَالُهُ فِي الْقَدْرِ مِصْطَكَةً .

- أَنْحَلَ أَجْسَامَنَا كَثْرَةَ عَنَاقِ الْأَصْحَابِ ، وَضَمَّ الْأَحْبَابِ ، وَمَصَافَحَةَ
الْأَجْنَابِ ، وَسَوَّالِ الْعُزَّابِ ، وَسَمَاعِ أَخْبَارِ الْغِيَابِ ، وَكُلِّهَا هَبَابَ فِي هَبَابِ .
- أَعْلَنَ فِي عِزْلَتِكَ صَرْخَةَ احْتِجَاجٍ عَلَى الْحِجَاجِ وَالْحَلَّاجِ ، وَعَلَيْكَ بَابِنِ
الْحَاجِ ، وَمُسْلِمَ بْنِ الْحِجَاجِ .

- حَجَّ بِقَلْبِكَ إِلَى رَبِّكَ ، وَخَيْرَ الْحَجِّ الْعَجْجُ وَالنَّجْجُ ، فَعَجَّ بِصَوْتِ الْإِعْتِرَافِ
بِمَا حَصَلَ مِنَ الْإِقْتِرَافِ ، تَجَدَّدَ الْأَلْطَافِ ، وَتَجَدَّدَ الدَّمُوعُ عَلَى الْخُدُودِ فِي
السُّجُودِ ، وَنَادَى : يَا وَدُودَ .

- نَادَاكَ « حَادِي الْأَرْوَاحِ » إِلَى « رِيَاضِ الصَّالِحِينَ » ؛ لِأَنَّ « اقْتِضَاءَ
الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ » لَا يَكُونُ إِلَّا بِمُخَالَفَةِ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ، وَمِنْ عِنْدِهِ
« الْفَرَقَانُ بَيْنَ أَوْلِيَاءِ الرَّحْمَنِ وَأَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ » عَرَفَ « طَرِيقَ الْهَجْرَتَيْنِ » ،
وَصَعَدَ « مَدَارِجَ السَّالِكِينَ » ، وَفُتِحَ عَلَيْهِ مِنْ « فَتْحِ الْبَارِي » مَا يَجِدُهُ مِنْ « صَيْدِ

الخاطر » ، وجعل « البداية والنهاية » بـ « الوابل الصيب من الكلم الطيب » .

- كن في عزلتك كالأنصاري ، لا نصري ولا نصراني ولا نصيري ،
واجعل الكتاب والسنة أوسك وخزرجك ، والهداية منهجك .

- كن مع أهل السنة والجماعة ، واحضر صلاة الجمع والجماعة ، واحذر
أدناس الناس ، وإذا خالطتهم . . فقل : لا مساس ، وانزل في بئر بيتك ،
وأنشدمع الألبيري :

وَخَفْ أَبْنَاءَ جِنْسِكَ وَأَخْشَ مِنْهُمْ كَمَا تَخْشَى الضَّرَاعِمَ وَالسَّبَبَتَى
وَخَالِطُهُمْ وَزَايِلُهُمْ حِذَارًا وَكُنْ كَالسَّامِرِيِّ إِذَا لَمَسْتَ
- تطرق الباب على من وضع الحجاب ، وأسدل الحجاب ! وترك باب
الملك الوهاب ، وأقرب الطرق إليه المحراب !

- يا ذباب الطمع ، يا بعوض الجشع ، يا أصنام المعاصي والبدع ، والله
ما لكم إلا فأس الخليل ، وروغة صاحب : (حسبنا الله ونعم الوكيل) .
ما عندكم صلاح دنيا ولا دين ، فما أحوجكم إلى ﴿ فَرَّغَ عَلَيْهِمْ صَرْيَا
بِالْيَمِينِ ﴾ .

- اشتر عز عزلتك ، وبز منزلتك ، من طيبة حيث الوحي ينزل ، والأمة
تولي وتعزل ، وإذا لم يكن على البضاعة ختم محمد . . فاعلم أنها مغشوشة ،
فصح في الباعة : يا مزجي البضاعة ﴿ آتَتْهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَرِقُونَ ﴾ .

- من زمان وأنت يا إنسان مع الإخوان والخلآن والجيران ، حياتك ديمة ،
وحليمة على عاداتها القديمة ، كيف تسطع وتلمع وجلّاسك أهل كسل ،
وعشاق فشل ، وذباب عسل ؟ ! تالله ما الورد مثل البصل .

- إذا لم تقرأ لابن تيمية . . فأنت يتيم في المعرفة .

- يقول روبرت غرين : إن زيادة التداول عن حده يرخص السعر ، فكلما زادت مشاهدتك والسماع منك ظهرت مبتدلاً أكثر ، فإذا كانت مكانتك راسخة في مجموعة ما ؛ فإن الانسحاب المؤقت منها يزيد الحديث عنك ، وحتى الإعجاب بك ، وعليك أن تتعلّم متى تغادر .

- يقول جان دي لافونتين في « الجمل والعصي الطافية » : هرب أول رجل رأى الجمل ، وتجزأ الثاني على الاقتراب منه ولكن على مسافة ، وتجزأ الثالث على وضع رسن حول رأسه ؛ ذلك أن الألفة الرافعة للكلفة تجعل كل الأشياء في هذا الوجود أليفة ؛ لأن ما قد يبدو رهيباً وغريباً يصبح عادياً تماماً عندما تتاح لأعيننا برهة من الزمن للتكيف .

وبما أنني أتحدث في هذا الموضوع ، فقد سمعت عن حراس كانوا يتخذون مواقعهم على الساحل ، فلمحوا شيئاً طافياً من بعيد ، فلم يستطيعوا أن يقاوموا صرخة من حناجرهم : شرع! شرع! سفينة حربية قويّة! وبعد خمس دقائق صارت قارباً صغيراً لنقل الركاب والبريد ، ثم زورقاً صغيراً ، ثم بالة ، وأخيراً بعض العصي الطافية التي تعبث بها الأمواج .

- إنني أعرف كثيرين ممن تنطبق عليهم هذه القصة ، وهم أناس تضخمهم المسافة ، غير أنهم عند الاقتراب منهم لا يبدوون كباراً قط .
- إن العزلة تُضعف الصغار ، لكنها تزيد الكبار عظمة .

- وفي « قافلة الأحلام » : قال رجل لدرويش : لماذا لا أراك مرّات أكثر ؟ فردّ عليه الدرويش : لأن عبارة : (لماذا لم تأت لرؤيتي) أحلى في أذني من عبارة : (لماذا جئت مرة أخرى) .

- إذا استوحشت في الوحدة فوحد الواحد ، وكرر (قل هو الله أحد) ،

فيوسف لما جلس وحده في الزنزانة نادى : ﴿ أَزْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ .

- أكثر العالم حمقى ! أما تراهم يقفون في الأسواق ، ويمدّون الأعناق ، وينظرون في قادم من الآفاق ، يمضون الوقت بالهذيان ، ويصرفون الأيام في الأوهام ، ورخيص الكلام ، والوقوع في الأنام : ﴿ إِنَّهُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَمِ ﴾ .
- أنت في مكتبتك لست وحدك ، فمعك ألف عالم وشاعر وحكيم ، فلماذا تجالس الدهماء ، وتهجر العلماء والحكماء ؟

- أليس من السخف أن تجلس أمام بيتك على مصطبة ، تشاهد تعابير التيوس ، وتناطح الكباش ، وتهارش الديكة ، وقد انغمس الأبرار في لذة مناجاة الواحد القهار ؟

إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرَفٍ مَرُومٍ فَلَا تَقْنَعْ بِمَا دُونَ النُّجُومِ
- ومن خصائص النجم : العلوّ والسموّ والتفرد والتوحد ، إذا بزغ .
أشرق ، وإذا هوى . . أحرق ، وما أجمل : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ﴾ .

وَكُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ الْجِنَّ عِنْدَ أَسْرِاقِ السَّمْعِ تُزْمَى بِالنُّجُومِ
- حضرنا عزائم وولائم ، مع جمع هائم ، وجو غائم ، همهمة وتمتمة ، ثم انتظرنا الطعام كما ننتظر الجنازة ، فانصرفنا بعد وقت طويل ، وهمّ ثقيل .
- الاختلاط بالحساد إنضاج للأكباد ، وسحب للقلوب على شوك القتاد ، ولو لم يكن من الخلطة بالحاسد إلا أنه يكشف أسرارك ، ويهتك أستارك .

- دخل أحد الحكماء غابة في كوخ ، وبجانبه عين ماء ، ومعه كيس من تمر ، وجرة زيت ، وجراب دقيق ، ومطهرة ، وعصاً ، وكتب على باب الكوخ : على الدنيا السلام .

- يا موسى الوحي ؛ اذهب إلى فرعون الطبع في خلوة شرعية ، وصيخ على النفس الأمانة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ ، فإذا كنت وحدك فاضطجع على جنبك ، وسلم روحك إلى مولاك ، ولسان حالك ينادي : ﴿ فَإِذَا وَجِئْتَ جُودَهَا فَكُلُوا مِنْهَا ﴾ .

- عجيب أمرُك ! هجرت الأذكار والآثار ، وجلست مع اللاهين تسمع أخبار الأسعار والأمطار ، وعجائب الأسفار .

- في خلوتك : اطرِد الملل بالتنويع ، فالنفس تحب الانتقال من حال إلى حال ، صلّ ركعتين ، ترنّم بآية ، سبح ، أنشد بيتاً ، اقرأ كتاباً ، تفكر في بديع الصنع ، رتب غرفتك ، هذب نفسك .

- معك في الخلطة ناقل متحرّص ، وحاسد متربّص ، ومتكلف متمصّص ، وواشٍ متلصّص ، فأين المخلص ؟

- إذا قال لك إبليس في العزلة : اخرج ؛ فقل : أصّر يا لصّ ، ما تفهم النص ، بصّر للفص غار في البحر فطارده الغواص واقتصّر ، والحديد مبذول كالجصّ ، فها هو فاسّ ومقصّ .

- يا أخ ؛ احذر الناس ولو وضعوا لك التمر في الفخ ، فالرسول صلى الله عليه وسلم لما رأى الحسن يأكل من تمر الصدقة قال له : « كخ كخ » ، بل أقبل على حديقة العلم في بيتك ، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي الدحداح لما تصدق بالحديقة : « بخ بخ » .

- احذر أن تجمع مع شين الشيخ والشيبة شين الشر ، فتجمع الثلاثة على شيطان ؛ لأنه :

وَيَقْبُحُ بِالْفَتَى فِعْلُ التَّصَابِي وَأَقْبَحُ مِنْهُ شَيْخٌ قَدْ تَقَيَّ

- أحياناً العزلة مع الغنم خير من الخلطة مع أهل اللم واللمم ، ولهذا حبذا في الشريعة الفرار من الفتن ، برأس القنن ، والبعد عن أهل الفتن ، أصحاب الإحن ، وقود المحن ، وهم أشرار كل زمن .

- أغلق عليك الباب عن كل كَذَّاب ، وسَبَّاب وعتيَّاب ، وثَلَّاب ومغتَاب ، وصِخ من داخل الغرفة : ﴿ فَضْرَبَ بَيْنَهُمُ بُسُورَ لَّهُمْ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ ، ولا تكن كالذباب النَّهَّاب ، يُلطخ الثياب بالسكر المذاب .

- أما ترى الناس في هواش واحتراش على المعاش ، يتناطحون تناطح الكباش ، كل كلامهم خاش وفاش ، وعقولهم هاش وماش ، كأنهم طاش ما طاش .

- لسان الأحمق تَلْقَى ، وحذاؤه تطرق ، إن حلف طَلَّق ، وإن ضحك صَفَّق ، وإن نقل لم يحقق ، فَلِمَ تمنحه وقتك ؛ فإنه للزمان يسرق ، وللقلب يرهق .

- اجلس وحدك ، واذكر لحدك ، ففي الانفراد تُجود الزاد ليوم المعاد ، وإياك والتشويش والتهويش ، والصجيج والضجيج ، فلا يصفو الماء حتى يركد .

- قل لأفكارك في العزلة : استكنْ ، وإذا أرادت الخروج فاهتف : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ ، وفي جوف البيت اسكنْ .

- مسكين المخالط ، طيلة هائم ، ومزمار نادم ، كأنه ما جف زاد قادم ، في ولائم وعزائم ، ومآتم ومواسم ، حارس وفراش وقهوجي وخادم .

- تركناك تجلس مع ابن تيمية فتركته وجلست مع الأيتام ، على موائد اللثام ، تترك ملوك الكلام ، وتجلس مع خدَّ أو الخيَّام .

- لو بذلت للناس مالك.. لحاشوه ، ثم أتوا على عرضك فداسوه ، ثم وصلوا لدمك فسفكوه .

- دخل أعرابي بيتاً ، فجاء بأولاده ، ثم أدخل جملة ، ثم حلف إن البيت بيته ، ثم طرد صاحب المنزل .

- بالعزلة لمع ابن باديس ، ونبغ ابن النفيس ، ورفض العزلة امرؤ القيس وخرج مع إبليس ، فأركبه مركب التدليس والتليس ، فقتل البئس ، وضاع ملك التعيس ، فذهب السيف والكيس ، وأكل البرسيم التيس .

- قلبك مخدّر بالبنج ، وذهنك مبرّد بالثلج ، وإلا فكيف تمنح وقتك من دجّ وهج .

- أقبل على كعبة العبودية وحجّ ، وارفع صوتك بالتوحيد وعجّ ، واسفح دموع الندم وثجّ ، فخير الحجّ العجّ والثلج :

حَجِّي إِلَى الْبَابِ الْقَدِيمِ وَكَعْبَةِ الْبَابِ الْجَدِيدِ وَبِالْمُصَلَّى الْمَوْقِفِ
وَاللَّهِ لَوْ عَلِمَ الْحَجِيجُ وَقُوفَنَا فِي زَنْدَرُوزٍ عَشِيَّةً مَا وَقَفُوا
أَوْ شَاهَدُوا جِسْرَ الْحُسَيْنِ وَشِعْبَهُ بَيْنَ الْمُحَصَّبِ وَالنَّقَا مَا عَرَفُوا
- سرق الوقت منك كل نذل بالترّهات والجهل ، والسفاسف والدجل ،
وما سرقوا وقتك حتى سرقت أنت المحاسبة : ﴿إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ .

- فتحت الباب والشباك ، فسلب قلبك كل أفاك ، وسفح دم مروءتك كل سفاك ، فإياك إياك ، الشمس تجري في الأفلاك ، فقم في طلب ما سلبه سراق الوقت من الأفلاك .

- من علامة التياسة ، وقلة الكياسة : طلب الرياسة ، والتمزق في السياسة :

الْكَلْبُ أَحْسَنُ عِشْرَةً وَهُوَ النَّهْيَةُ فِي الْخَسَاسَةِ
مِمَّنْ يُنَازِعُ فِي الرِّيَا سَةِ قَبْلَ أَوْقَاتِ الرِّيَاسَةِ

- أعوذ بالله من ساس يسوس فهو سائس ، مالك في ديار السياسة
تجوس ، وفي مواطن الرياسة تحوس ، كأنك منحوس ؟ أما تعلم أنها أزهدت
النفوس ، وخلعت الرؤوس ، وأحرقت الطروس ، ومزقت العروش ؟
- كن كسلمان وسليمان ومسلم وابن مسلمة ، فخذ من سلمان إيمانه ،
ومن سليمان همته ، ومن مسلم صدقه ، ومن ابن مسلمة عزلته ، واحذر
مسيلمة وأبا مسلم وابن سامان ، فمسيلمة كافر ، وأبو مسلم غادر ، وابن
سامان فاجر .

- كره للسلف + سفيه + فلسفة = زنديق .

- يا قتيل العيون المراض ، يا مقراض الأعراض ، تفتك بالشهوات فتك
البرّاض ، فإذا رأيت الغدر فاض ، والوفاء غاض ، ففرّ مع كليم الحكمة من
فرعون الأغراض : وناد : ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ ، فقد استنوق الجمل والديك
باض .

- ضاع عمرك بين الجفان والجفون ، وهجرت المتون والفنون ، لو صحا
قلبك . . لكان تقلييك الصفحات أحسن من لعق الصحف .

عن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ : إِنَّكُمْ لَنْ تَرَوْا مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا بَلَاءً وَفِتْنَةً ، وَلَا يَزِيدُ
الْأَمْرَ إِلَّا شِدَّةً ، وَلَا الْأَيِّمَةَ إِلَّا غِلْظَةً ، وَمَا يَأْتِيكُمْ أَمْرٌ يَهُولُكُمْ إِلَّا حَقَرَهُ
مَا بَعْدَهُ . قَالَ الشَّاعِرُ :

الْخَيْرُ وَالشَّرُّ مُزْدَادٌ فَالْخَيْرُ مُتَقِصٌّ وَالشَّرُّ مُزْدَادٌ
وَمَا أَسْأَلُ عَنْ قَوْمٍ عَرَفْتُهُمْ ذَوِي فَضَائِلٍ إِلَّا قِيلَ قَدْ بَادُوا

- حفظ الحدود ، وزيارة اللحد ، أجمل من عشق الخدود ، ووصل ذوات القدود ، والعيون السود ، واعلم أن المجد في سود الصحائف ، وفي بيض الصفائح .

قال العتّابي : ما رأيتُ الراحةَ إلا مع الخَلوة ، ولا الأُنسَ إلا مع الوَحشة .
- كُفَّ بالكفاية عنك أكفّ اللثام ، واخلع بالقناعة براقع الطعام ، فصاحب جرّة الفول أشرف من جرير ، وهو يجرجر رجله على أبواب الرجال ، مرّة يجازف ومرّة يجرّم .

قال ابن المقفّع : وحشة الانفراد أبقي على المرء من أنس التلاقي .
وقال بعض العلماء : العزلة عن الناس توقي العرض ، وتبقي الجلالة ، وترفع مؤونة المكافأة في الحقوق اللازمة ، وتستتر الفاقة .

- الخلطة بأهل الرّيبة رأس كل مصيبة ؛ لأن فيها سقوط الهيبة ، وكثرة الغيبة ، لكن الجمل الأهوج ما درى بما في العيبة .
قال لقمان لابنه : استعذ بالله من شرار الناس ، وكُن من خيارهم على حذر .

وقال إبراهيم بن أدهم : فرّ من الناس فرارك من الأسد .
وقيل له : لم تجتنب الناس ؟ فأنشأ يقول :
إِرضَ بِاللّهِ صَاحِبًا وَذِرِ النَّاسَ جَانِبًا
قَلْبِ النَّاسِ كَيْفَ شِئْتَ تَجِدْهُمْ عَقَارًا
- الاتكاء على قطيفة ، وقراءة صحيفة ، مع قطة أليفة ، في غرفة نظيفة ، وهمة شريفة ، أرفع من الجلوس على الديباج مع الحجاج ، وأتباع الحلاج ،
المخرجين على الدين في سوق الحراج ، فهل من خراج ؟

وقال أوس بن حجر :

وَإِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ إِلَّا أَقْلَهُمْ خِفَافَ الْعُهُودِ يُكْثِرُونَ التَّنَقُّلاً
بُنُو أُمِّ ذِي الْمَالِ الْكَثِيرِ يَرُونَهُ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا سَيِّدَ الْقَوْمِ جَحْفَلًا
وَهُمْ لِمِقْلٍ أَلْمَالِ أَوْلَادُ عَلَّةٍ وَإِنْ كَانَ مَخْضًا فِي الْعُمُومَةِ مُخُولًا
وَلَيْسَ أَخُوكَ الدَّائِمُ الْعَهْدِ بِالَّذِي يَسُوءُكَ إِنْ وَلَّى وَيُرْضِيكَ مُقْبِلًا
وَلَكِنَّ الْأَخَّ النَّائِي إِذَا كُنْتَ آمِنًا وَصَاحِبَكَ الْأَذْنَى إِذَا الْأَمْرُ أَعْضَلًا

- ابدأ بنفسك فهي أشرة بطرة ، واذبحها بسكين الزهد ، واهتف : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ ، واهجر الفجرة ، واقرأ سير العشرة ، واطالع أخبار أهل الشجرة .

وكان محمد بن عبد الملك الزيَّات يَأْسُ بأهل البلاد ويستوحش من أهل الذكاء ، فسُئِلَ عن ذلك ، فقال : مَوْنة التحقُّظ شديدة .
وقال ابن مُحَيْرِيز : إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَعْرِفَ وَلَا تَعْرِفَ ، وَتَسْأَلَ وَلَا تُسْأَلَ ، وَتَمْشِيَ وَلَا يُمْشِيَ إِلَيْكَ . . فافعل .

وقال أيوب السُّخْتِيَانِي : مَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا إِلَّا أَحَبَّ أَلَا يُشْعَرَبَهُ .

- وللعزلة فوائد كثيرة ومنافع وفيرة ، منها : جمع القلب على طاعة الرب ، وكف اللسان عن الغيبة واللغو وردء القول ، والبعد عن الحاسد والشامت ، ومتبع السقطات ، والفارح بالغلطات ، والجامع للزلات ، ومفارقة الثقل ، والبعد عن سوء الظن ، والسلامة من ضياع الزمان الذي هو أشرف العطايا ، واليأس مما في أيدي الناس ، وحبس الفكر على استجلاء الفكر ، والبعد عن كل مشوش ، والأمان من لدغ الأقران ، ومِنَّة الإخوان ، وحقوق الخلان ، ومطالب الجيران ، والابتعاد عن النظر إلى زينة الدنيا ،

والاستحسان لما ذمّه الله من زخرفها ، وعابه من زبرجد غرورها ، والنأي عن منافسة أهلها ، ومباراة خُدّامها ، ومعاودة أبنائها ، ومحاكاة أخذانها في طمعهم وجشعهم .

- وفي العزلة الأمان من حيف السلطان ؛ لأن في الخلطة فرصة للنّمام لنقل الكلام ، وعدم التحرز من اللسان عن العوام ، فُرُبّ كلمة سقط معها الرأس ، أو وقع على النفس منها بأس ، سببها مجالسة الناس .

- وفي العزلة حفظ الأنفاس مع نفائس العلوم ، وتلقيح الفهوم بقطوف الحكمة ، وثمار المطالعة ، وأبكار الأفكار ، ونتائج القراءة ، ودرر الاستنباط ، وبدائع التأمل ، ومجالسة من سلف مع كتبهم وعلومهم وكنوز ميراثهم .

- وفي العزلة الابتعاد عن أسباب قسوة القلب من كثرة الكلام ، وفضول النظر ، والخلطة ، والمزاح ، والتهتك في الضحك ، ومجاراة السفهاء ، ومداهنة الكبراء ، ومنافسة الأغنياء ، ومجادلة الأغبياء .

- وفي العزلة حفظ الجاه ، وصون العرض من التبذّل .
- وفي العزلة تعلو قيمة المرء ، كاختفاء الشمس حتى يُعرف نفعها ، واحتجاب القمر حتى تظهر فائدته ، فما رفع الدر في النحور . . إلا لأنه اختفى في البحور .

- وفي العزلة إقامة ناموس الهيبة ، وإقامة دولة العز في النفس والناس ، وحبس الطبع عن سرقة العادات ؛ فإن الطبع لص يسرق ، والنفس تهوى التقليد ، فمن جلس مع أبناء الزمان ، وضيع العمر مع من يُسمّى بالإخوان . . سرق منهم سقوط الهمم ، وموت الذمم ، وكثر فيهم برود العزائم ، وكثرة

الأماني ، وسماع الأراجيف ، ونشر المعائب ، والاشتغال بالتوافه ، والإقبال
على ما يشغل ، وترك المهمات ، وهجران الصالحات ، وحب البطالة ،
والكسل في العبادة ، والإعراض عن العلم ، وإزجاء الوقت في قيل وقال ،
وبيع الأيام في سوق الأماني ، ومشاركتهم في مقاصدهم ، ومصاحبتهم في
مكاسبهم .

* * *

الشمس

أقسم الله بالشمس لعظم جرمها ، وكبر جسمها ، فقال : ﴿ وَالشَّمْسُ
وَضَحَاهَا ﴾ ، وإنما ذكرها بالضحى ؛ لأنها تكون فيه أضحى وأظهر ، ولهذا
قالوا في الحساء : (كأنها شمس الضحى) .

وقد ذكر أحد الشعراء الخليفة المكتفي - وكان آية في الحسن - فقال :
وَاللَّهِ لَا كَلَمَتُهَا وَلَوْ أَنَّهَا كَالشَّمْسِ أَوْ كَالْبَدْرِ أَوْ كَالْمُكْتَفِي
وهي آية النهار ، وما ينكرها إلا مكابر ، يقول أبو الطيب :
وَكَيْفَ يَصِحُّ فِي الْأَذْهَانِ شَيْءٌ إِذَا أَحْتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلٍ
وهذا البيت من ناصع شعره ، ونفيس ورده ، فلهذه دره .
ويقول البوصيري :

قَدْ تَنَكَّرَ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمْدٍ وَيُنْكِرُ الْقَمُّ طَعْمَ الْمَاءِ مِنْ سَقَمٍ
وقال المعري في قصيدته الشهيرة المذهلة :

وَالْعَيْبُ لِلْعَيْنِ لَا لِلشَّمْسِ فِي النَّظَرِ

ويصفون الحجة الظاهرة بالشمس الباهرة ، وقد ذكر المولى جل اسمه
الشمس فقال : ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ ﴾ ؛ لأن القمر قبلها في
الجري ؛ إذ إن الليالي قبل الأيام ، فقطع الشبهة في إدراك الشمس للقمر أعظم
منه في إدراك القمر للشمس .

ويسمونها أخت يوشع ، قال شوقي :

فَفِي يَا أُخْتِ يُوشَعَ خَبَرِينَا أَحَادِيثَ الْقُرُونِ أَلْعَابِرِينَا

ويوشع هو النبي الكريم عليه السلام ، وكما في الصحيح عنه عليه الصلاة والسلام : « أن الله حبس الشمس ليوشع حتى قاتل الكفار حتى انتصر عليهم ثم غابت » .

وفي حديث باطل ترويه بعض الطوائف : (أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه نام عن صلاة العصر حتى غابت الشمس ، ثم استيقظ فسأل الله أن يرد عليه الشمس ، فردها عليه ، فصلّى ، ثم غابت) ، وهو خبر منكر ، اغتر بسنده بعض أهل السير فصحه ، فصار بهذا التصحيح كالأعرابي الذي طلب لبناً يشربه ، فوضع له أحد اللعابين خمراً وصب فوقه لبناً ، فشرب حتى سكر ، فلما استفاق .. خلط وقال :

إِنْ كُنْتُ أَذْرِي فَعَلَيْ بَدَنِهِ مِنْ كَثَرَةِ التَّخْلِيطِ أَنِّي مَنْ أَنَّهُ

وقد اغترّ بهذا الشاعر أبو تمام فقال في قصيدة تذوب رقة وتسيل عذوبة وتقطر شهداً مصفى :

فَرَدَّتْ عَلَيْنَا الشَّمْسُ وَاللَّيْلُ رَاغِمٌ بِشَمْسٍ لَهُمْ مِنْ جَانِبِ الْخِذْرِ تَطْلُعُ
فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي أَأَحْلَامُ نَائِمٍ أَلَمْتُ بِنَا أَمْ كَانَ فِي الرِّكْبِ يُوشَعُ

ولعظم الشمس عبدها بعض الناس ، وقد أنكر الهدهد على بلقيس وقومها عبادة الشمس فقال : ﴿ وَجَدْتُهُمَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ ، فانظر لهذا الهدهد الموحّد كيف أنكر على من جحد وعبد غير الواحد الأحد .

والشمس أظهر الكواكب ، وأشهرها في المشارق والمغارب ، يقول النابغة في النعمان بن المنذر :

فَإِنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوَكَبُ

فانظر ما أفخم اللفظ ، وأرقّ الديباجة ، مع سلامة ذوق ، وجلالة معنى ،
وبُعد من التكلف والتنافر والغرابة ، حتى قال الأصمعي عن شعره : (إن
قلت : ألين من الحرير ، وأقوى من الحديد . صدقت) .

وأخوه في المعلقات العبقري الثائر المتمرّد الشاب طرفة ، يقول في بيت له
من المعلقة ، لو لم يقل إلا هذا البيت . . لكان شاعراً :

وَوَجْهٌ كَأَنَّ الشَّمْسَ حَلَّتْ رِدَائَهَا عَلَيْهِ نَقِيٌّ اللَّوْنِ لَمْ يَتَّخِذْ

وفي حديث صحيح : (أن أبا هريرة سئل : هل كان وجه الرسول صلى الله
عليه وسلم كالسيف ؟ قال : لا ، كالشمس) .

وقال واصفوه عليه الصلاة والسلام : (كأن الشمس تجري في وجهه) ؛
فقد جمع الله له بين الهيبة والجمال ، والصباحة والجلال ، والملاحة والكمال .

والشمس لها ميل ، قد تميل مع الفصول بدرجة على حسب الفصول ،
وهذا أزورار ، حتى جاء هذا اللفظ رشيماً خلافاً في قوله تعالى : ﴿ وَتَرَى
الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَرُورُ عَنْ كَهْفِهَا ﴾ ؛ أي : تميل يمنة ويسرة ، يقول عنترة في
فرسه :

فَأَزُورُّ مِنْ وَقَعِ الْقَنَا بِلْبَانِهِ وَشَكَا إِلَيَّ بِعَبْرَةٍ وَتَحْمُحُمِ

وفي جريان الشمس يقول الله تعالى : ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ﴾ ،
وقرىء : (لا مستقر لها) ، والأول أظهر .

وفي الصحيح : (أن أبا ذر سأل النبي صلى الله عليه وسلم : أين تذهب
الشمس ؟ فأخبره أنها تسجد تحت العرش) .

وسمع صلى الله عليه وسلم بيتاً لأمية بن أبي الصلت يذكر سجود الشمس
تحت العرش فقال : « صدق » .

وأراد عمر رضي الله عنه أن يولّي رجلاً ولاية ، فقال له الرجل : رأيت
البارحة أن الشمس والقمر يقتتلان ، فكنت مع القمر على الشمس ، فقال
عمر : كنت مع الآية المحمّوة ، لن تلي لي ولاية .

وهذه من فراسته رضي الله عنه ، ويشير إلى قوله تعالى : ﴿ فَحَوَّنَا آيَةَ اللَّيْلِ
وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ ، فالقمر آية الليل ، والشمس آية النهار ، وقال :
محوها ذهاب شعاع القمر ولهبه .

وقد ترجم بعضهم لشيخ الإسلام ابن تيمية فقال عنه : كان أبوه نجماً ،
وجده قمراً ، وهو شمس ، ﴿ فَحَوَّنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ .
يقول أبو الطيب :

غُصْنٌ عَلَى نَقْوَى فَلَاةٍ نَابَتْ شَمْسُ النَّهَارِ ثِقْلٌ لَيْلًا مُظْلِمًا
يصف حبيبته فيقول : هي غصن ؛ يعني : قامتها ، نابت على كثيب رمل ؛
يعني : ردها ، ووجها شمس تحمل ليلاً مظلماً ؛ يعني : شعرها ، ونَقْوَى :
مثني نقا ؛ وهو الكثيب من الرمل ، والفلاة : المفاضة ، وهويت بارد سامج ،
وللعبقريّة فتور ، وللإبداع خدوش ، والتميز كالقصر الجميل ، ولكن فيه
المجلس وغرفة الطعام والمطبخ ، ولكنه قصر في مجموعه .

ومدح نزار قباني الشام ، فأراد أن يفخر بدمشق فقال :
إِرْكَبِي الشَّمْسَ يَا دِمَشْقُ حِصَانًا حَسْبُكَ اللَّهُ حَافِظٌ وَأَمِينُ
وافخر أحد المعاصرين بقومه فقال :

نَحْنُ وَجْهُ الشَّمْسِ إِسْلَامًا وَقُوَّةٌ نَسَبٌ حُرٌّ وَمَجْدٌ وَقُوَّةٌ
ولما تطاول بشار في شعره قال :
إِذَا مَا غَضِبْنَا غَضَبَةً مُضَرِّيَّةً هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ تُمْطِرَ الدَّمَ

وكان العبقري الحافظ ابن حزم الظاهري يفتخر ويقول :
وَأِنِّي لَشَمْسٌ فِي السَّمَاءِ مُضِيئَةٌ وَلَكِنَّ عَيْنِي أَنَّ مَطْلَعِي الْغَرْبُ
ولما مدح بديع الزمان أحد الأمراء قال :

وَكَاذَ يَحْكِيكَ صَوْبُ الْغَيْثِ مُنْسَكِبًا لَوْ كَانَ طَلَقَ الْمَحْيَا يُمَطِّرُ اللَّهَبَا
وَالْدَّهْرُ لَوْ لَمْ يَخُنْ وَالشَّمْسُ لَوْ نَطَقَتْ
ولما مدح زهير هرماً . قال :

لَوْ كَانَ يَقَعْدُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ قَوْمٌ بِأَبَائِهِمْ أَوْ مَجْدِهِمْ قَعَدُوا
وهذا مدح أجمل من در البحور على النحور ، أبقى ذكر هرَم فلم يهرم ،
وزهب ما أعطاه من دينار ودرهم .

والشمس تملأ القلب جلالاً ، والعين جمالاً ، ولهذا بدأ بها إبراهيم
الخليل عليه السلام في مناظرته لقومه : ﴿ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَارِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا
أَكْبَرُ ﴾ .

وقد صح عنه عليه الصلاة والسلام : أنه نهى عن الصلاة قبل طلوع الشمس
وقبل غروبها ؛ لأن الكفار كانوا يسجدون لها ، فمنع من ذلك ؛ لئلا يقع التشبه
أو يحصل اللبس ، وأمرنا أن نسبح قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ؛ لأن في
إقبال النهار وإدبار الليل آية لعظمة الباري وبديع خلقه ، والتسبيح عند
التعظيم ، ثم إنه يُنزه أن يُعبد غيره سبحانه ، والتسبيح أنسب ، وهو قبل
الشروق والغروب أطيب .

وصح عن رسولنا صلى الله عليه وسلم : أنه كان يسبح حتى تطلع الشمس
حسناً .

ومن المبالغة الممقوتة قول بعض الشعراء لهارون الرشيد :

لَمَّا رَأَتْكَ الشَّمْسُ طَالِعَةً سَجَدَتْ لِوَجْهِكَ طَلَعَةُ الشَّمْسِ
وهذا مدح باطل ، والبياض إذا غلب . . صار برصاً ، فالزم أهل
الاعتدال ، واتبع آثارهم قصصاً .

والمتنبي أراد أن يمدح وجه حبيته ، فما وجد أحسن من الشمس ، فقال :
رَأَتْ وَجْهَ مَنْ أَهْوَىٰ بِلَيْلٍ عَوَازِلِي فَقُلْنَ نَرَىٰ شَمْسًا وَمَا طَلَعَ الْفَجْرُ
وهو بيت متماسك من قصيدة ذائعة شائعة منها :
وَأَسْتَكْبِرُ الْأَخْبَارَ قَبْلَ لِقَائِهِ فَلَمَّا أَلْتَقَيْنَا صَغَرَ الْخَبَرُ الْخُبْرُ
وله كلمة بديعة في سيف الدولة يقول فيها :

الشَّمْسُ مِنْ حُسَادِهِ وَالنَّصْرُ مِنْ قُرْنَائِهِ وَالسَّيْفُ مِنْ أَسْمَائِهِ
ونهى صلى الله عليه وسلم في حديث عقبة بن عامر عند مسلم عن الصلاة
إذا قام قائم الظهيرة .

قال العلماء : إذا توسطت الشمس السماء وأصبحت بلا ظل .
(وكان صلى الله عليه وسلم إذا مالت الشمس وزال ظلها . . قاتل في
سبيل الله) وهو حديث صحيح .

ولما انكسفت الشمس في عهده صلى الله عليه وسلم . . صادف
انكسافها موت إبراهيم ابنه عليه السلام ، فقال بعضهم : كسفت الشمس
لموت إبراهيم ، فلو كان صلى الله عليه وسلم كزعماء الدنيا هواة الجاه والعلو
في الأرض . . لكانت فرصة ، وصدق الخبر ، أو سكت ، ولكن الله عصمه
وطهر قلبه وسمعه وبصره ، فأخبر : (أن الشمس والقمر لا ينكسفان
لموت أحد ولا لحياته ، وإنهما آيتان من آيات الله ، يخوف الله بهما من
يشاء) .

ومن قولي :

كَأَنَّكَ الشَّمْسُ لَوْ دَامَتْ عَلَى أَلْقٍ وَالْبَذْرُ لَوْ لَمْ يَغِبْ وَاللَّيْثُ لَوْ عَقَلَ

وأبو تمام يقول :

نَسَبْتُ كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ شَمْسٍ الْضُحَى نُورًا وَمِنْ فَلَقِ الصَّبَاحِ عُمُودًا

وأبو الطيب له قصيدة فذة خالدة مدح بها منصور الحاجب وكان بخيلاً ،

فأعطاه ديناراً ، والقصيدة تساوي قنطاراً منها :

كَالشَّمْسِ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ وَضَوْءُهَا يَغْشَى أَلْبِلَادَ مَشَارِقًا وَمَغَارِبًا

بِأَبِي الشَّمْسِ أَلْجَانِحَاتُ غَوَارِبًا أَلَلَّاسَاتُ مِنَ الْحَرِيرِ جَلَابِيبًا

وعند مسلم عن ابن عباس : أن الرسول صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً

جالساً في الشمس فقال : « من هذا ؟ » ، قال : أبو إسرائيل نذر أن يصوم ،

وأن يصمت ، وأن يبقى في الشمس ، قال : « مروه فليتكلم ، وليستظل ،

وليتم صومه » .

وانظر لهذه الجملة السيدة الرشيدة من معلم الخير صلى الله عليه

وسلم ؛ فإنه نهى عن أمرين غير مشروعين : إدامة الصمت ، والبقاء في

الشمس ، وأجاز بقاء صومه ؛ لأن الصوم مشروع في الأصل .

وتفنن أبو الطيب فقال :

بَيَاضُ وَجْهِ يُرِيكَ الشَّمْسَ حَالِكَةً وَدُرُّ لَفْظِ يُرِيكَ الدُّرَّ مَخْشَلَبًا

وليته لم يكرر (يريك) مرتين في بيت واحد ؛ لأن إعادة اللفظ بحاله مع

تقارب الجمل ثقيلٌ ، ألم تر إلى أفصح ولد آدم صلى الله عليه وسلم كيف يغير

بين الألفاظ ؟! حتى قال النووي في « المجموع » في حديث : « كتب الله

الصلاة وفرض الزكاة » : (الكتب والفرض واحد لثلاث تكرار اللفظ) .

ولما ذكر الله أهل الكهف . . قال : ﴿ وَإِذَا عَرَبَتْ تَقَرُّضُهُمْ ﴾ ، قال الحربي :
في وجه النهار تركهم وتجاوزهم ، فجعل سبحانه الشمس مذكورة ؛ لأثرها
في الأرض من حيث الظل والضوء والظلمة .

ومدح شاعر كريماً فقال :

إِذَا حَضَرَ الشِّتَاءُ فَأَنْتَ شَمْسٌ وَإِنْ حَضَرَ الْمَصِيفُ فَأَنْتَ ظِلٌّ

لأن شمس الشتاء دافئة مقبولة ، كأنها ماء ساخن في شدة البرد .

وقد ذكر الذهبي عن أحد الحمقاء أنه قال : اللهم ؛ أمتني ميتة

أبي عمران ، قالوا : كيف مات ؟ قال : أكل فالودجاً حتى شبع ، وشرب نبيذاً
حتى روي ، ثم خرج في الشمس ، فمات شعبان ريان دافئاً !

والشمس جميلة مصورة ، عالية مدورة ، ذات هيئة مكورة ، وفي الذكر

الحكيم : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ قال المفسرون : لُفَّتْ كما تُلَفُّ العمامة ، وذهب
ضوءها .

وقد صحح الألباني حديث : « تكور الشمس والقمر ثم ترمى في النار » .

وإذا جُمِلَ الوجه وحُسِّنَ . . انعكس ضوء الشمس فيه ، ولهذا يقول

أبو الطيب :

شَمْسٌ إِذَا الشَّمْسُ لَاقَتْهُ عَلَى فَرْسٍ تَرَدَّدَ النُّورُ فِيهَا مِنْ تَرَدُّدِهِ

والقمر عند أهل الفلك يعكس نوره من الشمس ، كما قال أبو الطيب :

تَكَسَّبَ الشَّمْسُ مِنْكَ النُّورَ طَالِعَةً كَمَا تَكَسَّبَ مِنْهَا نُورُهُ الْقَمَرُ

والشمس سراج يزهر ، والقمر نور يبهز ، ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا

مُنِيرًا ﴾ .

وبعض علماء الفلك قال عن الشمس : إنها أكبر من الأرض بأربعين مرة

كما في « الموسوعة العربية » ، وسألت أحد المتخصصين فقال : هذه معلومة قديمة ، والصحيح : أنها أكثر من هذا العدد بكثير .

وكانت العرب في جاهليتها تقرّي الضيف عند طلوع الشمس وعند غروبها ، فتذبح وتنحر ، ولهذا قالت الخنساء في أخيها صخر :
يُذَكِّرُنِي طُلُوعُ الشَّمْسِ صَخْرًا وَأَذْكُرُهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسٍ
لأنه كان مضيافاً . . .

والشمس تبهر البصر ، وتكسر النظر إذا قوي ضوءها وظهر ، قال أبو الطيب :

كَأَنَّ شُعَاعَ عَيْنِ الشَّمْسِ فِيهِ فَفِي أَبْصَارِنَا مِنْهُ أَنْكَسَارُ
وكان المقنع له وجه كالشمس ، فاحتجب خوف العين ، فقال المعري :
أَفَقَ إِنَّمَا الْبَذْرُ الْمُقْنَعُ رَأْسُهُ ضَلَالٌ وَغَيٌّ مِثْلُ بَذْرِ الْمُقْنَعِ
ويقول أبو الطيب :

فَلَا زَالَتِ الشَّمْسُ أَلَّتِي فِي سَمَائِهِ مُطَالَعَةَ الشَّمْسِ أَلَّتِي فِي لِثَامِهِ
وقد أخرج الحاكم عن أنس قال : (سألت أُمِّي عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : كانت كالقمر ليلة البدر أو الشمس . . .) .

والشمس لظهورها يورد ذكرها في المجادلة والاحتجاج ؛ يقول إبراهيم عليه السلام : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِي بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴾ ؛ لأن الشمس وطلوعها من المشرق آية ظاهرة ، لا يمتري فيها عاقل ، حتى المكابر بهت عن مثل هذا الدليل القاطع .

وفي « تاريخ ابن عساكر » : أن أُمِيَةَ بن أَبِي الصَّلْتِ مدح أخواله آل جدعان في مكة بقصيدة رائعة ذائعة ، منها قوله :

وَإِذَا دَعَوْتَهُمْ لِكُلِّ مِلَّةٍ سَدُّوا شُعَاعَ الشَّمْسِ بِالْفُرْسَانِ
وإنما ذكر الشمس ؛ لأن الغارة تكون صباحاً عند طلوعها ، كما قال جل
ذكره : ﴿ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴾ .

ونعمة اغتسال النفس بضيء الشمس من أجل النعم ، ولهذا يوصي الأطباء
بتعرض الأطفال للشمس ؛ لأن فيها فيتامين D (دي) يمنع من هشاشة
العظام .

وقد ذكر سيد قطب في « الظلال » : أنه لما سجن سجنه الطويل في
مصر . . كان يتعرض هو وزملاؤه لضوء الشمس من خلال ثقب الباب ، ثم
يلوم من نسي هذه النعمة وهو يعيشها كل يوم حراً طليقاً .

وأذكر وأنا طفل ببلدتي بالجنوب : أنا كنا في الصباح نلعب في ضوء
الشمس الدافئ المنهمر ، كأنه أسلاك ذهب مذاب ، أو شهد ينساب ، فلا
تسل كم هي المتعة والراحة ، يوم لا هم ولا حزن ، ولما كبرت . . قلت :
آه عَلَى جَلْسَةٍ فِي الصُّبْحِ غَامِرَةٍ فِي صُحْبَةِ بَضِيَاءِ الشَّمْسِ نَغْتَسِلُ
وكنتم في الجامعة في أبها ، فجاءنا ضيوف من الكويت ، فلما خرجنا
معهم في نزهة برية في سحر وجمال أبها . . احتجبت عنا الشمس بالغمام ،
فقلت :

وَتَبَدُّوا الشَّمْسُ مِنْ خِذْرِ خَجُولٍ فَتَوَقَّدُوا فِي جَوَانِحِنَا الشَّبَابَا
تَطَالِعُنَا وَرَاءَ الْغَيْمِ طَوْرًا وَطَوْرًا تَكْتَسِي عَنَا الْحِجَابَا
والعرب كانت تفرح إذا احتجبت الشمس بالغمام ؛ لأنه أول مقدمات
الغيث كما قال أبو تمام وأبدع ما شاء أن يبدع :

لَيْسَ الْحِجَابُ بِمُقْصِرٍ عَنْكَ لِي أَمْلًا إِنَّ السَّمَاءَ تَرْجِي حِينَ تَحْتَجِبُ

وقلت في كلمة نثرية عن الشمس : يا شمس ؛ ربي وربك الله ، يا أخت
يوشع ؛ هل من خبر فيسمع ؟ ما أخبار من ذهب بعد ما جمع الفضة والذهب ؟
أخبرينا عمَّن شاد وساد ، ودوخ العباد ، وانقادت له العباد ، وحدثنا عن
القرون الماضية ، والأيام الخالية ؛ فأنت الشاهدة الباقية ، فاتوا وبقيت ،
وهلكوا وسلمت ، فله أنت ما أطول عمرك !

نَمُوتُ وَنَحْيَا كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَشَمْسُ الضُّحَى فِي كُلِّ يَوْمٍ تَجَدِّدُ
وبعد :

فَإَن أَنْ نَطوي الحديث رحمة بقلبك ، واستبقاءً على روحك ، وبخلاً
بوقتك ، وخوفاً من إملالك ؛ لأنك في النهاية بشر مقهور بالقدرة ، مغلوب
بالقضاء ، مركَّب من لحم ودم ، فمرحباً بك في لقاء آخر ، ولا أفlech من ندم .
يَقُولُونَ لِي : دَعْ مَنْ تُحِبُّ مُبَادِرًا فَقُلْتُ وَدَاعِي يَوْمَ فَارَقْتُهُمْ قَتَلِي

* * *

العين

سبحان من يعلم خائنة الأعين وهي تنظر إلى الحرام ، وقيل : تختلس النظر فجوراً ، ولهذا مدح عنتره نفسه بقوله :

وَأَغْضُ طَرْفِي مَا بَدَتْ لِي جَارَتِي حَتَّى يُوَارِي جَارَتِي مَاوَاهَا

وقد تنظر العين ولا تبصر ؛ لأن النظر مشاهدة ، والبصر اعتبار ، لقوله تعالى : ﴿ وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا ﴾ ، ولم يقل : لا ينظرون بها ، وقال : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ ﴾ أي : ولا ينتفع بنظره ؛ لأنه لم يعبر ، كما قال أبو الطيب :

وَمَا أُنْتَفَعُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَظَرِهِ إِذَا أَسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلُمُ

وكنت أطلع سيرة أبي هلال العسكري ، فأعجبني قوله :

يَا عَيْنُ صَارَ الدَّمْعُ عِنْدَكَ عَادَةً تَبْكِينَ فِي مَرْحٍ وَفِي أَحْزَانٍ
طَفَحَ الشَّرُّورُ عَلَيَّ حَتَّى إِنَّهُ مِنْ عُظْمٍ مَا قَدْ سَرَّنِي أَبْكَانِي

وقد أحسن فيهما كل الإحسان مع سهولة المأخذ ، وسحر القافية ، ورقة الحاشية .

وصح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « وأعوذ بك من عين لا تدمع »
أي : من خشية الله ؛ لأنها علامة الإفلاس ، وقسوة القلب ، ولهذا ذكر في « البداية والنهاية » : أن أحد العباد لطم عينه وقال : جامدة ! فانهلت معين .
وعلى ذكر لطم العين : فقد أخرج البخاري : (أن موسى لطم عين ملك

الموت) ، وهذا ما تؤمن به ، فقد صح به الخبر .

وفي « النبلاء » عن يزيد بن هارون : أنه لما عمي قيل له : أين ذهبت العينان الجميلتان ؟ قال : أذهبهما بكاء الأسحار .

والله يقول في الذكر الحكيم : ﴿ رَأَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ ﴾ ، فمدحهم بهذه الصورة المعبرة ، والحالة المؤثرة ، والصَّمة القشيري غلب الشعراء بقوله :

بَكَتْ عَيْنِي أَلْيُمْنِي فَلَمَّا زَجَرْتُهَا عَنْ الْجَهْلِ بَعْدَ الْحِلْمِ أَسْبَلَتَا مَعَا
فلو أن الشعر ينطق . . لصاح هذا البيت من حسنه .

وعلى ذكر ذلك : فقد قرأت في « ديوان السعدي الشيرازي » قوله :

بَكَتْ عَيْنِي غَدَاةَ أَلْبَيْنِ دَمْعًا وَأُخْرَىٰ بِأَلْبَكَىٰ بَخِلَتْ عَلَيْنَا
فَعَاقَبْتُ أَلَّتِي بَخِلَتْ عَلَيْنَا بِأَنْ عَمَّضْتُهَا يَوْمَ التَّقِينَا

ولو لم يكن في « ديوانه » إلا هذان البيتان . . لكان من أكبر الشعراء ، فكيف وله ما لذ وطاب ، ونصب في أرض المجد الأطناب .

وتمدح العيون بالحوَر ، وفيها آيات الحسر ، وأدلة الأسر ، وهي أول

ما تقبل بسهامها ، وتعرج بالحاظها ، كما قال جرير :

إِنَّ أَلْعُيُونَ أَلَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنَ قَتْلَانَا

ولقد نيف علي بن الجهم على الشعراء بقوله :

عُيُونُ أَلْمَهَا بَيْنَ الرُّصَافَةِ وَالْجِسْرِ جَلَبْنَ أَلْهُوَىٰ مِنْ حَيْثُ أَدْرِي وَلَا أَدْرِي

فأوجز وأعجز وألغز .

ومما أحسن فيه ابن الخياط ، حتى أدهش بيته الأدباء ، وأعجب به

العلماء : قوله في امرأة جميلة عوراء :

يَا لَهَا عَيْنٌ رَقِيبٌ أَصَابَتْ فَمَتَّى أَبْصَرَهَا وَهِيَ غَيْنٌ
وهذا والله السحر الحلال ، والبالى المعتق ، والشهد المصفى ، ولكن
أين مَنْ يغوص في لَجّ الإبداع ، ويركب زورق التميز .

وممن ذهب عيونهم في سبيل الله في طريق الجهد أو العلم أو السهر في
العبادة : ابن عباس ، والمغيرة بن شعبة ، وعدي بن حاتم ، وأبو سفيان ،
وسعيد بن المسيب ، ويزيد بن هارون ، وقتادة ، والأعمش ، وغيرهم ،
حتى إنهم لما عزّوا ابن عباس في عينيه قال :

إِنْ يَأْخُذِ اللَّهُ مِنْ عَيْنَيَّ نُورَهُمَا فَفِي لِسَانِي وَقَلْبِي مِنْهُمَا نُورٌ
وقال أحد الشعراء وقد ذهب عينه :

فَوَاللَّهِ يَا صَاحِ مِمَّا بَكَيْتُ خَشِيتُ عَلَى عَيْنَيَّ الْوَاحِدَةَ
وقد أجاد الأعور السلمي في بيتين عجيبين يقول فيهما :

بَكَيْتُ بِعَيْنٍ لَيْسَ فِيهَا غَضَاضَةٌ وَعَيْنٍ بِهَا رَيْبٌ مِنَ الْحَدَثَانِ
عَذَرْتُكَ يَا عَيْنِي الصَّحِيحَةَ بِالْبُكَاءِ فَمَا لَكَ يَا عَوْرَاءُ وَالْهَمَلَانَ

وفي « سيرة عمر » : أنه كان تحت عينيه خطان أسودان من كثرة
البكاء .

وفي « السير » : أن أحد تلاميذ ابن عباس يقول : رأيت جفني ابن عباس
كالشراكين الباليين من البكاء .

وهذا والله صدق العبودية ، يقول أبو الطيب :

إِذَا أَشْتَبَكْتَ دُمُوعٌ فِي خُدُودٍ تَبَيَّنَ مَنْ بَكَى مِمَّنْ تَبَاكَى

وقد وصفوا العين بالملاحة والحسن يقول أحدهم :

وَعَيْنَانِ قَالَ اللَّهُ : كُونَا فَكَانَتَا فَعُولَانِ بِالْأَلْبَابِ مَا تَفَعَّلُ الْخَمْرُ

وإنما صرَّع العشاق ، وقتل المحبين : لَحَظُ العيون ، وتقلَّبها في
 المحاجر ، مع الدعج القاتل ، كما قال أبو الطيب لله دره :
 وَأَنَا الَّذِي أَجْتَلَبَ الْمَنِيَّةَ طَرْفُهُ فَمَنْ الْمُطَالِبُ وَالْقَتِيلُ الْقَاتِلُ
 وقد نهى صلى الله عليه وسلم في السنن علياً عن إرسال النظر إلى الحرام ،
 فسأله عن نظرة الفجأة ، فقال : « لك الأولى ، وليس لك الثانية » .
 وصح قوله صلى الله عليه وسلم : « عينان لا تمسهما النار : عين بكت من
 خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله » .

ولما ضربت عين قتادة بن النعمان في أحد وتدلَّت على خده . . ردّها سيد
 ولد آدم صلى الله عليه وسلم بيده المباركة ، فكأنها صارت أجمل من أختها ،
 حتى افتخر ابنه بهذا فقال :

أَنَا ابْنُ الَّذِي سَأَلَتْ عَلَى أَخَذَ عَيْنُهُ فَرُدَّتْ بِكَفِّ الْمُصْطَفَى أَحْسَنَ الرَّدِّ
 فقال عمر بن عبد العزيز :

تِلْكَ أَلْمَكَارِمُ لَا قَعْبَانٍ مِنْ لَبَنِ شَيْبًا بِمَاءٍ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالًا
 ويظهر في العين الحب والبغض ، والأمانة والخيانة ، يقول الشاعر :
 وَالْعَيْنُ تَعْلَمُ مِنْ عَيْنِي مُحَدِّثَهَا إِنَّ كَانَ مِنْ حَزْبِهَا أَوْ مِنْ يُعَادِيهَا
 وقال آخر :

تَقُولُ عَيْنُكَ لِي : لَا مَرْحَبًا وَهَلَا قَالَتْ لِسَانُكَ : وَالتَّصْدِيقُ لِلْعَيْنِ
 ومن أرسل نظره . . تعب ، وأصابه النصب .

وَأَنْتَ مَتَى أَرْسَلْتَ طَرْفَكَ رَائِدًا إِلَى كُلِّ عَيْنٍ أَتَعَبَتْكَ الْمَنَاظِرُ
 أَصَبْتَ الَّذِي لَا كُلَّهُ أَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ وَلَا عَنْ بَعْضِهِ أَنْتَ صَابِرٌ
 ولهذا كان بعض السلف إذا صلى . . كأنه أعمى من التقوى ، كما

قال البردوني في أبي الطيب :

مِنْ تَلَطَّى دُمُوعِهِ كَادَ يَغْمَى كَادَ مِنْ شُهْرَةِ أَسْمِهِ لَا يُسْمَى
حتى إن جارية الحسن فتحت الباب لأيوب السخيتاني سيد شباب البصرة ،
فأغمض عينيه ، فقالت الجارية للحسن : جاء صديقك الأعمى .

وَمَا كَانَ أَعْمَى غَيْرَ أَنَّ عُيُونَهُ مِنْ الْخَوْفِ غَضَّتْ عَنْ مَحَارِمِهِ خَوْفًا
وقد بكى سعيد بن المسيب من خشية الله ستين سنة حتى ذهبت عينه ،
قالوا : نذهب بك لترى الخضرة في وادي العقيق ، قال : لا يكون هذا وأترك
صلاة في مسجده صلى الله عليه وسلم بألف صلاة فيما سواه .

فَبَارَكَ اللَّهُ فِي عَيْنِ سَخَوْتِ بِهَا لِلْعِلْمِ وَالْفَهْمِ وَالْآيَاتِ وَالشُّورِ
وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم : (أنه ما كان يومىء بعينه غمزاً) ؛ لأنه
رسول معصوم ، حتى لما جيء بابن أبي السرح في الحرم . . قال لأصحابه :
« ألا قتلتموه ؛ لأنه أفسد ، وفي الحرم ألد ؟ » ، قالوا : يا رسول الله ، هلاً
أومضت لنا بعينك ؟ قال : « ما كان لنبي أن تكون له خائنة أعين » .

ودخل بعض الوزراء على ملك وزوجته حاضرة باهرة سافرة ، فلحظها
الوزير بعينه وغمز لها ، فرآه الملك ، فبقي معه أربعين سنة مكسور العين ؛
خوفاً من الملك ، حتى كأن هذه عادته .

والعمي قد يفتنون بالسماع أكثر من العيان ، كما قال بشار :
يَا قَوْمِ أُذْنِي لِبَعْضِ الْحَيِّ عَاشِقَةٌ وَالْأُذُنُ تَعَشِقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أَحْيَانًا
ويستحسن في العين : السعة ، والدعج ، وهو شدة سواد النون مع بياض
العين ، يقول أحد الشعراء :

قَالُوا: خُذِ الْعَيْنَ مِنْ كُلِّ، فَقُلْتُ لَهُمْ: فِي الْعَيْنِ فَضْلٌ وَلَكِنْ نَاطِرُ الْعَيْنِ

ودخل أحد الحمقى الحمام ، فرآه الأعمش ، فأطبق عينيه ، فقال
الأحمق : من متى عميت يا أعمش ؟ فقال : منذ هتك الله سترك .

وَكَمْ مَنْظَرٍ لَوْلَا الْحَيَاءُ رَمَيْتُهُ بَعَيْنِ كَحَامِي السَّهْمِ فِي رَشْقَةِ النَّبْلِ
وكانوا يشكون سهر العيون لفرقة الأحباب ، قال أبو نواس :
شَكُونَا إِلَى أَحْبَابِنَا طُولَ لَيْلِنَا فَقَالُوا لَنَا : مَا أَقْصَرَ اللَّيْلَ عِنْدَنَا
وَذَاكَ بِأَنَّ النَّوْمَ يَغْشَى عُيُونَهُمْ يَقِينًا وَلَا يَغْشَى لَنَا النَّوْمُ أَعْيُنًا
ويقول الوليد بن يزيد :

لَا أَسْأَلُ اللَّهَ تَغْيِيرًا لِمَا صَنَعْتُ نَامَتْ وَقَدْ أَسْهَرْتَ عَيْنِي عَيْنَاهَا
وقد أحسن البوصيري في قوله :

فَمَا لِعَيْنَيْكَ إِنْ قُلْتَ أَكْفَفَا هَمَّتَا وَمَا لِقَلْبِكَ إِنْ قُلْتَ أَسْتَقَى يَهُم
وإذا أنكرت العيون الحقائق . . ادعي عليها بقول الشاعر :

فَقُلْ لِلْعُيُونِ الرُّمْدِ : لِلشَّمْسِ أَعْيُنُ تَرَاهَا بِحَقٍّ فِي مَغِيبٍ وَمَطْلَعٍ
وَسَامِعِ عُيُونًا أَطْفَأَ اللَّهُ نُورَهَا بِأَهْوَائِهَا لَا تَسْتَفِيقُ وَلَا تَعِي

ومن كرامة العين بكاؤها من خشية الله ، فهذا سيد الخلق صلى الله عليه
وسلم بكى كثيراً وهو أنقى الخليفة لمولاهم ؛ ففي الصحيح : (أن الرسول
صلى الله عليه وسلم استمع لقراءة ابن مسعود ، فلما بلغ قوله تعالى :
﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ . . قال :
« حسبك الآن » ، فنظرت إلى عينيه ، فإذا هي تذرفان) .

وفي السنن : (أنه صلى الله عليه وسلم قام يصلي ولصدره أزيز كأزيز
المرجل من البكاء) .

وقال تعالى عن رسله عليهم السلام : ﴿ إِذَا نُنَادِي عَلَيْهِمْ ءَايَتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا

وَبُكِّيَا ۞ ، قرأها أيوب السخيتاني مع أصحابه ، فسجد بهم ثم قال : هذا السجود فأين البكاء ؟

وقوله سبحانه : ﴿ وَتَضَحَّكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴾ ، وهو لوم وتبكيت لكل فاجر ساء لاه عابث لاعب .

وقوله سبحانه للمنافقين : ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا ﴾ ، فمن ضحك لاهياً في الدنيا وغفل عن ربه . . بكى يوم القيامة على تسويفه .
وكان عبد الله الصغير ملكاً ضعيفاً في الأندلس ، ترك تدبير الملك ، فلما ضاع ملكه . . بكى ، فقالت أمه :

إِنَّكَ مِثْلَ النِّسَاءِ مُلْكًا مُضَاعًا لَمْ تُحَافِظْ عَلَيْهِ مِثْلَ الرِّجَالِ
وقد صرح عنه صلى الله عليه وسلم : أن من السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : « رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه » ، لأنه الخالي من الناس ، أخلص لربه ، وأبعد عن الرياء .
يقول أبو الطيب :

بَادِ هَوَاكَ صَبَرْتَ أَمْ لَمْ تَصْبِرَا وَبُكَاكِ إِنَّ لَمْ يَجْرِ دَمْعُكَ أَوْ جَرَى
ولهذا فإن الأطلال والمعاهد والديار تستدر الدموع ، وتهيج على البكاء ، وما بكى العرب شيئاً كما بكوا الشباب والديار .
يقول أبو العتاهية :

بَكَيْتُ عَلَى الشَّبَابِ بِدَمْعِ عَيْنِي فَلَمْ يُغْنِ الْبُكَاءُ وَلَا النَّحِيبُ
فَيَا لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يَوْمًا فَأُخْبِرُهُ بِمَا فَعَلَ الْمَشِيبُ
وقال الملك الضليل :

قَفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ بِسِقْطِ اللَّوَى بَيْنَ الدُّخُولِ فَحَوْلِ

وأحسن من هذا البكاء العاثر ما ورد في التاريخ عن عمر وأبي عبيدة :
 أنهما لما التقيا في الجابية . . قال عمر : تعال يا أبا عبيدة نبك على تقصيرنا بعد
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبكيا حتى أصبحا ، كما قال الشاعر :
 عِبَادُ لَيْلٍ إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ بِهِمْ كَمْ عَابِدٍ دَمَعُهُ فِي الْخَدِّ أَجْرَاهُ
 وأكثر بكاء الشعراء على الأطلال وذكرى الحبيب والهيام والغرام ، فأين
 هذا من البكاء من خشية الله ؟!

إِذَا كَانَ حُبُّ الْهَائِمِينَ مِنَ الْوَرَى بَلِيلِي وَسَلْمِي يَسْلُبُ اللَّبَّ وَالْعَفْلَا
 فَمَاذَا عَسَى أَنْ يَصْنَعَ الْهَائِمُ الَّذِي سَرَى قَلْبُهُ شَوْقًا إِلَى الْعَالَمِ الْأَعْلَى
 فتباً لحب ليس لله ، وسحقاً لعين لا تبكي من خشية الله .
 وَمَا أَلْعَزُّ إِلَّا فِي رِضَا اللَّهِ وَحْدَهُ وَحُبُّ الَّذِي ذَلَّتْ بِهِ الْأَلَّتْ وَالْعُرَى
 وكما قال الأول :

سَهْرُ الْعُيُونِ لَغَيْرِ وَجْهِكَ ضَائِعٌ وَرِضَا الْقُلُوبِ بِغَيْرِ دِينِكَ بَاطِلٌ
 وكان متمم بن نويرة يبكي أخاه كثيراً ، ومن مفرداته قوله :

فَقَالَ : أَتَبْكِي كُلَّ قَبْرِ رَأَيْتَهُ لِقَبْرِ ثَوَى بَيْنَ اللَّوَى فَالذَّكَادِكِ
 فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ الشَّجَا يَبْعَثُ الشَّجَا فَدَعْنِي فَهَذَا كُلُّهُ قَبْرُ مَالِكِ

وكان عمر يقول له : يا متمم ؛ يا ليتني كنت شاعراً فأرثي أخي زيداً كما
 رثيت أخاك مالكاً ، فوالله ما هبَّت صبا نجد إلا جاءتني برائحة زيد .
 يقول ابن المبارك متشوقاً :

هَبَّتِ الرِّيحُ مِنَ الشَّرِّ قِ فَجَاءَتْنِي بِرِيحِكَ
 كَيْفَ أَنْسَاكَ وَرُوحِي صُنِعَتْ مِنْ جَنْسِ رُوحِكَ

وعلى ذكر نجد : فقد أكثر الشعراء من بكاء نجد وذكرها ، وذكر الحافظ

ابن دقيق العيد : أنه حضر مجلساً وفيه أحد الصالحين ، فأنشد منشد بصوت جميل :

خُذَا مِنْ صَبَا نَجِدِ أَمَانًا لِقَلْبِهِ فَقَدْ كَادَ رِيَّاهَا يَطِيرُ بِلُبِّهِ

فشوق هذا الصالح ثم سقط مغشياً عليه ، فحركوه فإذا هو ميت .

سَيِّدِي عَلَّلِ الْفُؤَادَ الْعَلِيلَا وَأَحْيِنِي قَبْلَ أَنْ تَرَانِي قَتِيلَا

إِنْ تَكُنْ عَازِمًا عَلَى قَتْلِ رُوحِي فَتَرَفَّقْ بِهَا قَلِيلًا قَلِيلًا

ومن لم يذق هذا . . لم يصدق : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾ .

لَا تَعْذِلِ الْمُشْتَقَ فِي أَشْوَاقِهِ حَتَّى يَكُونَ حَشَاكَ فِي أَحْشَائِهِ

أو كما قال الأول :

تَرَى الْمُحِبِّينَ صَرَعَى فِي دِيَارِهِمْ كَفْتِيَةِ الْكَهْفِ لَا يَذْرُونَ كَمْ لَبِثُوا

ولما خرج صلاح الدين للجهاد وسمع منشداً يقول :

تَمَتَّعَ مِنْ شَمِيمِ عَرَارِ نَجْدٍ فَمَا بَعْدَ الْعَشِيَّةِ مِنْ عَرَارِ

قال : هذا نعى لي أجلي ، فمات في ذاك السفر ، رحم الله تلك الروح ،

وأسبل على عظامه صوب الغمام .

ويعجبني كثيراً قول أبي الطيب :

نَحْنُ أَذْرَى وَقَدْ سَأَلْنَا بِنَجْدٍ أَقْصِرُ طَرِيقُنَا أَمْ يَطُولُ

وَكَثِيرٌ مِنَ السُّؤَالِ أَشْتِيَاقُ وَكَثِيرٌ مِنْ رَدِّهِ تَغْلِيلُ

وقال الحجّبي من المعاصرين :

يَا سَاكِنِي نَجْدٍ أَنِّي بَعْدَ بَيْنِكُمْ كَأَنَّمَا قَدْ شَوَى الْأَضْلَاعَ سَفُودُ

وما أقول في ديار الأحباب إلا كما قال جرير :

دُمُ الْمَنَازِلِ بَعْدَ مَنَزَلَةِ اللَّوَى وَالْعَيْشَ بَعْدَ أَوْلَيْكَ الْأَقْوَامِ

ولله هذا البيت تكاد تشرق حروفه ، ولا أزال معي صديقي الدكتور
عبد العزيز المقحم نقله وتأمله ونتشاجى به .

وهذا أبو الطيب يقول :

وَمَا شَرَقِي بِالْمَاءِ إِلَّا تَذَكُّرًا لِمَاءِ بِهِ أَهْلُ الْحَبِيبِ نُزُولُ
ويا له من بيت هزّ أعماقي ، واستولى على مشاعري ، وليس بغريب على
إمبراطور الشعراء .

ومن روائع ابن الأحنف :

بَكَيْتُ عَلَى سِرْبِ الْقَطَا إِذْ مَرَزَنَ بِي فَقُلْتُ وَمِثْلِي بِالْبُكَاءِ جَدِيرُ
أَسْرَبَ الْقَطَا هَلْ مَنْ يُعِيرُ جَنَاحَهُ لَعَلِّي إِلَى مَنْ قَدْ هَوَيْتُ أُطِيرُ
وقد رأينا شيخنا ابن باز بكى بكاء طويلاً ، ودموعه تذرف كأنها الدرر ،
فقلت :

عَفْوَاً لَكَ اللَّهُ قَدْ أَحْبَبْتُ طَلْعَتَكُمْ لَأَنَّهَا ذَكَّرَتْنِي سَيْرَ أَسْلَافِي
وما أجمل الدمع الصادق من خشية الله ، كم يغسل من الخطايا ، فيا
رحمن ! تجاوز عنا .

إِذَا كَانَ هَذَا الدَّمْعُ يَجْرِي صَبَابَةً عَلَى غَيْرِ سَلْمَى فَهُوَ دَمْعٌ مُضَيِّعُ
ولمن يُخَزِّن الدَّمْعَ إِذَا لَمْ يُسْفَحْ لمرضاته ؟ ولمن يُصَان الدَّمُ إِذَا لَمْ يُسْفَكْ
لنصرة آياته ؟

ويعجبني قول طلحة في أحد : (اللهم ؛ خذ من دمي هذا اليوم حتى
ترضى) .

وعلى خبر نجد المتقدم : فإن الشريف الرضي له قصيدة فاتنة في نجد يقول
فيها :

يَا صَاحِبِي قَفَا لِي وَأَقْضِيَا وَطَرَا
وَعَلَّلَانِي بِذِكْرِي مَنْ وَلَعْتُ بِهِمْ
لِمُغْرَمِ الْقَلْبِ صَبَّ رَبِّ أَسْمَارِ
وَحَبَّرَانِي عَنْ نَجْدٍ بِأَخْبَارِ
ويقول في آخرها :

تَضَوُّعُ أَرْوَاحٍ نَجْدٍ مِنْ ثِيَابِهِمْ
عِنْدَ النَّزُولِ لِقُرْبِ الْعَهْدِ بِالْدَّارِ
وقد أقمت بالرياض من خمس عشرة سنة ، فقلت في مطلع قصيدة
عارضني فيها جمع من الشعراء :

نَجْدُ أَلْهَوَى وَالسَّخَرِ يَا أَرْضَ الْحِمَى
الْمَجْدُ فَوْقَ تُرَابِ صُورَتِكَ أَرْتَمَى
صَلَّتْ عَلَى شَفَتَيْكَ يَا نَجْدَ الْهُدَى
قُبَلَاتُ مَنْ زَارَ الْحَطِيمَ وَرَزَمَزَا
ولي من قصيدة تقارب ثمانين بيتاً :

خُذْ يَا صَبَا نَجْدٍ فَضْلاً وَخِي أَفْكَارِي
فَنَجْدُ مَرْفَأُ تَرْحَالِي وَإِنْحَارِي
وأعود إلى البكاء والدموع والعيون ؛ فحديثها طويل له ذيول ، وقد بكى
العظماء في المناسبات .

ذكر : أن ابن الزبير لما جاءه خبر مقتل أخيه مصعب بالعراق .. ذرفت
عينه ، ثم قال :

وَلَيْسَ عَلَى الْأَعْقَابِ تَذْمِي كُلُّوْمُنَا
وَلَكِنْ عَلَى أَعْقَابِنَا تَقَطُّرُ الدِّمَا
وأسرة آل الزبير من أشجع الناس ، وقع بهم القتل ، فشجاعتهم
واستبسالهم في الجاهلية والإسلام .

ولما توفي إبراهيم ابن رسولنا صلى الله عليه وسلم .. قال : « تدمع
العين ، ويحزن القلب ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا » .

وقد كتب الزيات في مجلة الرسالة مقالة يرثي فيها ابنه ، تكاد تذهب
بالعقول .

ولما مات محمد بن الحجاج . . وضع أمامه أكفانه ، فبكى الحجاج وقال :
 أَلَا نَ لَمَّا كُنْتَ أَكْمَلَ مَنْ مَشَى وَافْتَرَّ نَابُكَ عَنْ شَبَاةِ الْقَارِحِ
 وَتَكَامَلْتَ فِيكَ الْمُرُوءَةُ كُلُّهَا وَأَعَنْتَ ذَلِكَ بِالْفَعَالِ الصَّالِحِ
 فزجره الحسن البصري عن الجزع .

وكما قال أبو الطيب :

إِنِّي لِأَجْبُنُ مِنْ فِرَاقِ أَحِبَّتِي وَتُحَسُّ نَفْسِي بِالْحِمَامِ فَاشْجَعُ
 وكم أشجاني بيتان ذكرهما الطنطاوي في مذكرته لأحد الشعراء عن الديار
 يقول فيهما :

مَا فِي الْمَنَازِلِ مُخْبِرٌ إِلَّا الصَّدَى لِمُصَوِّتِ
 نَادَيْتُ : أَيَّنَ أَحِبَّتِي فَأَجَبْتُ : أَيَّنَ أَحِبَّتِي
 وديارنا في الحقيقة هي جنات النعيم ، منزل أبينا آدم عليه السلام كما قال
 ابن القيم :

فَحَيَّ عَلَى جَنَّاتٍ عَدْنٍ فَإِنَّهَا مَنَازِلُكَ الْأُولَى وَفِيهَا الْمُخَيَّمُ
 يقول أحد العلماء : يا ابن آدم ؛ عدوك سباك من أوطانك ، وأخرج أمك
 وأباك ، فابذل الغالي والرخيص في فكاك رقبتك من النار ، والعودة إلى جنات
 النعيم .

وعدنا إلى الحديث عن العيون ، وذكرت ما قال أشعر قريش الشريف
 الرضي في قصيدته العامرة (يا ظبية البان) ، إذ يقول :

كَأَنَّ طَرْفَكَ يَوْمَ الْجَزَعِ يُخْبِرُنَا بِمَا طَوَّيْ عَنْكَ مِنْ أَسْمَاءِ قَتْلَاكَ
 وقد صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « العين حق ، ولو كان شيء
 يسبق القدر . . لسبقته العين » .

يقول أحد العلماء : العين تُنزل الرجل القبر ، والجمل القدر .
وأصلها في قوله سبحانه : ﴿ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ ﴾ ، قال بعض
المفسرين : يسقطونك بالعين .

يقول أحدهم في ماجد :
مَجْدٌ إِلَى الْعَيْبِ مُحْتَاجٌ يُصَانُ بِهِ مِنْ أَعْيُنِ النَّاسِ أَوْ مِنْ أَسْهُمِ الزَّمَنِ

* * *

ألا يا صبا نجد

إذا ذكرنا نجد ، ثار الوجد ، واستجاب المجد .

يا نجد ؛ أنت مهبط وحي العربيّة ، ومسقط رأس الشاعرية ، على رحابك
سفكت دماء المحبين ، وسالت دموع المعجبين ، وعلى بساطك وقعت
جواهر البيان ، وبسقت لآلئ العرفان .

يا نجد ؛ أنت أرض الحب والغرام ، والعشق والهيّام ، في رأسك ذاكرة
الأيام ، وفي صدرك مفكرة الأحلام ، هنا ملاعب طُسم وجديس ، ومفاتن
امرئ القيس ، ومعاطن العيس ، هنا سحر القافية يلعب بالأذهان ، هنا للشعر
سوق ومهرجان ، وللحب روض وبستان .

جدد التوحيد في نجد فصار غضاً طريّاً ، وولد الحب نجدياً ، وعاش الدين
بها أبديّاً ، وصار الوفاء بها سرمدياً ، لنجد في قلبي منازل وخيام ، وبيوت
وأعلام ، ولها في ذاكرتي صور وأفلام ، ومشاهد وأحلام .
يا صاحبيّ على نجد قفانك ، ومن هواها تعالاً نشتك .

في نجد أم البنين الأربعة ، وعامر بن صعصعة ، المطعمون الجفنة
المدعدة ، والضاربون الهام يوم المعمة .

من نجد انطلق الموحدون ، وأنشد منها قيس بن ميمون ، وفيها عشق
عروة بن حزام والمجنون .

في نجد الخزامى والشَّيح ، والروض الفسيح ، والشعر الفصيح ، وشذا
المسك تذرّوه الريح .

نجدٌ ثلاثة أحرف : نون ، وجيم ، ودال .

فالنون : فنون ، وشجون ، وعيون ، وفتون .

والجيم : جلال ، وجمال ، وجهاد ، وجلاد .

والدال في نجد : سنة وكتاب ، وعلوم ، وآداب ، وأحساب ، وأنساب ،

ومجدد الدعوة محمد بن عبد الوهاب .

جاءتنا حمامة ، من اليمامة ، فأخبرتنا أن مسيلمة ترك إسلامه ، وعصى

إمامه ، فخلع خالد العمامة ، وربط حزامه ، وسلّ حسامه ، ففصل من مسيلمة

الهامة ، وقصّ عظامه .

فأهدت نجد المجدد ، والموحد ، والمسدد .

فالمجدد : ابن عبد الوهاب ، جدد للتوحيد الشباب ، وألبسه أحسن

الثياب ، فجزاه الله أوفر الثواب .

والموحد : حصن الهمة الحريز ، وشارح كتاب المجدد الوجيز ، الملك

عبد العزيز .

والمسدد : الرجل الممتاز ، الذي حوى كل فضل وحاز ، عبد العزيز بن

باز .

من حنجرة نجد انطلقت في الظهيرة ، صرخة : (ودّع هريرة...) ، ومن

نجد أقبل الرجل المفضال ، والداعية الرّحال ، ثمامة بن أثال .

ونجد لا تقبل الرذيل ، ولا تعشق الدخيل ، ولذلك قتلت العميل ،

عامر بن الطفيل ؛ لأنه كذب بالتنزيل .

من نجد هب جيش بكر بن وائل الشجعان ، فهزموا صاحب الإيوان ،
كسرى أنوشروان .

وسوف يهب من نجد بنو تميم ، في جيش عظيم ، لحرب الدجال الأثيم ،
كما قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : « أشد أمتي على الدجال بنو
تميم » .

من نجد هب عمرو بن كلثوم ، بسيفه المثلوم ، على الملك الغشوم ،
عمرو بن هند الظلوم ، ثم أرسل إلى الشعوب ، قصيدته التي تعصف
بالقلوب ، فسارت في الناس مغربة مشرقة ، وجعلتها العرب معلقة .
ومن نجد المحدث الكبير ، والعالم الأثير ، صاحب الدر النثير ،
يحيى بن أبي كثير .

من نجد خرج الأعشى يتمشى ، بعد أن تعشى ، فتوجه إلى المدينة ليعلن
إسلامه ، فلقبه أبو سفيان فخاف مقامه ، وأعطاه خطامه ، ليعود لليمامة ،
فعاد بجمله ، وأرخصي زمامه ، وأطلق خطامه ، فأسقطه فكسر عظامه ،
فباء بالخسران والندامة ، وله قصيدة فريدة ، يصف ويبعث فيها همومه
المريدة .

في نجد شعر عجب ، خذ شعر امرئ القيس إذا شرب ، والأعشى إذا
ركب ، والنابعة إذا رهب ، وزهير إذا رغب ، وابن كلثوم إذا غضب .
شعر امرئ القيس كالخمر المعتق ، تكاد القلوب منه تتشقق ، والعروق
تفتق ، والدموع تتدفق ، فإذا سمعته . . فترفق .

وشعر الأعشى ، كالحمى ، يتركك كالمغمى ، أو كأنك أعمى ، وهو من
الغيث أهمل ، ومن النجم أسمى .

وشعر النابغة سحر حلال ، لكنه يُذهب عقول الرجال ، وله روعة
وجمال ، وأبهة وكمال .

وشعر زهير كالماء الزلال ، فيه صدق واعتدال ، وحق وجلال ، بعيد عن
السخف والإملال .

وشعر ابن كلثوم يسابق حسامه ، كأنه بروق تهامة ؛ لأن صاحبه طالبُ
زعامة ، يريد العزة والكرامة .

لما كان الشعر في روابي نجد الخضراء ، وفي فيافيها الفيحاء . . كان آية في
الحسن والنبيل والبهاء ، فلما دخل الشعر إلى القصور ، وسكن الدور . . خرج
كأنه جلد ثور ، لا يطبخ في القدور ، ولا يهبط من النحور .

يحتاج البيان إلى خيمة مضروبة ، ورابية منصوبة ، وخضرة وخصوبة ؛
لترى الأمثال المضروبة ، والمعاني المرغوبة ، ولما صار القلم بجانب
التلفاز ، والعقل بجوار الجهاز . . ذهب البيان والإعجاز ، وغرُب الإبداع
والإنجاز .

والسلام على نجد التوحيد ، ما تردد تغريد ، وعذب نشيد ، وطاب
قصيد ، وعاد عيد ، ورحمة الله عليكم أهل نجد إنه حميد مجيد .

* * *

فرائد وقلائد

وُلِدَ الْهُدَى فَالْكَائِنَاتُ ضِيَاءُ وَفَمُ الزَّمَانِ تَبَسُّمٌ وَثَنَاءُ

* * *

هُوَ الْبَحْرُ مِنْ أَيِّ النَّوَاحِي أَتَيْتُهُ فَلَجَّتُهُ الْمَعْرُوفُ وَالْجُودُ سَاحِلُهُ

* * *

لَا يَسْأَلُونَ أَخَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ فِي النَّائِبَاتِ عَلَى مَا قَالَ بُرْهَانَا

* * *

سَأَشْكُرُ عَمْرًا إِنْ تَرَاحَتْ مَنِيَّتِي أَيَادِي لَمْ تُمْنَنَّ وَإِنْ هِيَ جَلَّتِ

* * *

بِيضُ الْوُجُوهِ كَرِيمَةٌ أَحْسَابُهُمْ شُمُّ الْأَنْفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ

* * *

مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقْلٌ لَاقَيْتُ سَيِّدَهُمْ مِثْلَ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِي بِهَا السَّارِي

* * *

بَانَتْ سَعَادُ فِقْلِبِي الْيَوْمَ مَتَبُولُ مُيِّمٌ إِنْ رَهَا لَمْ يُفِدْ مَكْبُولُ

* * *

قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِذِيهِ لَهُمْ طَارُوا إِلَيْهِ زَرَافَاتٍ وَوُحْدَانَا

* * *

إِنَّا لَقَوْمٌ أَبَتْ أَخْلَاقُنَا شَرْفًا أَنْ تَبْتَدِيَ بِالْأَذَى مَنْ لَيْسَ يُؤْذِنَا

وَنَشْرَبُ إِنِ وَرَدْنَا الْمَاءَ صَفَوَا وَيَشْرَبُ غَيْرُنَا كَدَرًا وَطِينًا

* * *

قَوْمٌ هُمْ الْأَنْفُ وَالْأَذْنَابُ غَيْرُهُمْ وَمَنْ يُسَوِّي بِأَنْفٍ النَّاقَةَ الذَّنْبَا

* * *

أَذْكُرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي حَيَاؤُكَ إِنَّ شِمَتَكَ الْحَيَاءُ

* * *

هَيُّنُونَ لَيُّنُونَ أَيْسَارُ ذَوُو يُسْرِ سُوَّاسُ مَكْرَمَةِ أَبْنَاءِ أَيْسَارِ

* * *

أَغْرُ أُبْلَجُ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِهِ لَوْ صَارَعَ النَّاسَ عَنْ أَحْلَامِهِمْ صَرَعا

* * *

مُحَسَّدُونَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ نَعَمٍ لَا يَنْزِعُ اللَّهُ مِنْهُمْ مَا لَهُ حُسِدُوا

* * *

فَالْخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي وَالسَّيْفُ وَالرُّمْحُ وَالْفِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ

* * *

وَفِيهِمْ مَقَامَاتُ حِسَانٍ وَجُوهُهُمْ وَأَنْدِيَةٌ يَنْتَابُهَا الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ

* * *

كَأَنَّ مَثَارَ النَّفْعِ فَوْقَ رُؤُسِهِمْ وَأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ

* * *

أَحْلَامُنَا تَزِنُ الْجِبَالَ رَزَانَةً وَتَخَالُنَا جِنًّا إِذَا مَا نَجْهَلُ

* * *

فَمَا لِلْمَرَّةِ خَيْرٌ فِي حَيَاةٍ إِذَا مَا عُدَّ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ

إِنَّا لَمِنَ مَغْشَرٍ أَفْنَىٰ أَوَائِلِهِمْ قِيلُ الْكُمَاةِ : أَلَا أَيْنَ الْمُحَامُونَا

* * *

أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَتَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ

* * *

تَسِيلُ عَلَىٰ حَدِّ الظُّبَاتِ نُفُوسُنَا وَلَيْسَتْ عَلَىٰ غَيْرِ الظُّبَاتِ تَسِيلُ

* * *

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يُدْنَسْ مِنَ اللَّؤْمِ عَرْضُهُ فَكُلُّ رِذَاءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلُ

* * *

وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ الْأَخِيرَ زَمَانُهُ لَا تَبِمَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ الْأَوَائِلُ

* * *

أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَىٰ إِلَىٰ أَدْبِي وَأَسْمَعْتُ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمُ

* * *

وَإِنَّمَا أَوْلَادُنَا يَتَنَنَّا أَكْبَادُنَا تَمْشِي عَلَىٰ الْأَرْضِ

* * *

هَلَّا سَأَلْتُ الْخَيْلَ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ إِنْ كُنْتَ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي

* * *

يَا جَارَةَ الْوَادِي طَرِبْتُ وَعَادَنِي مَا يُشْبِهُ الْأَحْلَامَ مِنْ ذِكْرَاكِ

* * *

لَيْلَتِي هَذِهِ عَرُوسٌ مِنَ الزَّنَجِ عَلَيْهَا فَلَائِدٌ مِنْ جَمَانٍ

* * *

أَتَاكَ الرَّبِيعُ أَلْطَلُوقُ يَخْتَالُ ضَاحِكًا مِنْ الْحُسْنِ حَتَّىٰ كَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ

نَصَحْتُكَ فَالْتَمِسْ يَا لَيْثُ غَيْرِي طَعَاماً إِنَّ لَحْمِي كَانَ مُرّاً
* * *
مَكْرٌ مَفَرٌّ مُقْبِلٌ مُدْبِرٌ مَعَا كَجُلُودِ صَخْرٍ حَطَّهَ السَّيْلُ مِنْ عَلٍ
* * *
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَاراً عَلَى الْقَدَى ظَمِئْتَ وَأَيُّ النَّاسِ تَصْنُفُو مَشَارِبُهُ
* * *
مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمُ جَوَازِيَهُ لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ
* * *
فُغْضَ الطَّرْفُ إِنَّكَ مِنْ نَمِيرٍ فَلَا كَعْبَاءَ بَلَغْتَ وَلَا كِلَابَا
* * *
فَحُبُّ الْجَبَانِ النَّفْسَ أَوْرَدَهُ التُّقَى وَحُبُّ الشُّجَاعِ النَّفْسَ أَوْرَدَهُ الْحَزْبَا
* * *
فَطَعْمُ الْمَوْتِ فِي أَمْرٍ صَغِيرٍ كَطَعْمِ الْمَوْتِ فِي أَمْرٍ عَظِيمٍ
* * *
إِذَا أَعْتَادَ الْفَتَى خَوْضَ الْمَنَايَا فَأَهْوَى مَا يَمُرُّ بِهِ الْوُحُولُ
* * *
ضِدَّانِ لِمَا اسْتَجْمَعَا حَسَنًا وَالضُّدُّ يُظْهِرُ حُسْنَهُ الْضُّدُّ
* * *
فُبَيْلَةٌ لَا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةِ وَلَا يَظْلِمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلٍ
* * *
دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا وَأَقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي

تَعَبُ كُلُّهَا الْحَيَاءُ فَمَا أَغْـجَبُ إِلَّا مِنْ رَاغِبٍ فِي أَرْذِيَادٍ

* * *

وَكَانَتْ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٌ وَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيًّا

* * *

لَوْلَا الْحَيَاءُ لَعَادَنِي أَسْتِعْبَارُ وَلَزُرْتُ قَبْرَكَ وَالْحَيِيبُ يُزَارُ

* * *

ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ وَبَقِيْتُ فِي خَلْفٍ كَجِلْدِ الْأَجْرَبِ

* * *

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمْ غَضَابًا

* * *

ذَهَبَ الشَّبَابُ فَمَا لَهُ مِنْ عَوْدَةٍ وَأَتَى الْمَشِيبُ فَأَيْنَ مِنْهُ الْمَهْرَبُ

* * *

وَلُبْسُ عَبَاءَةٍ وَتَقَرُّ عَيْنِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لُبْسِ الشُّفُوفِ

* * *

وَمَنْ يَكُ ذَا فَمُ مَرِيضٍ يَجِدُ مُرًّا بِهِ الْمَاءُ الزُّلَالَا

* * *

وَمَنْ يُنْفِقِ السَّاعَاتِ فِي جَمْعِ مَالِهِ مَخَافَةَ فَقْرٍ فَالَّذِي فَعَلَ الْفَقْرُ

* * *

لَعَمْرُكَ مَا تَدْرِي الْأَضْوَارُ بِالْأَحْصَى وَلَا زَاغِرَاتُ الطَّيْرِ مَا اللَّهُ صَانِعُ

* * *

غِبْ وَزُرْ غِيًّا تَزِدُ حُبًّا فَمَنْ أَكْثَرَ التَّرَدَادِ أَقْصَاهُ الْمَلَلُ

أَعْلَلُ النَّفْسَ بِالْأَمَالِ أَرْفُهَا مَا أَضِيقَ الْعَيْشَ لَوْلَا فَسْحَةُ الْأَمَلِ
* * *
تَقْفُونَ وَالْفُلُكُ الْمُسَخَّرُ دَائِرُ وَتَقْدُرُونَ فَتَضَحَّكَ الْأَقْدَارُ
* * *
بَقَدْرِ الْجِدِّ تُكْتَسَبُ الْمَعَالِي وَمَنْ رَامَ الْعُلَا سَهَرَ اللَّيَالِي
* * *
أَحْسِنُ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعْبِدُ قُلُوبُهُمْ فَطَالَمَا اسْتَعْبَدَ الْإِنْسَانُ إِحْسَانُ
* * *
وَإِنَّ أَمْرًا قَدْ سَارَ خَمْسِينَ حِجَّةً إِلَى مَنْهَلٍ مِنْ وَرْدِهِ لَقَرِيبُ
* * *
جَرَاحَاتُ الطَّعَانِ لَهَا الْيَتَامُ وَلَا يَلْتَامُ مَا جَرَحَ اللِّسَانُ
* * *
إِذَا ضَاقَ صَدْرُ الْمَرْءِ عَنْ سِرِّ نَفْسِهِ فَصَدْرُ الَّذِي يُسْتَوْدَعُ السِّرَّ أَضِيقُ
* * *
لِسَانُ الْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فَوَادُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالْدَّمِ
* * *
يَمُوتُ الْفَتَى مِنْ عَثْرَةِ بِلْسَانِهِ وَلَيْسَ يَمُوتُ الْمَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ الرَّجُلِ
* * *
وَالصَّمْتُ أَجْمَلُ بِالْفَتَى مِنْ مَنْطِقٍ فِي غَيْرِ حِينِهِ
* * *
وَأَعْلَمُ بِأَنَّ مِنَ السُّكُوتِ إِبَانَةٌ وَمِنْ التَّكَلُّمِ مَا يَكُونُ خَبَالًا

إِذَا أُمْتَحَنَ الدُّنْيَا لَيْبٌ تَكْشَفَتْ لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقٍ

* * *

إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ الذُّنُوبِ مُعَاتِبًا صَدِيقَكَ لَمْ تَلَقَ الَّذِي لَا تَعَاتِبُهُ

* * *

تَعْلَمُ فَلَيْسَ الْمَرْءُ يُوَلَدُ عَالِمًا وَلَيْسَ أَخُو عِلْمٍ كَمَنْ هُوَ جَاهِلٌ

* * *

وَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْأَسِنَّةَ مَرْكَبٌ فَمَا حِيلَةُ الْمُضْطَرِّ إِلَّا رُكُوبُهَا

* * *

وَمَهْمَا يَكُنْ عِنْدَ أَمْرٍ مِنْ خَلِيقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَخَفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمُ

* * *

إِذَا كُنْتَ فِي حَاجَةٍ مُرْسِلًا فَأَرْسِلْ حَكِيمًا وَلَا تُوصِهِ

* * *

وَلَمْ أَرَ كَالْمَعْرُوفِ أَمَّا مَذَاقُهُ فَحُلُوٌّ وَأَمَّا وَجْهُهُ فَجَمِيلٌ

* * *

نَرُوحُ وَنَغْدُو لِحَاجَاتِنَا وَحَاجَةُ مَنْ عَاشَ لَا تَنْقُضِي

* * *

يَعِيشُ الْمَرْءُ مَا أَسْتَحْيَا بِخَيْرٍ وَيَبْقَى الْعُودُ مَا بَقِيَ اللَّحَاءُ

* * *

أَخْلَقَ بِي الصَّبْرُ أَنْ يَخْطَى بِحَاجَتِهِ وَمُذِمِّنِ الْقَرْعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلْجَا

* * *

مَنْ لَمْ يَمُتْ عِبْطَةً يَمُتْ هَرَمًا لِلْمَوْتِ كَأْسُ وَالْمَرْءُ ذَاتُهَا

عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلُ وَسَلَّ عَنْ قَرِينِهِ فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يَفْتَدِي

* * *

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئاً فَدَعُهُ وَجَاوِزُهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ

* * *

وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ يَكُنْ حَمْدُهُ ذِمّاً عَلَيْهِ وَيَنْدَمِ

* * *

وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَبَتْهَا وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ

* * *

إِنَّ الْغُصُونَ إِذَا قَوْمَتْهَا أُعْتَدَلَتْ وَلَنْ تَلِينَ إِذَا قَوْمَتْهَا الْخُشْبُ

* * *

بُغَاثُ الطَّيْرِ أَكْثَرُهَا فِرَاحاً وَأُمُّ الصَّفَرِ مَقْلَاةٌ نَزُورُ

* * *

وِظْلُمُ ذَوِي الْقُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً عَلَى الْمَرْءِ مِنْ وَقَعِ الْحُسَامِ الْمُهَنْدِ

* * *

تُعِيرُنَا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا فَقُلْتُ لَهَا : إِنَّ الْكِرَامَ قَلِيلُ

* * *

أَبْدَأُ بِنَفْسِكَ وَأَنْهَهَا عَنْ غِيهَا فَإِذَا أُنْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمُ

* * *

تَعْدُو الذُّنَابُ عَلَى مَنْ لَا كِلَابَ لَهُ وَتَتَّقِي مَرَبِضَ الْمُسْتَنْفِرِ الْحَامِي

* * *

أَرَى الْمَوْتَ يَغْتَامُ الْكِرَامَ وَيَصْطَفِي عَقِيلَةَ مَالِ الْفَاحِشِ الْمُشَدِّدِ

وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمَنِيَّةِ يُلْقَهَا وَلَوْ رَامَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ يَسْلَمِ
* * *
فَكُلُّ شَدِيدَةٍ نَزَلَتْ بِحَيٍّ سَيَأْتِي بَعْدَ شِدَّتِهَا الرِّخَاءُ
* * *
وَفِي الْأَرْضِ مَنَئَى لِلْكَرِيمِ عَنِ الْأَذَى وَفِيهَا لِمَنْ خَافَ الْقَلَى مُتَعَزِّلُ
* * *
فَإِنْ كُنْتَ لَا تَسْطِيعُ دَفْعَ مَيْتِي فَدَعْنِي أَبَادِزَهَا بِمَا مَلَكَتْ يَدِي
* * *
يَا ظَنِيَّةَ الْبَانِ تَرَعَى فِي خَمَائِلِهِ لِيَهْنِكَ الْيَوْمَ أَنَّ الْقَلْبَ مَرَعَاكِ
* * *
إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرَفٍ مَرُومٍ فَلَا تَقْنَعِ بِمَا دُونَ النُّجُومِ
* * *
إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكَتَهُ وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا
* * *
ذِكْرُ الْفَتَى عُمُرُهُ الثَّانِي ، وَحَاجَتُهُ مَا قَاتَهُ ، وَفُضُولُ الْعَيْشِ أَشْغَالُ
* * *
وَالْحَادِثَاتُ وَإِنْ أَصَابَكَ بُؤْسُهَا فَهُوَ الَّذِي أَنْبَاكَ كَيْفَ نَعِيمُهَا
* * *
وَفِي السَّمَاءِ نُجُومٌ لَا عِدَادَ لَهَا وَلَيْسَ يُكْشَفُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
* * *
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ

مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ مَاتَ غَمًّا وَفَارَزَ بِاللَّذَّةِ الْجَسُورُ

* * *

لَوْ كُنْتُ مِنْ مَازِنٍ لَمْ تَسْتَبِحْ إِلَيَّ بُوَ اللَّقِيطَةِ مِنْ ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانَ

* * *

قَدْ هَيَّوْكَ لِأَمْرِ إِنْ فَطِنْتَ لَهُ فَارَبًّا بِنَفْسِكَ أَنْ تَزْعَى مَعَ الْهَمَلِ

* * *

لَيْسَ الْحِجَابُ بِمُقْصٍ عَنْكَ لِي أَمَلًا إِنَّ السَّمَاءَ تُرَجِّى حِينَ تَحْتَجِبُ

* * *

أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَاغُ الشَّيَا مَتَى أَضَعِ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي

* * *

أَذْكُرُونَا مِثْلَ ذِكْرَانَا لَكُمْ رَبِّ ذِكْرِي قَرَّبَتْ مَنْ نَزَحَا

* * *

وَأَعْلَمُ بِأَنْ عَلَيْكَ أَلْعَارَ تَلْبَسُهُ مِنْ عَضَّةِ الْكَلْبِ لَا مِنْ عَضَّةِ الْأَسَدِ

* * *

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ رُوحِهِ لَجَادَ بِهَا فَلْيَتَّقِ اللَّهَ سَائِلُهُ

* * *

لَمَعَتْ نَارُهُمْ وَقَدْ عَسَعَسَ اللَّيْلُ وَمَلَّ الْحَادِي وَتَاهُ الدَّلِيلُ

* * *

هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءُ وَطَائُهُ وَالْيَيْتُ يَغْرِفُهُ وَالْحِلُّ وَالْحَرَمُ

* * *

وَمَا حُبُّ الدِّيَارِ شَغَفَنَ قَلْبِي وَلَكِنْ حُبُّ مَنْ سَكَنَ الدِّيَارَا

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ

* * *

دَعِ الْمَقَادِيرَ تَجْرِي فِي أَعْتَبِهَا وَلَا تَبْتَئَنَّ إِلَّا خَالِي الْبَالِ

* * *

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طَوَيْتَ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حُسُودِ

* * *

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلَا تَقُلْ خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبُ

* * *

مَتَى تَأْتِهِ تَعْشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مُوقِدِ

* * *

وَمَا كُنْتُ أَذْرِي قَبْلَ عَزَّةٍ مَا الْبُكَاءِ وَلَا مُوجِعَاتِ الْقَلْبِ حَتَّى تَوَلَّتِ

* * *

لَشَتَّانَ مَا بَيْنَ الْيَزِيدَيْنِ فِي الْوَلَدَى يَزِيدُ بْنُ عَمْرٍو وَالْأَغَرُّ ابْنُ حَاتِمِ

* * *

وَمُشَّتِ الْعَزَمَاتِ يُنْفِقُ عُمْرَهُ حَيْرَانَ لَا ظَفَرٌ وَلَا إِخْفَاقُ

* * *

جَرَتْ الرِّيَّاحُ عَلَى مَكَانٍ دِيَارِهِمْ فَكَأَنَّمَا كَانُوا عَلَى مِيعَادِ

* * *

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ فَلَا يُغَرِّ بِطِيبِ الْعَيْشِ إِنْسَانُ

* * *

وَمَا كُلُّ دَارٍ أَفْقَرَتْ دَارُ عَزَّةٍ وَلَا كُلُّ مَصْقُولٍ التَّرَائِبِ زَيْنَبُ

أَتَيْتَ أَسْ أَنْ تَرَى فَرَجًا فَأَيُّنَ اللَّهِ وَأَلْقَ دَرُ

* * *

تَفُتُّ فُوَادَكَ الْأَيَّامُ فَتًا وَتَنْحِتُ جِسْمَكَ السَّاعَاتُ نَحْتًا

* * *

أَلَا لَا أَرَى الْأَحْدَاثَ حَمْدًا وَلَا ذَمًّا فَمَا بَطَشُهَا جَهْلًا وَلَا كَفُّهَا حِلْمًا

* * *

يَا عَابِدَ الْحَرَمَيْنِ لَوْ أَبْصَرْتَنَا لَعِلِمْتَ أَنَّكَ فِي الْعِبَادَةِ تَلْعَبُ

* * *

فَقَدْ هَدَّ قَدَمًا عَرْشَ بَلْقِيسَ هُذُودًا وَخَرَّبَ فَأْرَ عَنْوَةَ سَدٍّ مَأْرِبِ

* * *

أَلَا يَا حَمَامَ الْأَيْكِ الْفُكَّ حَاضِرُ وَغُصْنُكَ مِيَادُ فَيْمِ تَنْوُحِ

* * *

مَرَزْنَ عَلَى مَاءِ الْعَشِيرَةِ وَالْهَوَى عَلَى مَلِّ يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى مَلِّ

* * *

وَلَمَّا أَدْعَيْتُ الْحُبَّ قَالَتْ : كَذَّبْتَنِي أَلَسْتُ أَرَى الْأَجْلَادَ مِنْكَ كَوَاسِيَا

* * *

مَا أَقْبَحَ الصَّبْرَ الْجَمِيلَ لِبِعَاشِقِيكَ وَأَجْمَلَكَ

* * *

سَلِي الرِّمَاحِ الْعَوَالِي عَنْ مَعَالِينَا وَأُسْتَشْهِدِي الْبَيْضَ هَلْ خَابَ الرِّجَا فِينَا

* * *

إِذَا هُمْ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ هِمَّةً وَأَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ جَانِبًا

وَلِي كِبْدٌ مَقْرُوحَةٌ مِّنْ يَّيْعُنِي بِهَا كِبْدًا لَّيْسَتْ بِذَاتِ قُرُوحٍ

* * *

يَا قُرَّةَ الْعَيْنِ سَلْ عَيْنِي هَلِ اكْتَحَلْتَ بِمَنْظَرٍ حَسَنِ مُذْ غِبْتَ عَنْ عَيْنِي

* * *

هُمُ الْقَوْمُ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا وَإِنْ دَعُوا أَجَابُوا وَإِنْ أَعْطُوا أَطَابُوا وَأَجْزَلُوا

* * *

تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا قَعْبَانٍ مِّنْ لَّبَنِ شَيْءٍ بِمَاءٍ فَعَادًا بَعْدُ أَبْوَالًا

* * *

وَمَا نَيْلُ الْمَطَالِبِ بِالْتَّمَنِ وَلَكِنْ تُؤْخَذُ الدُّنْيَا غِلَابًا

* * *

يَا مَنْ يَعِزُّ عَلَيْنَا أَنْ نَفَارِقَهُمْ وَجَدَانًا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمٌ

* * *

كُلُّ الْمَوَارِدِ غَيْرَ النَّيْلِ آسَنَةٌ وَكُلُّ أَرْضٍ سِوَى الْبُلْقَاءِ فَيَحَاءُ

* * *

جَزَى اللَّهُ الْمَسِيرَ إِلَيْهِ خَيْرًا وَإِنْ تَرَكَ الْمَطَايَا كَالْمَزَادِ

* * *

جُودُ الرِّجَالِ مِنَ الْأَيْدِي وَجُودُهُمْ مِنَ اللِّسَانِ فَلَا كَانُوا وَلَا الْجُودُ

* * *

فَصِرْتُ إِذَا أَصَابَتْ نِي سِهَامٌ تَكَسَّرَتِ النَّصَالُ عَلَى النَّصَالِ

* * *

وَتَجَلَّدِي لِلشَّامِتِينَ أَرْيَهُمْ أَنِّي لِرَيْبِ الدَّهْرِ لَا أَتَضَعَعُ

وَأَنَا الَّذِي أَجْتَلَبَ الْمَنِيَّةَ طَرَفُهُ فَمِنْ الْمُطَالِبِ وَالْقَتِيلِ الْقَاتِلُ
 * * *
 فَمَا أَطَالَ النَّوْمُ عُمْرًا وَلَا قَصَّرَ فِي الْأَعْمَارِ طَوْلُ السَّهَرِ
 * * *
 وَمِنْ الْعَدَاوَةِ مَا يَنَالُكَ نَفْعُهُ وَمِنْ الصَّدَاقَةِ مَا يَضُرُّ وَيُؤْلِمُ
 * * *
 إِنِّي وَإِنْ لُمْتُ حَاسِدِي فَمَا أَنْكَرُ أَنِّي عُقُوبَةُ لَهُمْ
 * * *
 فَذُكُنْتُ أَشْفَقُ مِنْ دَمْعِي عَلَى بَصْرِي فَالْيَوْمَ كُلُّ عَزِيزٍ بَعْدَكُمْ هَانَا
 * * *
 عَوَى الذُّنْبُ فَاسْتَأْنَسْتُ بِالذُّنْبِ إِذْ عَوَى وَصَوْتُ إِنْسَانٍ فَكِدْتُ أَطِيرُ
 * * *
 هُمْ يَخْسُدُونِي عَلَى مَوْتِي فَوَاسَفِي حَتَّى عَلَى الْمَوْتِ لَا أَخْلُو مِنَ الْحَسَدِ
 * * *
 وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتُ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ
 * * *
 وَصَدْرِي أَرَاخَ اللَّيْلِ عَازِبَ هَمِّهِ تَضَاعَفَ فِيهِ الْحُزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
 * * *
 فَبِتُّ كَأَنِّي سَاوَرْتَنِي ضَيْلَةٌ مِنَ الرَّقْسِ فِي أُنْيَابِهَا السُّمُّ نَاقِعُ
 * * *
 وَمَا شَرَقِي بِالْمَاءِ إِلَّا تَذَكُّرًا لِمَاءِ بِهِ أَهْلُ الْحَبِيبِ نُزُولُ

إِذَا كَانَ هَذَا الدَّمْعُ يَجْرِي صَبَابَةً عَلَى غَيْرِ سُعْدَى فَهُوَ دَمْعٌ مُضَيِّعٌ

* * *

وَأَعْدِرْ حَسُودَكَ فِيمَا قَدْ خُصِصْتَ بِهِ إِنَّ الْعُلَا حَسَنٌ فِي مِثْلِهَا الْحَسَدُ

* * *

إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا مَا أَسْهَلُوا ذَكَرُوا مَنْ كَانَ يَأْلِفُهُمْ فِي الْمَنْزِلِ الْحَسَنِ

* * *

يُقْضَى عَلَى الْمَرْءِ فِي أَيَّامِ مِخْنَتِهِ حَتَّى يَرَى حَسَنًا مَا لَيْسَ بِالْحَسَنِ

* * *

وَتَضْحَكُ مِنِّي شَيْخَةٌ عَبْشَمِيَّةٌ كَأَنَّ لَمْ تَرَى قَبْلِي أُسِيرًا يَمَانِيَا

* * *

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيَّةً وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبٌ

* * *

نَعُودَ بَسْطَ الْكَفِّ حَتَّى لَوْ أَنَّهُ نَهَاها لِقَبْضٍ لَمْ تُجِبْهُ أَنَامِلُهُ

* * *

وَلَا بُدَّ مِنْ شَكْوَى إِلَى ذِي مُرُوءَةٍ يُوَاسِيكَ أَوْ يُسْلِيكَ أَوْ يَتَوَجَّعُ

* * *

أُولَئِكَ آبَائِي فَجِئَنِي بِمِثْلِهِمْ إِذَا جَمَعْتَنَا يَا جَرِيرُ الْمَجَامِعُ

* * *

فَالنَّاسُ أَغْوَانُ مَنْ وَالَّتْهُ دَوْلَتُهُ وَهُمْ عَلَيْهِ إِذَا عَادَتْهُ أَغْوَانُ

* * *

لَا تَغْتَرِرْ بَيْنِي الزَّمَانِ وَلَا تَقُلْ عِنْدَ الشَّدَائِدِ لِي أَخٌ وَحَمِيمٌ

قَدْ يُدْرِكُ الْمُتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ

* * *

وَالنَّاسُ مَنْ يَلْقَى خَيْرًا قَائِلُونَ لَهُ مَا يَشْتَهِي ، وَلَا مُمْ الْمُخْطِئِ الْخَبَلُ

* * *

وَلَيْتَهَا إِذْ فَدَتْ عَمْرًا بِخَارِجَةٍ فَدَتْ عَلِيًّا بِمَنْ شَاءَتْ مِنَ الْبَشَرِ

* * *

أُحِبُّكَ لَا تَفْسِيرَ عِنْدِي لِصَبَوَتِي أَفْسَرُ مَاذَا وَالْهَوَى لَا يُفَسِّرُ

* * *

أَلَا أَيُّهَا الرِّكْبُ الْيَمَانُونَ عَرَّجُوا عَلَيْنَا فَقَدْ أَمَسَى هَوَانَا يَمَانِيَا

* * *

مَضَى طَاهِرَ الْأَثْوَابِ لَمْ تَبْقَ رَوْضَةٌ غَدَاةَ ثَوَى إِلَّا أَشْتَهَتْ أَنَّهَا قَبْرُ

* * *

سَابِكِيكَ مَا فَاضَتْ دُمُوعِي فَإِنْ تَغَضَّ فَحَسْبُكَ مِنِّي مَا تَجُرُّ الْجَوَانِحُ

* * *

لَهَا أَحَادِيثُ مِنْ ذِكْرَاكَ تَشْغُلُهَا عَنِ الطَّعَامِ وَتُلْهِيَهَا عَنِ الزَّادِ

* * *

أَخِي جَاوَزَ الظَّالِمُونَ الْمَدَى فَحُقَّ الْجِهَادُ وَحُقَّ الْفِدَا

* * *

لَا تَعْدِلِ الْمُشْتَقَ فِي أَشْوَاقِهِ حَتَّى يَكُونَ حَشَاكَ فِي أَحْشَائِهِ

* * *

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانِ بِذِي سَلَمٍ مَزَجْتَ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمٍ

كَأَن لَّمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحُجُونِ إِلَى الصَّفَا أَيْسُ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ
* * *
كَأَنَّ طَرْفَكَ يَوْمَ الْجِزْعِ يُخِيرُنَا بِمَا طَوَى عَنْكَ مِنْ أَسْمَاءِ قَتْلَاكِ
* * *
الْمُسْتَجِيرُ بِعَمْرٍو عِنْدَ كُرْبَيْهِ كَالْمُسْتَجِيرِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ
* * *
ثَمَنُ الْمَجْدِ دَمٌ جُذْنَا بِهِ فَاسْأَلُوا : كَيْفَ دَفَعْنَا الثَّمَنَا
* * *
كَفَى بِكَ دَاءٌ أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيَاً وَحَسْبُ الْمَنَايَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا
* * *
أَمَرْتَهُمْ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى فَلَمْ يَسْتَبِينُوا التُّصْحَ إِلَّا ضَحَى الْغَدِ
* * *
أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ دُجِيَ اللَّيْلُ حَتَّى نَظَّمَ الْجَزْعَ ثَاقِبُهُ
* * *
مَا فِي الْخِيَامِ أَخُو وَجْدٍ نَظَارِحُهُ حَدِيثَ نَجْدٍ وَلَا خِلٍّ نُجَارِيهِ
* * *
وَأَبْيَضُ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ثِمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ
* * *
وَيَقْبَحُ مِنْ سِوَاكَ الْفِعْلُ عِنْدِي فَتَفَعَّلُهُ فَيَحْسُنُ مِنْكَ ذَاكَ
* * *
أَحْرَامٌ عَلَى بَلَابِلِهِ الدَّوْ حُ حَلَالٌ لِلطَّيْرِ مِنْ كُلِّ جِنْسِ

طُبِعَتْ عَلَى كَدَرٍ وَأَنْتَ تُرِيدُهَا صَفَوْا مِنَ الْأَقْدَاءِ وَالْأَكْدَارِ

* * *

إِنْ كَانَ سَرَّكُمْ مَا قَالَ حَاسِدُنَا فَمَا لِيُجْرِحَ إِذَا أَرْضَاكُمْ أَلَمْ

* * *

أَعَيْنِي كُفًّا عَنْ فُؤَادِي لِأَنَّهُ مِنْ أَلْبَغْيِ سَعْيِ اثْنَيْنِ فِي قَتْلِ وَاحِدٍ

* * *

كَذَا فَلْيَجَلِّ الْخَطْبُ وَلْيَفْدَحِ الْأَمْرُ فَلَيْسَ لِعَيْنٍ لَمْ يَفِضْ مَاؤُهَا عُذْرُ

* * *

عُلُوٌّ فِي الْحَيَاةِ وَفِي الْمَمَاتِ لَحَقَّ تِلْكَ إِحْدَى الْمُعْجَزَاتِ

* * *

السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ

* * *

دَارٌ مَتَى مَا أَضْحَكْتَ فِي يَوْمِهَا أَبْكْتَ غَدًا تَبًّا لَهَا مِنْ دَارِ

* * *

بِهَالِيلٍ فِي الْإِسْلَامِ سَادُوا وَلَمْ يَكُنْ كَأَوَّلِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَوَّلُ

* * *

لَوْ كَانَ يَفْعُدُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ قَوْمٌ بِأَوَّلِهِمْ أَوْ مَجْدِهِمْ قَعَدُوا

* * *

يَسْتَعْذِبُونَ مَنَائِبَهُمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَخْرُجُونَ مِنَ الدُّنْيَا إِذَا قُتِلُوا

* * *

كَأَنَّهُمْ يَرُدُّونَ الْمَوْتَ مِنْ ظَمَأٍ أَوْ يَنْشَقُّونَ مِنَ الْخَطِيئِ رِيحَانًا

نَسَبُ كَانَ عَلَيْهِ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى نُوراً وَمِنْ فَلَقِ الصَّبَاحِ عُمُوداً

* * *

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُوقٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ

* * *

وَالَا تَمُتْ تَحْتَ السُّيُوفِ مُكْرَماً تَمُتْ وَتُقَاسِ الذِّلَّ غَيْرَ مُكْرَمٍ

* * *

وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَوْتِ بُدٌّ فَمِنْ الْعَجْزِ أَنْ تَمُوتَ جَبَاناً

* * *

لَا يُدْرِكُ الْمَجْدَ إِلَّا سَيِّدُ فِطْنٍ لِمَا يَشُقُّ عَلَى السَّادَاتِ فَعَالٌ

* * *

الْمَجْدُ عُوفِي إِذْ عُوفِيَتْ وَالْكَرَمُ وَزَالَ عَنْكَ إِلَى أَعْدَائِكَ الْأَلَمُ

* * *

وَكَيْفَ تَعْلُكَ الدُّنْيَا بِشَيْءٍ وَأَنْتَ لِعِلَّةِ الدُّنْيَا طَيِّبٌ

* * *

وَلَسْتَ بِمُسْتَبَقٍ أَحَا لَا تَلْمُهُ عَلَى شَعْبٍ أَيْ الرِّجَالِ الْمُهْدَبُ؟

* * *

إِذَا أَشْتَبَهْتَ دُمُوعَ فِي خُدُودٍ بَيِّنَ مَنْ بَكَى مِمَّنْ تَبَاكَى

* * *

فَبَشَّرْتُ آمَالِي بِشَخْصٍ هُوَ الْوَرَى وَدَارِ هِيَ الدُّنْيَا وَيَوْمَ هُوَ الدَّهْرُ

* * *

مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ تَجْرِي الرِّيَّاحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السُّفُنُ

فَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَدْمَى كُلُّوْمَنَا وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ الدِّمَاءُ
* * *
خُلِقْتُ أَلُوفًا لَوْ رَجَعْتُ إِلَى الصَّبَا لَفَارَقْتُ شَيْبِي مُوجَعَ الْقَلْبِ بَاكِيًا
* * *
فَإِنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعْتَ لَمْ يَبْدُ مِنْهُمْ كَوْكَبُ
* * *
هُوَ الْجَدُّ حَتَّى تَفْضَلَ الْعَيْنُ أُخْتَهَا وَحَتَّى يَصِيرَ الْيَوْمُ لِلْيَوْمِ سَيِّدَا
* * *
قَدْ يَهُونُ الْعُمُرُ إِلَّا سَاعَةً وَتَضِيقُ الْأَرْضُ إِلَّا مَوْضِعَا
* * *
إِنَّا لَفِي زَمَنِ تَرْكُ الْقَبِيحِ بِهِ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ إِحْسَانٌ وَإِجْمَالُ
* * *
لَوْلَا الْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلُّهُمْ الْجُودُ يُفْقِرُ وَالْإِقْدَامُ قَتَالُ
* * *
وَإِذَا كَانَتِ النُّفُوسُ كِبَارًا تَعَبَتْ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ
* * *
لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تَهْدِيهَا وَلَا مَالُ فَلْيُسْعِدِ النَّطْقُ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ الْحَالُ
* * *
مَنْ يَهْنُ يَسْهُلِ الْهَوَانُ عَلَيْهِ مَا لِيْجْرَحَ بِمَيِّتٍ إِيلَامُ
* * *
وَمِنْ نَكَدِ الدُّنْيَا عَلَى الْخُرِّ أَنْ يَرَى عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدُ

إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ وَصَدَقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُّمِ
 * * *
 تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلاً كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ
 * * *
 بَكَتْ عَيْنِي أَلَيْمُنِي فَلَمَّا رَجَرْتُهَا عَنِ الْجَهْلِ بَعْدَ الْحِلْمِ أَسْبَلْتَا مَعَا
 * * *
 كَأَنَّ قَطَاءً عَلَّقْتَ بِجَنَاحِهَا عَلَى كَبْدِي مِنْ شِدَّةِ الْخَفَقَانِ
 * * *
 أَعِدْ ذِكْرَ نَعْمَانٍ أَعِدْ إِنَّ ذِكْرَهُ مِنْ الطَّيِّبِ مَا كَرَّرْتَهُ يَنْضَوُّعُ
 * * *
 تَمَتَّعْ مِنْ شَمِيمِ عَرَارٍ نَجِدِ فَمَا بَعْدَ الْعَشِيَّةِ مِنْ عَرَارِ
 * * *
 تَضَوُّعُ أَرْوَاحٍ نَجِدِ مِنْ ثِيَابِهِمْ عِنْدَ النُّزُولِ لِقُرْبِ الْعَهْدِ بِالْذَّارِ
 * * *
 وَإِذَا لَثَمْتُ يَمِينَهُ وَخَرَجْتُ مِنْ أَبْوَابِهِ لَثَمَ الْمُلُوكُ يَمِينِي
 * * *
 أَمَاوِيٍّ مَا يُغْنِي الشَّرَاءُ عَنِ الْفَتَى إِذَا حَشَرَجَتْ نَفْسٌ وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ
 * * *
 أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلٌ
 * * *
 سَتُبْدِي لَكَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَزُودْ

إِنَّ الْعُيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُخَيِّنَ قَتْلَانَا
 * * *
 دَقَّتْ قَلْبَ الْمَرْءِ قَائِلَةٌ لَهُ إِنَّ الْحَيَاةَ دَقَائِقُ وَثَوَانِ
 * * *
 إِنَّ رَبًّا كَفَاكَ بِالْأَمْسِ مَا كَا نَ سَيَكْفِيكَ فِي غَدٍ مَا يَكُونُ
 * * *
 وَإِنَّمَا الْمَرْءُ حَدِيثٌ بَعْدَهُ فَكُنْ حَدِيثًا حَسَنًا لِمَنْ وَعَى
 * * *
 يَكُونُ أَجَابًا دُونَكُمْ فَإِذَا انْتَهَى إِلَيْكُمْ تَلَقَّى طَيْبُكُمْ فَيَطِيبُ
 * * *
 يَا قَوْمِ أُذْنِي لِبَعْضِ الْحَيِّ عَاشِقَةٌ وَالْأُذُنُ تَغْشَقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أَحْيَانَا
 * * *
 يَقُولُونَ لَوْ عَزَيْتَ قَلْبَكَ لَارْعَوَى فَقُلْتُ وَهَلْ لِلْعَاشِقِينَ قُلُوبُ
 * * *
 عُيُونُ أَلْمَهَا بَيْنَ الرُّصَافَةِ وَالْجَسْرِ جَلَبَنَ الْهَوَى مِنْ حَيْثُ أَدْرِي وَلَا أَدْرِي
 * * *
 خُذَا مِنْ صَبَا نَجْدٍ أَمَانًا لِقَلْبِهِ فَقَدْ كَادَ رِيَّاهَا يَطِيرُ بُلْبُهُ
 * * *
 وَقَدْ كَمَلْتُ فِيهِ الْنَهْيَ لَا يَسُرُّهُ نَعِيمٌ وَلَا يَرْتَاعُ لِلْحَدَثَانِ
 * * *
 سَقَطَ النَّصِيفُ وَلَمْ تَرُدْ إِسْقَاطَهُ فَتَنَاوَلْتَهُ وَاتَّقَتْنَا بِالْيَدِ

هَيْئًا مَرِيئًا غَيْرَ دَاءٍ مُخَامِرٍ لِعِزَّةٍ مِنْ أَعْرَاضِنَا مَا أَسْتَحَلَّتْ

* * *

أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتَى أَضَاعُوا لِيَوْمٍ كَرِيهَةٍ وَسَدَادٍ ثَغْرِ

* * *

أَقْلُوا عَلَيْهِمْ لَا أَبَا لِأَيِّكُمْ مِنْ اللَّوْمِ أَوْ سُدُوا أَلَمَكَانَ الَّذِي سَدُّوا

* * *

بَذَا قَضَتِ الْأَيَّامُ مَا بَيْنَ أَهْلِهَا مَصَائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدُ

* * *

أَعَزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنْيِ سَرَجُ سَابِحٍ وَخَيْرُ جَلِيسٍ فِي الزَّمَانِ كِتَابُ

* * *

أَلَا إِنَّ عَيْنًا لَمْ تَجْدُ يَوْمَ وَاسِطٍ عَلَيْكَ بِجَارِي دَمْعِهَا لَجْمُودُ

* * *

لَهَا عَيْنٌ أَصَابَتْ كُلَّ عَيْنٍ وَعَيْنٌ قَدْ أَصَابَتْهَا الْعُيُونُ

* * *

رسالة عبد الحميد الكاتب للكتاب

أما بعد :

حفظكم الله يا أهل صناعة الكتابة ، وحاطكم ووفقكم وأرشدكم .
فإن الله عز وجل جعل الناس بعد الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه
عليهم أجمعين ، ومن بعد الملوك المكرمين أصنافاً وإن كانوا في الحقيقة
سواء ، وصرفهم في صنوف الصناعات ، وضروب المحاولات إلى أسباب
معاشهم وأبواب أرزاقهم .

فجعلكم معشر الكتاب في أشرف الجهات ، أهل الأدب والمروءات ،
والعلم والرزانة .

بكم ينتظم للخلافة محاسنها ، وتستقيم أمورها ، وبنصحاءكم يصلح الله
للخلق سلطانهم ، وتعمر بلدانهم .

لا يستغني الملك عنكم ، ولا يوجد كاف إلا منكم ، فموقعكم من الملوك
موقع أسماعهم التي بها يسمعون ، وأبصارهم التي بها يبصرون ، وألستهم
التي بها ينطقون ، وأيديهم التي بها يبطشون .

فأمتعكم الله بما خصكم من فضل صناعتكم ، ولا نزع عنكم ما أضفاه من
النعمة عليكم .

وليس أحد من أهل الصناعات كلها أحوج إلى اجتماع خلال الخير
المحمودة ، وخصال الفضل المذكورة المعدودة منكم .

أيها الكتاب :

إذا كنتم على ما يأتي في هذا الكتاب من صفتكم . . فإن الكاتب يحتاج من نفسه ، ويحتاج منه صاحبه الذي يثق به في مهمات أموره : أن يكون حليماً في موضع الحلم ، فهِمماً في موضع الحكم ، مقداماً في موضع الإقدام ، مخجماً في موضع الإحجام ، مؤثراً للعفاف والعدل والإنصاف ، كتوماً للأسرار ، وفيّاً عند الشدائد ، عالماً بما يأتي من النوازل ، يضع الأمور مواضعها ، والطوارق في أماكنها ، قد نظر في كل فن من فنون العلم فأحكمه ، وإن لم يحكمه . . أخذ منه بمقدار ما يكتفي به ، يعرف بغريزة عقله ، وحسن أدبه ، وفضل تجربته ، ما يرد عليه قبل وروده ، وعاقبة ما يصدر عنه قبل صدوره ، فيعدّ لكل أمر عدّته وعتاده ، ويهيئ لكل وجه هيئته وعادته .

فتنافسوا يا معشر الكتاب في صنوف الآداب ، وتفقهوا في الدين ، وابدؤوا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض ، ثم العربية ؛ فإنها ثفاف ألسنتكم ، ثم أجيدوا الخط ؛ فإنه حلية كتبكم ، وارووا الأشعار ، واعرفوا غريبها ومعانيها ، وأيام العرب والعجم ، وأحاديثها وسيرها ؛ فإن ذلك مُعين لكم على ما تسمو إليه هممكم ، ولا تضيعوا النظر في الحساب ؛ فإنه قوام كتاب الخراج .

وارغبوا بأنفسكم عن المطامع سَنِيها ودُنِيها ، وسفساف الأمور ومحاقرها ؛ فإنها مُدَّة للرقاب ، مفسدة للكتاب .
ونزّهوا صناعتكم عن الدناءة ، واربؤوا بأنفسكم عن السعاية والنميمة وما فيه أهل الجهالات ، وإياكم والكبر والصلف والعظمة ؛ فإنها عداوة مجتلبة من غير إحنة .

وتحابوا في الله عز وجل في صناعته ، وتواصوا عليها بالذي هو أليق
لأهل الفضل والعدل والنبيل من سلفكم ، وإن نبا الزمان برجل منكم .
فاعطفوا عليه ، وواسوه حتى يرجع إليه حاله ، ويثوب إليه أمره ، وإن أقعد
أحداً منكم الكبر عن مكسبه ، ولقاء إخوانه . . فزوروه ، وعظموه ،
وشاوروه ، واستظهروا بفضل تجربته وقديم معرفته .

وليكن الرجل منكم على من اصطنعه واستظهر به ليوم حاجته إليه أحوط منه
على ولده وأخيه ، فإن عرضت في الشغل محمداً . . فلا يصرفها إلا إلى
صاحبه ، وإن عرضت مذمة . . فليحملها هو من دونه ، وليحذر السقطة والزلة
والملل عند تغير الحال ؛ فإن العيب إليكم معشر الكتاب أسرع منه إلى القراء ،
وهو لكم أفسد منه لهم ، فقد علمتم أن الرجل منكم إذا صحبه من يبذل له من
نفسه ما يجب له عليه من حقه . . فواجب عليه أن يعقد له من وفائه وشكره
واحتماله وخيره ونصيحته وكتمان سره وتدبير أمره ما هو جزاء لحقه ، ويصدق
ذلك بفعاله عند الحاجة إليه ، والاضطرار إلى ما لديه ، فاستشعروا ذلك -
وفقكم الله - من أنفسكم في حالة الرخاء والشدة والحرمان والمواساة والإحسان
والسراء والضراء ، فنعمت الشيمة هذه لمن وسم بها من أهل هذه الصناعة
الشريفة .

وإذا ولي الرجل منكم أو صير إليه من أمر خلق الله وعياله أمر . .
فليراقب الله عز وجل ، وليؤثر طاعته ، وليكن مع الضعيف رقيقاً ، وللمظلوم
منصفاً ؛ فإن الخلق عيال الله ، وأحبهم إليه أرفقهم بعياله .
ثم ليكن بالعدل حاكماً ، وللأشراف مكرماً ، وللفيء موفراً ، وللبلاد
عامراً ، وللرعية متألفاً ، وعن أذاهم متخلفاً ، وليكن في مجلسه متواضعاً

حليماً ، وفي سجلات خراجه واستقضاء حقوقه رقيقاً .

وإذا صحب أحدكم رجلاً . . فليختبر خلائقه ، فإذا عرف حسنها وقبيحها . . أعانه على ما يوافقه من الحسن ، واحتال على صرفه عما يهواه من القبح بالطف حيلة ، وأجمل وسيلة ، وقد علمتم أن سائس البهيمة إذا كان بصيراً بسياستها . . التمس معرفة أخلاقها ؛ فإن كانت رموحاً . . لم يُهَجِّجها إذا ركبها ، وإن كانت شبوباً . . اتقاها من بين يديها ، وإن خاف منها شروداً . . توقاها من ناحية رأسها ، وإن كانت حرونأ . . قمع برفق هواها في طرقها ، فإن استمرت . . عطفها يسيراً فيسلس له قيادها ، وفي هذا الوصف من السياسة دلائل لمن ساس الناس وعاملهم وجربهم وداخلهم .

والكاتب - لفضل أدبه ، وشريف صنعته ، ولطيف حيلته ومعاملته لمن يجاوره من الناس ويناظره ، ويفهم عنه ، أو يخاف سطوته - أولى بالرفق لصاحبه ، ومداراته ، وتقويم أوده من سائس البهيمة التي لا تحير جواباً ، ولا تعرف صواباً ، ولا تفهم خطاباً ، إلا بقدر ما يصيرها إليه صاحبها الراكب عليها .

ألا فارقوا رحمكم الله في النظر ، واعملوا ما أمكنكم فيه من الروية والفكر . . تأمنوا بإذن الله ممن صحبتموه النُّبوة والاستئصال والجفوة ، ويصير منكم إلى الموافقة ، وتصيروا منه إلى المؤاخاة والشفقة إن شاء الله .

ولا يجاوزن الرجل منكم في هيئة مجلسه ، وملبسه ومركبه ، ومطعمه ومشربه ، وبنائه وخدمه ، وغير ذلك من فنون أمره قدر حقه ؛ فإنكم مع ما فضلكم الله به من شرف صنعتكم خدمة لا تحملون في خدمتكم على التقصير ، حفظة لا تحتمل منكم أفعال التضييع والتبذير .

واستعينوا على عفافكم بالقصد في كل ما ذكرته لكم ، وقصصته عليكم .
واحذروا متالف السرف ، وسوء عاقبة الترف ؛ فإنهما يُعقبان الفقر ،
ويُذلان الرقاب ، ويفضحان أهلهما ، ولا سيما الكتّاب وأرباب الآداب .
وللأمور أشباه ، وبعضها دليل على بعض ، فاستدلوا على مؤتلف أعمالكم
بما سبقت إليه تجربتكم ، ثم اسلكوا من مسالك التدبير أوضحها محجة ،
وأصدقها حجة ، وأحمدها عاقبة .
واعلموا أن للتدبير آفة متلفة ؛ وهو الوصف الشاغل لصاحبه عن إنفاذ علمه
ورؤيته ، فليقصد الرجل منكم في مجلسه قصد الكافي من منطقه ، وليوجز في
ابتدائه وجوابه ، وليأخذ بمجامع حججه ؛ فإن ذلك مصلحة لفعله ، ومدفعة
للتشاغل عن إكثاره ، وليضرع إلى الله في صلة توفيقه ، وإمداده بتسديده ؛
ومخافة وقوعه في الغلط المضرب بدنه وعقله وآدابه ؛ فإنه إن ظن منكم ظان ، أو
قال قائل : إن الذي برز من جميل صنعته ، وقوة حركته ، إنما هو بفضل
حيلته ، وحسن تدبيره . . فقد تعرض بحسن ظنه أو مقالته إلى أن يكله الله عز
وجل إلى نفسه ، فيصير منها إلى غير كاف ، وذلك على من تأمله غير خاف .
ولا يقول أحد منكم : إنه أبصر بالأمور ، وأحمل لعبء التدبير من مرافقه
في صناعته ، ومصاحبه في خدمته ، فإن أعقل الرجلين عند ذوي الألباب من
رمى بالعجب وراء ظهره ، ورأى أن صاحبه أعقل منه ، وأحمد في طريقته ،
وعلى كل واحد من الفريقين أن يعرف فضل نعم الله جل ثناؤه من غير اغترار
برأيه ، ولا تزكية لنفسه ، ولا يكثر على أخيه أو نظيره ، وصاحبه وعشيرته ،
وحمد الله واجب على الجميع ، وذلك بالتواضع لعظمته ، والتذلل لعزته ،
والتحدث بنعمته .

وأنا أقول في كتابي هذا ما سبق به المثل : (من تلزمه النصيحة . . يلزمه العمل) ، وهو جوهر هذا الكتاب ، وغرة كلامه بعد الذي فيه من ذكر الله عز وجل . فلذلك جعلته آخره ، وتممته به .

تولانا الله وإياكم يا معشر الطلبة والكتبة بما يتولى به من سبق علمه بإسعاده وإرشاده ؛ فإن ذلك إليه وبيده .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

* * *

كتاب ولاية

ذكر ابن خلدون في «مقدمته» أن طاهر بن الحسين كتب لابنه عبد الله بن طاهر لما ولاه المأمون الرقة ومصر وما بينهما .

فكتب إليه أبوه طاهر كتابه المشهور ، عهد إليه فيه ، ووصاه بجميع ما يحتاج إليه في دولته وسلطانه ؛ من الآداب الدينية والخلقية ، والسياسة الشرعية والملوكية ، وحثه على مكارم الأخلاق ، ومحاسن الشيم بما لا يستغني عنه ملك ولا سوقة .

ونص الكتاب :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أما بعد :

فعليك بتقوى الله وحده لا شريك له وخشيته ، ومراقبته عز وجل ومزايله
سخطه ، واحفظ رعيته في الليل والنهار ، والزم ما ألبسك الله من العافية
بالذكر لمعادك ، وما أنت صائر إليه ، وموقوف عليه ، ومسؤول عنه .

والعمل في ذلك كله بما يعصمك الله عز وجل ، وينجيك يوم القيامة من
عقابه ، وأليم عذابه ؛ فإن الله سبحانه قد أحسن إليك ، وأوجب الرأفة عليك
بمن استرعاك أمرهم من عباده ، وألزمك العدل فيهم ، والقيام بحقه وحدوده
عليهم ، والذب عنهم ، والدفع عن حريمهم ومنصبهم ، والحقن لدمائهم ،
والأمن لسربهم ، وإدخال الراحة عليهم ، ومؤاخذك بما فرض عليك ،

وموقفك عليه ، وسائلك عنه ، ومثييك عليه بما قدمت وأخرت .

ففرغ لذلك فهمك وعقلك وبصرك ، ولا يشغلك عنه شاغل ، وإنه رأس أمرك ، وملاك شأنك ، وأول ما يوقفك الله عليه ، وليكن أول ما تلزم به نفسك ، وتنسب إليه فعلك : المواظبة على ما فرض الله عز وجل عليك من الصلوات الخمس والجماعة عليها بالناس قبلك ، وتوقعها على سننها ؛ من إسباغ الوضوء لها ، وافتتاح ذكر الله عز وجل فيها ، ورتل في قراءتك ، وتمكن في ركوعك وسجودك وتشهدك ، ولتصرف فيه رأيك ونيتك ، واحضض عليه جماعة ممن معك وتحت يدك ، وادأب عليها ؛ فإنها كما قال الله عز وجل : ﴿ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ .

ثم اتبع ذلك بالأخذ بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمثابرة على خلائقه ، واقتفاء أثر السلف الصالح من بعده .

وإذا ورد عليك أمر . فاستعن عليه باستخارة الله عز وجل وتقواه ، وبلزوم ما أنزل الله عز وجل في كتابه من أمره ونهيه ، وحلاله وحرامه ، وائتمام ما جاءت به الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قم فيه بالحق لله عز وجل ، ولا تميلن عن العدل فيما أحبت أو كرهت لقريب من الناس أو لبعيد .

وآثر الفقه وأهله ، والدين وحملته ، وكتاب الله عز وجل والعاملين به ؛ فإن أفضل ما يتزين به المرء الفقه في الدين ، والطلب له ، والحث عليه ، والمعرفة بما يتقرب به إلى الله عز وجل ؛ فإنه الدليل على الخير كله ، والقائد إليه ، والآمر به ، والناهي عن المعاصي والموبقات كلها .

ومع توفيق الله عز وجل يزداد المرء معرفة وإجلالاً له ، ودركاً للدرجات

العلیٰ فی المعاد ، مع ما فی ظهوره للناس من التوقیر لأمرک ، والهیة لسلطانک ، والأنسة بک ، والثقة بعدلک .

وعلیک بالاقتصاد فی الأمور کلها ، فلیس شیء أبین نفعاً ، ولا أخصّ أمناً ، ولا أجمع فضلاً منه ، والقصد داعیة إلى الرشد ، والرشد دلیل علی التوفیق ، والتوفیق قائد إلى السعادة ، وقوام الدین والسنن الهادیة بالاقتصاد ، فأثره فی دنیاک کلها .

ولا تقصر فی طلب الآخرة ، والأجر ، والأعمال الصالحة ، والسنن المعروفة ، ومعالم الرشد والإعانة ، والاستکثار من البر ، والسعی له إذا کان یطلب به وجه الله تعالیٰ ومرضاته ، ومرافقة أولیاء الله فی دار کرامته .

واعلم أن القصد فی شأن الدنیا یورث العز ، ویمحص من الذنوب ، وأنک لن تحوط نفسک من قائل ، ولا تنصلح أمورک بأفضل منه ، فأتاه واهتد به ؛ تتم أمورک ، وتزد مقدرتک ، وتنصلح عامتک وخاصتک ، وأحسن ظنک بالله عز وجل ؛ تستقم لک رعیتک ، والتمس الوسيلة إلیه فی الأمور کلها ؛ تستدم به النعمة علیک .

ولا تتهمن أحداً من الناس فیما تولیه من عملک قبل أن تكشف أمره ؛ فإن إیقاع التهم بالبراء ، والظنون السيئة بهم آثمٌ إثمٌ ، فاجعل من شأنک حسن الظن بأصحابک ، واطرد عنک سوء الظن بهم ، وارفضه فیهم ، یعنک ذلك علی استطاعتهم وریاضتهم .

ولا تتخذن عدو الله الشیطان فی أمرک معمداً ؛ فإنه إنما یکتفی بالقلیل من وهنک ، ویدخل علیک من الغم بسوء الظن بهم ما ینغص لذادة عیشک . واعلم أنك تجد بحسن الظن قوة وراحة ، وتکتفی به ما أحببت کفایته من

أمورك ، وتدعوه الناس إلى محبتك ، والاستقامة في الأمور كلها ، ولا يمنعك حسن الظن بأصحابك ، والرأفة برعيتك ، أن تستعمل المسألة والبحث عن أمورك ، والمباشرة لأمر الأولياء ، وحيطة الرعية ، والنظر في حوائجهم ، وحمل مؤوناتهم ، أيسر عندك مما سوى ذلك ؛ فإنه أقوم للدين ، وأحيا لللسنة . وأخلص نيتك في جميع هذا ، وتفرد بتقويم نفسك تفرد من يعلم أنه مسؤول عما صنع ، ومجزي بما أحسن ، ومؤاخذ بما أساء ؛ فإن الله عز وجل جعل الدين حرزاً وعزاً ، ورفع من اتبعه وعززه .

واسلك بمن تسوسه وترعاه نهج الدين وطريقه الأهدى ، وأقم حدود الله تعالى في أصحاب الجرائم على قدر منازلهم ، وما استحقوه ، ولا تعطل ذلك ولا تتهاون به ، ولا تؤخر عقوبة أهل العقوبة ؛ فإن في تفريطك في ذلك ما يفسد عليك حسن ظنك ، واعتزم على أمرك في ذلك بالسنن المعروفة ، وجانب البدع والشبهات ؛ يسلم لك دينك ، وتتم لك مروءتك .

وإذا عاهدت عهداً فأوف به ، وإذا وعدت الخير فأنجزه ، واقبل الحسنة وادفع بها ، وأغمض عن عيب كل ذي عيب من رعيتك ، واشدد لسانك عن قول الكذب والزور ، وابغض أهل النيمة ؛ فإن أول فساد أمورك في عاجلها وآجلها ، تقريب الكذب ، والجراءة على الكذب ؛ لأن الكذب رأس المأثم ، والزور والنيمة خاتمتها ؛ لأن النيمة لا يسلم صاحبها ، وقائلها لا يسلم له صاحب ، ولا يستقيم له أمر .

وأحب أهل الصلاح والصدق ، وأعز الأشراف بالحق ، وأعز الضعفاء ، وصل الرحم ، وابتغ بذلك وجه الله تعالى وإعزاز أمره ، والتمس فيه ثوابه والدار الآخرة .

واجتنب سوء الأهواء والجور ، واصرف عنهما رأيك ، وأظهر براءتك من ذلك لرعيّتك ، وأنعم بالعدل سياستهم وقم بالحق فيهم ، وبالمعرفة التي تنتهي بك إلى سبيل الهدى .

واملك نفسك عند الغضب ، وأثر الحلم والوقار ، وإياك والحدة والطيش والغرور فيما أنت بسبيله .

وإياك أن تقول : أنا مسلط أفعل ما أشاء ؛ فإن ذلك سريع إلى نقص الرأي ، وقلة اليقين لله عز وجل ، وأخلص لله وحده النية فيه واليقين به . واعلم أن الملك لله سبحانه وتعالى يؤتیه من يشاء ، وينزعه ممن يشاء ، ولن تجد تغير النعمة وحلول النعمة إلى أحد ، أسرع منه إلى جهلة النعمة من أصحاب السلطان ، والمبسوط لهم في الدولة إذا كفروا نعم الله وإحسانه ، واستطالوا بما أعطاهم الله عز وجل من فضله .

ودع عنك شرّ نفسك ، ولتكن ذخائرك وكنوزك التي تدخر وتكنز البرّ والتقوى ، واستصلاح الرعية ، وعمارة بلادهم ، والتفقد لأموالهم ، والحفظ لدمائهم ، والإغاثة لمهلوفهم .

واعلم أن الأموال إذا اكتنزت وادخرت في الخزائن . . لا تنمو ، وإذا كانت في صلاح الرعية ، وإعطاء حقوقهم ، وكف الأذى عنهم . . نمت وزكت ، وصلحت بها العامة ، وترتبت بها الولاية ، وطاب بها الزمان ، واعتقد فيها العز والمنفعة ، فليكن كنز خزائنك تفريق الأموال في عمارة الإسلام وأهله ، ووفر منه على أولياء أمير المؤمنين قبلك حقوقهم ، وأوف من ذلك حصصهم ، وتعهّد ما يصلح أمورهم ومعاشهم ؛ فإنك إذا فعلت ذلك . . قرت النعمة لك ، واستوجبت المزيد من الله تعالى ، وكنت بذلك على جباية أموال

رعيتك وخراجك أقدر ، وكان الجميع لما شملهم من عدلك وإحسانك أسلس لطاعتك .

وطب نفساً بكل ما أردت ، وأجهد نفسك فيما حمدت لك في هذا الباب ، وليعظم حقك فيه ، وإنما يبقى من المال ما أنفق في سبيل الله وفي سبيل حقه .
واعرف للشاكرين حقهم ، وأثبهم عليه ، وإياك أن تنسيك الدنيا وغروورها هول الآخرة فتتهاون بما يحق عليك ؛ فإن التهاون يورث التفريط ، والتفريط يورث البوار .

وليكن عملك لله عز وجل وفيه ، وارج الثواب منه ؛ فإن الله سبحانه قد أسبغ فضله .

واعتصم بالشكر ، وعليه فاعتمد ؛ يزدك الله خيراً وإحساناً ؛ فإن الله عز وجل يثيب بقدر شكر الشاكرين ، وإحسان المحسنين .

ولا تحقرن ذنباً ، ولا تمالئن حاسداً ، ولا ترحمن فاجراً ، ولا تصلن كفوراً ، ولا تدهنن عدواً ، ولا تُصدّقن نماماً ، ولا تأمنن غداراً ، ولا توالين فاسقاً ، ولا تتبعن غاويأ ، ولا تحمدن مرأئياً ، ولا تحقرن إنساناً ، ولا تردن سائلاً فقيراً ، ولا تحسنن باطلاً ، ولا تلاحظن مضحكاً ، ولا تخلفن وعداً ، ولا تزهون فخراً ، ولا تُظهرن غضباً ، ولا تباينن رجاء ، ولا تمشين مرحاً ، ولا تزكين سفيهاً ، ولا تفرطن في طلب الآخرة ، ولا ترفعن للنمام عيناً ، ولا تغمضن عن ظالم رهبة منه أو محابة ، ولا تطلبن ثواب الآخرة في الدنيا .
وأكثر مشاورة الفقهاء ، واستعمل نفسك بالحلم ، وخذ عن أهل التجارب وذوي العقل والرأي والحكمة ، ولا تُدخلن في مشورتك أهل الرفه والبخل ، ولا تسمعن لهم قولاً ؛ فإن ضررهم أكثر من نفعهم .

وليس شيء أسرع فساداً لما استقبلت فيه أمر رعيتك من الشح ، واعلم أنك إذا كنت حريصاً كنت كثير الأخذ ، قليل العطية ، وإذا كنت كذلك لم يستقم أمرك إلا قليلاً ، فإن رعيتك إنما تعقد على محبتك بالكف عن أموالهم وترك الجور عليهم .

ووال من صافاك من أوليائك بالإفضال عليهم ، وحسن العطية لهم ، واجتنب الشح ، واعلم أنه أول ما عصى الإنسان به ربه ، وأن العاصي بمنزلة الخزي ، وهو قول الله عز وجل : ﴿ وَمَنْ يُوقِ شَحِّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ، فسهّل طريق الجود بالحق ، واجعل للمسلمين كلهم في فيثك حظاً ونصيباً ، وأيقن أن الجود أفضل أعمال العباد ، فأعدّه لنفسك خلقاً ، وارض به عملاً ومذهباً .

وتفقد الجند في دواوينهم ومكاتبهم ، وأدر عليهم أرزاقهم ، ووسع عليهم في معاشهم ؛ يذهب الله عز وجل بذلك فاقتهم ، فيقول لك أمرهم ، وتزدّ قلوبهم في طاعتك وأمرك خلوصاً وانشراحاً ، وحسب السلطان من السعادة أن يكون على جنده ورعيته ذا رحمة في عدله وعطيته وإنصافه وعنايته وشفقته وبره وتوسعته .

فزايل مكروه أحد البابين باستشعار فضل الباب الآخر ، ولزوم العمل به . . تلق إن شاء الله تعالى به نجاحاً وصلاحاً وفلاحاً .

واعلم أن القضاء من الله تعالى بالمكان الذي ليس فوقه شيء من الأمور ؛ لأنه ميزان الله الذي تعدل عليه أحوال الناس في الأرض ، وبإقامة العدل في القضاء والعمل تصلح أحوال الرعية ، وتؤمن السبل ، ويتنصف المظلوم ، وتأخذ الناس الحقوق ، وتحسن المعيشة ، ويؤدي حق الطاعة ، ويرزق الله

العافية والسلامة ، وقيم الدين ، ويجري السنن والشرائع في مجاريها .
واشتد في أمر الله عز وجل ، وتورع عن النطف ، وامض لإقامة الحدود ،
وأقل العجلة ، وابعد عن الضجر والقلق ، واقنع بالقسم ، وانتفع بتجربتك ،
وانتبه في صحتك ، واسدد في منطقك ، وأنصف الخصم ، وقف عند الشبهة ،
وأبلغ في الحجة ، ولا يأخذك في أحد من رعيته محاباة ولا مجاملة ولا لومة
لائم ، وثبت وتأن ، وراقب وانظر ، وتفكر وتدبر واعتبر ، وتواضع لربك ،
وارفق بجميع الرعية ، وسلط الحق على نفسك ، ولا تسرعن إلى سفك دم ؛
فإن الدماء من الله عز وجل بمكان عظيم ، فلا تبغ انتهاكاً لها بغير حقها .

وانظر هذا الخراج الذي استقامت عليه الرعية ، وجعله الله للإسلام عزاً
ورفعة ، ولأهله توسعة ومنعة ، ولعدوه كبتاً وغيظاً ، ولأهل الكفر من
معاديهم ذلاً وصغاراً ؛ فوزعه بين أصحابه بالحق والعدل ، والتسوية
والعموم ، ولا تدفعن شيئاً منه عن شريف لشرفه ، ولا عن غني لغناه ،
ولا عن كاتب لك ، ولا عن أحد من خاصتك ولا حاشيتك ، ولا تأخذن منه
فوق الاحتمال له .

ولا تكلف أمراً فيه شطط ، واحمل الناس كلهم على أمر الحق ؛ فإن ذلك
أجمع لإلفتهم ، وألزم لرضا العامة .

واعلم أنك جعلت بولايتك خازناً وحافظاً وراعياً ، وإنما سمي أهل عملك
رعيته ؛ لأنك راعيهم وقيمهم ، فخذ منهم ما أعطوك من عفوهم ، ونفذه في
قوام أمرهم وصلاحهم ، وتقويم أودهم ، واستعمل عليهم أولي الرأي
والتدبير ، والتجربة والخبرة بالعلم ، والعدل بالسياسة والعفاف ، ووسع
عليهم في الرزق ؛ فإن ذلك من الحقوق اللازمة لك فيما تقلدت وأسند إليك ،

فلا يشغلك عنه شاغل ، ولا يصرفك عنه صارف ؛ فإنك متى أثرته وقمت فيه بالواجب . . استدعيت به زيادة النعمة من ربك ، وحسن الأحداث في عملك ، واستجرت به المحبة من رعبتك ، وأعنت على الصلاح ، فدرت الخيرات ببلدك ، وفشت العمارة بناحيتك ، وظهر الخصب في كورك ، وكثر خراجك ، وتوفرت أموالك ، وقويت بذلك على ارتياض جندك ، وإرضاء العامة بإفاضة العطاء فيهم من نفسك ، وكنت محمود السياسة ، مرضي العدل في ذلك عند عدوك ، وكنت في أمورك كلها ذا عدل وآلة وقوة وعدة ، فتنافس فيها ولا تقدّم عليها شيئاً ، تحمد عاقبة أمرك إن شاء الله تعالى .

واجعل في كل كورة من عملك أميناً يخبرك خبر عمالك ، ويكتب إليك بسيرهم وأعمالهم ، حتى كأنك مع كل عامل في عمله معائناً لأموره كلها ، وإذا أردت أن تأمرهم بأمر . . فانظر في عواقب ما أردت من ذلك ، فإن رأيت السلامة فيه والعافية ، ورجوت فيه حسن الدفاع والصنع . . فأمضه ، وإلا . . فتوقف عنه ، وراجع أهل البصر والعلم به ، ثم خذ فيه عدته ؛ فإنه ربما نظر الرجل في أمره وقد أثناه على ما يهوى . . فأغواه ذلك وأعجبه ، فإن لم ينظر في عواقبه . . أهلكه ، ونقض عليه أمره ، فاستعمل الحزم في كل ما أردت ، وباشره بعد عون الله عز وجل بالقوة ، وأكثر من استخارة ربك في جميع أمورك .

وافرغ من عمل يومك ، ولا تؤخره لغدك ، وأكثر مباشرته بنفسك ؛ فإن لغد أموراً وحوادث تلهيك عن عمل يومك الذي أخرت ، واعلم أن اليوم إذا مضى ذهب بما فيه ، فإذا أخرت عمله اجتمع عليك عمل يومين فيشغلك ذلك حتى تمرض منه ، وإذا أمضيت لكل يوم عمله أرحت بدنك ونفسك ، وجمعت أمر سلطانك .

وانظر أحرار الناس وذوي الفضل منهم ممن بلوت صفاء طويتهم ،
وشهدت مودتهم لك ، ومظاهرتهم بالنصح والمحافظة على أمرك ،
فاستخلصهم وأحسن إليهم .

وتعاهد أهل البيوتات ممن قد دخلت عليهم الحاجة ، واحتمل مؤونتهم ،
وأصلح حالهم حتى لا يجدوا لخلتهم منافراً .

وأفرد نفسك بالنظر في أمور الفقراء والمساكين ، ومن لا يقدر على رفع
مظلمته إليك ، والمحتقر الذي لا علم له بطلب حقه . . فسل عنه أحق
مسألة ، وكل بأمثاله أهل الصلاح في رعيك ، ومُرهم برفع حوائجهم
وخلالهم إليك ؛ لتنظر فيما يصلح الله به أمرهم .

وتعاهد ذوي البأساء ويتماهم وأراملهم ، واجعل لهم أرزاقاً من بيت
المال ؛ اقتداء بأمر المؤمنين أعزه الله تعالى في العطف عليهم ، والصلة لهم ؛
ليصلح الله بذلك عيشهم ، ويرزقك به بركة وزيادة .

وأجر للأضراء من بيت المال ، وقدم حملة القرآن منهم ، والحافظين
لأكثره في الجراية على غيرهم .

وانصب لمرضى المسلمين دوراً وتؤويهم ، وقوماً يرفقون بهم ، وأطباء
يعالجون أسقامهم ، وأسعفهم بشهواتهم ما لم يؤد ذلك إلى سرف في بيت
المال .

واعلم أن الناس إذا أعطوا حقوقهم وأفضل أمانيتهم . . لم يرضهم ذلك ،
ولم تطب أنفسهم دون رفع حوائجهم إلى ولايتهم ؛ طمعاً في نيل الزيادة وفضل
الرفق بهم ، وربما تبرّم المتصفح لأمر الناس ؛ لكثرة ما يرد عليه ، ويشغل
ذكره وفكره منها ما يناله به من مؤونة ومشقة .

وليس من يرغب في العدل ، ويعرف محاسن أموره في العاجل ، وفضل ثواب الآجل ، كالذي يستقل ما يقرّبه من الله تعالى ، وتلتمس به رحمته .
وأكثر الإذن للناس عليك ، وأرهم وجهك ، وسكن لهم حواسك ،
واخفض لهم جناحك ، وأظهر لهم بشرك ، ولن لهم في المسألة والنطق ،
واعطف عليهم بجودك وفضلك ، وإذا أعطيت .. فأعط بسماحة وطيب
نفس ، والتماس للصنيعة والأجر ، من غير تكدير ولا امتنان ؛ فإن العطية على
ذلك تجارة مربحة إن شاء الله تعالى .

واعتبر بما ترى من أمور الدنيا ، ومن مضى قبلك من أهل السلطان
والرياسة في القرون الخالية ، والأمم البائدة .
ثم اعتصم في أحوالك كلها بالله سبحانه وتعالى ، والوقوف عند محبته ،
والعمل بشريعته وسنته ، وبإقامة دينه وكتابه ، واجتنب ما فارق ذلك وخالفه ،
ودعا إلى سخط الله عز وجل .

واعرف ما يجمع عمالك من الأموال ، وما ينفقون منها ، ولا تجمع
حراماً ، ولا تنفق إسرافاً .

وأكثر مجالسة العلماء ومشاورتهم ومخالطتهم ، وليكن هواك اتباع السنن
وإقامتها ، وإيثار مكارم الأخلاق ومعاليها .

وليكن أكرم دخلائك وخاصتك عليك من إذا رأى عيباً . لم تمنعه هيبتك
من إنهاء ذلك إليك في ستر ، وإعلامك بما فيه من النقص ؛ فإن أولئك أنصح
أوليائك ومظاهريك .

وانظر عمالك الذين بحضرتك وكتابك ، فوقت لكل رجل منهم في كل يوم
وقتاً يدخل فيه بكتبه ومؤامراته وما عنده من حوائج عمالك وأمور الدولة

ورعيتك ، ثم فرغ لما يورد عليك من ذلك سمعك وبصرك ، وفهمك وعقلك ، وكرر النظر فيه والتدبر له ، فما كان موافقاً للحق والحزم . فأمضه ، واستخر الله عز وجل فيه ، وما كان مخالفاً لذلك . فاصرفه إلى المسألة عنه ، والتثبت منه .

ولا تمنن على رعيتك ولا غيرهم بمعروف تؤتيه إليهم ، ولا تقبل من أحد إلا الوفاء والاستقامة والعون في أمور المسلمين ، ولا تضعن المعروف إلا على ذلك .

وتفهم كتابي إليك ، وأمعن النظر فيه والعمل به ، واستعن بالله على جميع أمورك واستخره ؛ فإن الله عز وجل مع الصلاح وأهله .

وليكن أعظم سيرتك وأفضل رغبتك ما كان لله عز وجل رضى ، ولدينه نظاماً ، ولأهله عزاً وتمكيناً ، وللملة والذمة عدلاً وصلاحاً . وأنا أسأل الله عز وجل أن يحسن عونك وتوفيقك ، ورشدك وكلاءتك ، والسلام .

وحدث الإخباريون أن هذا الكتاب لما ظهر وشاع أمره . . أعجب به الناس ، واتصل بالمأمون ، فلما قرئ عليه . . قال : ما أبقي أبو الطيب - يعني : طاهراً - شيئاً من أمور الدنيا والدين ، والتدبير والرأي والسياسة ، وصلاح الملك والرعية ، وحفظ السلطان ، وطاعة الخلفاء ، وتقويم الخلافة ، إلا وقد أحكمه وأوصى به .

ثم أمر المأمون فكتب به إلى جميع العمال في النواحي ، ليقتدوا به ، ويعملوا بما فيه .

* * *

يوسف أيها الصديق

كنا نجلس كل يوم ، مع قوم ، ينتقون من الحديث درره ، ويذكرون لنا العالم بحره وبرّه . فدَلِف علينا يوماً من الأيام ، شيخ ممشوق المقام ، كثير الابتسام ، فصيح الكلام ، فنظر في وجوهنا وتوسّم ، ثم تبسّم وسلّم ، ثم جلس واتكا ، وتأوّه وشكا .

قلنا : ما الخبر ، أيها الشيخ الأغر ؟

قال : تذكرت من غبر ، أهل الأخبار والسير ، فعلمت أننا بالأثر .

قلنا : ما الاسم ، فقد أعجبنا الرسم ؟

قال : أنا عبيد الله بن حسان ، من أهل ميسان ، قلنا : كلامك محبوب ، فقص علينا قصة يوسف بن يعقوب ، فقال : مهما اهتم العالم بالحفظ وحرص ، فإن الذهن فتر والخاطر نكص ، وكفى بقصص الله وهو يقول : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ ، لكن سوف أخبركم بوقفات ، والعفو عما نسيناه وفات :

لما نصح يعقوب يوسف ألا يقص ما رأى ، فإنه كان يخشى عليه ما جرى ؛ فإنه ما خلا جسد من حسد ، وكم من قلب بنعم الغير فسد ، فيا أيها العبد ؛ استر جمال يوسف النعم ، خوفاً من أن تلقى في غَيَابَةِ جُبِّ النقم ، فيسلط عليك ذئب البغضاء ، لا ذئب الصحراء .

لا تعتذر للمخالف ، فيأخذ العذر منك وأنت واقف ، أما ترى يعقوب ،

يوم خاف على ابنه الخطوب ، قال : أخاف أن يأكل الذئب ، فقالوا : أكله الذئب فلا تأسف ، فكأنه هيا لهم الحجة ، حينما ضلوا في المحجة .

وجاءوا على قميصه بدم كذب ؛ لأن الذئب ما خلع الثوب ، بل شق وسحب ، والذئب لا يفتح الأزرار ، بل يمزقها بلا وقار .

لو علمت القافلة بمكانة يوسف . . لما قالوا : ﴿ يَبْشُرُنِي هَذَا غُلَامٌ ﴾ ، بل لقالوا : يا بشرى هذا إمام ، وولي مقدم ، وسيد همام ، ولكن وما أدرى الليل بيدر التمام ؟

يوسف لديه جمال وجلال ، فردعه وازعُ الجلال ، عن نوازع الجمال ، لما قال : معاذ الله ، حماه ربه وتولاه .

لو ترك يوسف كلمة ﴿ أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ ، وذكر هو ربه . . لكشف كربه ، وأزال خطبه ، وأسعد قلبه .

يوسف ما نسي إيمانه ، سُئِلَ عن الرؤى وهو في الزنزانة ، فدعا إلى التوحيد ؛ لأن التوحيد حياة العبيد ، لا يرده قيد ، ولا يمنعه حديد .

الذئاب لا تأكل الأنبياء ، ولا تلتطخ أفواهها بدماء الأولياء ؛ لأنهم أصفياء أوفياء ، وإنما يقتل الأنبياء ذئاب الخليفة ، إذا عميت عليهم الحقيقة ، وأظلمت عليهم الطريقة .

في (سورة يوسف) قميص بريء من الذئب ، وقميص بريء من العيب ، وقميص مضمخ بالطيب .

فالأول : قميص يوسف وقد مزقه الإخوان ، والثاني : قميصه وقد مزّته امرأة السلطان ، والثالث : قميصه وقد أُلقي على يعقوب فأبصرت العينان .

لما قال إخوة يوسف له : ﴿ إِنَّ لَكَ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا ﴾ ، نسوا أنهم هم الذين

أوقعوه في همّ كبير ، فهو بسبب ما فعلوه في حزنه أسير ، وفي بيته كسير ،
فهم يحتجون به وقت الحاجة ، وينسونه وقت اللجاجة .

لما قال يعقوب : ﴿ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ ﴾ فإنه خاف الحاسد ، فهو في
مكان النعيم قاعد ، فإذا أقبلوا في حملة . . قتلهم جملة ، فعمّ على الحسود
الأمر ؛ لتضع في عينيه الجمر .

الدنيا وجهها نحس ، يباع يوسف بثمن بخس ، وحزن يعقوب يكاد يذهب
بالنفس ، والفراغة بملكهم يفرحون ، وفي دنياهم يمرحون ، وفي نعيمهم
يسرحون ، لكن انظر إلى العواقب ، عندما تكشف عن الأولياء النوائب ،
وتزول عنهم المصائب . . فإذا الفرحة الغامرة ، والحياة العامرة ، والنعيم في
الآخرة .

أما الفجار . . فسحابة نهار ، وراحة حمار ، ثم نكال في أسوأ دار .
همّ يوسف همّة ، وتذكر علو الهمة ، وإمامة الأمة ، ففر إلى الباب ،
يطلب الطريق إلى الوهاب ، بعد ما هيئت له الأسباب ؛ لأن يوسف من سلالة
الأطياب ، فذكر ربه وأتاب .

يوسف شاب من العذاب ، تعرّضت له امرأة ذات منصب وجمال ، وحسن
ودلال ، فغلقت الأبواب ، ورفلت في أبهى الثياب ، فتذكر يوم القيامة ،
وساعة الندامة ، فقال : أواه ، معاذ الله ، فمنعه الله وكفاه ، وأنت تتعرض
للنساء صباح مساء ، غرك الوجه المبرقع ، والحسن المرقع ، ولا تحذر
وتتوقع .

في قلب يوسف من الوحي نصوص ، وفي قلبك من المعصية لصوص ،
في شرايين يوسف دماء الإمامة والدين ، وفي شرايينك شهوة الماء والطين .

يوسف تخرج من جامعة ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ ، وأنت
تخرجت من جامعة :

يَشْكُو الْعُيُونَ السُّودَ قَلْبِي وَالْهَوَىٰ

يوسف تربيته على شريعة ، وأخلاق رفيعة ، وبعضهم تربى على مجلات
خليعة ، وآداب شنيعة .

وأسفي على منهج يوسف ، في هذا الواقع المؤسف ؛ صورة عارية ،
وكأس وجارية ، وشهوات سارية ، كلها تقول : هيت لك ، وليس عند الجيل
صرخة : (معاذ الله) .

الآن حصحص الحق ، وبان الفرق ، فيا شباب الصدق ، قولوا في أحسن
نطق : (معاذ الله) .

من أراد السناء ، والثناء ، والعلواء ، وأن يحمي نفسه من الفحشاء ،
والفعلة الشنعاء .. فليحفظ متن الأولياء : (معاذ الله) .
فمن عاذ بالله .. أعاده ، وأكرم ملاذه .

* * *

المقامة الوعظية للمحريري

حدثنا عيسى بن هشام : بينا أنا بالبصرة أُميس ، حتى أداني السير إلى فرضة
قد كثر فيها قوم على قائم يعظهم ، وهو يقول :
أيها الناس ؛ إنكم لم تتركوا سدًى ، وإن مع اليوم غداً ، وإنكم وارِدو
هوة ، فأعدوا لها ما استطعتم من قوة .

وإن بعد المعاش معاداً ، فأعدوا له زاداً .
ألا لا عذر ؛ فقد بُيئت لكم المحجة ، وأخذت عليكم الحجة ، من السماء
بالخير ، ومن الأرض بالعبر .

ألا وإن الذي بدأ الخلق عليمًا ، يحيي العظام رميمًا ، ألا وإن الدنيا دار
جهاز ، وقنطرة جواز ، من عبرها . . سلم ، ومن عمرها . . ندم ، ألا وقد نصبت
لكم الفخ ، ونثرت لكم الحب ، فمن يرتع . . يقع ، ومن يلقط . . يسقط ، ألا
وإن الفقر حلية نبيكم فاكتسوها ، والغنى حلة الطغيان فلا تلبسوها ، كذبت ظنون
الملحدّين ، الذين جحدوا الدّين ، وجعلوا القرآن عَضِين .

إن بعد الحدث جدثًا ، وإنكم لم تخلقوا عبثًا ، فحذار حر النار ، وبادار
عقبى الدّار ، ألا وإن العلم أحسن على علّاته ، والجهل أقبح على حالاته ،
وإنكم أشقى من أظلمته السماء إن شقي بكم العلماء .

الناس بأئمتهم ، فإن انقادوا بأزمتهم ، نجوا بذمتهم ، والناس رجлан :
عالم يرعى ، ومتعلم يسعى ، والباقون هامل نعام ، وراتع أنعام ، ويل

عال أمر من سافله ، وعالم شيء من جاهله .

وقد سمعت أن علي بن الحسين كان قائماً يعظ الناس ويقول : يا نفس ؛
حتام إلى الحياة ركونك ، وإلى الدنيا وعمارتها سكونك ؟ أما اعتبرت بمن
مضى من أسلافك ، وبمن وارتته الأرض من ألافك ، ومن فجعت به من
إخوانك ، ونقل إلى دار البلى من أقرانك ؟

فَهُمْ فِي بُطُونِ الْأَرْضِ بَعْدَ ظُهُورِهَا مَحَاسِنُهُمْ فِيهَا بَوَالِ دَوَائِرُ
خَلَّتْ دُورُهُمْ مِنْهُمْ وَأَقْوَتْ عِرَاصُهُمْ وَسَاقَتْهُمْ نَحْوَ الْمَنَايَا الْمَقَادِرُ
وَحَلَّوْا عَنِ الدُّنْيَا وَمَا جَمَعُوا لَهَا وَضَمَّتْهُمْ تَحْتَ التُّرَابِ الْحَفَائِرُ
كم اختلست أيدي المنون ، من قرون بعد قرون ؟ وكم غيرت بيلاها ،
وغابت أكثر الرجال في ثراها ؟

وَأَنْتَ عَلَى الدُّنْيَا مُكِبٌ مُنَافِسٌ لِحُطَابِهَا فِيهَا حَرِيصٌ مُكَائِرُ
عَلَى خَطَرٍ تَمْشِي وَتُصْبِحُ لَاهِيَا أَتَذَرِي بِمَاذَا لَوْ عَقَلْتَ تُخَاطِرُ
وَأَنَّ أَمْرًا يَسْعَى لِلدُّنْيَا جَاهِدًا وَيُذْهِلُ عَنْ أُخْرَاهُ لَا شَكَّ خَاسِرُ
انظر إلى الأمم الخالية ، والملوك الفانية ، كيف انتسفتهم الأيام ، وأفناهم
الحمام ؟ فانمحت آثارهم ، وبقيت أخبارهم .

فَاضْحَوْا رَمِيمًا فِي التُّرَابِ وَأَقْفَرَتْ مَجَالِسُ مِنْهُمْ عُطِّلَتْ وَمَقَاصِرُ
وَحَلَّوْا عَنِ الدُّنْيَا وَمَا جَمَعُوا بِهَا وَمَا فَازَ مِنْهُمْ غَيْرُ مَنْ هُوَ صَابِرُ
وَحَلَّوْا بِدَارٍ لَا تَزَاوَرُ بَيْنَهُمْ وَأَنْتَ لِسُكَّانِ الْقُبُورِ التَّزَاوُرُ
فَمَا إِنْ تَرَى إِلَّا رُمُوسًا ثَوَّوْا بِهَا مُسَطَّحَةً تَسْفِي عَلَيْهَا الْأَعَاصِرُ
كم عاينت من ذي عزة وسلطان ، وجنود وأعوان ، قد تمكن من دنياه ،

ونال منها مناه ، فبنى الحصون والدساكر ، وجمع الأعلاق والعساكر ؟

فَمَا صَرَفَتْ كَفَّ الْمَنِيَّةَ إِذْ أَتَتْ مُبَادِرَةً تَهْوِي إِلَيْهِ الذَّخَائِرُ
وَلَا دَفَعَتْ عَنْهُ الْحُصُونُ الَّتِي بَنَى وَحَفَّتْ بِهَا أَنْهَارُهَا وَالْدَّسَاكِرُ
وَلَا قَارَعَتْ عَنْهُ الْمَنِيَّةَ حِيلَةً وَلَا طَمِعَتْ فِي الذَّبِّ عَنْهُ الْعَسَاكِرُ

يا قوم ؛ الحذر الحذر ، والبدار البدار ، من الدنيا ومكايدها ، وما نصبت

لكم من مصايدها ، وتجلت لكم من زينتها ، واستشرفت لكم من بهجتها .

وَفِي دُونِ مَا عَايَنْتَ مِنْ فَجَعَاتِهَا إِلَى رَفْضِهَا دَاعٍ وَبِالزُّهْدِ أَمْرُ
فَجِدْ وَلَا تَغْفُلْ فَعَيْشُكَ بَائِدٌ وَأَنْتَ إِلَى دَارِ الْمَنِيَّةِ صَائِرُ
وَلَا تَطْلُبِ الدُّنْيَا فَإِنَّ طِلَابَهَا وَإِنْ نِلْتَ مِنْهَا رَغْبَةً لَكَ ضَائِرُ

وكيف يحرص عليها لبيب ، أو يسر بها أريب ، وهو على ثقة من فنائها ؟

ألا تعجبون ممن ينام وهو يخشى الموت ، ولا يرجو الفوت ؟

أَلَا ، لَا ، وَلَكِنَّا نَعُرُّ نَفُوسَنَا وَتَشْغُلُهَا اللَّذَاتُ عَمَّا نُحَازِرُ
وَكَيْفَ يَلِدُّ أَلْعَيْشَ مَنْ هُوَ مُوقِنٌ بِمَوْقِفِ عَذَلٍ حَيْثُ تُبْلَى السَّرَائِرُ
كَأَنَّا نَرَى أَنْ لَا نُشُورَ ، وَأَنَّا سُدَى ، مَا لَنَا بَعْدَ أَلْفَنَاءٍ مَصَائِرُ !

كم غرت الدنيا من مخلد إليها ، وصرعت من مكب عليها ؛ فلم تنعشه من

عثرته ؟ ولم تقله من صرعته ، ولم تداوه من سقمه ، ولم تشفه من ألمه .

بَلَى أَوْرَدَتْهُ بَعْدَ عِزٍّ وَرِفْعَةٍ مَوَارِدَ سُوءٍ مَا لَهُنَّ مَصَادِرُ
فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَا نَجَاةَ وَأَنَّهُ هُوَ الْمَوْتُ لَا يُنْجِيهِ مِنْهُ الْمُوَازِرُ
تَنَدَّمَ لَوْ أَغْنَاهُ طُولُ نَدَامَةٍ عَلَيْهِ وَأَبْكَتْهُ الذُّنُوبُ الْكَبَائِرُ

بكى على ما سلف من خطاياها ، وتحسر على ما خلف من دنياه ،

حيث لم ينفعه الاستعبار ، ولم ينجه الاعتذار .

أَحَاطَتْ بِهِ أَحْزَانُهُ وَهُمُومُهُ وَأَبْلَسَ لَمَّا أَعْجَزَتْهُ أَلْمَعَادِرُ

فَلَيْسَ لَهُ مِنْ كُرْبَةِ الْمَوْتِ فَارِجٌ وَلَيْسَ لَهُ مِمَّا يُحَاذِرُ نَاصِرٌ
وَقَدْ خَسِئَتْ فَوْقَ الْمَنِيَّةِ نَفْسُهُ تُرَدِّدُهَا مِنْهُ اللَّهَا وَالْحَنَاجِرُ
فإلى متى ترفع بأخرتك دنياك ، وتركب في ذاك هواك ؟ إني أراك ضعيف اليقين ،

يا راقع الدنيا بالدين ، أبهذا أمرك الرحمن ، أم على هذا ذلك القرآن ؟

تُخَرَّبُ مَا يَبْقَى ، وَتَعْمُرُ فَانِيَا فَلَا ذَاكَ مَوْفُورٌ ، وَلَا ذَاكَ عَامِرٌ
فَهَلْ لَكَ إِنْ وَافَاكَ حَتْفُكَ بَعْتُهُ وَلَمْ تَكْتَسِبْ خَيْرًا لَدَى اللَّهِ عَاذِرٌ ؟
أَتَرْضَى بِأَنْ تُقْضَى الْحَيَاةُ وَتَنْقُضِي وَدِينَكَ مَنْقُوصٌ وَمَالُكَ وَافِرٌ ؟

قال عيسى بن هشام : فقلت لبعض الحاضرين : من هذا ؟ قال : غريب
قد طرأ ، لا أعرف شخصه ، فاصبر عليه إلى آخر مقامته ، لعله ينبيء
بعلامته ، فصبرت ، فقال :

زينوا العلم بالعمل ، واشكروا القدرة بالعفو ، وخذوا الصفو ودعوا
الكدر . . يغفر الله لي ولكم .

ثم أراد الذهاب ، فمضيت على أثره ، فقلت : من أنت يا شيخ ؟
فقال : سبحان الله ! لم ترض بالحلية فغيرتها ، حتى عمدت إلى المعرفة
فأنكرتها ! أنا أبو الفتح الإسكندري .

فقلت :

حفظك الله ، فما هذا الشيب ؟

فقال :

نَذِيرٌ ، وَلَكِنَّهُ سَاكِتٌ ضَعِيفٌ ، وَلَكِنَّهُ شَامِتٌ
وَأَشْخَاصُ مَوْتٍ ، وَلَكِنَّهُ إِلَى أَنْ أُشِيعَ نَابِتٌ

* * *

حوار مع الشيطان

قال الراوي : حاورت الشيطان الرجيم ، في الليل البهيم ، فلما سمعت أذان الفجر . . أردت الذهاب إلى المسجد ، فقال لي : عليك ليل طويل فارقد .

قلت : أخاف أن تفوتني الفريضة ، قال : الأوقات طويلة عريضة .
قلت : أخشى ذهاب صلاة الجماعة ، قال : لا تشدد على نفسك في الطاعة .

فما قمت حتى طلعت الشمس ، فقال لي في همس : لا تأسف على ما فات ، فاليوم كله أوقات .

وجلست لآتي بالأذكار ، ففتح لي دفتر الأفكار ، فقلت : أشغلتنى عن الدعاء ، قال : دعه إلى المساء .

وعزمت على المتاب ، فقال : تمتع بالشباب .

قلت : أخشى الموت ، قال : عمرك لا يفوت .

وجئت لأحفظ المثنائي ، قال : رَوِّح نفسك بالأغاني .

قلت : هي حرام ، قال : لبعض العلماء كلام .

قلت : أحاديث التحريم عندي في صحيفة ، قال : كلها ضعيفة .

ومرت حسناء فغضضت البصر ، قال : ماذا في النظر ؟ قلت : فيه خطر ،

قال : تفكر في الجمال ، فالتفكر حلال .

وذهبت إلى البيت العتيق ، فوقف لي في الطريق ، فقال : ما سبب هذه
السفرة ؟ قلت : لآخذ عمرة .

فقال : ركبت الأخطار ، بسبب هذا الاعتمار ، وأبواب الخير كثيرة ،
والحسنات غزيرة ، قلت : لا بد من إصلاح الأحوال ، قال : الجنة لا تدخل
بالأعمال .

فلما ذهبت لألقي نصيحة ، قال : لا تجرّ إلى نفسك فضيحة ، قلت :
هذا نافع للعباد ، فقال : أخشى عليك من الشهرة ، وهي رأس الفساد .
قلت : فما رأيك في بعض الأشخاص ؟ قال : أجيبك عن العام
والخاص .

قلت : أحمد ابن حنبل ؟ قال : قتلني بقوله : عليكم بالسنة ، والقرآن
المنزل .

قلت : فابن تيمية ؟ قال : ضرباته على رأسي باليومية .
قلت : فالبخاري ؟ قال : أحرق بكتابه داري .
قلت : فالحججاج ؟ قال : ليت في الناس ألف حججاج ، فلنا بسيرته
ابتهاج ، ونهجه لنا علاج .

قلت : ففرعون ؟ قال : له منا كل نصر وعون .
قلت : فصالح الدين ، بطل حطين ؟ قال : دعه فقد مرّ غنا بالطين .
قلت : فأبو جهل ؟ قال : نحن له إخوة وأهل .
قلت : فأبو لهب ؟ قال : نحن معه أينما ذهب .
قلت : فليث ؟ قال : ربطناه في النار مع استالين .
قلت : فالمجالات الخليفة ؟ قال : هي لنا شريعة .

قلت : فالمقاهي ؟ قال : نرحب فيها بكل لاه .

قلت : ما هو ذكركم ؟ قال : الأغاني .

قلت : وعملكم ؟ قال : الأمانى .

قلت : وما رأيكم في الأسواق ؟ قال : علّمنا بها خفاق ، وفيها يجتمع الرفاق .

قلت : فحزب البعث الاشتراكي ؟ قال : قاسمته أملاكي ، وعلمته أورادي وأنساكي .

قلت : كيف تفضل الناس ؟ قال : بالشهوات والشبهات والملهيات والأمنيات والأغنيات .

قلت : وكيف تفضل الحكام ؟ قال : بالتعطش للدماء ، وإهانة العلماء ، ورد نصيح الحكماء ، وتصديق السفهاء .

قلت : فكيف تفضل النساء ؟ قال : بالتبرج والسفور ، وترك المأمور ، وارتكاب المحظور .

قلت : فكيف تفضل العلماء ؟ قال : بحب الظهور ، والعجب والغرور ، وحسد يملأ الصدور .

قلت : فكيف تفضل العامة ؟ قال : بالغيبة والنميمة ، والأحاديث السقيمة ، وما ليس له قيمة .

قلت : فكيف تفضل التجّار ؟ قال : بالربا في المعاملات ، ومنع الصدقات ، والإسراف في النفقات .

قلت : فكيف تفضل الشباب ؟ قال : بالغزل والهيام ، والعشق والغرام ، والاستخفاف بالأحكام ، وفعل الحرام .

قلت : فما رأيك في إسرائيل ؟ قال : إياك والغيبة ، فإنها مصيبة ، وإسرائيل دولة حبيبة ، ومن القلب قريبة .

قلت : فما تقول في واشنطن ؟ قال : خطيبي فيها يرطن ، وجيشي بها يقطن ، وهي لي موطن .

قلت : فما رأيك في العلماء ؟ قال : عذبوني وأتعبوني ، وبهدلوني وشيوني ، يهدمون ما بنيتُ ، ويقرؤون إذا غنيتُ ، ويستعيذون إذا أتيتُ .

قلت : فما تقول في مجالس العوام ؟ قال : تُضَيِّعُ بها الأوقات ، وتُهدر فيها الحسنات ، وتُضَاعَفُ على أصحابها السيئات .

قلت : فماذا فعلتَ بالغراب ؟ قال : سلطته على أخيه فقتله ، ودفنه في التراب حتى غاب .

قلت : فما فعلتَ بقارون ؟ قال : قلت له : احفظ الكنوز ، يا بن العجوز ، لتفوز ، فأنت أحد الرموز .

قلت : فماذا قلتَ لفرعون ؟ قال : قلت له : يا عظيم القصر ، قل : ليس لي ملك مصر ، فسوف يأتيك النصر .

قلت : فماذا قلتَ لشارب الخمر ؟

قال : قلت له : اشرب بنت الكروم ؛ فإنها تذهب الهموم ، وتُزيل الغموم ، وباب التوبة معلوم .

قلت : فماذا يقتلك ؟ قال : آية الكرسي ، منها تضيق نفسي ، ويطول حبسي ، وفي كل بلاء أُمسي .

قلت : فمن أحب الناس إليك ؟ قال : المغنّون ، والشعراء الغاؤون ، وأهل المعاصي والمجون ، وكل خبيث مفتون .

قلت : فمن أبغض الناس إليك ؟

قال : أهل المساجد ، وكل راع وساجد ، وزاهد عابد ، وكل مجاهد .

قلت : أعوذ بالله منك ، فاختفى وغاب ، كأنما ساخ في التراب ، وهذا

جزاء الكذاب .

* * *

نظرة في آية

قرأت في كتاب « ظلال القرآن » لسيد قطب في تفسير قوله تعالى :
﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

في هذه الآية الثانية من السورة صورة من صور قدرة الله التي ختم بها الآية الأولى ، وحين تستقر هذه الصورة في قلب بشري . . يتم فيه تحول كامل في تصورات ومشاعره ، واتجاهاته وموازينه وقيمه في هذه الحياة جميعاً .

إنها تقطعه عن شبهة كل قوة في السماوات والأرض ، وتصله بقوة الله ، وتُسيّسه من مظنة كل رحمة في السماوات والأرض ، وتصله برحمة الله ، وتوصد أمامه كل باب في السماوات والأرض ، وتفتح أمامه باب الله ، وتغلق في وجهه كل طريق في السماوات والأرض ، وتشرع له طريقه إلى الله .

ورحمة الله تتمثل في مظاهر لا يحصيها العد ، ويعجز الإنسان عن مجرد ملاحظتها وتسجيلها ؛ في ذات نفسه وتكوينه ، وتكريمه بما كرمه ، وفيما سخر له من حوله ، ومن فوقه ومن تحته ، وفيما أنعم به عليه مما يعلمه ، ومما لا يعلمه ؛ وهو كثير .

ورحمة الله تتمثل في الممنوع تمثيلها في الممنوح .

ويجدها من يفتحها الله له في كل شيء ، وفي كل وضع ، وفي كل حال ، وفي كل مكان ، يجدها في نفسه ، وفي مشاعره ، ويجدها فيما حوله ،

وحيثما كان ، وكيفما كان ولو فقد كل شيء مما يعدّ الناس فقدّه هو الحرمان .
ويفتقدها من يمسكها الله عنه في كل شيء ، وفي كل وضع ، وفي كل
حالة ، وفي كل مكان ولو وجد كل شيء مما يعدّه الناس علامة الوجدان
والرضوان .

وما من نعمة يمسك الله معها رحمته حتى تنقلب هي بذاتها نقمة ، وما من
محنة تحفها رحمة الله حتى تكون هي بذاتها نعمة .

ينام الإنسان على الشوك مع رحمة الله . . فإذا هو مهاد ، وينام على الحرير
وقد أمسكت عنه . . فإذا هو شوك القتاد ، ويعالج أعسر الأمور برحمة الله . .
فإذا هي هواده ويسر ، ويعالج أيسر الأمور وقد تخلت رحمة الله . . فإذا هي
مشقة وعسر ، ويخوض بها المخاوف والأخطار . . فإذا هي أمن وسلام ،
ويعبر بدونها المناهج والمسالك . . فإذا هي مهلكة وبوار .

ولا ضيق مع رحمة الله ، إنما الضيق في إمساكها دون سواه ، لا ضيق ولو
كان صاحبها في غياهب السجن ، أو في جحيم العذاب ، أو في شعاب الهلاك .
ولا وسعة مع إمساكها ولو تقلب الإنسان في أعطاف النعيم ، وفي مراتع
الرخاء .

فمن داخل النفس برحمة الله . . تتفجّر ينابيع السعادة والرضا والطمأنينة ،
ومن داخل النفس مع إمساكها . . تدب عقارب القلق والتعب والنصب والكدر
والمعاناة .

هذا الباب وحده يفتح وتغلق جميع الأبواب ، وتوصد جميع النوافذ ،
وتسد جميع المسالك . . فلا عليك ؛ فهو الفرج والفسحة واليسر والرخاء .
وهذا الباب وحده يغلق وتفتح جميع الأبواب والنوافذ والمسالك ، فما

هو بنافع ، وهو الضيق والكرب والشدة والقلق والعناء .

هذا الفيض يفتح ، ثم يضيق الرزق ، ويضيق السكن ، ويضيق العيش ، وتخشن الحياة ، ويشوك المضجع . . فلا عليك ؛ فهو الرخاء والراحة ، والطمأنينة والسعادة .

وهذا الفيض يمسك ، ثم يفيض الرزق ، ويقبل كل شيء . . فلا جدوى ، وإنما هو الضنك والحرَج ، والشقاوة والبلاء .

المال والولد ، والصحة والقوة ، والجاه والسلطان . . تصبح مصادر قلق وتعب ، ونكد وجهد إذا أمسكت عنها رحمة الله ، فإذا فتح الله أبواب رحمته . . كان فيها السكن والراحة ، والسعادة والاطمئنان .

يسقط الله الرزق مع رحمته . . فإذا هو متاع طيب ورخاء ، وإذا هو رغد في الدنيا ، وزاد إلى الآخرة ، ويمسك رحمته . . فإذا هو مثار قلق وخوف ، وإذا هو مثار حسد وبغض ، وقد يكون معه الحرمان ببخل أو مرض ، وقد يكون معه التلف بإفراط أو استهتار .

ويمنح الله الذرية مع رحمته . . فإذا هي زينة في الحياة ، ومصدر فرح واستمتاع ، ومضاعفة للأجر في الآخرة بالخلف الصالح الذي يذكر الله ، ويمسك رحمته . . فإذا الذرية بلاء ونكد ، وعنت وشقاء ، وسهر بالليل ، وتعب بالنهار .

ويهب الله الصحة والقوة مع رحمته . . فإذا هي نعمة ، وحياة طيبة ، والتذاذ بالحياة ، ويمسك نعمته . . فإذا الصحة والقوة بلاء يسلطه الله على الصحيح القوي ، فينفق الصحة والقوة فيما يحطم الجسم ، ويفسد الروح ، ويدخر السوء ليوم الحساب .

ويعطي الله السلطان والجاه مع رحمته . . فإذا هي أداة إصلاح ، ومصدر أمن ، ووسيلة لادخار الطيب الصالح من العمل والأثر ، ويمسك الله رحمته . . فإذا الجاه والسلطان مصدر قلق على فوتهما ، ومصدر طغيان وبغي بهما ، ومثار حقد وموجدة على صاحبهما ، لا يقر له معهما قرار ، ولا يستمتع بجاه ولا سلطان ، ويدخر بهما للآخرة رصيذاً ضخماً من النار .
والعلم الغزير ، والعمر الطويل ، والمقام الطيب . . كلها تتغير وتتبدل من حال إلى حال ، مع الإمساك ومع الإرسال ، وقليل من المعرفة يثمر وينفع ، وقليل من العمر يبارك الله فيه ، وزهيد من المتاع يجعل الله فيه السعادة .
والجماعات كالأحاد ، والأمم كالأفراد في كل أمر ، وفي كل وضع ، وفي كل حال ، ولا يصعب القياس على هذه الأمثال .

ومن رحمة الله أن تحس برحمة الله ؛ فرحمة الله تضمك وتغمرك وتفيض عليك ، ولكن شعورك بوجودها هو الرحمة ، ورجاؤك فيها وتطلعك إليها هو الرحمة ، وثقتك بها وتوقعها في كل أمر هو الرحمة .
والعذاب هو العذاب في احتجاجك عنها ، أو يأسك منها ، أو شكك فيها ، وهو عذاب لا يصبه الله على مؤمن أبداً : ﴿ إِنَّهُمْ لَا يَأْتِشُونَ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ .

ورحمة الله لا تعز على طالب في أي مكان ، ولا في أي حال ؛ وجدها إبراهيم عليه السلام في النار .

ووجدها يوسف عليه السلام في الحب كما وجدها في السجن .

ووجدها يونس عليه السلام في بطن الحوت في ظلمات ثلاث .

ووجدها موسى عليه السلام في اليم وهو طفل مجرد من كل قوة ومن كل

حراسة ، كما وجدها في قصر فرعون وهو عدو له متربص به ويبحث عنه .
 ووجدها أصحاب الكهف في الكهف حين افتقدوها في القصور والدور ،
 فقال بعضهم لبعض : ﴿ فَأَوَّا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ ﴾ .
 ووجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه في الغار والقوم
 يتعقبونهما ويقصون الآثار .

ووجدها كل من أوى إليها يأساً من كل ما سواها ، منقطعاً عن كل شبهة في
 قوة ، وعن كل مظنة في رحمة ، قاصداً باب الله وحده دون الأبواب .
 ثم إنه متى فتح الله أبواب رحمته . . فلا ممسك لها ، ومتى أمسكها . . فلا
 مرسل لها ، ومن ثم فلا مخافة من أحد ، ولا رجاء في أحد ، ولا مخافة من
 شيء ، ولا رجاء في شيء ، ولا خوف من فوت وسيلة ، ولا رجاء مع
 الوسيلة ، إنما هي مشيئة الله ، ما يفتح الله . . فلا ممسك ، وما يمسك الله . .
 فلا مرسل ، والأمر مباشرة إلى الله ، ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ، يقدر بلا معقب
 على الإرسال والإمساك ، ويرسل ويمسك وفق حكمة تكمن وراء الإرسال
 والإمساك ، ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾ .

وما بين الناس ورحمة الله إلا أن يطلبوها مباشرة منه ، بلا وساطة وبلا
 وسيلة إلا التوجه إليه في طاعة ، وفي رجاء ، وفي ثقة ، وفي استسلام .
 ﴿ وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ ﴾ .

فلا رجاء في أحد من خلقه ، ولا خوف لأحد من خلقه ، فما أحد بمرسل
 من رحمة الله ما أمسكه الله .

آية طمأنينة ؟ وأي قرار ؟ وأي وضوح في التصورات والمشاعر والقيم
 والموازن تقرأ هذه الآية في الضمير ؟!

آية واحدة ترسم للحياة صورة جديدة ، وتنشئ في الشعور قيماً لهذه الحياة ثابتة ، وموازين لا تهتز ، ولا تتأرجح ، ولا تتأثر بالمؤثرات كلها ، ذهبت أم جاءت ، كبرت أم صغرت ، جلت أم هانت ، كان مصدرها الناس أو الأحداث أو الأشياء .

صورة واحدة لو استقرت في قلب إنسان.. لصمد كالطود للأحداث والأشياء والأشخاص ، والقوى والقيم والاعتبارات ولو تضافر عليها الإنس والجن ، وهم لا يفتحون رحمة الله حين يمسكها ، ولا يمسكونها حين يفتحها ، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ .

وهكذا أنشأ القرآن بمثل هذه الآية وهذه الصورة تلك الفئة العجيبة من البشر في صدر الإسلام ؛ الفئة التي صُنعت على عين الله بقرآنه هذا ؛ لتكون أداة من أدوات القدرة ، تنشئ في الأرض ما شاء الله أن ينشئ من عقيدة وتصور ، وقيم وموازين ، ونظم وأوضاع ، وتقر في الأرض ما شاء الله أن يقر من نماذج الحياة الواقعة التي تبدو لنا اليوم كالأساطير والأحلام .

الفئة التي كانت قدراً من قدر الله يسلطه على من يشاء في الأرض ، فيمحو ويثبت في واقع الحياة والناس ما شاء الله من محو ومن إثبات ؛ ذلك أنها لم تكن تتعامل مع ألفاظ هذا القرآن ، ولا مع المعاني الجميلة التي تصورها... وكفى ، ولكنها كانت تتعامل مع الحقيقة التي تمثلها آيات القرآن ، وتعيش في واقعها بها ، ولها .

وما يزال هذا القرآن بين أيدي الناس ، قادراً على أن ينشئ بآياته تلك أفراداً وفئات تمحو وتثبت في الأرض بإذن الله ما يشاء الله ؛ ذلك حين تستقر هذه الصور في القلوب ، فتأخذها جداً ، وتمثلها حقاً ، حقاً تحسه

كأنها تلمسه بالأيدي وتراه بالأبصار .

ويبقى أن أتوجه أنا بالحمد لله على رحمة منه خاصة ، عرفتُها منه في هذه الآية :

لقد واجهتني هذه الآية في هذه اللحظة وأنا في عسر وجهد ، وضيق ومشقة ، واجهتني في لحظة جفاف روحي ، وشقاء نفسي ، وضيق بضائقة ، وعسر من مشقة ، واجهتني في ذات اللحظة ، ويسر الله لي أن أطلع منها على حقيقتها ، وأن تسكب حقيقتها في روحي ، كأنما هي رحيق أرشفه ، وأحس سريانه وديببه في كياني ، حقيقة أذوقها لا معنى أدركه ، فكانت رحمة بذاتها ، تقدم نفسها لي تفسيراً واقعياً لحقيقة الآية التي فتحت لي تفتحها هذا .

وقد قرأتها من قبل كثيراً ، ومررت بها من قبل كثيراً ، ولكنها اللحظة تسكب رحيقها وتحقق معناها ، وتنزل بحقيقتها المجردة ، وتقول : هأنذا أنموذجاً من رحمة الله حين يفتحها ، فانظر كيف تكون .

إنه لم يتغير شيء مما حولي ، ولكن لقد تغير كل شيء في حسي ، إنها نعمة ضخمة أن يفتح القلب لحقيقة كبرى من حقائق هذا الوجود ، كالحقيقة الكبرى التي تتضمنها هذه الآية ، نعمة يتذوقها الإنسان ويعيشها ، ولكنه قلما يقدر على تصويرها ، أو نقلها للآخرين عن طريق الكتابة ، وقد عشتها وتذوقتها وعرفتُها ، وتم هذا كله في أشد لحظات الضيق والجفاف التي مرت بي في حياتي ، وهأنذا أجد الفرج والفرح ، والري والاسترواح ، والانطلاق من كل قيد ، ومن كل كرب ، ومن كل ضيق ، وأنا في مكاني ! إنها رحمة الله يفتح الله بابها ، ويسكب فيضها في آية من آياته .

* * *

أنا والكتاب

بعد ما فارقت سن الطفولة ، وزمن اللهو . . اتخذت الكتاب جليساً وسميراً
وأنيساً ، أصبحُ والكتاب صاحبي ، أُمسي والكتاب رفيقي ، أنام وهو عليّ
صدري ، أحتضنه وأنا أمشي ، سلوت به عن الأهل والإخوان ، وتشاغلته به
عن كلّ صديق ، تركت النزهة في البساتين من أجله ، بل لقد مر بي زمن لم
أخرج من بيتي من أجل المطالعة ، ولقد أتى عليّ زمن وأنا أطلع الكتاب في
وقت الأكل ، آكل وأنا أقرأ ، أمشي وأنا أقرأ ، أرى زملائي يمرحون
ويسرحون وأنا أقرأ ، أشاهد اجتماع الناس وفرحهم وطربهم وأنا مشغول
بكتابي ، هائم بأوراقه .

ولقد كنت أقرأ في اليوم ما يقارب مئتي صفحة ، وربما قرأت في اليوم
مجلداً كاملاً ، وربما كررت الصفحة عشر مرات ، وأعيد المقطع من النثر حتى
أحفظه ، وأكرر القصيدة حتى أحفظها .

وكنت أقرأ في التفسير حتى أَمَلَّ ، ثم أطلع الفقه حتى أسأم ، ثم أخذ في
الأدب حتى أضجر ، ثم أحفظ الحديث ، وأتلو القرآن ، وأنظر في التراجم ،
وأنشد القصائد ، وأحياناً أؤلف وأختصر ، وأحذف وأزيد .

ولقد قرأت بعض الكتب عشر مرات ، وجردت أمهات الكتب جرداً ،
وكنت أغلق عليّ الباب ومعني الكتاب ، فلا أرتاح لسماع صوت ، ولا لرؤية
إنسان ؛ لأنني في أعظم متعة ، وفي أجلّ لذة .

وكننت أجعل الأيام للفنون ، فمثلاً يوم السبت للعقيدة ، والأحد للفقه ،
والإثنين للتفسير ، والثلاثاء للحديث ، والأربعاء للنحو ، والخميس للأدب ،
والجمعة للسيرة .

وكننت أسهر أحياناً إلى الفجر وأنا أطلع وأعيد وأكرر ، ولقد مرت بي
أعياد والكتاب في يدي ، وربما قرأت وأنا في السيارة إذا ساق زميلي ، فإذا
قدت السيارة طلبت منه أن يقرأ .

وكننت أصور المجلد الضخم في أجزاء ، وأكرر كلّ جزء ، وأشتري من
الكتاب الواحد نسخاً عدة ، نسخة في المجلس ، ونسخة في غرفة النوم ،
وثالثة معي في السيارة ، وكننت أطلب من بعض ضيوفي القراءة معي ، حتى
يحضر الطعام ، ومن كثرة تكراري للكتب كنت أعرف موضع الترجمة ،
والقصيدة ، يمين الصفحة أو يسارها .

وكننت أسهر والكتاب بيدي ، فيسقط إذا نعست ، فأقوم فأقرأ ، فيسقط
مرات كثيرة ، ثم أنام وهو بجانبني .

وأحياناً أسمع حديث الناس وهم بجانبني وأنا أقرأ ، فلا أدري ما يقولون ،
وكننت أتعجب ممن لا يقرأ ، وأرى أن حياته لا جديد فيها ، وكننت لا أعجب
بالرياضة أو المصارعة أو أي هواية أو سفر ، إنما عجبني وتعلقني بالكتاب ،
وكانت الكتب أحب أصدقائي ، بيني وبينها صداقة حميمة ، فيها الجاد ككتب
العلم ، وفيها المرح ككتب الأدب ، وأحب أن أنوّع وأغاير بينها ، وكننت
شغوفاً بشراء الكتب واقتنائها ، أذهب مالي فيها ، وربما اقترضت ، ولا أنزل
إلا إلى المكتبات .

وكننت أعجب من همم السلف في التأليف ، وأنبهر من كثرة كتب ابن

تيمية ، وابن القيم ، وابن الجوزي ، والزهري ، والطبري ، وابن حجر ،
وابن كثير ، وأمثالهم ، وإذا حصلت على كتاب جديد مفيد . . فرحت به فرحاً
شديداً ، وكنت أغلق على كثير من الكتب ، وربما سهرت في مكتبي ، ثم أنام
بين كتبي .

ومرة ذهبت إلى قريتي الريفية الجميلة في عطلة صيفية ، فما خرجت من
بيتي إلا للمسجد ، أقرأ من بعد الفجر إلى السابعة صباحاً ، ثم أنام إلى
التاسعة ، وأقرأ حتى صلاة الظهر ، وبعد الظهر حتى القيلولة ، وبعد العصر
والمغرب والعشاء حتى أنام ، وكان يقدم لي الطعام وأنا أقرأ ، وأجلس مع
الوالدة والوالد وأنا أقرأ .

وقد نصحني بعض الزملاء أن أخفف عن نفسي من القراءة ؛ خوفاً على
بصري ، فما استطعت أن أصبر عن القراءة ، وأحس بجوع شديد للمطالعة ،
ومما زادني حباً في القراءة . . مطالعة أخبار العلماء في التحصيل وطلب العلم ؛
خاصة كتب : « صفحات من صبر العلماء » لأبي غدة ، و« صيد الخاطر »
لابن الجوزي ، و« الفقيه والمتفقه » للخطيب البغدادي ، و« نيل الأوطار »
للشوكاني ، وكنت أكرر الصفحة الواحدة من « فتح الباري » ثلاث مرات ، وإذا
قرأت كتاباً فأعجبني . . وددت أن يطول وتكثر أوراقه ، وقد خصصت أياماً
كثيرة لكتب الجاحظ فقط ، وأياماً لابن تيمية فقط ، وأياماً لكتب ابن حزم فقط ،
فأثمر ذلك عندي من الرغبة الجامحة ، والمحبة العارمة ما يفوق الوصف .

وإذا لم يكن معي كتاب . . أحسست بالوحشة والسأم والملل ، وكان بعض
الأصدقاء والأقارب يأخذنا في نزهة ، فأخذ معي الكتاب ، وإذا لم أجد وقتاً
 للقراءة . . عدت إلى منزلي لأقرأ .

وأنا أطلع كل شيء ؛ أقرأ الكتاب الطويل والقصير ، والجاد والهازل ،
أقرأ المصنف ، والمجلة والجريدة ، أقرأ للمتقدمين والمتأخرين في العلم
والأدب والثقافة ، في كل باب ، وفي كل فن ، سواء فهمت أو لم أفهم ،
وحاولت أن أحدد لنفسي بعض الفنون وأقتصر عليها فأبت ، وكلما وهنت
عزيمتي .. قرأت سيرة أهل الهمم والعزائم حتى ينقدح في ذهني إلهام ، وفي
قلبي حب لطلب العلم ، فلا أزال أقرأ وأحفظ وأكتب وألخص ، ولو كتبت
قائمة بأسماء الكتب التي طالعتها وذكرياتي مع هذه الكتب .. لجاءت في
كتاب .

وكنت أتعجب من الفارغين الذين يجلسون في الأسواق ، أو يشاهدون
المباريات ، أو يسمرون على اللهو ، كيف فاتتهم لذة القراءة ، ومتعة
المطالعة ؟!

وقد سافرت بلداناً كثيرة في آسيا وأوروبا وأمريكا وأفريقيا ، فكان الكتاب
معي عند رأسي ، وعلى صدري ، وبين يدي ، وعجبت لأهل الغرب حبهم
للقراءة بقدر بغض العرب للقراءة ، وهذا سبب تفوقهم ونهوضهم وإبداعهم ،
ويا حسرة على قومي بني العرب لا يحبون القراءة ، حتى قال موسى دايان
الهالك : (العرب قوم لا يقرؤون) .

ولقد قرأت أخبار مَنْ عشق الكتب ، وأغرم بها ، وهام بحبها ، وأجلّها
وأعظمها وأكرمها : القرآن الكريم ؛ كتاب الله العظيم ؛ فقد ضرب الأخيار
أروع القصص في تلاوته وحفظه ، وتدبره وتفسيره ، والاشتغال به ،
و« صحيح البخاري » كرهه بعضهم في الأندلس سبع مئة مرة ، و« صحيح
مسلم » كرهه النيسابوري مئة مرة ، والمزني كرر « الرسالة » للشافعي خمس

مئة مرة ، وأخبارهم في اقتناء الكتب والتعلق بها تفوق الحصر .

ولقد عشت مع الكتاب أكثر من ثلاثين سنة وكأنها ثلاثون دقيقة من حسننها وبهجتها ولذتها ، فمرة كتابي القرآن الكريم أتدبره وأحفظه ، وأقف عند عجائبه ، ومرة مع التفسير أقلب صفحاته من ماثور ومعقول ، وأتعجب من اختلاف المفسرين وتصارعهم وترجيحاتهم وطرائف استنباطهم وغرائب فهمهم .

وحيثما أطالع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم رواية ودراية ، سنداً وممتناً ، ألفاظاً وشروحاً ، وأتلى بفرائد المحدثين ، وقلائد الرواة المتقنين .

وحيثما أطالع اللغة العربية في رحابتها وإشراقها ، وأسرارها وشواهدا .

وحيثما أعيش مع النحو ، فأقف عند قواعده وأمثله ، وما قاله النحاة ،

فأجد نشوة لهذا العلم المخدوم ، والفن المهم .

وحيثما أسبح في بحر الأدب شعراً ونثراً ، قصة ورواية ، فصيحاً وعامياً ،

فأجد فيه بغيتي من وهج مشاعر ، ونتاج عقول ، وغيث أذهان .

وأحياناً أقرأ التاريخ والسير ، فإذا العبر والعجائب ، والغرائب التي تدهش

العقول ، وتهز الأنفس ، وغيرها من الفنون .

فكم من كتاب عانقته ، وكم من مصنف احتضنته ، لا أمل من كتاب حتى

أتناول آخر ، أكرر مرة ، أعيد أخرى ، أنشد حيناً ، أتحرك أحياناً ، أبكي

وأضحك ، أَرْضِي وأغضب ، أكسل وأنشط ، كأن هذه الأوراق تناجيني

وتحدثني وتسامرني .

أنام وحولي علماء وحكماء ، وأدباء وشعراء ، كتب مطروحة في غرفتي

لا أتركها حتى يداهمني النوم ، فأقوم فأقرأ ، وأنام وأنا أقرأ ؛ لأنني وجدت

القراءة البوابة العظمى لمجد الدنيا والآخرة ، ووجدت القراءة الطريق الأرحب
للتفوق والامتياز ، وهي الدواء الناجع لمن شكا من غربة ، أو قلق أو سأم ،
وليست كلّ قراءة نافعة ، بل لا بد من اختيار الكتاب المفيد ، والعمل بالعلم
في غرس الفضيلة في النفس .

* * *

ومتندم

يا باغي الخير أقبل ، فالباب غير مقفل ، يا من أذنب وعصى ، وأخطأ
وعتا ، تعال فلعل وعسى ، يا من بقلبه من الذنوب جروح ، تعال فالباب
مفتوح ، والكرم يغدو ويروح ، يا من ركب مطايا الخطايا ، تعال إلى ميدان
العطايا ، يا من اقترفوا فاعترفوا ، لن تنسوا : ﴿ قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا ﴾ ،
يا من بذنبٍ باء ، وقد أساء ، تذكر : « يا ابن آدم ؛ لو بلغت ذنوبك عنان
السما . . . » .

أسقت بغِيّ كلبا ، فأرضت في السماء ربّا ، ومحت ذنبا .
قتل رجل مئة رجل ، ثم تاب إلى الله عز وجلّ ، فدخل الجنة على عجل .
من الذي ما أساء قط ، ومن له الحسنَى فقط ، ومن هو الذي ما سقط ،
وأين هو الذي ما غلط ؟

يا كثير الأخطاء ؛ أنسيت : (كلكم خطاء) .
كم يقتلك القنوط كم ، وأنت تسمع : « والذي نفسي بيده ؛ لو لم
تذنبوا . . لذهب الله بكم . . . » .

إذا أذنبت . . فتبّ وتندّم ؛ فقد سبقك بالذنب أبوك آدم ، ومن يشابه أباه
فما ظلم ، و« تلك شئنة نعرفها من أخزم » ، فلا تقلد أباك في الذنب وتترك
المتاب ، فإن أباك لما أذنب . . أناب ، بنصّ الكتاب .

أصبحت وجوه التائبين مسفرة ، لما سمعوا نداء : « لو أتيتني بقراب

الأرض خطايا . . لأتيتك بقربها مغفرة .

اطرح نفسك على عتبة الباب ، ومد يدك وقل : (يا وهّاب) .

أرغم أنفك بالطين وناد : (رحمتك أرجو يا رب العالمين) .

يا من أساء وظلم ؛ اعلم أن دمعة ندم ، تزيل أثر زلة القدم .

أنت تتعامل مع من عرض التوبة على الكفار ، وفتح طريق الرجعة أمام

الفجّار ، وأمهل بكرمه الأشرار ، أنزل بالعفو كتبه ، وسبقت رحمته غضبه .

اسمه التوّاب ، ولو لم تذب . . لما عرف هذا الوصف في الكتاب ؛ لأن

الوصف لا بد له من فعل حتى يوصف بالصواب .

ما تدري بالذنب ، محا العجب ، وبالاستغفار حصل الانكسار ، لكأس

الاستكبار ، وصار الانحدار ، لجدار الإصرار .

لا تصر ، بل اعترف وقرّ ، فإن طعم الدواء مُرّ ، وسوف تجد ما يسرّ

ولا يضرّ ، واحذر الشيطان ؛ فإنه يغرّ .

الاعتراف بالافتراق طبيعة الأشراف ، قف بالباب وقل : (أذنبنا) ، وطف

بتلك الديار وقل : (تبنا) ، وارفع يديك وقل : (أنبنا) ، ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ

إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ، سبحانه من يغفر الذنب لمن

أخطأ ، ويقبل التوبة ممن أبطأ .

التوبة تجبّ ما قبلها ، وتعم بركتها أهلها ، يقول عليه الصلاة والسلام :

« التائب من الذنب كمن لا ذنب له » ، وهذا قول يجب أن نقبله ، فهنيئاً لمن

تاب وأناب ، قبل أن يُغلق الباب . التائب سريع الرجعة ، غزير الدمعة ،

منكسر الفؤاد ، لرب العباد ، دائم الإنصات ، كثير الإخبات .

للتائب فرحتان ، ودمعتان ، وبسمتان .

فرحة يوم ترك الذنب ، والأخرى إذا لقي الرب .

ودمعة إذا ذكر ما مضى ، والثانية إذا تأمل كيف ذهب عمره وانقضى .

وبسمه يوم ذكر فضل الله عليه بالتوبة ، وهي أجلّ نعمة ، والأخرى يوم

صرف عنه الذنب ، وهو أفضع نقمة .

بشرى لمن عفر جبينه ، وأشعل في قلبه أنينه ، وأضرّم بالشوق

حنينه ، التائب تبدل سيئاته حسنات ؛ لأن ما فات مات ، والصالحات تمحو

الخطيئات .

للتوبة أسرار ، ولأصحابها أخبار ، فالتائب يزول عنه تصيّد المعائب ،

وطلبُ المثالب ؛ لأنه ذاق مرارة ما تقدّم ، فهو دائماً يتندّم ، وهو يفتح باب

المعاذير ، لمن وقع في المحاذير ، ولا يفعل فعل المعجب المنان ، الذي

قال : (والله ؛ لا يغفر الله لفلان) ، بل يستغفر لمن أساء من العباد ، ويطلب

الهداية لأهل الفساد .

والتائب يطالع حكمة الرب ، في تقدير الذنب ، وأنه لا حول للعبد ولا

قوة ، في منع نفسه من الوقوع في تلك الهوة ، فالله غالب على أمره ، بعزته

وقهره .

والتائب ذهب عن نفسه صولة الطاعات ، والدعاوى الطويلات ، والتبجح

على أهل المعاصي ، وأصبح ذليلاً لمن أخذ بالنواصي ، فإن بعض الناس إذا

لم يقع في زلة ، ولم يذق طعم الذلة . . جمحت به نفسه الأمارة ، حتى جاوز

أطواره ، فكلما ذكر له عاص تأفّف ، وكلما سمع بمذنب تأسّف ، وكأنه عبدٌ

معصوم ، في حياته غير مَلُوم ، يحاسب الناس على زلاتهم ، ويأخذ

بعثراتهم ، فإذا أراد الله تقويمه ، ليسلك الطريق المستقيمة . . ابتلاه بذنب

لينكسر لربه ، وأراه ضعفَ قوته فيعترف بذنبه ، فيصبح يدعو للمذنبين ،
ويحبّ التائبين ، ويبغض المتكبرين .

ومنها : أن كأس الندم يتجرعه جرعة جرعة ، مع انحدار دموع الأسف
دمعة دمعة ، حينها ينال الولاية ، ويدرك الرعاية ؛ لأنه عرف سر العبودية ،
ودخل باب الشريعة المحمدية ، فإن ذلّ العبد مقصود ، وتواضعه محمود ،
لصاحب الكبرياء المعبود .

ومنها : أنه يشتغل بالاستغفار ، عن الاستكبار ، فهو دائم الفكر في
تقصيره ، مشتغل به عن غروره ؛ لأن بعض الناس لا يرى إلا إحسانه ،
ولا يشاهد إلا صلاحه وإيمانه ، حتى كأنه يَمُنّ على مولاه ، بطاعته وتقواه ،
بخلاف من طار من خوف العاقبة لُبّه ، وتشعب بالندم قلبه ، فهو كثير
الحسرات ، على ما مضى وفات ، وهذا هو حال من عرف العبادة ، وسلك
طريق السعادة .

واعلم أن لوم النفس على التقصير ، والنظر إليها بعين التحقير ، والإزراء
عليها في جانب مولاها ، وعدم الرضا عنها لما فعله هواها ، يقطع من مسافات
السير ، إلى اللطيف الخبير ، ما لا يقطعه الصيام ولا القيام ، ولا الطواف
بالبیت الحرام ، فهنيئاً لمن على ذنبه يتحرق ، وقلبه يكاد من الأسف يتمزّق ،
ودمعه على ما فرط يترقرق .

أجمل الكلمات ، وأحسن العبارات ، لدى رب الأرض والسموات ،
قول العبد : يا رب أذنبْتُ ، يا رب أسأتُ ، يا رب أخطأتُ ، فيكون الجواب
منه سبحانه : عبدي ؛ قد غفرت وسامحت ، وسترت وصفحْتَ .

عَفِّرِ الجبين بالطين ، وناد : يا رب العالمين ، تبنا مع التائبين ، اغسل

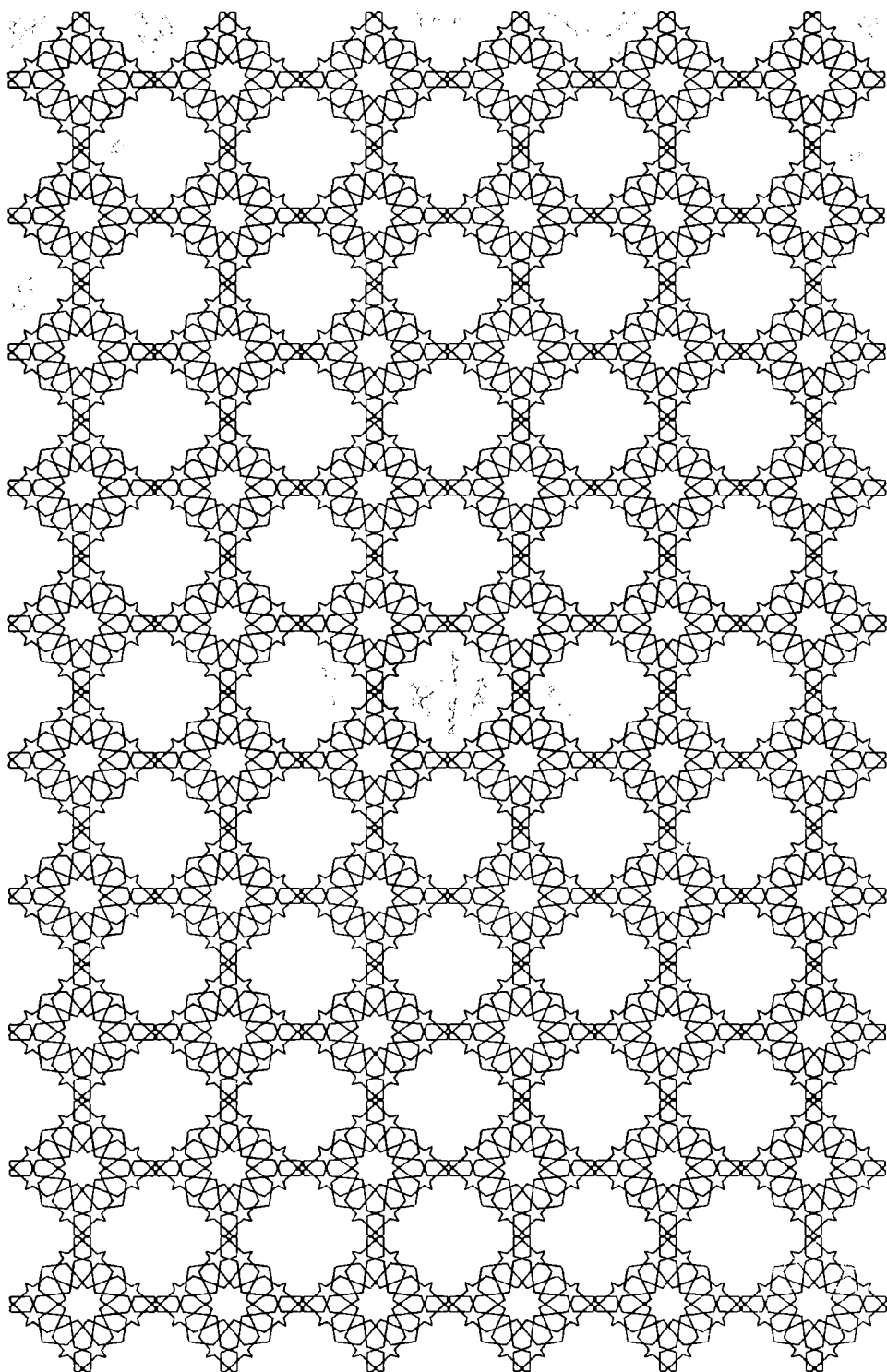
الكبائر بسبع غرفات من ماء الدموع ، وعقورها الثامنة بتراب المتاب ، فهذا فعل من أناب ، حتى يفتح لك الباب .

تأوه المذنبين التائبين . . أحب من تسبيح المعجيين ، من قضى ليله وهو نائم ، وأصبح وهو نادم . . أحب ممن قضاه وهو مستبح مكبر ، وأصبح وهو معجب متكبر .

إذا أردت القدوم عليه . . توسل برحمته وفضله إليه ، ولا تمنن بطاعتك لديه ، لا تياس من فتح الباب ، ورفع الحجاب ، فأدم الوقوف عنده ، واخطب وده ؛ فإن من قصده لن يرده ، ما أحوج الجيل ، إلى آخر ساعة من الليل ؛ لأنها ساعة الهبات ، والأعطيات والنفحات ، إمام الموحدين يقول : ﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ ، فجعل غاية مناه ، أن تغفر خطاياهم ، وأنت تُصِرّ ، ولا تُقِرّ ، وتحسو كأس الذنب وهو مُرّ ، فأفق من سبات اللهو ، ولا تكن من الغافلين ، وأكثر من ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ .

* * *

مَعَ اللَّهِ



الله جل جلاله

رَجَوْتُكَ تَرْحَمُ ذَلَّتِي وَهَوَانِي
وَقَدْ عَقَدْتُ هُوجُ الْخُطُوبِ لِسَانِي
مَحَطُّ رَجَائِي أَوْ مَلَاذُ جَنَانِي
وَيَعْجُزُ عَن وَصْفِ الْمَصَابِ بَيَانِي
رَثَيْتُ شَبَابِي وَالْمَشِيبُ رَثَانِي
وَمَا لِي صَدِيقٌ إِنْ دَعَوْتُ أَتَانِي
فَجُودُكَ وَالْفَضْلُ الْعَظِيمُ دَعَانِي
وَعَيْرُكَ عَن بَابِ الْعَطَاءِ ثَنَانِي
وَقَدْ عَقَدُوا بِالْبُخْلِ كُلُّ بَنَانِ
وَنَوْمُ الدُّجَى وَالسَّعْدُ قَدْ هَجَرَانِي
بِوَجْهِ مَنْ الشُّحُّ الْقَفِيحُ رَمَانِي
إِذَا رُمْتُ خَيْرًا مَلَنِي وَجَفَانِي
أَتَانِي بِدَهْيَا غَيْرَهَا وَدَهَانِي
فَنَاءٌ ، وَمَنْ يَبْقَى عَلَى الْحَدَثَانِ ؟
وَكُلُّ جُحُودٍ بَاءَ بِالدَّبَرَانِ
لَوَجْهِكَ رَبِّي يَسْجُدُ الْقَمَرَانِ
وَشَتَّتْ شَمْلَ الْبُغْيِ كُلَّ مَكَانِ

سَأَلْتُكَ يَا رَحْمَنُ فَكَّ رَهَانِي
أَتَيْتُكَ وَالْأَمَالُ مِلءُ جَوَانِحِي
تَوَسَّلْتُ بِالِاسْمِ الْعَظِيمِ وَإِنَّهُ
بِذَلِّي وَفَقْرِي وَالذُّمُّوعِ وَتَوْبِي
وَفِي طَلْعَةِ الْخَمْسِينَ أَبْلَغُ عِبْرَةَ
فَلَا صَاحِبُ أَشْكُو إِلَيْهِ مُصِيبَتِي
وَمَا لِي مَلَاذٌ غَيْرُ بَابِكَ أَرْتَجِي
لِمَنْ أَشْتَكِي إِلَّا إِلَيْكَ نَوَائِبي
إِلَى مَنْ أَبْتُ إِلَيْهِ وَالْكُلُّ عَاجِزُ
إِلَى مَنْ أَسْحُ الدَّمْعَ وَالْحَالُ شَاهِدُ
أَأَشْكُو لِعَبْدٍ مُفْلِسٍ بَانَ عَجْزُهُ
أَأُطْلِبُ إِنْسَانًا فَقِيرًا مُحْطَمًا
إِذَا قُلْتُ : هَذَا وَجْهَ دَهْيَاءَ أَقْبَلْتُ
كَتَبْتَ عَلَى الْأَحْيَاءِ غَيْرَكَ وَالْذُّنَى
تَفَرَّدْتَ بِالْمَجْدِ الْعَظِيمِ جَلَالَةَ
وَحَطَمْتَ تَيْجَانَ الْمُلُوكِ بَعِزَّةَ
حَطَمْتَ أَنْوَفَ الْمَاكِرِينَ فَأَبْلِسُوا

نَمُرُّ عَلَى أَوْطَانِهِمْ وَيُوتِيهِمْ
كَأَن لَّمْ يَكُونُوا فِي قُصُورٍ مَّشِيدَةٍ
تَمَادَوْا وَعَاثُوا وَاسْتَبَدُّوا وَأَفْسَدُوا
نَضَبَتْ لَهُمْ أُحْبُولَةُ الْبَطْشِ فَارْتَمَى
لِمَنْ يَشْتَكِي الْمَخْبُوسُ طَالَ أَيْنُهُ
لِمَنْ يَصْرُخُ الْمُنْكُوبُ يَمْلَأُ لَيْلُهُ
لِمَنْ يَفْزَعُ الْمَكْرُوبُ شَدَّ خِنَاقُهُ
لِمَنْ يَرْفَعُ الْعَبْدُ الْمَرِيضُ دُعَاءَهُ
لِمَنْ يَجَارُ الْمَظْلُومُ ضَجَّ نِدَاؤُهُ
لِمَنْ يَزْتَجِي مَنْ زَلَزَلَ الْمَوْتُ رُوحَهُ
كَأَنَّ الْحَمَامَ الْوُزُقَ تَشْدُو بِذِكْرِهِ
كَأَنَّ الرِّيَّاحَ الْهُوجَ شَقَّتْ ثِيَابَهَا
وَيَحْمَدُهُ الْقُمْرِيُّ فِي الرُّوضِ مُنْشِدًا
وَسَبَّحَ هَذَا الْكَوْنُ حُبًّا لِرَبِّهِ
تَكْفَلَ بِالْأَرْزَاقِ وَالْفَضْلُ فَضْلُهُ
لَهُ الْحَمْدُ حَمْدًا يَمْلَأُ الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ
أَعْفَرُ وَجْهِي بِالتَّرَابِ لِمَجْدِهِ

مُهَدَّمَةً بِالْخَسْفِ وَالرَّجْفَانِ
وَلَمْ يَمْرَحُوا فِي مَلْعَبٍ وَجِنَانِ
فَلَا أَثَرَ لِلْقَوْمِ بَعْدَ عِيَانِ
بِهَا كُلُّ مَطْمُوسِ الْبَصِيرَةِ جَانِ
وَلَيْسَ لِتَفْرِيجِ الْمُصَابِ يَدَانِ ؟
بُكَاءَ بَرِيءٍ أَوْ صُرَاخَ مُدَانِ ؟
بِقَلْبِ أَسِيرٍ دَائِمِ الْخَفَقَانِ ؟
وَلَيْسَ لَهُ فِي الطَّبِّ أَيُّ ضَمَانِ ؟
وِظَالِمُهُ مِنْ دَهْرِهِ بِأَمَانِ ؟
وَمَرْكَبُهُ فِي الْبَحْرِ فِي تِيَهَانِ ؟
نَشِيدَ نِيَّاحٍ أَوْ لُحُونِ غَوَانِ
تَلُومُ عُصَاةَ الْخَلْقِ كُلِّ أَوَانِ
وَحُوثِ بَحَارٍ لَجَّ فِي السَّبْحَانِ
وَيُثْنِي عَلَيْهِ الْبَرْقُ بِاللَّمَعَانِ
يُطَوِّقُ كُلَّ النَّاسِ وَالْحَيَوَانِ
وَشُكْرٌ بِلاَ عَدِّ طَوَالِ زَمَانِ
فَيَهْتَزُّ مِنْ هَوْلِ الْمَقَامِ كَيَانِي

* * *

هناك شاعر

لَكَ الْأَمْرُ لَا يَذْرِي عِبَادَكَ مَا بِيَا
وَهَذِي مَعَاذِيرِي وَتِلْكَ صَحَائِفُ
وَفِيهَا مِنَ الْأَمْسِ الدِّفِينِ وَحَاضِرِي
وَفِيهَا تَهَاوِيلٌ ، وَمُهْجَةُ شَاعِرٍ
وَفِيهَا أَعَاجِيبُ يُكْفِّرُ هُمُهَا
وَنَازَعَنِي شَوْقُ إِلَيْكَ وَهَزَّنِي
وَجِئْتُ مِنَ الدُّنْيَا الْأَيْمَةِ هَارِبًا
وَفِي النَّفْسِ مَا أَخْشَى ظِلَامَ ضَبَابِهِ
وَذَكَرْتِي مِنَ الْمَاضِي الشَّهِيدِ وَعَالَمٍ
وَنَادَيْتُ أَحْلَامِي إِلَيْكَ وَخَافِقًا
أُنَادِيكَ فِي ضَعْفٍ وَأَخْجَلُ أَنْ تَرَى
لَكَ الْأَمْرُ ، أَشْوَاقِي بِبَابِكَ وَالْمُنَى
دَعْوَتِكَ بِالسَّرِّ الْمُغَيَّبِ فِي دَمِي
وَلَا حَ نَشِيدٌ جِئْتُ أَشْرَعُ لَحْنُهُ
لَكَ الْأَمْرُ مَا لِي أَرْتَجِيكَ فَيَلْتَوِي
ذَكَرْتُكَ فِي نَفْسٍ هَذَاهَا ضَلَالُهَا
وَمَنْنَيْتُ رُوحِي مِنْ سَنَاكَ بِلَمْحَةٍ

لَكَ الْأَمْرُ لَا يَذْرِي عِبَادَكَ مَا بِيَا
وَهَذِي مَعَاذِيرِي وَتِلْكَ صَحَائِفُ
وَفِيهَا مِنَ الْأَمْسِ الدِّفِينِ وَحَاضِرِي
وَفِيهَا تَهَاوِيلٌ ، وَمُهْجَةُ شَاعِرٍ
وَفِيهَا أَعَاجِيبُ يُكْفِّرُ هُمُهَا
وَنَازَعَنِي شَوْقُ إِلَيْكَ وَهَزَّنِي
وَجِئْتُ مِنَ الدُّنْيَا الْأَيْمَةِ هَارِبًا
وَفِي النَّفْسِ مَا أَخْشَى ظِلَامَ ضَبَابِهِ
وَذَكَرْتِي مِنَ الْمَاضِي الشَّهِيدِ وَعَالَمٍ
وَنَادَيْتُ أَحْلَامِي إِلَيْكَ وَخَافِقًا
أُنَادِيكَ فِي ضَعْفٍ وَأَخْجَلُ أَنْ تَرَى
لَكَ الْأَمْرُ ، أَشْوَاقِي بِبَابِكَ وَالْمُنَى
دَعْوَتِكَ بِالسَّرِّ الْمُغَيَّبِ فِي دَمِي
وَلَا حَ نَشِيدٌ جِئْتُ أَشْرَعُ لَحْنُهُ
لَكَ الْأَمْرُ مَا لِي أَرْتَجِيكَ فَيَلْتَوِي
ذَكَرْتُكَ فِي نَفْسٍ هَذَاهَا ضَلَالُهَا
وَمَنْنَيْتُ رُوحِي مِنْ سَنَاكَ بِلَمْحَةٍ

وَأَرْسَلْتُهُ فِيمَا لَدَيْكَ لَعَلَّهُ
تَعَالَيْتَ ، لَمْ أَذْكَرْ سِوَاكَ بِمِخْنَتِي
وَفَوَّضْتُ عَنْ عِلْمِ إِلَيْكَ إِرَادَتِي
لَكَ الْأَمْرُ ، شَاقَتْنِي سَمَاؤُكَ وَأَنْتَهَى
وَأَنْزَلْتُ آمَالِي وَفِيهَا مَلَامِحُ
يُطَالِعُنِي مِنْهَا زَمَانٌ عَرَفْتُهُ
تَقْلُبُ ذِكْرَاهُ الْدَفِينِ وَمَاضِيَا
أَطَلْتُ مَآسِيهِ بِيَابِكَ فَاسْتَمِعْ
ضِيَاؤُكَ أَغْرَى بِالْيَقِينِ جَوَارِحِي
لَكَ الْأَمْرُ ، أَسْبَابُ ضِعَافٍ وَخَاطِرِي
دَعَوْتُكَ مِلءَ النَّفْسِ إِلَّا تَرُدَّهُ
وَحَاشَاكَ أَنْ أَرْضَى مَعَ النَّفْسِ مَذْهَبَا
كَفَانِي أَوْهَامَا فَهَبْ لِي تَمِيمَةً
وَبَارِكْ فِجَاجَ الْأَرْضِ إِلَّا مَوَاضِعَا
تَنَاسَيْتُهَا لَوْلَا حَدِيثُ أَهَاجُهُ
وَجَدَّدَ لِي هَمْسُ الرَّحِيلِ مَكَارِهَا
وَأَيَّامِي الْهَلَاتِي ذَهَبْنَ وَعَالَمَا
وَأَوْدَعْتُهُ سِرًّا حَرَامًا وَلَمْ أَزَلْ
لَكَ الْأَمْرُ ، هَذَا مِنْ يَدَيْكَ عَدَالَةٌ
أَتَيْتُكَ وَالْحَقُّ الصَّرِيحُ يُمْدُنِي
وَفِي النَّفْسِ فَجْرٌ مِنْ يَقِينٍ وَمَوْكِبٌ

يَعُودُ بِأَسْبَابِ الْمَحَبَّةِ رَاضِيَا
وَلَمْ أَرْجُ إِلَّا مِنْ يَدَيْكَ جَزَائِيَا
وَحَسْبِي مَا أَدَّى إِلَيْهِ اخْتِيَارِيَا
إِلَيْكَ بِأَحْلَامِ الضَّمِيرِ مَطَافِيَا
تَرُدُّ أَمَامِي مَا تَرَكْتُ وَرَائِيَا!
بَرِيحَ لَيْالِيهِ وَلَوْنُ سُهَادِيَا!
تَهَرَّبَ مِنْهُ فِي الشُّعَابِ خِيَالِيَا!
إِلَيْهَا حَدِيثًا لَمْ يَسْغُهُ بَيَانِيَا
وَفَجَّرَ أَعْمَاقِي وَأَفْضَى بِذَاتِيَا
بِيَابِكَ يَخْشَى رَجْعَتِي وَأُنْجِرَافِيَا
مَغِيظًا وَالْأُتَى تَسْتَعِيدُ سُؤَالِيَا!
بَغِيرِ يَقِينٍ مِنْكَ يَهْدِي شُعَاعِيَا!
بِهَا أَتَّقِي نَفْسِي وَشَرَّ ذَكَائِيَا!
شَرِبْنِ دُمُوعِي أَوْ شَهْدَنَ عَثَارِيَا
تَلَقُّتُ أَشْوَاقِي وَخَوْفُ أَرْتَدَادِيَا
تَوَلَّى شَجَاهَا وَالْجِرَاحُ كَمَا هِيَا
دَفَنْتُ بِهِ عَهْدَ الصَّبَا وَشَبَابِيَا
أَعُودُ فَأُبْكِيهِ دُمُوعًا غَوَالِيَا
وَهَذَا قَلِيلٌ فِي مَقَامِ اتِّصَالِيَا
إِلَيْكَ وَلَحْنُ الْبَشْرِ مِلءُ فُؤَادِيَا
مِنَ الْخَيْرِ يَخْذُوهُ إِلَيْكَ وَلَايَا

وَفِيهَا رَجَاءٌ فَاضَ مِنْكَ جَلَالُهُ
وَأَخْبَيْتُ حَتَّى أَسْكُرْتَنِي مَوَدَّتِي
وَهَامَتْ بِالْأَمِّ الْحَيَاةَ وَسَائِلِي
وَأَرْسَلْتُ أَنْسَامِي عَيْرًا وَبَهْجَةً
وَأَمَنْتُ حَتَّى كَادَ يَذْهَبُ خَاطِرِي
وَلَمْ يَبْقَ حَرْفٌ مِنْكَ إِلَّا أَسْرَهُ
لَكَ الْأَمْرُ ، آفَاقُ تَرَاءَتْ لِخَاطِرِي
وَذَكَّرَنِي بِشَرِّ السَّمَاءِ مَنَازِلًا
أَقْلَبُ أَوْهَامِي يَمِينًا وَيَسْرَةً
يُنَازِعُنِي مَاضٍ شَرِيفٌ بَعْدَهُ
إِذَا طَافَ مِنْهُ حَوْلَ نَفْسِي طَائِفٌ
هُنَاكَ وَفِي أَرْضٍ عَلَيْهَا مَلَاعِبِي
وَفِيهَا تَعْلَاتِي وَرَاحُ مَشَارِبِي
وَأَحْلَامِي أَلْمَوْنِي وَذَاتُ مَوَاجِعِي
لَكَ الْأَمْرُ ، أَلْهَانِي حَدِيثُ أَعَادُهُ
وَأَسْرَفْتُ فِي ذِكْرِ الْمَسَاءِ وَلَمْ أَكُنْ
لَكَ الْأَمْرُ ، نَادَتْ بِالرَّحِيلِ خَوَاطِرِي
وَذَكَّرَتْهَا أَنَّ الشُّعَابَ جَدِيدَةً
وَأَنَّ شِعَابَ الْأَمْسِ وَاجَهُتْ غِيَّهَا
هِيَ الْأَرْضُ تَبْلُونِي لَتَبْلُو وَخَطْبُهَا
لَكَ الْأَمْرُ ، مَا لِي فِي وَدَاعِكَ بَاهِتًا؟!

وَأَفَاقُ نُورٍ يَسْتَحِيهَا ضِيَائِيَا
وَذَابَ يَمِينِي رَحْمَةً وَشِمَالِيَا!
وَفَاضَتْ عَلَى مَا لَيْسَ مِنِّي هِبَاتِيَا
لِتَنْفَحَ أَشْوَاكَ الرَّبِّي وَالْأَفَاعِيَا!
وَتَضَعْدُ أَنْفَاسًا إِلَيْكَ حَيَاتِيَا!
ضَمِيرِي وَأَبْدَتُهُ إِلَيْكَ سَمَائِيَا!
وَعَاوَدَنِي مِنْهَا دَيْبٌ شَكَايِيَا!
أَتَيْتُكَ مِنْهَا عَبَسَ الْوَجْهَ دَائِمِيَا
وَأَرْفَعُ أَمَالًا إِلَيْكَ رَوَائِيَا!
وَرَاوَدْتُ فِيهِ مَا أَشَابَ النَّوَاصِيَا
ذَكَرْتُ زَمَانِي وَالسِّنِينَ الْخَوَالِيَا
وَأَطْيَافُ آبَائِي وَلَغْوُ دِيَارِيَا
وَزَلَّاتُ أَهْوَائِي وَدَمْعُ مَتَابِيَا
وَأَطْلَالُ مَاسَاتِي وَرَجْعُ بَلَائِيَا
عَلَيْكَ ضَمِيرِي وَأَسْتَحَاهُ لِسَانِيَا!
لَأُسْرِفَ لَوْلَا رَجْفَةٌ مِنْ صَبَاحِيَا
وَهَبَّتْ عَلَى نَفْسِي رِيَا حُ غُتْرَايَا
وَأَنَّ عَلَيْهَا مِنْ سَنَاكَ هَوَادِيَا!
عَلَى غَيْرِ إِيْمَانٍ فَكَانَتْ مَهَاوِيَا!
عَلَى نُورٍ إِدْرَاكِي وَضَوْءٍ نَفَازِيَا!
وَمَا لِي أَخْطُو شَا حِبَ النَّفْسِ نَائِيَا؟!

لَكَ الْأَمْرُ ، لَاحَتْ مِنْ بَعِيدٍ مَذَاهِبِي
وَرَفَّتْ عَلَيْهَا مِنْ سَنَاكَ مَائِرُ
تَسَمَّتْ أَمْوَاجَ الرَّحِيلِ وَأَشْرَفَتْ
وَأَذَنَ حَادِيهَا وَأَنْ أَرْتَحَالِيَا!

* * *

إِذَا نَحْنُ أَتَيْنَا عَلَيْكَ بِصَالِحٍ
فَأَنْتَ الَّذِي نُثْنِي ، وَفَوْقَ الَّذِي نُثْنِي

أبو نواس

* * *

لَهُ مِنْ تَفْنِي الثَّنَاءِ كَأَنَّمَا
بُكْمُ أَقْسَمْتَ أَلَّا يُؤَدَّى لَهَا شُكْرُ

المتنبي

* * *

جَزَى اللَّهُ الْمَسِيرَ إِلَيْكَ خَيْرًا
وَأِنْ تَرَكَ الْمَطَايَا كَأَلْمَزَادِ

المتنبي

* * *

يَجْلُ عَنْ التَّشْبِيهِ جَلَّ جَلَالُهُ
وَلَا تَسْلَمُ الْأَعْدَاءُ مِنْهُ ، وَيَسْلَمُ
وَلَا يُخْلَلُ الْأَمْرُ الَّذِي هُوَ مُبْرَمُ
وَلَا يُحْلَلُ الْأَمْرُ الَّذِي هُوَ حَالِلُ

المتنبي

* * *

الْأَمْرُ أَمْرُكَ وَالْقُلُوبُ خَوَافُكَ
فِي مَوْقِفٍ بَيْنَ الْمَنِيَّةِ وَالْمُنَى

المتنبي

* * *

وَأَمَّا وَحَقِّكَ وَهُوَ غَايَةُ مُقْسِمٍ
لَلْحَقِّ أَنْتَ وَمَا سِوَاكَ الْبَاطِلُ
مَا دَارَ فِي أَلْحَنِكَ أَلْسَانُ وَقَلْبَتُ
قَلَمًا بِأَحْسَنَ مِنْ ثَنَاكَ أَنَامِلُ

المتنبي

* * *

دَعَانِي إِلَيْكَ الْعِلْمُ وَالْحِلْمُ وَالْحِجَى
وَهَذَا الْكَلَامُ النَّظْمُ وَالنَّائِلُ النَّثْرُ

المتنبي

* * *

وَعُودُكَ حَقٌّ لَمْ نَزَلْ فِي أَنْظَارِهَا
وَجُنْدُكَ مَنْصُورٌ ، وَجَيْشُكَ قَادِمٌ
أَحْبَبْتُكَ ، وَالْعَقْلُ الْحَصِيفُ يَقُودُنِي
وَكُلُّ الرِّزَايَا فِي جِوَارِكَ تَصْغَرُ
وَنُورُكَ فِي كُلِّ الدِّيَاجِيرِ يُسْفَرُ
إِلَيْكَ ، وَقَلْبِي بِالصَّبَابَةِ يَأْمُرُ

سلمان العودة

* * *

رَبِّي لَكَ الْحَمْدُ لَا أُحْصِي الْجَمِيلَ إِذَا
فَلَا تُؤَاخِذْ إِذَا زَلَّ أَلْسَانُ ، وَمَا
لَكَ الْحَيَاةُ كَمَا تَرْضَى بِشَاشَتِهَا
رَضِيتُ فِي حُبِّكَ الْأَيَّامَ جَائِرَةً
نَفَثْتُ يَوْمًا شَكَاةَ الْقَلْبِ فِي كَرْبِ
شَيْءٍ سِوَى الْحَمْدِ فِي الضَّرَاءِ يَجْمَلُ بِي
فِيمَا تُحِبُّ ، وَإِنْ بَاتَتْ عَلَى غَضَبٍ
فَعَلَقْتُ الدَّهْرَ إِنْ أَرْضَاكَ كَالْعَذْبِ

عصام العطار

* * *

أَمْطَرُ عَلَى سَحَابِ جُودِكَ ثَرَّةً
وَأَنْظُرُ إِلَيَّ بِرَحْمَةٍ لَا أَغْرُقُ

المتنبي

* * *

فِيكَ يَا أَغْلُوطَةَ الْفِكْرِ حَارَ أَمْرِي وَأَنْقَضَى عُمْرِي
سَافَرْتُ فِيكَ الْعُقُولُ فَمَا رِيَحَتْ إِلَّا أَذَى السَّفَرِ
فَلَحَى اللَّهُ الْأَلْسَى زَعَمُوا أَنَّكَ الْمَعْرُوفُ بِالنَّظَرِ
كَذَبُوا إِنَّ الَّذِي ذَكَرُوا خَارِجٌ عَنْ قُوَّةِ الْبَشَرِ

ابن أبي الحديد

* * *

وَحَقَّكَ لَوْ أَدْخَلْتَنِي النَّارَ قُلْتُ لِلَّذِينَ بِهَا قَدْ كُنْتُ مِمَّنْ يُحِبُّهُ
وَأَفْنَيْتُ عُمْرِي فِي عُلُومٍ كَثِيرَةٍ وَمَا بُغِيَّتِي إِلَّا رِضَاهُ وَقُرْبُهُ
أَمَا قُلْتُمْ : مَنْ كَانَ فِينَا مُجَاهِدًا سَيُكْرَمُ مَثْوَاهُ وَيَعْذُبُ شُرْبُهُ
أَمَا رَدَّ شَكَّ ابْنِ الْخَطِيبِ وَزَيْغَهُ وَتَمْوِيهِهُ فِي الدِّينِ إِذْ جَلَّ خَطْبُهُ
أَمَا كَانَ يَنْوِي الْحَقَّ فِيمَا يَقُولُهُ أَلَمْ تَنْصُرِ التَّوْحِيدَ وَالْعَدْلَ كُتْبُهُ
هَبُونِي مُسِيئًا أَوْسَعَ الْجِلْمِ جَهْلُهُ وَأَوْبَقَهُ دُونَ الْبَرِّيَّةِ ذَنْبُهُ
أَمَا يَقْتَضِي شَرْعُ التَّكْرِمِ عَفْوَهُ أَيَحْسُنُ أَنْ يُنْحَى هَوَاهُ وَحُبُّهُ
وَعَايَةُ صِدْقِ الصَّبِّ أَنْ يَعْذِبَ الْأَسَى إِذَا كَانَ مَنْ يَهْوَى عَلَيْهِ يَصْبُهُ

ابن أبي الحديد

* * *

فِيكَ يَا أَعْجَوْبَةَ الْكَوْنِ نِ غَدَا أَلْفِكُرُّ كَلِيلًا
أَنْتَ حَيَّرْتَ ذَوِي اللَّبِّ وَبَلَلْتَ الْعُقُولَ
كُلَّمَا أَقْدَمَ فِكْرِي فِيكَ شِبْرًا فَرَّ مِيلًا
نَاكِصًا يَخْبِطُ فِي عَمِيَاءٍ لَا يُهْدَى السَّبِيلَ

ابن أبي الحديد

ابتهاال موحد :

مَعَ اللَّهِ فِي سُبُحاتِ الْفِكَرِ
مَعَ اللَّهِ فِي وَمَضَاتِ الْكُرَى
مَعَ اللَّهِ وَالْقَلْبُ فِي نَشْوَةِ
مَعَ اللَّهِ فِي أَمْسِي الْمُنْقَضِي
مَعَ اللَّهِ فِي عُنُقِ الْوَانِ الصَّبَا
مَعَ اللَّهِ قَبْلَ حَيَاتِي وَفِيهَا
مَعَ اللَّهِ فِي الْجِدِّ مِنْ أَمْرِنَا
مَعَ اللَّهِ فِي حُبِّ أَهْلِ التَّقَى

* * *

سبحانك :

كُلَّمَا أَمَعَنَّ الدُّجَى وَتَحَالَكَ
وَتَرَاءَتْ لِعَيْنِ قَلْبِي بَرَايَا
وَتَرَاءَتْ لِمَسْمَعِ الْقَلْبِ هَمْسٌ
وَأَعْتَرَانِي تَأْلُهُ وَخُشُوعٌ
مَا تَمَالَكَتُ أَنْ يَخِرَّ كَيَانِي
شِمْتُ فِي غَوْرِهِ الرَّهِيْبِ جَلَالَكَ
مِنْ جَمَالِ آنَسْتُ فِيهِ جَمَالَكَ
مِنْ شِفَاهِ النُّجُومِ يَتَلَوُ الشَّأْلَكَ
وَأَخْتَوَانِي الشُّعُورُ أَنِّي حَيَالَكَ
عَابِداً خَاشِعاً وَمَنْ يَتَمَالَكَ

* * *

تقدست :

وَحِينَ يُسَاقُ السَّحَابُ الْجَوَادُ
أَفِرُّ إِلَى سَاحَةِ السَّاجِدِينَ
لِيُخَيِّي فِي الْأَرْضِ مَيْتَ الْقُبُورِ
أُشَارِكُ فِي مَهْرَجَانِ كَبِيرِ

أَبِيعُ وَرَبِّي مَنِّي أَشْتَرَى
أَرَى كِبْرِيَاءَ بِلَوْنِ السَّمَاءِ
أَبِيعُ الْحَيَاةَ وَلَا أَسْتَشِيرُ
وَمَضِ الْبُرُوقِ وَلَفَحِ الْهَجِيرِ

* * *

ملك الملوك :

بِكَ أَسْتَجِيرُ ، وَمَنْ يُجِيرُ سِوَاكَ
إِنِّي ضَعِيفٌ أَسْتَعِينُ عَلَى قَوَى
يَا مُدْرِكَ الْأَبْصَارِ وَالْأَبْصَارُ لَا
أَتَرَكَ عَيْنٌ وَالْعُيُونُ لَهَا مَدَى
إِنْ لَمْ تَكُنْ عَيْنِي تَرَكَ فَإِنِّي
يَا مُنْبِتَ الْأَزْهَارِ عَاطِرَةَ الشَّدَا
يَا مُجْرِي الْأَنْهَارِ عَازِبَةَ النَّدَى
رَبَّاهُ قَدْ أَفْلَتُ مِنْ أَسْرِ الْهَوَى
وَتَرَكْتُ أَنْسِي بِالْحَيَاةِ وَلَهْوَهَا
وَنَسِيتُ حُبِّي وَأَعْتَزَلْتُ أَحِبِّي
أَنَا كُنْتُ - يَا رَبِّي - أَسِيرَ غِشَاوَةِ
وَالْيَوْمَ هَلْأَنْدَا مَسَحْتُ غِشَاوَتِي
يَا غَافِرَ الذَّنْبِ الْعَظِيمِ وَقَابِلًا
أَتَرُدُّهُ وَتَرُدُّ صَادِقَ تَوْبَةٍ

فَأَجِرْ ضَعِيفًا يَخْتِمِي بِحِمَاكَ
ذَنْبِي وَمَعْصِيَتِي بِنُغْصِ قِوَاكَ
تَذِرِي لَهُ وَلِكُنْهُهِ إِذْ رَاكَ
مَا جَاوَزْتَهُ وَلَا مَدَى لِمَدَاكَ
فِي كُلِّ شَيْءٍ أَسْتَعِينُ عِلَاكَ
هَذَا الشَّدَا أَلْفَوَاحُ نَفْحِ شَدَاكَ
مَا خَابَ يَوْمًا مَنْ دَعَا وَرَجَاكَ
وَأَسْتَقْبَلُ الْقَلْبُ الْخَلِيَّ هَوَاكَ
وَلَقِيتُ كُلَّ الْأَنْسِ فِي نَجْوَاكَ
وَنَسِيتُ نَفْسِي خَوْفَ أَنْ أَنْسَاكَ
رَأَيْتُ عَلَى قَلْبِي فَضْلَ سَنَاكَ
وَبَدَأْتُ بِالْقَلْبِ الْبَصِيرِ أَرَاكَ
لِلتَّوْبِ قَلْبٌ تَائِبٌ نَاجَاكَ
حَاشَاكَ تَرْفُضُ تَائِبًا حَاشَاكَ

* * *

في بلاط العظمة :

مَعَ اللَّهِ فِي الْقَلْبِ حِينَ أَنْكَسَرَ
مَعَ اللَّهِ فِي الرُّوحِ فَوْقَ السَّمَاءِ
مَعَ اللَّهِ فِي نَسَمَاتِ الصَّبَاحِ
مَعَ اللَّهِ فِي جَارِيَاتِ الرِّيحِ
فَتَضْحُو الْحَيَاةُ وَيَرْبُو النَّبَاتُ
مَعَ اللَّهِ فِي الْجُرْحِ لَمَّا أُنْمِحَى
مَعَ اللَّهِ فِي الْكَرْبِ لَمَّا أُنْجَلَى
مَعَ اللَّهِ فِي سَكَنَاتِ الْفُؤَادِ
مَعَ اللَّهِ حِينَ يَثُورُ الضَّمِيرُ

* * *

أنا العبدُ :

إِنْ أَكُنْ يَا رَبَّ وَحْدِي
كُلُّ أَحْزَانِي وَسَهْدِي
وَأَضْطِرَابِي حِينَ بُعْدِي
وَمَمَاتِي يَوْمَ لَحْدِي
كُلُّ بَوَّاحٍ كَانَ عِنْدِي
سَاجِدٌ مُذْ قُلْتُ : (عَبْدِي)

* * *

لك الحمد

لَكَ الْحَمْدُ مَهْمَا اسْتَطَالَ الْبَلَاءُ
وَمَهْمَا اسْتَبَدَّ الْأَلَمُ
لَكَ الْحَمْدُ أَنَّ الرِّزَايَا عَطَاءُ
وَأَنَّ الْمُصِيبَاتِ بَعْضُ الْكَرَمِ
أَلَمْ تُعْطِنِي أَنْتَ هَذَا الصَّبَاحَ ؟
وَأَعْطَيْتَنِي أَنْتَ هَذَا السَّحَرُ ؟
فَهَلْ تَشْكُرُ الْأَرْضُ قَطَرَ الْمَطَرِ ؟
وَتَجْزَعُ إِنْ لَمْ يَجِدْهَا الْغَمَامُ ؟
شُهُورٌ طَوَالَ وَهَذِي الْجِرَاحُ
تَمَرَّقُ جَنْبِي مِثْلَ الْمُدَى
وَلَا يَهْدَأُ الدَّاءُ عِنْدَ الصَّبَاحِ
وَلَا يَمْسَحُ اللَّيْلُ أَوْجَاعَهُ بِالرَّدَى
وَلَكِنَّ أَيْوَبَ إِنْ صَاحَ صَاحُ
لَكَ الْحَمْدُ أَنَّ الرِّزَايَا نَدَى
وَأَنَّ الْجِرَاحَ هَدَايَا الْحَبِيبِ
أَضُمُّ إِلَى الصَّدْرِ بَاقَاتِهَا
هَدَايَاكَ فِي خَافِقِي لَا تَغِيبُ
هَدَايَاكَ مَقْبُولَةً هَاتِهَا
أَشَدُّ جِرَاحِي وَأَهْتَفُ بِالْعَائِدِينَ
أَلَا فَانْظُرُوا وَأَحْسُدُونِي

فَهَٰذِي هَدَايَا حَبِيبِي
وَإِنْ مَسَّتِ النَّارُ حُرَّ الْجَبِينِ
تَوَهَّمْتُهَا قُبْلَةً مِنْكَ مَجْدُولَةٌ مِنْ لَهَيْبِ
لَكَ الْحَمْدُ يَا رَامِيًا بِالْقَدَرِ
وَيَا كَاتِبًا بَعْدَ ذَاكَ الشِّفَاءِ

* * *

سبحان الملك الحق :

سُبْحَانَ مَنْ يُعْطِي الْمُنَى بِخَوَاطِرٍ
سُبْحَانَ مَنْ لَا شَيْءَ يَخْجُبُ عِلْمَهُ
سُبْحَانَ مَنْ هُوَ لَا يَزَالُ مُسَبِّحًا
سُبْحَانَ مَنْ تَجْرِي قَضَايَاهُ عَلَى
سُبْحَانَ مَنْ هُوَ لَا يَزَالُ وَرِزْقُهُ
سُبْحَانَ مَنْ فِي ذِكْرِهِ طُرُقُ الرِّضَا
مَلِكٌ عَزِيزٌ لَا يَفَارِقُ عِزَّهُ
مَلِكٌ لَهُ ظَهْرُ الْفَضَاءِ وَبَطْنُهُ
مَلِكٌ هُوَ الْمَلِكُ الَّذِي مِنْ حِلْمِهِ
يَبْلَى لِكُلِّ مُسْلَطِينَ سُلْطَانُهُ

فِي النَّفْسِ لَمْ يَنْطِقْ بِهِنَّ لِسَانُ
فَالسِّرُ أَجْمَعُ عِنْدَهُ إِعْلَانُ
أَبَدًا وَلَيْسَ لِغَيْرِهِ السُّبْحَانُ
مَا شَاءَ مِنْهَا غَائِبٌ وَعَيَانُ
لِلْعَالَمِينَ بِهِ عَلَيْهِ ضَمَانُ
مِنْهُ وَفِيهِ الرُّوحُ وَالرَّيْحَانُ
يُغْصَى وَيُرْجَى عِنْدَهُ الْغُفْرَانُ
لَمْ تُبْلِ جِدَّةَ مُلْكِهِ الْأَزْمَانُ
يُغْصَى بِحُسْنِ بَلَائِهِ وَيُخَانُ
وَاللهُ لَا يَبْلَى لَهُ سُلْطَانُ

* * *

سبحان ذي الجلال :

جَلَالُكَ يَا مُهَيِّمُنُ لَا يَبِيدُ
وَحُكْمُكَ نَافِذٌ فِي كُلِّ أَمْرٍ
وَمُلْكُكَ دَائِمٌ أَبَدًا جَدِيدُ
وَلَيْسَ يَكُونُ إِلَّا مَا تُرِيدُ

ذُنُوبِي لَا تَضُرُّكَ يَا إِلَهِي
فَهَبْهَا لِي وَإِنْ كَثُرَتْ وَجَلَّتْ
فَغَنِمَ الرَّبُّ مَوْلَانَا وَإِنَّا
وَيُنْقِصُ عُمْرُنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ
قَصَدْتُ إِلَى الْمُلُوكِ فَكُلُّ بَابٍ
وَبَابُكَ مَعْدِنٌ لِلْجُودِ يَا مَنْ
وَعَفْوُكَ نَافِعٌ وَبِهِ تَجُودُ
فَأَنْتَ اللَّهُ تَحْكُمُ مَا تُرِيدُ
لَنَعْلَمَ أَنَّنَا بِئْسَ الْعَبِيدُ
وَلَا زَالَتْ خَطَايَانَا تَزِيدُ
عَلَيْهِ حَاجِبٌ فَظٌّ شَدِيدُ
إِلَيْهِ يَقْصِدُ الْعَبْدُ الطَّرِيدُ

* * *

تَعَالَى وَتَقَدَّسَ :

قُلْ لِلْوَلِيدِ بَكى وَأَجْهَشَ بِالْبُكَاءِ
وَإِذَا تَرَى الثُّعْبَانَ يَنْفُثُ سُمَّهُ
وَأَسْأَلُهُ كَيْفَ تَعِيشُ يَا ثُعْبَانُ أَوْ
وَأَسْأَلُ بُطُونَ النَّحْلِ كَيْفَ تَقَاطَرَتْ
بَلْ سَائِلِ اللَّبَنِ الْمُصَفَّى كَانَ بَيْنَ
وَإِذَا رَأَيْتَ الْبَذَرَ يَسْرِي نَاشِراً
وَأَسْأَلُ شُعَاعَ الشَّمْسِ يَذْنُو وَهِيَ أَبْـعَدُ كُلِّ شَيْءٍ مَا الَّذِي أَذْنَاكَ
يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَهْلاً مَا الَّذِي
لَدَى الْوِلَادَةِ مَا الَّذِي أَبْكَاكَا
فَأَسْأَلُهُ مَنْ ذَا بِالسُّمُومِ حَشَاكَ
تَحِيّاً وَهَذَا السُّمُّ يَمْلَأُ فَآكََا
شَهِدَاً وَقُلْ لِلشَّهِدِ مَنْ حَلَاكََا
أَنْوَارُهُ فَأَسْأَلُهُ مَنْ أَسْرَاكََا
بِاللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ أَغْرَاكََا ؟

* * *

الواحد الأحد

التوحيد هو حق الله على العبيد ، وهو أول ما دعا إليه الرسل ، وبه كل كتاب نزل .

وهو أصل الأصول ، والطريق للوصول ، وبه عُرف المعبود ، وعمر الوجود ، ولأجله أعدت الجنة والنار ، وسُلّ السيف البتار ، وقوتل الكفار ، ولإقامته في الأرض دعت الأنبياء ، وعلمت العلماء ، وقتل الشهداء .
وهو أول مطلوب ، وأعظم محبوب .

وهو أشرف المقاصد ، وأعذب الموارد ، وأجل الأعمال ، وأحسن الأقوال .

وهو أول الأبواب ، وبداية الكتاب ، وأعظم القضايا ، وأهم الوصايا ، وخير زاد ، يحمله العباد ، ليوم التناد .

وهو قرة عيون الموحدين ، وبهجة صدور العابدين ، وهو غاية الآمال ، وأنبل الخصال ، بل هو أعظم الكفارات ، وأرفع الدرجات ، وأكبر الحسنات ، وهو منشور الولاية ، وتاج الرعاية ، والبداية والنهاية .

وهو الإكسير الذي إذا وضع على جبال الخطايا . . أصبحت تذوب ، وصارت حسنات بعد أن كانت من الذنوب ، وعلى هذا حديث : « يا بن آدم ؛ لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ، ثم جئتني لا تشرك بي شيئاً . . لأتيتك بقرابها مغفرة » .

وهو الذي هز في طرفة عين قلوب السحرة ، فقالوا بعزم ماض : (اقض ما أنت قاض) ، والمرأة التي سقت الكلب ، فغفر لها الذنب ، كان معها توحيد الرب ، والرجل الذي قتل مئة رجل ، وذهب إلى القرية على عجل ، فأدركه الأجل ، غفر له بالتوحيد عز وجل .

والتوحيد كنز جليل ، في قلب الخليل ، فقال لما شاهد الكرب الثقيل : (حسبنا الله ونعم الوكيل) .

ولما قال الصديق في الغار لسيد الأبرار : لو نظر أحدهم .. لرآنا ولسمعنا ، قال : ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّكَ اللَّهُ مَعَنَا ﴾ ، إنما قال ذلك بلسان الموحد ، وقد سدد بتوفيق الله وأيد .

وما فلق الله البحر للكليم ، إلا لأنه صاحب توحيد عظيم ، ونهج كريم . ولو وضعت السماوات والأرض في كفة الميزان ، و(لا إله إلا الله) في كفة .. لكان لها الرجحان ، ولو كانت في حلقة حديد .. لفصمتها ، أو في صخرة .. لفجرتها .

و(لا إله إلا الله) مفتاح الجنان ، وله أسنان ، من الواجبات والأركان ، صاحبها لا يخلد في النار ، ولا يلحق بالكفار .

وقد قالوا لأحد العلماء وقد سجن ، وفي سبيل هذه الكلمة ذاق المحن : قل كلمة التوحيد ، قال : من أجلها وضعت في الحديد .

وقالوا لأحد الأولياء وقد رفع على خشبة الموت ، وقرب منه الفوت : قل : (لا إله إلا الله) ولا تغفل ، قال : من أجلها أقتل .

وسمع أحد الصالحين رجلاً يقول : (لا إله إلا الله) ومد بها صوته فبكى .

وسمع أحد العلماء رجلاً يقول : (لا إله إلا الله) ، فقال : صدقت
وبالحق نطق .

فيا أيها العباد ؛ خذوا من التوحيد قطرة ، وضعوه على الفطرة ، وولّوا
وجوهكم شطره .

ويا من أثقله الهم ، وأحاط به الغم ، وهزه الألم الجم ؛ قل : (لا إله
إلا الله) .

ويا من أثقلته الديون ، أو غيبته السجون ، وبات وهو محزون ؛ قل : (لا
إله إلا الله) .

ويا من اشتد به الكرب ، وعلاه الخطب ؛ اذكر الرب ، وقل : (لا إله
إلا الله) .

اقرأها بعين الروح ، قبل أن تقرأها بعينك في اللوح ، واكتبها في سويداء
قلبك ؛ لتحملها إلى ربك ، وتخلص من ذنبك .

ولما قيل لفرعون : قل : (لا إله إلا الله) . . تلثم الحمار وتعثر ، فدس
أنفه في الطين وتدثر .

وقيل لأبي لهب : قل : (لا إله إلا الله) ، فقال الخسيس : أبى عليّ
الجليس ، والأخ الرئيس إبليس .

من يأخذ تعاليمه من باريس ، حشر مع شيخه إبليس .

يا مسكين ؛ تتعلم حروف الهجاء من بكين ، وتهجر رسالة نزل بها الروح
الأمين ، على سيد المرسلين ، من رب العالمين .

يرضع الوليد حليب التوحيد ، حتى يأتيه الحليب الصناعي من مدريد ،
ليرتد المريد .

صوت التوحيد يرتفع على كل صوت ، وقوته خير من كل قوت ، لخصه أبو بكر فقال : من كان يعبد محمداً.. فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله.. فإن الله حي لا يموت .

لولا أن كلمة (أحد) في قلب بلال مثل جبل أحد.. ما صمد .

التوحيد له كتاب ، وله قلم جذاب ، ومداد جميل ، وكاتب جليل ؛ فكتابه : الكون وما فيه ، وقلمه : قلبك النبیه ، ومداده : دمك المترق ، والكاتب : إيمانك المتدفق .

التوحيد له رسالة أبدية ، ودعوة سرمدية ، ولأصحابه إلى مستقرهم ممر ، وبعد مرورهم مستقر ؛ فرسالة التوحيد : أفراد الباري بالألوهية والربوبية ، ودعوته : اتباع سيد البشرية ورسول الإنسانية ، وممر أصحابه : الصراط المستقيم ، ومستقرهم : جنات النعيم .

للتوحيد منبر ، ومخير ومظهر ، ومسك وعنبر ؛ فمنبره : القلب إذا أخلص للرب ، ومخبره : النيات الصالحات ، ومظهره : عمل بالأركان ، وخدمة للديان ، ومسكه : الدعاء والأذكار ، وعنبره : التوبة والاستغفار .

للتوحيد عين وبستان ، وحرس وسلطان ، وسيف وميدان ؛ فعينه : النصوص الواضحة ، وبستانه : الأعمال الصالحة ، وحرسه : الخوف والرجاء ، وسلطانه : واعظ الله في القلب صباح مساء ، وسيفه : الجهاد ، وميدانه : حركات العباد .

وللتوحيد قضاة وشهود ، وأعلام وجنود ، وحدود وقیود ؛ فقضاته : الرسل الكرام ، وشهوده : العلماء الأعلام ، وأعلامه : شعائر الدين ، وجنوده : فيلق من الموحدين ، وحدوده : ما جاء به الخبر ، وصح به الأثر ،

وقيوده : ما ورد من شروط ، للتوحيد المضبوط .

من دعائم التوحيد : عدم صرف شيء من العبادة لغير المعبود ، وتحريم تقديم شيء من لوازم الألوهية لغير الله مما في الوجود ، وركيزته : إخلاص ليس فيه رياء ، وعلامته : إخباط ليس معه ادعاء .

* * *

معجزة إقرآن

قلت في مقدمة كتابي « التفسير الميسر » :

هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ، إنه الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد .

إنه معجزة رسولنا صلى الله عليه وسلم الكبرى الخالدة على مر الدهر .
إنه الهدى والرحمة والنور ، والشفاء لما في الصدور ، إنه الكتاب المبارك المجيد .

إنه الكتاب الذي لا ريب فيه ولا اختلاف ولا تناقض ، إنه الكتاب الذي أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير .

إنه الكتاب الذي هيمن على كل الكتب ، ونسخ ما قبله من الشرائع .
إنه الكتاب الذي بين ما أخفاه أهل الكتاب ، وأظهر ما كتمه أهل الزور ،
وهدم ما شيّده المشركون ، ودفع ما زخرفه المبطلون .

إنه حجة الله على خلقه ، فيه خبر ما قبلنا ، ونبأ ما بعدنا ، وحكم ما بين أيدينا .

هو الجد ليس بالهزل ، حق لا باطل فيه ، وصدق لا كذب يعتريه ، ما كان حديثاً يُفترى ، بل هو أصدق الحديث ، وأحسن القصص ، وأفضل المواعظ ، وأجمل الأخبار ، فيه الصدق في الخبر ، والعدل في الحكم ، والبيان الشافي ، والجواب الكافي ، أنيس الجليس ، وربيع القلب ، ومزيل

الهموم ، ومذهب الغموم ، ومجلي الأحزان ، وصيقل الأذهان ، يُذهب
الشك ، يزيل الوسوس ، يغرس اليقين ، ويقوي الإيمان .

تلاوته عبادة ، وتدبره علم ، والعمل به نجاة ، والتحاكم إليه فوز ،
والاستشفاء به عافية ، لا يُمل على كثرة الترداد ، ولا يُسأم مع التكرار ، غرض
طري ، له حلاوة ، وعليه طلاوة ، يفيض حكمة ، ويشع نوراً ، ويسطع
برهاناً ، رفيق الغربة ، وطارد الوحشة ، فيه العوض من كل أحد ، والعزاء من
كل مفقود ، والسلوة من كل ذاهب .

تُعمّر به الأوقات ، وترفع به الدرجات ، وتنضاعف بتلاوته الحسنات ،
وتمحى بقراءته السيئات .

غرقت في بحار علومه أفكار العلماء ، وأفحم في ميدان سباقه الحكماء ،
وانذهل لروعة بيانه الشعراء ، وأسكت بجلال خطابه العرب العرباء .

عجب منه الجن ، واندهش منه الإنس ، ورُميت عند نزوله الشياطين .
لو خُوطب به الجبل . . لتصدع ، ولو كُلم به الصخر . . لتفجّع ، ولو أُلقي
على الحديد . . لتقطّع .

فيه العبرة والعظة ، والرشد والنصيحة ، والقصة والمثل ، والخبر
والشاهد .

بيان وبرهان ، هدى وفرقان ، رحمة وإيمان ، شافع مُشَفّع ، وناطق
مُصدّق .

خُتِمَ به الكتب ، وصُدِّرت به الخطب ، وبُنيت عليه الأحكام ، وقام عليه
الإسلام ، وتألفت عليه القلوب ، ونقض بنیان الشرك ، وهدم به صرح
الباطل .

هو شرف الأمة ، ووثيقة الملة ، ودليل الهداية ، وسبيل الفلاح ، وباب
الفضيلة ، وحبل العز ، ومفتاح السعادة .

أشرق بيانه فكسفت شمس البلاء ، وقام سوق فصاحته فكسدت أسواق
الأدباء .

نزع جلباب الباطل عن وجوه الملاحدة ، وخلع رداء الزور عن أكتاف
الجبابرة ، أرغم بحجته أنوف الضلال ، ودمغ بصدقه رؤوس الجهال ، كشف
الزيف ، ورفع الحيف ، محفوظ من الزيادة والنقصان ، محروس من التبديل
والتحريف ، معصوم من الزيغ والهوى ، مكتوب في اللوح المحفوظ ، مسطر
في صحف مكرمة ، مرفوعة مطهرة ، بأيدي سفرة ، كرام بررة .

فمن أراد الفوز والنجاة . . فعليه بالقرآن تلاوةً وعملاً ؛ ليصل إلى برّ
الأمان ، ونعيم الجنان ، في جوار الرحمن ، ﴿فَمَنْ آتَبَعَ هُذَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا
يَشْقَى﴾ .

ومن أراد السعادة والفلاح . . فعليه بالقرآن اهتداءً واتباعاً ؛ لينعم بقرّة
العين ، وراحة الروح ، وبهجة النفس ، ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ .
ومن أراد العزة والسمو والمجد . . فعليه بالقرآن اقتداءً وامثالاً ؛ ليحصل
على تاج القبول ، ووسام الشرف ، ومرتبة السيادة والقيادة ، ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ
وَلِقَوْمٍ ۖ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ .

ومن أراد العلم والمعرفة . . فعليه بالقرآن تفقهاً وتدبراً ؛ لينجلي عن
بصيرته كل جهل ، ويزول عن فهمه كل غبش ، ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ
أَقْوَمُ﴾ .

هذا وقد كنت حريصاً منذ أعوام عديدة على العثور على تفسير سهل ،

يجلو لي المعنى المباشر الظاهر من الآية في إيجاز ، فقمْتُ بمصاحبة كثير من التفاسير ، فوجدتُ كل تفسير أحسن في باب ، وأغفل باباً :
فمنهم من قصد التفسير بالمأثور ؛ فأكثر من الأسانيد ، وتكرار الروايات ، فذكر الحديث الضعيف بل الواهي ، فطال الطريق على القارى ، وتشعبت به السبل .

ومنهم من قصد البلاغة والبيان ؛ فأكثر من ذكر أسرار البيان وإعجاز القرآن ، مما قد يكون مقصوداً من الآية أو غير مقصود .
ومنهم من قصد الأحكام ؛ فأكثر من ذكر مسائل الفقه ، وآراء العلماء ، حتى نقل كثيراً من كتب الفقه في تفسيره .

ومنهم من ملأ تفسيره بعلوم أخرى ليست مقصوده ، لكن أقحمها إقحاماً عند كل إشارة ، فذكر في تفسيره الطب ، والكيمياء ، والهندسة ، وغيرها من العلوم .

فكنْتُ أبحث عن تفسير آخر ، تفسير يكشف لي المعنى من أول نظرة ، تفسير يرشدني إلى المراد من الآية ، تفسير يدلني على المقصود ، فسألتُ الله العون والتوفيق على إخراج تفسير ينتفع به كل قارئ لكتاب الله ؛ فمن يطالعه يفهم معنى الآية من أول مرة في يسر وسهولة ، يعينه على معرفة المقاصد والاطلاع على الأسرار - وهذا المقصود من تدبر القرآن - ثم الانطلاق إلى العمل بالقرآن في النفس والحياة ، وتحكيمة على كل تصرف من تصرفات المسلم ، ومرافقته في السفر الطويل إلى جنات النعيم ، ومصاحبته في الرحلة الشاقة إلى يوم الدين ، وحمل هدايته للعالمين ، والقيام بحقوقه على أتم وجه ؛ ليكون قارئه إنساناً سوياً صالحاً ومسلماً مثالياً ، يسعد في الدارين ،

وفيز بالحنين بحياة كريمة راشدة ، وعاقبة طيبة سعيدة في جوار رب كريم .

وهذا تفسير يسير سهل قريب ، قدمت فيه المعاني بأسلوب مفهوم ، ولغة واضحة ، فلا أذكر فيه الآيات المتشابهة بل أبقيا في مواضعها ، وكذلك لا أورد أحاديث ولا آثاراً إلا فيما ندر باختصار ، وقد عرضت عن ذكر الأقوال والخلافات ، وعمدت إلى الراجح والظاهر من الآية ، ولم أورد فيه شواهد شعرية ، ولم أبحث مسائل نحوية ، ولا قضايا لغوية ، ولا وجوه قراءات ، ولا إسرائيليات ، ولا نقولات عن العلماء ، ولا استطرادات ، وإنما اقتصر على زبدة القول ، وخلاصة الكلام .

وربما أذكر بعض الحكم واللطائف والفوائد والأسرار إذا وجدت بإيجاز . وقد التزمت منهج السلف أهل العلم والإيمان ، وجانب مذهب المخالفين لهم .

ولأن القرآن كتاب هداية ورشد ، حرصت على بيان هذا الهدى ، فاطرحت الأقوال الغريبة والشاذة والضعيفة والبعيدة ، وحرصت على القول الصحيح الثابت المشهور .

أسأل الله الحي القيوم أن ينفعني بهذا التفسير ، وينفع به من طالعه ، أو سمعه ، أو طبعه ، أو وزعه ، ويجعله سبباً لي ولهم في نيل رضوانه ، والفوز بسكنى جنانه ، إنه سميع مجيب ، صلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

* * *

من عائض القرني إلى الرئيس نيلسون مانديلا

تحية طيبة أيها الرئيس العظيم :

أنا أحد الملايين في مشارق الأرض ومغاربها ، الذين قرؤوا سيرتك ، وعرفوا جهادك ، وأعجبوا بصمودك ، وتعجبوا من تضحياتك واستبسالك في سبيل مبدئك ، ولأجل حريتك وحرية شعبك ، حتى صرت نجماً في أفق الحرية ، وزعيماً عالمياً في مدرسة النضال ، ومنظراً عبقرياً في دستور حقوق الإنسان .

لقد أخذ الناس منك قصة الكفاح ، واستفادوا منك رواية المجد وأنشودة الإصرار والتحدي ، فصرت أنت أباً لكثير من المستضعفين الذين سلبوا حقوقهم ، واضطهدوا في ديارهم ، وحرّمهم الاستبداد من العيش الكريم ، فرأوا فيك مثلاً حياً ، وقدوة حسنة في الصبر والإصرار والاستمرار ، ورفض الظلم ، ومواصلة البذل والفداء ، حتى تنال الحقوق .

أيها الرئيس العظيم :

إن الإسلام - دين الله الحق - دينٌ عظيم ، يحب العظماء ، ويحترم المبدعين ، ويحيي الشرفاء ، وأنت أحدهم .

إنه دين المساواة ؛ ساوئ بين عمر العربي ، وبلال الحبشي ، وسلمان الفارسي ، وصهيب الرومي .

إنه دين يرفض الظلم ، ويحرّم الاستبداد ، ويُلغي فوارق اللون والجنس

واللغة ، يقول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَنَكُمْ ﴾ .

أيها الرئيس العظيم :

إن الإسلام يحتفي بمثلك من العظماء ؛ لأنه دين يقدر الفضيلة ، ويعظم الصبر ، ويحث على العدل ، وينشد السلام ، وينشر الرحمة ، ويدعو إلى الإخاء .

أيها الرئيس العظيم :

لقد حصلت على المجد الدنيوي ، ونلت الشرف العالمي ، وأحرزت وسام التضحية ، ولبست تاج الحرية ، فأضف إلى ذلك : الظفر بطاعة الله وبالإيمان به ، واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا يكون ذلك إلا بالإسلام ، فأسلم تسلم ، أسلم تنل العز في الدنيا والآخرة ، والفوز في الأولى والثانية ، والنجاة من عذاب الله .

أسلم - أيها الرئيس العظيم - لتحريك الأرض والسماء ، ويرحب بك مليار ومئتا مليون مسلم ، وتفتح لك أبواب الجنة .

أيها الرئيس العظيم :

إنك مكسب للإسلام ، ورصيد للمسلمين ، وما أجملها أن تنطلق من فمك كلمة الحق والعدل والسلام والحرية : (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ، وهي أصدق جملة أنزلها الله على الإنسان ، وهي سر سعادة الإنسان ونجاته وفرحه ونصره .

أيها الرئيس العظيم :

كلما قابلت في بلاد الإسلام علماء وزعماء وأدباء وحكماء .. قالوا : ليت (نيلسون مانديلا) مسلم ، فأرجوك وآمل منك أن تعلنها قوية مدوية خالدة

(لا إله إلا الله محمد رسول الله) ، حينها سوف يصفق لك عبادُ الله في القارات الست ، وتحريك مكة ، وتفتح لك الكعبة أبوابها ، وتشد منابر المسلمين باسمك الجميل .

أنت صبرت في الزنزانة سبعاً وعشرين سنة حتى كسرت القيد ، وانتصرت على الظلم ، وسحقت الطاغوت ، فسطرُ بإسلامك ملحمةً من الإيمان ، وقصةً من الشجاعة ، وصورةً رائعةً من صور البطولة .

أيها الرئيس العظيم :

والله ؛ لقد وجدنا في الإسلام - نحن المسلمين - قيمة الإنسان وكرامته ، وذقنا حلاوة الإيمان ولذة الطاعة ، ومتعة العبودية لله ، وشرف السجود له ، ومجد اتباع رسوله ، ولأنك عزيز علينا ، أثير في نفوسنا - لتاريخك المشرق - فنحب أن تشاركنا هذه الحياة السعيدة في ظل الإسلام ، والفرصة الغامرة في رحاب الدين الخالد .

أيها الرئيس العظيم :

إن المثل العليا التي تدعو لها سوف تجدها مجتمعةً في الإسلام ، والرحمة التي يخفق قلبك بها سوف تلمسها في الإسلام ، والعدل الذي تدعو إليه سوف تسعد به في الإسلام .

إن الإسلام يحب الصابرين وأنت صابر ، ويحترم الأذكياء وأنت ذكي ، ويبجل العقلاء الأسوياء وأنت عاقل سوي ، ويحتفي بالشجعان وأنت شجاع .

أيها الرئيس العظيم :

لقد عشتُ معك أياماً جميلة عبر مذكراتك : « رحلتي الطويلة من أجل الحرية » ، فوجدتُ ما بهرني من عظمتك وصبرك وبسالتك ، فقلت : ليت

هذا الإنسان الفاضل الألمعي مسلم ، ووالله ؛ لا أجد ديناً يستأهلك وتستأهلكه
غير الإسلام ، ولا أعرف مبدأ يكرم مثلك إلا الإسلام ؛ لأنه دين الفطرة ،
يشرح الصدر ، ويخاطب العقل ، ويهذب النفس ، ويزكي الأخلاق ، ويكرم
الإنسان ، ويعمر الكون .

أيها الرئيس العظيم :

أنا أخاطبك من مكة ، من جوار الكعبة ؛ حيث نزل القرآن ، وبُعث محمد
صلى الله عليه وسلم ، وأشرقت شمس الرسالة ، وكُسر الصنم ، وحُطّم
الطاغوت ، وأُعلنت حقوق الإنسان ، وأُلغي الاستبداد ، ونُشر العدل
والسلام .

يقول ربنا وربك - جل في علاه - : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ
لِلْإِسْلَامِ ﴾ .

أيها الرئيس العظيم :

إن الحياة قصيرة متعبة ، فما بالك إذا كانت حياة مثلك من العظماء ؛ إذ
قضيت ما يقارب النصف من عمرك مظلوماً مسجوناً ، وهناك حياة الأبد
والخلود في حياة النعيم التي ينالها المؤمنون بالله المتبعون لرسله ، وأرجو ألا
تفوتك هذه السعادة والفوز ، وكما يقول الفيلسوف الشهير ديكارت : (إن
الحياة مسرحية رأينا المشهد الأول ، مشهد الظالم والمظلوم ، والغالب
والمغلوب ، والقوي والضعيف ، فأين المشهد الثاني الذي يكون فيه
العدل ؟ !) ، فأجابه علماء المسلمين بقولهم : (المشهد الثاني هو يوم
الحساب في الآخرة ، يوم تُنصب محكمة العدل ؛ إذ لا حاكم إلا الله ؛ ليوفّي
كلّ نفس بما كسبت ، ويحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون) .

وفي الختام أسعد بأن أهديك كتابي « لا تحزن » : (DON'T BE SAD)
لعلك تجد فيه إجماع العلماء والحكماء العباقرة على أن السعادة في الإسلام .
أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يشرح صدرك - أيها الرئيس -
للإسلام .
وتقبل تحيات المسلمين رجالاً ونساءً وشيوخاً وأطفالاً في كل أصقاع
الأرض .
وتقبل تحياتي .

الدكتور عائض عبد الله القرني

* * *

الرسالة الهزليّة

هذه الرسالة بعث بها ابن زيدون على لسان ولادة بنت المستكفي لابن عبدوس الذي كان ينافسه في حبها .

أما بعد : أيها المصاب بعقله ، المورط بجهله ، البين سقطه ، الفاحش غلظه ، العاثر في ذيل اغتراره ، الأعمى عن شمس نهاره ، الساقط سقوط الذباب على الشراب ، المتهافت تهافت الفراش في الشهاب ؛ فإن العجب أكذب ، ومعرفة المرء نفسه أصوب ، وإنك راسلتي مستهدياً من صلتي ما صفرت منه أيدي أمثالك ، متصدياً من خلتي ما قرعت دونه أنوف أشكالك ، مرسلًا خليلتك مرتادة ، مستعملاً عشيقتك قوادة ، كاذباً نفسك أنك ستنزول عنها إلي ، وتخلف بعدها علي .

وَلَكُنْتُ بِأَوَّلِ ذِي هِمَّةٍ دَعْتُهُ لِمَا لَيْسَ بِالنَّائِلِ
ولا شك أنها قلتك إذ لم تضن بك ، وملتك إذ لم تغر عليك ؛ فإنها أعذرت في السفارة لك ، وما قصرت في النيابة عنك ، زاعمة أن المروءة لفظ أنت معناه ، والإنسانية اسم أنت جسمه وهيولاه ، قاطعة أنك انفردت بالجمال ، واستأثرت بالكمال ، واستعليت في مراتب الجلال ، واستوليت على محاسن الخلال ، حتى خلت أن يوسف عليه السلام حاسنك فغضضت منه ، وأن امرأة العزيز رأتك فسلت عنه .

وأن قارون أصاب بعض ما كنزت ، والنطفَ عثر على فضل ما ركزت ،

وكسرى حمل غاشيتك ، وقصر رعى ماشيتك ، والإسكندر قتل داريوس في طاعتك ، وأردشير جاهد ملوك الطوائف لخروجهم عن جماعتك ، والضحاك استدعى مسالمتك ، وجذيمة الأبرش تمنى منادمتك ، وشيرين قد نافست بوران فيك ، وبلقيس غايرت الزباء عليك ، وأن مالك بن نويرة إنما ردف لك ، وعروة بن جعفر إنما رحل إليك ، وكليب بن ربيعة إنما حمى المرعى بعزتك ، وجساساً إنما قتله بأنفتك ، ومهلهاً إنما طلب ثأره بهمتك ، والسموأل إنما وفى عن عهدك ، والأحنف إنما احتبى في بردك ، وحاتماً إنما جاد بوفرك ، ولقي الأضياف ببشرك ، وزيد بن مهلهل إنما ركب بفخذيك ، والسُّليك ابن السُّلكة إنما عدا على رجليك ، وعامر بن مالك إنما لاعب الأُسنة بيديك ، وقيس بن زهير إنما استعان بدهائك ، وإياس بن معاوية إنما استضاء بمصباح ذكائك ، وسحبان إنما تكلم بلسانك ، وعمر بن الأهتم إنما سحر ببيانك .

وأن الصلح بين بكر وتغلب تم برسالتك ، والحمالات بين عبس وذبيان أسندت إلى كفالتك ، وأن احتيال هَرم بن سنان لعلقمة وعامر حتى رضيا كان عن إشارتك ، وجوابه لعمر وقد سأل عن أيهما كان ينفر وقع عن إرادتك .
وأن الحجاج تقلد ولاية العراق بجذك ، وقتيبة فتح ما وراء النهر بسعدك ، والمهلب أوهن شوكة الأزارقة بأيذك ، وفرق ذات بينهم بكيدك .

وأن هرمس أعطى بليнос ما أخذ منك ، وأفلاطون أورد على أرسطاطاليس ما نقل عنك ، وبطليموس سوى الإسطراب بتديرك ، وصور الكرة على تقديرك ، وأبقراط علم العلل والأمراض بلطف حسك ، وجالينوس عرف طبائع الحشائش بدقة حدسك ، وكلاهما قلذك في العلاج ، وسألك عن

المزاج ، واستوصفك تركيب الأعضاء ، واستشارك في الداء والدواء .

وأنت نهجت لأبي معشر طريق القضاء ، وأظهرت جابر بن حيان على سر الكيمياء ، وأعطيت النظام أصلاً أدرك به الحقائق ، وجعلت للكندي رسماً استخرج به الدقائق .

وأن صناعة الألحان اختراعك ، وتأليف الأوتار والأنقار توليدك وابتداعك .

وأن عبد الحميد بن يحيى باري أقلامك ، وسهل بن هارون مدون كلامك ، وعمرو بن بحر مستمليك ، ومالك بن أنس مستفتيك .

وأنت الذي أقام البراهين ، ووضع القوانين ، وحد الماهية ، وبين الكيفية والكمية ، وناظر في الجوهر والعرض ، وميّز الصحة من المرض ، وفك المعنى ، وفصل بين الاسم والمسمى ، وضرب وقسم ، وعدل وقوم ، وصنف الأسماء والأفعال ، وبوب الظرف والحال ، وبنى وأعرب ، ونفى وتعجب ، ووصل وقطع ، وثنى وجمع ، وأظهر وأضمر ، واستفهم وأخبر ، وأهمل وقيد ، وأرسل وأسند ، وبحث ونظر ، وتصفح الأديان ، ورجح بين مذهبي ماني وغيلان ، وأشار بذبح الجعد ، وقتل بشار بن برد .

وأنت لو شئت خرقت العادات ، وخالفت المعهودات ، فأحلت البحار عذبة ، وأعدت السلام رطبة ، ونقلت غداً فصار أمساً ، وزدت في العناصر فكانت خمساً ، وأنت المقول فيه : « كل الصيد في جوف الفرا » .

وَلَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَكْرٍ أَنْ يَجْمَعَ أَلْعَالَمَ فِي وَاحِدٍ

والمعنى بقول أبي تمام :

فَلَوْ صَوَّرْتَ نَفْسَكَ لَمْ تَزِدْهَا عَلَى مَا فِيكَ مِنْ كَرَمِ الطَّبَاعِ

والمراد بقول أبي الطيب :

ذَكَرَ الْأَنَامُ لَنَا فَكَانَ قَصِيدَةً كُنْتُ الْبَدِيعَ الْفَرْدَ مِنْ أَوْبَاتِهَا

فكدمت في غير مكدم ، واستسمنت ذا ورم ، ونفخت في غير ضرم ، ولم
تجد لرمح مهزا ، ولا لشفرة محزا ، بل رضيت من الغنيمة بالإياب ، وتمنيت
الرجوع بخُفي حنين ؛ لأنني قلت :

* لَقَدْ هَانَ مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الشَّعَالِبُ *

وأنشدت :

عَلَى أَنَّهَا الْأَيَّامُ قَدْ صِرْنَ كُلُّهَا عَجَائِبَ ، حَتَّى لَيْسَ فِيهَا عَجَائِبُ

ونخرت وكفرت ، وعبست وبسرت ، وأبدأت وأعدت ، وأبرقت
وأرعدت .

* هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكَذْتُ وَلَيْتَنِي *

ولولا أن للجوار ذمة ، وللضيافة حرمة .. لكان الجواب في قذال
الدُّمُسْتَقِ ، والنعل حاضرة إن عادت العقرب ، والعقوبة ممكنة إن أصر
المذنب .

وهبها لم تلاحظك بعين كليلة عن عيوبك ، ملؤها حببها ، حسنٌ فيها من
تود ، وكانت إنما حلتك بخلاك ، ووسمتك بسيماك ، ولم تعرك شهادة ،
ولا تكلفت لك زيادة ، بل صدقت سنُّ بكرها فيما ذكرته عنك ، ووضعت
الهناء مواضع النقب بما نسبته إليك ، ولم تكن كاذبةً فيما أثنت به عليك ،
فالمعيدي تسمع به خير من أن تراه .

هجين القذال ، أرعن السبال ، طويل العنق والعلاوة ، مُفْرَط الحمق
والغباوة ، جافي الطبع ، سيء الإجابة والسمع ، بغيض الهيئة ، سخي

الذهاب والجيئة ، ظاهر الوسواس ، متن الأنفاس ، كثير المعايب ، مشهور
المثالب ، كلامك متممة ، وحديثك غمغمة ، وبينك فهفهة ، وضحكك
قهقهة ، ومشيك هرولة ، وغناك مسألة ، ودينك زندقة ، وعلمك مخرقة .

مَسَاوِ لَوْ قُسِمْنَ عَلَى الْغَوَانِي لَمَّا أُمِّهَرْنَ إِلَّا بِالطَّلَاقِ
حتى إن باقلاً موصوفٌ بالبلاغة إذا قرن بك ، وهَبَّغَةً مستحق لاسم العقل
إذا أضيف إليك ، وطُويساً مأثور عن يمن الطائر إذا قيس عليك ، فوجودك
عدم ، والاعتباط بك ندم ، والخيبة منك ظفر ، وجنة الدنيا معك سقر .

كيف رأيت لؤمك لكرمي كفاء ، وَضَعَتَكَ لشرفي وفاء ، وأني جهلت أن
الأشياء إنما تنجذب إلى أشكالها ، والطير إنما تقع على أَلَفِّها ، وهلا علمت
أن الشرق والغرب لا يجتمعان ، وشعرت أن المؤمن والكافر لا يتقاربان ،
وقلت : الخبيث والطيب لا يستويان ، وتمثلت :

أَيُّهَا الْمُنْكَحُ الْثَرِيَّا سُهَيْلًا عَمْرُكَ اللَّهُ ، كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ ؟!
وذكرت أنني علقٌ لا يباع فيمن زاد ، وطائرٌ لا يصيده من أراد ، وغرض
لا يصيبه إلا من أجاد ، ما أحسبك إلا كنت قد تهيأت للتهنئة ، وترشحت
للفتنة ، ولولا أن جرح العجماء جبار . . للقيت من الكواعب ما لاقى يسار ،
فما هم إلا بدون ما هممت به ، ولا تعرض إلا لأيسر ما تعرضت .
أين ادعاؤك رواية الأشعار ، وتعاطيك حفظ السير والأخبار ، أما ثاب لك
قول الشاعر :

بُنُو دَارِمٍ أَكْفَاؤُهُمْ أَلْ مِسْمَعِ وَتُنْكَحُ فِي أَكْفَائِهَا الْحَبَطَاتُ
وهلا عشت ولم تغترا ! وما أشك أنك تكون وافد البراجم ، أو ترجع
بصحبة المتملس ، أو أفعل بك ما فعله عقيل بن عُلْفَةَ بالجهمي حين أتاه

خاطباً ، فدهن استه بزيت ، وأدناه من قرية النمل .

ومتى كثر تلاقينا ، واتصل ترائينا ، فيدعوني إليك ما دعا ابنة الخس إلى
عندها من طول السواد ، وقرب الوساد!

وهل فقدت الأرقام فأنكح في جنبٍ ؟! أو عضلني همام بن مرة فأقول :
زوج من عود ، خير من قعود ؟!

ولعمري لو بلغت هذا المبلغ . . لارتفعت عن هذه الحطة ، ولا رضيت
بهذه الخطة ، فالنار ولا العار ، والمنية ولا الدنية ، والحرّة تجوع ولا تأكل
بنديها .

فَكَيْفَ وَفِي أَبْنَاءِ قَوْمِي مَنْكَحُ وَفَتَيَانِ هِزَّانَ الطَّوَالِ الْغَرَانِقَةِ
ما كنت لأتخطى المسك إلى الرماد ، ولا أمتطي الثور بعد الجواد ، وإنما
يتيمّم من لم يجد ماء ، ويرعى الهشيم من عدم الجميم ، ويركب الصعب من
لا ذلول له ، ولعلك إنما غرك من علمت صبوتي إليه ، وشهدت مساعفتي له ،
من أعمار العصر ، وريحان المصر ، الذين هم الكواكب علوهم ، والرياض
طيب شيم .

مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقْلًا : لَأَقِيْتُ سَيِّدَهُمْ مِثْلُ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِي بِهَا السَّارِي
فحنّ قدح ليس منها ، ما أنت وهم ؟ وأين تقع منهم ؟ وهل أنت إلا
(واو) عمرو فيهم ، وكالوشيفة في العظم بينهم ؟! وإن كنت إنما بلغت قعر
تابوتك ، وتجافيت عن بعض قوتك ، وعطرت أردانك ، وجررت هميانك ،
واختلت في مشيتك ، وحذفت فضول لحيتك ، وأصلحت شاربك ، ومططت
حاجبك ، ورفعت خط عذارك ، واستأنفت عقد إزارك ؛ رجاء الاكتنان
فيهم ، وطمعاً في الاعتداد منهم ، فظننت عجزاً ، وأخطأت استك الحفرة .

والله ؛ لو كساك مُحرق البردين ، وحلّتك مارية بالقرطين ، وقلدك عمرو الصمصامة ، وحملك الحارث على النعامة . . ما شككت فيك ، ولا سترت إياك ، ولا كنتَ إلا ذاك .

وهبك ساميتهم في ذروة المجد والحسب ، وجاريتهم في غاية الظرف والأدب ، ليس تأوي إلى بيت قعيدته لكاع ؛ إذ كلهم عزب خالي الذراع ! وأين من انفرد به ممن لا أغلب إلا على الأقل الأخس منه ! وكم بين من يعتمدني بالقوة الظاهرة ، والشهوة الوافرة ، والنفس المصروفة إلي ، واللذة الموقوفة علي ، وبين آخر قد نضب غديره ، ونزحت بيره ، وذهب نشاطه ، ولم يبق إلا ضراطه !

وهل يجتمع لي فيك إلا الحَشَف وسوء الكيلة ، ويقترن علي فيك بك إلا الغدة والموت في بيت سلولية ؟!

تَعَالَى اللَّهُ يَا سَلَمُ بْنُ عَمْرِو أَذَلَّ الْحِرْصُ أَغْنَاكَ الرَّجَالَ
ما كان أخلقك بأن تقدر بذراعك ، وتربع على ضلعك ، ولا تكن براقش الدالة على أهلها ، وعز السوء المستثيرة لحتفها ، فما أراك إلا سقط العشاء بك على سرحان ، وبك لا بظبي أعفر ، أعذرت إن أغنيت شيئا ، وأسمعت لو ناديت حيّا .

إِنَّ أَلْعَصَا قَرَعَتْ لِذِي الْحِلْمِ وَالشَّيْءَ تَحْقِرُهُ وَقَدْ يُنْمِي
وإن بادرت بالندامة ، ورجعت على نفسك بالملامة . . كنت قد اشتريت العافية لك بالعافية منك ، وإن قلت : « جعجة بلا طحن » ، و« رب صلف تحت الراعدة » ، وأنشدت :

لَا يُؤْيِسُنَّكَ مِنْ مُخَدَّرَةٍ قَوْلُ تَغْلُظُهُ وَإِنْ جَرَحَا

فعدت لما نهيت عنه ، وراجعت ما استعفيت منه . . بعثت من يزعجك إلى
الخضراء دفعا ، ويستحثك نحوها وكزاً وصفعا .

فإذا صرت إليها . . عبث أكاروها بك ، وتسلب نواطيرها عليك ، فمن
قرعة معوجة تقوم في قفاك ، ومن فجلة منتنة يرمى بها تحت خصاك ، ذلك بما
قدمت يداك ؛ لتذوق وبال أمرك ، وترى ميزان قدرك .

فَمَنْ جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ رَأَى غَيْرَهُ مِنْهُ مَا لَا يَرَى

* * *

عاصمة الدنيا

قال الراوي: قد أظهرت لنا يقين الحديث وشكّة ، فحدثنا عن مكّة ، قلنا: مكّة هي المهبط ، والمسقط ، والمربط ، والأوسط ؛ فهي مهبط القرآن ، ومسقط ميلاد سيد ولد عدنان ، ومربط خيول أهل الإيمان ، وأوسط البلدان .

مكّة قلب المعمورة ، على الحسن مقصورة ، وفي حجال المجد مستورة ، أذن بها الخليل ، وسُحق بها أصحاب الفيل ، بالطير الأبائيل ، اختارها علام الغيوب ، فهي مهوى القلوب ، وملتقى الدروب ، وقبله الشعوب ، هي أرض ميلاد الرسالة والرسول ، كان لجبريل بها صعود ونزول ، منها ارتفع الإعلان والأذان والقرآن والبيان ، أذن منها بلال بن رباح ، وسُلت فيها السيوف ، وامتشقت الرماح ، وأُعلن فيها التوحيد ، وهو حق الله على العبيد ، وهي أول أرض استقبلت الإسلام ، وحطمت الأصنام .

بها بيت الملك الأجل ، والكعبة التي طاف بها الرسل ، سوادها من سواد المقل ، وهي أرض السلام ، وقبله الأنام ، يَفِدُّ إليها المحبون ، على رواحلهم يخبون ، ويتّجه إليها المصلون ، ويقصدها المهلّون .

فهي قبلة القلوب ، وأمنية الشعوب ، وراحة الأرواح ومنطلق الإصلاح ، على ثراها نزلت الهداية ، ومن رباها كانت البداية ، على رمالها مُزقت الطغاة ، وعلى ترابها سُحقت البغاة ، ومن جبالها هبت نسائم الحرية ، ومن وهادها كان فجر الإنسانية .

على بساط مكة ولد العرفان ، وأكرم الضيفان ، ومن مغانيها رضع
الشجعان ، وفي بطحائها هاشم وابن جُعدان .

في مكة تثور شجون الحب ، وتضجّ بلابل القلب ، فيها التأريخ يتكلّم ،
والدهر يتبسّم ، والذكريات تتداعى ، والأمنيات تُقبل تباعاً ، هنا غمغمات
السيول ، وصهيل الخيول ، وتنحنح السادات ، وتزاحم القادات ، إقبال
وفود ، وانطلاق جنود ، وتزاحم حشود ، وارتفاع بنود ، هدى وضلالة ، علم
وجهالة ، وهنا كرم وبسالة ، وَخِيّ ورسالة ، عالم يمور بالعبر ، ديوان يزخر
بالسير ، دفتر للعظماء ، سجل للشرفاء .

في مكة رؤوس بالأنفة متزاحمة ، وجيوش للثأر متلاطمة ، أفكار
وحضارات ، ونواد ومحاضرات ، سير وسمر ، في ضوء القمر ، أنباء
وأخبار ، قصص وأشعار ، حتى كان النبأ العظيم ، وهو الرسول الكريم ،
فيصغر بعده كل خبر ، وينسى من جاء ومن غبر ، فهو أعظم أثر ، جاءت به
السير .

يوم بُعث استدار له الزمان ، وأنصت له الثقلان ، وتشاغلت به الأقلام ،
ورحبت به الأيام ، وأنصت له الأنام ، فهو ابن مكة البار ، وبطلها المغوار ،
ورسولها المختار .

إذا أقبلت على البلد الحرام . فتذكّر ذاك الإمام ، عليه الصلاة والسلام .

مكة تذكرك البأساء والنعماء ، والنور والظلماء ، والسعادة والشقاء .

مكة كتاب مفتوح ، وسِفْر مشروح ، يجمع بين أحاديث النجاة
والخسران ، والكفر والإيمان ، والعدل والطغيان .

تذكرك مكة الشرك الكالح ، والجهل الفاضح ، والوهج اللافح ، يوم

كانت الأوثان تُقدَّس ، والأصنام تؤسس ، تسجد لها النفوس الخاوية ،
والعقول الجافية ، يوم غاب الرشد ، وأفلَّ السعد ، وغرب الميثاق والعهد ،
يوم كان الإنسان كالبهيمة ، بلا قيمة ، والقلب في شباك الجريمة ، وفي
ظلمات وخيمة .

وتذكرك مكة يوم انفجر الفجر ، وارتفع الذكر ، ومُحِق الكفر ، يوم
أنصت الدنيا بأذن سميعة ، وأقبل الدهر بخطأ سريعة ، وانتفض الكون للكلمة
الخالدة ، واهتز العالم بالدعوة الراشدة ، لا إله إلا الله ، لا معبود بحق
سوى الله ، لا بقاء إلا لله .

وتذكرك مكة بالوحي وهو يتنزل ، والقرآن وهو يُرتل ، وجبريل الروح ،
يغدو ويروح ، وباب الرحمة المفتوح ، والعطاء الرباني الممنوح .

فيا لها من ذكريات يهتز لها الجسم ذرة ذرة ، ويقوم لها الرأس شعرة
شعرة .

ويا لها من صيحة دَوّت في العالم فاستيقظ بها كل نائم ، واهتدى بها كل
هائم .

ويا له من خبر طرق الكون فَصَحَا ، ومَحَق الشرك ومحا .

توقف الزمان منصتاً ، وسُلَّ سيف الجهاد مصلتاً .

التعبير يخون ، والنفس فيها شجون ، والذاكرة بالصور مؤارة ، ونور
الحديث قد نصب في القلب منارة .

إذا ذكرت مكة ذُكر غار حراء ، والشرية الغراء ، والوحي والإسراء ،
فكأنَّ التأريخ حضر ، وكأنَّ الزمان اختصر ، وكأنَّ الدنيا كلها في مكة
محصورة ، وكأنَّ الأيام في أجفان مكة مقصورة .

مكة ملاعب الصبا والشباب ، لصاحب السنة والكتاب ، فيها مسقط رأسه ، وفضاء أنفاسه ، فيها مراتعه ، ومرابعه ، ومهاجعه .

كيف نعبر عن أشواقنا ، وقد سافر حبه في أعماقنا ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم أملنا المنشود ، ومجدنا المحمود .

وعلىٰ رمضاء مكة ثار وجراح ، وعويل وصياح ، حيث عذب بلال بن رباح ، أما تقرأ علىٰ الرمضاء ، ما كتبه الدموع والدماء ، يقرؤها كل عالم وجاهل ، وقل جاء الحق وزهق الباطل ، تفجّع صارخ يصعد إلى السماء ، وصيحاتٌ ثائرة تشق الظلماء ، أحدٌ أحد ، فرد صمد ، علىٰ رغم من كفر وجحد ، تطلق هذه القذائف حنجره بلال ، فتهتز بها الجبال ، وتنتفض منها التلال .

وعلىٰ جبين مكة قبلات المحبين ، وفي جوفها زجل المسبحين ، وفي عينيها آية للسائلين ، مكة أم الخلفاء الراشدين ، مكة بلد العابدين ، وميدان المجاهدين ، وعرين الفاتحين ، وجامع الموحدين ، ومدرسة الحكام العادلين . إذا قربت من مكة . . فتهيأ للدخول ، واستعد للنزول ، والبس الإحرام ، عند عناق البيت الحرام ؛ لأنك سوف تلج بيت الديان ، ومحط العرفان ، ودار الرضوان .

هنا المسلك الأرشد ، والمحل الأسعد ، والحجر الأسود ، هنا المقام الكريم ، والمطاف العظيم ، وزمزم والحطيم .

هنا العابدون والساجدون ، والعاكفون ، والقائمون ، والمستغفرون .

هنا تسكب العبرات ، وتهمل الدمعات ، وتنبعث الآهات ، وتصعد الزفرات .

هنا تُغسل النفس من الأدران ، ويتخلّص القلب من الأحزان ، وتنطلق الروح من العصيان .

هنا ترمى الجمرات ، وتحط الغدرات ، وتخلع الفجرات ، وتغسل السيئات .

هنا يتجرد من الثياب ، ويتهيا للحساب ، فحبذا هذه الرحاب ، وطوبى لهذه الشعاب .

هنا تناخ المطايا ، وتُحطّ الخطايا ، وتكثر العطايا .

هنا السرور قد تم ، والشمل قد التم ، وذهب الهم والغم .

* * *

دار الحجرة

لما وصلنا المدينة ، والنفس لمن في الروضة مدينة .. قلت : سلام
يا طيبة ، لما رأيْنَاكَ .. ذهبت الخيبة ، لحبك أيتها الدار ، سال الدمع
المدرار .

لمن ندخر الشجون ، لمن نخبىء الدمع الهتون ، هذا وقت البكاء
يا محب ، هذه لحظة الشوق يا قلب .

المدينة تنفي خبثها ، وينصع طيبها ، ويطمئن ساكنها ، ويرتاح حبيبها .
إذا أتيت طيبة .. فأعط قلبك من التذكر نصيبه ، هنا المحراب ، حيث كان
يصلي فيه من أنزل عليه الكتاب ، هنا المنبر ، فتذكر يوم كان يرقاه صاحب
الجبين الأزهر ، هنا المسجد ، فالشوق يتجدد ، إذا علم أنه مصلى محمد ،
هنا الروضة الخضراء ، يرقد بها من جاء بالشرعية الغراء ، هنا أحد جبل يحبنا
ونحبه ، وهنا قباء يؤنسنا قربه .

المدينة هي محط موكب النبوة ، وبها كان للإسلام قوة ، منها سطعت
شمس السُّنة ، وفيها تمت المنة ، وهي المدينة التي نصرت المختار ، بسيف
الأنصار ، بها حكم الشيخان ، وولد السبطان ، وعاش السعدان ، وترعرع
الزيدان ، وأنشد الشاعران ، كعب وحسان .

إذا دخلت المدينة .. فتذكر صاحب الملة السمحاء ، والطريقة البيضاء ،
هنا مسكنه ومنامه ، وممشاه وقيامه ، ورمحه وحسامه ، وشرابه وطعامه .

من المدينة خرج لبدر بجنوده ، وزحف إلى أحد في حشوده ، ومن المدينة
بعث للملوك رسائله ، وعلم الناس فضائله .

هي بيت ضيافته ، ودار خلافته ، في كل مكان منها له ذكريات ، وفي كل
موضع له علامات .

المدينة تذكرك ببكاء أبي بكر في الصلاة ، وورعه وتقواه ، لو وضع
الصخر على بساطه . . لكاد أن يذوب ، ولو زجر الشيطان بنصحه . . لأوشك
أن يتوب .

جمع الفضائل كأنه يسوقها بعصاه ، وحبُّ له في القلوب ، فلو أشار
للجيش هيا إلى الموت . . لما عصاه .

والمدينة تذكرك بالدولة العُمرية ، وتلك المناقب الأثرية ، عدل صار في
العالم قصة ، وترك في حلق كل جبار غُصة ، وزهد يقول له الزهد : لا نستطيع
معك صبرا ، وورع يقول له القلب : لا نعصي لك أمرا .

عمر بن الخطاب ، سَلَّ عنه المحراب ، بكاء فيه وتفجّع ، ونحيب
وتوجّع . وإذا بصاحب هذه الدموع الأسرة ، يهز بهيبته القياصرة والأكاسرة ،
معه بردة مرقعة ، وحذاء مقطّعة ، ثم تخفق قلوب الملوك على وقع حذائه ،
وينام العدل على طرف ردائه .

والمدينة تذكرك بالوقوفات الإيمان ، في الحشايا العثمانية ، والمعاهد
العفانية ، طُهر يغتسل في نهره ماء الغمام ، وحياء يصيد بوداعته وُرق
الحمام ، وسخاء تُضرب به الأمثال ، وتَعجز عن مجاراته الرجال .

والمدينة تذكرك بسيف الله المتّضئ ، وعبد المَرْضئ ، علي بن
أبي طالب أبي الحسن ، الخطيب اللسن ، ناصر الدين والسنن ، بطل الأبطال

حيدرة ، هازم الكفرة ، وصاحب السيرة العطرة .

إذا قالت روما : عندنا من الملاحم فصول ، وقالت باريس : عندنا ديغول ، وقالت لندن : عندنا العالم المأهول . . فإن المدينة تقول : عندنا الرسول .

حي دار الهجرة ، وميدان النصر ، وأرض الشهداء ، وجامعة العلماء .
في ثرى المدينة سيد الشهداء ، حمزة المقدم ، وغسيل الملائكة الكرام ،
ومن كلمه الرحمن ، وحفظه القرآن ، وزيد بن ثابت إمام الفرائض ،
وحسان بن ثابت شاعر الردود والنقائض ، وأبي بن كعب صاحب الذكر
الحكيم ، وفيها من اهتز له العرش العظيم .

في المدينة ذكرى أبي ذر ، وهو يقول الحق المُر ، يدفع الباطل بزنده ،
ويرد الدنيا بزهده ، وفيها ذكرى بلال وهو يرسل صوته في سماء الوجدانية ،
وفضاء العبودية ، ومعناه : تعالوا إلى ربكم أيها العباد ، وذروا الجاه والأموال
والأولاد .

وذكرى أنس بن مالك خادم رسولنا ، كلما قيل : من لهذا العمل ؟ قال :
أنا ، فينال بشرف خدمة المعصوم ، ما لا يناله أشراف أهل الدنيا لجلالة
المخدوم .

وذكرى سعيد بن المسيّب ، الولي المقرّب ، ينهل الناس من مورد علمه ،
ويعب العباد من نهر فهمه .

وذكرى مالك بن أنس ، إذا تربع على كرسي العلم وجلس . . فكأن مجد
الدنيا اختصر في تلك الساعة ، يوم تجتمع عظمة العلم وعظمة الطاعة .
وأعظم منقبة للمدينة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يسكن في

سويداء قلبها ، ويستولي على حبّها ، وهذا سر مكانتها وقربها .

يكفي المدينة فخراً ، أن أجلّ البشر ، وسيد البدو والحضر ، شرب ماءها ، واستنشق هواءها ، وارتدى سماءها ، وصافح ضيائها .

يكفي المدينة جلالة على مدن المعمورة ، تلك المناقب الماثورة ، وأجلّها مشي الحبيب على ثراها ، وتنقله بين قراها .

كلما طافت عينك على رباعها ، وهام قلبك في بقاعها . . ناداك منادي الذكريات ، يقول للأحياء والأموات : هنا محمد سجد ، هنا محمد قعد ، هنا محمد رقد ، جلس في هذا المكان ، عبر هذه الوديان ، هرول في هذا الميدان ، نظر إلى هذه الجبال ، رقى هذه التلال ، شرب من هذا الماء الزلال ، زار هذه الدار ، نام تحت هذه الأشجار ، مضى من فوق هذه الأحجار .

يا أيتها النخيل الباسقات ؛ ربما مر بكن صاحب المعجزات ، والصفات الباهرات ، فهل من حديث يستفاد ، وهل من ذكريات تعاد ؟

إن كنت تمدح المدينة بسمو قصورها ، وارتفاع دورها ، وعظمة جبالها ، وكثرة تلالها . . فقد غلطت في الثناء ، وقصّرت في واجب الوفاء .

إن للمدينة أسراراً ، وإن لها أخباراً .

المدينة تخاطب القلوب قبل العيون ، وتستثير الدفين من الشجون ؛ لأن ترابها يحتفظ في ذاكرته بمشاهد تذوب لها الأرواح ، ولا يمحوها مرور الرياح .

على ترابها آثار أقدام المختار ، وبصمات تنقله في تلك الديار ، وعلى ثراها دموع الأبرار ، ودماء الأخيار ، وفي سمائها تسبيحات المهاجرين والأنصار .

للمدينة صفحتان : صفحة الفرح ، و صفحة الأحزان .
فصفحة الفرح بها معالم النبوة الطاهرة ، وتلك الانتصارات الباهرة ، نفرح
إذا ذكرنا بركات الرسالة ، ومواقف التضحيات والبسالة .
ونفرح إذا عشنا المعاني الإيمانية ، والنفحات الروحانية ، والمشاهد
القرآنية .

ونفرح إذا تذكرنا كيف انتصر الحق المبين ، ودفع الباطل المهين ، وكيف
استقبلت تلك القلوب أنوار الهداية ، وكيف انتهى الكفر إلى غير رجعة هذه
النهاية .

ولكننا نحزن يوم فارق الحياة أكرم الأحياء ، ويوم انتقل إلى دار البقاء أجلُّ
الأتقياء .

ونحزن لموت الصديق ، صاحب العهد الوثيق .
ونحزن إذا ذكرنا عمر الفاروق وهو بالخنجر يمزق ، ودمه على ثيابه
يتدفق .

ونحزن يوم ذُبح عثمان ، بسكين العدوان .
نحزن إذا ذكرنا ذهاب ذاك الجيل القرآني الفريد ، وذاك القرن المبارك
المجيد ، وتلك الطائفة الزاكية الراشدة ، وتلك الجماعة الخيرة القائدة .
فصلى الله وسلم على من تشرفت به تلك الأرض ، صاحب المقام
المحمود يوم العرض .

عليه الصلاة والسلام ، ما هب نسيم الأسحار ، وسرى حديث السمار .
عليه الصلاة والسلام ، ما تمتم ماء ، وهب هواء ، وشعّ ضياء ، وارتفع
سواء .

عليه الصلاة والسلام ، ما حنّ إلف ، وأوماً طرف ، وما ذرّ شارق ،
وما لمع بارق ، وما دام سعد ، ودوى رعد ، وحل وعد ، وحفظ عهد .
عليه الصلاة والسلام ، ما خط قلم ، وزال ألم ، ودامت نعم ، وزالت
نقم ، وعلى آله وصحبه الكرام ، ما دام في الأرض إسلام ، والسلام .

* * *

في ظلال القرآن

قال سيد قطب في مقدمة كتابه « في ظلال القرآن » :

الحياة في ظلال القرآن نعمة ، نعمة لا يعرفها إلا من ذاقها ، نعمة ترفع العمر وتباركه وتزكيه .

والحمد لله ؛ لقد منَّ علي بالحياة في ظلال القرآن فترة من الزمان ، ذقت فيها من نعمته ما لم أذق قط في حياتي ، ذقت فيها هذه النعمة التي ترفع العمر وتباركه وتزكيه .

لقد عشت أسمع الله سبحانه يتحدث إلي بهذا القرآن ، أنا العبد القليل الصغير ، أي تكريم للإنسان هذا التكريم العلوي الجليل ؟ أي رفعة للعمر يرفعها هذا التنزيل ؟ أي مقام كريم يتفضل به على الإنسان خالقه الكريم ؟

وعشت - في ظلال القرآن - أنظر من علو إلى الجاهلية التي تموج في الأرض ، وإلى اهتمامات أهلها الصغيرة الهزيلة ، أنظر إلى تعجب أهل هذه الجاهلية بما لديهم من معرفة الأطفال ، وتصورات الأطفال ، واهتمامات الأطفال ، كما ينظر الكبير إلى عبث الأطفال ، ومحاولات الأطفال ، ولشغة الأطفال ، وأعجب ما بال هذا الناس ؟! ما بالهم يرتكسون في الحمأة الوبيثة ، ولا يسمعون النداء العلوي الجليل ، النداء الذي يرفع العمر ويباركه ويزكيه ؟

عشت أتملى - في ظلال القرآن - ذلك التصور الكامل الشامل الرفيع النظيف للوجود ، لغاية الوجود كله ، وغاية الوجود الإنساني ، وأقيس إليه تصورات

الجاهلية التي تعيش فيها البشرية ، في شرق وغرب ، وفي شمال وجنوب ، وأسأل : كيف تعيش البشرية في المستنقع الآسن ، وفي الدرك الهابط ، وفي الظلام البهيم ، وعندها ذلك المرتع الزكي ، وذلك المرتقى العالي ، وذلك النور الوضيء ؟!

وعشت - في ظلال القرآن - أحس التناسق الجميل بين حركة الإنسان كما يريد الله ، وحركة هذا الكون الذي أبدعه الله ، ثم أنظر فأرى التخبط الذي تعانيه البشرية في انحرافها عن السنن الكونية ، والتصادم بين التعاليم الفاسدة الشريرة التي تملأ عليها ، وبين فطرتها التي فطرها الله عليها ، وأقول في نفسي : أي شيطان لئيم هذا الذي يقود خطاها إلى هذا الجحيم ؟ يا حسرة على العباد!

وعشت - في ظلال القرآن - أرى الوجود أكبر بكثير من ظاهره المشهود ، أكبر في حقيقته ، وأكبر في تعدد جوانبه ، إنه عالم الغيب والشهادة لا عالم الشهادة وحده ، وإنه الدنيا والآخرة ، لا هذه الدنيا وحدها ، والنشأة الإنسانية ممتدة في شعاب هذا المدى المتطاوّل كله إنما هو قسط من ذلك النصيب ، وما يفوته هنا من الجزاء لا يفوته هناك ، فلا ظلم ولا بخس ولا ضياع ، على أن المرحلة التي يقطعها على ظهر هذا الكوكب إنما هي رحلة في كون حي مانوس ، وعالم صديق ودود ؛ كون ذي روح تتلقّى وتستجيب ، وتتجه إلى الخالق الواحد الذي تتجه إليه روح المؤمن في خشوع : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلُمًا لَهُمْ بِالْغَدُوِّ وَالْأَصَالِ ﴾ ، ﴿ نَسِجَ لَهُ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضَ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ ، أي راحة ، وأي سعة ، وأي أنس ، وأي ثقة يفيضها على القلب هذا التصور الشامل الكامل الفسيح الصحيح ؟!

وعشت - في ظلال القرآن - أرى الإنسان أكرم بكثير من كل تقدير عرفته البشرية من قبل للإنسان ومن بعد ، إنه إنسان بنفخة من روح الله : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُمُ سَجِدِينَ ﴾ ، وهو بهذه النفخة مستخلف في الأرض : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ ، ومسخر له كل ما في الأرض : ﴿ وَسَخَّرْنَا لَكُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ ، ولأن الإنسان بهذا القدر من الكرامة والسمو جعل الله الآصرة التي يتجمع عليها البشر هي الآصرة المستمدة من النفخة الإلهية الكريمة ، جعلها آصرة العقيدة في الله ، فعقيدة المؤمن هي وطنه ، وهي قومه ، وهي أهله ، ومن ثم يتجمع البشر عليها وحدها ، لا على أمثال ما تتجمع عليه البهائم من كلاً ومرعى وقطيع وسياج .
والمؤمن ذو نسب عريق ، ضارب في شعاب الزمان ، إنه واحد من ذلك الموكب الكريم ، الذي يقود خطاه ذلك الرهط الكريم : نوح ، وإبراهيم ، وإسماعيل ، وإسحاق ، ويعقوب ، ويوسف ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، ﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ .

هذا الموكب الكريم ، الممتد في شعاب الزمان من قديم ، يواجه - كما يتجلى في ظلال القرآن - مواقف متشابهة ، وأزمات متشابهة ، وتجارب متشابهة على تطاول العصور ، وكر الدهور ، وتغير المكان ، وتعدد الأقوام ، يواجه الضلال والعمى ، والطغيان والهوى ، والاضطهاد والبغي ، والتهديد والتشريد .

ولكنه يمضي في طريقه ثابت الخطو ، مطمئن الضمير ، واثقاً من نصر الله ، متعلقاً بالرجاء فيه ، متوقفاً في كل لحظة وعد الله الصادق الأكيد : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى

إِلَيْهِمْ رُبُّهُمْ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلِ الْغَاطِمِينَ * وَلَسْتُ بِمَعْنَكُمْ الْأَرْضُ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ .

موقف واحد ، وتجربة واحدة ، وتهديد واحد ، وبقين واحد ، ووعد واحد للموكب الكريم ، وعاقبة واحدة ينتظرها المؤمنون في نهاية المطاف ، وهم يتلقون الاضطهاد والتهديد والوعيد .

الحياة في ظلال القرآن

وفي ظلال القرآن تعلمت أنه لا مكان في هذا الوجود للمصادفة العمياء ، ولا للفلتة العارضة : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْتُهُ بِقَدَرٍ ﴾ ، ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرُهُ فَقْدِيرًا ﴾ ، وكل أمر لحكمة ، ولكن حكمة الغيب العميقة قد لا تتكشف للنظرة الإنسانية القصيرة : ﴿ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ ، ﴿ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

والأسباب التي تعارف عليها الناس قد تتبعها آثارها وقد لا تتبعها ،
والمقدمات التي يراها الناس حتمية قد تعقبها نتائجها وقد لا تعقبها ؛ ذلك أنه
ليست الأسباب والمقدمات هي التي تنشئ الآثار والنتائج ، وإنما هي الإرادة
الطليقة التي تنشئ الآثار والنتائج كما تنشئ الأسباب والمقدمات سواء : ﴿ لَا
تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾ ، ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ ، والمؤمن
يأخذ بالأسباب لأنه مأمور بالأخذ بها ، والله هو الذي يقدر آثارها ونتائجها ،
والاطمئنان إلى رحمة الله وعدله وإلى حكمته وعلمه هو وحده الملاذ الأمين ،
والنجوة من الهواجس والوساوس : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ

بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهِ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ .

ومن ثم عشت - في ظلال القرآن - هادىء النفس ، مطمئن السريرة ، قرير الضمير ، عشت أرى يد الله في كل حادث وفي كل أمر ، عشت في كنف الله وفي رعايته ، عشت أستشعر إيجابية صفاته تعالى وفاعليتها ، ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ ، ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ ، ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ، ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ اللَّهُ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾ ، ﴿ فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ ﴾ ، ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ ﴾ ، ﴿ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ﴾ ، ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾ ، ﴿ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ ﴾ ، ﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ .

إن الوجود ليس متروكاً لقوانين آية صماء عمياء ؛ فهناك دائماً وراء السنن الإرادة المدبرة ، والمشئمة المطلقة ، والله يخلق ما يشاء ويختار ، كذلك تعلمت أن يد الله تعمل ، ولكنها تعمل بطريقتها الخاصة ، وأنه ليس لنا أن نستعجلها ، ولا أن نقترح على الله شيئاً .

فالمنهج الإلهي - كما يبدو في ظلال القرآن - موضوع ليعمل في كل بيئة ، وفي كل مرحلة من مراحل النشأة الإنسانية ، وفي كل حالة من حالات النفس البشرية الواحدة ، وهو موضوع لهذا الإنسان الذي يعيش في هذه الأرض ، آخذ في الاعتبار فطرة هذا الإنسان وطاقاته واستعداداته ، وقوته وضعفه ، وحالاته المتغيرة التي تعتريه ، إن ظنه لا يسوء بهذا الكائن فيحتقر دوره في الأرض ، أو يهدر قيمته في صورة من صور حياته ، سواء وهو فرد أو وهو عضو في جماعة ، كذلك هو لا يهيم مع الخيال فيرفع هذا الكائن فوق قدره

وفوق طاقته وفوق مهمته التي أنشأه الله لها يوم أنشأه ، ولا يفترض في كلتا الحالتين أن مقومات فطرته سطحية تنشأ بقانون ، أو تكشف بجرة قلم .

الإنسان هو هذا الكائن بعينه ، بفطرته وميوله واستعداداته ، يأخذ المنهج الإلهي بيده ليرتفع به إلى أقصى درجات الكمال المقدر له بحسب تكوينه ووظيفته ، ويحترم ذاته وفطرته ومقوماته ، وهو يقوده في طريق الكمال الصاعد إلى الله .

ومن ثم فإن المنهج الإلهي موضوع للمدى الطويل - الذي يعلمه خالق هذا الإنسان ومنزل هذا القرآن - ومن ثم لم يكن معتسفاً ولا عجولاً في تحقيق غاياته العليا من هذا المنهج ، إن المدى أمامه ممتد فسيح ، لا يحده عمر فرد ، ولا تستحته رغبة فان ، يخشى أن يعجله الموت عن تحقيق غايته البعيدة ؛ كما يقع لأصحاب المذاهب الأرضية الذين يعتسفون الأمر كله في جيل واحد ، ويتخطون الفطرة المتزنة الخطا ؛ لأنهم لا يصبرون على الخطو المتزن ! وفي الطريق العسوف التي يسلكونها تقوم المجازر ، وتسيل الدماء ، وتتحطم القيم ، وتضطرب الأمور ، ثم يتحطمون هم في النهاية ، وتتحطم مذاهبهم المصطنعة تحت مطارق الفطرة التي لا تصمد لها المذاهب المعتسفة ! فأما الإسلام .. فيسير هيناً ليناً مع الفطرة ، يدفعها من هنا ، ويردعها من هناك ، ويقومها حين تميل ، ولكنه لا يكسرها ولا يحطمها ، إنه يصبر عليها صبر العارف البصير الواثق من الغاية المرسومة ، والذي لا يتم في هذه الجولة يتم في الجولة الثانية أو الثالثة أو العاشرة أو المئة أو الألف ؛ فالزمن ممتد ، والغاية واضحة ، والطريق إلى الهدف الكبير طويل .

وكما تنبت الشجرة الباسقة ، وتضرب بجذورها في التربة ، وتتطاوّل

فروعها وتشابك.. كذلك ينبت الإسلام ويمتد في بطاء وعلى هينة وفي طمأنينة ، ثم يكون دائماً ما يريد الله أن يكون ، والزرعة قد تسقى عليها الرمال ، وقد يأكل بعضها الدود ، وقد يحرقها الظمأ ، وقد يغرقها الري ، ولكن الزارع البصير يعلم أنها زرة للبقاء والنماء ، وأنها ستغالب الآفات كلها على المدى الطويل ؛ فلا يعتسف ولا يقلق ، ولا يحاول إنضاجها بغير وسائل الفطرة الهادئة المتزنة ، السمحة الودود ، إنه المنهج الإلهي في الوجود كله ، ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ .

والحق في منهج الله أصيل في بناء هذا الوجود ، ليس فلتة عابرة ، ولا مصادفة غير مقصودة ، إن الله سبحانه هو الحق ، ومن وجوده تعالى يستمد كل موجود وجوده : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ ، وقد خلق الله هذا الكون بالحق لا يتلبس بخلقه الباطل : ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ ، ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ﴾ .

والحق هو قوام هذا الوجود ، فإذا حاد عنه.. فسد وهلك : ﴿وَلَوْ أَتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ ، ومن ثم فلا بد للحق أن يظهر ، ولا بد للباطل أن يزهد ، ومهما تكن الظواهر غير هذا.. فإن مصيرها إلى كشف صريح : ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ .

* * *

واسلم مع سليمان لله رب العالمين

ما مر من قديم الزمان ، مُلك كملك سليمان ؛ فقد عُلِمَ منطق الطير بلا ترجمان ، وقد اجتمعت في غيبته الحيوانات والطيور ، في يوم فرح وسرور ، وهناء وحبور ، فقالت البهائم للأسد : أيها الأمير ؛ اجلس على السرير ؛ فإنك أبونا الكبير ، فتربع جالساً ، ثم سكت عابساً ، فخاف الجميع ، وأصبحوا في موقف فظيع .

فقام الحمار ، أبو المغوار ، فقال : يا حيدرة ؛ سكوتك ما أنكره ! فقال الأسد : يا حمار البلد ، يا رمز الجلد ، سكُتْ ؛ لأن الثعلب غاب ، وقسماً لو حضر . . لأغرزن في رأسه الناب .

فقام الذئب يتكلم وهو خطيب مصيب ، فقال للأسد : يا أبا أسامة ؛ إن الثعلب قليل الكرامة ، عديم الشهامة ، فليتك تورده الندامة ، فهو لا يستحق السلامة .

وكان أحد التيوس مع الجلوس ، فانسل إلى الثعلب ، فوجده يلعب ، فقال : انتبه أيها الصديق ، فالكمين في الطريق ، إن الأسد يتوعدك بالذبح ، فاجتهد معه في الصلح .

فقال الثعلب : فمن الذي دهاني عنده ، وغير عليّ وده ؟ قال التيس : هو عدوك وعدوي ، الذي في وادٍ يدوي ، هو الذئب الغادر ، صاحب الخيانة الفاجر .

قال الثعلب : أنا الداهية الدهياء ، لأنثرن لحمه في العراء .
فلما حضر الثعلب إلى الأسد ، ودخل مجلسه وقعد . قال أبو أسامة ،
والثعلب أمامه : ما لك تأخرت يا بليد ؟ تالله إن الموت أقرب إليك من جبل
الوريد .

قال الثعلب : مهلاً أبا أسامة ، أبقاك الله للزعامة ، سمعت أنك مريض ،
فذهبت إلى البلد العريض ، ألتمس لك دواء ، جعله الله لك شفاء .
قال : أحسنت ، وسهلت عليّ الأمر وهونت ، فماذا وجدت ؟
قال : وجدت أن علاجك في كبد الذئب مع حفنة من زبيب .
فقال الأسد للذئب : أمرك عجيب ، وشأنك غريب ، علاجي لديك ،
وقد سبق أن شكوت عليك ؟

فلما دنا الذئب واقترب . . سحبه الأسد فانسحب ، فخلع رأسه ، وقطع
أنفاسه ، ثم سلخ لبده ، وأخرج كبده .
فصاح الغراب ، وهو فوق بعض الأخشاب : يا أبا أسامة ؛ ما تترك الظلم
والغشامة .

فرد عليه الأسد : اسكت سَدَّ الله فاك ، أنسيت أنك قتلت أخاك ، ودفتته
في تراب ، ما أقبحك من غراب ، وتالله لأقتلنك مع الهدهد .
قال الهدهد : يا ظلوم يا غشوم يا مشؤوم ؛ أنا الذي دل على بلقيس
يا خسيس ، وجئت سليمان ملك الإنس والجان ، نبأ من سبأ ، وحملت
الرسالة في بسالة ، ودعوت للتوحيد ، وهو حق الله على العبيد ، فبلقيس
أسلمت بسببي ، وحسبي معروف ونسبي .

فأعرض أبو أسامة ، وقطع كلامه ، وإذا بحية لها فحيح ، أقبلت تصيح ،

قد ذبل شعر رأسها وشاب ، وما بقي لها إلا ناب .

فقال الأسد : من بالباب ؟

قالت الحية : أنا أم الجلباب .

فقال : ما اسمك يا حية ، وما معك من قضية .

قالت : اسمي لس ، وخبري على ظاهر فقس ، أنا كنت أسكن في قرية من قرى فلسطين ، رأسي في الماء ، وذنبي في الطين ، فعصى أهل القرية خالقهم ، وكفروا رازقهم ، فساكني إليهم ، وسلطني عليهم ، فقذفت في بيرهم من سمي زعافاً ، فماتوا آلافاً ، وهلكوا أصنافاً ، وردم الله عليهم القرية ؛ لأنهم أهل فرية .

فلما ملك سليمان . . اختفت القرية عن العيان ، فأراد أن يرى القرية رأي العين ، فاستدعى الرياح في ذلك الحين .

فقال للريح الشمالية : هبي قوية ، وأخرجي لنا تلك البئر المطوية ، والقرية المنسية .

قالت : يا نبي الله ؛ أنا أضعف من ذلك بكثير ، أنا خلقتني ربي لتلقيح الثمار ، بقدرة القدير .

فقال للغربية : أنت ما زلت فتية ، فهبي على هذه الدار ؛ لنرى ما تحتها من الآثار .

قالت : يا نبي الله ؛ أنا خلقتني ربي لتلطيف الهواء ، وتبريد الماء ، ولكن عليك بالدبور ؛ فإنها التي أهلكت كل كفور .

فقال سليمان : أيتها الدبور ؛ بأسك مشهور ، وبطشك مذكور ، فأخرجي لنا القرية المنكوبة ؛ لنرى كل أعجوبة ، فهبت ولها هدير ، وزلزلة وصرير ،

فاقتلعت التراب والحجر ، ونسفت الشجر ، حتى خرجت القرية واضحة المعالم ، كل شيء فيها قائم ، فوجد الحية في البئر ، بناب واحد صغير ، فسمى القرية باسم البئر وناب الحية ، فصار اسمها (نابلس) كما في السيرة المروية .

فقال الأسد للحمامة : يا أم يمامة ؛ حدثينا عن ملك سليمان ، فلن يملك أحد مثله إلى يوم القيامة ، قالت : حباً وكرامة ، يا أيها الهزير ؛ ليس الخَبَرُ كالخُبَرِ ، اعلم أنه ما أصبح يُفرح بالملك بعد سليمان ؛ لما أعطاه الله من الملك والسلطان ، ملك الإنس والجان ، والطير والحيوان ، وكلم الوحوش بلا ترجمان ، بنيت له القصور من القوارير ، ونحتت له من الجبال المقاصير ، وخزنت له في البحر القناطير ، وسخر الله له الرياح ، تحمله كل صباح ، فملكه فوق ما يصفه الواصفون ، ولا يعلم ذلك إلا العارفون .

ثم مرت النملة تقفز قفزاً ، وتهمز همزاً ، وهي تقول : أما علمتم بخبري المنقول ؟ أنا التي كلمها سليمان ، وأعطاه الأمان ، وسجلت قصتي في القرآن ، أما قلت للنمل : ادخلوا مساكنكم ، واحفظوا أماكنكم .

ثم مر الكلب ، رمز السلب والنهب ، فقال : يا جماعة ؛ اسمعوا مني ساعة ، فأنا مقصود بالمدح والهجاء ، وما زالت الأشراف تهجو وتمدح كما ذكر صاحب الإنشاء ، فأنا أصيد الصيد ، وأقيده ب قيد ، وحفظي للبيت شديد ، وبأسي لصاحبي شديد ، لكنني دائماً بخس محدث ، كما ورد إن تحمل عليه يلهث ، فلي إصابات وغلطات ، والحسنات يذهب السيئات ، فلا تظنوا أنني آية في الخساسة ، ومضرب المثل في النجاسة ، بل هناك أنجس

مني - وهذه فائدة خذها عني - من ترك العمل بلا علم ، وأعرض عن التقوى
بعد الفهم ، وأسرف في الظلم .

ثم انفض المجلس وقد امتلأت بالأنس الأنفس .

واعلم أيها الملهم : أن سليمان أعظم من ملك من بني الإنسان ، وصاحب

أقصر رسالة في الحديث والقديم : ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ ﴾ .

* * *

وصايا

وصية أبي بكر الصديق رضي الله عنه :

أوصى أبو بكر الصديق عمر بن الخطاب رحمه الله حين استخلفه فقال :
إني مستخلفك ، وأوصيك بتقوى الله يا عمر ، إن الله عملاً بالليل لا يقبله
بالنهار ، وعملاً بالنهار لا يقبله بالليل .

واعلم أنه لا تقبل نافلة حتى تؤدي الفريضة ، وأنه إنما ثقلت موازين من
ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق ، ويحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق
أن يكون ثقيلاً ، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم
الباطل في الدنيا ، ويحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفاً .

إن الله جل ذكره ذكر أهل الجنة بحسن أعمالهم ، وتجاوز عن سيئاتهم ،
فإذا ذكرتهم . . فقل : إني لأخاف ألا أكون من هؤلاء ، وذكر أهل النار بسوء
أعمالهم ، فإذا ذكرتهم . . فقل : إني لأرجو ألا أكون من هؤلاء .

وذكر آية الرحمة مع آية العذاب ؛ ليكون العبد راغباً راهباً لا يتمنى على الله
غير الحق ، ولا يُلقي بيده إلى التهلكة ، فإن حفظت وصيتي . . فلا يكونن
غائب أحب إليك من الموت ، ولست بمعجزه .

وصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

دعا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند موته عبد الله بن عمر فقال : أي
بني ؛ إذا قام الخليفة بعدي . . فائته ، فقل : إن عمر يقرأ عليك السلام ،

ويوصيك بتقوى الله لا شريك له ، ويوصيك بالمهاجرين الأولين خيراً ؛ أن تعرف لهم سابقتهم ، ويوصيك بالأنصار خيراً ؛ أن تقبل من محسنهم وتتجاوز عن مسيئهم ، ويوصيك بأهل الأمصار خيراً ؛ فإنهم غيظ العدو ، وجبة الفيء ، لا تحمل فيئهم إلا عن فضل منهم ، ويوصيك بأهل البادية خيراً ؛ فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام ؛ أن تأخذ من حواشي أموالهم فترد على فقرائهم ، ويوصيك بأهل الذمة خيراً ؛ أن تقاتل من ورائهم ، ولا يكلفوا فوق طاقتهم .

وصية علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

قال جندب : دخلت على علي بن أبي طالب أسأل عنه حين ضربه ابن ملجم لعنه الله ، فقلت ولم أجلس لمكان ابنة له دخلت عليه وهي مستترة ، فدعا الحسن والحسين رحمهما الله فقال : إني أوصيكما بتقوى الله ، ولا تبغيا الدنيا وإن بغتكما ، ولا تبكيا على شيء منها زوي عنكما ، قولا الحق ، وارحما اليتيم ، وأعيننا الضالع ، واصنعا للآخرة ، وكونا للظالم خصماً ، وللمظلوم عوناً ، ولا تأخذكما في الله لومة لائم .

ثم نظر إلى ابن الحنفية فقال له : فهمت ما أوصيت به أخويك ؟ قال : نعم ، قال : أوصيك بمثله ، وأوصيك بتوقير أخويك ، وتزيين أمرهما ، ولا تقطع أمراً دونهما ، ثم قال : وأوصيكما به ؛ فإنه شقيقكما ، وابن أبيكما ، وقد علمتما أن أباه كان يحبه فأحياه .

وقال جندب بن عبد الله لما حضرته الوفاة : أوصيكم بتقوى الله وبالقرآن ؛ فإنه نور الليل المظلم ، وهادي النهار ، فاعلموا واعملوا به على ما كان من

جهد وفاقه ، فإن عظم بلاء.. . فقدم مالك دون نفسك ، فإن جاوز البلاء.. .
فقدم مالك ونفسك دون دينك ، واعلم أن المحروب من حرب دينه ،
والمسلوب من سلب دينه ، واعلم أنه لا غنى بعد النار ، ولا فقر بعد الجنة ،
وأن النار لا يفك أسيرها ، ولا يستغني فقيرها .

ولما حضرت الوفاة عمر بن هبيرة.. . جزع وجعل يقول : الله در البغلات
المسرجات الواقفات بأبواب السلطان ، والله ؛ لوددت أني كنت راعي إبل مئة
لرجل سيىء الملكة .

ولما احتضر إبراهيم بن يزيد النخعي.. . جزع جزعاً شديداً ، وجعل
يقول : نفسي أعز الأنفس علي ، فقليل له : يا أبا عمران ؛ أتجزع هذا الجزع
من الموت ؟ فقال : وأي غرر أعظم مما أنا فيه ، إنما أتوقع رسولاً من ربي إما
بجنة وإما بنار .

* * *

لابد من صنعاء

دخلنا صنعاء ، بعد ما قرأنا الدعاء ، فقال أهل اليمن : أنت من ؟ قلت : النسبة أزدية ، والملة محمّدية ، قالوا : انزل غير بئس ، ولا تعيس ؛ فإن منكم القرني أويس ، قلنا : كفاكم قول من جاء بالشرائع الإيمانية ، حيث يقول : « الإيمان يمان ، والحكمة يمانية » ، قالوا : صلى الله عليه وسلم كلما فاح ورد ، وثار وجد ، وتلي حمد ، وحلّ سعد ، قلنا : كيف الحال ؟ يا معاشر الأقبال ، يا أهل الخطب الطوال ، يا أصحاب البديهة والارتجال ، ويا رواد الأشعار والأزجال .

وقد قلت فيكم المدائح ، التي سالت بها القرائح ، وحفظها عنكم التأريخ ، فوصل بها مجدكم المريخ ، أنسيتم ما ذكره في مدحكم الهمداني ، وما سجله في مجدكم صاحب الديباج الخسرواني ، أليس ينسب إليكم السيف الهندواني ، وسمي باسمكم ركن البيت اليماني ، وسهيل أحد النجوم الدواني ، ومنكم محدث العصر الأمير الصنعاني ، والعلامة الرباني الإمام الشوكاني ، وتاج العلماء الكوكباني ، وسيد الأولياء أبو إدريس الخولاني ، ومفتي الديار العلامة العمراني ، وابن الدبيع الشيباني ، وشيخ الشيوخ الأرياني ، والقاضي أحمد الحضرائي ، وخطيب الخطباء البيحاني ، وأستاذ الإعجاز الزنداني ؟!

وقد أثنى عليكم شيخ الإسلام ابن تيمية الحرّاني ، لما شرح حديث :

«الإيمان يمانى» ، ومجدكم ابن رجب بالفقه في المعاني ، وحسبكم مدح الرسول العدناني ؛ فإنه خصّكم بعلم الحكمة في المثاني .

ومنكم شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم حسان ، وملك العرب النعمان ، وخطيب الدنيا سحبان ، ومنكم سيف بن ذي يزن في غمدان .

منكم الأوس والخزرج ، والملكان الحارث والأعرج ، وعمر بن معدي كرب المقدام المدجج ، ومنكم الملكة بلقيس ، وأسماء بنت عميس ، وأبو موسى عبد الله بن قيس ، وعلى ألسنتكم تسيل القوافي ، وفي ضيافتكم تشبع العوافي ، بديهتكم سريعة ، وذاكرتكم بديعة ، وفيكم الفصاحة والصباحة ، والسماحة والملاحة ، ودعا لكم المعصوم فقال : « اللهم ؛ بارك لنا في يماننا » ، وأقول : ووفق أهل صنعانا وعدننا .

وقد ذكر الذهبي في « النبلاء » ، في سيرة همام بن منبه أحد العلماء : أن رجلاً من قريش ، صاحب سفاهة وطيش ، قال لأحد أهل اليمن ، واليماني ثقة مؤتمن : ما فعلت عجوزكم ؟ قال : عجوزنا بلقيس أسلمت مع سليمان لله رب العالمين ، وعجوزكم يا قرشي حمالة الحطب دخلت النار مع الداخلين ، فغلب القرشيّ وأفحمه ، وفي كل كرب أقحمه .

وقد رفعتم رؤوس العرب ، لما انتصر سيف بن ذي يزن وغلب ، على أبرهة حامل الكذب ، فزارتكم الوفود بما فيهم عبد المطلب ، فأشاد بكم أمية بن أبي الصلت في لامية عصماء ، أبهى من نجوم السماء .

وأطعتم معاذ بن جبل ، ورفعتموه في المحل الأجل ، ونصرتهم علي بن أبي طالب ، صاحب المناقب والمواهب ، وقتلتهم الكذاب الأسود العنسي ، فصار في التاريخ المنسي .

ومنكم المقدم يوم القادسية ، الذي سحق الجموع الفارسية .
وانتم أرق الأمة قلوباً ، وأقلها عيوباً ، وأطهرها جنوباً ، وفيكم سكينه
ووقار ، وفقه واعتبار .

ومنكم أولياء وأبرار ، وكفاكم أن منكم الأنصار ، مع تواضع فيكم
وانكسار ، ومنكم مؤلف « الأزهار » ، وصاحب « السيل الجرّار » ، ومدبج
الغظمم التّيار ، ومنكم المحقق الشهير ، والمجتهد الكبير ، أعني ابن
الوزير ، صاحب « العواصم والقواصم » و« الروض الباسم » .

خطيبكم إذا تكلم . . بز الخطباء ، وأسرها وسحرها ، فإما منّا بعد وإما
فداء ، وشاعركم إذا حضر . . غلب الشعراء ، وصارت أفئدتهم من الذهول
هواء ، الضاد بأرضكم ميلادها ، والعروبة عندكم أولادها ، والحميريّة أنتم
أحفادها .

عندكم الجبال ، والجمال ، والسحر الحلال ، والبلاغة في الأقوال ، مع
سلامة صدور ، وبعد عن الكبر والغرور ، وخفة أرواح ، ودعابة ومزاح ،
وقدرة على الحفظ ، وسبك اللفظ ، وجودة خاطر ، بكل لذيذ عاطر ، مع
بسمه وبشاشته ، ونفوس بالحب جيّاشة .

عانقت جبالكم السحاب ، واحتضن شجركم الضباب ، وقبل ريحانكم التراب ،
ونادت غدرانكم : ﴿ اَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُعْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ ، كأن بُنْكُمْ إذا مُزج بالهيل ،
وخلط بالزنجبيل . . فيض من السلسيل ، كأنه يقول للشاربين : جئتكم من سبيل بني
يقين ، وبأرضكم الأقحوان ، يضاحك الريحان ، ويلبل البستان ، كأنه يتكلم
بلسان ، في كل صباح يصيح ، كأنه خطيب فصيح ، من دخل روضكم ظن أنه في
أيوان كسرى ، يسري به النسيم ، فسبحان من أسرى .

طَلَعَ الزهر بها كأنه جُمان ، ولو سار بأرضها سليمان . . لسار بترجمان ،
تباكرها الصبا الشمالية ، لا شرقية ولا غربية ، فيا أنصار الرسالة في قديم
الزمان ، أنتم أنصارها الآن ، فعضوا على التوحيد بالنواجذ ، فأنتم الأبطال
الجهابذ ، وانصروا سنة المختار ، في تلك الديار ، وانهجوا نهج السلف ؛
فإنكم نعم الخلف ، وارفعوا للملة العلم ؛ فمن يشابه أباهُ فما ظلم ، ففيكم
علماء وعباد ، ولكم نوافل وأوراد ، وتديُنُكم سريع ، وفهمكم بديع .

سلام على شوكان ، ورحمة الله على إريان ، وبركاته على كوكبان ،
ومغفرته على عمران ، وتحياته على خولان ، وفضله على همدان ؛ لأن
التفسير الصحيح شوكاني ، والشعر المليح إرياني ، والخطاب الفصيح
كوكباني ، والعقل الرجيع عمراني ، والوجه الصبيح خولاني ، والكف السميع
همداني .

وصرف الله النقم ، عن جبل نُقم ؛ لأنه أنتج لنا ابن الوزير ، صاحب
التحبير والتحرير .

اليمن مشتق من الإيمان ؛ لأنهم صدّقوا بالرسالة ، وأظهروا البسالة ،
وأكرموا رسول الرسول ، وقابلوه بالقبول ، وجمعوا بين المعقول والمنقول .
واليمن مشتق من اليُمن ؛ لأنه كان ميموناً بجنوده ، معيناً بحشوده .
واليمن مشتق من الأمانة ؛ لأن أهلها رجاله ، فدوا الملة بالنفوس ،
وقدموا للشرعية الرؤوس .

واليمن مشتق من اليمين ، فهم يمينه كتائب الجهاد ، ساعة الجلال ،
بالسيوف الحداد .

إذا رأيت من ينتقص اليمن . . فاعلم أنه يستحق التوبيخ ؛ لأنه يجهل

روى الطبراني ، عن الرسول العدناني ، في مدح المدد اليماني : « إن نفس ربكم من اليمن » ؛ لأنهم أهل نجدة وفطن .

اليمن بلد الأقيال ، والجبال ، والجمال ، والجلال .

فالأقيال : طردوا الأحابيش ، وهزموا كل جيش ، والجبال : صدّت الغزاة المحاربين ، ودمّرت الإنجليز الكاذبين ، والجمال : رسائل سحر من الطبيعة ، في حجاب الشريعة ، والجلال : إيمان في قوة ، وعلم مع فتوة .
تعانق في اليمن التاريخ والجغرافيا ، عناقاً كافياً شافياً ، وتصافح بها الفقه والحديث ، والقديم والحديث .

إذا سال عليّ « حقائق الأزهار » « السيل الجرار » . . ظهر لك أهل التقليد وحملة الآثار ، وإذا أردت الدليل ، عليّ فضل هذا البلد الجليل . . فعليك بـ « الإكليل » .

واعلم أنني ما أسرفت في المديح بل قصرت ، وما طولت في الثناء بل اختصرت ، وكفى لأهل اليمن مدح المصطفى ، وإنما أردنا أن نكتب في ديوان الوفاء ، وفي سجل الصفاء .

* * *

أُتوال

في كتاب « الكشكول » للبهاء العاملي :

قال هَرَم بن حيان : أتيت أويس القرني ، فقال لي : ما جاء بك ؟ فقلت :
جئت لآنس بك ، فقال أويس : ما كنت أرى أحداً يعرف ربه فيأنس بغيره .
وقال بعض التجار : مررت ببلاد المغرب على طبيب والمرضى بين يديه
وهو يصف لهم علاجهم ، فتقدمت إليه وقلت : عالج مرضي يرحمك الله ،
فتأمل في وجهي ساعة ثم قال : خذ عرق الفقر ، وورق الصبر ، مع إهليلج
التواضع ، واجمع الكل في إناء اليقين ، وصب عليه ماء الخشية ، وأوقد
تحتة نار الحزن ، ثم صفه بمصفاة المراقبة في جام الرضا ، وامزجه
بشراب التوكل ، وتناوله بكف الصدق ، واشربه بكأس الاستغفار ،
وتمضمض بعده بماء الورع ، واحتّم عن الحرص والطمع ؛ فإن الله يشفيك
إن شاء .

تُنافِسُ فِي الدُّنْيَا غُرُوراً وَإِنَّمَا قُصَارَى غِنَاهَا أَنْ يَعُودَ إِلَى الْفَقْرِ
وَإِنَّا لَفِي الدُّنْيَا كَرَكِبِ سَفِينَةٍ نَظْنُ وَقُوفاً وَالزَّمانُ بِنَا يَجْرِي
قال بعض العباد : خرجت يوماً إلى المقابر ، فرأيت البهلول ، فقلت :
ما تصنع هنا ؟ قال : أجالس قوماً لا يؤذوني ، وإن غفلت عن الآخرة .
يذكروني ، وإن غبت . . لم يغتابوني .

وقيل لبعض المجانين وقد أقبل من المقبرة : من أين جئت ؟ فقال : من

هذه القافلة النازلة ، قيل : ماذا قلت لهم ؟ قال : قلت لهم : متى ترحلون ؟ فقالوا : حين تقدمون .

كان بعض أهل الكمال يقول : إذا رأيت الليل مقبلاً .. فرحت ، وأقول : أخلو بربي ، وإذا رأيت الصبح قريباً .. استوحشت ؛ كراهة لقاء من يشغلني عن ربي .

قال أبو الربيع الزاهد لداوود الطائي : عظمي ، فقال : صُم عن الدنيا ، واجعل فطرك على الآخرة ، وفرّ من الناس فرارك من الأسد .

وكان بعض أصحاب الحال يقول : يا إخوان الصفا ؛ هلذا زمن السكوت ، وملازمة البيوت ، وذكر الحي الذي لا يموت .

وكان الفضيل يقول : إني لأجد للرجل عندي يداً إذا لقيني ألا يسلم علي . وقال أبو سليمان الداراني : بينما الربيع بن خثيم جالس على باب داره ، إذ جاءه حجر فصك وجهه فشجه ، فجعل يمسح الدم عن جبهته ويقول : لقد وعظت يا ربيع ، فقام ودخل داره ، ولم يخرج حتى أخرجت جنازته .

وقال بعض العرفاء : أقلّ من معرفة الناس ؛ فإنك لا تدري حالك يوم القيامة ، فإن تكن فضيحة .. كان من يعرفك قليلاً .

وكانت الرباب بنت امرئ القيس إحدى زوجات الحسين بن علي رضي الله عنه ، وشهدت معه الطف ، وولدت منه سكينة ، ولما رجعت إلى المدينة .. خطبها أشراف قريش ، فأبت وقالت : لا يكون لي حمو بعد ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبقيت بعده لم يظلمها سقف ، حتى مات كمداً عليه .

وقيل للفضيل : إن ابنك يقول : قد وددت أني في مكان أرى الناس

ولا يروني ، فبكى الفضيل وقال : يا ويح ابني ؛ أفلا أتمها : لا أراهم ولا يروني .

وقال العارف الكاشي عند قوله تعالى : ﴿لَنْ نَسْأَلَهُمُ الْقَوْلَ حَتَّىٰ يُفِيقُوا وَمَنْ يُجِبْهُمْ﴾ : كل فعل يُقَرَّبُ صاحبه من الله فهو بر ، ولا يحصل التقرب إليه إلا بالتبري عما سواه ؛ فمن أحب شيئاً . . فقد حجب عن الله تعالى ، وأشرك شركاً خفياً ؛ لتعلق محبته بغير الله سبحانه ، كما قال تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ ، وأثر به نفسه على الله ، فقد بعد من الله بثلاثة أوجه ، فإن أثر الله به على نفسه وتصدق به وأخرجه من يده . . فقد زال البعد ، وحصل القرب ، وإلا . . بقي محجوباً ، وإن أنفق من غيره أضعافه . . فما نال برأ ؛ لعلمه تعالى بما ينفق واحتجابه بغيره .

* * *

هل تعلم له سميًّا ؟

الله رحيم لطيف ، الله بيده الأمر والتصريف ، الله أعرف المعارف ، لا يحتاج إلى تعريف ، لا إله إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه ، ولا نرجو سواه ، عظيم السلطان والجاه ، أفلح من دعاه ، وسعد من رجاه ، وفاز من تولاه .

سبحان من خلق وهدى ، ولم يخلق الخلق سدى ، عظم سلطانه ، وارتفع ميزانه ، وجمل إحسانه ، وكثر امتنانه .

علام الغيوب ، غفار الذنوب ، ستار العيوب ، كاشف الكروب ، ميسر الخطوب ، مقدر المكتوب .

عظمت بركاته ، حسنت صفاته ، بهرت آياته ، أعجزت بيناته ، أفحمت معجزاته ، جلت أسماؤه ، عمت آلاؤه ، امتلأت بحمده أرضه وسماؤه ، كثرت نعمائه ، حسن بلاؤه .

ما أحسن قيله ! ما أجمل تفصيله ! ما أبهى تنزيله ! ما أسرع تسهيله ! ليس إلا الخضوع له وسيلة ، وليس لما يقضيه حيلة .

يسقي ويطعم ، يقضي ويحكم ، ينسخ ويبرم ، يقصم ويفصم ، يهين ويكرم ، يروي ويشبع ، يصل ويقطع ، يعطي ويمنع ، يخفض ويرفع ، يرى ويسمع ، ينصر ويقمع .

وليّه ماجور ، والسعي إليه مبرور ، والعمل له مشكور ، وحزبه منصور ،

وعدوه مدحور ، وخصمه مبتور ، يسحق الطغاة ، يمحق العصاة ، يدمر
العتاة ، يمزق من عاداه .

من انتصر به .. ما ذل ، ومن اهتدى بهداه .. ما ضل ، ومن اتقاه ..
ما ذل ، ومن طلب غناه .. ما قل ، له الكبرياء والجبروت عز وجل .
تم كماله ، حسن جماله ، تقدس جلاله ، كرمت أفعاله ، أصابت أقواله ،
نصر أوليائه ، خذل أعداءه ، قرّب أحبائه .
اطلع فستر ، علم فغفر ، حلم بعد أن قدر ، زاد من شكر ، ذكر من ذكر ،
قصم من كفر .

لو أن الأقلام هي الشجر ، والمداد هو المطر ، والكتبة هم البشر ، ثم أثنى
عليه بالمدح من شكر . لما بلغوا ذرة مما يستحقه جل في علاه وقهر .
أعمر جنانك بحبه ، أصلح زمانك بقربه ، اشغل لسانك بمديحه ، احفظ
وقتك بتسبيحه .

العزیز من حماه ، المحفوظ من اجتباه ، الغني من أغناه ، السعيد من
تولاه ، المحفوظ من رعاه .
أرسل الرسل ، أفنى الدول ، هدى السبل ، أبرم الحيل ، غفر الزلل ،
شفى العلل ، ستر الخلل .

في حبك عذب بلال بن رباح ، وفي سبيلك هانت الجراح ، لدى
أبي عبيدة بن الجراح ، ومن أجلك عرض مصعب صدره للرماح ، ولإعلاء
كلمتك قطعت يدا جعفر ، وتجدل على التراب وتعفر ، ومزق عكرمة في
حرب بني الأصفر .

أحبك حنظلة فترك عرسه ، وأهدى رأسه ، وقدم نفسه .

وأحبك سعد بن معاذ فاستعذب فيك البلاء ، وجرت منه الدماء ، وشيعته
الملائكة الكرماء ، واهتز له العرش من فوق السماء .

وأحبك حمزة سيد الشهداء ، فصال في الهيجاء ، ونازل الأعداء ، ثم سلم
روحه ثمناً للجنة هاء وهاء .

من أجلك سهرت عيون المتجهدين ، وتعبت أقدام العابدين ، وانحنت
ظهور الساجدين ، وحلقت رؤوس الحجاج والمعتمرين ، وجاعت بطون
الصائمين ، وطارَت نفوس المجاهدين .

أقلام العلماء ، تكتب فيه الثناء ، صباح مساء ، الرماح في ساحة الجهاد ،
والسيوف الحداد ، ترفع اسمه على رؤوس الأشهاد ، جل عن الأنداد
والأضداد .

للمساجد دوي بذكره ، للطيور تغريد بشكره ، وللملائكة نزول بأمره ،
حارت الأفكار في علو قدره ، وتمام قهره .

من أجلك هاجر أبو بكر الصديق وترك عياله ، ولمرضاتك أنفق أمواله
وأعماله .

وفي محبتك قتل الفاروق ومزق ، وفي سبيلك دمه تدفق ، ومن خشيتك
دمعه ترقق .

ودفع عثمان أمواله لترضى ، فما ترك مالا ولا أرضاً ، جعلها عندك قرصاً .
وقدّم عليّ رأسه لمرضاتك في المسجد وهو يتهجّد ، وفي بيتك يتعبد فما
تردد .

تفردت بالبقاء ، وكتبت على غيرك الفناء ، لك العزة والكبرياء ، ولك
أجل الصفات ، وأحسن الأسماء .

أنت عالم الغيب ، البريء من كل عيب ، تكتب المقدور ، وتعلم ما في
الصدور ، وتبعثر ما في القبور ، وأنت الحاكم يوم النشور .
ملكك عظيم ، جنابك كريم ، نهجك قويم ، أخذك أليم ، وأنت الرحيم
الحليم الكريم .

من الذي سألك فما أعطيته ؟ والذي دعاك فما لبينه ؟ ومن الذي استنصرك
فما نصرته ؟ ومن الذي حاربك فما خذلته ؟

لا عيب في أسمائك ؛ لأنها حسنى ، لا نقص في صفاتك ؛ لأنها عليا .
حي لا تموت ، حاضر لا تفوت ، لا تحتاج إلى القوت ، لك الكبرياء
والجبروت ، والعزة والملكوت .

كسرت ظهور الأكاسرة ، قصّرت آمال القياصرة ، هدمت معازل
الجبابة ، وأرديتهم في الحافرة .

من أطاعك .. أكرمته ، ومن خالفك .. أدّبته ، ومن عاداك .. سحقته ،
ومن نادّك .. محقّته ، ومن صادّك .. مزّقته .

تصمّد إليك الكائنات ، تعنو إليك المخلوقات ، تجيب الدعوات ، بشّى
اللغات ، وبمختلف اللهجات ، على تعدد الحاجات ، تفرّج الكربات ، تظهر
الآيات ، تعلم النيات ، وتظهر الخفيات ، تحيي الأموات .

دعاك الخليل وقد وضع في المنجنيق ، وأوشك على الحريق ، ولم يكن
لسواك طريق ، فلما قال : حسبنا الله ونعم الوكيل .. صارت النار عليه برداً
وسلاماً في ظل ظليل ، بقدرتك يا جليل .

وفلقت البحر للكليم ، وقد فر من فرعون الأثيم ، فمهدت له في الماء
الطريق المستقيم .

ودعاك المختار في الغار ، لَمَّا أحاط به الكفار ، فحميته من الأشرار ،
وحفظته من الفجار .
قريب تجيب كل حبيب .

* * *

أخلاق العلماء

وفي كتاب « أدب الدنيا والدين » :

فأما ما يجب أن يكون عليه العلماء من الأخلاق التي بهم أليق ، ولهم ألزم . . فالتواضع ، ومجانبة العجب ؛ لأن التواضع عطوف ، والعجب منفر . وهو بكل أحد قبيح ، وبالعلماء أقبح ؛ لأن الناس بهم يقتدون ، وكثيراً ما يداخلهم الإعجاب ؛ لتوحدهم بفضيلة العلم .

ولو أنهم نظروا حق النظر ، وعملوا بموجب العلم . . لكان التواضع بهم أولى ، ومجانبة العجب بهم أحرى ؛ لأن العجب نقص ينافي الفضل ، لا سيما مع قول النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الْعُجْبَ لِيَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ » .

فلا يفي ما أدركوه من فضيلة العلم بما لحقهم من نقص العجب . وقد روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« قليل العلم خير من كثير العبادة ، وكفى بالمرء علماً إذا عبد الله عز وجل ، وكفى بالمرء جهلاً إذا أعجب برأيه » .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (تعلموا العلم ، وتعلموا للعلم السكينة والحلم ، وتواضعوا لمن تعلمون ، ولتواضع لكم من تعلمونه ، ولا تكونوا من جبابرة العلماء ؛ فلا يقوم علمكم بجهلكم) .

وقال بعض السلف : من تكبر بعلمه وترفع .. وضعه الله به ، ومن تواضع بعلمه .. رفعه به .

وعلة إعجابهم : انصراف نظرهم إلى كثرة مَنْ دونهم من الجاهل ، وانصراف نظرهم عمّن فوقهم من العلماء ؛ فإنه ليس متناه في العلم إلا وسيجد من هو أعلم منه ؛ إذ العلم أكثر من أن يحيط به بشر .

قال الله تعالى : ﴿ زَفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ ﴾ ؛ يعني : في العلم ، ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ ، قال أهل التأويل : فوق كل ذي علم مَنْ هو أعلم منه ، حتى ينتهي ذلك إلى الله تعالى .

وقيل لبعض الحكماء : من يعرف كل العلم ؟ قال : كل الناس .
وقال الشعبي : ما رأيت مثلي ، وما أشاء أن ألقى رجلاً أعلم مني إلا لقيته .

لم يذكر الشعبي هذا القول تفضيلاً لنفسه فيستقبح منه ، وإنما ذكره تعظيماً للعلم عن أن يحاط به .

فينبغي لمن علم أن ينظر إلى نفسه بتقصير ما قصر فيه ؛ ليسلم من عجب ما أدرك منه .

وقد قيل في منشور الحكم : إذا علمت .. فلا تفكر في كثرة مَنْ دونك من الجاهل ، ولكن انظر إلى مَنْ فوقك من العلماء .

وأنشدت لابن العميد :

مَنْ شَاءَ عَيْشاً هَيْنًا يَسْتَفِيدُ بِهِ فِي دِينِهِ ثُمَّ فِي دُنْيَاهُ إِقْبَالًا
فَلْيَنْظُرَنَّ إِلَى مَنْ فَوْقَهُ أَدَبًا وَلْيَنْظُرَنَّ إِلَى مَنْ دُونَهُ مَالًا
وقلما تجد بالعلم معجباً ، وبما أدرك مفتخراً ، إلا من كان فيه مقلداً

ومقصراً ؛ لأنه قد يجهل قدره ، ويحسب أنه نال بالدخول فيه أكثره .
فأما من كان فيه متوجهاً ، ومنه مستكثراً . فهو يعلم من بُعد غايته ،
والعجز عن إدراك نهايته ، ما يصدّه عن العجب به .
وقد قال الشعبي : العلم ثلاثة أشبار ، فمن نال منه شبراً . . شمخ بأنفه ،
وظن أنه ناله ، ومن نال الشبر الثاني . . صغرت إليه نفسه ، وعلم أنه لم ينله ،
وأما الشبر الثالث . . فهيئات لا يناله أحد أبداً .

* * *

في وصف العيش وما تتمناه لنفس

وفي كتاب « بهجة الجالس وأنس المجالس » لابن عبد البر :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أصبح منكم آمناً في سربه ،
معافى في جسمه ، معه قوت يومه . . فكأنما حيزت له الدنيا » .

كان عمر بن الخطاب يعجبه قول عبدة بن الطبيب :
الْمَرْءُ سَاعٍ لَأَمْرٍ لَيْسَ يُدْرِكُهُ وَالْعَيْشُ شُحٌّ وَإِشْفَاقٌ وَتَأْمِيلُ
قال زيادٌ لجلسائه : من أغبط الناس عيشاً ؟ قالوا : الأمير وجلساؤه ،
فقال : ما صنعتُم شيئاً ، إنّ لأعواد المنابر هيبة ، وإنّ لفرع لجام البريد
لفزعة ، ولكن أغبط الناس عندي : رجل له دارٌ لا يجري عليه كراؤها ، وله
زوجة صالحة ، قد رضيته ورضيها ، فهما راضيان بعيشهما ، لا يعرفنا
ولا نعرفه ؛ فإنه إن عرفنا وعرفناه . . أتعبنا ليله ونهاره ، وأفسدنا دينه
ودنياه .

قال عمر : لما فتح الله على رسولهِ بني النضير وغيرها . . كان يتخذ
منها لنفسه وعياله قوت سنة ، ثم يجعل الباقي في الكراع والسلاح في
سبيل الله .

وقال سليمان : إذا أحرزتِ النفس قوتها . . اطمأنت .
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا تمنى أحدكم . . فليكثر ؛ فإنما
يسأل ربّه » .

وليس في هذا معارضة لقول الله : ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ ؛ لأن معنى هذا عند العلماء : أن يتمنى الرجل مال أخيه وامرأة أخيه ؛ ليصرفه الله عنه إليه ، فذلك التمني المكروه .

قال محمد بن سيرين : نهيتم عن الأمانى ، ودللت على ما هو خير منها لكم ، سلوا الله من فضله .

وقد ذكرنا في كتاب « التمهيد » معنى قوله عليه والسلام : « لا يتمنّى أحدكم الموت لضرّ نزل به » ، عند قوله عليه السلام : « لا تقوم الساعة حتى يمرّ الرجل بقبر أخيه فيقول : يا ليتني مكانه » .

قال المنصور لإسحاق بن مسلم العقيلي : ما بقي من لذاتك ؟ قال : جليس يقصر به طول ليلي ، وزائر أشتهي من أجله طول السهر .

وقال غيره : زائر أشتهي به طول السهر ، ودابة أشتهي من أجلها طول السفر .

قال مسلمة بن عبد الملك : العيش في ثلاث : سعة المنزل ، وموافقة المرأة ، وكثرة الخدم .

قال عباية الجعفي : ما يسرّني بنصيبي من التمني حمر النعم .

قال عبد الرحمن ابن أم الحكم : لذة العيش في زحف الأحرار إلى طعامك ، وبذل الأشراف وجوههم إليك فيما تجد السبيل إليه ، وقول المنادي : الصلاة أيها الأمير .

قال قتيبة بن مسلم لو كيع بن أبي سود : ما السرور ؟ قال : لواء منشور ، وجلس على السرير ، والسلام عليك أيها الأمير .

قيل لأم البنين : ما أحسن شيء رأيت ؟ قالت : نعم الله مقبلة عليّ .

سأل فتية رجلاً : ما السرور ؟ قال : الولد الصالح ، والمال الواسع .
قال عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - : لذة العيش : ظفرك بمن تحب بعد
امتناع ، ولذة لا توجب عليك إثمًا ، وحقٌ وافق هوى .
قال لأبي حازم : ما اللذة ؟ قال : الموافقة ، ولا أنيس كالصاحب
المواتي .

* * *

في بيتك ملك

اجعل الذكر قوتاً ، والعلم ياقوتاً ، واغتنم راحة البال في طاعة ذي الجلال ، واجتنب خلطة العوام ؛ فإنهم هوام ، ومن بذّر في صرف الأيام . . صار كالمسكين على موائد اللثام .

كان بعض السلف لا يخرج إلا لجماعة أو جمعة ، وكان يستر العبادة خوفاً من الرياء والسمعة ؛ لأن من مكّن الناس من نفسه . . داسوه ؛ فإن الناس لو مكّنوا من جبل . . دكوه ، ولو ازدحموا على باب حديد . . لفكّوه .

لا تغترّ بجلبه الناس وقت الرخاء ؛ فإنهم أسباب البلاء ، فهم ذباب طمع ، وبعوض جشع ، يطمعون إذا بارق المال لمع ، ويقبلون إذا نجم الدنيا سطع ، فإذا وقعت في المصائب ، وضّرتك النوائب . . خلعوا بينك وبينهم العهد ، وأخلفوا الوعد ، وأدّعوا قدم الجفاء ، خسة وقلة وفاء ؛ لأنه نُسَخ الصفاء ، وعلى المروءة العفاء .

لا يحملك معرفة ضعف الناس وعجزهم على الإساءة إليهم ، أو هضم حقوقهم ، بل خف الله في الناس ولا تخف الناس ، وارج الله في الناس ولا ترج الناس ، وأنزل الناس منزلة الأموات ؛ فإن الأموات أموات غير أحياء ، فهم لا يصلّون ولا يقطعون ، ولا يضرّون ولا ينفعون ، ولا يضعون ولا يرفعون ، فوالله ؛ لا يخفض ولا يرفع ، ولا يضر ولا ينفع ، ولا يصل ولا يقطع إلا الله .

واعلم أنك في بيتك ملك ، وكأنك في العز كالمشتري في الفلك ، فإنك

في بيتك سلطان ، فأنت ككسرى في الإيوان ، أو الوزير في الديوان .
قال أحد العلماء كما في كتاب « إدام القوت » : لو تشفعت في كافر أو في
أحد أبنائي . . لرجوت الإجابة للكافر ؛ لأن المخامرة تذهب الاحترام .
في الخلطة تذيب قلبك بروية متكبر ، والتعرض لعتو متجبر ، وفي العزلة
قدرك أكبر ؛ لأنك في حرز الصون ، كاللؤلؤ المكنون ، والدّر المخزون ،
وأهيب الناس من لا تراه العيون .
والرسول اعتزل في الغار ، فجاءه جبريل بالوحي العظيم ، واعتزلت
مريم ، فأنت بعيسى النبي الكريم .
كن عصامياً كالأصمعي والزم صومعتك ، فما يعصم من الفتن إلا من اتبع
المعصوم .

أبو مسلم تكبر وتجبّر ، وخالط أبا جعفر ، فبقر بطنه بالخنجر .
واعتزل الثورة والثوار سفیان الثوري ، فثار له القبول في القلوب .
وخالط البرامكة الرشيد ، فبرك على صدورهم ، ووضع ركبته في
رقابهم ، واعتزله الفضيل بن عياض ، فعوضه الله بفضله عن كل فضل ،
وفي الله عوض من كل نذل .

مد رجلك في بيتك ، ولا تمد يدك في بيت غيرك ، فإن من يمد رجله
لا يمد يده ، وشمّ وردة العزة في العزلة ، ولا تنسّ إليّ :
(اَعْتَزَلْ ذِكْرَ الْأَغَانِي)

واسمع ابن الوردي ينادي في كل ناد ، ويصيح في كل واد ، لمن مدّ
الأيادي للأعادي :

أَنَا لَا أَرْغَبُ تَقْيِيلَ يَدٍ قَطْعُهَا أَحْسَنُ مِنْ تِلْكَ الْقُبْلِ

خير جليس

عليك بالكتاب ؛ فإنه خير الأصحاب ، وهو روح المؤانسة ، وقوت المجالسة ، أقسم الله بالكتاب المسطور ، في رق منشور ؛ لأن الكتاب كنز الإفادة ، وعنوان السعادة .

وهو أمين لا يخون ، وعزيز لا يهون ، إن حملته في النادي .. شرفك ، وإن جهلت أحداً .. عرفك ، يقوي جنانك ، ويبسط لسانك ، بالكتاب يجلس الصعلوك ، على كراسي الملوك ، يقوم الزلل ، ويسد الخلل ، ويطرده الملل ، ويشفي العلل ، يحفظ الأخبار ، ويروي الأشعار ، ويكتم الأسرار ، ويبهج الأبرار .

وهو أشرف لك من المال ، وأطوع لك من الرجال ، وأنسى عندك من العيال ، وبه تقارب الكمال .

والكتاب إذا خان الصديق .. وفى ، وإذا تكدر الزمان .. صفا ، ينسيك جحود الجاحد ، وحسد الحاسد ، وضغينة الحاقد .

خليل ما أملحه ، وصاحب ما أصلحه ، وصامت ما أفصحه ، يُقرأ في كل زمان ، ويُطالع في كل مكان ، على اختلاف الأفكار ، وتباعد الأمصار .

بشير ونذير ، ونديم وسمير ، إذا وعظ .. أبكاك ، وإن حدث .. أشجأك ، وإذا فرح .. أضحكك ، وإذا بشر .. أفرحك ، سليم من العيب ، يُحمل في الجيب ، لا يشرب ولا يأكل ، ولا يغضب ولا يجهل ، إن

هجرته . . حفظ ودك ، وإن طلبته . . صار عندك .

يغنيك عن الأرحام والأحباب والأصحاب ، فخير جليس في الأنام كتاب .

يقودك إلى الكرامة ، ويبعدك من الندامة ، ويطرد عنك السامة .

هو نسب ما أشرفه ، وهو بوابة المعرفة ، وخلاصة الفلسفة .

يصلك بأساطين التفسير ، من كل عالم تحرير ، وإمام شهير ، ومحقق

بصير .

ويحضر لك المحدثين ، أهل الرواية الصادقين ، والدراية العارفين ،

وجها بذة النقل الواعين .

ويجمع لك الفقهاء ، رواد الشريعة الغراء ، وأرباب الفهم الأذكياء .

ويتحفك بقصيد الشعراء ، ونتاج الأدباء ، وبيان البلغاء ، وإنشاء

الفصحاء .

جزى الله الكتاب ، أفضل ثواب ، فقد أغناك عن البخلاء ، وكفأك

الثقلاء ، وأجلسك مع النبلاء ، وعرفك بالفضلاء ، يوفي لك الكيل ، ويقصر

عليك الليل ، هو تاجك في كل ناد ، وأنيسك في كل واد ، وهو سلوة الحاضر

والباد ، وخير ما أنتجه العباد .

أصرف له أئمن الأوقات ، وأنفق عليه أعظم الهبات ، ولا تطع فيه أهل

الشهوات .

هو الذي حبب إليك الزمان ، وأجلسك في صدر المكان .

قال القط : يا أيها البط ؛ اخرج من الشط ، فالتفت إليه ، ورد عليه

وقال : يا سيد الجهاد ؛ لو كنت من القراء . . لما أعظمت الافتراء ، أما

طالعت في كتاب « الهجرتين » : « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » .

ليس المجد حلياً وآنية ، ولا دفاً وغانية ، ولا قطوفاً دانية .
وليست السعادة كنزاً ، وبنزاً ، وبزاً ، وجنزاً ، ورزاً ، وقزاً ، فهذا
ليس عزاً .

وليس السؤدد بنوداً ، وجنوداً ، وحشوداً ، ووفوداً .
لكن المجد والسعادة ، والشرف والسيادة ، علم أصيل ، وبرهان ودليل ،
وكتاب جليل ، يغنيك عن كل خليل .

* * *

يمهل ولا يميل

وفي كتاب « صيد الخاطر » لابن الجوزي :

سبحان الملك العظيم ، الذي من عرفه .. خافه ، ومن أمن مكره .. قط ما عرفه .

لقد تأملت أمراً عظيماً ، أنه عز وجل يمهل حتى كأنه يهمل ، فترى أيدي العصاة مطلقة كأنه لا مانع .

فإذا زاد الانبساط ، ولم ترعو العقول .. أخذ أخذ جبار .

وإنما كان ذلك الإمهال ؛ ليلو صبر الصابر ، وليملي في الإمهال للظالم ، فيثبت هذا على صبره ، ويجزي هذا بقبيح فعله .

مع أن هنالك من الحلم في طي ذلك ما لا نعلمه .

فإذا أخذ عقوبة .. رأيت على كل غلطة تبعة .

وربما جمعت فضربت العاصي بالحجر الدامغ .

وربما خفي على الناس سبب عقوبته فقليل : فلان من أهل الخير ، فما وجه

ما جرى له ؟ .

فيقول القدر : حدود لذنوب خفية صار استيفاءها ظاهراً .

فسبحان من ظهر حتى لا خفاء به ، واستتر حتى كأنه لا يعرف .

وأمهل حتى طمع في مسامحته ، وناقش حتى تحيرت العقول من

مؤاخذته ، لا حول ولا قوة إلا بالله .

تأملت العلم والميل إليه والتشاغل به ، فإذا هو يقوي القلب قوة تميل به إلى نوع قساوة .

ولولا قوة القلب ، وطول الأمل . . لم يقع التشاغل به .
فإني أكتب الحديث أرجو أن أرويه ، وأبتدىء بالتصنيف أرجو أن أتمه ،
فإذا تأملت باب المعاملات . . قل الأمل ، ورق القلب ، وجاءت الدموع ،
وطابت المناجاة ، وغشيت السكينة ، وصرت كأني في مقام المراقبة .
إلا أن العلم أفضل وأقوى حجة ، وأعلى رتبة ، وإن حدث منه ما شكوت منه .

والمعاملة وإن كثرت الفوائد التي أشرت إليها منها ؛ فإنها قريبة إلى أحوال
الجبان الكسلان ، الذي قد اقتنع بصلاح نفسه عن هداية غيره ، وانفرد بعزلته
عن اجتذاب الخلق إلى ربهم .

فالصواب : العكوف على العلم مع تلذيع النفس بأسباب المرفقات تلذيعاً
لا يقدح في كمال التشاغل بالعلم .

فإني لأكره لنفسي من جهة ضعف قلبي ورقته أن أكثر زيارة القبور ، وأن
أحضر المحتضرين ؛ لأن ذلك يؤثر في فكري ، ويخرجني من حيز المتشاغلين
بالعلم إلى مقام الفكر في الموت ، ولا أنتفع بنفسني مدة .

وفصل الخطاب في هذا : أنه ينبغي أن يقاوم المرض بضده .
فمن كان قلبه قاسياً شديداً القسوة ، وليس عنده من المراقبة ما يكفه عن
الخطأ . . قاوم ذلك بذكر الموت ، ومحاضرة المحتضرين .

فأما من قلبه شديد الرقة . . فيكفيه ما به ، بل ينبغي له أن يتشاغل بما ينسيه
ذلك ؛ لينتفع بعيشه ، وليفهم ما يفتي به .

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يمزح ويسابق عائشة رضي الله عنها ، ويتلطف بنفسه ؛ فمن سار سيرته عليه الصلاة والسلام . . فهم من مضمونها ما قلته من ضرورة التلطف بالنفس .

* * *

الفرج بعد الشدة

قال لقيط بن زرارة التميمي :

فَدِ عِشْتُ فِي النَّاسِ أَطْوَاراً عَلَى خُلُقِي
كُلّاً لَيْسْتُ فَلَا النِّعْمَاءُ تُبْطِرُنِي
لَا يَمْلَأُ الْهَوْلُ صَدْرِي قَبْلَ وَقَعْتِهِ
مَا سُدَّ لِي مَطْلَعُ ضَاقتُ ثَنِيَّتُهُ

شَتَّى وَقَاسَيْتُ فِيهَا أَلَلِينَ وَالْقُطْعَا
وَلَا تَخَشَّعْتُ مِنْ لَأَوَائِهَا جَزَعَا
وَلَا أَضِيقُ بِهِ ذَرْعاً إِذَا وَقَعَا
إِلَّا وَجَدْتُ وَرَاءَ الْأَضِيقِ مُتَّسَعَا

* * *

وقال أبو ذؤيب الهذلي :

وَإِنِّي صَبَرْتُ النَّفْسَ بَعْدَ أَتْنِ عَنَسِ
لَأُحْسِبَ جَلْدًا أَوْ لِيَسْتَأْ حَاسِدُ

وَقَدْ لَجَّ مِنْ مَاءِ الشُّؤُونِ لُجُوجُ
وَلِلشَّرِّ بَعْدَ الْقَارِعَاتِ فُرُوجُ

* * *

وقال أبو دهيل الجمحي من قصيدة :

وَإِنِّي لَمَحْجُوبٌ غَدَاةَ أَزُورُهَا
عَسَى كُرْبَةُ أَمْسَيْتُ فِيهَا مُقِيمَةً
فَيَكْبِتُ أَعْدَاءُ وَيُجْذَلُ أَلْفُ

وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُهَا لَا أَعْرِجُ
يَكُونُ لَنَا مِنْهَا نَجَاءٌ وَمَخْرَجُ
لَهُ كِبْدٌ مِنْ لَوْعَةِ أَلْبِينِ تَلْعَجُ

* * *

وقال حارثة بن بدر الغداني :

وَقُلْ لِلْفُؤَادِ إِنْ نَزَا بِكَ نَزْوَةٌ
مِنْ أَلْهَمٍ : أَفْرِخْ ، أَكْثَرُ الرُّوعِ بَاطِلُهُ

وقال الشاعر :

إِذَا مَذْهَبٌ سُدَّتْ عَلَيْكَ فُرُوجُهُ
وَلَا تَجْعَلَنْ كَرْبَ الْخُطُوبِ إِذَا عَرَتْ
وَكُنْ رَجُلًا جَلَدًا إِذَا مَا تَقَلَّبَتْ
فَإِنَّكَ لَا قِيْلَ لَا مَحَالَةَ مَذْهَبًا
عَلَيْكَ رِتَاجًا لَا يَزَالُ مُضَيَّبًا
بِهِ صَيْرَفِيَّاتُ الْأُمُورِ تَقَلَّبَا

* * *

وقال الشاعر :

فَمَا نُوبُ الْحَوَادِثِ بَاقِيَاتُ
كَمَا يَمْضِي سُرُورُكَ وَهُوَ جَمٌّ
فَلَا تَهْلِكَ عَلَى مَا فَاتَ وَجَدًا
وَلَا الْبُؤْسَى تَدُومُ وَلَا النَّعِيمُ
كَذَلِكَ مَا يَسُوءُكَ لَا يَدُومُ
وَلَا تُفْرِدُكَ بِالْأَسْفِ الْهُمُومُ

* * *

وقال كثير عزة :

تُحَدِّثُ مَنْ لَا قِيَّتَ أَنَّكَ عَائِدُ
وَمَا رَوْنَتْكَ الدُّنْيَا بِبَاقٍ لِأَهْلِهَا
لِهَذَا وَهَذَا مُدَّةٌ سَوْفَ تَنْقُضِي
بَلِ الْعَائِدُ الْمَظْلُومُ فِي سِجْنِ عَارِمٍ
وَمَا شِدَّةُ الدُّنْيَا بِضَرْبَةٍ لَازِمٍ
وَيُضْبِحُ مَا لَا قِيَّتَهُ حُلُمَ حَالِمٍ

* * *

وقال الحسين بن مطير الأسدي :

إِذَا يَسَّرَ اللَّهُ الْأُمُورَ تَيَسَّرَتْ
فَكَمْ طَامِعٍ فِي حَاجَةٍ لَا يَنَالُهَا
وَكَمْ خَائِفٍ صَارَ الْمُخِيفَ وَمُقْتَرٍ
وَقَدْ تَغْدِرُ الدُّنْيَا فَيُمْسِي غَيْثُهَا
وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ تَكْدُرِ عَيْشَةٍ
وَلَأَنْتَ قَوَاهَا وَأَسْتَقَادَ عَسِيرُهَا
وَكَمْ آيِسٍ مِنْهَا أَتَاهُ بَشِيرُهَا
تَمَوَّلَ وَالْأَحْدَاثُ يَخْلُو مَرِيرُهَا
فَقِيرًا وَيَغْنَى بَعْدَ عُسْرِ فَقِيرُهَا
وَأُخْرَى صَفَا بَعْدَ أَنْكَدَارِ غَدِيرُهَا

وقال الشاعر :

إِلَى اللَّهِ كُلُّ الْأَمْرِ فِي الْخَلْقِ كُلِّهِ
إِذَا أَنَا لَمْ أَقْبَلْ مِنَ الدَّهْرِ كُلِّ مَا
وَوَسَّعَ صَدْرِي لِلْأَذَى كَثْرَةَ الْأَذَى
وَصَيَّرَنِي يَأْسِي مِنَ النَّاسِ رَاجِيًا
وَلَيْسَ إِلَى الْمَخْلُوقِ شَيْءٌ مِنَ الْأَمْرِ
تَكَرَّهْتُ مِنْهُ طَالَ عَتْبِي عَلَى الدَّهْرِ
وَقَدْ كُنْتُ أَحْيَانًا يَضِيقُ بِهِ صَدْرِي
لِحُسْنِ صَنِيعِ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ لَا أَدْرِي

* * *

وقال دعبل الخزاعي :

فَلَوْلَا الَّذِي أَرْجُوهُ فِي الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ
فَيَا نَفْسُ طِيبِي ، ثُمَّ يَا نَفْسُ أَبْشِرِي
وَلَا تَجْزَعِي مِنْ دَوْلَةِ الْجَوْرِ إِنِّي
عَسَى اللَّهُ أَنْ يَرْتَاحَ لِلْخَلْقِ إِنَّهُ
تَقَطَّعَ قَلْبِي إِنْ رَهُمْ حَسَرَاتِ
فَغَيْرُ بَعِيدٍ كُلُّ مَا هُوَ آتٍ
كَأَنِّي بِهَا قَدْ أَذْنَتْ بِشَتَاتِ
إِلَى كُلِّ حَيٍّ دَائِمُ اللَّحْظَاتِ

* * *

وقال علي بن الجهم :

غَيْرُ اللَّيَالِي بَادِيَاتٌ عُودٌ
وَلِكُلِّ حَالٍ مُعْقِبٌ وَلِرُبَّمَا
لَا يُؤَيِّسُنَاكَ مِنْ تَفَرُّجِ كُرْبَةٍ
صَبْرًا فَإِنَّ الْيَوْمَ يَتَّبِعُهُ غَدٌ
كَمْ مِنْ عِلِيلٍ قَدْ تَخَطَّاهُ الرَّدَى
وَالْمَالُ عَارِيَةٌ يُفَادُ وَيَنْفَدُ
أَجَلِي لَكَ الْمَكْرُوهُ عَمَّا يُحْمَدُ
خَطْبُ رَمَاكَ بِهِ الزَّمَانُ الْأَنْكَدُ
وَيَدُ الْخَلِيفَةِ لَا تَطَاوِلُهَا يَدُ
فَنَجَا وَمَاتَ طِيبِيهِ وَالْعُودُ

* * *

وقال عبد الله بن معاوية :

لَا تَعْجَلَنَّ فَرُبَّمَا
عَجَلَ الْفَتَى فِيمَا يَضُرُّهُ

وَأَلْعَيْشُ أَخْلَى مَا يَعُو دُعَا عَلَى حَلَاوَتِهِ مُمِرَّةُ
وَلَرُبَّمَا كَرِهَ الْفَتَى أَمْرًا عَوَاقِبُهُ تَسْرَةُ

* * *

وقال الشاعر :

إِذَا الْحَادِثَاتُ بَلَغْنَ أَلَمَدَى وَكَادَتْ تَذُوبُ لَهُنَّ أَلْمَهَجُ
وَجَلَّ أَلْبَلَاءُ وَقَلَّ أَلْعَزَاءُ فَعِنْدَ أَلتَّأْهِى يَكُونُ أَلْفَرْجُ

* * *

وقال علي بن جبلة :

عَسَى فَرْجٌ يَكُونُ عَسَى نُعْلَلُ نَفْسَنَا بِعَسَى
فَلَا تَقْنَطُ وَإِنْ لَاقَيْتَ هَمًّا يَفْبِضُ أَلنَّفْسَا
فَأَقْرَبُ مَا يَكُونُ أَلْمَرْءُ مِنْ فَرْجٍ إِذَا بَيَّسَا

* * *

وقال الشاعر :

لَعَمْرُكَ مَا يَذَرِي أَلْفَتَى كَيْفَ يَتَّقِي نَوَائِبَ هَذَا أَلدَّهْرِ أَمْ كَيْفَ يَخْذَرُ
يَرَى أَلشَّيْءَ مِمَّا يَتَّقِي فَيَخَافُهُ وَمَا لَا يَرَى مِمَّا يَقِي أَللَّهُ أَكْثَرُ

* * *

وقال الشاعر :

فَلَا تَحْسَبَنَّ سِجْنَ أَلْيَمَامَةِ دَائِمًا كَمَا لَمْ يَدُمْ عَيْشُ بِسَفْحِ ثَبِيرِ

* * *

وقال الشاعر :

أَلْهَمْ فَضْلٌ وَأَلْقِضَاءُ مُغَالِبٌ وَصُرُوفُ أَيَّامٍ أَلْفَتَى تَقْلَبُ

وَالْبُؤْسُ يَتَّبِعُهُ النَّعِيمُ وَرُبَّمَا
لَا تَيَاسَنَ وَإِنْ تَضَاقَ مَذْهَبُ
وَأَنْظُرْ إِلَى عُقْبَى الْأُمُورِ فَعِنْدَهَا

* * *

وقال الشاعر :

أُذْرِجِ الْأَيَّامَ تَنْـدَرِجِ
رُبَّ أَمْرٍ عَزَزَ مَطْلَبُهُ
وَيُّوتَ إِلَهُمَّ لَا تَلْجِ
هَوْتُهُ سَاعَهُ الْفَرَجِ

* * *

وقال الشاعر :

إِذَا أَشْتَمَلْتُ عَلَى الْيَأْسِ الْقُلُوبُ
وَأَوْطَنْتِ الْمَكَارِهِ وَأَطْمَأْنَنْتِ
وَلَمْ تَرَ لِانْكِشَافِ الضَّرِّ وَجْهًا
أَتَاكَ عَلَى قُنُوطِكَ مِنْهُ غَوْثُ
وَضَاقَ لِمَا بِهِ الصَّدْرُ الرَّحِيبُ
وَأَزَسَتْ فِي أَمَاكِينِهَا الْخُطُوبُ
وَلَا أَغْنَى بِحِيلَتِهِ الْأَرِيبُ
يُمْنٌ بِهِ الْقَرِيبُ الْمُسْتَجِيبُ
وَكُلُّ الْحَادِثَاتِ وَإِنْ تَنَاهَتْ
فَمَوْصُولٌ بِهَا فَرَجٌ قَرِيبُ

* * *

وقال الشاعر :

صَبَرْتُ عَلَى اللَّذَاتِ لَمَّا تَوَلَّتْ
وَكَانَتْ عَلَى الْأَيَّامِ نَفْسِي عَزِيزَةً
فَقُلْتُ لَهَا : يَا نَفْسُ عِشِي كَرِيمَةً
وَمَا النَّفْسُ إِلَّا حَيْثُ يَجْعَلُهَا الْفَتَى
وَأَلْزَمْتُ نَفْسِي الصَّبْرَ حَتَّى اسْتَمَرَّتِ
فَلَمَّا رَأَتْ صَبْرِي عَلَى الدَّلِّ ذَلَّتِ
لَقَدْ كَانَتْ الدُّنْيَا لَنَا نُمٌّ وَلَّتِ
فَإِنْ أُطِمِعْتَ تَاقَتْ وَإِلَّا تَسَلَّتِ
تَجَرَّعْتُهَا بِالصَّبْرِ حَتَّى تَوَلَّتْ
فَكَمْ غَمْرَةٍ دَافَعْتُهَا بَعْدَ غَمْرَةٍ

وقال سعيد بن حميد الكاتب :

لَا تَعْتَيْنَ عَلَى النَّوَائِبِ
وَأَصْبِرْ عَلَى حَدَثَانِهِ
مَا كُلُّ مَنْ أَنْكَرَتْهُ
وَلِكُلِّ صَافِيَةٍ قَذَى
وَالدَّهْرُ أَوْلَى مَا صَبِرْ
كَمْ نِعْمَةٍ مَطْوِيَّةٍ
وَمَسْرُورَةٍ قَدْ أَقْبَلَتْ

فَالدَّهْرُ يُرْغِمُ كُلَّ عَاتِبٍ
إِنَّ الْأُمُورَ لَهَا عَوَاقِبُ
وَرَأَيْتَ جَفَوَتْهُ تُعَاتِبُ
وَلِكُلِّ خَالِصَةٍ شَوَائِبُ
تَ لَهُ عَلَى رَنْقِ الْمَشَارِبِ
لَكَ بَيْنَ أَثْنَاءِ النَّوَائِبِ
مِنْ حَيْثُ تُتَنَظَّرُ الْمَصَائِبُ

* * *

وقال محمد بن يسير :

إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا أَنْسَدَتْ مَسَالِكُهَا
لَا تَبْأَسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالَبَةٌ
أَخْلِقْ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظَى بِحَاجَتِهِ

فَالصَّبْرُ يَفْرِجُ مِنْهَا كُلَّ مَا أُرْتَجَا
إِذَا اسْتَعْنَتْ بِصَبْرِ أَنْ تَرَى فَرْجًا
وَمُذْمِنِ الْقَرْعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلْجَا

* * *

ساسيس

ما لك في ديار السياسة تجوس ؟ اهرب من ساس يسوس ، أما علمت أن وجهها منحوس ، ورأسها منكوس ، وهي التي قطعت الرؤوس ، وأزهقت النفوس ، وضيعت الفلوس ، وحملت الناس على اليمين الغموس ، طريقها معكوس ، وعلى جبينها عبوس ، سودت الطروس ، وكسرت التروس ، وخلعت الضروس .

كسفت من أجلها شمس ، وفتحت بظلمها حبوس ، وقطعت بجورها غروس ، كانت الدنيا قبلها عروس ، وهي التي عطلت الناموس ، وأباحت المحرمات للمجوس .

عقرت هارون الرشيد في طرطوس ، وقتلت محمد بن حميد في طوس ، واجتاح بها ديار الإسلام أهل البوق والناقوس ، إذا أقبلت . . تدوس ، وإذا أدبرت . . تحوس ، بذريعتها لعب الأمريكان في العالم والرؤوس ، تدب في القلوب كالسوس ، وتختفي في العقول كالجاسوس ، عاشقها يتخبطه الشيطان كأنه ممسوس .

أشار إليها الحسين فخطفت راسه ، ومازحها الحجاج فخلعت أضراسه ، وداعبها أبو مسلم فأحرقت لباسه ، وزارها مصعب فقتلته وحراسه ، وأحبها يزيد فقطعت أنفاسه ، وصافحها المختار فمزقت أحلامه ، وأحبها المهلب فاقتلعت أساسه ، وعشقها المتوكل فسلطت عليه جلّاسه ، وشربها القاهر

فكسرت عليه كاسه ، وعانقها ابن الزيات فأحرقت قرطاسه ، وجالسها ابن المقفع فأبطلت قياسه ، كم من ذكي ضيعت مراسه ، وكم من غبي أخرجت وسواسه .

السياسة بالنفاق نجاسة ، وبالغباء تياسة ، وبالغدر تعاسة ، وبالجور خساسة ، وبالظلم شراسة .

اجتنبها أهل الكياسة ، ومات في حبها أهل الرياسة ، بذلوا في حبها الدين والحماسة ، وما حصلوا إلا على التعاسة ، تقاتلوا عليها حسداً ونفاسة ، قُتل البرامكة لأجلها بحجة عباس وعباسة ، فأصبحوا بعد الملك خيراً في كراسه ، وبعد الوزارة دفترأ على ماصة ، هي الوسوسة الخناسة ، تذهب بالنجاسة والكياسة ، وكم من شجاع أذهبت باسه ، وعقرت أفراسه ، أهلها يُسمّون ساسة ، كل منهم قد حمل على أخيه فاسه .

سعيد النورسي ، بالسياسة نسي .

لينين واستالين ، قتلوا بالسياسة الملايين ، فكتبوا في تاريخ الملاعين .

هولاكو الغازي ، وهتلر النازي ، قتلوا باسم السياسة الإنسانية ، فأصبحوا في الخانة المنسية .

كسر كسرى بالسياسة ظهور أهل فارس ، فقليل له : لم فعلت ذلك ؟ فقال : ساس يسوس فهو سائس .

وقصّر قيصر بالسياسة أعناق الروم ، فقليل له : لم هذا الصنيع يا محروم ؟ فقال : أردت إصلاح البلاد ، ورحمة العباد .

بقنابل سياسة العميان ، دمرت اليابان ، وقتل الصرب الألبان ، واحتل

الروس الأفغان ، وجلد المستضعفين شاه إيران ، واعتدى الألمان على الجيران . لكن ذكر كل كافر بربه ، آية : ﴿ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ ﴾ .

وكل ما سبق حديثٌ عن السياسة الفاجرة الكافرة ، الساحرة الساهرة . وهي السياسة البدعيّة ، القائمة على ظلم الرعيّة ، وإهدار الحقوق المرعيّة ، من رأسمالية ، وبعثية ، ونازية ، وشيوعية ، وصان الله من ذلك السياسة الشرعية ؛ لأن السياسة الشرعية رحمة بالبشر ، واتباع للأثر ، ومحاربة من كفر ، وردع من فجر ، وهي التي على دستور عمر .

إمام السياسة الشرعية الرسول ، أعدل العدول ، وأفقه الناس في المنقول والمعقول .

وصاحبه الصديق ، بالأمة رفيق ، له عهد مع العدل وثيق ، وقلب من التقى رفيق .

وتلميذه عمر الذي كان وهو خليفة يثن من الجوع ، ويلبس المرقوع ، وتغلبه الدموع ، أولئك هم الناس ، وبهم يضرب القياس ، ويحل الأمن ويدفع الباس .

وليس لمن خالفهم إلا الإفلاس ، والابتئاس ، والإتعاس ، ليت السيوف الحداد ، لا تعاون أهل الفساد ، في ظلم العباد ، فسياسة الجور والعناد ، قتل الحسين بسيف ابن زياد .

بأي سياسة يُكرم جهلة الأنباط ، وتدفع الجوائز لأهل الانحطاط ، ويُجلد أحمد ابن حنبل بالسياط ، على البلاط ؟!

بأي سياسة يتولى الوليد بن يزيد ، وهو الرعديد ، البليد ، المرید ؟! وهو الذي فتح المصحف فوجد فيه : ﴿ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ غنته

الجارية وهو في السكر والنكر ، شارد الفكر ، ذاهب الذكر ، تارك الشكر ، فقال من الطرب : إلى أين أطير ؟ قال العلماء : طر إلى السعير يا غير ، ﴿ فَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴾ .

بأي سياسة يصبح الحجاج الوزير ، صاحب الدف والوزير ، ليقتل ابن الزبير ، بلا قصاص ولا تعزير ؟!

بأي سياسة يُذبح سعيد بن جبير ، العالم النحرير ، والمحدث الشهير ، وتعطى الجوائز لزياب ، وتخلع عليه الثياب ، والعلماء يُدفعون عند الأبواب ؟!

لو أن المأمون فقه سنة الرسول الأمين ، ولو أن المعتصم درس سنة المعصوم . . لما عذبوا أحمد ابن حنبل ، سَمِيَ أحمد النبي المبجل ؛ لأن أحمد بن أبي دؤاد ، أشغلهم عن الإسناد ، بأقوال أهل الفساد ، وبنقولات فلاسفة بغداد ، وجهلة السواد .

يا لها من سياسة خربانة ، تكرم الزنديق وأعوانه ، وتضع ابن تيمية في زنزانه ، وتحجب عنه إخوانه ، بالسياسة تغزو العالم المزدكية ، وتحكم بغداد الأسيرة البرمكية ، ويقتل ذو النفس الزكية .

بأي سياسة خرج التتار ، بكل بتار ، فخربوا الديار ، وقتلوا الصالحين الأبرار ، وهدموا كل مسجد ودار ؟!

براءة من الله ورسوله إلى سياد بري ؛ لأنه على الدماء جري ، شنع علماء المالكية ، والشنع عند مالك حرام بالكلية .

دستم من رستم ، مع هليا مريام منجستم ، يا كم تنجستم ، وغرتكم الأمانى وتربصتم .

بأي سياسة سمى الشيوعيون أنفسهم بالرفاق ، وهم أهل النفاق ،
والشقاق ، وسوء الأخلاق ؟!

كنى أبو جعفر الخراسانيّ أبا مسلم ، فلما ذبحه . . قال : مت يا أبا مجرم .
أبو مسلم تبختر ، وتكبر ، وتجبر ، فبقر بطنه أبو جعفر ، بالخنجر ،
فسحب بعد الملك في السلك وجر جر .

ما شاء الله يجلس الخليفة في بغداد ، على الوساد ، ويصفق له العباد ،
ويحرسه الأجناد ، فتغنيه الجارية بصوت جميل ، وشعرها يميل ، فيقع
الخليفة في الطرب ، فيصبّ على الجارية الذهب ، وأحمد ابن حنبل مسجون
في الحق بلا سبب .

يجلس الخليفة العباسي ، على الكرسي ، ويقول : يا ناس ؛ قبلوا
راسي ، وامسحوا مداسي ، وقربوا قرطاسي .

فيقوم شاعر طرطور ، منافق مدحور ، فيقول : ما خلق الله مثلك أيها
الخليفة ، فأنت صاحب الأخلاق الشريفة ، والمعاني اللطيفة ، والأمجاد
المنيفة ، فيقول الخليفة : يا غلام ؛ أعطه ألف دينار ، واكتبه من خدم
الدار ، فشعره تاج الأشعار ، وهذا وسفيان الثوري عالم الديار ، وزاهد
الأمصار ، لا يجد كسرة خبز طيلة النهار .

بأي سياسة يشرّد الشعب المسلم من فلسطين على الفور ، بوعده بلفور ،
وقلوبه على الظلم تفور ، والعالم الإسلامي بارد جامد هامد ، جاحد شارذ
خامد ، لا يثور كأنه مخمور أو مغرور ، أو مسحور ، ويحتل فلسطين اليهود ،
إخوان القروء ، بلا حدود ، ولا قيود ، ولا شهود ؟!

* * *

تعريف السلف لسنة وصيتهم بلزومها

وفي كتاب « الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع » للسيوطي :

وصية سفيان الثوري :

قال سفيان الثوري رحمه الله : أما بعد ، عفانا الله وإياك من سخطه ،
وأعاذنا من النار برحمته ، أوصيك بتقوى الله ، واحذر عقابه ، وأن تجهل بعد
إذا علمت فتهلك ، ولا تهلك بعد إذا وضح لك ، وتغتر بأهل الباطل بطلبهم
الدنيا ، وحرصهم عليها ، وجمعهم إياها ؛ فإن القول فيها شديد ، والخطر
عظيم ، والأجل قريب ، وكأن قد كان ما تحذر .

فتفرغ ، وفرغ قلبك ، ثم الجد الجد ، والوحاء الوحاء ، الهرب الهرب ؛
فارتحل إلى الآخرة قبل أن يُرحل بك ، واستقبل رسل ربك بما تحب أن
تُستقبل به ، وانكمش في أمورك ، واشدد مثزرك ، وقدم جهازك من قبل أن
يُقضى قضاؤك ، ويُحال بينك وبين ما تريد ؛ فقد وعظتك بما وعظت به
نفسي ، والتوفيق من الله .

ومفتاح التوفيق الدعاء والتضرع والاستكانة والندامة على ما فرطت في
أمرك ، ولا تضيع حقك من هذه الأيام والليالي .

أسأل الله الذي منّ علينا بمعرفته ألا يكلنا وإياكم إلى أنفسنا ، وأن يتولى
منا ومنكم ما تولى من أوليائه وأحبابه برحمته ؛ إنه على كل شيء قدير .

وقال رحمة الله عليه : السنة سنتان : سنة أخذها هدى وتركها ضلالة ،

وسنة أخذها هدى وتركها ليس بضلالة .

وإن لله حقاً بالليل لا يقبله بالنهار ، وحقاً بالنهار لا يقبله بالليل ، وإنه لا يقبل نافلة حتى تؤدي الفريضة ، وإن العبد يحاسب يوم القيامة بالفرائض ؛ فإن جاء بها تامة أو لم يفردا كاملة . . ألحق بها النوافل حتى يكمل بها ، وأول الفرائض الانتهاء عن المحارم والمظالم ؛ فإن الله تعالى يقول في كتابه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ﴾ ، فنعم والله ما وعظ به ، وقال تعالى : ﴿ وَتَكَرَّرُوا بِاتِّخَاذِكُمْ خَيْرَ الْزَّادِ الْفَقْوَى ﴾ ، وإنما عنى : اتقوا الله في المظالم أن تنالوها فتنفقوها في أعمال البر .

وقال رحمه الله : وأحسن سريرتك . . يحسن الله علانيتك ، وأصلح فيما بينك وبين الله . . يصلح الله فيما بينك وبين الناس ، واعمل لآخرتك . . يكفك الله أمر دنياك ، وبع دنياك بآخرتك . . تريحهما جميعاً ، ولا تخافن إلا ذنبك ، ولا تستنكف أن تعمل لآخرتك ما ينفعك ، ولا تستحي أن تتعلم العلم ، واعمل ما ينفعك في آخرتك ؛ فإن العمل عليك فريضة واجبة ، وإنما فضل العلم ؛ ليتقى به .

وقال : إنما العلم خشية الله تعالى .

وسئل رحمه الله : بم عرفت ربك ؟ فقال : بفسخ العزائم ، ومنع الهمة .
وقال : الصلاة والزكاة من الإيمان ، والإيمان يزيد وينقص ، والناس عندنا مسؤولون ، والإيمان يتفاضل .

وقال الوليد بن مسلم : سألت سفيان ومالكاً والأوزاعي عن أحاديث الصفات ، فقالوا : نؤمن بها ، وتمضي كما جاءت ، ولا نفرسها .

وقال لشعيب : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، الإيمان قول ، ولا يصح قول إلا بعمل ، ولا يصح قول وعمل إلا بنية ، ولا يصح قول وعمل ونية إلا بإصابة السنة .

قلت : وما السنة ؟

قال : تقديم الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

ثم قال : ولا ينفعك ما كُتِبَ حتى تُقَدِّمَ عثمان ، ولا ينفعك ما كُتِبَ حتى تشهد للعشرة بالجنة ، ولا ينفعك ما كُتِبَ حتى ترى المسح على الخفين ، وأنه أثر عندك من غسل الرجلين ، ولا ينفعك ما كُتِبَ حتى تؤمن بالقدر خيره وشره ، حلوه ومره ، وأن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك .

ثم قال : ولا ينفعك ما كُتِبَ حتى تصلي الصلاة خلف كل برّ وفاجر .

قلت : في سائر الصلوات ؟

قال : في الجمعة والعيدين .

ثم قال : وأن تشهد بأن القرآن كلام الله غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود ، من قال غير هذا . فهو كافر ، والإيمان يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية .

* * *

البشاشة بالإخوان والصبر على تألف قلوب ذوي الأضغان

وفي كتاب « الموشى » للوشاء :

قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ * وَمَا يُلْقُهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقُهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ .

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ .

وقال عز وجل : ﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

وروي عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « رأس العقل بعد الإيمان : التودد إلى الناس » .

وسئل الحسن عن حسن الخلق ، فقال : الكرم ، والبذلة ، والتودد إلى الناس .

وروي عن جرير بن عبد الله البجلي قال : ما حجبني رسول الله منذ أسلمت ، ولا رأيي إلا تبسم في وجهي .

وقال المنصور : إذا أحببت المحمدة من الناس بلا مؤونة . . فَأَلْقَهُمْ بيشر حسن .

وروي عن كعب الأحبار قال : مكتوب في التوراة : ليكن وجهك سبطاً . . تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم الذهب والفضة .

وأنشدني أبو علي العنزي :

إِلْقَ بِالْبِشْرِ مَنْ لَقِيتَ مِنَ النَّاسِ جَمِيعاً ، وَلَا قِيَمَ بِالطَّلَاقَةِ
تَجَنِّ مِنْهُمْ بِهِ جَنِّي ثَمَارِ طَيِّبُ طَعْمُهُ ، لَذِيذُ الْمَذَاقَةِ
وَدَعِ الْتِيَةَ وَالْعُبُوسَ عَنِ النَّاسِ ؛ فَإِنَّ الْعُبُوسَ رَأْسُ الْحِمَاقَةِ
كُلَّمَا شِئْتَ أَنْ تُعَادِيَ عَادِيَةً صَدِيقاً ، وَقَدْ تَعَزَّ الصَّدَاقَةُ
وأنشدني لبعض بني طيء :

خَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ وَاسِعٍ لَا تَكُنْ كَلْباً عَلَى النَّاسِ يَهْرَ
وَأَلْفَهُمْ مِنْكَ بِيَشْرِ ثَمَّ كُنْ لِلَّذِي تَسْمَعُ مِنْهُمْ مُغْتَفِرَ
وقال أبو العتاهية :

وَأَلِنْ جَنَاحَكَ تَعْتَقِدْ فِي النَّاسِ مَحَمَدَةً بِلِينِهِ
فَلَرُبَّمَا أُحْتَقَرَ أَلْفَتَى مَنْ لَيْسَ فِي شَرَفٍ بِدُونِهِ

وكان يقال : أول المروة : طلاقة الوجه ، والثانية : التودد إلى الناس ،
والثالثة : قضاء حوائج الناس .

وروي : أن أعرابياً قال : يا رسول الله ؛ إنا من أهل البادية ، فنحب أن
تعلمنا عملاً لعل الله أن ينفعنا به ، قال : « لا تحقرن من المعروف شيئاً ، ولو
أن تفرغ من دلوك في إناء المستقي ، وأن تكلم أخاك ووجهك إليه منطلق » .
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إنكم لن تسعوا الناس
بأموالكم ، فسعوهم ببسط الوجه ، والخلق الحسن » .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « تمام تحياتكم المصافحة » .

وقال الحسن البصري : المصافحة تزيد في المودة .

وروي مجاهد عن معاذ قال : إن المسلمين إذا التقيا ، فضحك كل واحد

منهما في وجه صاحبه ، ثم أخذ بيده .. تحات ذنوبهما كما يتحات ورق
الشجر .

واعلم أنه إذا صلحت النيات ، وخلصت السريرات .. صلحت أصفية
المودة ، وثبتت المحبة ، واتفقت القلوب ، واغفرت الذنوب ؛ وإذا فسدت
النيات ، وخبثت السريرات .. بطل خالص الإخاء ، وانحلت عُرى المودة
والصفاء .

* * *

أنا سُنيّ حُسينيّ

أنا سُنيّ حُسينيّ ، جعلت ترحمي عليه مكان أنيني ، أنا أحب السبطين ،
لكنني أقدم الشيخين ، ليس من لوازم حب الشمس أن تكره القمر ، وموالة
الحسن والحسين يقتضي موالة أبي بكر وعمر ؛ لأنه يحبهم ويحبونه ،
ويحترمهم ويحترمونه .

قاتل الله عبيد الله بن زياد ، يحرّج على رؤوس العظماء في سوق
المزاد .

الحسين لا يمجد بضريح ، ولا بالإسراف في المديح ، لكننا نصّدق في
حبه إذا اتبعنا جدّه ، وحملنا وُدّه ، وليس بأن نعكف عنده .

بعض الناس ذبابة ، يجفو القرابة ، ويسب الصحابة .
عظماؤنا ما بين مقتول ومذبوح ، ومسجون ومبطوح ، ومضروب
ومجروح .

يا صاحب الفطن ، تريد أن تدخل الجنة بلا ثمن .
يا من يريدون الغروس والعروس ؛ ابذلوا النفوس ، وقدموا الرؤوس .
تريد شراء الجنة بصاع من شعير ، وهو لا يكفي علوفاً للعر ، ولا فطوراً
للبعير .

إذا ناداك المسكين . . كأنه طعنك بسكين ، وأنت تتمنى على الله الأمانى ،
وتشتاق لمثل تلك المغاني !

أنت من سنين ، تبكي على الحسين ، من يحب الحسين بن علي ، فليطع الولي ، هذا هو الحب الجلي .

أنت مثل شيخ فزارة ، حينما قطع أزراره ، قالوا : ما لك ؟ قال : أفدي بها أخي أبا عمارة .

أنا أعلن صرخة الاحتجاج ، ضد ابن زياد والحجاج ، يا أرض الظالمين ؛ ابلعي ماءك ، ويا ميادين السفاحين ؛ اشربي دماءك .

آه ما أطوله من يوم للقتلة ، إذا جاء المقتول ومن قتله ، في يوم لا يكون الحاكم فيه إلا الواحد ، ولا مُلك إلا للماجد ، وقد خاب فيه الجاحد المعاند .

الحسين شهيد ، على رغم أنف العنيد ، ما قتل وما نهب ، وما ظلم وما سلب .

وقد أخطأ ابن خلدون حينما نقل أن الحسين قتل بسيف الشريعة ، وهذا النقل من الأمور الشنيعة ، بل قال شيخ الإسلام ، علم الأعلام : قُتل الحسين بسيف الظلم والعدوان ، وقتله مصيبة يؤجر عليها من استرجع من أهل الإيمان : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وإنا لرسوله عند المصائب لتابعون .

إن كان قُتل الحسين من العدل . . فقد ألغى مدلول النقل والعقل ، وما عاد في الدنيا ظلم ، وما بقي في الأرض إثم ، وإذا احتاج إثبات النهار إلى كلام . . فقل : على الدنيا السلام .

في كربلاء ، كرب وبلاء ، على ثراها قلب ذكي ، ودم زكي .

الحسين ليس بحاجة إلى مآتم وولائم ، تزيد الأمة هزائم إلى هزائم .

الحسين على نهج جده محمد ، وعلى مذهب أبيه المسدد ، تقوى تمنع من

الانحراف ، وعَدْل يحمل على الإنصاف .

ولو أن الحسين صاحب دنيا.. لما بكينا ، ولو أنه طالب جاه.. لما اشتكيننا ، لكنّه من البيت الطاهر ، صاحب النسب الباهر ، أمانته رصينة ، وأخلاقه حصينة .

صح الخبر في السنة : « أن الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة » ، فإذا قتل السيد.. فكيف حال المسود ، وضحية الحاسد هو المحسود ، وقال جدهما المعصوم : « هما ريحانتاي من الدنيا » ، فهم بهذه التزكية في الدرجة العليا ، والريحانة تشم ولا تقطع ، وتمسح ولا تقلع .

جاؤوا بالرأس إلى ابن زياد في العراق ، والدم مهراق ، ثم لم تبك للظلمة عيون ، ولم تتحرك شجون ، وهذا برهان على أن قلوب الظلمة كالحجارة ، وأن نفوسهم ملئت بالمرارة .

لما أغمد سيف الجهاد.. سلّه ابن زياد ، على العلماء والعباد . لو كانت الأمة شاركت في قتل الحسين.. لكانت ظالمة ، ولو رضيت بذلك.. لأصبحت آثمة .

وقعت الأمة بين فكي زياد ويزيد ، يدوسان الجماجم ويقولان : هل من مزيد ، وتصفق لهما أراذل العبيد .

ليل الحسين صلاة وخشوع وبكاء ، وليلهم رقص وطرب وغناء ، نهار الحسين تلاوة وذكر وصيام ، ونهارهم لهو وعشق وغرام ، ولهذا وقع الخلاف وعدم الإنصاف .

يا أهل العقول ؛ إنّ قتل سبط الرسول ، وابن البتول ، أمر مهول ، فلا تخبروا أعداء الملة ، بهذه الزلة ؛ فإنها للأمة ذلة .

الحسين ليس بحاجة إلى وضع أشعار ، ولكن إلى رفع شعار ، دعنا من
ترديد القصيد ، والتباكي بالنشيد ، ولكن تابع الحسين في تجريد التوحيد ،
وتوقير الشيخين أهل الرأي الرشيد .

العظماء يُقتلون بالسيف أعزاء ، والظلمة يموتون على فرشهم أذلاء
جبناء ، فالعظيم قتل بتذكية شرعية ، والجبان مات ميتة بدعية ، ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ
الْمَيْتَةُ﴾ .

فاتت الحسين الشهادة في بدر ؛ لأنه كان صغيراً ، فعوضه الله بها في
صحراء العراق كبيراً .

الرجل يريد أن يكتب اسمه بدم ، وهو يحب البيع لا السلم ، ومن يشابه
أباه فما ظلم .

الذين ينوحون على الحسين ويقولون : قتل وهو مظلوم ، قلنا : هذا
أمر معلوم ، ولكن كفاكم بالنياحة جهلاً ؛ فهل كان قتل عمر وعثمان وعلي
عدلاً ؟

النياحة في الدين غير مباحة ؛ لأنها مخالفة للمأمور ، وفعل للمحذور ،
وتسخط بالمقدور .

لو لم يقتل الحسين . . لمات ، أفتنوحون عليه وقد كسب عز الحياة ،
وسعادة الوفاة ؟ !

من أحب الحسين . . فليفعل فعله في حفظ الدين ، وكرهية الظالمين ،
وحب المساكين .

قتل الحسين دليل على عظمة الإسلام ؛ لأن مهره رؤوس تقطع ، وأرواح
تدفع ، وضربته دم يسيل ، ورأس في سبيل الله يميل .

الإسلام كالأسد همته ليست سخيفة ، ولذلك لا يأكل الجيفة ، لعظمة
الشمس أصابها الخسوف ، ولجلالة القمر رمي بالكسوف ، والعظماء غرض
للحتوف .

رحم الله السبطين ، الحسن والحسين ، وعلياً وفاطمة ؛ فقد أكرموا
الدين .

والصلاة والسلام على خاتم المرسلين ، وآله وصحبه أجمعين .

* * *

إبراهيم بن طلحة والمحجج

وفي كتاب « الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي » للمعافى بن زكريا :

لما ولي الحجاج بن يوسف الحرمين ، بعد قتل عبد الله بن الزبير . استحضر إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله ، وقربه في المنزلة ، فلم يزل على حاله عنده ، حتى خرج إلى عبد الملك زائراً له ، فخرج معه فعادله لا يترك في بره وإجلاله وتعظيمه شيئاً ، فلما حضر باب عبد الملك . . حضر به معه ، فدخل على عبد الملك ، فلم يبدأ بشيء بعد السلام إلا أن قال : قدمت عليك يا أمير المؤمنين برجل الحجاز ، لم أدع له - والله - فيها نظيراً في كمال المروءة والأدب والديانة ، ومن الستر وحسن المذهب والطاعة والنصيحة ، مع القرابة ووجوب الحق ؛ إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله .

وقد أحضرته بابك ؛ لتسهل عليه إذنك ، وتلقاه ببشرك ، وتفعل ما تفعل بمثله ممن كانت مذهبهم مثل مذهبهم .

فقال عبد الملك : ذكرتنا حقاً واجباً ، ورحماً قريباً ، يا غلام ؛ ائذن لإبراهيم بن طلحة ، فلما دخل عليه . . قربه حتى أجلسه على فرشه ، ثم قال له : يا بن طلحة ؛ إن أبا محمد أذكرنا ما لم نزل نعرفك به من الفضل والأدب وحسن المذهب ، مع قرابة الرحم ، ووجوب الحق ، فلا تدعن حاجة في خاص أمرك ولا عامته إلا ذكرتها .

قال : يا أمير المؤمنين ؛ إن أولى الأمور أن تُفتَحَ بها حوائج ، وترجى بها الزلف ، ما كان لله عز وجل رضىً ، ولحق نبيه صلى الله عليه وسلم أداء ، ولك فيه ولجماعة المسلمين نصيحة ، وإن عندي نصيحة لا أجد بُدّاً من ذكرها ، ولا يكون البوح بها إلا وأنا خال ، فأخطني . . ترد عليك نصيحتي .

قال : دون أبي محمد ؟

قال : نعم .

قال : قم يا حجاج ، فلما جاوز الستر قال : قل يا بن طلحة نصيحتك .

قال : الله ، أمير المؤمنين أمير المؤمنين .

قال : الله .

قال : إنك عمدت إلى الحجاج مع تغطرسه ، وتعترسه وتعجرفه ، وبعده عن الحق ، وركونه إلى الباطل ، فوليته الحرمين ، وفيهما من فيهما ، وبهما من بهما من المهاجرين والأنصار ، والموالي المنتسبة الأخيار ، أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبناء الصحابة ، يسومهم الخسف ، ويقودهم بالعسف ، ويحكم فيهم بغير السنة ، ويطؤهم بطغام أهل الشام ، ورعاع لا روية لهم في إقامة حق ، ولا إزاحة باطل ، ثم ظننت أن ذلك فيما بينك وبين الله ينجيك ، وفيما بينك وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلصك إذا جاثاك للخصومة في أمته ، أما والله ؛ لا تنجو إلا بحجة تقيم لك النجاة ، فأبق على نفسك أو دع ؛ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته » .

فاستوى عبد الملك جالساً وكان متكئاً ، فقال : كذبت - لعمر الله - ومننت ولؤمت فيما جئت به ، قد ظن بك الحجاج ما لم يجد فيك ، وربما ظن الخير

بغير أهله ، قم فأنت الكاذب المائن الحاسد .

قال : فقمتم والله ما أبصر طريقاً ، فلما خلفت الستر . . لحقني لاحق من قبله ، فقال للحاجب : احبس هذا ، أدخل أبا محمد - للحجاج - فلبثت ملياً لا أشك أنهما في أمري ، ثم خرج الآذن فقال : قم يا بن طلحة فادخل ، فلما كشف لي الستر . . لقيني الحجاج وأنا داخل وهو خارج ، فاعتقني وقبل ما بين عيني ، ثم قال : إذا جزى الله المتحابين بفضل تواصلهم . . فجازاك الله أفضل ما جزى به أحداً ، فوالله ؛ لئن سلمت لك . . لأرفعن ناظرك ، ولأعلن كعبك ، ولأتبعن الرجال غبار قدمك ، قال : فقلت : يهزأ بي .

فلما وصلت إلى عبد الملك . . أدناني حتى أجلسني مجلسي الأول ، ثم قال : يا بن طلحة ؛ لعل أحداً من الناس شاركك في نصيحتك ؟ قال : قلت : لا ، والله ، ولا أعلم أحداً كان أظهر عندي معروفاً ولا أوضح يداً من الحجاج ، ولو كنت محابياً أحداً بديني . . لكان هو ، ولكن آثرت الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه والمسلمين .

فقال : قد علمت أنك آثرت الله عز وجل ، ولو أردت الدنيا . . لكان لك بالحجاج أمل ، وقد أزلت الحجاج عن الحرمين ؛ لما كرهت من ولايته عليهما ، وأعلمته أنك استنزلتني له عنهما استصغاراً لهما ، ووليته العراقيين ؛ لما هنا من الأمور التي لا يرحضها إلا مثله ، وأعلمته أنك استدعيتني إلى التولية له عليهما ؛ استزادة له ؛ ليلزمه من ذمامك ما يؤدي به عني إليك أجر نصيحتك ، فاخرج معه ؛ فإنك غير ذام صحبته مع تقريره إياك ويدك عنده .

قال : فخرجت على هذه الجملة .

* * *

هنا القاهرة

يا مصر ؛ أنتِ كوكبة العصر ، وكتيبة النصر ، وإيوان القصر ، أنتِ أم الحضارة ، ورائدة المهارة ، ومنطلق الجدارة ، وبيت الإمارة ، ومقر السفارة ، ومهبط الوزارة .

من أين نبدأ يا مصر الكلام ؟ وكيف نلقي عليك السلام ، قبل وقفة الاحترام ؟! لأن في عينيك الأيام ، والأعلام ، والأقلام ، والأعوام .

يا مصر أنتِ صاحبة القبول والعجاء ، كم من قلب فيك شجاء ما شجاء ؟! ونحن جئنا ببضاعة مزجاة .

يا ركب المحبين أينما حللتم وارتحلتم ، وزهبتهم وأقبلتم ، اهبطوا مصر ؛ فإن لكم ما سألتهم .

يا أرض العز ، يا قاهرة المعز ، يا بلاد العلم والقطن والبز .
سلام عليك يا أرض النيل ، ويا أم الجيل ، الحب لك أرض ، والجمال سقف ، والمجد لك وقف .

ويا داخل مصر منك ألف ، ما أحسن الجفن والجيد والكف .
التقى الطيب والكافور في مصر ، لما التقى أبو الطيب وكافور في القصر .

قبل أن يدخل جوهر الصقلي مصر كان عبداً مملوكاً ، فلما دخلها . . صار يحكم ملوكاً .

قل للأخيار المكرمين ، الوافدين إليها مغرمين ، والقادمين عليها مسلمين : ﴿ اَدْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ .

في مصر تعانقت القلوب ، وتصافح المحب والمحبوب ، والتقوى يوسف ويعقوب ، فصفق الدهر ليوسف منشداً ، وغنى الزمان له مغرداً ، وخروا له سجداً .

في مصر ترعرع الشعر ، وسال القلم البليغ بالسحر ، فكان الفضاء لكتاب مصر صفحة بيضاء ، يكتب كل ما يشاء ، فصارت العقول في ذهول ، من روعة المنقول والمعقول ، وأذعنت القلوب في قبول ، ترحب بالشاعر المصقع ، والقلم المبدع ، والرأي المقنع .

في مصر القافية السائرة ، والجملة الساحرة ، والمقالة الآسرة ، والفكرة العاطرة .

عالم من الجنود ، والبنود ، والوفود .

دنيا للقادة ، والسادة ، أهل الإفادة ، والإجادة ، والرفادة .

ديوان للكتاب ، والحساب ، والأصحاب ، والأحباب .

محراب للعباد ، والزهاد ، والأمجاد ، والرواد ، علماء ، وحكماء ، وكرماء ، وحلماء ، وشعراء ، وأدباء ، وأطباء ، وخطباء ، ونجباء ، وأذكياء ، وأولياء ، وأصفياء ، وأوفياء .

هنا الدهر يكتب من ذكرياته فنوناً ، هنا التاريخ يبث من صدره شعجوناً ، هنا الجمال يسكب من إنائه فنوناً ، هنا خطى الزمان تتسارع ، والحضارات تتصارع ، والأهرام تقص علينا خبر الأيام ، وأحاديث الأقوام ، وما فعلته الأعوام .

هنا سُحق الطغيان ، ومُزق جنود الشيطان ، ودُمر فرعون وهامان ،

وأحرقَتْ وثيقة الزور والبهتان ، وارتفعت ملة الرحمان .

هنا عمرو بن العاص ، رحب به العوام والخواص ، وفرّ الظلم في قدومه
وغاص .

هنا تكتب الدموع على الخدود رسائل الأموات إلى الأحياء ، وخطاب
الأرض المفتوح إلى السماء ، وهنا تلتقي الظلماء والضياء ، والظمأ والماء ،
والصفاء والوفاء ، ويتعانق الضحك والبكاء ، والفراق واللقاء ؛ لتصبح الحياة
في مصر مهرجاناً لآلاف الصور والمشاهد ، والذكريات مساجد ، ومعابد ،
ومعاهد ، وجامعات ، وكلليات ، وشركات ، وأمسيات ، ومحاضرات ،
وندوات ، ولقاءات ، ومحاورات ، ومعاهدات .

صباح الخير يا أرض الكنانة ، وناصره الديانة ، وحاملة التاريخ بأمانة ،
وحافظة عهد الإسلام في صيانة ، وراعية الجمال في رزانة .

أدب خلّاب ، وجمال سلاب ، وسحر جذّاب ، وذكاء وثّاب ، وظل
مستطاب ، وأمان عذاب .

نهر يتدفّق ، وحسن يترفّق ، ودموع تترقّق ، وزهور تتفتّق ، وأكمام
تشقق ، ومقاصد تتحقّق .

وجد الإسلام فيكم يا أهل مصر أعياده ، كنتم يوم الفتوح أجناده ، وكنتم
مدده عام الرمادة ، وأحرقتم العدوان الثلاثي وأسياده ، وحطمت خط بارليف
وعتاده ، وكنتم يوم العبور آساده وقوّاده ، ففضلوا الشكر والإشادة ، وخذوا
من القلب حبّه ووداده .

منكم أمير الشعراء ، وكبير البلغاء ، وشيخ الفصحاء ، وسيد الخطباء ،
وأستاذ النجباء ، وأكبر الأطباء .

يسلك العقل في مصر سبيله ، ويحفظ الفؤاد من مصر نيله ، وتعيد الذاكرة
في مصر قصة ألف ليلة وليلة .

في مصر لطف الهواء ، وطيب الغذاء ، ونفع الدواء ، وشفاء الماء .
سلام على مصر في الآخرين ؛ لأنها كانت خزانة المسلمين ، ومدد
المجاهدين ، وسلة الخبز للجائعين ، ومقبرة المستعمرين ، أهلك الله
أعداءها ثم قال : ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ .

بوركت يا أرض السنابل ، ويا روض الجداول ، ويا بلاد الخمائل ، لك
في قلوبنا من الحب رسائل ، ومن الود مسائل .

الله أنت يا مصر ، بَنُوكَ أهل سعة في الحفظ ، وفصاحة في اللفظ ، منهم
سادات القراء ، وأئمة الفقهاء .

إذا قرأ منهم القاري كلام الباري . . تكاد تميد السواري ، وينسكب مع ندى
صوته الدمع الجاري .

وإذا خطب فيهم الخطيب ، بذاك الكلام العجيب . . سمعت البكاء
والنحيب .

مصر بلد الحديث المحبّر ، والحرف المسطر ، والروض المعطر .
سقاها الله الغيث المدرار ، وحماها من الأخطار ، وصانها من لوثة
الأشرار .

* * *

يُوتَى أَحَبُّهُ مَرَّتَيْنِ

وفي كتاب « مطلع البدرين فيمن يؤتى أجره مرتين » للسيوطي :

حديث القرآن فيمن يؤتى أجره مرتين :

قال الله تعالى مخاطباً أزواج نبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمْ

وقال تعالى : ﴿ يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا اتَّقُوا اللّٰهَ وَاٰمِنُوْا بِرِسُوْلِهِۦٓ ۙ يُّؤْتِكُمْ كِفٰلَيۡنِ مِّنۡ رَّحْمَتِهٖ ۙ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ الْقُرْآنُ زَعَمُوا إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ مِمَّا كُنْتُمْ تُخَرِّجُونَهُمْ مِنْ دِينِكُمْ فَانظُرُوا إِلَى إِلْفِكُمْ بِالْقُرْآنِ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعِيفِ بِمَا عَمِلُوا ﴾ .

* * *

ثلاثة لهم أجران :

وأخرج الشيخان عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة لهم أجران - وفي لفظ : يؤتون أجرهم مرتين - : رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه ، وأدرك النبي صلى الله عليه وسلم فأمن به ، واتبعه ، وصدقه . . .
فله أجران ، وعبد مملوك أدى حق الله تعالى ، وحق سيده . . . فله أجران ، ورجل كانت له أمة ، فأدبها فأحسن أدبها ، ثم أعتقها وتزوجها . . . فله أجران » .

جزاء من أسلم من أهل الكتاب :

وأخرج الطبراني في « الكبير » عن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب عام حجة الوداع : « من أسلم من أهل الكتابين . . فله أجره مرتين ، ومن أسلم من المشركين . . فله أجره » .

* * *

أربعة يؤتون أجرهم مرتين :

وأخرج أيضاً عن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أربعة يؤتون أجرهم مرتين : أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن أسلم من أهل الكتاب ، ورجل كانت عنده أمة فأعتقها ثم تزوجها ، وعبد مملوك أدّى حق الله وحق سادته) .

* * *

جزاء العبد إذا نصح لسيده :

وأخرج الشيخان عن ابن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن العبد إذا نصح لسيده ، وأحسن عبادة ربه . . فله أجره مرتين » .
وأخرج عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « للعبد المملوك الصالح أجران » .

* * *

جزاء أهل القرآن :

وأخرج الشيخان عن عائشة رضي الله تعالى عنها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذي يقرأه وهو عليه شاق . . له أجران » .

وأخرج الدارمي في « مسنده » عن وهب الزماري قال : (من آتاه الله القرآن فقام به آناء الليل ، وآناء النهار ، وعمل بما فيه ، ومات على الطاعة . بعثه الله يوم القيامة مع السفرة والأحكام - والسفرة : الملائكة ، والأحكام : الأنبياء - قال : ومن كان عليه حريصاً وهو يتفلى منه ، وهو لا يدعه . . أوتي أجره مرتين) .

* * *

جزاء الحاكم المجتهد :

وأخرج البخاري وأبو داود عن عمرو بن العاص ، وأبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا اجتهد الحاكم فأصاب . . فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ . . فله أجر » .

وأخرج البيهقي في « الشعب » من طريق عبد الرزاق عن معمر عن موسى بن إبراهيم عن رجل من آل أبي ربيعة أنه بلغه : أن أبا بكر حين استخلف . . قعد في بيته حزناً ، فدخل عليه عمر ، فأقبل على عمر يلومه ، فقال : أنت كلفتني هذا ؟ وشكى إليه الحكم بين الناس ، فقال عمر : أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الوالي إذا اجتهد فأصاب الحق . . فله أجران ، وإذا أخطأ . . فله أجر واحد » .

* * *

جزاء الصدقة على الأقارب :

وأخرج الشيخان عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود قالت : جئت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فإذا امرأة من الأنصار حاجتها حاجة ، فخرج علينا بلال ، فقلنا له : ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره أن امرأتين بالباب ؛

تسألانك : تجزىء الصدقة عنهما على أزواجهما ، وعلى أيتام في حجرهما ؟
فدخل بلال فسأله فقال : « لهما أجران : أجر القرابة ، وأجر الصدقة » .

وأخرج الطبراني في « الكبير » عن أبي أمامة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الصدقة على ذي قرابة يضعف أجرها مرتين » .

وأخرج في « الأوسط » عن ابن مسعود : أن امرأة سألت النبي صلى الله عليه وسلم : هل لها من الأجر في زوجها ، وأيتام في حجرها وهم بنو أخيها أن تجعل صدقتها فيهم ؟ فقال : « نعم ، لها أجران : أجر القرابة ، وأجر الصدقة » .

وأخرج عن جمرة بنت قحافة قالت : قلت : يا رسول الله ؛ زوجي محتاج ؛ فهل يجوز أن أعود عليه ؟ قال : « نعم ، لك أجران » .

* * *

فِرَّ إِلَى نَفْسِكَ

والله لو برزت للناس بتاج مشلشل ، في همة تشرشل ، ولو فرشت للناس بالذهب الأسفلت ، في مجد روزفلت . . لقلبوا مدحك قدحاً ، وجدك مزحاً ، وكذروا صفوك مساءً وصباحاً .

اشرب من دنان عزلتك كما دوّن دانتني في روما مقالته : العزلة في الدار مملكة الأفكار . وفي دفاتر فلوتير : إن حسن التفكير في البعد عن الكثير . لو كان لي كرة . . لاعتزلت الناس بالمرة ، فخلطتهم تذهب المسرة ، ولكن الحمد لله عرفنا الاختلاط وضره ، والاجتماع وشره ، وعذرنا قول ابن مطيع لله درّه :

أَنَا الَّذِي فَارَزْتُ يَوْمَ الْحَرَّةِ وَالشَّيْخُ لَا يَفِرُّ إِلَّا مَرَّةً
سكن في الكوخ طاغور ، فأنشد على الفور : يا أهل الدور والقصور ؛ أنا أسعد منكم ، سعادتكم بجواهر البحور ، ودر النحور ، وسعادتي بفرائد المعارف ، وقلائد المصاحف ، نحن عبيد الله ، وأنتم عبيد الدينار الذي يؤدي إلى النار . أحب المتنبي الشهرة ، فباع قريضه ، وترك الفريضة ، وسافر في آماله العريضة ، فصار خويضة .

إذا احتجب القمر بالخسوف . . قام الناس يصلون في صفوف ، والكل يبكي بكاء الملهوف ؛ لأن الغائب مقدّر ، والمحجوب موَقَّر ، فلا تبذل وجهك لكل سفيه ، فيصيبك من رماد الجهل سوافيه ، وما فيه يكفيه .

صفق المجد لابن مقلة وانبسط ، ففرح واغتبط ، وجمع حوله الشرط ،
فَعَزَلَ وسقط ، ثم قطعوا يمينه ، وأبكوا عينه ، وداسوا جبينه .

من خالط الأشرار . . انتكس وارتكس ، ومن رافق الفجار . . تعس .
لم تحمد سيرة ابن الزيات ؛ لأنه صب الزيت على النار بإيذاء أحمد ،
وزيت أحمد سني يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار ، فوضع ابن الزيات في فرن ،
فاشتعل بنار الخلاص ؛ والجروح قصاص .

لما رأى سعدُ العقوق . . خرج إلى العقيق ، فذبح على الخلاص من الدنيا
عقيقة ؛ حمداً لله على سلامته من شر ابنه العاق .

رفض عمر بن سعد بن أبي وقاص عزلة والده وخالط المسيئين ، وتورط
في قتل الحسين ، زرع مع ابن زياد حنظلة البغي بعد قطع ريحانة الرسول .
لو كان لابن بقية بقايا من عقل التقية . . لما أركبه عضد الدولة منبر
الصلب ، ليقول فيه ابن الأنباري :

عُلُوٌّ فِي الْحَيَاةِ وَفِي أَلْمَمَاتِ

وفي مذكرات كونفوشيوس : الناس عبيد الفلوس ، لهم نيب على المال
كنيب التيوس .

وعلى ذكر النيب ، يقول حسان الشاعر المصيب ، وهو من باب التأديب
والتهذيب والتأنيب ، لمن اهتم بكلام العوام ، الهوام السوام ، عبّاد الحطام :
مَا أَبَالِي أَنْبَبَ بِالْحُزْنِ تَيْسٌ أَمْ لِحَانِي بِظَهْرِ غَيْبٍ لَيْثٌ
يا من خاف من الناس القصف والسيف والخسف ؛ فر إلى غار العزلة
واقراً : ﴿ فَأَوُّا إِلَى الْكَهْفِ ﴾ .

* * *

ودمع لا يكف يا دمشق

السلام عليك يا أرض شيخ الإسلام ، ورحمة الملك العلام ، أيها
الحضور الكرام ، في دمشق الشام .

يا دمشق ؛ ماذا تكتب الأقلام ، وكيف يرتب الكلام ، وماذا نقول في
البداية والختام ؟!

في دمشق الذكريات العلمية ، والوقفات الإسلامية ، والمآثر الأموية .
وفيها يرقد ابن تيمية ، وابن قيم الجوزية .

وفي دمشق حلقات الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية .

يحق لحسان أن ينوح على تلك الأوطان ، ويسكب عليها الأشجان .

تذكرك دمشق بمعاوية بن أبي سفيان ، وعبد الملك بن مروان ، وبني
غسان ، والشعر والبيان ، والمجالس الحسان .

دمشق سماء زرقاء ، وروضة خضراء ، وقصيدة عصماء ، وظل وماء ،
وعلوّ وسناء ، وهمة شماء .

ما أبقي لنا الشوق بقية ، لما سمعنا تلك القصيدة الشوقية ، في الروابي
الدمشقية .

في دمشق أكباد تخفق ، وأوراق تصفق ، ونهر يتدفق ، ودمع يترقرق ،
وزهر يتشقق .

دخلنا دمشق فاتحين ، وصعدنا رباها مسبحين ، فدمشق في ضمائرنا كل

حين ، وهي غنية عن مدح المادحين ، ولا يضرها قدح القادحين .
 آه يا دمشق ؛ كم في ثراك من عابد ، كم في جوفك من زاهد ، كم في
 بطنك من مجاهد ، كم في حشاك من ساجد ؟!
 أنت يا دمشق سفر خلود ، وبيت جود ، منك تهب الجنود ، وتحمل البنود .
 يُصنع على ثراك الأحرار ، ويُسحق على ترابك الاستعمار ، ويُحبك
 يا دمشق الأخيار ، فأنت نعم الدار .
 تقطع إليك من القلوب التذاكر ، من زارك . . عاد وهو شاعر ، ولأيامك
 ذاكر ، يكفيك « تاريخ ابن عساكر » ، صانك الله من كل كافر .
 في دمشق روضة العلماء ، وزهد الأولياء ، وسحر الشعراء ، وحكمة
 أبي الدرداء ، وجفان الكرماء .
 في دمشق عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد ، والملك الزاهد ، والولي
 العابد ، يطارد الظلم والظالمين ، ويحارب الإثم والآثمين ، فيذكر الناس
 بالخلفاء الراشدين ، ويعيد للإسلام جماله في عيون الناظرين .
 في دمشق براعة ابن كثير ، وعبقريه ابن الأثير ، وتحقيق النووي ، وفطنة
 ابن عبد القوي .
 يكفيك أيها الشام السعيد ، أن فيك القائد الفريد ، والبطل السديد ،
 خالد بن الوليد ، سيف الله الهمام ، كاسر كل حسام ، أغمد في الشام ،
 السلام عليك يا أبا سليمان ، يا قائد كتية الإيمان ، ويا رمز كتية الرحمن .
 صحح الألباني ، المحدث الرباني ، أحاديث في فضل تلك المغاني .
 وأول أبيات في « الأغاني » ، لأبي الفرج الأصبهاني ، في وصف دمشق
 وتلك المباني .

وقد نسي ابن كثير نفسه ، وملأ بالمدح طرسه ، لما تحدث عن دمشق ،
فقلمه بالثناء سبق ، وبالإطراء دفع ، وحرار الحكماء في وصف دمشق وطيب
هوائها ، وعذوبة مائها ، واعتدال أجوائها ، وذكاء علمائها ، وبلاغة
خطبائها ، وتقدم شعرائها ، وعدل أمرائها ، وجمال نسائها ، حتى إن بعض
العلماء ذكر أن دمشق أم البلدان ، وأنها في الدنيا جنة الجنان .

دخل دمشق الصحابة ، كأنهم وبل سحابة ، أو أسد غابة ، فلقيتهم
بالأحضان ، وفرشت لهم الأجفان ، فعاشوا على روابيها كالتيجان .
في دمشق فنون وشجون ، وعيون ومتون ، وسهول وحزون ، وتين
وزيتون .

دمشق جديدة كل يوم ، وهي حسناء في أعين القوم ، وقد بكى من فراقها
ملك الروم .

إذا دخلت دمشق تتمايل أمامك السنايل ، وتراقص في ناظريك الخمائل ،
وتصفق لقدمك الجداول ، وترحب بطلعتك القبائل .

دمشق أعيادها يومية ، وأعلامها أموية ، وأطيافها سماوية ، وبسيوف
أهلها محمية .

دمشق في الحسن مفرطة ، وبجواهر الجمال مقرطة ، وفي الطقس
متوسطة .

الجمال دمشقي ؛ لأنه لا بد له من روضة فيحاء ، وخميلة غناء ، وحة
خضراء ، وظل وماء .

والحب دمشقي ؛ لأنه لا بد له من أشواق مسعفة ، وأحاسيس مرهفة ،
والمعية ومعرفة .

كُتِبَ في دمشق « تاريخ الرجال » ، وُسُطِرَ في دمشق « تهذيب الكمال » ،
وألف الذهبي في دمشق « ميزان الاعتدال » ، واحتسب ابن تيمية في دمشق الرد
على أهل الضلال ، وأرسل لنا المتنبي من الشام تلك القصائد الطوال ، وذاك
السحر الحلال .

في دمشق رسائل الياسمين ، ودفاتر اليقطين ، ومؤلفات النسرين ،
للحمام بها رنين ، وللعندليب بها حنين ، كأنها تقول : ﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ
ءَامِينَ ﴾ .

ليس لدمشق الشام دين غير الإسلام .

فطرت دمشق على الإيمان ، ولذلك طردت الرومان ، ورحبت بحملة
القرآن .

ليس لقيصر الروم في دمشق قرار ، ولذلك ولى الأدبار ، ولاذ بالفرار ؛
لأن الدار دار المختار ، والمهاجرين والأنصار .

في الشام يرقد سيف الدولة الملك الهمام ، وابن نبانة خطيب الأنام ، وابن
قدامة تاج الأعلام ، وأبو فراس الحمداني الشاعر المقدام .

وفي دمشق سكن الزهري المحدث الشهير ، والأوزاعي العالم النحرير ،
والبرزالي المؤرخ الكبير ، والسبكي القاضي الخطير .

أتانا من دمشق كتاب « رياض الصالحين » ، وكتاب « روضة المحبين
ونزهة المشتاقين » ، وكتاب « عمدة الطالبين » ، وكتاب « مدارج
السالكين » ، وكتاب « أعلام الموقعين » .
فسلام على دمشق في الآخرين .

* * *

أقوال العظماء

وفي كتاب « الكامل » للمبرد :

كلمة أبي بكر في مرضه لعبد الرحمن بن عوف :

قال أبو العباس : ومما يؤثر من حكيم الأخبار ، وبارع الآداب ، ما حدثنا به عن عبد الرحمن بن عوف وهو أنه قال : دخلت يوماً على أبي بكر الصديق رحمة الله عليه في علته التي مات فيها ، فقلت له : أراك بارئاً يا خليفة رسول الله .

فقال : أما إني على ذلك لشديد الوجع ، ولما لقيت منكم يا معشر المهاجرين أشد علي من وجعي ؛ إني وليت أموركم خيركم في نفسي ، فكلكم ورم أنفه أن يكون له الأمر من دونه ، والله ؛ لتتخذن نضائد الديباج ، وستور الحرير ، ولتألمن النوم على الصوف الأزربي كما يألم أحدكم النوم على حسك السعدان ، والذي نفسي بيده ؛ لأن يقدم أحدكم فتضرب عنقه في غير حد . . . خير له من أن يخوض غمرات الدنيا .

يا هادي الطريق جرت ، إنما هو والله الفجر ، أو البحر .

فقلت : خفض عليك يا خليفة رسول الله ؛ فإن هذا يهيضك إلى ما بك ، فوالله ما زلت صالحاً مصلحاً ، لا تأس على شيء فاتك من أمر الدنيا ، ولقد تخليت بالأمر وحدك فما رأيت إلا خيراً .

* * *

عهد أبي بكر بالخلافة إلى عمر :

ومما روي لنا عنه رضي الله عنه حيث عهد عند موته وهو :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا ما عهد به أبو بكر خليفة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند آخر عهده بالدنيا ، وأول عهده بالآخرة ، في الحال التي يؤمن فيها الكافر ، ويتقي فيها الفاجر .

إني استعملت عليكم عمر بن الخطاب ، فإن بر وعدل . . فذلك علمي به ، ورأيي فيه ، وإن جار وبدل . . فلا علم لي بالغيب ، والخير أردت ، ولكل امرئ ما اكتسب ، ﴿ وَسِعَلُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ .

* * *

رسالة عمر بن الخطاب لأبي موسى في القضاء :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس .

سلام عليك ، أما بعد :

فإن القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة ، فافهم إذا أدلي إليك ؛ فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له .

أس بين الناس بوجهك ، وعدلك ، ومجلسك ، حتى لا يطمع شريف في حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك ، البينة على من ادعى ، واليمين على من أنكر ، والصلح جائز بين المسلمين ، إلا صلحاً أحل حراماً ، أو حرم حلالاً .

لا يمنعنك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك ، وهديت فيه لرشدك ،

أن ترجع إلى الحق ؛ فإن الحق قديمٌ ، ومراجعة الحق خير من التماذي في الباطل .

الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة ، ثم اعرف الأشباه والأمثال ، ففس الأمور عند ذلك ، واعمد إلى أقربها إلى الله ، وأشبهها بالحق ، واجعل لمن ادعى حقاً غائباً أو بينة أمدأ ينتهي إليها ، فإن أحضر بيته . . أخذت له بحقه ، وإلا . . استحللت عليه القضية ؛ فإنه أنفى للشك ، وأجلى للعمى .

المسلمون عدوٌّ بعضهم على بعض إلا مجلوداً في حدٍّ ، ومجرباً عليه شهادة زور ، أو ظنيماً في ولاء أو نسب ؛ فإن الله تولى منكم السرائر ، ودرأ بالبينات والأيمان .

وإياك والغلق والضجر ، والتأذي بالخصوم والتنكر عند الخصومات ؛ فإن الحق في مواطن الحق ليعظم الله به الأجر ، ويحسن به الذخر ، فمن صحت نيته ، وأقبل على نفسه . . كفاه الله بينه وبين الناس ، ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه . . شانه الله ، فما ظنك بثواب غير الله عز وجل في عاجل رزقه وخزائن رحمته ، والسلام .

* * *

الإمام المعصوم

ما أحسن الاسم والمسمّى ، وهو النبي العظيم في سورة عمّ ، إذا ذكرته . .
هلت الدموع السواكب ، وإذا تذكرته . . أقبلت الذكريات من كل جانب .
المتعبد في غار حراء ، صاحب الشريعة الغراء ، والملة السمحاء ،
والحنيفية البيضاء ، وصاحب الشفاعة والإسراء .
له المقام المحمود ، واللواء المعقود ، والحوض المورود .
هو المذكور في التوراة والإنجيل ، وصاحب الغرة والتحجيل ، والمؤيد
بجبريل .

خاتم الأنبياء ، وصاحب صفوة الأولياء .
إمام الصالحين ، وقدوة المفلحين ، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً
لِّلْعَالَمِينَ ﴾ .

تنظم في مدحه الأشعار ، وتُدبج فيه المقامات الكبار ، وتنقل في الثناء
عليه السير والأخبار ، ثم يبقى كنزاً محفوظاً لا يوفيه حقه الكلام ، وعلماً
شامخاً لا تُنصفه الأقلام .

إذا تحدّثنا عن غيره . . عصرنا الذكريات ، وبحثنا عن الكلمات ، وإذا
تحدّثنا عنه . . تدفق الخاطر ، بكلّ حديث عاطر ، وجاش الفؤاد ، بالحب
والوداد ، ونسيت النفس همومها ، وأغفلت الروح غمومها ، وسبح العقل في
ملكوت الحب ، وطاف القلب بكعبة القرب .

هو الرمز لكل فضيلة ، وهو قبة الفلك لكل خصال جميلة ، وهو ذروة سنام
المجد لكل خلال جليلة .

مرحباً بالحبيب ، والأريب ، والنجيب ، الذي إذا تحدثت عنه ..
تزاحمت الذكريات ، وتسابقت المشاهد والمقالات .

صلى الله على ذاك القدوة ما أحلاه ، وسلم الله ذاك الوجه ما أبهاه ،
وبارك الله على ذاك الأسوة ما أكمله وأعلاه .

علم الأمة الصدق وكانت في صحراء الكذب هائمة ، وأرشدنا إلى الحق
وكانت في ظلمات الباطل عائمة ، وقادها إلى النور وكانت في دياجير الزور
قائمة .

كانت الأمة قبله في سبات عميق ، وفي حضيض من الجهل سحيق ،
فبعثه الله على فترة من المرسلين ، وانقطع من النبيين ، فأقام الله به الميزان ،
 وأنزل عليه القرآن ، وفرق به الكفر والبهتان ، وحطمت به الأوثان والصلبان .

للأُم رموز يخطئون ويصيبون ، ويسدّدون ويغلطون ، لكن رسولنا صلى الله
عليه وسلم معصوم من الزلل ، محفوظ من الخلل ، سليم من العلل ، عُصم قلبه
من الزيغ والهوى ، فما ضل أبداً وما غوى ، إن هو إلا وحي يوحى .

للشعوب قادات لكنهم ليسوا بمعصومين ، ولهم سادات لكنهم ليسوا
بالنبوة موسومين ، أما قائدنا وسيدنا .. فمعصوم من الانحراف ، محفوظ
بالعناية والألطف .

قصارى ما يطلبه سادات الدنيا قصور مشيئة ، وعساكر ترفع الولاء
مؤيدة ، وخيول مسومة في ملكهم مقيدة ، وقناطير مقنطرة في خزائهم
مخلدة ، وخدم في راحتهم معبدة .

أما محمد عليه الصلاة والسلام.. فغاية مطلوبه ، ونهاية مرغوبه : أن يُعبد الله فلا يشرك معه أحد ؛ لأنه فرد صمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد .

يسكن بيتاً من الطين ، وأتباعه يجتاحون قصور كسرى وقیصر فاتحين ، يلبس القميص المرقوع ، ويربط على بطنه حجرين من الجوع ، والمدائن تفتح بدعوته ، والخزائن تقسم لأمته .

ماذا أقول في النبي الرسول ؟ هل أقول للبدر : حييت يا قمر السماء ؟ أم أقول للشمس : أهلاً يا كاشفة الظلماء ؟ أم أقول للسحاب : سلمت يا حامل الماء ؟

اسلك معه حيثما سلك ؛ فإن سنته سفينة نوح ، من ركب فيها.. نجا ، ومن تخلف عنها.. هلك ، نزل بزُّ رسالته في غار حراء ، وبيع في المدينة ، وفصل في بدر ، فلبسه كل مؤمن ، فيا سعادة من لبس ، ويا خسارة من خلعه فقد تعس وانتكس .

إذا لم يكن الماء من نهر رسالته.. فلا تشرب ، وإذا لم يكن الفرس مسوِّماً على علامته.. فلا تركب ، بلال بن رباح صار باتباعه سيداً بلا نسب ، وماجداً بلا حسب ، وغنياً بلا فضة ولا ذهب ، أبو لهب عمه لما عصاه.. خسر وتبّ ، سيصلي ناراً ذات لهب .

وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم ، وإنك لعلی خلق عظيم ، وإنك لعلی نهج قويم ، ما ضلّ ، وما زلّ ، وما ذلّ ، وما غلّ ، وما ملّ ، وما كلّ ؛ فما ضلّ ؛ لأن الله هاديه ، وجبريل يكلمه ويناديه ، وما زلّ ؛ لأن العصمة ترعاه ، والله أيده وهداه ، وما ذلّ ؛ لأن النصر حليفه ، والفوز رديفه ،

وما غلّ ؛ لأنه صاحب أمانة ، وصيانة ، وديانة ، وما ملّ ؛ لأنه أُعطي الصبر ، وُشُرح له الصدر ، وما كلّ ؛ لأن له عزيمة ، وهمة كريمة ، ونفساً طاهرة مستقيمة .

صلى الله عليه وسلم ما كان أشرح صدره ، وأرفع ذكره ، وأعظم قدره ، وأنفذ أمره ، وأعلى شرفه ، وأربح صفقة من آمن به وعرفه ، مع سعة الفناء ، وعظم الإناء ، وكرم الإباء ، فهو محمد الممجد ، كريم المحتد ، سخي اليد ، كأن الألسنة والقلوب رِيضت على حبه ، وأنست بقربه ، فما تنعقد إلا على وده .

إن للفرط السليمة ، والقلوب المستقيمة ، حباً لمنهاجه ، ورغبة عارمة لسلوك فجاجه ، فهو القدوة الإمام ، الذي يهدى به من اتبع رضوانه سبل السلام .

صلى الله عليه وسلم علم اللسان الذكر ، والقلب الشكر ، والجسد الصبر ، والنفس الطهر ، وعلم القادة الإنصاف ، والرعية العفاف ، وحب للناس عيش الكفاف .

صبر على الفقر ؛ لأنه عاش فقيراً ، وصبر على جموع الغنى ؛ لأنه ملك ملكاً كبيراً .

بعث بالرسالة ، وحكم بالعدالة ، وعلم من الجهالة ، وهدى من الضلالة . ارتقى في درجات الكمال حتى بلغ الوسيلة ، وصعد في سلم الفضل حتى حاز كل فضيلة .

هذا هو النور المبارك يا من أبصر ، هذا هو الحجة القائمة يا من أدبر ، هذا الذي أنذر وأعذر ، وبشر وحذر ، وسهل ويسر .

كانت الشهادة صعبة فسهّلها من أتباعه مصعب ، فصار كل بطل بعده

إلى حياضه يرغب ، ومن مورده يشرب .

وكان الكذب قبله في كل طريق ، فأباده بالتصديق ، من طلابه أبو بكر الصديق .

وكان الظلم قبل أن يبعث متراكماً كالسحاب ، فزحزحه بالعدل من تلاميذه عمر بن الخطاب .

وهو الذي ربي عثمان ذا النورين ، وصاحب البيعتين ، واليمين والمتصدق بكل ماله مرتين .

وهو إمام علي حيدرة ، فكم من كافر عفره ، وكم من محارب نحره ، وكم من لواء للباطل كسره؟! كأن المشركين أمامه حمر مستنفرة ، فرت من قسورة . كانت الدنيا في بلبال الفتنة نائمة ، في خسارة لا تعرف الربح ، وفي اللهو هائمة ، فأذن بلال بن رباح ، بحيي على الفلاح ، فاهتزت القلوب ، بتوحيد علام الغيوب ، فطارت المهج تطلب الشهادة ، وسبحت الأرواح في محراب العبادة ، وشهدت المعمورة لهم بالسيادة .

أرسله الله على الظلماء كشمس النهار ، وعلى الظمأ كالغيث المدرار ، فهز بسيوفه رؤوس المشركين هزاً ؛ لأن في الرؤوس مسامير اللات والعزى . عظمت بدعوته المنن ، فأرساله إلينا أعظم منة ، وأحيا الله برسالته السنن ، فأعظم طريق للنجاة اتباع تلك السنة .

تعلم اليهود العلم فعتلوه عن العمل ، ووقعوا في الزيغ والزلل ، وعمل النصارى بضلال ، فعملهم عليهم وبال ، وبعث عليه الصلاة والسلام بالعلم المفيد ، والعلم الصالح الرشيد .

* * *

الكتاب والبلاء

- وفي كتاب « التمثيل والمحاضرة » للثعالبي :
- القلم أحد اللسانين .
- عقول الرجال تحت أسنة أقلامها .
- صورة الخط في الأبصار سوادٌ ، وفي البصائر بياضٌ .
- بنوء الأقلام تصوب غيث الحكمة .
- القلم صائغ الكلام ، يفرغ ما يجمعه القلب ، ويصوغ ما يسبكه اللب .
- المأمون : لله در القلم ؛ كيف يحوك وشي المملكة .
- جعفر بن يحيى : لم أر باكياً أحسن تبسماً من القلم .
- إقليدس : الخط هندسةٌ روحانية ، وإن ظهرت بآلةٍ جثمانية .
- أفلاطون : الخط عقل العقل .
- قيل لنصر بن سيار : فلان لا يكتب ، فقال : تلك الزمانة الخفية .
- المبرد : رداءة الخط زمانة الأدب .
- ثمامة بن أشرس : ما أثرتُه الأقلام ، لم تطمع في دروسه الأيام .
- غيره : الكتاب ساسة الملك ، وعمّار المملكة ، وخزنة الأموال .
- بالأقلام تدبر الأقاليم .
- الكاتب من إذا أخذ طوماراً . . ملاه ، وإن اقتصر على شبرٍ . . كفاه .
- عقل الكاتب في قلمه .

جواب الجواب من الخطط الصعاب .

المتصفح للكتاب أبصر بمواضع الخلل فيه من منشئه .

كتاب المرء عنوان عقله ، ولسان فضله .

إبراهيم بن العباس : النقط الكثير في الكتاب استغناءً للمكاتب ،
والتخطيط الكثير استخفافاً به .

غيره : الكتاب جهابذة الكلام .

من قرأ سطرأ من كتاب قد ضُرب عليه . . فقد خان ؛ لأن الخط يخزن
ما تحته .

ابن المعتز : القلم مجهزٌ لجيوش الكلام ، يخدم الإرادة ، ولا يمل
الاستزادة ، وكأنه يقبل بساط سلطان ، أو يفتح باب بستان .

غيره : الخط نصف الكتابة .

الأقلام مطايا الأوهام .

الدواة من أنفع الأدوات ، والحبر أجدى من التبر .

صيرير الأقلام كصليل الحسام .

الكلام الفائق بالخط الرائق نزهة القلب ، وفاكهة النفس ، وريحانة الروح .

البليغ : من يحوك الكلام على حسب الأماني ، ويخيط الألفاظ على قدود

المعاني .

أبو الفتح البستي :

إِذَا أَقْسَمَ الْأَبْطَالُ يَوْمًا بِسَيْفِهِمْ وَعَدُّوهُ مِمَّا يُكْسِبُ الْمَجْدَ وَالْكَرَمَ
كَفَى قَلَمُ الْكُتَّابِ مَجْدًا وَرِفْعَةً مَدَى الدَّهْرِ أَنَّ اللَّهَ أَقْسَمَ بِالْقَلَمِ

سهل بن هارون : البيان ترجمان العقول ، وروض القلوب .

غيره : الكلام الحسن من مصائد القلوب .

أبو عبيد الله وزير المهدي : البلاغة ما فهمته العامة ، ورضيته الخاصة .

غيره : أبلغ الكلام ما سابق معناه لفظه .

البلاغة ما أشار إليه البحراني حيث قال :

وَرَكِبْنَ اللَّفْظَ الْقَرِيبَ فَأَدْرَكْنَ بِهِ غَايَةَ الْمَرَامِ الْبَعِيدِ

وخير الكلام ما كان لفظه فحلاً ، ومعناه بكرة .

ابن المعتز : البلاغة أن تبلغ المعنى ، ولم تطل سفر الكلام .

خير الكلام ما أسفر عن الحاجة .

البلاغة : ما صعب على التعاطي ، وسهل على الفطنة .

وأبلغ الكلام ما يؤنس مسمعه ، ويؤيس مصنعه .

أبلغ الكلام ما حسن إيجازه ، وقلّ مجازه ، وكثر إعجازه ، وناسبت

صدوره أعجازه .

البليغ من يجتني من الألفاظ أنوارها ، ويجتني من المعاني ثمارها .

الأدب أحد المنصبين .

الأدب لقاح العقول وغذاؤها .

لا غربة على أديب .

الأدب يشحذ الفطن .

ابن المعتز : لست تعدّم من الأديب كرمًا من طبعه ، أو تكرمًا من أدبه .

الأدب صورة العقل ، فحسن عقلك كيف شئت .

من زاد أدبه على عقله . . كان كالراعي الضعيف مع غنم كثيرة .

العقل بلا أدب كالشجرة العاقرة ، ومع الأدب كالشجرة المثمرة .

الأدب بين أهله نسب .

الأدب صنو الأديب .

الأدب وسيلة إلى كل فضيلة ، وذريعة إلى كل شريعة .

الأديب لا يجالس من لا يجانس .

قيدوا العلم بالكتابة .

إعجام الخط يمنع من استعجابه ، وشكله يؤمن من إشكاله .

الخطوط المعجمة كالبرود المعلمة .

اكتبوا الكتب لأواخر أعماركم .

ما حفظ فر ، وما كتب قر .

إن هذه الآداب شوارد ، فاجعلوا الكتب لها أزيمة .

المذاكرة صيقل العقل .

الكتب بساتين العقلاء .

وخير جليس في الزمان كتاب

علمٌ لا يعبر معك الوادي لا يعمر بك النادي .

بزرجمهر : الكتب أصداف الحكم ، تنشق عن جواهر الكلم .

إنفاق الفضة على كتب الآداب ، يخلف عليك ذهب الألباب .

الجاحظ : الكتاب وعاء ملئ علماً ، وظرفٌ حشي ظرفاً .

بستانٌ يحمل في ردنٍ ، وروضةٌ تقلب في حجر ، ينطق عن الموتى ،

ويترجم عن الأحياء .

من صنف كتاباً . فقد استهدف ؛ فإن أحسن . . فقد استعطف ، وإن

أساء . . فقد استقذف .

التُّفُّ من الأدب قراضات الذهب .

لا تأمنن قارئاً على صحيفة ، ولا امرأة على عطر .

الأدب كالسيف ، والمذاكرة كالمنن .

منصور الفقيه :

قَالُوا: خُذِ الْعَيْنَ مِنْ كُلِّ، فَقُلْتُ لَهُمْ: فِي الْعَيْنِ نَضْلٌ، وَلَكِنْ نَظَرُ الْعَيْنِ
حَرْفَيْنِ مِنَ أَلْفِ طُومَارٍ مُسَوَّدَةٍ وَرُبَّمَا لَمْ نَجِدْ فِي أَلْفِ حَرْفَيْنِ
وله :

وَمِنْ أَلْبَلَوَى أَلْتِي لَيْسَ لَهَا فِي النَّاسِ كُنْهُ
أَنَّ مَنْ يُخْسِنُ شَيْئاً يَدَّعِي أَكْثَرَ مِنْهُ
دل على عاقلٍ اختياره .

تقلل من الأدب ؛ لتحفظ ، وتكثر منه ؛ لتعلم .

اجعل ما في كتبك رأس مالك ، وما في قلبك النفقة .

* * *

ترويح القلوب مطلوبٌ مرغوب

وفي « أخبار الحمقى والمغفلين » :

عن حنظلة الكاتب : أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الجنة والنار ، وكنا كأنا رأينا رأي عين ، فخرجت يوماً ، فأتيت أهلي فضحكت معهم ، فوقع في نفسي شيء ، فلقيت أبا بكر فقلت : إني قد نافقت ، قال : وما ذاك ؟ قلت : كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر الجنة والنار ، فكنا كأنا رأينا رأي عين ، فأتيت أهلي فضحكت معهم .

فقال أبو بكر : إنا لنفعل ذلك ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له ، فقال : « يا حنظلة ؛ لو كنتم عند أهليكم كما تكونون عندي . . لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي الطريق ، يا حنظلة ؛ ساعة وساعة » .

وقال علي بن أبي طالب : روّحوا القلوب واطلبوا لها طرف الحكمة ؛ فإنها تملّ كما تملّ الأبدان .

وقال أيضاً : إن هذه القلوب تملّ كما تملّ الأبدان ، فالتمسوا لها من الحكمة طرفاً .

وعن أسامة بن زيد قال : روّحوا القلوب تع الذكر .

وعن الحسن قال : إن هذه القلوب تحيي وتموت ، فإذا حييت . .

فاحملوها على النافلة ، وإذا ماتت . . فاحملوها على الفريضة .

وعن الزهري قال : كان رجل يجالس أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحدثهم ، فإذا كثروا وثقل عليهم الحديث .. قال : إن الأذن مجاجة ، وإن القلوب حمضة ، فهاتوا من أشعاركم وأحاديثكم .
وقال أبو الدرداء : إني لأستجم نفسي ببعض الباطل ؛ كراهية أن أحمل عليها من الحق ما يَكِلُّها .

وعن محمد بن إسحاق قال : كان ابن عباس إذا جلس مع أصحابه .. حدثهم ساعة ، ثم قال : حمضونا ، فيأخذ في أحاديث العرب ، ثم يعود يفعل ذلك مراراً .

وعن الزهري : أنه كان يقول لأصحابه : هاتوا من أشعاركم ، هاتوا من حديثكم ؛ فإن الأذن مجة ، والقلب حمض .

وقال ابن إسحاق : كان الزهري يحدث ثم يقول : هاتوا من ظرفكم ، هاتوا من أشعاركم ، أفيضوا في بعض ما يخفف عليكم ، وتأنس به طباعكم ؛ فإن الأذن مجاجة ، والقلب ذو تقلب .

وعن مالك بن دينار قال : كان الرجل ممن كان قبلكم إذا ثقل عليه الحديث .. قال : إن الأذن مجاجة ، والقلب حمض ، فهاتوا من ظرف الأخبار .

عن ابن زيد قال : قال لي أبي : إن كان عطاء بن يسار ليحدثنا أنا وأبا حازم حتى يُبكيانا ، ثم يحدثنا حتى يضحكنا ، ثم يقول : مرة هكذا ، ومرة هكذا .

ووصف رجل من النساك عند عبيد الله ابن عائشة ، فقالوا : هو جدُّكُ ، فقال : لقد أضاق على نفسه المرعى ، وقصر طول النهي ، ولو فككها

بالانتقال من حال إلى حال . . لتنفس عنها ضيق العقدة ، وراجع الجد بنشاط
وحدة .

وعن الأصمعي قال : سمعت الرشيد يقول : النوادر تشحذ الأذهان ،
وتفتق الآذان .

* * *

سلام على بغداد

اجتمع أربعة أدباء ، نجباء خطباء ، فتعاهدوا ، وتعاهدوا ، وتواعدوا ،
على أن يصفوا بغداد ، دار الأمجاد ، وبيت الأجواد ، وكوكبة البلاد .
فالأول : عليه وصف علمائها ، وفقهائها .

والثاني : يصف خلفاءها وأمرائها .

والثالث : يصف شعراءها وأدباءها .

والرابع : يصف أرضها ، وسماءها ، وماءها ، وهواءها ، وبهاءها .

فبدأ الأول ويُدعى أبا قتادة ، وهو صاحب ذكاء وإجادة ، وعلم وإفادة ،
فقال :

والله ؛ لو كتبت بدمع العيون ، على صفحات الجفون . . ما أنصفت بغداد
على مداد القرون ، لكن سوف أصف ما كان فيها من علم وعلماء ، بلغ
مجدهم الجوزاء .

ولكن أقول بعد الصلاة والسلام على الرسول : اعلم أن من بغداد
أشرقت شمس الرواية ، وبزغ فجر الدراية ، كانت في العلوم آية ، وفي الفنون
غاية .

فكان بها أهل الحديث ، ولم يكن بها بعني خبيث .

ولك أن تتخيل مجلس أحمد ابن حنبل ، عمائم بيضاء ، وهمة قعساء ،
وسكينة وحياء .

إذا قال أحمد : حدّثنا أو أخبرنا . . أطرقت الرؤوس ، وخشعت النفوس ،
وتفتحت أبواب السماوات ، وتنزلت الرحمات .

ثم تذهب إلى مجلس فيه طائفة من الخاشعين ، فتجد وسطهم يحيى بن
معين ، يحدث عن رسول رب العالمين ، يجرح ويُعدّل ، ويُجمل ويُفصّل ،
كأنه ميزان منزل .

ولله كم من ذكريات تشجيني ، إذا ذكرت علي بن المديني ، ذاك البطل ،
إمام العلل ، السليم من الزلل ، فتراه يفتش الأسانيد ، وينخل المسانيد ، بفهم
دقيق ، وعلم وتحقيق ، يعرف العلة في المسند المستقيم ، كما يعرف الطبيب
السقيم .

ولا تنس البخاري ، الضياء الساري ، والنهر الجاري ، قيّد الألفاظ ،
وأفحم الحفاظ ، إن شكّ في حديث . . علّقه ، وإن طال مثنه . . فرّقه ، وإن
لقي كاذباً . . مزّقه ، هو السيف الحاسم لسنة أبي القاسم ، اقرأ تبويبه ، افهم
ترتيبه ؛ لترى كل عجيبة .

بغداد تشرفت بالسفيانيين ؛ الثوري وابن عينة ، وأصبحت بالعلماء أجمل
مدينة .

وهي مدينة الكرخي معروف ، والإمام الشافعي المعروف .
من بغداد أصحاب الصحاح والسنن ، وأهل الذكاء والفطن .
وهي للحديث دار الضرب والصلب ؛ بها تضرب الموضوعات
للوزاعين ، ولكن تصلب الكذابين على خشب السلطان المتين .
قال بعضهم : من لم يدخل بغداد . . لم يدخل الحياة الدنيا ، ومن لم
يشاهد حسنّها . . ما شاهد النجوم العليا .

فقام الثاني يصف الخلفاء والأمراء ، الذين ملؤوا الدنيا بالعطاء والسخاء ،
فقال :

هذه مدينة السفاح ، الذي خضب السيوف والرماح ، فهو لكل مجرم
بطاح ، ولكل عدو نطاح .

هذه مدينة المنصور ، صاحب الدور والقصور ، الداهية الجسور ،
والأسد الهصور .

هذه مدينة الرشيد ، صاحب القصر المشيد ، والمجد الفريد ، والصيت
البعيد .

هذه مدينة المأمون ، صاحب الفنون ، وجامع المتون ، ولكنه بالفلسفة
مفتون .

هذه مدينة المعتصم المغوار ، الذي أوطأ خيل الكفار ، وأورد نحورهم
كل بتار .

ثم قام الثالث يصف الأدباء ، ويشني على الخطباء ، فقال :
في بغداد أكبر ناد ، للشعراء الأجواد ، إذا شرب الشاعر من ماء الفرات . .
أتى بالمعجزات ، وخلق الأبواب بالأبيات ، سمّ لي شاعراً ما دخل بغداد ،
أذكر لي أديباً ما تشرف بتلك البلاد .

من بغداد أبو تمام ، والبحثري الهمام ، وترنح بها المتنبي بعض عام .
سجل بها ابن الرومي رواياته ، وأبدع إلياذاته ، وأروع أبياته .
وفي بغداد أبو العتاهية ، الشاعر الداهية ، منذر القلوب اللاهية ،
وصاحب الرسائل الباهية ، الآمرة الناهية .
وهي أرض بشار ، ناسج أجمل الأشعار .

من بغداد انطلقت في البحار والبراري ، رائعة ابن الأنباري :

عُلُوٌّ فِي الْحَيَاةِ وَفِي الْمَمَاتِ

من بغداد استمع الدهر في عجب ، لدوي :

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنْ أَلْكَتُبِ

بغداد مهرجان أدبي كبير ، لكل أديب تحرير ، فيها شعر ونثر ، وحبصاء
ودر ، جد وهزل ، وحب وغزل ، كأن التاريخ كله في بغداد اجتمع ، وكأن
الدهر لصوتها يستمع . وكأن ضوء الشمس من بغداد يرتفع .

فقام الرابع فقال :

كأن الأرض أخذت من بغداد جمالها ، أفدي بنفسي سهلها وجبالها .

دجلة له خير ، والفرات له هدير ، والنسيم به له زئير .

كأن الهواء سرق من المسك أريجيه ، وكأن الماء أخذ من العاشق نشيجه .

تغار من زهر بغداد الزهراء ، وتحمرّ خجلاً من حسن بغداد وجنتي
الحمراء .

كأن السحاب في سماء بغداد مع الشفق خضاب ، وكأن بريق الفجر في
مشارف بغداد ذهب مُذاب .

كأن وجه بغداد مشرق ، قبل ميشيل علق ، فلما دخلها الرفاق ، وحزب
النفاق . . كتب على بغداد الشقاء والإخفاق .

أظن بغداد أصابها عين ، أو دخلها لعين ، ما لها قتلت المبدعين ،
وطردت اللامعين !

وأنا عاتب على بغداد ، والعتاب لا يغير الوداد ؛ لأنه جُلد بها أحمد ،
وقُتل بها أحمد ، وأُكرم بها أحمد ؛ فجُلد بها أحمد ابن حنبل ، الإمام

المبجل ، وقُتل بها أحمد بن نصر الخزاعي ، الإمام الواعي ، وهو إلى الحق
داعٍ ، وإلى البرِّ ساعٍ ، وأكرم بها أحمد بن أبي دؤاد ، داعية البدعة والعناد ،
والفتنة والفساد .

لكن بغداد لها حسنات يُذهبن السيئات ، ونهر الفرات ودجلة يطهران من
الحدث ، وإذا بلغ الماء قلتين . . لم يحمل الخبث .

* * *

في المشورة

وفي « العقد الفريد » لابن عبد ربه :

قال النبي صلى الله عليه وسلم : ما ندم من استشار ، ولا خاب من استخار .
وقد أمر الله تبارك وتعالى نبيه عليه الصلاة والسلام بمشاورة من هو دونه في
الرأي والحزم ، فقال : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ .

ولما همت ثقيف بالارتداد بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم .
استشاروا عثمان بن أبي العاص ، وكان مطاعاً فيهم ، فقال لهم : لا تكونوا
آخر العرب إسلاماً ، وأولهم ارتداداً . فنفعهم الله برأيه .

وسئل بعض الحكماء : أي الأمور أشدّ تأييداً للفتى ، وأيها أشدّ إضراراً
به ؟ فقال : أشدها تأييداً له ثلاثة : مشاورة العلماء ، وتجربة الأمور ، وحسن
الثبت ، وأشدها إضراراً به ثلاثة أشياء : الاستبداد ، والتهاون ، والعجلة .

وأشار حكيم على حكيم برأي فقبله منه ، فقال له : لقد قلت بما يقول به
الناصح الشفيق الذي يخلط حلو كلامه بمره ، وسهله بوعره ، ويحرك الإشفاق
منه ما هو ساكن من غيره ، وقد وعيت النصيح وقبلته ؛ إذ كان مصدره من عند
من لا يُشك في مودته ، وصفاء غيبه ، ونصح جيبه ؛ وما زلت بحمد الله إلى
الخير طريقاً واضحاً ، ومناراً بيناً .

وكان عبد الله بن وهب الراسي يقول : إياكم والرأي الفطير ، وكان يستعيز
بالله من الرأي الدّبري .

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : رأي الشيخ خير من مشهد الغلام .

وأوصى ابن هبيرة ولده فقال : لا تكن أول مشير ، وإياك والهوى والرأي الفطير ، ولا تشيرن على مستبد ، ولا على وغد ، ولا على متلون ولا لجوج ، وخف الله في موافقة هوى المستشير ؛ فإن النماس موافقته لؤم ، وسوء الاستماع منه خيانة .

وكان عامر بن الظرب حاكم العرب يقول : دعوا الرأي يغب حتى يختمر ، وإياكم والرأي الفطير . يريد : الأناة في الرأي ، والتثبت فيه .
ومن أمثالهم في هذا قولهم : لا رأي لمن لا يطاع .
وكان المهلب يقول : إن من البلية أن يكون الرأي بيد من يملكه دون من يبصره .

العتبي قال : قيل لرجل من عبس : ما أكثر صوابكم ! قال : نحن ألف رجل ، وفينا حازم واحد ، فنحن نشاوره ، فكأننا ألف حازم .
وقال الشاعر :

الرأي كَاللَّيْلِ مُسَوِّدٌ جَوَانِبُهُ وَاللَّيْلُ لَا يَنْجَلِي إِلَّا بِإِصْبَاحِ
فَأَضْمُمْ مَصَابِيحَ آرَاءِ الرُّجَالِ إِلَى مِصْبَاحِ رَأْيِكَ تَزْدَدُ ضَوْءَ مِصْبَاحِ
العتبي قال : أخبرني من رأى عبد الله بن عبد الأعلى ، وهو أول داخل على الخليفة وآخر خارج من عنده ، قال : ثم رأيت وإنه ليتقى كما يتقى البعير الأجرب ، فقال لي : يا أخا العراق ؛ اتهمنا القوم في سريرتنا ، ولم يقبلوا منا علانيتنا ، ومن ورائهم وورائنا حكم عدل .

ومن أحسن ما قيل فيمن أشير عليه فلم يقبل : قول سبيع لأهل اليمامة بعد

إيقاع خالد بهم : يا بني حنيفة ؛ بعداً لكم كما بعدت عاد وثمود ، أما والله لقد أنبأتكم بالأمر قبل وقوعه ، كإني أسمع جرسه وأبصر غيبه ، ولكنكم أبيتم النصيحة فاجتنيتم الندامة ، وإني لما رأيتم تتهمون النصيح ، وتسفهون الحليم . . استشعرت منكم اليأس وخفت عليكم البلاء ، والله ؛ ما منعكم الله التوبة ، ولا أخذكم على غرة ، ولقد أمهلكم حتى مل الواعظ ، ووهن الموعوظ ، وكنتم كأنما يعنى بما أنتم فيه غيركم ، فأصبحتم وفي أيديكم من تكذبي التصديق ، ومن نصيحتي الندامة ، وأصبح في يدي من هلاككم البكاء ، ومن ذلكم الجزع ، وأصبح ما فات غير مردود ، وما بقي غير مأمون .

وقال القطامي في هذا المعنى :

وَمَعْصِيَةُ الشَّفِيقِ عَلَيْكَ مِمَّا تَزِيدُكَ مَرَّةً مِنْهُ اسْتِمَاعَا
وَحَيْرُ الْأَمْرِ مَا اسْتَقْبَلَتْ مِنْهُ وَلَيْسَ بِأَنْ تَتَّبِعَهُ أَتْبَاعَا
كَذَاكَ وَمَا رَأَيْتُ النَّاسَ إِلَّا إِلَى مَا جَرَّ غَاوِيَهُمْ سِرَاعَا
تَرَاهُمْ يَغْمِرُونَ مَنْ اسْتَرْكُوا وَيَجْتَنِبُونَ مَنْ صَدَقَ الْمِصَاعَا
وينشد في الرأي بعد فوته :

وَعَاجِزُ الرَّأْيِ مِضْيَاعٌ لِفُرْصَتِهِ حَتَّى إِذَا فَاتَ أَمْرٌ عَاتَبَ الْقَدْرَا
ومن قولنا في هذا المعنى :

فَلَيْتَ سَمِعْتَ نَصِيحَتِي وَعَصَيْتَهَا مَا كُنْتُ أَوَّلَ نَاصِحٍ مَعْصِي

وقال حبيب في بني تغلب عند إيقاع مالك بن طوق بهم :

لَمْ يَأْلُكُمْ مَالِكٌ صَفْحًا وَمَغْفَرَةً لَوْ كَانَ يَنْفُخُ قَيْنُ الْحَيِّ فِي فَحَمٍ

* * *

الرجل الصّاعق

قال الراوي : نراك متيمّاً بابن تيمية ، تذكره باليومية ، ولك إليه ميل وحمية ؟

فقال : ليس عروس إلا بمهر ، وحديثنا عن ابن تيمية غدوّه شهر ورواحه شهر ، وحسبك أنه عالم الدهر ، ألف الواسطية فذُبت في حبها ، ودبج الحموية فتدوّقت من لبّها ، وجمع التدمرية تدمّر كل شيء بأمر ربها ، آه يا أحمد ابن تيمية ، يا من اهتدى بسميه ، فنصر السنة وهزم الجهمية ، بذل للطالين بحره ، وعرض للسيوف نحره .

ابن تيمية بطل ، هزّ الدول ، وأتبع القول العمل .
ابن تيمية للشريعة ابنٌ بارّ ، هجر الدرهم والدينار ، وهو لأعداء الملة سيف بتار .

جنته في صدره ؛ لأنه وحيد عصره ، وفريد دهره .
وقتلته شهادة ؛ لأنه مجتهد في العبادة ، كثير الإفادة .
أرهب عبدة الأصنام ، وأذل خصوم الإسلام ، وسلّ على كل ملحد الحسام .

كلامه شهب ، وردوده لهب ، وألفاظه ذهب .
تعطلّ به سوق الباطل وكسد ، وخافه كل من عصي وفسد ؛ لأن قلبه قلب أسد .

الرجل موحد ، متعبد ، متهجد ، متفرد ، مجدد ، زاهد ، عابد ،
ساجد ، ماجد ، حامد ، رائد ، مجاهد .

كم أزال من بدع ، وأظهر من ورع ، وكم من ملحد قمع .
سيفه على الضلال مسنون ، وقلبه عن حب الدنيا مسجون ، وهو صاحب
فنون ، وامتون ، وشجون .

سارت في الآفاق أخباره ، طارت في البقاع أشعاره ، كثر في الحق
أنصاره .

هو مدرسة الاعتدال ، وجامعة الاستقلال ، ورمز النضال .

لا يهاب ، ولا يرتاب ، ولا يغتاب .

ابن تيمية فريد ، لا يخضع للتقليد ، وما هو بيليد ، ولكنه عبقرى رشيد .

لكلامه حلاوة ، وعلى كتبه طلاوة .

نصر المعصوم ، وأفحم الخصوم .

الرجل رجل كفاح ، وإمام إصلاح .

مناضل يحب المناضلين ، ويحارب المغضوب عليهم والضالين .

همة وثابة ، وذاكرة خلابة ، وأفكار جذابة .

هو إمام التحرير والتحبير والتنوير ، ليس بجامد ولا جاحد ، ولكنه علامة
صامد ، مجاهد ، عابد .

أخذ بالعزائم وتورع في الرخص ، وتجرع من أجل الإسلام الغصص .

هذا الإمام كأنه بكل فضل مخصوص ، أعاد الأمة للنصوص ، وأراحنا من

ضلال صاحب « الفصوص » .

مرة يهيل التراب على القدريّة ، وأخرى يلقي الموت على النصيرية .

سَجَنَ الاعتزال ، في زنزانة الإهمال ، خرج على التتار بالنار ، وحضر ذاك
العراك ، فأذاق هولاً كوهلاك ، الرجل منصور ، وخصمه مقهور .
ترك المطاعم الشهية ، والمراكب الوطية ، والمناظر البهية .
له مع القرآن سمر ، ومع الذكر سهر ، وله جلسة في السحر .
صرامة في الحق ، وإصرار على الصدق ، وعلم في رفق .
زهد : فكأن الذهب تراب ، والجواهر أخشاب ، والدنيا خراب .
شجاعة : فكأن الموت عطية ، والهلاك مطية ، والمنية هدية .
علم : فكأن البحر زخر ، والمحيط انفجر ، والغيث انهمر .
تواضع : فهو أرق من النسيم ، رحيم بالمسكين واليتيم .
هذا الإمام جاد وليس بهازل ، وعن مبدئه لا يتنازل ، ولهذا سكن أعلى
المنازل .

أخلاق طاهرة ، وسنة عليه ظاهرة ، وهمة بين جنبيه باهرة .
ما هذا العمق والتأصيل ، واتباع الدليل ، وغزارة التحصيل ؟
لو أن ابن تيمية مبتدع . . ما فهمناه ، ولو أنصرف للدنيا . . لاتهمناه ، لكن
الرجل صاحب سنة ، يريد الجنة .
له عقل صحيح ، ولسان فصيح .
يفلج الخصوم بالحجة ، ويدل الناس على المحجة .
نعم الله عليه تامة ، ثم هو رجل عامة .
علامة الصدق في العالم : العزوف عن الدنيا ، وعدم الخوف من المنايا ،
وجمع السجايا ، وكذلك كان ابن تيمية .
ودليل فلاح العالم : لزوم أحسن طريقة ، والغوص على الحقيقة ، وحب

الخليقة ، وكذلك كان ابن تيمية .

وبرهان رفعة العالم : خشية الملك العلام ، وزُهد في الحطام ، ورفق بالأنام ، وتعليم للعوام ، وكذلك كان ابن تيمية .

ابن تيمية تفنن في العلوم ، ودفع الخصوم ، ولم يتعلق بالرسوم .
ليس العلم عند ابن تيمية جبة مدورة ، ولا عمامة مكورة ، ولا هيئة مصورة ، بل العلم تقى عميق ، ودليل بتحقيق ، وفهم دقيق .
وليست المنزلة عند ابن تيمية مراتب ومناصب وتكالب ، بل تضحية وجهاد ، ونفع للعباد ، وإصلاح للبلاد .

سفينة علمه لعباب الجهل ماخرة ، فآتاه الله ثواب الدنيا ، وحسن ثواب الآخرة .

معالم علم الرجل : فهم للسور ، واتباع للأثر ، وجمع للدرر ، وإيمان بالقدر ، وجهاد لمن كفر ، جعله الله في مقعد صدق عند مليك مقتدر .
ليس بقليل علم ؛ فهو يغرف من معين ، ولم يتزوج ؛ فهو خاطب الحور العين .

بطح البطائحية ، وجعل المعطلة ضحية .
مزق الزنادقة ، وأغرق بالحجج كل فرقة مارقة .
صار كالحاصب ، والعذاب الواصب ، على النواصب ، وأبرم الردود والنقائص ، للروافض .

كسر ظهور النصيرية في كسروان ، وأبطل خرافات الجهل بالقرآن ، وحل ألغاز الحلولية ، ورد كيد الاتحادية ، حفر لحداً للملاحدة ، وأخذ كل واحد منهم على حدة .

ذاكرته أصابها وابل الرسالة ، وهمته جمعت الحكمة والبسالة ، وذاكرته حملت البراعة والجزالة .

يشفي بعلمه الجهل ، ويعم سيله الجبل والسهل ، ويروي بفتواه الجموع الوافدة ، ويخطب في الجموع الحاشدة .

يفسر الآية في أشهر ، فينفجر منه أنهر .

له صولات وجولات ، وعزمات ، وثبات ، وإخبات .

واجه المغول في شقحب ، فذكرنا قصة علي ومرحب ، عجب بعضهم من شجاعته في تلك المشاهد ، وقال عنه : في الليل أحسنُ عابد ، وفي النهار أشجعُ مجاهد .

إذا تكلم .. قالوا : القرآن بين عينيه ، والسنة كلها لديه ، والحكمة تنزل عليه ، له كلام خالد ، ولفظ شارد .

يقول : كل أرض لا تشرق عليها شمس الرسالة فهي أرض ملعونة ، وكل نفس لا تنتصر على الهوى فهي نفس مسجونة ، وكل مهجة لا تبصر الحق فهي مهجة مغبونة .

ويقول : المعاصي تمنع القلب من الجولان في فضاء التوحيد ، وتحبس النفس عن محبة الرحيم الودود .

هذا الإمام بالحق يقول ، وله قبول ، جمع بين المنقول والمعقول .

له قريحة حيّة ، لا تقبل زيف القوانين الأرضية .

معه حجة ناطقة ، ونية صادقة ، ونفس للحق عاشقة .

نفس تعاف الذل لغير الله حتى كأنه الكفر ، ويد بيضاء بالعتاء ومن وسخ

الدنيا صفر .

رجل للملّة مديون ، وعمره للشرع مرهون ، وقلبه عن الدنيا مسجون ،
وله عند ربه أجر غير ممنون .

هذا الشيخ ليس بالمتكلف ، ولا للنصوص بالمتعسف ، عنده صفاء ذهن
يغوص على الحقائق ، وقوة خاطر يدرك الدقائق .

رد على أهل التصوف ، ونهاهم عن الانحراف والتكلف ، وألزم النواصب
حب القرابة ، واحترام الصحابة ، وأنكر على الرافضة الغلو والشطط ، وبين
لهم الخطأ والغلط .

وله الكلمة البديعة ؛ إذ يقول : لا يسع أحد مهما كان أن يخرج عن
الشرية .

ويقول : ليس أحد يدور معه الحق حيثما دار ، غير النبي المختار صلى الله
عليه وسلم .

وهو القائل : كل يوم وأنا أجدد إسلامي ، وأكثر لنفسي اتهامي .
وكان يرى أنه لا يسع أي أحد الخروج على الشريعة ، وأن الأحوال
والأقوال والأفعال المخالفة لها إنما هي أمور شنيعة .

ويقول في المنطق ، وهو قول عارف محقق : لا ينتفع به البليد ،
ولا يحتاج إليه الذكي الرشيد .

وهو لحم جمل غث على رأس جبل ، لا سهل فيرتقى ولا سمين
فيتقل .

والرجل له حساد ؛ لأنه تفرد وساد ، وجاهد لإصلاح كل فساد .
وهو صاحب أحوال عجيبة ، وآراء مصيبة ، وله مقامات جليلة ، ومذاهب
جميلة .

حلم عمن حسده ، وأكرم من قصده .

خاطب السلطان بأثبت جنان ، وأفصح لسان ، وطالبه بحمل الناس على
السنة النبوية ، والأخلاق المحمدية ، وشفع لأهل الحاجات ، وأرياب
الضرورات .

* * *

مدح الكتب

وفي كتاب « الحيوان » للجاحظ :

ثم لم أركَ رَضِيَتْ بالطعن على كلِّ كتاب لي بعينه ، حتَّى تجاوزتَ ذلك إلى
أنَّ عبتَ وُضِعَ الكتبُ كيفما دارت بها الحالُ ، وكيفَ تصرفَتْ بها الوجوه ،
وقد كنتُ أعجَبُ من عيبك البعضَ بلا علم ، حتَّى عِبتَ الكلَّ بلا علم ، ثم
تجاوزتَ ذلك إلى التشنيع ، ثم تجاوزتَ ذلك إلى نصب الحربِ فعبتَ
الكتابَ ؛ ونعم الذخر والعُقدة هو ، ونعم الجليس والعُدة ، ونعم النشرة
والنزهة ، ونعم المشتغل والحرفة ، ونعم الأنيس لساعة الوحدة ، ونعم
المعرفةُ ببلاد الغربِ ، ونعم القرين والدخيل ، ونعم الوزير والنزيل .

والكتاب وعاءٌ مُلِئَ علماً ، وَظَرَفُ حُشِي ظَرْفًا ، وإناءٌ شَحِنَ مُزَاحًا
وَجِدًا ؛ إِنْ شئتَ . . كانَ أبينَ من سَحَبَانِ وائل ، وإن شئتَ . . كانَ أعيَا من
باقل ، وإن شئتَ . . ضَحِكْتَ مِنْ نوادرِهِ ، وإن شئتَ . . عَجِبْتَ مِنْ غرائبِ
فرائده ، وإن شئتَ . . ألَهْتُكَ طرائفه ، وإن شئتَ . . أشجَّتَكَ مواعظه .

وَمَنْ لَكَ بِوَاعِظٍ مُلِّهِ ، وبزاجرٍ مُغِرٍ ، وبناسكٍ فاتِكٍ ، وبناطقٍ أخرسٍ ،
وبباردٍ حارٍّ ، وفي البارد الحارُّ يقولُ الحسنُ بن هانئ :

قُلْ لِرْهُيْرِ إِذَا أَنْتَحَى وَشَدَا	أَقْلِلْ أَوْ أَكْثِرْ فَأَنْتَ مَهْدَارُ
سَخُنْتَ مِنْ شِدَّةِ الْبُرُودَةِ حَتَّى	صِرْتَ عِنْدِي كَأَنَّكَ النَّارُ
لَا يَعْجَبُ السَّامِعُونَ مِنْ صِفَتِي	كَذَلِكَ الثَّلْجُ بَارِدٌ حَارُ

وَمَنْ لَكَ بِطَبِيبٍ أَعْرَابِيٍّ ، وَمَنْ لَكَ بِرُومِيٍّ هِنْدِيٍّ ، وَبِفَارِسِيٍّ يُونَانِيٍّ ،
وَبِقَدِيمٍ مَوْلَدٍ ، وَبِمَيِّتٍ مَمْتَعٍ ، وَمَنْ لَكَ بِشَيْءٍ يَجْمَعُ لَكَ الْأَوَّلَ وَالْآخِرَ ،
وَالنَاقِصَ وَالْوَافِرَ ، وَالْخَفِيَّ وَالظَّاهِرَ ، وَالشَّاهِدَ وَالْغَائِبَ ، وَالرَّفِيعَ
وَالْوَضِيعَ ، وَالْغَنِّ وَالسَّمِينِ ، وَالشُّكْلَ وَخِلَافَهُ ، وَالْجِنْسَ وَضَدَّهُ .

وبعد : فمتى رأيتَ بستاناً يُحْمَلُ فِي رُذْنٍ ، وَرَوْضَةً تُقَلُّ فِي حَجَرٍ ، وَنَاطِقاً
يَنْطِقُ عَنِ الْمَوْتَى ، وَيُترجمُ عَنِ الْأَحْيَاءِ .

وَمَنْ لَكَ بِمُؤْنَسٍ لَا يَنَامُ إِلَّا بِنَوْمِكَ ، وَلَا يَنْطِقُ إِلَّا بِمَا تَهْوَى ؛ أَمِنْ مِنْ
الْأَرْضِ ، وَأَكْتَمُ لِلسَّرِّ مِنْ صَاحِبِ السَّرِّ ، وَأَحْفَظُ لِلْوَدِيعَةِ مِنْ أَرْبَابِ الْوَدِيعَةِ ،
وَأَحْفَظُ لِمَا اسْتُحْفِظَ مِنَ الْآدَمِيِّينَ ، وَمِنَ الْأَعْرَابِ الْمَعْرِينَ ، بَلْ مِنْ الصَّبِيَّانِ
قَبْلَ اعْتِرَاضِ الْإِشْتِغَالِ ، وَمِنَ الْعُمَيَّانِ قَبْلَ التَّمَتُّعِ بِتَمْيِيزِ الْأَشْخَاصِ ، حِينَ
الْعَنَايَةُ تَامَّةٌ لَمْ تَنْقُصْ ، وَالْأَذْهَانُ فَارِغَةٌ لَمْ تَنْقَسِمِ ، وَالْإِرَادَةُ وَافِرَةٌ لَمْ تَتَشَعَّبْ ،
وَالطَّيْنَةُ لَيِّنَةٌ ، فَهِيَ أَقْبَلُ مَا تَكُونُ لِلطَّبَائِعِ ، وَالْقَضِيبُ رَطْبٌ ، فَهُوَ أَقْرَبُ
مَا يَكُونُ مِنَ الْعُلُوقِ ، حِينَ هَذِهِ الْخِصَالُ لَمْ يَخْلُقْ جَدِيدُهَا ، وَلَمْ يُوهَنْ
غَرَبُهَا ، وَلَمْ تَتَفَرَّقْ قُوَاهَا ، وَكَانَتْ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى فَصَادَفَ قَلْبًا خَالِيًا فَتَمَكَّنَا

وَقَالَ عَبْدَةُ بْنُ الطَّبِيبِ :

لَا تَأْمَنُوا قَوْمًا يَشْبُ صَبِيهُهُمْ بَيْنَ الْقَوَائِلِ بِالْعَدَاوَةِ يُشْعِرُ

وَمِنْ كَلَامِهِمْ : التَّعَلُّمُ فِي الصَّغَرِ كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ ، وَقَدْ قَالَ جِرَّانُ

الْعَوْدِ :

تُرْكَنُ بِرِجْلَةِ الرَّوْحَاءِ حَتَّى تَنْكَرَتِ الدِّيَارُ عَلَى الْبَصِيرِ

كَوْخِي فِي الْحِجَارَةِ أَوْ وَشُومِ بِأَيْدِي الرُّومِ بَاقِيَةِ النَّوُورِ

وقال آخر ، وهو صالح بن عبد القدوس :

وَإِنَّ مَنْ أَدْبَنَهُ فِي الصَّبَا كَالْعُودِ يُسْقَى الْمَاءَ فِي غَرْسِهِ
حَتَّى تَرَاهُ مُورِقاً نَاضِراً بَعْدَ الَّذِي قَدْ كَانَ فِي يُسِهِ
وقال آخر :

يَقُومُ مِنْ مِيلِ الْغَلَامِ الْمُودِبِ وَلَا يَنْفَعُ التَّادِيبُ وَالرَّأْسُ أَشِيبُ
وقال آخر :

وَتَلُومُ عِرْسِكَ بَعْدَ مَا هَرِمَتْ وَمِنْ الْعَنَاءِ رِيَاضَةُ الْهَرَمِ
وقد قال ذو الرُّمَّةِ لعيسى بن عمر : اكتب شعري ؛ فالكتابُ أحبُّ إليَّ من
الحفظ ؛ لأنَّ الأعرابيَّ ينسى الكلمةَ وقد سهر في طلبها ليلته ، فيضعُ في
موضعها كلمةً في وزنها ، ثم يُنشدُها الناسَ ، والكتاب لا يَنْسَى ولا يُبدِّلُ
كلاماً بكلام .

وعبَتَ الكتابَ ، ولا أعلمُ جاراً أبرَّ ، ولا خَلِيطاً أنصفَ ، ولا رفيقاً
أطوعَ ، ولا معلماً أخضعَ ، ولا صاحباً أظهرَ كفايةً ، ولا أقلَّ جنائيةً ، ولا أقلَّ
إملاً وإبراماً ، ولا أحفلَ أخلاقاً ، ولا أقلَّ خلافاً وإجراماً ، ولا أقلَّ غيبةً ،
ولا أبعدَ من عَضِيهه ، ولا أكثرَ أعجوبةً وتصرفاً ، ولا أقلَّ تصلُّفاً وتكلُّفاً ،
ولا أبعدَ من مراءٍ ، ولا أتركُ لشغبٍ ، ولا أزهدَ في جدالٍ ، ولا أكفَّ عن
قتالٍ . . من كتاب .

ولا أعلمُ قريناً أحسنَ موافاةً ، ولا أعجلَ مكافاةً ، ولا أحضرَ معونةً ،
ولا أخفَّ مؤونةً ، ولا شجرةً أطولَ عمراً ، ولا أجمعَ أمراً ، ولا أطيبَ
ثمرةً ، ولا أقربَ مُجْتَنَى ، ولا أسرعَ إدراكاً ، ولا أوجدَ في كلِّ إِبَّانٍ . . من
كتاب .

ولا أعلمُ نتاجاً في حَدَاثَةِ سَنَهِ ، وقُرْبِ ميلادِهِ ، ورُخْصِ ثمنِهِ ، وإمكانِ
وُجودِهِ ، يَجْمَعُ من التدابيرِ العجيبةِ ، والعلومِ الغريبةِ ، ومن آثارِ العقولِ
الصحيحةِ ، ومحمودِ الأذهانِ اللطيفةِ ، ومنَ الحِكمِ الرفيعةِ ، والمذاهبِ
القويمةِ ، والتجاربِ الحكيمةِ ، ومنَ الإخبارِ عن القرونِ الماضيةِ ، والبلادِ
المتنازحةِ ، والأمثالِ السائرةِ ، والأممِ البائدةِ ، ما يجمعُ لك الكتابُ .

قال الله عزَّ وجلَّ لنبيِّهِ عليه الصلاة والسلام : ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾ * الَّذِي عَلَّمَ
بِالْقَلَمِ ﴿ فَوَصَفَ نَفْسَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، بِأَنْ عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، كما وصفَ نفسه
بِالْكَرَمِ ، واعتدَّ بذلك في نِعَمِهِ الْعِظَامِ ، وفي أَيَادِيهِ الْجِسَامِ ، وقد قالوا :
الْقَلَمُ أَحَدُ اللِّسَانَيْنِ ، وقالوا : كُلُّ مَنْ عَرَفَ النِّعْمَةَ فِي بَيَانِ اللِّسَانِ ، كان بفضلِ
النِّعْمَةِ فِي بَيَانِ الْقَلَمِ أَعْرَفَ ، ثُمَّ جَعَلَ هَذَا الْأَمْرَ قِرَاءً ، ثُمَّ جَعَلَهُ فِي أَوَّلِ
التَّنْزِيلِ ، وَمُسْتَفْتَحَ الْكِتَابِ .

* * *

سحر الحلال

في يوم مشرق الطلعات ، أهدى لي أحد الأصدقاء وأنا في الكويت كتاب :
« العود الهندي » للعلامة عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف ، فأخذت
الكتاب وأنا في طريقي إلى المطار أتصفحه ، فأَسْرَنِي بسحره ، وسحرني
بأسره ، وبهرني بنوره ، وأبهجني بجماله ، حتى صرت في صالة المطار في
شبه ذهول ؛ كأنني خرجت من عالمي لا أحس بأحد بجانبني ، ولا أدري أين
أنا .

وكلما قلبت منه صفحة .. زادني نشوة وطرباً ، وملأني روعة وعجباً ، فما
تركت المجلد الأول من يدي حتى ختمته .

ثم أتممت الكتاب وأعدت النظر فيه أفليه ، أترنم به ، أذوقه ، أشمه ،
أحتسيه ، أرفع عقيرتي بأبياته ، أبكي مع المؤلف وأضحك معه ، أسافر في
زورق إبداعه ، أعجب من اطلاعه ، وحسن سبكه ، وجميل صياغته ، ولطيف
إشارته ، وعذوبة عبارته ، ورقة طبعه ، وسيلان ذهنه ، وحضور ذاكرته ،
وبراعة استدلاله ، وقوة انتزاعه ، وسلامة فطرته ، وصفاء مشربه .

ثم هو مشبوب العاطفة ، جياش الفؤاد ، غزير الدمعة ، خفيف الروح ،
ذو ذاكرة وقادة ، وطبيعة منقادة ، يصيب المرمى ، ويجيد التصويب ، مع
علم غزير ، ومادة حاضرة .

فهو علامة ، فقيه ، محدث ، مفسر ، أديب ، شاعر ، ينظم عقود جواهره

بآية محكمة ، أو حديث صحيح ، أو بيت لطيف ، أو فائدة شرود ، أو قصة موحية ، أو حكاية مشجية ، أو مثل سائر ، فهو يتألق بك في روضات ممرعات دمثات ، وينزل بك في حدائق ذات بهجة من نصوص مشرقة ، ومحفوظات نافعة ، وقد أحضر روحه ، وسكب مع قلمه نبوغه ، وأفرغ شآبيب عبقريته مع براعته ، وكأنني به وهو يكتب هذا السفر في وهاد حضرموت قد ودّع نومه ، وفارق كراه ، وتصدّق على النجوم بنعاس أجفانه ، وتخيلت أن دمه مازج حبره ، وأن ضحكه صادق صريف أقلامه ، وأن تبسمه شابه بياض أوراقه ، فلله هو كيف استطاع أن يقتحم معاقل قلوبنا ، وأن يستولي على ثكنات نفوسنا ، ولكن صدق المعصوم صلى الله عليه وسلم : « إن من البيان لسحراً » .

عشت مع السقاف في « عوده الهندي » ، فنسيت كل كتاب أدبي أو ديوان شعري قرأته ، مع العلم أنني من الصُّبا وأنا أبدي وأعيد في الموسوعات الأدبية ، حتى صرت بمعالها أهدى من سرب القطا إلى عشه ، فلما طالعت « العود الهندي » .. صحت :

مَحَا حُبُّهَا حُبَّ الْأَلَى كُنَّ قَبْلَهَا وَحَلَّتْ مَحَلًّا لَمْ يَكُنْ حُلٌّ مِنْ قَبْلُ

وقلت : الآن يحق للحضارم خاصة والعرب عامة أن يفاخروا بهذا الكتاب ، وقلت في نفسي : ليت السقاف صبر وأكمل لنا عشر مجلدات على نفس السياق وعين هذا المساق ، لكن يظهر أنه أدرك مشهد : ﴿ وَالْفَتَى السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴾ ، فغفر الله له وأكرم نذله .

ولو طالعت مجلداتي من « العود الهندي » .. لوجدتها قد تفصّمت عراها ، ونحلت أوراقها من كثرة التقلب والتفتيش ، وقد ساعدني السقاف

على استخراج زفرات الحنين المدفونة في جوانحي ، واستنزاف بقايا من دموع
غائرة في محاجري :

قَدْ كُنْتُ أَشْفَقُ مِنْ دَمْعِي عَلَى بَصَرِي فَالْيَوْمَ كُلُّ عَزِيزٍ بَعْدَكُمْ هَانَا
كنت أحدث الناس في المجالس عن الكتاب ، وأسرره وسحره ، وسطوعه
ولموعه ، وشوارده وفوائده ، فلا أجد إلا الواحد أو الاثنين يفهمني ؛ لكثافة
الطبع ، وثخانة الخاطر ، وثقاله الدم ، والانهماك في الماديات ؛ من مطعم
ومشرب وملبس ومركب ، حتى صار العقل كتلة من الفول السوداني
المدمس ، المثلج تحت درجة الصفر ؛ لسقوط الهمم ، وبرود العزائم ،
وجمود القرائح ، وخمود الذاكرة ، ﴿وَالْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾ .

مَا فِي الْخِيَامِ أَخُو وَجْدٍ نَطَارِحُهُ حَدِيثَ نَجْدٍ وَلَا خِلَّ نَجَارِيهِ
ولقد أمتعني السقاف بدعاباته ، وفيض تعليقاته ؛ فمرة يشني على صاحبه
المتنبي ويسيل قلمه معجباً بهذا النبوغ حتى يسأل الله أن يتجاوز عنه لحكمته
وبراعته ، ثم يعود عليه بالذم صادقاً لهزال بعض أبياته ، ولكن بصدمات
كهربائية لاذعة ؛ كقوله : هذه الأبيات لا تحصل إلا بخذلان من الله ،
وكقوله : هذه الأبيات من رقى الشيطان وتمائم إبليس .

والسقاف مدرسة في الذائقة الجمالية الأدبية ، فحسبك به معرفة لجزل
القول ، وناصع الكلام ، وخالص الحديث ، بل هو إمام في النقد الأدبي ،
وهو كاتب ساخر إذا أراد ، وراوي ملهم ، وقاص مُشجِّع ، وشاعر لا يُشَقُّ له
غبار ، مع حفظه لناموس الشريعة ، وهيبة الملة ، ومقام الدين ، وهذا الذي
فاق به على كل الأدباء ، ولا أدري كيف استطاع أن يؤلف بين القرين وقرينه من
الشواهد ، فهو ينثر أمامك المصادر ، ويعزو إليها في الغالب ، وعنده ملكة

الاصطفاء ، وموهبة الاختيار ، فلا تقع عينه إلا على الأجل الأجل ،
ولا يصطفي إلا الغالي النفيس .

ويا له من مؤلف موهوب يضع الآية بجانب الأثر ، والبيت في صف
المثل ، والقصة تلو القصيدة ، ولن تمل مع السقاف أبداً ؛ لأنه لا يترك
تمل ؛ إذ يشجيك ، ويبكيك ، ويضحكك ، ويسيبك ، ويقص عليك ،
وينعشك ، ويهزك ، ويطربك .

وكلما سافرت معه في هذا الكتاب الممتع ، الذائع ، الرائع ، الشائع ..
صحّت : أين أهل الأدب الهزيل والشعر الهش والقول الساقط من هذا الفيض
الوجداني والسحر الأدبي ؟!

وأين دعاة الهذيان من مملكة الإبداع ، وإيوان الإقناع ، وبهجة الخاطر
الذي فتح لنا السقاف آفاه ، وسكب فيه ترياقه ، وألهبنا بأشواقه وإشراقه ؟!
وليت أهل العلم والفقه والفتيا يربطون مشاعرهم بهذه النفحات الأدبية ؛
ليعذب قولهم ، وتجميل عباراتهم ، كما كان ابن عباس والشعبي والشافعي
وغيرهم من علماء الأمة ، حيث يذوب كلامهم رقة وعذوبة ، وحلاوة
وطلاوة .

إنني أرشح كتاب : « العود الهندي » للسقاف منهجاً دراسياً في الأدب ،
ومورداً عذباً في النوادي والجامعات والمدارس ، ونهراً صافياً لرواد البيان ،
ورموز الفصاحة ، وصنّاع الحرف الجميل : ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا
تَفْجِيرًا ﴾ .

وسوف أجعل كتاب « العود الهندي » بمشيئة الله مادتي في دروس الأدب
والشعر ؛ لأنني وجدت فيه ضالتي بعد ثلاثين سنة من الترحال في شعاب

الأدب ، وأودية الشعر : ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا﴾ .

ومن حسن الطالع أن السقاف حضرمي ، والمتنبي كندي حضرمي ،
وصاحب الدار حضرمي : ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ فَرَّ﴾ .

وقد فاح طيب « العود الهندي » ، في إيوان أبي الطيب الكندي ، وهذا
ما ميّزه عندي :

يَكُونُ أَجَاجاً دُونَكُمْ فَإِذَا أُنْتَهَى إِلَيْكُمْ تَلْقَى طِيْكُمْ فَيَطِيبُ
لقد فهم السقاف معجزة رسولنا صلى الله عليه وسلم الخالدة القرآن
الكريم ، وأن من أعظم معالمه البيان الأسر الذي أذعنت لفصاحته العرب
العرباء ، وسلّمت لبلاغته فحول الشعراء ؛ فإنه دمع رؤوس الضلالة بهيبة
جلاله ، وأفحم أساطين القول بسيلٍ عرمرم من الخطاب المعجز ، ﴿بَلْ نَقْذِفُ
بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾ .

ولقد عرف السقاف أن الأدب الخلّاب ، والشعر الجذّاب ، أرفع مزايا
العرب أمة اللفظ الساحر ، والقول الأسر ، أهل سوق عكاظ ، وخطباء
النوادي ، وفصحاء الحواضر والبوادي ، فأفرغ علينا من ذاكرته الموحية ،
وقلمه البارع ، ما ملأ قلوبنا رضاءً ، ونفوسنا سروراً ، وضمائرنا نوراً .

ولله دُرُّ الحضارم لا يرضون إلا بالنجومية حتى في التأليف ، كما قال
المتنبي الكندي الحضرمي :

إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرْفِ مَرُومٍ فَلَا تَقْنَعْ بِمَا دُونَ النُّجُومِ
رحم الله السقاف ، وجمعنا به في جنات النعيم

* * *

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي

حافظ إبراهيم

وَنَادَيْتُ قَوْمِي فَأَخْتَسَبْتُ حَيَاتِي
عَقِمْتُ فَلَمْ أَجْزَعْ لِقَوْلِ عِدَاتِي
رَجَالاً وَأَكْفَاءَ وَأَذْتُ بَنَاتِي
وَمَا ضِغْتُ عَنْ آيِ بِهِ وَعِظَاتِ
وَتَنَسِيقِ أَسْمَاءٍ لِمُخْتَرَعَاتِ
فَهَلْ سَأَلُوا الْغَوَاصَ عَنْ صَدَفَاتِي
وَمِنْكُمْ وَإِنْ عَزَّ الدَّوَاءُ أَسَاتِي
أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَحِينَ وَفَاتِي
وَكَمْ عَزَّ أَقْوَامٌ بِعِزِّ لُغَاتِ
فَيَا لَيْتَكُمْ تَأْتُونَ بِالْكَلِمَاتِ
يُنَادِي بِوَادِي فِي رِيْعِ حَيَاتِي
بِمَا تَحْتَهُ مِنْ عَثْرَةٍ وَشَتَاتِ
يَعِزُّ عَلَيْهَا أَنْ تَلِينَ قَنَاتِي
لَهْنٍ بِقَلْبٍ دَائِمٍ الْحَسَرَاتِ
حَيَاءً بِتِلْكَ الْأَعْظَمِ النَّخِرَاتِ
مَنْ الْقَبْرِ يُدْنِينِي بِغَيْرِ أَنَاةٍ
فَاعْلَمْ أَنَّ الصَّائِحِينَ نُعَاتِي

رَجَعْتُ لِنَفْسِي فَأَتَّهَمْتُ حَصَاتِي
رَمَوْنِي بِعُقْمٍ فِي الشَّبَابِ وَلَيْتَنِي
وَلَذْتُ وَلَمَّا لَمْ أَجِدْ لِعِرَائِسِي
وَسِعْتُ كِتَابَ اللَّهِ لَفْظاً وَغَايَةً
فَكَيْفَ أَضِيقُ الْيَوْمَ عَنْ وَصْفِ آلِهِ
أَنَا الْبَحْرُ فِي أَحْشَائِهِ الدُّرُّ كَامِنٌ
فَيَا وَيَحْكُمُ أَبْلَى وَتَبْلَى مَحَاسِنِي
فَلَا تَكْلُونِي لِلزَّمَانِ فَلِإِنِّي
أَرَى لِرِجَالِ الْغَرْبِ عِزًّا وَمَنْعَةً
أَتَوْا أَهْلَهُمْ بِالْمُعْجَزَاتِ تَفَنُّنًا
أَيُّطَرِبُكُمْ مِنْ جَانِبِ الْغَرْبِ نَاعِبٌ
وَلَوْ تَزَجُرُونَ الطَّيْرَ يَوْماً عَلِمْتُمْ
سَقَى اللَّهُ فِي بَطْنِ الْجَزِيرَةِ أَعْظَمًا
حَفِظَنَ وَدَادِي فِي أَلْبَلَى وَحَفِظْتُهُ
وَفَاخَرْتُ أَهْلَ الْغَرْبِ وَالْشَّرْقِ مُطْرِقٌ
أَرَى كُلَّ يَوْمٍ بِالْجَرَائِدِ مَزْلَقًا
وَأَسْمَعُ لِلْكِتَابِ فِي مِصْرَ ضَجَّةً

أَيَهْجُرْنِي قَوْمِي عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ
 سَرَتْ لَوْثَةٌ الْإِفْرَنْجِ فِيهَا كَمَا سَرَى
 فَجَاءَتْ كَثُوبٍ ضَمَّ سَبْعِينَ رُفْعَةً
 إِلَى مَعْشَرِ الْكُتَّابِ وَالْجَمْعُ حَافِلٌ
 فِيمَا حَيَاةٌ تَبَعْتُ أَلْمِيتَ فِي أَلْبَلَى
 وَإِمَامَاتٌ لَا قِيَامَةَ بَعْدَهُ
 إِلَى لُغَةٍ لَمْ تَتَّصِلْ بِرُوَاةٍ
 لُعَابُ الْأَفَاعِي فِي مَسِيلِ فُرَاتٍ
 مُشَكَّلَةٌ الْأَلْوَانِ مُخْتَلِفَاتٍ
 بَسَطْتُ رَجَائِي بَعْدَ بَسْطِ شَكَاتِي
 وَتَنَبَّأْتُ فِي تِلْكَ الرُّمُوسِ رُفَاتِي
 مَمَاتٌ لَعَمْرِي لَمْ يُقَسَّنْ بِمَمَاتٍ

* * *

أَرَاكَ عَصِيَّ الدَّمْعِ شِيمَتِكَ الصَّبْرِ

أبو فراس الحمداني

أَمَّا لِلْهَوَى نَهْيٌ عَلَيْكَ وَلَا أَمْرُ ؟
وَلَكِنَّ مِثْلِي لَا يُذَاعُ لَهُ سِرٌّ !
وَأَذَلَّتْ دَمْعاً مِنْ خَلَائِقِهِ الْكِبْرُ
إِذَا هِيَ أَذَكَّتْهَا الصَّبَابَةُ وَالْفَكْرُ
إِذَا مِثْ ظَمَانًا فَلَا نَزَلَ الْقَطْرُ !
وَأَحْسَنُ مِنْ بَعْضِ الْوَفَاءِ لَكَ الْعُذْرُ
لَأَحْرِفُهَا ، مِنْ كَفِّ كَاتِبِهَا ، بَشْرُ
هَوَايَ لَهَا ذَنْبٌ ، وَبَهَجَتْهَا عُذْرُ
لَأُذْنًا بِهَا عَنْ كُلِّ وَاشِيَةٍ وَقُرُ
أَرَى أَنْ دَارًا لَسْتُ مِنْ أَهْلِهَا قَفْرُ
وَإِيَّايَ ، لَوْلَا حُبُّكَ ، الْمَاءُ وَالْحَمْرُ
فَقَدْ يَهْدِمُ الْإِيمَانُ مَا شَيْدَ الْكُفْرُ
لِإِنْسَانَةٍ فِي الْحَيِّ شِيمَتُهَا الْعُذْرُ
فَتَارُنْ ، أَحْيَانًا ، كَمَا أَرِنَ الْمُهْرُ
وَهَلْ يَفْتَى مِثْلِي عَلَى حَالِهِ نُكْرُ ؟
قَتِيلِكَ ! قَالَتْ : أَيُّهُمْ ؟ فَهُمْ كُثْرُ
وَلَمْ تَسْأَلِي عَنِّي وَعِنْدَكَ بِي خَبْرُ !

أَرَاكَ عَصِيَّ الدَّمْعِ شِيمَتِكَ الصَّبْرُ
بَلَى ، أَنَا مُشْتَاقٌ ، وَعِنْدِي لَوْعَةٌ
إِذَا اللَّيْلُ أَضْوَانِي بَسَطَتْ يَدَ الْهَوَى
تَكَادُ تُضِيءُ النَّارُ بَيْنَ جَوَانِحِي
مُعَلَّلَتِي بِالْوَصْلِ وَالْمَوْتُ دُونَهُ
حَفِظْتُ وَضِيعَتِ الْمَوَدَّةِ بَيْنَنَا
وَمَا هَذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا صَحَائِفُ
بِنَفْسِي مِنَ الْغَادِينَ فِي الْحَيِّ غَادَةٌ
تَرْوَعُ إِلَى الْوَاشِينَ فِيَّ ، وَإِنَّ لِي
بَدَوْتُ ، وَأَهْلِي حَاضِرُونَ ، لِأَتِّي
وَحَارَبْتُ قَوْمِي فِي هَوَاكِ ، وَإِنَّهُمْ
فَإِنْ يَكُ مَا قَالَ الْوُشَاءُ وَلَمْ يَكُنْ
وَفَيْتُ ، وَفِي بَعْضِ الْوَفَاءِ مَذَلَّةٌ
وَقُورٌ ، وَرَيْعَانُ الصَّبَا يَسْتَفْرِزُهَا
تَسَائِلُنِي : مَنْ أَنْتَ ؟ وَهِيَ عَلِيمَةٌ
فَقُلْتُ كَمَا شَاءَتْ وَشَاءَ لَهَا الْهَوَى
فَقُلْتُ لَهَا : لَوْ شِئْتَ لَمْ تَتَعَنَّتِي

فَقَالَتْ : لَقَدْ أَزْرَى بِكَ الدَّهْرُ بَعْدَنَا
وَمَا كَانَ لِلْأَحْزَانِ ، لَوْلَاكَ ، مَسْلَكٌ
وَتَهْلِكُ بَيْنَ الْهَزْلِ وَالْجِدِّ مُهْجَةً
فَأَيَقَنْتُ أَنْ لَا عِزَّ بَعْدِي لِعَاشِقٍ
وَقَلْبْتُ أَمْرِي لَا أَرَى لِي رَاحَةً
فَعُدْتُ إِلَى حُكْمِ الزَّمَانِ وَحُكْمِهَا ،
كَأَنِّي أَنَادِي دُونَ مِثْأَاءِ ظَنِّيَّةٍ
تَجْفَلُ حِينًا ، ثُمَّ تَزْنُو كَأَنَّهَا
فَلَا تُنْكِرِينِي ، يَا بَنَةَ الْعَمِّ ، إِنَّهُ
وَلَا تُنْكِرِينِي ، إِنَّنِي غَيْرُ مُنْكَرٍ
وَإِنِّي لَجَرَّارٌ لِكُلِّ كَتِيبَةٍ
وَإِنِّي لَنَزَالٌ بِكُلِّ مَخُوفَةٍ
فَأَظْمَأُ حَتَّى تَرْتَوِي الْبَيْضَ وَالْقَنَا
وَلَا أَصْبِحُ الْحَيَّ الْخُلُوفَ بِغَارَةٍ
وَيَا رَبَّ دَارٍ لَمْ تُخَفِّنِي مَنِيْعَةٍ
وَحَيٍّ رَدَدْتُ الْخَيْلَ حَتَّى مَلَكَتُهُ
وَسَاحِبَةَ الْأَذْيَالِ نَحْوِي ، لَقِيتُهَا
وَهَبْتُ لَهَا مَا حَازَهُ الْجَيْشُ كُلُّهُ
وَلَا رَاحَ يُطِغِينِي بِأَثْوَابِهِ الْغَنَى ،
وَمَا حَاجَتِي بِالْمَالِ أَبْغِي وَفُورَهُ
أُسِرْتُ وَمَا صَحْبِي بِعُزْلِ لَدَى الْوُغَى

فَقُلْتُ : مَعَاذَ اللَّهِ بَلْ أَنْتِ لَا الدَّهْرُ
إِلَى الْقَلْبِ ؛ لَكِنَّ الْهَوَى لِلْبَلَى جِسْرُ
إِذَا مَا عَدَاهَا الْبَيْنُ عَذَّبَهَا الْهَجْرُ
وَأَنَّ يَدِي مِمَّا عَلِقْتُ بِهِ صَفْرُ
إِذَا الْبَيْنُ أَنْسَانِي أَلَحَّ بِي الْهَجْرُ
لَهَا الذَّنْبُ لَا تُجْزَى بِهِ وَلِي الْعُذْرُ
عَلَى شَرَفِ ظَمِيَاءَ جَلَّلَهَا الذُّعْرُ
تُنَادِي طَلًّا بِالْوَادِ أَعْجَزَهُ الْحُضْرُ
لَيَعْرِفُ مَنْ أَنْكَرْتَهُ الْبَدُو وَالْحُضْرُ
إِذَا زَلَّتِ الْأَفْدَامُ ، وَأَسْتَنْزَلَ النَّصْرُ
مُعَوَّدَةٍ أَلَّا يُخِلَّ بِهَا النَّصْرُ
كَثِيرٌ إِلَى نُزَالِهَا النَّظَرُ الشَّرُّ
وَأَسْغَبُ حَتَّى يَشْبَعَ الذَّنْبُ وَالنَّسْرُ
وَلَا الْجَيْشَ مَا لَمْ تَأْتِهِ قَبْلِي النَّذْرُ
طَلَعْتُ عَلَيْهَا بِالرَّدَى ، أَنَا وَالْفَجْرُ
هَزِيمًا وَرَدَدْتَنِي الْبَرَاقِعُ وَالْخُمْرُ
فَلَمْ يَلْقَهَا جَافِي الْلِقَاءِ وَلَا وَغْرُ
وَرُحْتُ وَلَمْ يُكْشَفْ لَأَيَّاتِهَا سِتْرُ
وَلَا بَاتَ يُثْنِينِي عَنِ الْكِرَمِ الْفَقْرُ
إِذَا لَمْ أَفِرْ عِرْضِي فَلَا وَفَرَ الْوَفْرُ
وَلَا فَرَسِي مُهْرٌ ، وَلَا رَبُّهُ غَمْرُ

وَلَكِنْ إِذَا حُمَّ الْقَضَاءُ عَلَى أَمْرِي
وَقَالَ أَصِيحَابِي : الْفِرَارُ أَوْ الرَّدَى ؟
وَلَكِنِّي أَمْضِي لِمَا لَا يَعْيُنِي
يَقُولُونَ لِي : بَعَثَ السَّلَامَةُ بِالرَّدَى ،
وَهَلْ يَتَجَافَى عَنِّي الْمَوْتُ سَاعَةً
هُوَ الْمَوْتُ ، فَأَخْتَرُ مَا عَلَا لَكَ ذِكْرُهُ
وَلَا خَيْرَ فِي دَفْعِ الرَّدَى بِمِثْلِهِ
يَمْنُونَ أَنْ خَلَّوْا ثِيَابِي ، وَإِنَّمَا
وَقَائِمُ سَيْفٍ فِيهِمْ أُنْدَقٌ نَصْلُهُ
سَيَذْكُرُنِي قَوْمِي إِذَا جَدَّ جَدُّهُمْ
فَإِنْ عِشْتُ فَالطَّعْنُ الَّذِي يَعْرِفُونَهُ
وَإِنْ مِتُّ فَالْإِنْسَانُ لَا بُدَّ مِيتٍ
وَلَوْ سَدَّ غَيْرِي مَا سَدَدْتُ أَكْتَفَوْا بِهِ
وَنَحْنُ أَنْاسٌ لَا تَوْسُطَ عِنْدَنَا
تَهُونَ عَلَيْنَا فِي الْمَعَالِي نُفُوسُنَا
أَعَزُّ بَنِي الدُّنْيَا وَأَعْلَى ذَوِي الْعُلَا

فَلَيْسَ لَهُ بَرٌّ يَتَّقِيهِ وَلَا بَحْرُ
فَقُلْتُ : هُمَا أَمْرَانِ ، أَخْلَاهُمَا مُرٌّ
وَحَسْبُكَ مِنْ أَمْرَيْنِ خَيْرُهُمَا الْأَسْرُ
فَقُلْتُ : أَمَّا وَاللَّهِ ، مَا نَالَنِي خُسْرُ
إِذَا مَا تَجَافَى عَنِّي الْأَسْرُ وَالضَّرُّ ؟
فَلَمْ يَمُتِ الْإِنْسَانُ مَا حَيَّيَ الذِّكْرُ
كَمَا رَدَّهَا يَوْمًا ، بِسَوْءَتِهِ عَمَرُو
عَلَيَّ ثِيَابٌ مِنْ دِمَائِهِمْ حُمُرُ
وَأَعْقَابُ رُمَحٍ فِيهِمْ حُطَمَ الصَّدْرُ
وَفِي اللَّيْلَةِ الظُّلُمَاءِ يُفْتَقَدُ الْبَذْرُ
وَتِلْكَ أَلْقَنَّا وَالْبَيْضُ وَالضُّمَرُ الشُّقْرُ
وَإِنْ طَالَتِ الْأَيَّامُ ، وَأَنْفَسَحَ الْعُمُرُ
وَمَا كَانَ يَغْلُو الثَّبَرُ لَوْ نَفَقَ الصَّفَرُ
لَنَا الصَّدْرُ دُونَ الْعَالَمِينَ أَوْ الْقَبْرُ
وَمَنْ خَطَبَ الْحَسَنَاءَ لَمْ يُغْلَهَا الْمَهْرُ
وَأَكْرَمُ مَنْ فَوْقَ الثَّرَابِ وَلَا فَخْرُ

* * *

زيادة المرء في دنياه نقصان

أبو الفتح البستي

وَرَبْحُهُ غَيْرَ مَخْضٍ الْخَيْرِ خُسْرَانُ
فَإِنَّ مَعْنَاهُ فِي التَّحْقِيقِ فَقْدَانُ
بِاللَّهِ هَلْ لِخَرَابِ الْعُمْرِ عُمْرَانُ ؟
أُنْسِيَتْ أَنَّ سُرُورَ أَلْمَالِ أَحْزَانُ ؟
فَصَفُّوْهَا كَدْرٌ وَالْوَصْلُ هِجْرَانُ
كَمَا يُفْصَلُ يَأْقُوتٌ وَمُرْجَانُ
فَطَالَمَا اسْتَعْبَدَ الْإِنْسَانُ إِحْسَانُ
أَتَطْلُبُ الرِّيحَ فِيمَا فِيهِ خُسْرَانُ ؟!
فَأَنْتَ بِالنَّفْسِ لَا بِالْجِسْمِ إِنْسَانُ
عُرُوضِ زَلَّتْهُ صَفْحٌ وَغُفْرَانُ
يَرْجُو نَدَاكَ فَإِنَّ الْخُرَّ مِعْوَانُ
فَإِنَّهُ الرُّكْنُ إِنْ خَانَتْكَ أَرْكَانُ
وَيَكْفِيهِ شَرٌّ مَنْ عَزُّوا وَمَنْ هَانُوا
فَإِنَّ نَاصِرَهُ عَجَزٌ وَخُذْلَانُ
عَلَى الْحَقِيقَةِ إِخْوَانُ وَأَخْدَانُ
إِلَيْهِ وَالْمَالُ لِلْإِنْسَانِ فَتَّانُ
وَعَاشَ وَهُوَ قَرِيرُ الْعَيْنِ جَذْلَانُ

زِيَادَةُ الْمَرْءِ فِي دُنْيَاهُ نَقْصَانُ
وَكُلُّ وَجْدَانٍ حَظٌّ لَا ثَبَاتَ لَهُ
يَا عَامِراً لِخَرَابِ الدَّارِ مُجْتَهِداً
وَيَا حَرِيصاً عَلَى الْأَمْوَالِ تَجْمَعُهَا
زَعِ الْفُؤَادَ عَنِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا
وَأَزِعِ سَمْعَكَ أَمْثَالاً أَفْضَلُهَا
أَحْسِنِ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعْبِدْ قُلُوبَهُمْ
يَا خَادِمَ الْجِسْمِ كَمْ تَشْقَى بِخِدْمَتِهِ
أَقْبِلْ عَلَى النَّفْسِ وَاسْتَكْمِلْ فَضَائِلَهَا
وَإِنْ أَسَاءَ مُسِيءٌ فَلْيَكُنْ لَكَ فِي
وَكُنْ عَلَى الدَّهْرِ مِعْوَاناً لِذِي أَمَلٍ
وَأَشْدُدْ يَدَيْكَ بِحَبْلِ اللَّهِ مُعْتَصِماً
مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُخَمِّدْ فِي عَوَاقِبِهِ
مَنْ اسْتَعَانَ بِغَيْرِ اللَّهِ فِي طَلَبِ
مَنْ كَانَ لِلْخَيْرِ مَنَاعاً فَلَيْسَ لَهُ
مَنْ جَادَ بِالْمَالِ مَالِ النَّاسِ قَاطِبَةً
مَنْ سَالَمَ النَّاسَ يَسْلَمْ مِنْ غَوَائِلِهِمْ

مَنْ كَانَ لِلْعَقْلِ سُلْطَانٌ عَلَيْهِ غَدَا
 مَنْ مَدَّ طَرْفًا لِفَرْطِ الْجَهْلِ نَحْوَ هَوَى
 مَنْ عَاشَرَ النَّاسَ لَاقَى مِنْهُمْ نَصَبًا
 وَمَنْ يُفْتَشْ عَنِ الْإِخْوَانِ يَقْلَهُمْ
 مَنْ اسْتَشَارَ صُرُوفَ الدَّهْرِ قَامَ لَهُ
 مَنْ يَزْرَعُ الشَّرَّ يَخْصِدُ فِي عَوَاقِبِهِ
 مَنْ اسْتَنَامَ إِلَى الْأَشْرَارِ نَامَ وَفِي
 كُنْ رَيْقُ الْبَشْرِ إِنَّ الْحُرَّ هَمَّتُهُ
 وَرَافِقُ الرَّفْقِ فِي كُلِّ الْأُمُورِ فَلَمْ
 وَلَا يَغُرَّنْكَ حَظُّ جَرِّهِ خَرَقُ
 أَحْسَنَ إِذَا كَانَ إِمْكَانٌ وَمَقْدِرَةٌ
 فَالرَّوْضُ يَزْدَانُ بِالْأَنْوَارِ فَاعْمَةٌ
 صُنْ حُرَّ وَجْهَكَ لَا تَهْتِكْ غَلَالَتَهُ
 فَإِنْ لَقِيتَ عَدُوًّا فَالْقَهْ أَبَدًا
 دَعِ التَّكَاسُلَ فِي الْخَيْرَاتِ تَطْلُبُهَا
 لَا ظِلٌّ لِلْمَرْءِ يَغْرَى مِنْ تَقَى وَنَهَى
 وَالنَّاسُ أَعْوَانُ مَنْ وَالَتْهُ دَوْلَتُهُ
 (سَخْبَانُ) مِنْ غَيْرِ مَالٍ (بَاقِلُ) حَصْرُ
 لَا تُودِعِ الشَّرَّ وَشَاءَ يُبُوحُ بِهِ
 لَا تَحْسِبِ النَّاسَ طَبْعًا وَاحِدًا فَلَهُمْ
 مَا كُلُّ مَاءٍ كَصَدَاءٍ لِوَارِدِهِ

وَمَا عَلَى نَفْسِهِ لِلْجَرِّصِ سُلْطَانُ
 أَغْضَى عَلَى الْحَقِّ يَوْمًا وَهُوَ خَزْيَانُ
 لِأَنَّ سَوْسَهُمْ بَغْيِي وَعُذَاوُنُ
 فَجُلُّ إِخْوَانٍ هَذَا الْعَصْرِ خَوَّانُ
 عَلَى حَقِيقَةِ طَبْعِ الدَّهْرِ بُرْهَانُ
 نَدَامَةٌ وَلِحْصِدِ الزَّرْعِ إِثْنَانُ
 قَمِصِهِ مِنْهُمْ صِلْ وَتَغْبَانُ
 صَحِيفَةٌ وَعَلَيْهَا الْبَشْرُ عَنْوَانُ
 يَنْدَمُ رَفِيقٌ وَلَمْ يَذْمُهُ إِنْسَانُ
 فَالْخُرْقُ هَذِمَ وَرَفَقُ الْمَرْءِ بُنْيَانُ
 فَلَنْ يَدُومَ عَلَى الْإِحْسَانِ إِمْكَانُ
 وَالْحُرُّ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ يَزْدَانُ
 فَكُلُّ حُرٍّ لِحُرِّ الْوَجْهِ صَوَّانُ
 وَالْوَجْهُ بِالْبَشْرِ وَالْإِشْرَاقِ غَضَّانُ
 فَلَيْسَ يَسْعَدُ بِالْخَيْرَاتِ كَسْلَانُ
 وَإِنْ أَظْلَمَتْهُ أَوْرَاقُ وَأَفْنَانُ
 وَهُمْ عَلَيْهِ إِذَا عَادَتْهُ أَعْوَانُ
 وَ(بَاقِلُ) فِي ثَرَاءِ الْمَالِ (سَخْبَانُ)
 فَمَا رَعَى غَنَمًا فِي الدَّوِّ سِرْحَانُ
 غَرَائِزُ لَسَتْ تُخْصِيهِنَّ أَلْوَانُ
 نَعَمْ وَلَا كُلُّ نَبْتٍ فَهُوَ سَعْدَانُ

لَا تَخْدِشَنَّ بِمَظِلِّ وَجْهِ عَارِفَةٍ
لَا تَسْتَشِيرْ غَيْرَ نَذْبٍ حَازِمٍ يَقْظِ
فَلِلنَّذَائِيرِ فُرْسَانٌ إِذَا رَكُضُوا
وَلِلْأُمُورِ مَوَاقِيتٌ مُقَدَّرَةٌ
فَلَا تَكُنْ عَجَلًا بِأَمْرِ تَطْلُبُهُ
كَفَى مِنَ الْغَيْشِ مَا قَدْ سَدَّ مِنْ عَوِزٍ
وَذُو الْفَنَاعَةِ رَاضٍ مِنْ مَعِيشَتِهِ
حَسْبُ الْفَتَى عَقْلُهُ خِلَا يُعَاشِرُهُ
هُمَا رَضِيْعَا لِبَانٍ : حِكْمَةٌ وَتَقَى
إِذَا نَبَا بِكَرِيمٍ مَوْطِنٌ فَلَهُ
يَا ظَالِمًا فَرَحًا بِالْعِزِّ سَاعِدُهُ
مَا اسْتَمَرَّ الظُّلْمَ لَوْ أَنْصَفْتَ آكِلُهُ
يَا أَيُّهَا الْعَالِمُ الْمَرْضِيُّ سِيرَتُهُ
وَيَا أَخَا الْجَهْلِ لَوْ أَصْبَحْتَ فِي لُجَجٍ
لَا تَحْسَبَنَّ سُرُورًا دَائِمًا أَبَدًا
إِذَا جَفَاكَ خَلِيلٌ كُنْتَ تَأْلُفُهُ
وَإِنْ نَبَتْ بِكَ أَوْطَانُ نَشَأَتْ بِهَا
يَا رَافِلًا فِي الشَّبَابِ الرَّحْبِ مُتَشِيًّا
لَا تَعْتَرِزْ بِشَبَابٍ رَائِقٍ نَضِيرٍ
وَيَا أَخَا الشَّيْبِ لَوْ نَاصَحْتَ نَفْسَكَ لَمْ
هَبِ الشَّيْبَةَ تُبْدِي عُذْرَ صَاحِبِهَا

فَالْبِرُّ يَخْدِشُهُ مَظِلٌّ وَلَيَّانٌ
قَدْ اسْتَوَى فِيهِ إِسْرَارٌ وَإِعْلَانٌ
فِيهَا أَبْرُوا كَمَا لِلْحَرْبِ فُرْسَانٌ
وَكُلُّ أَمْرِ لَهُ حَدٌّ وَمِيزَانٌ
فَلَيْسَ يُحْمَدُ قَبْلَ التَّضَجِّ بُخْرَانٌ
فَفِيهِ لِلْحُرِّ إِنْ حَقَّقْتَ غُيَّانٌ
وَصَاحِبُ الْحَرْصِ إِنْ أَثَرَى فَعُضْبَانٌ
إِذَا تَحَامَاهُ إِخْوَانٌ وَخُلَّانٌ
وَسَاكِنَا وَطَنِ : مَالٌ وَطُغْيَانٌ
وَرَاءَهُ فِي بَسِيطِ الْأَرْضِ أَوْطَانٌ
إِنْ كُنْتَ فِي سِنَةٍ فَالْدَّهْرُ يَقْطَانٌ
وَهَلْ يَلْدُ مَذَاقٌ وَهُوَ خُطْبَانٌ
أَبْشُرْ فَأَنْتَ بَغَيْرِ أَلْمَاءِ رِيَّانٌ
فَأَنْتَ مَا بَيْنَهَا لَا شَكَّ ظَمَّانٌ
مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَزْمَانٌ
فَاطْلُبْ سِوَاهُ فَكُلُّ النَّاسِ إِخْوَانٌ
فَارْحَلْ فَكُلُّ بِلَادٍ إِلَهٌ أَوْطَانٌ
مَنْ كَاسِهِ هَلْ أَصَابَ الرُّشْدَ نَشْوَانٌ ؟
فَكَمْ تَقَدَّمَ قَبْلَ الشَّيْبِ شُبَّانٌ
يَكُنْ لِمِثْلِكَ فِي اللَّذَاتِ اِمْعَانٌ
مَا عُذْرُ أَشْيَبَ يَسْتَهْوِيهِ شَيْطَانٌ !

كُلُّ الذُّنُوبِ فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُهَا
 وَكُلُّ كَسْرٍ فَإِنَّ الدِّينَ يَجْبِرُهُ
 خُذْهَا سَوَائِرَ أَمْثَالٍ مُهَذَّبَةٍ
 مَا ضَرَّ حَسَانَهَا - وَالطَّبْعُ صَائِغُهَا -
 إِنَّ شَيْعَ الْمَرْءِ إِخْلَاصٌ وَإِيمَانُ
 وَمَا لِكَسْرِ قَنَاقَةِ الدِّينِ جُبْرَانُ
 فِيهَا لِمَنْ يَنْتَغِي التَّبَيَّانَ تَبَيَّانُ
 إِنَّ لَمْ يَصُغْهَا قَرِيعُ الشُّعْرِ (حَسَانُ)

* * *

في العزلة النافعة

وفي كتاب « صيد الخاطر » :

ما أعرف نفعاً كالعزلة عن الخلق ، خصوصاً للعالم والزاهد ؛ فإنك لا تكاد ترى إلا شامتاً بنكبة ، أو حسوداً على نعمة ، أو من يأخذ عليك غلطاتك .

فيا للعزلة ما أذلها ، سلمت من كدر غيبة ، وآفات تصنع ، وأحوال المداجاة ، وتضييع الوقت .

ثم خلا فيها القلب بالفكر ، بعد ما كان مشغولاً عنه بالمخالطة ، فدبر أمر دنياه وآخرته ، فمثله كمثل الحمية يخلو فيها المعني بالأخلاق فيذيبها .

وما رأيتهما مثل ما يصنع المخالط ؛ لأنه يرى حالته الحاضرة من لقاء الناس وكلامهم ، فيشتغل بها عما بين يديه ، فمثله كمثل رجل يريد سفرأ قد أذف ، فجالس أقوماً فشغلوه بالحديث حتى ضرب البوق وما تزود .

فلو لم يكن في العزلة إلا التفكير في زاد الرحيل ، والسلامة من شر المخالطة .. كفى .

ثم لا عزلة على الحقيقة إلا للعالم والزاهد ؛ فإنهما يعلمان مقصود العزلة وإن كانا لا في عزلة .

أما العالم .. فعلمه مؤنسه ، وكتبه محدثه ، والنظر في سير السلف مقومه ، والتفكر في حوادث الزمان السابق فرجته .

فإن ترقى بعلمه إلى مقام المعرفة الكاملة للخالق سبحانه ، وتشبث بأذيال

محبه . . تضاعفت لذاته ، واشتغل به عن الأكوان وما فيها ، فخلا بحبيبه وعمل معه بمقتضى علمه .

وكذلك الزاهد ؛ تعبد أنيسه ، ومعبوده جليسه ، فإن كشف لبصره عن المعمول معه . . غاب عن الخلق ، وغابوا عنه .

إنما اعتزلا ما يؤذي ، فهما في الوحدة بين جماعة ، فهذان رجلان قد سلما من شر الخلق ، وسلم الخلق من شرورهما ، بل هما قدوة للمتعبدين وعلم للسالكين ، ينتفع بكلامهما السامع ، وتُجري موعظتهما المدامع ، وتنتشر هيتهما في المجامع .

فمن أراد أن يتشبه بأحدهما . . فليصابر الخلوة وإن كرهها ؛ ليثمر له الصبر العسل .

وأعوذ بالله من عالم مخالط للعالم ، خصوصاً لأرباب المال والسلطين ، يجتلب ويجتلب ، ويختلب ويختلب ، فما يحصل له شيء من الدنيا إلا وقد ذهب من دينه أمثاله .

ثم أين الأنفة من الذل للفساق ؟

فالذي لا يبالي بذلك هو الذي لا يذوق طعم العلم ، ولا يدري ما المراد به ، وكأنه به وقد وقع في بادية جرز وقفر وأمل مهلك في تلك البراري .

وكذلك المتزهّد إذا خالط وخلط . . فإنه يخرج إلى الرياء والتصنع والنفاق ، فيفوته الحظان ، لا الدنيا ونعيمها تحصل له ولا الآخرة .

فنسأل الله عز وجل خلوة حلوة ، وعزلة عن الشر لذيدة ، يستصلحنا فيها لمناجاته ، ويلهم كلاً منا طلب نجاته ، إنه قريب مجيب .

* * *

أم المقامات

قد جمعت بين ثقة الزبيدي بالصمصامة ، والحارث بالنعامة ، وحملت فتك البراض ، وناديت : اقض ما أنت قاضٍ ، فصرت في العزلة أعز من قوس حاجب ، وأشهر من نار غالب ، خليلي خليل النابغة ، وروحي كفؤاد أم موسى فارغة ، وصبرت كحسان عند ابن مارية ، وناديت نفسي نداء عمر لسارية ، فصرت ككاف روبة في السكون ، وكتأبط شراً في الكمون ، وتذكرت بالوحدة وحدة الكليم في التابوت ، ويونس في بطن الحوت ، وصرت أرى المخايط كابن الزيات في التنور ، والعُمري بن الصّور ، وصرت في البعد عن الناس كتبع في حمير ، وعبد المؤمن بن علي في البربر ، وكان قلبي بالتعليم كف تميم ، وفكري بالفهم دعم اليتيم ، فصرت أعز من هانيء يوم ذي قار ، وأنشدت : يا ليلة الغار ، وعاد الشيطان أحقر من هانوتو ورينان ، لما رتل القرآن .

وصرت أروح من الحطيئة عند ابن شماس ، وأعظم همة من عباس بن فرناس ، وشكرت كثير شكر طفيل لبني جعفر ، وأثنت على يراعي ثناء عمرو بن العاص على بني الأصفر ، ونجوت من الحساد مثلما نجا معاوية من بني مراد ، بعد ما فتكت بي الليالي ، فتك ابن ملجم بإمام المعالي ، وكم داهمتني دهياء بارجة ، مداهمة الخارجي لخارجة ، ولم تبق مني الخطوب بقية ، مثلما لم يبق عضد الدولة ابن بقية .

ولم أعتب على أهل العصر ، كما عتب الحريري على الدهر ، بل جعلت العلم نهري ، وأنشدت مع الأبيوردي :

تَنَكَّرَ لِي دَهْرِي
.....

وقاتلت الزمان بسلاحه ، وغنيت مع أبي المظفر :

تَسْتَرْتُ مِنْ دَهْرِي بِظُلِّ جَنَاحِهِ

ثم زرت اليمن ، وتذكرت سيف ذي وزن والياذة :

تِلْكَ أَلْمَكَارِمُ لَا قَعْبَانٍ مِنْ لَبَنِ

وتمثلت بما قاله الأعشى في الأسود ، لا بما قاله كثير في عبد الملك

المطرّد .

وحشت للمجد وجداني ، حث الأرياني لشعبه ضد الاحتلال

البريطاني .

ولم أقبل في الدنيا يدأ ولو زاد ودّي ، عملاً ببیت ابن الوردی .

وخالفت ما فعل عند المعزّ عمارة ، وما فعل ابن الجصاص بابن الفرات

في الطيارة .

وعرفت أن الجمع بين الدين والدنيا كالجمع بين سهيل والثريا ، على

مذهب ابن ربيعة ، وله وجه في الشريعة ، وقد قلت لمن أراد أن يجمع المال

والعلم من إخواني :

رَفِيقُكَ قَيْسِيٌّ وَأَنْتَ يَمَانِي

قال جابر : كنا نعزل والقرآن ينزل ، فقلت : من لي بمثل تلك

الهمم :

يَا بَيْتَ عَاتِكَةَ الَّذِي أَتَعَزَّلُ

يا أبا تمام أفق ؛ فأنت تصرخ في واد ، لما ذكرت محاسن أحمد بن
أبي دؤاد .

ولكن كفر لك هذا الهذيان قولك :

ثَوَى طَاهِرُ الْأَرْدَانِ

* * *

لأهل الهمم

السلام على أهل الهمم ، فهم صفوة الأمم ، وأهل المجد والكرم ، طارت بهم أرواحهم إلى مراقي الصعود ، ومطالع السعود ، ومراتب الخلود ، ومن أراد المعالي . . هان عليه كل هم ؛ لأنه لولا المشقة . . ساد الناس كلهم ، ونصوص الوحي تناديك ، سارع ولا تلبث بناديك ، وسابق ولا تمكث بواديك ، أمة بن خلف ، لما جلس مع الخلف . . أدركه التلف ، ولما سمع بلال بن رباح ، حي على الفلاح . . أصبح من أهل الصلاح .

اطلب الأعلى دائماً وما عليك ؛ فإن موسى لما اختصه الله بالكلام . . قال : ﴿ رَبِّ ارْنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ ﴾ .

المجد ما يأتي هبة ، لكنه يحصل بالمناسبة .

لما تعلمت الصيد الكلاب . . أبيع صيدها بنص الكتاب ، ولما حمل الهدهد الرسالة . . ذكر في (سورة النمل) بالبسالة .

نجحت النملة بالمشاورة ، وطول المصابرة .

تريد المجد ولا تجد ؟! تخطب المعالي ، وتنام الليالي ؟!

ترجو الجنة ، وتفترط في السنة ؟!

قام رسولنا صلى الله عليه وسلم حتى تفتطرت قدماه ، وربط الحجر على بطنه من الجوع وهو العبد الأواه ، وأدميت عقباه بالحجارة ، وخاض بنفسه كل غارة .

يُدعى أبو بكر من الأبواب الثمانية ؛ لأن قلبه معلق بربه كل ثانية ، صرف
للدين أقواله ، وأصلح بالهدى أفعاله ، وأقام بالحق أحواله ، وأنفق في
سبيل الله أمواله ، وهاجر وترك عياله .

لبس عمر المرقع ، وتأوّه من ذكر الموت وتوجّع ، وأخذ الحيلة لدينه
وتوقع ، عدل وصدق وتهجد ، وسأل الله أن يستشهد ، فرزقه الله الشهادة في
المسجد .

أخرج من سرداب الأماني ، يا أسير الأغاني ، انفض غبار الكسل ، واهجر
من عدل ، فكل من سار على الدرب وصل .

نسيت الآيات ، وأخرت الصلوات ، وأذهبت عمرك السهرات ، وتريد
الجنات ؟!

ويلك ، والله ؛ ما شبع النمل حتى جدّ في الطلب ، وما ساد الأسد حتى
افترس ووثب ، وما أصاب السهم حتى خرج من القوس ، وما قطع السيف
حتى صار أحدّ من الموس .

الحمامة تبني عشها ، والحُمرة تنقل قشها ، والعنكبوت يهندس البيوت ،
والضب يحفر مغارة ، والجرادة تبني عمارة ، وأنت لك مدة ، ورأسك على
المخدة ، في الحديث : « احرص على ما ينفعك » ؛ لأن ما ينفعك يرفعك ،
« المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » ، بالقوة يبني القصر
المنيف ، وينال المجد الشريف .

صاحب الهمة ما يهमे الحرّ ، ولا يخيفه القرّ ، ولا يزعجه الضرّ ،
ولا يقلقه المرّ ؛ لأنه تدرع بالصبر .

صاحب الهمة ، يسبق الأمة ، إلى القمة ، ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَٰئِكَ

الْمُقَرَّبُونَ ؛ لأنهم على الصالحات مدبرون ، وللبر مجربون .

الثعلب يرضى بالجيفة ، فكتب في آخر الصحيفة : لو أسرع الحمار مثل الحصان .. لكان من الهوان يُصان .

الشمس تجري ، والقمر يسري ، وأنت نائم لا تدري .

أنت أكل شروب ، لعوب طروب ، صاحب ذنوب .

لما تجرع الأحنف غصص الغضب .. صار حليم العرب ، ولما بذل روحه للموت عنترة .. شبهوه بقسورة ، ولما بذل حاتم ، طعامه لكل قادم ، وأنفق أمواله في المواسم .. صار مضرب المثل في الجود ، وقصة الكرم في السهول والنجد .

لما طار القمري .. قعد فوق الأغصان ، ولما مشى الجعلان .. بقي مع الديدان .

سافر العود من الهند .. فُسمي بالنَّد ، وأقام بأرضه الخشب .. فسماه الناس الحطب .

أديسون مكتشف الكهرباء ، قضى عمره في اختراعه حتى أذهل به الحكماء ، فلا نامت أعين الأغبياء .

مكتشف الذرة ، أجرى عليها التجربة عشرة آلاف مرة .

عمي بعض المحدثين من كثرة الرواية ، فما كلَّ ولا ملَّ حتى بلغ النهاية .

مشى أحمد ابن حنبل من بغداد إلى صنعاء ، وأنت تفتقر في حفظ دعاء .

سافر أحدهم إلى مصر ، غدّوه شهر ، ورواحه شهر ، في طلب حديث واحد ؛ ليدرك به المجد الخالد .

لولا المحنة .. ما دعي أحمد إمام السنة ، وصل بالجلد إلى المجد .

ووضع ابن تيمية في الزنزانة ، فَبَزَّ بالعلم أقرانه .

واعلم أن الماء الراكد فاسد ؛ لأنه لم يسافر ويجاهد ، ولما جرى الماء . .
صار مطلب الأحياء .

بقيت على سطح البحر الجيفة ؛ لأنها خفيفة ، وسافر الدر إلى قاع البحر ،
فوضع من التكريم على النحر .

يا كثير الرقاد ؛ أما لنومك نفاذ ، سوف تدفع الثمن ، يا من غلبه الوسن .
تظن الحياة جلسة وكبسة ، ولبسةٌ وخلسة ، بل الحياة شرعة ودمعة ،
وركة ومحاربة بدعة .

الله أمرنا بالعمل ؛ لينظر عملنا ، وقال : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ
سُبُلَنَا ﴾ ، فالحياة عقيدة وجهاد ، وصبر وجلاد ، ونضال وكفاح ، وبر
وفلاح .

لا مكان في الحياة للأكل الكسول ، ولا مقعد في حافلة الدنيا
للمخدول .

ابدأ في طلب الأجر من الفجر ، قراءة وذكر ، أو دعاء وشكر ؛ لأنها لحظة
انطلاق الطير من وكورها ، ولا تنس : « بارك الله لأمتي في بكورها » .
العالم في حركة ، كأنه شركة ، وقلبك خربة ، كأنك خشبة .

الطير يغرد ، والقمر يينشد ، والماء يتمتم ، والهواء يهتمهم ، والأسود
تصول ، والبهاائم تجول ، وأنت جثة على الفراش ، لا في أمر عبادة
ولا معاش ، نائم هائم ، طروب لعوب ، كسول أكول .

استيقظ على نبرات الخطاب الشرعي ، ودعنا من وساوس الهاجس
البدعي ؛ لأن الشريعة ، تدعو للهمة البديعة ، تقول لأتباعها : ﴿ فَمَا وَهَنُوا لِمَا

أَصَابَهُمْ ﴿١﴾ ؛ لأنهم حملوا كتابهم ، وألقوا للعالم خطابهم ، فهداهم ربهم صوابهم .

وأهل السوالف ، رضوا بأن يكونوا مع الخوالف ؛ لأن لهم في الضلالة سوابق ، فهم يتصيدون كل مارق ، عن الحق أبق ، ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ﴾ ، فهبوا وتركوا مضجعهم ، ولو أراد الله بهم خيراً . . لأغاثهم ، وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ ﴿٢﴾ .

الفرس بهمته يعرض لجامه ويلوك ، فركبه الملوك ، والحمار أثر المقام في الرباط ، فضرب بالسياط .

يقدم لك ابن جرير ، كتاب التفسير ، محققاً منقحاً ، مدبجاً مصححاً ، ثم لا تصطفيه ، ولا تقرأ فيه .

ألف ابن حجر « فتح الباري » في ثلاثين سنة ، فله دره ما أجمل كتابه وأحسنه ، ثم تهمله في الرف ، كأنه دف ، مع الأسف .

﴿ وَمَنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ .

هذا الكافر مثابر ، كل يوم مغامر ، سير في الأرض السيارة ، وأطار في السماء الطائرة ، جعل لغذائك ثلاجة ، ولمائك زجاجة ، وما لك عمل إلا أن تأكل وتشرب ، وتلهو وتلعب .

أنت تفتري والملائكة لا يفترون ، وتسأم العمل والمقربون لا يسأمون ، بم تدخل الجنة ؟! هل طعنت في ذات الله بالأسنة ؟ هل أوديت في نصر السنة ؟

انفض عنك غبار الخمول ، يا كسول ، فبال العزيمة أذن في أذنك فهل تسمع ؟ وداعي الخير دعاك فلماذا لا تسرع ؟ ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ .

ولا بد للهمم الملتهبة أن تنال مطلوبها ، ولا بد للعزائم المتوثبة أن تدرك مرغوبها ، سنة لا تبدل ، وقضية لا تتحول .

واعلم أن الهمة توقّد القلب ، واستسهال الصعب ، وركوب الخطب ، فالعذاب بالهمة عذب .

ومن عنده همة عارمة ، وعزيمة صارمة . . اقتحم بها أسوار المعالي ، وصار تاريخه قصة الليالي .

فقل للمتخلفين : ااعدوا مع الخالفين ؛ لأن المنازل العالية ، والأمانى الغالية ، تحتاج إلى همم مؤارة ، وفتكات جبارة ؛ ليُنال المجد بجدارة .

وقل للكسول النائم ، والثقيل الهائم : امسح النوم من عينيك ، واطرد الكرى من جفنيك ، فلن تنال من ماء العزة قطرة ، ولن ترى من نور العلا خطرة ، حتى تثب مع من وثب ، وتفعل ما يجب ، وتأتي بالسبب .

ألا فليهنأ أرباب الهمم ، بوصول القمم ، وليخسأ العاكفون على غفلاتهم في الحضيض ، فلن يشفع لهم عند ملكوت الفضل نومهم العريض ، وقل لهؤلاء الراقيدين : ﴿ إِنَّكَ رَضِيتُ بِالْقُعُودِ أَوْلَ مَرَةٍ فَأَقْعُدُوا مَعَ الْخَلَفِينَ ﴾ ، فهبّوا إلى درجات الكمال نساءً ورجالاً ، ودربوا على الفضيلة أطفالاً ، وانفروا خفافاً وثقالاً .

* * *

فصبر جميل

الصبر قلعة حصينة لا يقتحمها جيش ، ولا يدخلها عدو ، والصبر جنة حصينة لا ينفذها سهم ، ولا يلجها نبل .

الصبر مجاهدة الإحباط ، ومراغة الفشل ، ومنازلة الخطوب .
الصبر قبض على الجمر ، وستر للجرح ، وكتمان للمصيبة ، وتنسم للهواء .

الصبر زاد لا ينفد ، ومعين لا ينضب ، وصاحب لا يمل .
لا يُعالج خور الطبيعة إلا بالصبر ، ولا يُضمّد جرح النفس إلا بالصبر .
إن الصبر مسلاة للهموم ، ومسرة للمغموم ، وروح للمنهك ، وعزاء للمصاب .

إذا كان معك الصبر . . فلا عليك من عددِ العدو وعتاده ، ولا من ناره وزناده ،
وتلقّ الخطوب الكوالح وأنت ضاحك ، وصارع النكبات الدّهم وأنت باسم .
تَنَكَّرَ لِي خَصْمِي وَلَمْ يَذَرِ أَنَّنِي أَعِزُّ وَأَخْدَاتُ الزَّمَانَ تَهُونُ
فَبَاتَ يُرِينِي الْخَصْمُ كَيْفَ عَتُوهُ وَبِتُّ أَرِيهِ الصَّبْرَ كَيْفَ يَكُونُ
من أضجّت قلبه الأزمات . . فدواؤه الصبر ، ومن أدمت عينه النكبات . .
فضمادها الصبر .

تأتي الكربات ظلمات بعضها فوق بعض عاصفة ناسفة قاصفة ، فيأتي الصبر فيكشحها .

يتألف الحساد والشّامتون على المصاب المنكوب ، فيطوف عليهم طائف من الصبر ، فإذا هو يلقف ما يأفكون .

يومَ لا قريب يواسي ، ولا صديق يعزّي ، ولا صاحب يتفجّع ، ينوب الصبر عن الجميع ، ويتكلم بلسان الكل ، ويؤدّي واجب الصّحة والقراة .
والصبر الجميل لا شكوى فيه ، فلا يخذش وجه محاسنه اعتراض ، ولا يلثم تاجه تسخط .

والصبر الجميل سكون للقضاء ، واطمئنان للعاقبة ، وانتظار للفرج ، واحتساب للأجر .

وقد يقعُ الصبرُ ولكن لا يكون جميلاً ، فلا يكتّم صاحبه شكوى ، ولا يُسرّ حديثاً ، ولا يدع معاتبة .

الصبر غير الجميل : تحمّلٌ مع أنين ، وتجلّدٌ مع تكلف ، وتصبرٌ بلا تجمل .

ولكن الصبر الجميل : هو حملُ المصيبة بصمت ، وتلقّي الفاجعة بسكون ، وتقبّل الصدمة برضاً .

لا يجد الشامت دليلاً على المصاب يُدانُ به ، ولا يرى الحاسد أثراً للنكبة على المنكوب فيرقصَ طرباً .

ومما يعين على الصّبر الجميل : اعتقاد فساد الحيلة في دفع القدر ، وصحة العاقبة لمن احتسب وصبرَ ، والنظر فيما بقي من الخلف في النفس والولد والدين والمال ، ومشاهدة خيام أهل البلاء ، ومطالعة أدوية المصابين ، ففي كل وادٍ بنو سعد ، وما خلت جيبة من مصيبة ، ومع كل فرح ترح ، وعند الحبرة عبرة ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى ﴾ .

ومن شاء أن يطالع دفتر الخليفة منذ النشأة ليرى النكبات ترى ،
والمصائب تتساقط ، ما بين مقتول ومخدول ، ومعزول ومبتول ، وما بين
صائح ونائح وطائح ، وغريق وحريق وسحيق ، دول زالت ، ملوك ذلت ،
قصور هوت ، جيوش أبيدت ، قرون سلفت ، حداثق ذبلت ، دور خلّت ،
مُهْجٌ ذهبت ، ﴿ هَلْ تُحِشُّ مِنْهُمْ مَنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾ .

قال وزير شهير خطير كبير ، عَزَل ، ثم صُوِدِرَ ، ثم حُوسِبَ ، ثُمَّ سُجِنَ ،
ثم قُتِلَ ، فلمّا خرجوا به إلى ساحة الإعدام . . تبسّم ثم أنشد :

فَمَنْ كَانَ عَنِّي سَائِلًا بِشِمَاتَةٍ وَمَنْ كَانَ عَنِّي شَامِتًا غَيْرَ سَائِلٍ
فَقَدْ أَظْهَرْتُ مِنِّي الْخُطُوبُ أَبْنَ حُرَّةٍ صَبُورًا عَلَى أَهْوَالِ تِلْكَ الزَّلَازِلِ

الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فمن لا رأس له . . لا جسد
له ، ومن لا صبر له . . لا إيمان له .

هكذا شاعر يفجع بأبنائه السبعة يموتون مرة واحدة ، فيطعن سبع طعنات
نجلاء ، ولكنه يرجع الصبر ويثوب إلى الرشد ، ويترنّم :

وَتَجَلَّدِي لِلشَّامِتِينَ أُرِيهِمْ أَنِّي لِرَيْبِ الدَّهْرِ لَا أَتَضَعُّعُ

فهو الصمود والإصرار ، والإباء والتحدّي للشامتين ، وإظهار التجلّم
والسرور بالمقدور ، والرضا بالقضاء ، والتسليم للعزيز الحكيم .

الطاعة لا بد لها من صبر ؛ لتكون تماماً على الذي أحسن ، فبالصبر يحسن
أداؤها ، ويعظم إخلاصها ، ويتجلّى صدقها ، وبعدم الصبر تكون جسماً بلا
روح ، وصورة بلا مضمون ، وألفاظاً بلا معانٍ .

المعصية لا تُقاومُ إلا بالصبر ؛ لثلا تضعف النفس ، ويخور القلب ، وتقع
الواقعة .

فبالصبر لا تجد المعصية إلى القلب سبيلاً ، ولا تقيم على خسة الطبع
دليلاً ، بل تعود المعصية من حيث أتت ، فينهزم شيطانها المريد ، ويخسأ
إبليسها العنيد .

وبعدم الصبر تقع النفس في وَضَر الخطيئة ، وتدنس الروح بأحوال
الذنب ؛ لأن النفس هزمت في مصاف المحاربة ، وأسرت في فيلق المطالبة .
المصيبة لا تواجه إلا بصبر ؛ لتخف الوطأة ، وتسهل الرزية .
إذا عُدِم الصبر . . صارت المصيبة مصيبتين ، والنكبة نكبتين .
وإذا عدم الصبر . . زلزلت النفس زلزالها ، وصاح نذير الهلع : ما لها ؟ !
وإذا حصل الصبر . . حلَّ الأجر ، ونبل الذكر ، وانشرح الصدر .
ويوم يحضر الصبر مع المصيبة ، تصبح الخسائر أرباحاً ، والمغامر
مغانماً ، والأتراح أفراحاً .

من أراد الحياة بلا صبر . . فقد أرادها على غير طبيعتها ، ورآها على غير
صورتها ، فهو مستظل بالخيال ، صاحب أوابد وأمثال ، فرَّ من اليقظة إلى
المنام ، ومن الحقائق إلى الأحلام .

من عنده صبر فليدع الناس جانباً ، فقد حان نصره ؛ لأن النصر مع الصبر ،
وقرب فرجه ؛ لأن الفرَج مع الكرب ، ودنا يُسرُه ؛ لأنَّ مع العسر يُسرٌ .
ورد الصبر في القرآن على ضرب : أتى بصيغة الأمر ، والمدح له ، ومدح
الصابرين ، وذكر أجرهم عند ربهم ، والإشادة بحسن فعلهم ، وذكر سلام
الملائكة عليهم ، وصلوات الله ورحمته لهم ، وعرض أوصافهم ، فهم أهل
حظ عظيم ، ومهتدون ، وفعلهم من عزم الأمور ، فهنيئاً لهم .

الصابر يعيش بصبره في نعيم ، والجازع يعيش بجزعه في جحيم ، سجن

الصَّابِرُ جُنَّةً ، وِليَّتُهُ عَطِيَّةٌ ، ومَحَنَتُهُ مَنَحَةٌ ، وفَقْرُهُ غِنًى ، ومَرَضُهُ عَافِيَةٌ .

صبر آدم على مفارقة الوطن الأول من الجنة ، وصبر نوح على فقد الولد ، وصبر إبراهيم على مقام ذبح الابن ، وصبر يعقوب على فراق يوسف ، وصبر موسى على أذى الطاغية ، وصبر داود على مرارة الندم ، وصبر سليمان على فتنة الدنيا ، وصبر عيسى على ألم الفقر .

وأما رسولنا صلى الله عليه وسلم . . فصبر عليها كلها ، وعاشها كلها ، وذاقها كلها ؛ ففاز بالمقامات كلها ؛ صبر على فراق الوطن ، ومراتع الفتوة ، وملاعب الصبا ، وربوع الشباب ، فترك الأهل والعشيرة ، والدار والمال . وصبر على فقد الولد ، فسالت أرواح أبنائه بين يديه ، وقعقت أنفسهم أمام ناظره .

وصبر على ألم الأذى ، فأوذى في المنهج والوطن ، والسمعة والخُلُق ، والرسالة والزوجة .

وصبر على شماتة العدو ، وتنكر الصديق ، وعقوق القريب ، ونيل الحاسد ، وتشفي الحاقد ، وتألب الخصوم ، وتكالب الأحزاب ، وتكاثر المناوئين ، وصوله الباطل ، وقلة الناصر .

وصبر على شظف العيش ، وجفاف الفقر ، ومضض الحاجة ، وقلة ذات اليد ، وجذب النفقة ، وعوز المعيشة ، وحرارة الجوع ، ومرارة الفاقة .

وصبر على غلبة الخصم ، وقتل القريب ، وأسر الحبيب ، وتشريد الأصحاب ، والتنكيل بالأتباع ، والجراح في البدن ، وفزع التهديد والوعيد ، وقعقة الغارات ، وأهوال الغزوات .

وصبر على بطر الأغنياء ، وزهو الكبراء ، وشراسة الأعداء ، وجلافة

الأعراب ، وصلف الجهلة ، وسوء أدب الجفأة .

وصبر على خيانات اليهود ، ومراوغة المنافقين ، ومجابهة المشركين ،
وبطء استجابة المدعوين .

ثم صبر على فرح الفتح ، وسرور الانتصار ، وجلبة إقبال الدنيا ، وإذعان
الملوك ، واستسلام الجبابرة ، ودخول الناس في دين الله أفواجا .
صبر وهو يرى الكنوز تفرغ في أوعية الناس ، فلم يأخذ منها درهماً
واحداً .

وصبر وهو يشاهد القناطير المقنطرة من الذهب والفضة يتقاسمها الناس ،
ولم يحمل منها قطميراً .

صبر وهو يحوز قطعان الإبل والبقر والغنم كالآكام ، ثم يوزعها على
مُسلمة الفتح ، ولم يظفر بجمل أو بقرة أو شاة .

وصبر على سكنى بيت الطين ، وعلى أكل الشعير ، وعلى افتراش
الحصير ، وعلى ركوب الحمار ، وعلى لباس الصوف .

الأب مات ولم يره ، والأم توفيت ولم تتم رضاعه ، والجد فارق الدنيا ولم
يحطه برعاية ، والعم ذهب وقت النضال ، وخديجة ودّعت يوم الحزن ،
والابن سالت روحه يوم تمام الحب ، وعائشة تُرمى ساعة كمال الأنس ،
وحمزة يُقتل زمن المصاولة .

أنس بالمدينة فنَغَصَ عليه المنافقون أنسه ، استبشَرَ بالنصر في بدر فأسرعته
غصة الألم في أحد ، أزهَر وجهه كالقمر ليلة البدر فشجَّ بالسَّهام ، وتلاَّأت
أسنانه كالبرد فكسرت ثنيته في المعركة ، سبقت ناقته الإبل فسبقها أعرابي على
قعود .

ليبقى أجره في الآخرة موفوراً ، وسعيه عند ربّه مشكوراً ، وليلقى وليّه
ومعبوده مسروراً ، ليجتمع له الثواب كله ، أوّله وآخره ، قديمه وحديثه ، في
مقعدٍ صدقٍ عندَ ملكٍ مقتدر .

واستحقّ ذلك ؛ لأنه صبر ، فله الزُّلفى ، وتمام الرفعة ، والوسيلة ،
والفضيلة ، والمنازل الجليلة ؛ لأنه صبر .

وله المقام المحمود ، والحوض المورود ، واللواء المعقود ؛ لأنه صبر .

وله الشفاعة ، والخطاب ، والقرب ، والحظوة ؛ لأنه صبر .

كذبوه ، شتموه ، سبّوه ، آذوه ، فنزل : ﴿ أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ﴾ .

حاربوه ، نازلوه ، شرّدوه ، طاردوه ، قاتلوه ، فنزل : ﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا

صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ .

هجره ، وأعرضوا عنه ، وصدّوا عن سبيله ، ووقفوا في طريقه ، فنزل :

﴿ فَأَصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴾ .

طال عليه المدى ، ترقّب النصر ، كثر العدو ، تزاومت النكبات ، فنزل :

﴿ فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ .

ردّ عليه قومه أفدع رد ، وأفطع جواب ، وأبشع خطاب ، وأقبح مواجهة ،

فنزل : ﴿ فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ .

فصبر صلى الله عليه وسلم صبراً جميلاً في كل مقامات العبودية ، صبر في

رضاه وغضبه ، وسلمه وحربه ، وغناه وفقره ، فصار إمام الصابرين ، وقدوة

الشّاكرين .

اللهم ؛ ثبّتنا على سنته ، ووفقنا لسيرته ، وانصر بنا دعوته .

* * *

علامته العصر

للقلب من ذكره اهتزاز ، وللقصيد في مدحه ارتجاز ، تفرد بالمكرمات
وامتاز ، وحظي بحسن الثناء وفاز ؛ إنه عبد العزيز بن باز .
أوصلته الهمة ، إلى إمامة الأمة ، وبلغته العزيمة المنزلة الكريمة ، ودلته
السنة ، طريق الجنة .

خلق أرق من النسيم ، وعلم أعذب من التسنيم ، كلامه يوشى بالأثر ،
كأنه در انتشر .

ابن باز : اتباع لا ابتداع ، وقبول عم البقاع ، وفضله كلمة إجماع ، مع
اعتصام بالدليل ، واهتمام بالتأصيل ، وبراعة في التحصيل .

يشرفه تحقيق في النقل ، وسداد في العقل .

جُمع له مع كرم الطبيعة ، رسوخ في الشريعة .

هجر في طلب العلم الرقاد ، فحصل واستفاد ، وأخذ الرواية بالإسناد ،
حتى ترأس وساد ، وعم علمه البلاد والعباد .

ابن باز : على نهج السلف ، بلا تنطع ولا صلف ، روح بالتقوى طاهرة ،
ونفس بالعلوم باهرة ، أعذب من ماء السحاب ، وأرق من دمع الأحباب .

ابن باز : في هذا العصر إمام الغرباء ، وعالم الأولياء ، وزاهد
العلماء .

تقلد ابن باز أرفع المناصب ، فكان آية في أداء الواجب .

حضرت له مجالس وموائد ، وحملت عنه فوائد ، وألقيت عليه قصائد ، ورويت عنه فرائد .

لما جاء خبر وفاة هذا الإمام . . تعثرت به الأفواه ، وتلعثمت به الشفاه ، وقال القلب : هذا خبر لا أقواه ، وقالت النفس : ما أشد هذا المصاب على القلب وما أقساه .

ابن باز : بَرَّ بعلمه الأعلام ، وأتعب بسيرته الأقاليم ، وأهدى عمره للإسلام ، وكَفَلَ بكرمه الأيتام .

لو رآه يحيى بن معين . . لقال : مرحباً بعلم الإسناد ، ولو أبصره حاتم الطائي . . لقال : أهلاً يا سيد الأجواد ، ولو لقيه الأحنف بن قيس . . لقال : منكم الحلم يستفاد .

ابن باز : بَرَّ الأقران ، بطاعة الرحمن ، وعلم السنة والقرآن ، وإكرام الضيفان ، واحترام الإخوان ، وبر الأقارب والجيران .

إن زرتة . . غمرك بالإكرام ، وأتحفك بالاحترام ، وآنسك بطيب الكلام ، وضيقك ألد الطعام ، وعَلَّمَكَ الآداب والأحكام ، فهو يجمع الجودين ، وبما تقوم الدنيا والدين .

ابن باز : أبو الدعاة ، وشيخ القضاة ، وناصح الولاة ، تحبه لتقواه ، وتحترمه لفتواه .

حاضر في الجامعات ، وتشرفت به المحاضرات ، وتعطرت بعلمه الندوات ، وطابت بلفائه الأمسيات ، وسعدت بوجوده الجلسات ، غني في زيّ فقير ، وزاهد في موكب أمير ، ومفتٍ في منصب وزير ، حمل كل أمر خطير ، فكان نعم المشير ، وصاحب الرأي الفطير والخمير ، عليه بسمة في

وقار ، ولين في إصرار ، ودأب في استمرار .

السنة له شعار ، والصلاح له دثار ، وعليه من السكينة أنوار .

لم يكن لسانه كالمقراض للأعراض ، ولم يكن له ارتياض في جلب المال والأغراض .

ابن باز : نفع للخليقة ، وإدراك للحقيقة ، ولزوم الطريقة .

عدل في الأحكام وإنصاف ، وتواضع تعنو له الأشراف ، وكرم تشهد به الأضياف .

أثبت ابن باز أن العلم يشرف من حملة ، وأن المال يسود من بذله .

ليس في قاموس ابن باز أن الجود يُفقر ، بل صاحبه يُشكر ، وبالخير يُذكر .

تميز ابن باز بالتعمق في الأثر ، والغوص على الدرر ، مع تصحيح الخبر ، وصحة النظر .

ابتعد ابن باز عن شقشقة علماء الكلام ، وعققة الفلاسفة الطغام ، وتشدق أهل المنطق اللثام .

ولم يكن يسقط على السقطات ، ولا يلقط الغلطات ، بل كان يدفن المعائب ، ويذكر المناقب ، فملاً الله بمحبته القلوب ، وطار ذكره في الشعوب .

فالعلم عنده حديث وآية ، ونور وهداية ، وعمل لغاية ، واستعداد لنهاية ، أعرض عن مذاهب المبتدعة الضلال ، وأهل الدنيا الجهال ، وأساطين القيل والقال ، وهجر الجدل ، فسلم من همز الرجال .

ليس في مجلسه أرقام الأسعار ، ولا فضول الأخبار ، ولا غرائب

الأقطار ، ولا عجائب الأمصار ، وإنما كلام العزيز الغفار ، وحديث النبي المختار ، وما صح من آثار ، « كمثل حامل المسك ؛ إما أن تبتاع منه ، وإما أن يتحفك بطيبه » .

زهد ابن باز زهد متواضع ، لم يشر إليه بالأصابع ، ويعلن على الملأ في المجمع ؛ لأن الدنيا عنده أهون من أن يعظم الزهد فيها ، وأحق من أن يمدح النظر إليها ، فكان زهده صامتاً ، وتواضعه ساكتاً . خدمته السنة الخلق بإعلان الفضائل ، وأحبته قلوب الناس فوعت تلك الرسائل .

أفضل شيء في العالم : مراقبة الجليل ، والعمل بالتنزيل ، والاستعداد للرحيل ، والرضا بالقليل ، وكذلك كان ابن باز ، ﴿ فَكَانَتْهُمْ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ﴾ .

وأحب شيء في الولي : المحافظة على تكبيرة الإحرام ، والكف عن الحرام ، والرحمة بالأنام ، وسلامة الصدر من حب الانتقام ، وطهارة الثوب من الآثام ، وكذلك كان ابن باز .

كانت دعوته حُسبة ، وعمله قُربة ، فصار إماماً في زمن العُربة . وأكرم شيء في الرجل : بسمه على محياه ، وصدقه في مسعاه ، وثباته في خطاه ، وإخلاصه في إعلانه ونجواه ، وكذلك كان ابن باز .

وأحسن شيء في الإنسان : طهارة الضمير ، والاستعلاء عن كل حقير ، واحترام الكبير ، ورحمة بالصغير ، وعطف على الفقير ، وكذلك كان ابن باز .

العلم ليس متوناً تحفظ ، ولا خطباً تلفظ ، ولكنه خشية وخشوع ،

وتواضع وخضوع ، واتباع في الأصول والفروع ، وكذلك كان ابن باز ،
﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ .

والعلم ليس شهادات تُعلّق ، ولا مناصب تُسلّق ، ولا دنيا تُعشق ، ولكنه
تقوى ومراقبة ، وورع ومحاسبة ، وتنبية للغافل ، وتعليم للجاهل ، وكذلك
كان ابن باز .

عرفنا من العلماء من اشتهر بالخطابة ، والذكاء والنجابة ، وسرعة البديهة
والإصابة ، وهذا أعظم ما يذكر به .

وعرفنا من العلماء من عندهم فهم ثاقب ، ونظر صائب ، وذهن يغوص
على العجائب ، ثم ليس يذكر إلا بهذا .

وعرفنا من عنده حافظة قوية ، وفي صدره متون مروية ، وفي ذاكرته علوم
محكية ، ثم هذا غاية ما عنده .

ولكن ابن باز حافظة بفهم ، وذاكرة بعلم ، وسداد في روية ، وثبات مع
حسن طوية .

معه حجة ناطقة ، ونية صادقة .

بلغ ابن باز منزلة لا يرفعه المدح ، ولا يضعه القدح ، فاستوى عنده الثناء
والهجاء ، ولم ينفعه مدح الأصدقاء ، وما ضره ذم الأعداء ؛ لأنه يعامل رب
الأرض والسماء .

ليس في قاموس ابن باز تفصّح ولا تبجّح ولا تمدّح .

لا يحب الإطراء والمراء والإغراء ، لا يتزلف عنده برنين الدعاية ،
ولا يتقرب لديه برخيص السعاية ؛ لأنه قد حقق الولاية .

ليس العلم عند ابن باز بالتفاصح ، والتمادح ، والزهو بالمشالح ،

والحرص على المصالح ، بل العلم لديه حمل الشريعة في إخبارات ، وطلب
الفائدة بإنصاف ، والعمل بالحجة في ثبات .

العالم من عن الحرام كف ، وعن الشهوات عف ، وقال على غرور
الدنيا : تف ، وكذلك كان ابن باز .

ابن باز من مدرسة التجديد ، وليس من أهل التقليد ، بل هو صاحب
حجة ، سالك المحجة ، معتمد بالبرهان ، عالم برضا الرحمن ، ليس
بمتعصب للمذهب ، بل يتبع الحق أينما وجد ، ولا يتجاوز الدليل إذا صح
السند .

صحبت هذا الشيخ فلم أر فيه عجرفة المتطاولين ، ولا تخرص
المتقولين ، ولا ترخص المتأولين ، ولا غرور الجاهلين ، بل دأب في
تحصيل الفضيلة ، وحرص على الصفات الجليلة ، واتصف بالأخلاق
الجميلة .

كان الشيخ يحترم الأئمة السالفين ، ولم يكن يجرح المخالفين ، بل كان
رفيقاً مما جعل الناس له مؤلفين .

* * *

مداواة النفوس وإصلاح الأخلاق

وفي كتاب « الأخلاق والسير » لابن حزم :

لذة العاقل بتمييزه ، ولذة العالم بعلمه ، ولذة الحكيم بحكمته ، ولذة المجتهد لله عز وجل باجتهاده . . أعظم من لذة الأكل بأكله ، والشارب بشربه ، والواطيء بوطئه ، والكاسب بكسبه ، واللاعب بلعبه ، والامر بأمره .

وبرهان ذلك : أن الحكيم العاقل والعالم والعامل واجدون لسائر اللذات التي سمينا ، كما يجدها المنهمك فيها ، ويحسنونها كما يحسها المقبل عليها ، وقد تركوها وأعرضوا عنها ، وآثروا طلب الفضائل عليها ، وإنما يحكم في الشئيين من عرفهما ، لا من عرف أحدهما ولم يعرف الآخر .

إذا تعقبت الأمور كلها . . فسدت عليك ، وانتهيت في آخر فكرتك باضمحلال جميع أحوال الدنيا ، إلى أن الحقيقة إنما هي العمل للآخرة فقط ؛ لأن كل أمل ظفرت به فعقباه حزن ، إما بذهابه عنك ، وإما بذهابك عنه ، ولا بد من أحد هذين الشئيين ، إلا العمل لله عز وجل ، فعقباه على كل حال سرور في عاجل وآجل ، أما العاجل . . فقلة الهم بما يهتم به الناس ، وإنك به معظم من الصديق والعدو ، وأما في الآجل . . فالجنة .

فاحرص على أن توصف بسلامة الجانب ، وتحفظ من أن توصف بالدهاء فيكثر المتحفظون منك ، حتى ربما أضرت ذلك بك ، وربما قتلك .

وطَّن نفسك على ما تكره.. يقلّ همك إذا أتاك ، ويعظم سرورك
ويتضاعف إذا أتاك ما تحب مما لم تكن قدرته .

إذا تكاثرت الهموم.. سقطت كلها .

الغادر يفي للمَجْدود ، والوفي يغدر بالمحدود ، والسعيد كل السعيد في
دنياه من لم يضطره الزمان إلى اختبار الإخوان .

لا تفكر فيمن يؤذيك ؛ فإنك إن كنت مقبلاً.. فهو هالك ، وسعدك
يكفيك ، وإن كنت مدبراً.. فكل أحد يؤذيك .

طوبى لمن علم من عيوب نفسه أكثر مما يعلم الناس منها .

الصبر على الجفاء ينقسم ثلاثة أقسام : فصبر عمن يقدر عليك ولا تقدر
عليه ، وصبر عمن تقدر عليه ولا يقدر عليك ، وصبر عمن لا تقدر عليه
ولا يقدر عليك .

فالأول : ذل ومهانة ، وليس من الفضائل ، والرأي لمن خشي ما هو أشد
مما يصبر عليه : المتاركة والمباعدة .

والثاني : فضل وبر ، وهو الحلم على الحقيقة ، وهو الذي يوصف به
الفضلاء .

والثالث : ينقسم قسمين : إما أن يكون الجفاء ممن لم يقع منه إلا على
سبيل الغلط ويعلم قبح ما أتى به ويندم عليه ، فالصبر عليه فضل وفرض ، وهو
حلم على الحقيقة ، وأما من كان لا يدري مقدار نفسه ، ويظن أن لها حقاً
يستطيل به ، فلا يندم على ما سلف منه.. فالصبر عليه ذل للصابر ، وإفساد
للمصبور عليه ؛ لأنه يزيد استثناء ، والمقارضة له سخف ، والصواب إعلامه
بأنه كان ممكناً أن ينتصر منه ، وأنه إنما ترك ذلك استرذالاً له فقط ، وصيانة عن

مراجعته ، ولا يزداد على ذلك . وأما جفاء السفلة . . فليس جزاؤه إلا النكال وحده .

من جالس الناس . . لم يعدم همأ يؤلم نفسه ، وإنما يندم عليه في معاده ، وغيطاً ينضج كبده ، وذلاً ينكس همته ، فما الظن بعد بمن خالطهم وداخلهم؟ والعز والراحة والسرور والسلامة في الانفراد عنهم ، ولكن أجعلهم كالنار تدفأ بها ، ولا تخالطها .

لو لم يكن في مجالسة الناس إلا عيبان . . لكفيا ، أحدهما : الاسترسال عند الأنس بالأسرار المهلكة القاتلة ، التي لولا المجالسة . . لم يبح بها البائع ، والثاني : مواجهة الغلبة المهلكة في الآخرة .

فلا سبيل إلى السلامة من هاتين البليتين إلا بالانفراد عن المجالسة جملة . لا تحقر شيئاً من عمل غد أن تحققه بأن تعجله اليوم وإن قل ؛ فإن من قليل الأعمال يجتمع كثيرها ، وربما أعجز أمرها عند ذلك فيبطل الكل .

لا تحقر شيئاً مما ترجو به تثقيل ميزانك يوم البعث أن تعجله الآن وإن قل ؛ فإنه يحط عنك كثيراً لو اجتمع . . لقذف بك في النار .

الوجع والفقر والنكبة والخوف ، لا يحسُّ أذاها إلا من كان فيها ، ولا يعلمه من كان خارجاً عنها . وفساد الرأي والعار والإثم لا يعلم قبحها إلا من كان خارجاً عنها ، وليس يراه من كان داخلها فيها .

الأمن والصحة والغنى ، لا يعرف حقها إلا من كان خارجاً عنها ، وليس يعرف حقها من كان فيها . وجودة الرأي والفضائل وعمل الآخرة ، لا يعرف فضلها إلا من كان من أهلها ، ولا يعرفه من لم يكن من أهلها .

أول من يزهد في الغادر : من غدر له الغادر ، وأول من يمقت شاهد

الزور : من شهد له به ، وأول من تهون الزانية في عينه : الذي يزني بها .
ما رأينا شيئاً فسد فعاد إلى صحته إلا بعد لأي ، فكيف بدماع يتوالى عليه
فساد السكر كل ليلة ؟ وإن عقلاً زين لصاحبه تعجيل إفساده كل ليلة ، لعقل
ينبغي أن يتهم .

الطريق تبرم ، والرزايا تكرم ، وكثرة المال ترغب ، وقلته تقنع .

* * *

نقوش على البيت الأبيض

قال الراوي : يا عائض ؛ دعنا من الردود والنقائض ، فإننا نرى الفجر وشيكا ، فحدثنا عن أمريكا .

قلت : الله المستعان ، وهو عظيم الإحسان ، ممدوح بكل لسان .
لقد سافرنا قبل مدّة ، من أبها إلى جدة ، في صحبة بالصدق معروفون ،
وبالخير موصوفون ، فكنا قرابة العشرة ، قاصدين بلاد الكفرة ، فلما ودّعنا
البلاد ، وحملنا الزاد والمزاد . . أنشد شاعرنا بصوت جميل ، ودموعه تسيل :
سَقَى اللهُ أَرْضاً لَأَمْسَ الْوَحْيُ أَرْضَهَا

ثم مشينا مع الجموع السائرة ، حتى ركبنا الطائرة ، فرأينا الكبتن ، كأن
خده لبتن ، أحمر الوجنتين ، أزرق العينين ، فلما طرنا مقلعين ، وسافرنا
مسرعين ، قاربنا السحاب ، وللطائرة أزيز وانتحاب ، فنظرنا إلى القمر
المضاء ، وطالعنا كتاب الفضاء ، فبهرنا ذاك الصنيع ، والخلق البديع ؛ من
شمس تسطع ، وقمر يلمع ، ونجوم زواهر ، وبحار زواخر ، الأرض
مكوّرة ، والسماء مدوّرة ، والكون ليس عاطلاً ، فسبحانك ما خلقت هذا
باطلاً ، وسمعت للركاب تصدية ومكاء ، قلت : أين أنت يا بكاء ؟

فلما اقتربنا من تلك الولايات . . قرأنا بعض الآيات ، وأنشدنا شيئاً من
الأبيات ، وهبطنا في مطار جون كندي ، ودثّرت من شدة البرد جسدي ،
وأصبحنا من البرد في ثلاجة ، حين وصلنا ديار الخواجة ، وانتظرنا في صف

عريض ، بين سود وبيض ، والجوّ من أفعال أولئك مريض .

ثم سمعنا أمريكياً يرطن ، يقول : هيا إلى واشنطن ، فغادرنا المحل والسكن ، وركبنا مع شركة بان أمركن ، فحززنّا أجسامنا بالرباط حزّا ، وهزتنا الطائرة هزّا ؛ لأن قائدها أهوج ، قلبه مثلج ، فكل راكب بالخوف مدجج ، فكأنها من الركاب فاضية ، ونادى بعضنا : يا ليتها كانت القاضية ، أما الأمريكان . . فما كأنّ شيئاً كان ، فهم في لهوهم يضحكون ، وإذا مروا بنا يتغامزون ، فما أدري ، والطائرة تجري ، هل تعجبوا من جزعنا ، وسخروا من فزعنا ، وأنكروا هلعنا ؟

فليتهم يعلمون ، وعن غيتهم يرجعون ، أن أجدادنا نحن أهل الجباه السمراء ، والغتر الحمراء ، كانوا بالتوحيد فاتحين ، وعلى أمواج البحار سابحين ، قلوبهم مصاحف ، وبيوتهم للفضائل متاحف ، يحملون الأرواح على السراح ، إذا نادى المنادي : السلاح السلاح .

أما علمتم أنا أتباع محمد ، خير من تعبّد ، وصام وتهجّد ، ومنا الخلفاء الأصفياء ، الأوفياء الشرفاء ، ومنا العلماء الكرماء الحلماء ، والسادة أهل الإفادة ، والرفادة ، والوفادة .

نحن حملة المحابر ، وأصحاب الدفاتر ، ورؤاد المنابر .

فضحكوا ساخرين ، والتفتوا لقوم آخرين ، وقالوا : قطعكم الأماني ، وأشغلتكم الأغاني ، يا ضرابة العود ، ويا رعاة القعود ، ليلكم طرب ، ونهاركم لعب ، يا بلاد الفنانين والفنانات ، والمغنين والمغنيات ، الأحياء منهم والأموات . . .

قلنا : كذبتهم ورب المشارق والمغارب ، ولا يكتم الحق إلا كاذب ، أين

أنتم يوم فتحت لنا السماء ، وكتب تاريخنا الحكماء ، يوم عشنا في العالم
رحماء ، وحكمنا الدنيا حلماء ، وملأنا المعمورة علماء ؟

فقالوا : تلك أمة قد خلت ، وحقبة سلفت ، وقد نامت النعجة في مريض
الأسد ، لما نسيتم ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ، أخذتم من الغرب قشوره ،
وما صنعتكم للعالم طبشورة ، وأخبار لعبكم ولهوكم منشورة .

قلنا : فاتكم الصواب ، وأخطأتم في الجواب ، فأنتم الذين تركوا العالم
هشيماً ، أما دمرتم نجزاكي وهيروشيما ، أهلكتم النسل والذرية ، بالقنابل
الذرية ، حكمتهم بلا شريعة ، وأحللتهم المخالفات الفظيعة ، ونشرتم كل عادة
خليعة ، هجرتم الذكر ، ونسيتم الشكر ، وأبحتم السكر .

فقال قائل منهم ، وتحديث كاتب عنهم ، فذكر لنا صناعتهم ، وشرح لنا
بضاعتهم ، وقال : أما ملأنا البر حتى ضاق عنا ، وحكمنا البحر بقوة منا ، أما
صنعنا الطائرة ، أما هندسنا السيارة ، أما سهلنا التلفون ، ويسرنا التلفزيون ،
واستفدنا من ذبذبات الأمزون ، أما صنعنا للعين زجاجة ، وللطعام ثلاجة ،
وللطفل دراجة ، ضخمنا بالميكروسكوب الهباء ، وأضأنا الليل بالكهرباء ،
أجدنا الدفاع والهجوم ، وبلغنا بالاختراع النجوم ، هبطنا على القمر ،
واكتشفنا الماس من الحجر .

قلنا : رفضتم الإيمان ، وهجرتم القرآن ، وأطعتم الشيطان ، هدمتم
المساجد ، وشيدتم للفجور المعابد ، أنفقتم المليارات على البارات ،
وعرضتم للناس الغانيات ، وملأتم المراقص بالمغنيات ، المخمور في
شوارعكم يخور ، والكأس على رؤوسكم تدور ، الأبيض عندكم مقدس
والأسود مقهور ، البنوك لديكم مراية ، والأسواق في بلدكم لاهية ،

ومجالسكم لاغية ، ملحدون لا موحدون ، متفرقون لا متحدون ، ليس لديكم
إسلام ، ولا صلاة ولا صيام ، ولا حلال ولا حرام ، شهواتكم وثابة ،
وَأَلْسِنَتُكُمْ كَذَابَةٌ ، كَأَنَّكُمْ فِي غَابَةٍ ، قَتَلْتُمْ عِنْدَكُمْ الْمَبَادِيءَ فِي النُّوَادِي ، وَفِي
كُلِّ يَوْمٍ لِلرَّذِيلَةِ لَدَيْكُمْ أَلْفُ مَنَادٍ .

أَيْنَ الْاعْتِرَافُ بِالْإِقْتِرَافِ ؟ أَيْنَ الْكَفَافُ وَالْعَفَافُ ؟ غَارِقُونَ فِي الْمَادَةِ وَمِنَ
الْفَضِيلَةِ أَجْلَافٌ ، لَا وَضُوءَ وَلَا طَهَارَةَ ، وَلَا مَسْجِدَ وَلَا مَنَارَةَ ، بَلْ أَنْتُمْ
أَصْحَابُ حَانُوتٍ وَخَمَّارَةٍ ، لِلدَّمَاءِ سَفَكْتُمْ ، وَلِلْأَعْرَاضِ هَتَكْتُمْ .

فَقَالَ : دَعْنَا مِنَ الْأَشْعَارِ ، وَلَا تَلْصُقْ بِنَا الْعَارَ ، فَمَا يَرْتَفِعُ الدِّخَانُ إِلَّا مِنَ
النَّارِ ، أَمَا تَشَاهِدُونَ تَقْدِمَنَا ، أَمَا تَرَوْنَ ، مَا لَكُمْ لَا تَنْظُرُونَ ؟! غَزَوْنَا الْمَرِيخَ ،
وَأَنْتُمْ تَعِيدُونَنَا إِلَى التَّارِيخِ ، فَمَاذَا فَعَلْتُمْ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ ؟ تَكَلَّمُوا وَلَكُمْ
الْأَمَانُ .

فَقُلْنَا : سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ ، مَا أَظْلَمَ هَذِهِ النُّفُوسُ ، أَلَيْسَ عَلَى
أَرْضِنَا الْوَحْيُ هَبَطَ ، وَفِي دِيَارِنَا غِيثُ الرِّسَالَةِ سَقَطَ ، وَمَنَا عَرَفَتِ الْهَدَايَةَ
فَقَطَ .

أَلَيْسَ مِنَّا الصَّدِيقُ وَعِثْمَانُ ، وَعَمْرُ وَثُوبَانُ ، وَعَلِيٌّ وَسُلَيْمَانُ ، وَبِلَالُ
وَحْشَانُ ، مِنَّا خَالِدُ الْمَقْدَامِ ، وَالْقَعْقَاعُ الصَّمْصَامُ ، وَمِنَّا هَمَّامُ ، وَأَبُو تَمَامَ ،
وَمِنَّا أُوَيْسُ ، وَالْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ ، وَأَسْمَاءُ بِنْتُ عَمِيْسٍ .

أَمَا صَفْقُ لِقْدُومِنَا الْفَرَاتِ وَالنَّيْلِ ، وَهَلَلُ لَطْلَعَتِنَا مَضِيْقِ الدَّرْدَنِيلِ ، نَحْنُ
أَسَاتِذَةُ الْأَكْرَادِ وَالتَّرَكْمَانِ ، وَمُعَلِّمُوا الْإِنْجِلِيزِ وَالْأَلْمَانِ .

أَمَا اِنْدهَشَ مِنْ عِبْقَرِيَّتِنَا شَارْلَمَانُ ، وَبِسْمَاحَةِ الصَّدِيقِ فَتَحْنَا الطَّرِيقَ ، بِدَرَةِ
الْفَارُوقِ أَدْبَنَا أَهْلَ الْعُقُوقِ ، بِصَدَقِ أَبِي ذَرِّ قُلْنَا الْحَقَّ وَهُوَ مَرٌّ .

منّا الرشيد الذي تحدّى السحاب ، وملك من طنجة إلى البنجاب ، ومنّا
المعتصم الذي فتح عمورية ، ونسخ الدولة الآشورية .

منّا السعدان والسعيدان ، والسفيانان ، والحمادان ، ومنّا البخاري ،
وصاحب « فتح الباري » ، ومؤلف « لامع الدراري » ، وشارح « هدي
الساري » .

بعثنا للعالم مبشرين ، وخرجنا للناس ميسرين ، أذقنا العباد طعم الحرية ،
وأعتقنا العالم من المنظمات السرية ، أذنا في الحمراء ، وصلينا في الزهراء ،
ربطنا خيولنا على ضفاف اللوار ، وسجدنا على صحراء سنجار ، وتلونا القرآن
على جبال قندهار ، رفعنا الإيمان في الهند ، ونشرنا المعرفة في السند ، أسرنا
الجبابرة ثم أعتقناهم ، وملكنا الأكاسرة ثم أطلقناهم ، تكبر فتسقط القلاع ،
نؤذن فتتهتز التلاع ، نقرأ فتطرق الأسماع .

لبسنا الثياب المرقعة ، والأحذية المقطعة ، ففتحت لنا البلاد ، ورحب بنا
العباد .

ليلنا قيام ، ونهارنا صيام ، في الدجى رهبان ، وفي الميدان فرسان ، على
المنابر سادة ، وفي المعارك قادة .

ساوينا بين الأمراء والفقراء ، والحقراء والكبراء ، أنصفنا الشاة من
الذيب ، وعلمنا الوحوش التهذيب .

نحن شמוש العلوم ، ونجوم الفهوم ، ربطنا على بطوننا الحجارة من الجوع ،
وبللنا مواطن السجود بالدموع ، وكنا في صلاتنا كالسوارى من الخشوع .

نتوضأ فتتناثر منّا الخطايا ، نغنى فتسيل من أيادينا العطايا ، نرتل القرآن
فتقف على أصواتنا المطايا .

نادى منادينا ، على سنة هادينا : يا أيتها النفوس من الموت اشربي ، ويا خيل الله اركبي ، فجمّد الله لنا الماء ، وظلّل علينا الغمام في السماء .

منا من اهتز لموته عرش الرحمن ، ومنا من كلّمه الله بلا ترجمان ، ومنا من غسلته الملائكة يوم التقى الجمعان ، لا نكذب ولو أنّ السيوف على الرؤوس ، ولا نسرق ولو أنّ الجوع يمزق النفوس ، اسمعوا ماذا قال كاتبكم وله منكم معجبون ، أعني جوستاف لوبون : ما عرف العالم فاتحاً أعدل من العرب ، فهم أهل الرحمة والحلم والأدب .

أما ما ذكرت من تخلفنا هذه الأيام . فهو لضعف تمسكنا بالإسلام ، ملأنا الكروش ، وشاهدنا الدشوش ، وزينا الرموش ، وجمعنا القروش . اشتغلنا بالمراسلات ، وسهرنا مع المسلسلات ، فأصبحنا في سلّات المهملات ، والخانات الفارغات .

أحبينا الكرسي ، وعشقنا التبسي ، وأدمنّا البيسي ، وتعلقنا بالتكسي . نحن في الأسواق أمواج ، وفي الشوارع أفواج ، أموالنا في شراء الدجاج ، وأوقاتنا ذهبت في الحراج ، لما أتخمنّا بالعصيدة . ما أصبحنا ننظم القصيدة ، أصبح طالبنا أبله ؛ لأنه عاش مع الطيلة ، حفظنا متن التيس والتيس ، والكيس والكيس ، أصبح نشاطنا بزفير وشهيق ، وتشجيع للفريق ، وللبواري هدير ونهيق .

لا يصلي الفجر منا إلا قلة ، ولا يحفظ القرآن إلا ثلة ، ونقول : نحن أنصار الملة ، مع العلم أن الاهتمامات دلة ، وفلة ، وسلّة ، وشلّة .

كبارنا منهمكون في القيل والقال ، وحب المال ، إلا من رحم ذو الجلال ، وشبابنا كالأطفال في الروضة ، مشغولون بآخر موضّة ، ولهم في

الملعب ضجيج وفوضىّة ، عقل أحدهم كأنه ريشة ، وسلوته السيجارة
والشيشة .

فوالذي زين الشمس في ضحاها ، وجملّ القمر إذا تلاها ، وحسن النهار
إذا جلاّها ؛ ما أصابنا التخلف ، وما دهانا التوقف ، إلا يوم عصينا رب
العباد ، وتركنا الجهاد ، وكثر فينا الفساد .

كان مؤذنا بلال ، وملعبنا ميدان القتال ، وقصدنا ذا الجلال ، فما أصبح
لنا طول ولا حول ؛ لأن همنا كمّ سجلنا من قول ، فيا للهول .

بالأمس كان شبابنا بالقرآن يفرح ، وللسنة يحفظ ويشرح ، واليوم أصبح
يسرح ويمرح ، مع نجوم الفن والمسرح ، أما تنظر إلى شعره إذا رصّه ،
وجعل له قصّة ، ثم مسح شفّتيه بالمكياج ، ومشى وله ارتجاج ، فكيف لو رآه
الحجّاج ؟ وما ترى لو دُبِغ بكرباج ؟

فقالوا لنا : الآن حصّص الحق ، وبان الفرق ، وظهر الصدق .
فودّعناهم وكل واحد منهم كأنه فارة ، وذهبنا للسفارة .

* * *

أين هم ؟

وفي كتاب « الكبائر » للذهبي :

أين من حصن الحصون المشيدة واحترس ، وعمر الحقائق فبالغ وغرس ،
ونصب لنفسه سرير العز وجلس ، وبلغ المنتهى ورأى الملتمس ، وظن في
نفسه البقاء ولكن خاب الظن في النفس ؟! أزعجه - والله - هاذم اللذات
واختلس ، ونازله بالقهر فأنزله عن الفرس ، ووجه به إلى دار البلاء فانطمس ،
وتركه في ظلام ظلمة من الجهل والدنس ، فالعاقل من أباد أيامه فإن العواقب
في خلس .

تَنِي وَتَجْمَعُ وَالْآثَارُ تَنْدَرِسُ
ذَا اللَّبِّ فَكَّرَ فَمَا فِي الْعَيْشِ مِنْ طَمَعٍ
أَيْنَ الْمُلُوكِ وَأَبْنَاءِ الْمُلُوكِ وَمَنْ
وَمَنْ سُيُوفُهُمْ فِي كُلِّ مُعْتَرِكٍ
أَضْحَوْا بِمَهْلَكَةٍ فِي وَسْطِ مَعْرَكَةٍ
وَعَمَّهُمْ حَدَثٌ وَضَمَّهُمْ جَدَثٌ
كَأَنَّهُمْ قَطُ مَا كَانُوا وَمَا خَلِقُوا
وَاللَّهُ لَوْ عَايَنَتْ عَيْنَاكَ مَا صَنَعَتْ
لَعَايَنَتْ مَنَظَرًا تَشْجَى الْقُلُوبُ لَهُ
مِنْ أَوْجِهِ نَاضِرَاتٍ حَارَ نَاطِرُهَا

وَتَأْمَلُ اللَّبْثَ وَالْأَعْمَارُ تُخْتَلَسُ
لَا بُدَّ مَا يَنْتَهِي أَمْرٌ وَيَنْعَكِسُ
كَانُوا إِذَا النَّاسُ قَامُوا هَيْبَةً جَلَسُوا
تُخْشَى وَدُونَهُمُ الْحَجَابُ وَالْحَرَسُ
صَرَغُوا وَصَارُوا بِبَطْنِ الْأَرْضِ وَأَنْطَمَسُوا
بَاتُوا فَهُمْ جُنْتُ فِي الرَّمْسِ قَدْ حُبِسُوا
وَمَاتَ ذِكْرُهُمْ بَيْنَ الْوَرَى وَنُسُوا
أَيْدِي الْبِلَا بِهِمْ وَالْدُّودُ يَفْتَرِسُ
وَأَبْصَرَتْ مُنْكَرًا مِنْ دُونِهِ الْبَلَسُ
فِي رَوْنِ الْحُسْنِ مِنْهَا كَيْفَ يَنْطَمِسُ

وَأَعْظَمَ بَالِيَاتٍ مَا بِهَا رَمَقٌ وَلَيْسَ تَبْقَى لِهَذَا وَهْيَ تَنْتَهَسُ
وَأَلْسُنٍ نَاطِقَاتٍ زَانَهَا أَدَبٌ مَا شَأْنُهَا شَانَهَا بِأَلْفَةِ الْخَرَسُ
حَتَامَ يَا ذَا أَلْتَهَى لَا تَرْعَوِي سَفَهَا وَدَمْعُ عَيْنَيْكَ لَا يَهْمِي وَيَنْبَجِسُ
يا من يرحل في كل يوم مرحلة ، وكتابه قد حوى حتى الخردلة ، ما ينتفع
بالنذير والنذر متصلة ، ولا يصغي إلى ناصح وقد عدله ، ودروعه مخرقة
والسهام مرسله ، ونور الهدى قد بدا ولكن ما رآه ولا تأمله ، وهو يؤمل البقا
ويرى مصير من قد أمله ، قد انعكف بعد الشيب على العيب بصباة ووله ، كن
كيف شئت فبين يديك الحساب والزلزلة ، ونعم جلدك فلا بد للديدان أن تأكله ،
فيا عجباً من فتور مؤمن موقن بالجزاء والمسألة ، استيقن من غرور وبله ! ويحك
يا هذا من استدعاك وفتح منزله . . فقد أولاك لو علمت منزلة ، فبادر ما بقي من
عمرِكَ واستدرك أوله ، فبقية عمر المؤمن جوهرة قيمة .

قل للذين شغلهم في الدنيا غرورهم ، إنما في غد ثبورهم ، ما نفعهم
ما جمعوا ، إذا جاء محذروهم ، فكيف غابت عن قلوبهم وعقولهم : ﴿ يَوْمَ
يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾ ؟
أخذ المال إلى دار ضرب العقاب ، فجعل في بودقة ليحمى ليقوى
العذاب ، فصفح صفائح كي يعم الكي الإهاب ، ثم جيء بمن عن الهدى قد
غاب ، يسعى إلى مكان لا مع قوم يسعى نورهم .

إذا لقيهم الفقير . . لقي الأذى ، فإن طلب منهم شيئاً . . طار منهم لهب
الغضب كالجذاب ، فإن لطفوا به . . قالوا : أعنتكم ذا ، وسؤال هذا لذا ،
ولو شاء ربك لأغنى المحتاج وأعوز ذا ، ونسوا حكمة الخالق في غنى ذا ،
وفقر ذا .

واعجباً كم يلقاهم من غم إذا ضمتهم قبورهم ! ﴿ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾ ، سيأخذها الوارث منهم من غير تعب ، ويسأل عنها الجامع من أين اكتسب ؟ ما اكتسب إلا أن الشوك له وللوارث الرطب .

أين حرص الجامعين ؟ أين عقولهم ؟ ﴿ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾ .

لو رأيتهم في طبقات النار ، يتقلبون على جمرات الدرهم والدينار ، وقد غلت اليمين مع اليسار . . لما بخلوا مع اليسار .

لو رأيتهم في الجحيم ، يسقون من الحميم ، وقد ضج صبورهم ، ﴿ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾ .

كم كانوا يوعظون في الدنيا وما فيهم من يسمع ؟ كم خوفوا من عقاب الله وما فيهم من يفزع ؟ كم أنبئوا بمنع الزكاة وما فيهم من يدفع ؟ فكأنهم بالأموال وقد انقلبت شجاعاً أقرع ؟ فما هي عصى موسى ولا طورهم ، ﴿ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾ .

* * *

جوزاء الاستغناء

واصنع في بيتك كوز السنة كصنع الصنعاني ، وأزل شوك الهم بـ» نيل
الشوكاني « ، واجلس على جوزاء الاستغناء عن الناس كما فعل الجرجاني ،
وإذا مللت . . فأنشد :

مَغَانِي الشَّعْبِ طِيباً فِي الْمَغَانِي

وما أسعد من توسّد « المسند » للإمام أحمد ، وما آنس من جالس
مسدد بن سرهد ، وحادث « الكامل » للمبرّد ، ودرس أخبار عبد المؤمن
الموحد ، وابن تيمية المُجَدِّد !

واعتمد على رب العباد ، واعتبر بما حصل للمعتمد بن عبّاد ، ولا يشغلك
شكسبير عن الشيخ الكبير محمد بن جرير ، أو العالم الخطير ابن كثير ، أو
الجهبذ التحرير ابن الوزير ، فقد فاح بخور البخاري ، وحل لك الإشكال
« فتح الباري » ، ودلّك في ليل الجهل « هدي الساري » .

واشتر جمل القناعة بهمة وثابة كوثة الأشر يوم الجمل ، واطلب الولاية
بالصفاء للولي كصفاء علي يوم صفين ، واعلم أن الدواء الفاتر في مصاحبة
الدفاتر ، وأن السيف الباتر هو الحديث الصحيح المتواتر .

العالم إذا اعتزل . . اشتغل بما نزل ، فهو على حد الحديث : « دعها ؛ فإن
معها سقاءها وحذاءها ، ترد الماء ، وترعى الشجر » .

لزم عطاء بن أبي رباح الحرم ثلاثين سنة ، فعاد بالعطاء الرابع ،

والسعي الناجح ، والعمل الصالح .

ومكث أبو طاهر السلفي ستين سنة في منارة الجامع يكرر ويؤلف ، ويحبر ويصنف .

وظن أعداء السرخسي أنه سيخر ، فوضعوه في السجن كالمربوط ، مع القيد والضغوط ، فألف كتاب « المبسوط » .

وترك ابن الأثير المال الكثير ، والذهب النثير ، والفراش الوثير ، فصنف « جامع الأصول » الكتاب الرائع المثير .

كيف تكون وحدك والله يقول : « أنا جليس من ذكرني » ؟! فَنِعَم الأنيس والجليس ، ومن ترك ذكره .. فجليسه إبليس .

أمرض ابن سينا بشفائه الحساد ، وأذكى الغزالي بـ« إحيائه » الجمر في الرماد ، ومتع ابن القيم المسافرين إلى الله بـ« زاد المعاد » ، وجاب ابن بطوطة مع انفراده البلاد والوهاد ، ونزل كل واد .

أنت نطفة ، يكفيك غرفة وغرفة ، وقطفة ورشفة .

لِمَ امتطأوك موج البحر تركبهُ وأنت يكفيك منه غرفة الوشل

مخالطة الفجرة كسرة تورث الحسرة ، وملك كسرى تغني عنه كسرة .

العزلة مع المصحف الشريف ، والكوز والرغيف ، في إيوان نظيف ، ومجلس ظريف ، أهناً من مجلس فيه صياح الرفاق ، بأسعار الأسواق ، وأخبار الآفاق .

نسأل الله خلوة حلوة ، مع عزٍّ في عزلة ، واجتهاد في انفراد ، وسياحة في راحة ، وصمتاً مع حفظ وقت .

* * *

متلع الفسور

قال سعيد بن أدهم : ركبنا الأدهم ، وذهبت إلى السلطان أطلبه في درهم ، فوضع في رجلي الأدهم ، فمر بي الزاهد علي بن دينار ، وهو أحد الأبرار ، فقال لي : ما لك يا سعيد ، أراك في الحديد .

فقلت : والله الولي ؛ ما سرقت يا علي .

قال : فما الشأن ؟

قلت : أتيت السلطان ، أطلب الجود والإحسان ، فوضعني في هذا الهوان .

فقال : أف عليك وتف ، ومن التراب استف ؛ تطلب السلطان ، وتنسى الرحمن ، تسأل البخيل ، وتترك الجليل ، تبأ لك ، أفي قلبك شك ؟ تأتي من أغلق بابه ، وأسدل حجابيه ، وحرّم أصحابه ، وتترك المعبود ، الذي ملأ العالم بالجود ، وأغدق على الخلق العطاء الممدود !

قلت : يا علي ؛ غلطت غلطة ، وسقطت سقطة ، وتورطت ورطة ، والله ؛ لئن فرّج الله عني ، وفك هذا القيد مني . . لا آتي بشراً ، ولو طلب مجيئي بشراً ، ولا أقصد الصعلوك ، بل أقصد ملك الملوك .

فلما أطلقني من الحبس ، وعادت إليّ النفس . . تركت باب الأمير ، ولزمت بيتي على خبز الشعير ، فعاد لي لبي ، وجعل الله غناي في قلبي ، فوالله ؛ إنني أرى المترفين في حسرة ، وإن ملك كسرى عندي ما يساوي كسرة .

فأنا بين المسجد والبيت أَرْضَى بالقوت ، لا مال يفوت ، ولا ولد يموت ،
ليس عندي بنز ، ولا كنز ، ولا أرز ، ولكن عندي دين وعلم وعز .
فأنا أسعد من كسرى أنوشروان ، إذا حف به الخدم في الإيوان ، وأنعم
عيشاً من النعمان .

فأنا أسكن الكوخ ، وآكل العدس المطبوخ ، لا ألبس الجوخ ، ولا آكل
الخبز المنفوخ .

ليس عندي دار ، ولا عقار ، ولا حمار ، ولا دينار .
أنام بلا هموم ، وأبيت بلا غموم ، لا أعرف عَدَّ المال ، ولا شد
الجمال ، ولا مبيعة الرجال ، لا أعرف الريال من القرش ، ولا أُمَيِّر بين
الكنب والفرش ، معي قميص ، وبطن خميص ، لا أعرف الكبسة
ولا الخبيص ، ما يأتيني في النوم كوابيس ، ولا أشعر في النهار بالهواجيس .
فأنا أسعد من رأيت ، وأنعم من لقيت .

معي كتاب ، أغنائي عن الأصحاب ، وسلاني عن الأحباب .
معي ملحفة للمنام ، وجفنة للطعام ، وعصاً للقيام .
لا أخاف على نفسي العين ، ولا يطلبني أحد بدين ، ولا أسأل : مال هذا
من أين ؟

فأنا خفيف الظهر ، دائم البشر ، قليل الوزر ، ما بعت ولا شريت ،
ولا اكتريت ولا اقتنيت ، لا أخشى سقوط بيت ، ولا ذهاب مَيْت .
نجوت من الضغط والسكر ؛ لأنني في غير الآخرة لا أتفكر ، في قلبي
عبادة السعادة ، وفي صدري بنك السرور ، ومصرف الحبور ، وعندي علم
وإيمان ونور على نور ، أعجب من الفجار والتجار ، وأقول : ما هذا

الشجار ؟ أتقتلون على جيفة ، ما تساوي قطيفة ؟ سحقاً لعقولكم السخيفة .
أين كنوز قارون ؟ أين ما مضى من القرون ؟ أين ما جمعوا ، وأودعوا ،
وشيدوا وأبدعوا ؟ لا قصور ، لا دور ، لا أنهار ، لا أشجار ، ذهبت الأبدان
والأرواح ، وبلي القفل والمفتاح ، فصدّفتني ما عاش عيشتي هارون الرشيد ،
ولا الكاتب عبد الحميد ، ولا الرئيس ابن العميد .

نفسى - والحمد لله - رضية ، وعيشتي هنية ، وقد نجوت من كل بلية ، فأنا
لا طالب ، ولا مطلوب ، ولا أخشى من كنز منهوب ، ولا من مال
مسلوب ، ولا أقف على الأبواب ، ولا أتمرغ على العتاب ، وما قبلت يد
كذاب ، طمعاً في طعام وشراب ، وما قلت للكلب : يا سيدي ، ويا عضدي ،
ويا مؤيدي .

وأحياناً أجلس أمام كوخى وسقفي السحاب ، ومخدتي صبرة من التراب ،
وجليسي الكتاب ، فوالله ؛ إنني أطيب عيشاً من الناصر في الزهراء ، وسيف
الدولة في حلب الشهباء ، ما استذلني متكبر ، ولا منّ علي متجبر ، ولا نهروني
متهوّر .

ثم إن هناك مصلحة لي في هذا الزهد ، وهو السلامة من الجهد ، يوم
تنصب الموازين وتكشف البراهين ، فلن أقف طويلاً للقضاء ، كما يقف
الأغنياء ، وكفاك بهذا حسنة ؛ لحديث : « يدخل فقراء أمتي الجنة ، قبل
الأغنياء بخمس مئة سنة » ، فيا له من مكسب رابح ، ومن ميزان راجح ،
وما عندي مال في البنوك الربوية ، ولا مساهمات عقارية ، ولا شركات
استثمارية ، بل عندي أغلى ، وأعلى ؛ لأن البر لا يبلى ، فإذا كنز الناس
الدرهم والدينار . . كنزت الأذكار ، وعمل الأبرار .

وأنا أخذت بُغْض الدرهم ، من إبراهيم بن أدهم ، والزهد في الدينار ، من مالك بن دينار ، والورع عن العطاء ، من ابن أبي رباح عطاء ، وأخذت قلة الرغبة من الدنيا ، من ابن أبي الدنيا .

وقد رأيت القبور ، فإذا المعظم بجانب المحتقر ، قد اجتمع بها المخبر ، والخبر ، وتغيرت بها تلك الصور ، فالمَلِك في جوار المملوك ، والغني في حفرة الصعلوك ، والقوي مع الضعيف ، والوضيع مع الشريف ، فبعد هذا المشهد ، أقسمت أن أزهد ، فلزمت المصحف والمسجد ، أتعبّد وأتهجّد ، وعلى المقابر أتردّد ، فعوضني ربي بالهمّ سروراً ، وبالحزن حبوراً ، وبظلمة الدنيا نوراً ، وقد هيأت حنوطي وأكفاني ، وكفاني القليل كفاني .

وهذا والله عين العقل ، وموافقة النقل ، ونهج الصالحين من بعد ومن قبل ، فما للقوم كأنهم في نوم ؟ صرعتهم الشهوات ، وزلزلتهم الشبهات ، أحبوا التراب والخراب ، والثياب والشراب ، وزهدوا في الكتاب والثواب ، ونسوا الحساب والعقاب ، أنساهم القرش النعش ، في التهام وهرش ، ما تهزهم الرقائق ، ولا تردعهم الحقائق ، كلامهم في الأسعار والعمار والعقار ، وحديثهم عن الدرهم والدينار ، ما يذكرون الجنة ولا النار .

الجلوس معهم يميّت القلب ، ويضاعف الذنب ، لكن الأعمى لا يرى الصباح ، والميت لا يحس بالجراح ، ولكن الصخر لا يسمع الكلام ، وما لجرح بميت إيلام .

* * *

التوبه

وفي كتاب « اللطائف » لابن الجوزي :
يا مؤخر توبته بمطل التسويف ﴿لَا يَوْمَ أُخِّلَتْ﴾ .
كنت تقول : إذا شبت .. تبت .

فهذي شهور الصيف عنا قد انقضت ، لو كان لسيف عن عزيمتك
جوهرية .. لقيك موت الهوى تحت ظبته .

كل يوم تضع قاعدة الإنابة ولكن على شفا جرف ، كلما صدقت لك في
التوبة رغبة .. حملت عليها جنود الهوى حملةً فانهزمت ، اذبح حنجرة الهوى
بسكين العزيمة ، فما دام الهوى حياً .. فلا تأمن من قلب قلبك .

اجعل بكاءك في الدجى شفيعاً في الزلل ؛ فزند الشفيع توري نار
النجاح .

اكتب بمداد الدمع حسن الظن إلى من يحققه ، ولا تقنع في توبتك إلا
بمكابدة حزن يعقوب أو بصبر يوسف عن الهوى ، فإن لم تطق .. فبذل إخوته
يوم ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾ .

يا معشر الأقوام ؛ هذه مشاعر القبول .

يا فارغ البيت من القوت ؛ هذه أيام اللقاط .

يا مهجور كنعان ؛ متى تجد ريح « يوسف » ؟

يا سجن مصر ؛ متى يرى الملك سبع بقرات ؟

يا ابن يامين الفراق ؛ متى تسمع نغمات ﴿إِنِّي أَنَا أَخُوكَ﴾ ؟

يا دائم الزلل ؛ متى تضع جبهة ﴿وَلِإِنْ كُنَّا لَخَطِيبِينَ﴾ ؟

الْيَوْمَ عَهْدُكُمْ فَأَيْنَ الْمَوْعِدُ هَيْهَاتَ لَيْسَ لِيَوْمٍ عَهْدُكُمْ غَدُ
إذا وقعت عزيمة الصدق في قلب العبد التائب .. رضي الملك ، فأنسى
الملك ما كتب ، وأوحى إلى الأرض : اكنمي على عبدي .

قَتَلَ رَجُلٌ قَبْلَكُمْ مِثْلَ نَفْسٍ ، ثُمَّ خَرَجَ تَائِبًا ، فَأَدْرَكَهُ الْمَوْتُ ، فَاخْتَصِمَتْ
فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ ، فَبَعَثَ اللَّهُ مَلَكًا يَحْكُمُ بَيْنَهُمَا ، فَقَالَ :
قِيسُوا مَا بَيْنَ الْقَرِيبَيْنِ ، وَأَوْحَى إِلَى هَذِهِ أَنْ تَبَاعِدِي ، وَإِلَى هَذِهِ أَنْ تَقْرِبِي ،
فَوَجَدَ أَقْرَبَ إِلَى قَرِيَةِ الْخَيْرِ بِشِيرٍ ، فَغَفَرَ لَهُ .

والحاكم والخصوم لا يعرفون سر ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ .

إذا صدق التائب .. أجبناه وأحييناه ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ ،
يا معاشر التائبين ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ ، انظروا لمن عاهدتم ﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ
تَوْكِيدِهَا﴾ ، فإن زلتم من بعد التقويم .. فارجعوا إلى دار المداراة ؛
« فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمْلِكُ حَتَّى تَمْلُوا » .

عُودُوا إِلَى الْوَصْلِ عُودُوا فَالْهَجْرُ صَعْبٌ شَدِيدٌ
تَذَكَّرُونَا فَمَا عَهْدِي لَدَيْكُمْ بَعِيدٌ
كُنَّا وَكُنْتُمْ قَرِيبًا فَأَيْنَ تِلْكَ الْعُهُودُ
هَلْ يَرْجِعُ الْبَانُ يَوْمًا أَمْ هَلْ تَعُودُ زُرُودُ

يا مقهوراً بغلبة النفس ، صل عليها بسوط العزيمة ؛ فإنها إن عرفت جدك
استأسرت لك ، وامنعها ملذوذ مباحها ؛ ليقع الاصطلاح على ترك الحرام ،
فإذا صبرت على ترك المباح ، ﴿فَأَمَّا مَا بَعْدُ وَإِنَّمَا فَدَاءُ﴾ .

الدنيا والشيطان خارجان عنك ، والنفس عدو مباطن ، ومن أدب الجهاد
﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ ﴾ .

إِنْ مَالَتْ إِلَى الشَّهَوَاتِ .. فَاكْبَحْهَا بِلِجَامِ التَّقْوَى ، وَإِنْ أَعْرَضَتْ عَنْ
الطَّاعَاتِ .. فَسُقْهَا بِسُوطِ الْمَجَاهِدَةِ ، وَإِنْ اسْتَحَلَّتْ شَرَابَ التَّوَانِي ،
وَاسْتَحَسَنْتْ ثَوْبَ الْبَطَالَةِ .. فَصِحْ عَلَيْهَا بِصَوْتِ الْعَزْمِ ، فَإِنْ رَمَقَتْ نَفْسَهَا بِعَيْنِ
الْعُجْبِ .. فَذَكِّرْهَا خُسَاسَةَ الْأَصْلِ ؛ فَإِنَّكَ وَاللَّهِ مَا لَمْ تَجِدْ مَرَارَةَ الدَّوَاءِ فِي
حَلْقِكَ .. لَمْ تَقْدِرْ عَلَى ذَرَّةٍ مِنَ الْعَافِيَةِ فِي بَدَنِكَ ، وَقَدْ اجْتَمَعَتْ عِنْدَكَ جُنُودُ
الْهَوَى فِي بَيْتِ النَّفْسِ ، فَأَحْكَمْتَ حَصْنَ الْبَطَالَةِ ، فَيَا حِزْبَ التَّقَى جَرَدُوا
سِوْفَ الْعِزَائِمِ ، وَادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ .

النفس مثل كلب السوء ، متى شبع .. نام ، وإن جاع .. بصبص .
الحر يُلْحَى والعصا للعبد .

كَانَ أَحَدُ السَّلَفِ إِذَا قَهَرَ بِتَرْكِ شَهْوَتِهِ .. أَقْبَلَ يَهْتَزُّ كَالرَّامِي إِذَا قَرِطَسَ .
إِذَا قَوِيَ عَزْمُ الْمَجَاهِدَةِ .. لِأَنَّ لَهُ الْأَعْدَاءَ بِلا حَرْبٍ .

لَمَّا قَوِيَتْ مَجَاهِدَةُ نَبِينَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .. تَعَدَّتْ إِلَى كُلِّ مَنْ تَعَدَّى ،
فَأَسْلَمَ شَيْطَانَهُ .

اللَّهُمَّ ؛ دَلَّنَا عَلَى قَهْرِ نَفُوسِهَا الَّتِي هِيَ أَقْرَبُ أَعْدَائِنَا إِلَيْنَا ، وَأَكْثَرُهُمْ نَكَايَةً
فِينَا .

يَا هَذَا ؛ بَدَلْ أَهْتِمَامَكَ بِكَ ، وَاسْرِقْ مِنْكَ لَكَ ، فَالْعَمْرُ قَلِيلٌ .
تَظْلِمُ إِلَى رَبِّكَ مِنْكَ ، وَاسْتَنْصِرْ خَالِقَكَ عَلَيْكَ ، يَا مَرْكَ بِالْجِدِّ ، وَأَنْتَ عَلَى
الضَّدِّ .

تَفِرْ إِلَى الزَّحْفِ وَلَكِنْ لَا إِلَى فِتْنَةٍ .

تطلب نيل العلى وما ارتقيت درج المجاهدة !

أتروم الحصاد ولم تبذر ؟

لولا إيثار يوسف ﴿السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ .. ما خرج إلى راحة ﴿وَكَذَلِكَ
مَكْنَأُ﴾ .

رُب خفض تحت السرى ، وغنى من عنا ، ونضرة من شحوب .

لما قوم المؤمنون أنفسهم بالرياضة .. وقع عقد ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ
الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ .

النفس لم ترُضَ إذا لم ترُضَ ؛ لأنها كلب عقور ، وإنما يُراد الصيود
لا العضوض .

ويحك ، الأعضاء كالسواقي ، والمياه النجسة في الثمرة .

أنت تستفتح النهار بإطلاق الجوارح في صيد اللهو ، فإذا حان حين
الصلاة .. نعقت بها وليست مُعلّمة فلا تجيب .

هيهات أن يخشع طرف ما قومه محتسب ﴿يَغْضُؤُا﴾ ، وأن يحضر قلب
ما أزعجه تخويف ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ .

النَّاسُ فِي الْهَوَى عَلَى أَصْنَافٍ

ذَا نَاقِضُ الْعَهْدِ وَهَذَا وَافٍ

هَيْهَاتَ فِي الْكُدُورِ تَبْغِي الصَّافِي

مَا يَصْلُحُ الْحَضْرَةَ قَلْبُ جَافٍ

* * *

لبّيك يا أخصي

زارنا رجل من فلسطين ، فجلس على الطين .

قلنا : اجلس على السرير .

قال : كيف أجلس على السرير ، والقدس أسير ، بأيدي إخوان القردة

والخنازير ؟

قلنا : فهل عندك من القدس خطاب ؟

قال : معي من القدس سؤال يريد الجواب .

قلنا : ما هو السؤال ؟

قال : ينادي : أين الرجال ؟ أين أحفاد خالد وسعد وبلال ؟ يا حفاظ

(سورة الأنفال) ؛ أين أبطال القتال ؟ أين أسود النزال ؟

قلنا : هؤلاء ماتوا من زمان ، وخلت منهم الأوطان ، وخلف من بعدهم

خلف لهم همم ضعيفة ، واهتمامات سخيّة ، وأحلام خفيفة .

ثم سألنا حامل الرسالة : أين أهل البسالة ؟ أين الإباء ؟ لماذا تغيّر الأبناء

عن الآباء ؟

قلنا : الآباء كانت بيوتهم المساجد ، ما بين راعع وساجد ، وخاشع

وعابد ، وصائم ومجاهد .

والأبناء بيوتهم المقاهي ، ما بين مغنّ ولاه ، ومن بماله يباهي ، ومن وقع

في الدواهي ، إلا من رحمه إلهي .

ثم قلنا للرجل في عجل : سلم على القدس ، وقل : نفديك بالنفس ، متى العودة إلينا ، والسلام علينا ؟

قال : إذا عدتم إلى الله . . عدنا ، وإن بعدتم عنه . . بعدنا .

قلنا : لماذا عدت لعمر ؟

قال : لأنه صاحب أثر ، صادق في الخبر ، عادل في السير .

قلنا : ولماذا جئت مع صلاح الدين ؟ قال : لأنه بطل حطين ، وولي لرب

العالمين ، وأحد العابدين المجاهدين .

قلنا : يا قدس ؛ هل من لقاء ؟

قال : إذا أطعتم رب الأرض والسماء ، وأخلصتم في الدعاء ، وتدرّبتم

على الجهاد صباح مساء ، وتبتم من كل معصية وفحشاء .

قلنا : كيف حالك الآن ؟

قال : في هموم وأحزان ، وغموم وأشجان ، سجين في زنزانة الطغيان ،

بعد ما فارقت أهل الإيمان ، وحملة القرآن .

ثم قال : أما ترون خدي شوه بالنجمة السداسية ، وداست على جبیني

الدولة الإبلسية ، أين أحفاد مصعب بن عمير ، ينقذوننا من أبناء جولدا

مائير ؟ أين أمثال عمر بن عبد العزيز ، يطلقوننا من قبضة بيريز ؟ أين عبّاد

الدّيّان ، يمسحون عن جبیني وشم دّيّان ، أين طلاب عبد الله بن مسعود ،

يطردون إخوان القروء ، ويفكون عن قدمي القيود ؟

والقدس تقول : أنا القدس السلية ، كنت إلى الرسول حبيبة ، ومن قلب

كل مؤمن قريبة ، وأنا الآن في بلاء ومصيبة ، وأحوال عجيبة .

فلسطين في قلوب المسلمين ، تناديهم من سنين ، وليس فيهم من قال :

لبيك جئنا فاتحين ، لكننا تعبنا من محبة أهل الإرجاء ، تمدح وادعاء ،
وفلسطين تصرخ صباح مساء .

إذا لم تكن هنا حمية إسلامية . . فأين النخوة العربية ؟

لو سمع عمر صرخة طفل مجهود . . أبوه مفقود ، وأخوه في القيود . . لجند
الجنود ، ولداس اليهود .

لو طرقت سمع المعتصم وأماه . . لضاقت أرضه وسماه ، ولقاد الكماة ،
ولأخرج فلسطين من زنزانة الطغاة البغاة .

فلسطين تنادي حطين : هل عندك من صلاح الدين ؟ فإننا يا أختاه نئن في
الحبس مرتين ، ولنا أنين .

خمسون عاما ، ونحن نرى أيتاما ، ونشاهد أيامي ، ونبصر آلاما ، ثم
نتعالمى ، ولا يحرك فينا هذا كله إبهاما .

من أراد أن يطلق القدس من الأسر وأن يفكّه . . فليأخذ دستوره من
مكة .

القدس إسلامية ما ترطن ، ولا تنتظر النصر من واشنطن .

القدس تقلق ، إذا جئنا بجيش فيه ميشيل عفلق .

يحرر الأرض ، ويحمي العرض ، من أدى الفرض ، وخاف يوم
العرض .

دونك مليار مسلم آيسين بائسين ، أمام من قيل فيهم : ﴿ كُونُوا قِرَدَةً
خَاسِينَ ﴾ .

ما يحزر فلسطين إلا طلاب العزبن عبد السلام ، وتلاميذ عز الدين
القسام .

افهمها بالمكشوف ، ما يحرر فلسطين طلاب سخاروف ، ولا يردها
لأهلها أهل الدفوف ، إنما تعود على أيدي من يصلي ويطوف ، ويجاهد في
الصفوف .

يا شجر الغرقد ؛ جاء الموعد ، ليعود المسجد ، تحمي القروء ، وتخبىء
اليهود من الأسود ، كل الشجر بؤادينا ، ينادينا ، إلا أنت تعادينا .
خمسون عاماً مؤتمرات أو مؤامرات ، ومشاورات أو مشاجرات ،
ومناورات أو مهاترات .

الكل يطوف ، بمجلس الخوف ، ونحن وقوف في صفوف ، ننتظر ما يقول
بوش وغورباتشوف .

خمسون عاماً ما أخبرتنا هيئة الأمم ، بمن ظلم ، وهدم الحرم ، وخان في
القسم .

يا معشر العرب ؛ من أصابته مصيبة ، فلم يأخذ الحل من طيبة . . عاد
بالخيبة ، وكان الفشل نصيبه .

فلسطين لا تعود بالكلام ، ولا بحفلات السلام ، ولكنها تعود بالحسام ،
وبضرب الهام ، وتمريغ الباطل بالرغام .

فلسطين إسلامية النسب ، وليست عربيّة فحسب ، ولذلك كان صلاح
الدين فاتح القدس من الأكراد ، والسلطان عبد الحميد ناصر فلسطين من
الأتراك الأجواد ، وبعض العرب أيام الصليبيين باعوها في سوق المزاد .

لا تعود فلسطين عن طريق الملحدين ، ولا عن طريق الوجدويين ، وإنما
تعود تحت رايات الموحدين .

هل تظن أن اليهودي العنيد ، والإسرائيلي المريد ، سوف يطرد بمؤتمر

مدريد ، كلا وعزة الحميد المجيد ، لا يزول إلا بكتائب التوحيد ، وأحفاد
خالد بن الوليد .

يا فلسطين ؛ انتظري كتابنا مع الصباح ، تنادي : حي على الفلاح ؛ ليعود
الحق إلى أصحابه ، والسيف إلى نصابه ، ولتعود الوديعة إلى واليها ، والطفلة
إلى أبيها ، والدار إلى راعيها ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله القريب ، إنه
سميع مجيب .

فلسطين غاب سلاطينها ، فأفلس طينها ، لا يطرد الغزاة من غزة إلا أهل
العزة ، أطفال حيفا حفاة ، واليهود جفاة ، فهل من يلبي النداء ، ويقدم روحه
فداء ؟

يا من أراد الجنة ، لا تُتَّبِعْ ما أنفقت بالأذى والمَنَّة ، وماذا عليك لو قتلتك
اليهود ؟ فأنت شهيد ، البيع قد جرى ، والله اشترى ، ما هبط سوق القتال ،
وقل : هيا إلى النزال ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ
لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ
وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ
وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ .

* * *

طلب العلم

وفي كتاب « بداية الهداية » لأبي حامد الغزالي :

اعلم أيها الحريص المقبل على اقتباس العلم ، المظهر من نفسه صدق الرغبة ، وفرط التعطش إليه : أنك إن كنت تقصد بالعلم المنافسة ، والمباهاة ، والتقدم على الأقران ، واستمالة وجوه الناس إليك ، وجمع حطام الدنيا . فأنت ساع في هدم دينك ، وإهلاك نفسك ، وبيع آخرتك بدنياك ؛ فصفتك خاسرة ، وتجارتك باثرة ، ومعلمك معين لك على عصيانك ، وشريك لك في خسرانك ، وهو كبائع سيف لقاطع طريق ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « من أعان على معصية ولو بشطر كلمة . . كان شريكاً فيها » . وإن كانت نيتك وقصدك بينك وبين الله تعالى من طلب العلم الهداية دون مجرد الرواية . . فأبشر ؛ فإن الملائكة تبسط لك أجنحتها إذا مشيت ، وحيتان البحر تستغفر لك إذا سعت .

ولكن ينبغي لك أن تعلم قبل كل شيء : أن الهداية التي هي ثمرة العلم لها بداية ونهاية ، وظاهر وباطن ، ولا وصول إلى نهايتها إلا بعد إحكام بدايتها ، ولا عثور على باطنها إلا بعد الوقوف على ظاهرها . وهأنا مشير عليك بـ « بداية الهداية » ؛ لتجرب بها نفسك ، وتمتحن بها قلبك ، فإن صادفت قلبك إليها مائلاً ، ونفسك بها مطاوعة ، ولها قابلة . . فدونك التطلع إلى النهايات ، والتغلغل في بحار العلوم .

وإن صادفت قلبك عند مواجهتك إياها بها مسوفاً ، وبالعمل بمقتضاها مماطلاً . فاعلم أن نفسك المائلة إلى طلب العلم هي النفس الأمارة بالسوء ، وقد انتهضت مطيعة للشیطان اللعين ؛ لئدّليك بحبل غروره ، فيستدرجك بمكيدته إلى غمرة الهلاك ، وقصّده أن يروج عليك الشر في معرض الخير حتى يلحقك ﴿ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ * الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ . وعند ذلك يتلو عليك الشيطان فضل العلم ودرجة العلماء ، وما ورد فيه من الأخبار والآثار ، ويلهيك عن قوله صلى الله عليه وسلم : « من ازداد علماً ولم يزد هدًى . . لم يزد من الله إلا بعداً » .

فإياك يا مسكين أن تدّعن لتزويره فيدّليك بحبل غروره ، فويل للجاهل إذا لم يتعلم مرة واحدة ، وويل للعالم إذا لم يعمل بما علم ألف مرة .
واعلم أن الناس في طلب العلم على ثلاثة أحوال :
رجل طلب العلم ليتخذه زاده إلى المعاد ، ولم يقصد به إلا وجه الله والدار الآخرة ؛ فهذا من الفائزين .

ورجل طلبه ؛ ليستعين به على حياته العاجلة ، وينال به العز والجاه والمال ، وهو عالم بذلك ، مستشعر في قلبه ركافة حاله وخسة مقصده ؛ فهذا من المخاطرين . فإن عاجله أجله قبل التوبة . . خيف عليه من سوء الخاتمة ، وبقي أمره في خطر المشيئة ، وإن وُفق للتوبة قبل حلول الأجل ، وأضاف إلى العلم العمل ، وتدارك ما فرط فيه من الخلل . . التحق بالفائزين ؛ فإن « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » .

ورجل ثالث استحوذ عليه الشيطان ؛ فاتخذ علمه ذريعة إلى التكاثر بالمال ، والتفاخر بالجاه ، والتعزز بكثرة الأتباع ، يدخل بعلمه كل مدخل ؛

رجاء أن يقضي من الدنيا وطره ، وهو مع ذلك يضمر في نفسه أنه عند الله بمكانة ، لاتسامه بسمة العلماء ، وترسمه برسومهم في الزري والمنطق ، مع تكالبه على الدنيا ظاهراً وباطناً ؛ فهذا من الهالكين ، ومن الحمقى المغرورين ؛ إذ الرجاء منقطع عن توبته لظنه أنه من المحسنين ، وهو غافل عن قوله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ ، وهو ممن قال فيهم رسول الله : « أنا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال » ، فقيل : وما هو يا رسول الله ؟ فقال : « علماء السوء » .

وهذا لأن الدجال غايته الإضلال ، ومثل هذا العالم وإن صرف الناس عن الدنيا بلسانه ومقاله فهو دافع لهم إليها بأعماله وأحواله ، ولسان الحال أفصح من لسان المقال ، وطباع الناس إلى المساعدة في الأعمال أميل منها إلى المتابعة في الأقوال ، فما أفسده هذا المغرور بأعماله أكثر مما أصلحه بأقواله ؛ إذ لا يستجريء الجاهل على الرغبة في الدنيا إلا باستجراء العلماء ، فقد صار علمه سبباً لجرأة عباد الله على معاصيه ، ونفسه الجاهلة مذلة مع ذلك تمنيه وترجيه ، وتدعوه إلى أن يمن على الله بعلمه ، وتُخِيلَ إليه نفسه أنه خير من كثير من عباد الله .

فكن أيها الطالب من الفريق الأول ، واحذر أن تكون من الفريق الثاني ، فكم من مسوّف عاجله الأجل قبل التوبة فخر ، وإياك ثم إياك أن تكون من الفريق الثالث ، فتهلك هلاكاً لا يرجى معه فلاحك ، ولا ينتظر صلاحك .

فإن قلت : فما «بداية الهداية» لأجرب بها نفسي ؟ فاعلم أن بدايتها ظاهرة التقوى ، ونهايتها باطنة التقوى ؛ فلا عاقبة إلا بالتقوى ، ولا هداية إلا للمتقين . والتقوى : امتثال أوامر الله تعالى ، واجتناب نواهيه .

* * *

حقيقۃ الصبر وكلام الناس فيه

وفي كتاب « عدة الصابرين » لابن قيم الجوزية :

هو خلق فاضل من أخلاق النفس يمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يَجْمُل ، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها .

وسئل عنه الجنيد بن محمد فقال : (تجرع المرارة من غير تعبس) .

وقال ذو النون : (هو التباعد عن المخالفات ، والسكون عند تجرع غصص البلية ، وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة) .

وقيل : (الصبر : هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب) .

وقيل : (هو الغنى في البلوى بلا ظهور شكوى) .

وقال أبو عثمان : (الصبار : هو الذي عود نفسه الهجوم على المكاره) .

وقيل : (الصبر : المقام على البلاء بحسن الصحة كالمقام مع العافية) ، ومعنى هذا : أن الله على العبد عبودية في عافيته وفي بلائه ، فعليه أن يُحسن صحبة العافية بالشكر ، وصحبة البلاء بالصبر .

وقال عمرو بن عثمان المكي : (الصبر : هو الثبات مع الله ، وتلقي بلائه بالرحب والدعة) ، ومعنى هذا : أنه يتلقى البلاء بصدر واسع لا يتعلق بالضيق والسخط والشكوى .

وقال الخواص : (الصبر : الثبات على أحكام الكتاب والسنة) .

وقال رويم : (الصبر : ترك الشكوى) فسره بلازمه .

وقال غيره : (الصبر : هو الاستعانة بالله) .

وقال أبو علي : (الصبر كاسمه) .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : (الصبر : مطية لا تكبو) .

وقال أبو محمد الجريري : (الصبر : ألا يفرق بين حال النعمة والمحنة

مع سكون خاطر فيهما) .

قلت : وهذا غير مقدور ولا مأمور ، فقد ركب الله الطباع على التفريق بين

الحالتين ، وإنما المقدور حبس النفس عن الجزع لا استواء الحالتين عند

العبد ، وساحة العافية أوسع للعبد من ساعة الصبر ، كما قال النبي صلى الله

عليه وسلم في الدعاء المشهور : « إن لم يكن بك غضب علي .. فلا أبالي ،

غير أن عافيتك أوسع لي » .

ولا يناقض هذا قوله صلى الله عليه وسلم : « وما أُعطي أحد عطاء خيراً

وأوسع من الصبر » ؛ فإن هذا بعد نزول البلاء ليس للعبد أوسع من الصبر ،

وأما قبله .. فالعافية أوسع له .

وقال أبو علي الدقاق : (حد الصبر : ألا يعترض على التقدير) ، فأما

إظهار البلاء على غير وجه الشكوى .. فلا ينافي الصبر ، قال الله تعالى في

قصة أيوب : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ﴾ مع قوله : ﴿ مَسَّنِيَ الضُّرُّ ﴾ .

قلت : فسر اللفظة بلازمها ، وأما قوله : (على غير وجه الشكوى) ..

فالشكوى نوعان :

أحدهما : الشكوى إلى الله ، فهذا لا ينافي الصبر كما قال يعقوب :

﴿ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُرَفٍ إِلَى اللَّهِ ﴾ مع قوله : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ ، وقال أيوب :

﴿ مَسَّنِيَ الضُّرُّ ﴾ مع وصف الله له بالصبر .

وقال سيد الصابرين صلوات الله وسلامه عليه : « اللهم ؛ أشكو إليك ضعف قوتي ، وقلة حيلتي . . . » إلخ .

وقال موسى صلوات الله وسلامه عليه : (اللهم ؛ لك الحمد ، وإليك المشتكى ، وأنت المستعان ، وبك المستغاث ، وعليك التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بك) .

والنوع الثاني : شكوى المبتلي بلسان الحال أو المقال ، فهذه لا تجماع الصبر ، بل تضاده وتبطله ، فالفرق بين شكواه والشكوى إليه .
وقيل : (الصبر : شجاعة النفس) ، ومن ههنا أخذ القائل قوله :
(الشجاعة صبر ساعة) .

وقيل : (الصبر : ثبات القلب عند موارد الاضطراب) .
والصبر والجزع ضدان ، ولهذا يقابل أحدهما بالآخر ، قال تعالى عن أهل النار : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ ﴾ ، والجزع قرين العجز وشقيقه ، والصبر قرين الكيس ومادته ، فلو سئل الجزع : مَنْ أبوك ؟ لقال : العجز ، ولو سئل الكيس : مَنْ أبوك ؟ لقال : الصبر .
والنفس مطية العبد التي يسير عليها إلى الجنة أو النار ، والصبر لها بمنزلة الخطام والزمam للمطية ، فإن لم يكن للمطية خطام ولا زمam . . شردت في كل مذهب .

وحفظ من خطب الحجاج : (اقدعوا هذه النفوس ؛ فإنها طلاعة إلى كل سوء ، فرحم الله امرأً جعل لنفسه خطاماً وزماماً ، فقادها بخطامها إلى طاعة الله ، وصرفها بزمامها عن معاصي الله ؛ فإن الصبر عن محارم الله أيسر من الصبر على عذابه) .

قلت : والنفس فيها قوتان : قوة الإقدام ، وقوة الإحجام ، فحقيقة الصبر : أن يجعل قوة الإقدام مصروفة إلى ما ينفعه ، وقوة الإحجام إمساكاً عما يضره .

ومن الناس من تكون قوة صبره على فعل ما يندفع به وثباته عليه . . أقوى من صبره عما يضره ، فيصبر على مشقة الطاعة ، ولا صبر له عن داعي هواه إلى ارتكاب ما نهى عنه .

ومنهم من لا صبر له على هذا ولا على ذاك ، وأفضل الناس أصبرهم على النوعين ، فكثير من الناس يصبر على مكابدة قيام الليل في الحر والبرد ، وعلى مشقة الصيام ، ولا يصبر عن نظرة محرمة ، وكثير من الناس يصبر عن النظر وعن الالتفات إلى الصور ، ولا صبر له على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد الكفار والمنافقين ، بل هو أضعف شيء وأعجزه ، وأكثرهم لا صبر له على واحد من الأمرين ، وأقلهم أصبرهم في الموضعين .

وقيل : (الصبر : ثبات باعث العقل والدين في مقابلة باعث الهوى والشهوى) ، ومعنى هذا : أن الطبع يتقاضى ما يجب ، وباعث العقل والدين يمنع منه ، والحرب قائمة بينهما وهي سجال ، ومعرك هذه الحرب قلب العبد والصبر والشجاعة والثبات .

* * *

كتاب الكون المفتوح

سبحان من له في كل شيء آية ، ليس لملكه نهاية ، وليس لعظمته غاية ،
اقرأ آيات القدرة في صفحة الكون ، وطالع معجزة الخلق في الحركة
والسكون ، في الليل إذا عسعس ، والصبح إذا تنفس ، في السمك السارب ،
في النمل الدائب .

في هالة النور تنشر رداء السناء ، في الفضاء ، في النهار يتماوج ، في
البحر وهو هائج مائج ، في النحل يلثم الأزهار ، في الليل يعانق النهار ، في
الدمع يتفرق ، في الدماء تتدفق ، في الزهر يتشقق .

في الدواب السائمة ، في الوحوش الهائمة ، في الطيور الحائمة ، في
الحيتان العائمة ، في العود يشتد ، في الظل يمتد ، في الجبال ترتدي عمام
الثلوج ، في القمر يهرول في البروج ، في الشمس تتبرج سافرة على العالم ،
في النبات ما بين نائم وقائم .

في الأسرار تكتنرها الضمائر ، في الأخبار تختزنها السرائر .
في الصخور كأنها تنتظر خبراً من السماء فهي صامته ، في الحجارة يكسرهما
الإنسان بفأسه وهي ساكنة ، في الفجر يطلق من عباءته النور ، في الأذهان
بالأفكار تمور .

في الماء ينهمر من السماء ، ويغوص في الرمضاء ، يُقبل بالخضرة
والنماء ، ويدلف بالحياة للأحياء ، يهيج أحياناً ويهدر ، ويزحف

ويدمر ، لا تحدّه الحدود ، ولا تردّه السدود .

وعظمته سبحانه في خلق الإنسان ، وتركيبه في أحسن كيان ، حيث جعل
في العينين سراجاً من النور ، وأنشأ في القلب بصيرة تدرك الأمور ، وخلق
العقل يقود هذا الكائن ، ويوجهه وهو ساكن .

في النبتة تشق طريقها إلى الفضاء ، وترفع رأسها إلى السماء .
في العندليب يرتجل على الغصن كالخطيب ، في الحمام يشدو بأحسن
الأنغام ، يشكو الحب والهيام ، والعشق والغرام .
في الغراب يخبىء رزقه في الخراب ، ويدفن خصمه في التراب ، في
الأسد يطارد القنصة ، ويمزق الفريسة .

في النحل يطنّ ، والذباب يطنّ ، في الزنبور يرنّ .
في عالم النبات ، آلاف المذاقات ، ومئات الطعومات ، أخضر يعانق
أحمر ، وأصفر يضم أغبر .

في الأوراق تميز في الطل ، في الحشرات تهرب إلى الظلّ .
في الناقة تحنّ إلى وليدها ، وتشتاق إلى وحيدها .
في الليل يخلع ثيابه على الآفاق ، في الضباب يخيم على الأرض
كالأطباق .

في النار تحرق ، في الماء يغرق .
في الضياء يسطع ، في الضوء يلمع ، في العين تدمع .
في البرق يكاد يذهب سناؤه بالأبصار ، في الصواعق تقصف الصخور
والأشجار ، في الرعد يدويّ فيملاً العالم ضجيجاً ، في الروض يفوح فيعبق به
الجو أريجاً .

في أهل السلطان بين ولاية وعزل ، وأسرٍ وقَتْل ، وهزيمةٍ ونَصْر ، وسِجْنٍ وقَصْر .

في الموت يخترم النفوس ، ويسقط على الرؤوس ، ويأخذ الرئيس والمرؤوس ، ويبزّ العريس والعروس ، ويهدم الأعمار ، ويعطّل الأفكار ، ويخلي الديار ، ويدخل كل دار .

في صنف من البشر ، يعيشون البطر ، لهم أموال كالجبال ، وآمال كأعمار الأجيال ، قصور تشاد ، كأنها لن تباد ، وحدائق غنّاء ، وبساتين فيحاء .

وفي صنف آخر فقير ، في دنياه حقير ، لا يملك الفتيل ولا القطمير ، يبحث عن الرغيف ، وينام على الرصيف ، ولقلبه من خوف الفقر رجيف .

في أهل العافية يمرحون ، وفي نعيمهم يسرحون ، وبما أوتوا يفرحون ، وفي أهل البلاء ، وفي أصحاب الضنك والشقاء .

في ظلمات المحيطات ، وفي متاهات الغابات ، وفي مجاهل الفلوات . أرض تمتد بلا بشر ، صحارٍ قاحلة ليس فيها شجر ، وعوالم موحشة ما يسكنها بدو ولا حضر .

نجوم تسقط ، وكواكب تهبط ، ونيازك تلتهب ، ترمي بشرر ولهب ، مجرّات سميّة ، ومنازل قمريّة ، حدائق بأثواب الحسن تسر الناظرين ، ومشاهد في الكون جميلة تأخذ أبواب المبصرين ، رياض أنيقة تسرح فيها الغزلان ، باقات من الورود بهيجة يلعب بها الولدان .

كل في فلكٍ يسبح ، وكلُّ في عالمٍ يمرح ، شمس تجري كأنها تبحث عن مفقود ، قبل أن تطلع تسجد للمعبود ، آية باهرة ، وحكمة ظاهرة .

في خلق الإنسان ، ذلك الكيان ، الذي يحمل جامعات من السكنات

والحركات ، فذهن متوقد ، وقلب متجدد ، وخيال يطوي الزمان والمكان ،
ويناقل الإنسان ، بين خوف وأمان ، وذاكرة حافظة ، وألسنة لافطة ،
وشركات في كل الأعضاء ، منها يجذب الهواء ، ويسحب الماء ، ويهضم
الغذاء ، ويجلب الدواء ، ويذهب الداء ، ما بين دفع وضغط ، وإخراج
وشفط ، ومؤسسات تشارك في بناء الجسم ، وفي قيام الرسم ؛ ليكون في
أحسن تقويم ، وأكمل تنظيم .

في الطير وهو يبحث عن طعامه ، ويعود إلى مستقره ومناحه .
في الكائنات وهي في صراع محموم ، وفي هموم وغموم ؛ لتحصل على
رزقها المقسوم ، وعيشها المعلوم .

في الإنسان وهو يفكر ويقدر ، ويقدم ويؤخر ، ويخطط وينظر .
في الجبال ، واقفة في هيبة وجلال ، في الروابي الخضراء آية في الجمال .
في العافية والأسقام ، في الحقيقة والأحلام ، في اليقين والأوهام ، في
الإقدام والإحجام ، في السحاب والسراب ، والضباب والرضاب .

في الأحياء ، وحُبها للبقاء ، ومدافعتها للأعداء ، فهذا بمخلبه يصول ،
وهذا بنابه يجول ، وهذا بمنقره يناضل ، وذاك بريشه يقاتل ، وآخر بسُمه
يدفع ، وغيره بجناحه يردع ، منهم من يطير ، ومنهم من يسير ، ومنهم من
يسبح ، ومنهم من يمرح ، ومنهم على رجلين ، ومنهم على يدين ، ومنهم من
يطير بجناحين ، هذا يزحف ، وذاك يخطف ، وهذا في قيده يرُسف .

في التقاء الأحباب والفرق ، في الضم والعناق ، في الركود والانطلاق .
في النجمة هائمة في صفحة السماء تبسم في حنادس الليل ، في البدر تفنيه
الليالي ويدركه المحاق كأنه قتيل ، في روعة الإشراق وقد نشرت الشمس

ضفائرها ونثرت جدائلها على التلال ، وبثت سحرها على الجبال .

في الطبيب يشفي من الداء ، فإذا أدركه الفناء . . بار فيه الدواء ، وعجز في علاجه الأطباء ، في المريض ييأس من العافية ، وتحار فيه الأدوية الظاهرة والخافية ، ثم تدركه من الله عناية شافية ، ورحمة كافية .

في البراكين ثور بالدمار ، في الزلازل تهز الديار .

في السُّم يُصنع منه الدواء ، في الماء يكون سبباً للفناء ، في الهواء يعصف فيدمر الأشياء ، في الريح تكون رخاء فتلقح الثمار ، وتسوق الأمطار ، وتزجي السفن في البحار ، ثم تكون عاصفة هوجاء ، فتقتل الأحياء ، وتنقل الوباء .
في النخل باسقات لها طلع نضيد ، في الجبال تثبت الأرض وقد كادت تميد .

في اللبن يخرج من بين فرثٍ ودم ، في كل مخلوق كيف وُجد من العدم .
في الإبل كيف خُلقت ، في السماء كيف رُفعت ، في الجبال كيف نصبت ، في الأرض كيف سُطحت .

في الضحى إذا ارتفع ، في الغيث إذا همع .

في خلق الإنسان كيف ينكس ، وفي عمره كيف يعكس ، يعمر فيعود كالطفل ، فلا يُفرّق بين فرضٍ ونفل .

في الطائر كيف يجمع القش ، ويبني العش ، ويختار عيشه ، ثم يضع بيضه .

في العجماوات ما بين جائع وبطين ، في الدود تبحث عن طعامها في الطين ، في البلبل يحبس في القفص فلا يبيض ، ويعيش بجناح مهيب .
في الحية وهي في الصحراء ، تنصب جسمها كأنه عود للإغراء ، فيقع

عليها الهدد ، يظنها عوداً مجرداً ، فيكون طعامها ، بعد أن رأى قيامها .
في الثمرة تحمى بأشواك ، كأنها أسلاك .
في الأطعمة ما بين حلو وحامض ، وقلوي وقابض .
في الناس ألف كواحد ، وواحد كجيش حاشد .

* * *

معنى علم

وفي كتاب « فضل علم السلف » لابن رجب :

فهذه كلمات مختصرة في معنى العلم ، وانقسامه إلى علم نافع ، وعلم غير نافع ، والتنبيه على فضل علم السلف على علم الخلف ، فنقول - وبالله المستعان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله - :

قد ذكر الله تعالى في كتابه العلم تارة في مقام المدح ؛ وهو العلم النافع ، وتارة في مقام الذم ؛ وهو العلم الذي لا ينفع .

فأما الأول .. فمثل قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ، وقوله : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾ ؛ فهذا هو العلم النافع .

وقد أخبر عن قوم أنهم أوتوا علماً ولم ينفعهم علمهم ؛ فهذا علم نافع في نفسه ، لكن صاحبه لم ينتفع به ، قال تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ ، وقال : ﴿ وَآتَىٰ عَلَيْهِمُ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ .

وأما العلم الذي ذكره الله تعالى على جهة الذم له .. فقوله في السحر : ﴿ وَيَعْلَمُونَ مَا يَنْصُرُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴾ ، وقوله : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ

مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٩٠﴾ .

ولذلك جاءت السنة بتقسيم العلم إلى نافع وإلى غير نافع ، والاستعاذة من العلم الذي لا ينفع ، وسؤال العلم النافع ؛ ففي « صحيح مسلم » عن زيد بن أرقم : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول : « اللهم ؛ إني أعوذ بك من علم لا ينفع » .

ولهذا قال بعض السلف لما أُريد على القضاء فأباه : إنما تعلمت العلم ؛ لأحشر به مع الأنبياء ، لا مع الملوك ، فإن العلماء يحشرون مع الأنبياء ، والقضاة يحشرون مع الملوك .

ولا بد للمؤمن من صبر قليل حتى يصل به إلى راحة طويلة ، فإن جزع ولم يصبر . . فهو كما قال ابن المبارك : (من صبر . . فما أقل ما يصبر ، ومن جزع . . فما أقل ما يتمتع) .

وكان الإمام الشافعي رحمه الله ينشد :

يَا نَفْسُ مَا هِيَ إِلَّا صَبْرُ أَيَّامٍ كَأَنَّ مُدَّتَهَا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ
يَا نَفْسُ جُوزِي عَنِ الدُّنْيَا مُبَادِرَةً وَخَلَّ عَنْهَا فَإِنَّ الْعَيْشَ قُدَّامِي

فنسأل الله تعالى علماً نافعاً ، ونعوذ به من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع .

وقال بعض السلف : إن كان الرجل ليجلس إلى القوم فيرون أن به عيياً وما به من عيٍ ؛ إنه لفقيه مسلم .

فمن عرف قدر السلف . . عرف أن سكوتهم عما سكتوا عنه من ضروب الكلام ، وكثرة الجدل والخصام ، والزيادة في البيان على مقدار الحاجة . . لم يكن عيياً ولا جهلاً ولا قصوراً ، وإنما كان ورعاً

وخشية لله ، واشتغالاً عما لا ينفع بما ينفع .

وسواء في ذلك كلامهم في أصول الدين وفروعه ، وفي تفسير القرآن والحديث ، وفي الزهد والرقائق ، والحكم والمواعظ ، وغير ذلك مما تكلموا فيه .

فمن سلك سبيلهم .. فقد اهتدى ، ومن سلك غير سبيلهم ، ودخل في كثرة السؤال والبحث والجدال والقليل والقال . فإن اعترف لهم بالفضل ، وعلى نفسه بالنقص .. كان حاله قريباً ، وقد قال إياس بن معاوية : ما من أحد لا يعرف عيب نفسه إلا وهو أحق ، قيل له : فما عيبك ؟ قال : كثرة الكلام .

وإن ادعى لنفسه الفضل ، ولمن سبقه النقص والجهل .. فقد ضل ضلالاً مبيناً ، وخسر خسراناً عظيماً .



الحياة دقائق وثنائ

لله ما أعزّ ابن المعتز لما قال في عزّ العزلة : من حطّمته العيون . . حطّمته الأقدام .

ما اجتراً الطفل على البعير إلا لكثرة مشاهدته ؛ لأن المبدول أرخص من الشعير .

من غباء الحمار أنه عرضة للصغار والكبار ، ولهذا اجتنب ركوبه ذوو الأخطار ، أما الخيول . . فاعتزلت في الإصطبل ، فامتطأها أهل الفضل ، ولما تبدّل الحمار واحتار . . ضُرب مثلاً للفجار : ﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ .
لما لزم الأسد العرين وحصّن بالأسورة ، وكانت مشاهدته معسرة . . صار مهاباً : ﴿ كَانَتْهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ * فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴾ .

ولو لم يدرك الوهم هامان . . لفرّ من الملعون ، ولكنه استقر لعون فرعون ، وليته سمع : فرّ عن عون فرعون ، وتناول شراب الخلطة فصار كالمبطون المطعون .

اعتزل كالأسد ، ولا تبرز بروز الجمل ؛ فإن أسامة بن زيد أخذ من الأسد اسمه فاعتزل يوم الجمل ، فلما صفا له قلبه . . ترك صفيين ، وما قاتل بين الصّفيين ؛ لأنه تذكر : « قتلته بعد ما قال : لا إله إلا الله » .

لا تصدق الجمهور إذا أجلب ؛ فإنه برق خُلب ، وهم عند الطمع أغش وأكذب ، إذا سمعت لحذاء أحدهم طريقة ، ولصوته لقلقة ، ولكلامه

شقشقة . . فلا ترفع به رأساً ؛ فهو أحمق من هَبَّكَ ، واهجر تلك الطبقة ، فإن
رضيت بهم . . فقد وافق شئ طبقة .

ما أطلق على ابن دقيق العيد المحقق المدقق ، حتى بخل بالدقائق في عزلة
علمه ؛ لأن الشوق حمله إلى المعالي ، فكأنه سمع شوقي بعده بزم من :
دَقَّاتُ قَلْبِ الْمَرْءِ قَائِلَةٌ لَهُ إِنَّ الْحَيَاةَ دَقَائِقٌ وَثَوَانٍ
اعتزل إبراهيم الشُّركَ فصار حنيفاً ، واعتزل الأحنف الجهل فصار حليماً ،
واعتزل أبو حنيفة السفهاء فصار فقيهاً ، فالدين حنفي ، والحلم أحنفي ،
والفقه حنفي .

نَحْنُ الْخَنَفِيُّونَ كَمْ مِنْ أَحْنَفٍ فِينَا وَكَمْ مِنْ عَتَرٍ أَوْ حَاتِمٍ
تيم ابن تيمية بسنة النبي ، وبشجاعة أبي بكر التيمي ، وغيره متيم بأبواب
السلطين ، فصاروا كالأيتام على موائد اللثام .

انفرد الشافعي في خلوة شرعية بعدما هاجرت به الأم ، فأخرج لنا كتاب
« الأم » ، فعلم ملايين من الشافعية ، ومحاسنه تشفع له :
وَإِذَا الْحَبِيبُ أَتَى بِذَنْبٍ وَاحِدٍ جَاءَتْ مَحَاسِنُهُ بِأَلْفِ شَفِيعٍ
اعتزل الهدهد فوحد وتعبد ، وصار آية في التقرُّد ، سبى قلبه خبر سبأ ،
فأتى إلى النبي منها نبأ ؛ لأنه اختبأ ، ففتح عليه الذي يخرج الخبأ في
السموات والأرض ، فصار مختبئاً عن العيون .

* * *

الحمامة والديك

وفي كتاب « كشف الأسرار » لعز الدين المقدسي :

رأيت حمامة ، قد جُعل طوق العبودية في عنقها علامة ، فقلت لها :

حدثيني عن شوقك وذوقك ، وأوضح لي ما حكمة تطويق طوقك ؟

فقلت : أنا المطوقة بطوق الأمانة ، المتقلدة تقليد الصيانة ، فأنا لحمل الأمانة

قد نُدبت ، وبالمحافظة عليها أُمِرت ، فإذا رأيت أهل الجناية.. ندبت أحمل

الرسائل ، وأبلغ الوسائل ، وأجيب المسائل ، وأؤدي الأمانة ولا أسائل ، ولكني

أخبرك بخبري ؛ لتعلم حقيقة مخبري ، أخبرك بالقصة الصحيحة ؛ فإن الدين

النصيحة ، ما كل طائر أمين ، ولا كل حالف يصدق في اليمين ، ولا كل سالك هو

من أصحاب اليمين ، وإنما الخصوص بحمل الأمانة جنسي ، وما أبرئ نفسي .

يحمل الأمانة منا من كان أبلق وأخضر ؛ لأنه أحسن في الشكل والمنظر ،

وأعدل في الخبر والمخبر ، ولا تكون الشيم العلية إلا في الروح الزكية ،

ولا شرف العزيمة إلا في النفس النفيسة المستقيمة ؛ فإن اعتدال لون الطائر يدل

على اعتدال تركيبه ، فيصلح حينئذ تأديبه .

فلما باشرني مؤدبي بالتحريج ، وعزّني الطريق بالتدريج.. أقول :

حملوني ما شئتم ، فأحمل كتب الأسرار ، ولطائف الأخبار ، فحينئذ أطيّر ،

وأقطع الهول المستطير ، خائفاً من جارح جانح ، حاذراً من سايح سارح ،

جازعاً من صائد ذابح .

أكابد الظماً في الهواجر ، وأطوي على الطوى في المحاجر ، فلو رأيت حبة بُرٍّ مع شدة جوعي .. عدلت عنها ، وذكرت ما جرى على آدم منها ، فأرتفع خشية من كمين فخ مدفون ، أو شرك يعوقني عن تبليغ الرسالة ، فأقلب بصفقتي مغبوناً ، فإذا أنا وصلت ، وفي مأمني حصلت .. أديت ما حملت ، وعملت بما علمت ، فهناك طوقت ، وبالبشارة خلقت ، ثم أنقلب إلى شكر الله على ما وفقت ، وفي ذلك أقول :

أَحْبَابِي وَصَلْتُمْ أَوْ صَدَدْتُمْ فَعَبَدُكُمْ عَلَى حِفْظِ الْأَمَانَةِ
مُقِيمٌ لَا يُزْخَرْ حُزُّهُ عَذُولٌ وَلَا يُثْنِي مُعْتَفُّهُ عَنَانَهُ
حَمَلْتُ لِأَجْلِكُمْ مَا لَيْسَ تَقْوَى جِبَالٌ أَنْ تُحْمَلَهَا وَزَانَهُ
فَحِظْ الْعَهْدِ مَا وَفَاهُ حُرٌّ وَلَوْ أَوْدَى هَوَاهُ بِهِ وَشَانَهُ

فقال الديك : ها أنا في ناديك أناديك ، وأنت في تعاميك وتغاشيك ، جعلت الأذان لي وظيفه ، أوقف به من هو نائم كالجيفة ، وأبشر الذين يدعون ربهم تضرعاً وخيفة ، وفي إشارة لطيفة ، ومعان ظريفة ، أصفق بجناحي بشرى للقائم ، وأعلن بصياحي تنبيهاً للنائم ، فتصفق الجناح ، بشرى بالنجاح ، وترداد الصياح ، دعاء للفلاح ، ولئن كان الخفاش جعل له في الليل وظيفه .. فإنه في النهار نائم كالجيفة ، مستتر عن أعين الناس خيفة .

فأنا الذي لا أُخَلُّ بوظيفتي ليلاً ولا نهاراً ، ولا أغفل عن وردي سراً ولا جهاراً ، قسمت وظائف الطاعات ، على جميع الساعات ، فما تمر بي ساعة ، إلا ولي فيها وظيفة طاعة ، فبي تعرف المواقيت ، فأنا غالي القيمة ، ولو شريت باليواقيت ، فهذا حالي مع قيامي في عيالي ، وإشفاقي على أطفالي .

فأنا بين الدجاج ، أقنع بالماء الأجاج ، فلا أختص عنهم بحبة ، ولا أتجرع

من الماء دونهم بشربه ، وهذه حقيقة المحبة ، إن رأيت حبة .. دعوتهم إليها ، ودلتهم عليها ، فمن شأني الإيثار ، إذا حصل اليسار ، ثم إنني طوعاً لأهل الدار ، أصبر لهم على سوء الجوار ، يذبحون أفرأخي ، وأنا لهم كالخل المواخي ، وينتهبون أتباعي ، وأنا في نفعهم ساع ، فهذه سجية أوصافي ، والله لعبده كاف .

فقلت له : أيها الديك ؛ إلى كم تعظ ، ولا تتعظ ، وتنصح من هو عن الصواب معترض ، وتجمع من ملازمتك الأذكار ، ومنادمتك في ظلم الأسحار ؟ فقال : يا قوم ؛ إذا حسن الوعظ .. انتفع به الكل أو البعض ؛ فالعقول عارفة بما أقول ، فقد أفلح من وعى ، واجتهد في الإخلاص وسعى ، ومن أعماه الجهل .. فقد توعر مسلكه السهل ، وفي ذلك أقول :

بِذِكْرِ اللَّهِ يُدْفَعُ كُلُّ خَوْفٍ وَيَذْنُو الْخَيْرُ مِمَّنْ يَرْتَجِيهِ
وَلَكِنْ أَيْنَ مَنْ يَصْغَى وَيَذَرِي حَقِيقَةَ مَا أَقُولُ وَمَنْ يَعِيهِ

فقلت له : أيها الديك ؛ ما لي أراك تغتر إذا شبت ، كما تغتر إذا منعت ؟ فقال : الحرص أغلب ، وهو لأجل القلوب أجلب ، وقد آن وجود الحب ، بمشيئة الرب ، فعليك بحسن الطلب لبلوغ الأرب ، فربما قلّ رزقك ، إذا كثرت حذقك .

قلت : فليهنك الخلاص من المرضي ، فلم بليت منهم بهذه البغضى ، وأنت صغير السن ، جدير بالرحمة من الإنس والجن ؟

قال : ولع الطيب بهذه الأسماء ، فسجرت الشفار لإراقة الدماء ، فمن حان أجله .. عظم وجله ، والجِمام أجلّ معلوم ، وما أحد من منيته بمعصوم .

* * *

معرفة النفس

وفي كتاب « كيمياء السعادة » لأبي حامد الغزالي :

اعلم أن مفتاح معرفة الله تعالى هو معرفة النفس ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ سَتُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ .
وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « من عرف نفسه .. فقد عرف ربه » .
وليس شيء أقرب إليك من نفسك ، فإذا لم تعرف نفسك .. فكيف تعرف ربك ؟

فإن قلت : إني أعرف نفسي .. فإنما تعرف الجسم الظاهر ، الذي هو اليد والرجل والرأس والجنّة ، ولا تعرف ما في باطنك من الأمر الذي به إذا غضبت .. طلبت الخصومة ، وإذا اشتهيت .. طلبت النكاح ، وإذا جعت .. طلبت الأكل ، وإذا عطشت .. طلبت الشرب .
والدواب تشاركك في هذه الأمور .

فالواجب عليك أن تعرف نفسك بالحقيقة ؛ حتى تدرك أي شيء أنت ؟
ومن أين جئت إلى هذا المكان ؟ ولأي شيء خلقت ؟ وبأي شيء سعادتك ؟
وبأي شيء شقاؤك ؟

وقد جمعت في باطنك صفات : منها صفات البهائم ، ومنها صفات السباع ، ومنها صفات الشياطين ، ومنها صفات الملائكة ، فالروح حقيقة جوهرك ، وغيرها غريب منك ، وعارية عندك .

فالواجب عليك أن تعرف هذا ، وتعرف أن لكل واحد من هؤلاء غذاء وسعادة .

فإن سعادة البهائم في الأكل ، والشرب ، والنوم ، والنكاح ، فإن كنت منهم . . فاجتهد في أعمال الجوف والفرج .

وسعادة السباع في الضرب ، والفتك ، وسعادة الشياطين في المكر ، والشر ، والحيل ، فإن كنت منهم . . فاشتغل باشتغالهم .

وسعادة الملائكة في مشاهدة جمال الحضرة الربوبية ، وليس للغضب والشهوة إليهم طريق ، فإن كنت من جوهر الملائكة . . فاجتهد في معرفة أصلك ؛ حتى تعرف الطريق إلى الحضرة الإلهية ، وتبلغ إلى مشاهدة الجلال والجمال ، وتخلص نفسك من قيد الشهوة والغضب ، وتعلم أن هذه الصفات لأي شيء ركبت فيك ؛ فما خلقها الله تعالى لتكون أسيرها ، ولكن خلقها حتى تكون أسرك ، وتسخرها للسفر الذي قدامك ، وتجعل إحداها مركبك ، والأخرى سلاحك ؛ حتى تصيد بها سعادتك ، فإذا بلغت غرضك . . فقاوم بها تحت قدميك ، وارجع إلى مكان سعادتك ، وذلك المكان قرار خواص الحضرة الإلهية ، وقرار العوام درجات الجنة .

فتحتاج إلى معرفة هذه المعاني ؛ حتى تعرف من نفسك شيئاً قليلاً ؛ فكل من لم يعرف هذه المعاني . . فنصيبه من القشور ؛ لأن الحق يكون عنه محجوباً .

اعلم أنه قيل في المثل المشهور : إن النفس كالمدينة ، واليدين والقدمين وجميع الأعضاء ضياعها ، والقوة الشهوانية واليها ، والقوة الغضبية شحنتها ، والقلب ملكها ، والعقل وزيرها .

والملك يدبرهم حتى تستقر مملكته وأحواله ؛ لأن الوالي - وهو الشهوة -
كذاب فضولي مخلط ، والشحنة - وهو الغضب - شرير قتال خراب ، فإن
تركهم الملك على ما هم عليه .. هلكت المدينة وخربت ، فيجب أن يشاور
الملك الوزير ، ويجعل الوالي والشحنة تحت يد الوزير ، فإذا فعل ذلك ..
استقرت أحوال المملكة ، وتعمرت المدينة ، وكذلك القلب يشاور العقل ،
ويجعل الشهوة والغضب تحت حكمه ؛ حتى تستقر أحوال النفس ، ويصل إلى
سبب السعادة من معرفة الحضرة الإلهية .

ولو جعل العقل تحت يد الغضب والشهوة .. هلكت نفسه ، وكان قلبه
شقياً في الآخرة .

* * *

مجامع الفضائل التي تجسيدها ثل السعادة

وفي كتاب « ميزان العمل » لأبي حامد الغزالي :

إذا عرف أن السعادة تنال بتزكية النفس وتكميلها ، وأن تكميلها باكتساب الفضائل كلها . فلا بد من أن يعرف الفضائل جملة وتفصيلاً .

فأما الفضائل بجمالها . . فتتضمن في معنيين :

أحدهما : جودة الذهن والتمييز .

والآخر : حسن الخلق .

أما جودة الذهن . . فليميز بين طريق السعادة والشقاوة ، فيعمل به ، وليعتقد الحق في الأشياء على ما هي عليه ، عن براهين قاطعة مفيدة لليقين ، لا عن تقليدات ضعيفة ، ولا عن تخيلات مقنعة واهية .

وأما حسن الخلق . . فبأن يزيل جميع العادات السيئة ، التي عرّف الشرع تفاصيلها ، ويجعلها بحيث يبغضها ، فيجتنبها كما يجتنب المستقذرات ، وأن يتعود العادات الحسنة ويشتاق إليها فيؤثرها ، ويتنعم بها كما قال عليه الصلاة والسلام : « جعلت قرة عيني في الصلاة » .

ومهما كانت العبادات وترك المحظورات مع استئصال وكرهاة . . فذلك لنقصان ، ولا ينال كمال السعادة به .

نعم ؛ المواظبة عليه بالمجاهدة غاية الخير ، ولكن لا بالإضافة إلى فعله عن طوع ورغبة ، وإنما قيل : الحق مرة بالإضافة إلى من لم يتهذب ، فبقي فيه

صوارف عن الحق ، ولذلك قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ .
ولذلك قال عليه السلام : « إن استطعت أن تعمل في الرضا لله . . فاعمل ،
وإلا . . ففي الصبر على ما تكره خيرٌ كثير » .

ثم لا يكفي في نيل السعادة استلذاذ الطاعة ، واستكراه المعصية في زمان
دون زمان ، بل ينبغي أن يكون ذلك على الدوام في جملة العمر ، وكلما كان
العمر أطول . . كانت الفضيلة أرسخ وأكمل ، ولذلك لما سئل عليه السلام عن
السعادة . . قال : « طول العمر في طاعة الله » .

ولذلك كره الأنبياء والأولياء الموت ؛ فإن الدنيا مزرعة للآخرة ، وكلما
كانت العبادات أكثر بطول العمر . . كان الثواب أكثر ، والنفس أزكى وأطهر ،
وكمالها أتم ، وابتهاج صاحبها بجمالها عند التجرد عن علائق البدن أشد
وأوفر ، وذلك إذا تنبّه عن نومه الذي أغفله عن إدراك حال نفسه ، من جمال
يبتهج به ، أو خزي وخيال يفتضح به ، وذلك التنبّه بإطراح الشواغل ، فالناس
نيام ، فإذا ماتوا . . انتبهوا .

فهذه مجامع الفضائل ، وغايتها : أن تصدر منه الفضائل أبداً بغير فكر
وروية وتعب ، ويطلع على الحق بغير تعب طويل ، حتى كأنه يصدر منه ،
وهو في غفلته كالصانع الحاذق في الخياطة والكتابة .

وغاية الرذالة : أن ترشح منه الرذائل بغير تكلف ولا فكر ولا روية .

واعلم أن هذه الفضائل المحصورة في فن نظري ، وفي فن عملي ،
يحصل كل واحد منها على وجهين :

أحدهما : بتعلم بشريّ ، وتكلف اختياري ، يحتاج فيه إلى زمان وتدريب
وممارسة ، وتقويّ الفضيلة فيه شيئاً فشيئاً خفي التدرّج ؛ كتدريج الشخص في

النمو ، وإن كان في الناس من يكفيه أدنى ممارسة ، وذلك بحسب الذكاء والبلادة .

والثاني : يحصل بجدد إلهي ؛ نحو : أن يولد الإنسان ، فيصير بغير معلم عالماً ؛ كعيسى بن مريم ، ويحيى بن زكريا ، وكذا سائر الأنبياء الذين حصل لهم من الإحاطة بحقائق الأمور ، ما لم يحصل لطلاب العلم بالتعلم ، وقيل : إن ذلك قد يحصل أيضاً لغير الأنبياء ، وهم الذين يعبر عنهم بالأولياء ، وهذا الآن رزق لا يمكن اكتسابه بالجهد ، فمن حرم ذلك . . فليجتهد أن يكون من الفريق الثاني ، وليعلم نزول رتبته عن رتبة أولئك ، « فليس التكحل في العينين كالكحل » .

ولا ينبغي أن تستبعد أن يكون بالطبع في مبدأ الفطرة من العلوم ما يحصل بالجهد والاكتساب ، كما يكون ذلك في الأخلاق ، فرب صبي صادق اللهجة سخيّ جريء ، وربما تخلق بخلافه ، وذلك يحصل بالتأديب والتربية .
فإذن تحصل الفضيلة تارة بالطبع ، وطوراً بالاعتياد ، ومرة بالتعلم ، فمن تضافرت في حقه الجهات الثلاث ، حتى صار ذا فضيلة طبعاً واعتياداً وتعلماً . . فهو في غاية الفضيلة ، ومن كان رذلاً من هذه الجهات الثلاث . . فهو في غاية الرذالة ، وبينهما رتبة من اختلفت فيه هذه الجهات .

* * *

حُفَاطُ الْأَشْرِ

جاءني عطاء الله السمرقندي ، فبات عندي ، وكان أحد المحدثين ، ويكره المحدثين في الدين ، فقلنا : أيها الإمام ؛ عليك السلام ، الوقت حثيث ، فحدثنا عن علم الحديث .

فتأوه ثم قال : مات حفاظه ، فكادت تنسى ألفاظه ، وأهل الحديث هم الركب الأخيار ، أحباب المختار ، قوم تصدقوا بالأعمار على الآثار ، وقضوا الحياة في الأسفار ؛ لجمع كلام صفوة الأبرار .

شدّوا العمائم ، وجدّوا في العزائم ، وتسلّحوا بالصبر الدائم ، فلو رأيتهم وقد فتحوا الدفاتر ، وقربوا المحابر ، وكتبوا : حدثنا مسدّد بن مسرهد ، أو رواه أحمد في « المسند » ، أو أخرجه البخاري ، وشرحه في « فتح الباري » . . لهانت عندك الدنيا بما فيها ، وركبت سفينة الحديث وناديت : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ بَجَرْنَهَا ﴾ ، ولأقبلت على العلم والكتب ، وهجرت اللهو واللعب ، واللغو والطرب .

يفوح من فم المحدث المسك التّبّتي ؛ لأن عليه سيماء « نَضَّرَ اللهُ امرأَ سَمِعَ مِنِّي مَقَالَتِي » ، أنفاس المحدثين تنضح بالطيب ؛ لأنها حملت اسم الحبيب . بنفسني ذاك المحدث إذا جلس على الكرسي ، وقد حف به الطلاب ، ونشر الكتاب ، ثم قال : حدثنا محمد بن شهاب ، عندها يرتحل قلبك ، ويكاد يطير لبك ؛ شوقاً لصاحب التركة ؛ لما جعل الله في كلامه من البركة .

فتصبح الدنيا رخيصة مرفوضة ، لا تساوي جناح بعوضة ، وتشتاق النفوس إلى الجنة ، لما غشيتها أنوار السُّنة .

أما أخبار المحدثين في الأسفار ، وقطع القفار ، وامتناء البحار ، وركوب الأخطار . . فقد حفلت بها الأسفار .

ولكنهم في سفرهم يقرؤون كتاب الكون ، في كل حركة وسكون ؛ فإن المحدث يجد المتعة في ارتحاله ، والبهجة في انتقاله ، من ناد إلى ناد ، ومن جبل إلى واد ، فهو يعب من المناهل ، ويُسرح طرفه في المنازل ، ويُطلق بصره إلى دساكر الأقطار وغياضها ، وحدائق الديار ورياضها ، فيلمح عجائب البلدان ، ويتصفح غرائب الأوطان ، ويأنس بنغم الطيور في كل بستان .

فهو في تنقل بين حيطان وغيطان ، ووديان وأفنان وألوان ، تمر به الصور والمشاهد ، ويبيت في المساجد ، ويعب الماء النмир ، من كل غدير ، له في كل بلدة أصحاب ، وله في كل قرية أحباب ، يفترش الغبراء ، ويلتحف السماء ، سلم في سفره من أذى الجيران ، وضوضاء الصبيان ، والثقيل من الإخوان ، ينام على الثرى ، في العرا ، خارج القرى ، مركوبه رجلاه ، وخادمه يداه ، البسمة لا تغادر محياه .

قيل للفلاسفة : من سندكم ؟ قالوا : ابن سينا ، عن سرجيس بن ماهان ، عن أرسطاطاليس من اليونان .

وقيل لعلماء الكلام : من سندكم ؟ قالوا : محمد بن الجهم من خراسان ، عن الجهم بن صفوان .

وقيل للمحدثين : من سندكم ؟ قالوا : طاووس بن كيسان ، عن ابن عباس ترجمان القرآن ، عن الرسول سيد ولد عدنان ، عن الرحمٰن .

كان المحدث إذا ودّع أولاده ، وترك بلاده ، وحمل زاده . . وجد من راحة
البال ، وطيب الحال ، ما يفوق فرحة أصحاب الأموال ، وما يربو على سرور
من ملك الرجال .

إذا جمع بعضهم كلام الفلاسفة ، أهل الزيغ والسفه ، الذي يورث الجدل
والمعاسفة . . جمع المحدثون كلام الذي ما ضل وما غوى ، وما ينطق عن
الهوئى ، إن هو إلا وحي يوحى .

وإذا تفاخر أحدهم بجمع كلام علماء الكلام ، أهل الشقاق والخصام . .
تفاخر المحدثون بحديث خير الأنام ، أزكى من صلى وصام ، وحج بالبيت
الحرام .

قال الشافعي : إذا رأيتُ محدثاً . . فكأنى رأيت أحد أصحاب محمد .

قلت : لأن نهجهم مسدد ، وعلمهم من الله مؤيد .

أنا لا أريد سندي من إيوان كسرى أنوشروان ، ولا من الرومان ، ولا من
اليونان ، أريد سندي عن سفيان ، أو سليمان بن مهران ، أو سلمان ، عن
رسول الإنس والجان .

تعلمني كلام الناس بلا دليل ، ولا تأصيل ، وتقول : هذا كلام جميل ،
وعندي التنزيل ؟!

قيل للحمار : لماذا لا تجتر ؟ قال : أكره الكذب .

وقيل للجمل : لماذا لا ترقص ؟ قال : لا أعرف الطرب .

وتعلمني الفلسفة والمنطق ، وأنا ما عندي وقت للعب ؟!

أريد أن أسمع في المجلس : حدثنا سبعين مرة ؛ لتكتمل المسرة .

الحديث النبوي كلام ، لم يخمر في عقول فلاسفة اليونان ، ولم يتعفن في

أدمغة فلان وفلان ، ولم يأت من أهواء أهل الطغيان ، وإنما قاله من أتى بالقرآن .
تقرأ استنباط أهل الفهوم ، وتطالع كتب أرباب العلوم ، ثم تتلو حديث
المعصوم ، فإذا ماء الوحي يترقرق في جنباته ، ورحيق العصمة يتدفق في
قسماته ، فكأن كل علم قرأته قبله نسي وانتهى ؛ لأنه لا يقاوم كلاماً أتى من
عند سدرة المنتهى .

ما أحسن الضم والعناق ، لجملة : حدثنا عبد الرزاق !
كلما قلت : أخبرنا علي بن المديني . . حفظت ديني ، سهمي لكل مبتدع
يسدد ، إذا قلت : حدثنا مسدد بن مسرهد .

أشرقت أمامي المسالك ، كلما قرأت « موطأ مالك » .
سقيم الإرادة العلمية له علاج ، عند مسلم بن الحجاج ، أذمغ كل منحرف
بذي ، بـ « سنن الترمذي » ، أنا في صباحي ومسائي ، أدعو للنسائي .
هاجر المحدثون إلى الله لطلب كلام رسوله الأمين ، فوجدوا في أول
الطريق ثواب نية الصادقين ، ووجدوا في وسطه نضرة البهاء التي دعا بها سيد
المرسلين ، ووجدوا في آخر الطريق جنة عرضها السماوات والأرض أعدت
للمتقين .

كل صاحب فن ، ينسب إلى صاحب ذاك الفن ، إلا المحدثون ؛ فإنهم
ينسبون إلى من أتى بالسنن ، وأهدى لنا المتن ، وتنعمت بعلومه الفطن .
سافر أحمد ابن حنبل من بغداد إلى صنعاء ، يمتطي الرمضاء ، ويركب
الظلماء ، يترك الأهل ، يدفعه الجبل إلى السهل ، تشيعه الدموع ، يرافقه
الجوع ؛ لأن الرجل مشتاق ، وأحد العشاق ، لذلك الترياق ، من قوارير
عبد الرزاق .

دخل مكحول القرى والبوادي ، وطاف على النوادي ، وعبر كل واد ،
يطلب حديث النبي الهادي ، فصار ريحانة الشام ، وشيخ الإسلام .
ومشى أبو حاتم ألف فرسخ على الأقدام ؛ لطلب حديث سيد الأنام ،
فأصبح بذلك أحد الأعلام .

المحدثون هم عسكر الرسالة ، وجنود البسالة ، ظهرُوا على البدع بكتائب
(حدثنا) ، وسحقوا الملاحدة بجيوش (أخبرنا) .
لولا كتابة الحديث في الدفاتر ، وحمل المحدثين للمحابر . . لخطب
الدجال على المنابر .

الله كم من أنف لمبتدع أرغم بـ « صحيح البخاري » ؟ وكم من صدر
لمخالف ضاق بـ « فتح الباري » ؟

الحديث كسفينة نوح فيها من كل زوجين اثنين : رواية ودراية ، بداية
ونهاية ، متون وأسانيد ، صحاح ومسانيد ، تراجم ومعاجم .

* * *

أبطال المنبر

نحن في زمن عجيب ، وفي عصر غريب ، كم بلينا بخطيب غير أديب ،
ولا مصيب ، إذا تكلم .. تلعثم ، وهمهم ، وغمغم ، وتمتم .
إذا بدأ في الكلام .. اعتذر ، لا يدري ما يأتي وما يذر ؛ لأن كلامه هذر
مذر ، ابتلي الرجل بالسعال ، وكثرة الانفعال ، وسوء التعبير في المقال .
لا يزور الكلام في صدره تزويراً ، ولا يحبر الخطب تحبيراً ، فلا يساوي
كلامه في ميزان الشعر نقيراً ، يا ليت بعض الخطباء اشتغل بالتجارة ، أو مارس
البناء والنجارة ، وترك المنبر لأهل الإبداع والجدارة .
الخطيب القدير ، والمتكلم النحرير ، له صولة وزئير ، ومنطق كالحرير ،
ولسان كالسيف الطرير ، إذا وثب على المنبر .. فاح منه المسك والعنبر ،
فكأن منطقهم الماء الزلال ، والنبع السلسال ، يأتي بالحكمة في ارتجال ،
ويغلب بحجته الرجال ؛ فإنه الأسد إذا صال وجال .
إياك والكلام الساقط المرذول ، والعامي المبذول ، وعليك بفصيح
المنقول ، الذي يحبذه أصحاب العقول .
ما أحوجنا إلى خطيب قوال ، وبما يقول فعال ، ليس صاحب إملال ،
ولا إخلال ، ولا إقلال ، وإنما يدبج السحر الحلال .
لا يشرح الصدر مثل الكلام الصادق ، والبيان الناطق ، واللفظ الدافق ،
والأسلوب السامق ، أما كلام الحاكة ، وألفاظ أهل الركافة .. فهو حُمى

الأرواح ، في الصدور رماح ، وفي القلوب جراح .

ترى بعضهم إذا تكلم لا يكاد يُبين ، كأنه من الأعجميين ، ينطق بالحرف مقلوباً ، ويجعل المرفوع منصوباً ، ملأ خطبته عيوباً ، وندوباً ، وثقوباً .
غضب منه في النحو سيبويه ، وفي اللغة نفطويه ، وفي الحديث راهويه ،
وفي الشعر متنبويه .

الخطيب البارع يأسر القلوب أسرا ، ويسري بالأرواح فسبحان من أسرى ،
ويسترق الضمائر فيما منّا بعد وإما فداء ، وله على مستعمرات النفوس احتلال
واستيلاء .

الخطيب الملهم يكتب على صفحات القلوب رسائل من التأثير ، ويرسم
في العقول صوراً من براعة التعبير ، ويبنى في الأفئدة خياماً من جلال
التصوير .

هل تَمَلَّ من الروضة الغناء إذا غنى فيها العنديل ، وحل بها الحبيب ،
وأطفأ نسيمها اللهب ؟ وكذلك الخطيب النجيب ، في خطبه روضات من
الجمال ، وبساتين من الجلال ، ودواوين من الكمال .

تقرأ القصة لا تساوي بعة ، ولا تهز شعرة ، فيلقبها الخطيب الأشدق ،
والفصيح المتدفق ، فكأنها السحر دب في كيائك ، وكأنها الخمر هزت
أركانك .

تسمع بيت الشعر لا يساوي ريالاً ، ولا ترى فيه روعة ولا جمالاً ، فيلقبه
الخطيب المصقع ، والمتكلم المبدع ، فتبقى من حسنه مبهوراً ، كأنك لقطت
ياقوتاً .

الخطيب الهدّار ، كالسيل الموّار ، يقتلع الأشجار ، ويحمل الأحجار ،

ويقتحم الأسوار ، لا يرده جدار ، ولا تقف في طريقه دار ؛ لأن الخطيب يقبل
ومعه الآية الآمرة ، والموعظة الزاجرة ، والقصة النادرة ، والحجة الباهرة ،
والقافية الساخرة .

تعيش معه في دنيا من الصور والألوان ، وفي عالم من المشاهد
والألحان ، كأنك في إيوان ، أو بستان ، أو ديوان .

دعني من الخطباء الثقلاء ، كأن كلامهم لهيب الرمضاء ، أو وهج
الصحراء ، أو وجه الشتاء ، لا طلاوة ، ولا حلاوة ، لا إبداع ، ولا إمتاع ،
ولا إشباع .

قوم لم تركض ألسنتهم في ميدان البيان ، ولم تذق قلوبهم حلاوة القرآن ،
ولا تمتعوا بسحر الكلمات ، ولا رشاقة الجمل البالغات ، ولا عرفوا حسن
السبك ، ولا براعة الحبك ، هم أحدهم صحف يتلوها على الناس بكرة
وأصيلاً ، لا تترك في الناس من التأثير فتيلاً ، يلوك أحدهم الكلام لوكاً ، كأنه
يغرز في الأجسام شوكاً .

أفصح الناس رسول الهدى ، وإمام الندى ، أبلغ من حضر وبدا ، وأوعظ
من راح وغدا .

إن من أعظم المتع التي عاشها الصحابة ، تلك الفصاحة ، والبراعة ،
والنجابة ، التي كانوا يسمعونها من سيد الفصحاء ، وإمام البرعاء ، وأبين
العرب العرباء ، كان إذا تكلم . . ملك المشاعر ، واستولى على الضمائر ،
واستمال السرائر ، فلا يريدون بعده كلام خطيب ولا شاعر ، إذا نطق عليه
الصلاة والسلام وتدفق . . فكأنه الفجر أشرق ، والماء ترقق ، والنور في
الأرواح ترفق .

إن من النعيم ، عند ذاك الجيل العظيم ، سماع ذلك النبي الكريم ، في
منطق سليم ، وصوت رخيم ، وقول قويم ، ونهج مستقيم .
ثم درج خطباء الأمة على منواله ، وسبكوا أقوالهم على أقواله ، فمن مقلّ
ومكثر ، ومن مؤثرٍ ومتأثر .

فأحسن الخطباء من جعل القرآن معينه ، وملأ بنور الحديث عينه ، وجعل
البيان خدينه ، ثم أكثر من التدريب ، وأدمن التجريب ، وأخذ من كل فن
بنصيب ، فترى له من البراعة ، ومن الجرأة والشجاعة ، ما يخلب ألباب
الجماعة ، جمالاً في بيان ، وحسناً في إتقان ، مع عذوبة لسان ، وثبات
جنان .

غير أن البلاء ، يأتي من الأغبياء ، المعدودين في الخطباء ، فهم كالغيم
في الصحو ، وكاللحن في النحو ، عبارات من حجاب البيان سافرة ، وجمل
متنافرة ، وتركيب غريب ، ليس عليه من سلطان الإبداع رقيب ، هم أحدهم
أن يقول ، ولو أخطأ في النقول ، وعاث في العقول ، فمَنع هؤلاء من الخطابة
إصابة ، حتى يراجع كل منهم حسابه ؛ فليست المنابر أسواق باعة ،
ولا أحواش زراعة ، ولا ورش صناعة ، إنما المنابر مواضع طاعة ، تهذب بها
الأجيال ، وتصل بها عقول الرجال .

فهذب لسانك ، وجوّد بيانك ، ودرب جنانك ، وأطلق في الفصاحة
عنانك ؛ لتكون الخطيب المسدّد ، والمتكلم المؤيد .

وحذار من تردد الكلام ؛ فإنه يتحول إلى ركام ، ويصبح الخطيب أقبح في
العين من الظلام .

وإياك والتقعر والغرابة ؛ فإنها من عيوب الخطابة .

ولا تكرر العبارة ، ولا تكثر الإشارة ، ولا تقحم نفسك في فنون أهل الاختصاص ، ولا تجرح الأشخاص .

واخلط الترغيب بالترهيب ، والوعظ بالتأديب ، وتحجب إلى السامعين بالطَّيِّب من الكلام ، ولا تتعرض للشتم والملام ، وتألف القلوب ، وذكرهم برحمة علام الغيوب .

وتخولهم بالموعظة ؛ لتكون لقلوبهم موقظة ، وتحدث فيما يحتاجون إليه من مسائل ، وما يهمهم من فضائل ، وكن لطيفاً مع الناس ، كالطبيب الآسي .

واجعل إمامك في الخطابة رسول البيان ، صاحب القرآن ، سيد ولد عدنان ؛ فقد كان الجذع يحنّ لكلامه ، ويئن من كثرة شوقه وهيامه ، وكانت الدموع من وعظه تتحدر ، والقلوب تتفطر ، والنفوس تتحسر ، هذا إذا أُنذر وحذر ، أما إذا ذكرهم بمغفرة الغفور . . فهناك تسبح النفوس في صرح ممرّد من السرور ، وفي جدول من الحبور ، فيمد كلامه نور الفطرة ، فالكل نور على نور .

أيها الخطباء ؛ كونوا أبطالاً ، ورصّعوا من الحكمة أقوالاً ، ودبّجوا من الفصاحة أمثالاً ، وانفروا خفافاً وثقالاً ، وفقكم الله تعالى .

* * *

اندم على ذنوبك

وفي كتاب « مواظب ابن الجوزي » :

أيها العبد ؛ تفكر في عُمر مضى كثيره ، وفي قدم ما يزال تعثيره ، وفي هوى قد هوى أسيره ، وفي قلب مشئت قد قلّ نظيره ، وتفكر في صحيفة قد اسودت ، وفي نفس كلما نصحت . . صدت ، وفي ذنوب ما تحصى لو أنها عدت .

قال أبو الدرداء رضي الله عنه : تفكر ساعة خير من قيام ليلة .

وقال أبو يوسف بن أسباط : الدنيا لم تخلق لتنظر إليها ، وإنما خلقت لتنظر بها إلى الآخرة .

وكان سفيان الثوري من شدة تفكيره يبول الدم .

وقال أبو بكر الكتاني : روعة عند انتباه من غفلة ، وانقطاع عن حظ نفس ، وارتعاد من خوف قطيعة ، أفضل من عبادة الثقلين .

وقال يحيى بن معاذ : لو سمع الخلائق صوت النائحة على الدنيا في الغيب من ألسنة الفناء . تساقطت القلوب منهم حزناً ، ولو رأت القلوب بعين الإيمان نزهة الجنة . . لذابت النفوس خوفاً .

ولو أدركت القلوب كنه محبة خالقها . . لتخلعت مفاصلها ولها ، ولطارت الأرواح من أبدانها دهشاً .

سبحان من أغفل الخليفة عن كنه هذه الأشياء ، وألهاهم بالوصف عن حقائق هذه الأنباء .

يا ذاهباً في شططه ، يا واقفاً مع غلطه ، يا معترضاً لعقوبة الأحد ،
ما سخطه ؟ يا معرضاً عن الاعتبار سمعه ، يا مطلقاً لسانه في غلطه ، يا من
لا يفرق بين صحيح القول وسقطه ، أما له عبرة استدراك لفارطه ؟ إلى متى
على قبيح غطه ؟ هلا عباً متاعه في سقطه !

كلا لو صحا.. لاتعظ ، وأثر فيه اللوم وازدجر ، لكنه في غاية
الغلط ، وانقرض لا يلتفت إلى من لام ولا من وعظ ، سيندم على
تضييع ما كان احتفظ ، سيفرّ العلاج إذا زادت الكفظ ، سيخرس لسان طالما
لفظ .

من لم يبق من عمره إلا الأمل ، وهو للوزر العظيم قد حمل وأثقل..
سيعرض عليك من المعاصي مما دق وجل ، تراعي الخلق وتنسى حقه عز وجل ،
قد سود صحيفته وملأها من قبيح العمل ، حملت عليه الأمانة فتغافل عنها
وضلّ ، يدعى إلى الاستقامة ، وكلما قوم ذل ، لا يعرف ولا يقبل ، قد غره
مكر (سوف) ، وأوثقه قيد (لعل) .

إِلَّامَ تُمْنِي النَّفْسَ مَا لَا تَنَالُهُ وَتَذْكُرُ عَيْشًا لَمْ يَعُدْ مُذْ تَصَرَّمَا
وَقَدْ قَالَتِ السَّبْعُونَ لِلْهُوَ وَالْهُوَ دَعَانِي لِشَأْنِي وَأَذْهَبًا حَيْثُ شِئْتُمَا
من تفكر في ذنوبه.. تاب ورجع ، ومن تذكر قبيح عيوبه.. ذل وتواضع ،
ومن علم أن الهوى يسكن.. تصبر ، ومن تلمح إساءته.. لم يتكبر .

كان يزيد الرقاشي يقول : والهفاه ، سبق العابدون وقطع بي ، وكان قد
صام اثنين وأربعين سنة .

وقال حذيفة المرعشي : لو أصبت من يبغضني حقيقة.. لأوجبت على
نفسي حبه .

فيا أيها العبد ؛ عُدْ على نفسك باللوم والمقت ، واحذرْها ، فكم ضيعت عليك من وقت ؟! واندِمْ على زمان الهوى ، فمن كيسك أنفقت ، ونادها : يا محل كل بلية ؛ فقد - والله - صدقت .

وروى وهب بن منبه : أن رجلاً صام سبعين سنة يأكل كل سنة إحدى عشرة تمرّة ، وطلب حاجة من الله فلم يعطها ، فأقبل على نفسه فقال : من قبلك بليت ؛ لو كان فيك خير . . أعطيت ، فنزل إليه ملك فقال : إن ساعتك هذه التي ازدريت فيها على نفسك خير من عبادتك ، وقد أعطاك الله حاجتك .

وقال فضيل بن عياض : أخذت بيد سفيان بن عيينة في هذا الوادي ، فقلت له : إن كنت تظن أنه قد بقي على وجه الأرض شر مني ومنك . . فبئس ما ترى .

وقال رجل لأبي الحسن الموسمي : كيف أنت ؟ فقال : خفيت أضراسي من أكل نعمه ، وكلّ لساني من كثرة ما أشكوه .

يا واقفاً مع هواه وأغراضه ، يا معرضاً عن ذكر عوارضه إلى أغراضه ، يا غافلاً عن الموت وقد جد بمقراضه ، وعلم اندباغ عمر أغراضه ، سيعرف خبره ؛ إذ أحاط به أشد أمراضه ، وأخرج من خراب الديار وروضه ، وألقي في لحد وحيداً يخلو برضراضه ، وعلم أنه باع أغراضه .

يا من بالهوى كلامه وحديثه ، وفي المعاصي قديمه وحديثه ، وعمره في خطايا خفيفه وأثيئه ، من له إذا ألحد في قبره ؟ مَنْ يُغيثه ؟ من له إذا حامت حول حماه الردى لِيُوثّه ؟ من له من كرب لا يرحم عطاشه ؟ من له من جحفل لا يهدم كباشه ؟ من له من لحدٍ لا يدفع حشاشه ؟ من له من جدثٍ عمله في فراشه ؟ من له من قبرٍ فعل فيه معاشه ؟ من له من موقف لا يرد بطاشه ؟ من له

يومئذ ، ولا يقوى نجاهه ؟ من له من حساب عقاب رذاذه يردي ورشاشه ؟ من يخلصه اليوم من هوى قد أسرته رشاشه ؟

كم عاهد ونكت ؟! كم أثر الهوى وعبث ؟! كم غره غرير بالسحر قد نفث ؟! تالله لقد بولغ في توبيخه وما اكثرث ، ولقد بعث إليه النذير وما يرى من بعث ، قلبه مشغولٌ بالهوى ولسانه بالرفث ، كلما أصبح معاهداً وأمسى .. نكت ، ظاهر صحيح ، وباطن قبيح خبيث ، سيندم يوم الضريح ؛ من القبيح حرث ، سيكي ندمان الهوى يوم الظمأ عند الله ، سيعرف جيرة المعاصي إذا حل الجذث ، سيرى سيره إذا ناقش السائل أو بحث ، سيقرع السن ندماً إذا نادى : ولم بعث ؟ عجباً لجاهل باع تعذيب النفوس براحات الجثث .

أَلْقَلْبُ أَسِيرٌ بِالْحَزَنِ
وَأَلْفِكْرٌ يُذِيبُ أَلْقَلْبَ فَمَا
كَمْ بِثُ وَدَمْعِي مُنْهَمِلٌ
وَاهَا لَزَمَانِ طَابَ لَنَا
مَا غَرَدَتْ أَلْوَزَقَاءُ عَلَى
يَا عَيْنُ أَعْنِ قَلْبًا فَلَقَا
أَصْبَحْتُ أَسِيرًا فِي خَطِّي
أَبْكِي زَلَلِي أَبْكِي خَلَلِي
مَنْ يَوْمَ الشَّدَّةِ يُنْقِذُنِي
وَنَزَلْتُ وَجِيدًا فِي جَدَثٍ
أَيْنَ الْأَقْرَانُ وَمَا قَرُنُوا ؟

وَأَلْدَمْعُ غَزِيرٌ بِالشَّجَنِ
مِثْلُ الْفِكْرِ عَلَى الْبَدَنِ ؟!
لَوْ يَذْرَأُ فِي وَجْدِي ثَمَنِي
مَا أَسْرَعَ مَا وَلَّى وَفَنِي
غُضْنِي إِلَّا هَاجَتْ حَزَنِي
بِالدَّمْعِ أَطْفَأَ نَارَ الشَّجَنِ
وَذُنُوبِي قَدْ مَلَأَتْ بَدَنِي
أَبْكِي عَمَلِي كَيْ يَرْحَمَنِي
مَنْ كَرَبِ الْمَوْتِ يُخَلِّصُنِي
قَفَرٍ وَكَأَنِّي مِنْ لَبَنِ
بِالْمَوْتِ جَمِيعًا فِي قَرَنِ

كَمْ سِرْتُ عَلَى رَبِّعٍ لَهُمْ
 يَا دَارَ حَبِيبِي : أَئِنَّهُمْ
 قَالَتْ لِي دَارُهُمْ : دَارَتْ
 أَسَرَّتْهُمْ قُوتُهُ فَهُمْ
 تَرَكُوا الْأَمْوَالَ لِغَيْرِهِمْ
 تَاللَّهِ لَقَدْ سُئِلُوا عَمَّا
 فَتَقَّظَ قَبْلَ لِحَاقِهِمْ
 وَأَطْلَتْ مُسَاءَلَةَ الزَّمَنِ
 عَهْدِي بِهِمْ قَبْلَ الْمَحَنِ ؟
 بِهِمْ أَمَانِي الزَّمَنِ
 أَسْرَاءُ الْحِيرَةِ وَالْحَزَنِ
 لَمْ يَضَحَبْهُمْ غَيْرُ الْكَفَنِ
 قَدْ كَانُوا فِيهِ مِنَ الْفَتَنِ
 مِنْ طُولِ الرِّقْدَةِ وَالْوَسَنِ

* * *

مهبط الوحي

الجزيرة أرض التوحيد ، والمجد التليد ، والنهج الرشيد .
وهي أرض الإنسان ، والبيان ، والإيمان ، والقرآن ؛ لأنها دار الإنسان
السوي ، والمؤمن الرضي ، التابع للمنهج المحمدي .
ولأنها أرض البيان الخلاب ، والأدب الجذاب ، واللغة الحية ، والموهبة
الأدبية .
ولأنها بلاد الإيمان ، فمنها أرسل الإيمان إلى العالم أنواره ، وبعث إلى
الدنيا قصصه وأخباره .
ولأنها مهبط القرآن ، بها نزل جبريل ، على المعلم الجليل ، بآيات
التنزيل .
في هذه البلاد ، أعظم ناد للأجواد ، وأكبر واد للأجواد .
قال الموفق بن هادي : لا تلمني في حب بلادي ؛ فإنها سر أنسي
وإسعادي ، فقد بعث منها محمد المحمود ، رسول الجود ، صاحب الحوض
المورود ، والمقام المحمود ، واللواء المعقود .
وفيها ولد أبو بكر ، طيب الذكر ، صاحب الشكر ، نير الفكر .
ومنها عمر ، جميل الخبر ، وناشر العدل في البشر ، وصاحب أحسن
السير .
ومنها عثمان ، جامع القرآن ، ومكرم الضيفان ، وله من الرسول نوران .

ومنها علي ، البطل الولي ، والسيف الجلي ، خائض الهول حتى ينجلي .
ومنها الأسياد ، والأجواد ، والآساد .

فلما سمعنا كلام الموفق ، وإذا هو بالدليل محقق .. قلنا : ونسيت
البتروك ؛ فإنه السيف المسلول ، والشافع المقبول .

قال : كلاً ، لمن أعرض وتولّى ، فخرنا بالرسول ، لا بالبتروك ،
وسعادتنا بالذكر المنزل ، لا بالديزل ، وفرحتنا بالإسراء والمعراج ،
لا بالحديد والزجاج ، وبهجتنا بالمقام والبيت ، لا بالزيت ، وتاريخنا
بالإعجاز ، والإنجاز ، والامتياز ، لا بالبنزين والغاز .

فقلنا له : اترك من هلكوا وبادوا ، وحدثنا عن وصول الرادو ، ودعنا ممن
يهمزون ويلمزون ، وكلمنا عن بث التلفزيون ، ومتى وصلكم التلفون ،
وما كنتم قبله تعرفون ، بل بالجهل توصفون .

فقال : أخطأتم التقدير ، وخطأ العاقل كبير ، اعلّموا أننا قبل الصناعة ،
كنا أهل البراعة ، والشجاعة ، والذاكرة اللماعة ، وأهل الأصالة ، والرسالة ،
والبسالة .

كان العالم قبل وصولنا غابة ، كأن عليه جنابة ، وكانت الدنيا قبل ميلادنا
في مآتم ، تشكو وتتألم ، فلما بزغ فجر رسولنا من البطحاء .. أشرقت على
نوره الأرض والسماء ، خيام العدل في بلادنا ، وولد الشرف مع ميلادنا ،
مضرب المثل في الكرم من أوطاننا ، وأشجع الناس من ودياننا .

نحن بعثنا إلى الدنيا النور ، وأزلنا منها الظلم والجور ، أذنًا في أذن الدنيا
فآمنت ، ومشينا على جبالها فتطامنت ، كنا في الجاهلية الجهلاء ، أهل العزة
السماء ، فلما جاء الإسلام .. كنا الأعلام ، والصفوة الكرام .

شجاعة لو قابلتنا الأسود . لهابت ، وعزيمة لو طرحت على الصخور .
لذابت .

هنا دار الفضائل ، ومنازل القبائل ، عندنا قبلة المصلين ، وكعبة
الطائفين ، وملاذ الخائفين .

اختارنا الله لدينه أمانة ، وعلى الأمانة أوصياء .

من دارنا هبّت كتائب الفتوحات ، وسارت قوافل التضحيات .

عندنا محبرة ومقبرة ؛ محبرة لتقييد العلوم ، وتسجيل نتاج الفهم ،
ومقبرة للغزاة ، والمحاربين الطغاة .

نحن أول من حمل السيف ، وأكرم الضيف ، وأبى الحيف .

أرضنا بدماء الشهداء تفوح ، وقلوبنا بأسرار التوحيد تبوح .

عندنا الذهب الأبيض والأحمر والأسود ؛ فالأبيض عِلْم ينعش الأحياء ،
من الشريعة السمحاء ، والأحمر دماء في عروق الأحرار ، وفي شرايين
الأبرار ، والأسود بترول مدفون في الثرى ، يدلف بالحضارة للمدن والقرى .

دافع الله عنا يوم قصدنا صاحب الفيل ، فعاد في ثوب ذليل ، ورد الله عنا
غارة الفرس الكفار ، ومزّقهم في يوم ذي قار .

وأنزل الله نصره علينا في بدر ، يوم صعب الأمر ، وضاق الصدر ، فأيد
رسولنا بملائكة مسوّمين ، وكرام معلمين .

نحن خرجنا للعالم وفي قلوبنا قرآن نسكبه في قلب من وَحَد وتشهد ، وفي
أيماننا سيوف نقطع بها رأس من تمرّد وألحد .

عندنا قداسة الإنسان ، وقداسة البيان ، وقداسة الزمان ، وقداسة
المكان ؛ فقداسة الإنسان ماثلة في الرسول العظيم والنبي الكريم ، وقداسة

البيان قائمة في القرآن ، الذي أذهل الإنس والجان ، وقداسة الزمان كامنة في
عشر ذي الحجة ورمضان ، وقداسة المكان في الحرم الطاهر ، والمشعر
الزاهر .

ليس للدنيا بدونا طعم ، وليس للتاريخ سوانا رسم ، وليس للناس إذا
أغفلنا اسم .

نحن شهداء على الناس ، ونحن مضرب المثل في الجود والباس .
كأن النور ولد معنا ، وكأنّ البشر لفظ ونحن معنى ، جماجمنا بالعزة
مدججة ، وخيولنا بالعزائم مسرجة .

نحن الأمة الوسط ، لا غلط في منهجنا ولا شطط ، وسط في المكان ؛
فنحن قلب الكرة الأرضية ، وزعماء الأخلاق المرضية .
ووسط في الزمان ؛ فلم نأت في طفولة الإنسانية ولم نتأخر إلى شيخوخة
البشرية .

ووسط في العقيدة ؛ فنحن أهل التوحيد والمذهب السديد ، فلم نعتنق
رهبانية النصارى ، ولم ننهج نهج اليهود الحيارى ، بل أمتنا بعيدة من
الضلالة ، مصونة من الجهالة .

أليس في بلدنا الركن والمقام ، والبلد الحرام ، وعندنا عرفات ومنى حيث
الجمرات وزمزم والحطيم ، والمشعر العظيم .
وفي أرضنا غار حراء ، مشرق الشريعة الغراء .
ونزل في أرضنا جبريل ، على المعلم الجليل ، وحمى بيتنا من الفيل ،
بطير أبابيل .

ومنا خالد بن الوليد ، وأسامة بن زيد ، وطلحة بن عبيد .

وفي دارنا عائشة أمُّ المَكْرُمات ، المبرّاة من فوق سبع سماوات ، وفاطمة
البتول ، بنت الرسول ، طيبة الأصول .

وفي أرضنا الحرّمان ، والبيتان ، والعُمران ، والهجرتان ، والبيعتان ،
والسبطان ، والقرآن ، والإيمان ، والبيان .

نحن أهل عذوبة الألفاظ ، والجهايزة الحفّاظ ، وفي بلادنا سوق عكاظ .
في بلادنا البطحاء ، حيث انطلقت الشريعة السمحاء .

وعندنا نجد الأبيّة ، مطلع شمس العربية ، ومنبع المواهب الشاعرية ،
والخطابية .

ولدينا عسير ، حيث المسك والعبير ، والجمال منقطع النظير ، والذكاء
الشهير .

ولدينا حائل ، أهل الفضائل ، أحفاد حاتم الطائي شرف القبائل .
ولدينا الحجاز ، أهل الفضل والامتياز ، والكرم والاعتزاز .
ولدينا الأحساء ، دار الشرفاء ، وبيت الأوفياء .

فغربنا أرض النبوة المحمديّة ، والسنة الأحمدية ، أرض قدمت للعالم
أشرف هديّة ، وشرقنا أرض الخيرات ، وبلد المسرّات ، ودار الهبات ،
والأعطيات ، ووسطنا دار الملك والإمارة ، وبيت الجدارة ، ومحل الوزارة ،
والسفارة ، وشمالنا أرض الجود ، والنّد والعود ، والأسود ، وحفظ
العهود ، وإكرام الوفود ، وجنوبنا أرض الهمم الوثابة ، والطبيعة الخلابة ،
والأخلاق الجدّابة ، والفهم والنجابة ، والشعر والخطابة .

نحن كتبنا التاريخ بالدماء ، ووصلنا الأرض بالسماء ، أنجبنا العلماء ،
وأنتجنا الحكماء ، وأرسلنا للعالم الزعماء ، وأهدينا الدنيا الحلما .

إذا لم يبدأ التاريخ بنا . فاعلم أنه منكوس ، وإذا لم يُثْنِ علينا سفر
المكارم . فاعلم أنه منحوس .

كسرنا سيوفنا في بدر ، على رؤوس أهل الكفر ، ثم أرسلنا شظاياها لصالح
الدين ، في حطين ، فقهر بها الملحدين .
رددنا في أحد ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ، فسحقنا من جحد ، وقطعنا دابر من
فسد .

منا قائد القادسية ، الذي أسقط العجم في الخانة المنسية ، ومنا قائد اليرموك ،
الذي أذهب من رؤوس الروم الشكوك ، وصبغ وجوههم بالدم المسفوك .
نحن أرسلنا بني أمية ، ملوكاً للديار الشامية ، وبعثنا لبغداد بني العباس ،
أهل الجود والباس ، وجيش العجم ما أسلم ، حتى بعثنا له قتيبة بن مسلم ،
ومددنا للهند السيف الحاسم ، محمد بن القاسم .

من كتب التاريخ وأهمل الجزيرة . . فقد ارتكب كبيرة ، وأتى بجريرة ،
كيف يُهمِلُ الرسول والأصول ، وأهل المنقول والمعقول ؟! كيف يأخذ البدن
بلا روح ، ويُجرّد البستان من الدوح ؟! كيف يبني القصر على غير أساس ،
ويقيم الجسم بلا راس ؟!

تريد المسجد بلا محراب ، والمدرسة بلا كتاب ، نحن الفصول
والأبواب ، ونحن السيف والنصاب ، لسجل المَكْرُمات كُتَّاب ، ولأرقام
المجد حَسَّاب ، وعلى قصر الرسالة حَجَّاب .

نحن قلب المعمورة ، وأصحاب المناقب الماثورة ، العالم يتجه إلى قبلتنا
كل يوم خمس مرات ، والدنيا تنصت لندائنا بالصلوات ، والكون يستمع
لتلاوتنا بالآيات .

زارنا بلال بن رباح ، فصار مؤذن دولة الفلاح ، وجاءنا سلمان من أرض فارس ، فلما أسلم . . صار كأنه على قرن الشمس جالس ، ووفد إلينا صهيب من أرض الروم ، فأصبح من سادات القوم .

من بلادنا تشرق شمس المعارف ، ويقام للعلم متاحف ، وتنشر للهدى مصاحف ، حتى ماؤنا يفوق كل ماء ، فماء زمزم شفاء ، ومن كل داء دواء ، ونحن بيت العرب العرباء ، وعندنا سادات الكرماء ، ولدينا أساطين النجباء ، وأساتذة الحكماء ، إن ذكرت الحرب . . فنحن وقودها ، وإن ذكرت الملة . . فنحن أسودها ، وإذا سمعت بالرسالة . . فنحن جنودها .

* * *

الشاعر الأسطورة يخطف الأضواء

استشهاد العلماء والساسة والأدباء والوجهاء بشعره :

لما انتهى زاهد الكوثري من بعض كتبه استشهد ببيت المتنبي :
وَمَا أَنَا بِالْبَاطِلِ عَلَى الْحُبِّ رِشْوَةً ضَعِيفٌ هَوَى يُنْغِي عَلَيْهِ ثَوَابُ
وذكر حسن البناء اختلاف الأزمان والأمكنة ثم أنشد قول المتنبي :
هُوَ الْجَدُّ حَتَّى تَفْضُلَ الْعَيْنُ أُخْتَهَا وَحَتَّى يَصِيرَ الْيَوْمُ لِلْيَوْمِ سَيِّدًا
وذكر الدكتور عبد العزيز الشيان في مقابلة في التلفزيون السعودي شوقه إلى
التعليم ، وقال كما قال المتنبي :

نَحْنُ أَذْرَى وَقَدْ سَأَلْنَا بِنَجْدٍ أَقْصِرُ طَرِيقُنَا أَمْ يَطُولُ
وَكَثِيرٌ مِنَ السُّؤَالِ أَشْتِيَاقُ وَكَثِيرٌ مِنْ رَدِّهِ تَعْلِيلُ
وكلمني الدكتور عبد العزيز الحربي معجباً بقول المتنبي :
أَصَادِقُ نَفْسِ الْمَرْءِ مِنْ قَبْلِ جَسْمِهِ وَأَعْرِفُهَا فِي فِعْلِهِ وَالتَّكَلُّمِ
ودرّسنا الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ، فذكر سيرة الرسول صلى الله عليه
وسلم ثم قال كما قال المتنبي :

إِذَا تَغَلَّغَلَ فِكْرُ الْمَرْءِ فِي طَرَفٍ مِنْ مَجْدِهِ غَرِقَتْ فِيهِ خَوَاطِرُهُ
وأسهب مرة في الشرح ثم ذكر قول المتنبي :
وَقَدْ أَطَالَ ثَنَائِي طُولَ لَابِسِهِ إِنَّ الثَّنَاءَ عَلَى الثَّنَائِلِ تَبْنَالُ
وزرت بيت العلم والأدب بيت آل مبارك في الأحساء ، فحياني أحد

أدبائهم وقال : نحن كما قال المتنبي :

وَأَسْتَكْبِرُ الْأَخْبَارَ قَبْلَ لِقَائِهِ فَلَمَّا أَلْتَقَيْنَا صَغَرَ الْخَبِيرُ الْخُبِيرُ

وهذا البيت قاله ابن الشجري للزمخشري لما لقيه ، وذكر الحافظ ابن

رجب أن الصادق لا بد أن يظهر ، وكذلك الكاذب ، كما قال المتنبي :

إِذَا أَشْتَبَهْتَ دُمُوعُ فِي خُدُودٍ تَبَيَّنَ مَنْ بَكَى مِمَّنْ تَبَاكَى

وذكر الشوكاني في بعض رسائله قول المتنبي :

كُلُّ دَمْعٍ يَسِيلُ مِنْهَا عَلَيْهَا وَفِيكَ الْيَدَيْنِ عَنْهَا تُخْلَى

فتعجب من جودة البيت وسبح وكبر .

وذكر الألوسي قول المتنبي :

وَلَا فَضْلَ فِيهَا لِلشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى وَصَبْرٍ أُلْفَتِي لَوْلَا لِقَاءُ شُعُوبٍ

وذكر الدكتور علي الحكمي الحسن وضده ، فقال : كما قال المتنبي :

وَنَذْمُهُمْ وَبِهِمْ عَرَفْنَا فَضْلَهُ وَبِضِدِّهَا تَبَيَّنَ الْأَشْيَاءُ

وخطب بنا الشيخ عبد الرحمن السديس في الحرم في قطعة الرحم ،

فاستشهد بقول المتنبي :

وَلَمْ تَزَلْ قِلَّةُ الْأَنْصَافِ قَاطِعَةً بَيْنَ الرِّجَالِ وَلَوْ كَانُوا ذَوِي رَحِمٍ

ولقيت طالب علم من سوريا ، فسألته عن بلده ، فقال : أنا من بلدة ضمير

التي يقول فيها المتنبي :

لِئِنْ تَرَكْنَ ضَمِيرًا عَنْ مَيَامِنِنَا لِيَخْدُنَّ لِمَنْ وَدَعَتْهُمْ نَدَمُ

وسألت الدكتور محسن العواجي عن حاله ، فقال : كما قال المتنبي :

لَيْتَ الْغَمَامَ الَّذِي عِنْدِي صَوَاعِقُهُ يُزِيلُهُنَّ إِلَى مَنْ عِنْدَهُ الدَّيَمُ

وذكر الأديب السوداني الطيب صالح بيت المتنبي متعجباً :

يُحَرِّمُهُ لَمْعُ الْأَسِنَّةِ فَوْقَهُ فَلَيْسَ لِظَمَانٍ إِلَيْهِ وَصُولُ

وَأُنشِدَ الْخَطِيبُ الْمَفُوءَ الدُّكْتُورَ عَبْدَ الْوَهَّابِ الطَّرِيرِي عَلَى الْمُنْبَرِ قَوْلَ

الْمُتَنَبِّي :

كَمْ تَطْلُبُونَ لَنَا عَيْبًا فَيُعْجِزُكُمْ وَيَكْرَهُ اللَّهُ مَا تَأْتُونَ وَالْكَرَمُ

وَذَكَرَ الْأَدِيبُ الْخَوَارِزْمِي بَيْتَ الْمُتَنَبِّي مِنْدَهْشًا مِنْدَهْلًا مُتَعَجِّبًا ؛ وَهُوَ

قَوْلُهُ :

أَزُورُهُمْ وَسَوَادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي وَأَنْثِي وَيَبَاضُ الصُّبْحُ يُغْرِي بِي

وَذَكَرَ الْأَدِيبُ مُحْيِي الدِّينِ اللَّادِقَانِي أَنَّ الْخَلِيلَ بْنَ أَحْمَدَ اخْتَارَ الْعَيْنَ مِنْ

بَيْنِ حُرُوفِ الْعَرَبِيَّةِ ، قَالَ : وَأَنَا اخْتَارَ الْمِيمَ ؛ لِأَنَّ الْمُتَنَبِّيَ نَظَّمَ عَلَيْهِ قَصِيدَتَهُ

الَّتِي مِنْهَا :

أَرَانِبُ غَيْرَ أَنَّهُمْ مُلُوكُ مُفَتَّحَةُ عُيُونُهُمْ نِيَامُ

وَلَقِيتُ الشَّيْخَ مُحَمَّدَ الشَّامِي قَاضِي بَيْشَةَ وَكَانَ عَالِمًا أَدِيبًا ، فَقَالَ : أَلَا

تَعْجَبُ مِنْ قَوْلِ الْمُتَنَبِّي :

فَفِي تَغْرَمِ الْأُولَى مِنَ اللَّحْظِ مُهْجَتِي بِشَانِيَةِ وَالْمُتْلِفُ الشَّيْءَ غَارِمُهُ

وَأَلْقَيْتُ بَعْضَ الْأَبْيَاتِ عَلَى أَحَدِ الْأَدْبَاءِ وَاعْتَذَرْتُ لَهُ بِقَوْلِ الْمُتَنَبِّي :

مَلِكُ مُنْشِدُ الْقَرِيضِ لَدَيْهِ وَاضِعُ الثُّوبِ فِي يَدَيِ بَزَازِ

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ : إِنِّي أَدْعُو فِي سَجُودِي بِمُضْمُونِ وَبِمَعْنَى

بَيْتِ الْمُتَنَبِّي :

يَا مَنْ أَلُوذُ بِهِ فِيمَا أُؤْمَلُهُ وَمَنْ أَعُوذُ بِهِ مِمَّا أَحَازِرُهُ

لَا يَجْبِرُ النَّاسُ عَظْمًا أَنْتَ كَاسِرُهُ وَلَا يَهْيِضُونَ عَظْمًا أَنْتَ جَابِرُهُ

وَتَذَاكَرْنَا الْعَشَقَ مَعَ الدُّكْتُورِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَحْطَانِي ، فَقَالَ :

لا رأي للعاشق ، كما قال المتنبي :

إِلَّامَ طَمَاعِيَهُ الْعَاذِلِ وَلَا رَأْيَ فِي الْحُبِّ لِلْعَاقِلِ

وذاكرت الدكتور الشاعر عبد الرحمن العشماوي في بدائع المتنبي ، فذكر

بيتين له مادحاً ومثنيأ ؛ وهما قوله :

وَمُرَادُ النَّفُوسِ أَصْغَرُ مِنْ أَنْ نَتَعَادَى فِيهِ وَأَنْ نَتَفَانَى

غَيْرَ أَنْ أَلْفَتَى يُلَاقِي الْمَنَايَا كَالِحَاتٍ وَلَا يُلَاقِي الْهَوَانَا

وذكر البرقوقي أن الناس في فهم المعاني درجات تبعاً لتباين قرائحهم ، كما

قال المتنبي :

وَلَكِنْ تَأْخُذُ الْآذَانُ مِنْهُ عَلَى قَدْرِ الْقَرَائِحِ وَالْعُلُومِ

وكنت أكتب عن النجاح ، ومن طرقه عدم التكلف ، فعثرت على بيت

للمتنبي أغلى من حمر النعم ؛ وهو قوله :

أَبْلَغُ مَا يُطْلَبُ النَّجَاحُ بِهِ الطُّ طَبْعُ وَعِنْدَ التَّعَمُّقِ الزَّلُّ

وقال الدكتور سعد البريك : إن العقل لا يدع صاحبه يتمتع بالملذات ،

كما قال المتنبي :

ذُو الْعَقْلِ يَشْقَى فِي النَّعِيمِ بِعَقْلِهِ وَأَخُو الْجَهَالَةِ فِي الشَّقَاوَةِ يَنْعَمُ

وكنت أحادث الدكتور محمد الرومي ابن سيرين العصر في تعبير الرؤيا

وكان مصاباً بالحمى ، فقلت له : كيف حالك ؟ فقال : أنا كما قال المتنبي :

وَزَائِرَتِي كَأَنَّ بِهَا حَيَاءً فَلَيْسَ تَزُورُ إِلَّا فِي الظَّلَامِ

* * *

آية الله ، المتنبي ، محبوب الجماهير

صار زميلي وصديقي آية الله أبو الطيب المتنبي أسطورة في عالم الشعر ،
فكل الكبار من العلماء والأدباء والساسة والمفكرين والفلاسفة والمصنفين
يلهجون بشعره ؛ لسحره وأسره ، وقوته وتأثيره ، ولموعه وسطوعه ، وذيوعه
وشيوعه .

أمر الرئيس الفرنسي السابق جورج بن بيدو بأن يكتب على الدبابات
الفرنسية ترجمة بيت المتنبي :

وَلَمْ أَرَ فِي عُيُوبِ النَّاسِ شَيْئًا كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ
وقال الكاتب الشهير النمساوي المسلم محمد أسد في كتابه « الطريق إلى
مكة » : إن بعض الأدباء شاهد أمير حایل عبد العزيز بن مساعد في عهد الملك
عبد العزيز ، فتمثل بقول المتنبي :

قَدْ زُرْتُهُ وَسُيُوفُ الْهِنْدِ مُغْمَدَةٌ وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَيْهِ وَالسُّيُوفُ دَمٌ
فَكَانَ أَحْسَنَ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ وَكَانَ أَحْسَنَ مَا فِي الْأَحْسَنِ الشِّيمُ

وكتب ابن تاشفين ملك المرابطين إلى ملك النصارى بيت المتنبي :
وَلَا كُتِبَ إِلَّا الْمَشْرِفِيُّ عِنْدَهُ وَلَا رُسُلٌ إِلَّا الْخَمِيسُ الْعَرْمَرُمُ
وقال ابن الجوزي في « صيد الخاطر » : الدنيا لا يفي سرورها بهما ،
كما قال المتنبي :

أَشَدُّ أَلْغَمٍ عِنْدِي فِي سُرُورٍ تَيَقَّنَ عَنْهُ صَاحِبُهُ أَنْتَقَالَ

وقال ابن القيم : من أدمن المعاصي . . هانت عليه نفسه ، كما قال المتنبي :
 مَنْ يَهْنُ يَسْهَلِ الْهَوَانُ عَلَيْهِ مَا لَجُرحِ بِمَيِّتٍ إِيلَامُ
 وذكر الغزالي في « الإحياء » : أن الإنسان لا بد له من الموت بعز أو بذل ،
 كما قال المتنبي :

وَالْأَ تَمْتُ تَحْتَ السُّيُوفِ مُكْرَمًا تَمْتُ وَتُقَاسِ الذُّلَّ غَيْرَ مُكْرَمٍ
 وذكر ابن كثير أن الشدائد طريق المجد ، كما قال المتنبي :
 لَوْلَا الْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلُّهُمْ الْجُودُ يُفْقِرُ وَالْإِقْدَامُ قَتَالُ
 وذكر طه حسين وفاءه ، كما قال المتنبي :

خُلِقْتُ أَلُوفًا لَوْ رَحَلْتُ إِلَى الصَّبَا لَفَارَقْتُ شَيْبِي مُوجِعَ الْقَلْبِ بَاكِيًا
 وقال متولي الشعراوي : القمم تحتاج إلى الهمم ، كما قال المتنبي :
 عَلَى قَدَرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ وَتَأْتِي عَلَى قَدَرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ
 وذكر الشيخ ابن باز سوء الظن ، فقال كما قال المتنبي :

إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ وَصَدَقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُمٍ
 وفي كتاب ابن عثيمين « الدماء الطبيعية » قول المتنبي :

فَإِنْ تَفَقَّى الْأَنَامُ وَأَنْتَ مِنْهُمْ فَإِنَّ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ
 وزرت ابن عثيمين في مرضه الأخير ، فقال : ما أخبار الشعر يا فلان -
 يقصدني - ؟ فقلت : كما قال المتنبي :

الْمَجْدُ عُوفِي إِذْ عُوفِيَ وَالْكَرَمُ وَزَالَ عَنْكَ إِلَى أَعْدَانِكَ الْأَلَمُ
 وذكر ابن حزم : أن أباه الوزير دخل عليه عدو له وقال : أنا وأنت كما قال
 المتنبي :

وَمِنْ نَكِدِ الدُّنْيَا عَلَى الْحُرِّ أَنْ يَرَى عَدُوًّا لَهُ مِنْ صَدَاقِهِ بُدُ

فقال أبوه : بل الصحيح :

وَمِنْ نَكَدِ الدُّنْيَا عَلَى الْخُرِّ أَنْ يَرَى صَدِيقاً لَهُ مَا مِنْ عَدَاوَتِهِ بُدُّ
وقال أحد العلماء : إن المسلم على حال واحدة في الرخاء والشدة ، كما

قال المتنبي :

وَحَالَاتُ الزَّمَانِ عَلَيْكَ شَتَّى وَحَالَكَ وَاحِدٌ فِي كُلِّ حَالٍ

وسمعت الدكتور القصيبي في (العربية) يستشهد بقول المتنبي :

إِنَّمَا تُنْجَحُ الْمَقَالَةُ فِي الْمَرْءِ إِذَا صَادَفَتْ هَوًى فِي الْفُؤَادِ
وسمعت الدكتور سلمان العودة في (إضاءات) يتكلم عن كلام الحساد ،

فقال كما قال المتنبي :

أَنَا مِلءٌ جُفُونِي عَنْ شَوَارِدِهَا وَيَسْهَرُ الْخَلْقُ جَرَّاهَا وَيَخْتَصِمُ

وذكر الدكتور عبد العزيز المقحم الاستفادة من أخطاء الآخرين ، فقال :

كما قال المتنبي :

بِذَا قَضَتِ الْأَيَّامُ مَا بَيْنَ أَهْلِهَا مَصَائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدُ

وحضرت مجلس تاجر يتمدح بالجود وهو لم يفعل ، فقال أحد طلبة العلم

من الحضور : المسألة كما قال المتنبي :

جُودُ الرِّجَالِ مِنَ الْأَيْدِي وَجُودُهُمْ مِنَ اللِّسَانِ فَلَا كَانُوا وَلَا الْجُودُ

وذكر الدكتور القصيبي : أن الأمير فيصل بن فهد اتصل به يسأله عن بيت

المتنبي في سيف الدولة حيث يقول :

وَكَيْفَ تَعْلُكَ الدُّنْيَا بِشَيْءٍ وَأَنْتَ لِعِلَّةِ الدُّنْيَا طَيِّبُ

وذكرت لأحد الأعيان كلام الحساد ، فقال لي ، كما قال المتنبي :

وَلِلَّهِ سِرٌّ فِي عِلَاكَ وَإِنَّمَا كَلَامُ الْعِدَا ضَرْبٌ مِنَ الْهَذْيَانِ

وطلب الإمام محمد عبده في مصر من الشعراء معارضة قصيدة المتنبي :
أَقْلُ فِعَالِي بَلْهَ أَكْثَرُهُ مَجْدُ وَذَا أَلْجَدُّ فِيهِ - نِلْتُ أَمْ لَمْ أَنْلُ - جَدُّ
وافتح عمرو موسى القمة العربية في تونس ، فذكر قول المتنبي :
الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ هُوَ أَوَّلُ وَهْيِ الْمَحَلِّ الثَّانِي
وسب الشريف المرتضى المتنبي عند أبي العلاء المعري ، فقال له
أبو العلاء معرضاً به :

لا تسبه أيها الأمير ؛ فهو صاحب قصيدة :

لَكَ يَا مَنَازِلُ فِي الْقُلُوبِ مَنَازِلُ

فغضب الأمير وقال : قاتلك الله ، تقصد آخر القصيدة :

وَإِذَا أَتَيْتَكَ مَذْمُوتِي مِنْ نَاقِصٍ فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلُ

وقال الدكتور سعيد بن مسفر : العز وحسن الصحبة في مقالة المتنبي :

أَعَزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنَا سَرْجُ سَابِجٍ وَخَيْرُ جَلِيسٍ فِي الزَّمَانِ كِتَابُ

وسألت الشيخ العلامة عبد العزيز الزهراني ، وقد بلغ الثمانين : كيف

حياتك ؟ فقال : كما قال المتنبي :

قَدْ ذُقْتُ شِدَّةَ أَيَّامِي وَلَذَّتْهَا فَمَا حَصَلْتُ عَلَى صَابٍ وَلَا عَسَلٍ

وزرت (أبها) ، فلقيت زميلي الدكتور محمد الحازمي ، فقال : أنا وإياك

كما قال المتنبي :

وَلَيْسَ الَّذِي يَتَّبِعُ الْوَبْلَ رَائِدًا كَمَنْ جَاءَهُ فِي دَارِهِ رَائِدُ الْوَبْلِ

وقال الأستاذ تركي الدخيل في جريدة الوطن : قال آية الله المتنبي في السر :

وَلِلسَّرِّ مِنِّي مَوْضِعٌ لَا يَنَالُهُ نَدِيمٌ وَلَا يُفْضِي إِلَيْهِ شَرَابُ

* * *

نون وقلم

يا أيها الذي جمع الحكم ؛ أما سمعت (نون والقلم) ، إن القلم شأنه عجيب ، ونبؤه غريب ، نحيف الجسم ، عظيم الاسم ، جميل الرسم ، إن خط في القرطاس .. أنصت له الناس ، بالقلم تُجهّز الجنود ، وترفع البنود ، وتوثق العقود ، وتُحلّ العهود ، بحروفه تقضي المحاكم ، وتُردّ المظالم ، وتُقطع الجماجم ، وتُعقد المواسم .

إن غضب .. فجّر الدماء ، وأباد الأحياء ، وأشعل حرباً شعواء ، وإن رضي .. منح المواهب ، وأعطى الرغائب ، وأهدى المناصب .

من حروفه يُجنى العسل ، وتسل الأسل ، إن شاء .. فمداده سم الحيات ، وأم النكبات ، وسبب البلايا الموجعات ، وإن أراد .. جعل سطوره نوراً ، وصيرها سروراً ، وملأها حبوراً ، ونمّقها حسناً منشوراً .

هو رسول القرون الأول ، وخادم الدول ، وحافظ الملل والنحل ، إذا سال لعبه .. كثر صوابه ، وحضر جوابه ، وتزاحم عبابه .

لا تسمع له كلاماً ، ولكنه صار للحكمة إماماً ، وللمعارف قائداً هماماً .
لفظه أغلّى من الياقوت ، به خط الوحي في الملكوت ، وهو الذي أخبرنا بطالوت وجالوت ، وهو أسحر من هاروت وماروت .

مصيبة القلم أنه يُذيع الأسرار ، ولا يكتُم الأخبار ، ولا يقرّ له قرار .
إذا تشجع .. ملأ الصفحات ، وعبأ المجلدات ، وبسط المختصرات ،

وإذا جبن.. ألغز وأوجز ، وطلسم وأعجز ، وإن تحامل.. همز ، وغمز
ونبز .

كتب به اللوح المحفوظ ، وسطر به العلم المحفوظ ، وقسم به رزق
المنحوس والمحفوظ .

تُخاطب به الملوك ، أهل الآفاق ، وتقطع به الجبابرة الأعناق ، ويُخوف به
الفساق ، ويُحذر به أهل النفاق والشقاق ، وسوء الأخلاق .
بالقلم يقضى الأمر ، ويقع القتل والأسر ، وينصت له أهل الدهر ، وتسطر
وقائع العصر .

أمضى من الألسنة ، لفظه ما أحسنه ، يخبر عمن مات من ألف سنة ، به
تسطر كل سيئة وحسنة .

تصبح الأوراق به في حسن الرياض ، ويسودّ به البياض ، ويذبّ به عن
الأعراض ، وبه تشفى الصدور من العلل والأمراض .
فتاك ، سفاك ، بتاك ، هتاك .

كتوم ، غشوم ، ظلوم ، عزوم .
هو الذي كتب رسائل الصفاء ، وهو ديج أسطر الوفاء ، وهو سجل أخبار
الخلفاء ، دون السؤال والجواب ، والشكوى والعتاب ، والخطأ والصواب ،
﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ ﴾ .

بريشته تحلّ العضلات ، وتشرح المشكلات ، وتُصان المأثورات ،
وتبقى المحفوظات .

يخطب بلا صوت ، ويأكل بلا قوت ، ويجمع بين الحياة والموت .
به يرسم الهجر والوصل ، والولاية والعزل ، والجِدّ والهزل .

به يقع العدل والحيث ، والحق والزيف ، وهو القاضي على السيف .

به تنسخ المعرفة ، وتنقل الفلسفة ، وتخط الزخرفة .

يسفسط ويقرمط ، وينسج ويدتج .

يهدم بكلمة بناء عام ، ويلغي بجملة كيد أقوام .

له غممة ، وهممة ، وتمتمة .

كم من عقل قلقه ، ومن قصر زلزله ، ومن بال بلبله ، ومن كيد أبطله !

برسائله عرفت الأرض والسماء ، وعلى رسمه خلدت آثار الحكماء ،

وبتصرفه سفكت الدماء ، وعلى حركته نسجت مآثر العلماء .

أفصح من اللسان ، وأحفظ من الإنسان .

إذا حملته الأصابع . . فانتظر القوارع ، وارقب الفواجع .

له أزيز كأزيز المرجل ، وديب كديب الأرجل ، وحصاد كحصاد

المنجل .

عار من اللباس ، دقيق الراس ، قوي الباس ، عظيم الأثر في الناس .

يشرب ولا يأكل ، ويجيب ولا يسأل .

إن عبأته مداداً . . أحال بياضك سواداً .

إذا غلط . . غطش ، وإذا احتد . . بطش .

عقله مرهون ، وخصمه مغبون ، وعذابه غير مأمون .

إن خط بالأحمر . . قلت : هذا شفق ، أو دم على ورق ، وإن نسخ

بالسواد . . صار المداد كنون عيون العباد ، وإن كتب بالأخضر . . قلت : هذه

طلعة بستان ، أو بهجة أفنان .

إذا سها . . رجع القهقرى ، وإذا شك . . مشى إلى الورا .

له رأس بلا عيين ، ولسان بلا شفتين ، وصدر بلا يدين .
لا يتكلم حتى يشبع ، ولا يخطب حتى يرضع ، ولا يسكت حتى يوضع ،
ولا يكتب حتى يقرع .

إن سلطته على مختصر .. شرحه ، أو على غامض .. أوضحه ، أو على
سر .. فضحه ، أو على عاصي .. نصحه .

إن كنت عربياً .. فهو أفصح من سحبان ، وإن كنت أعجمياً .. صار أنطق
من الهرمزان ، يسمعك وليس له أذنان .

إن نمت .. نام ، وإن قمت .. قام ، وإن جوعته .. صام ، وإن أهملته ..
هام .

والقلم بيانك ، وهو طوع بنانك .

وهو حاضر الفكر ، كثير الشكر ، صاحب ذكر .

إن حملة اللودعي ، وكتب به العبقري .. سالت أودية بقدرها ، وانبجست
عين من حجرها ، وإن صحبه البليد ، وخط به الرعديد .. كثر عثاره ، وتبدل
حماره ، وحجب عيونه غباره .

يوافق المزاج ، في الاستقامة والاعوجاج ، والثبات والارتجاج .

مسدد إلا إذا غضب ، ومليح إلا إذا عتب ، وفصيح إلا إذا حجب .

إذا انتهى زاده ، ونفذ مداده .. وقف جواده .

هونوا عليه اللوم وأقلوا ؛ فإنه لا يمل حتى تملوا .

إن لقنته حكمة .. وعاما ، وإن أرسلته إلى ذاكرة .. أخرج منها ماءها

ومرعاها .

وهو الذي سطر الحكمة تسطيراً ، فلم يغادر منها قليلاً ولا كثيراً ،

ولا صغيراً ولا كبيراً ، وإن قصد أحداً بالأذى .. فلن تجد له من دون الله ولياً
ولا نصيراً .

يرقص على نبضات قلبك ، فإن أوقفت الإملاء .. نادى : اذكرني عند
ربك ، فذكرك غذاؤه ، وكفك حذاؤه ، ومدادك ماؤه ، وجيبك وعاءه .
يعرف طريق النجاة ، وهو عظيم الجاه ، يعذر ولو جئنا ببضاعة مزجاة .
إن غلطت .. غلط ، وإن جهلت .. ركب الشطط ، لا يُغفل الشكل
والنقط .

صمت الخطباء وما صمت ، وسكت الشعراء وما سكت ، ومات الملوك
ولم يموت .

حذر به المصطفى الأكاسرة ، وأنذر به القياصرة ، وخوف به الجبابرة .
صُدِّرَ به قتل الحسين ، وخط به خلع الأمين ، وسُطر به الوحي في طور
سينين ، وروى لنا الجَمَلُ وصِفَّين .

يشعل الحرب ولا يحضرها ، ويستودع الأسرار فينشرها .
يتململ في كفك تلملم السليم ، ويتقلب تقلب السقيم ، ويبكي بكاء
اليتيم .

خط به أفلاطون كتاب « الجمهورية » ، وأقام به المعتصم وقعة عمورية ،
ونمّق به ابن تيمية « الواسطية » ، و« الحموية » ، و« التدمرية » ، نقل لنا
« سيرة ابن إسحاق » ، وحديث عبد الرزاق ، وعجائب الآفاق ، وأخبار
العشاق .

نقض الصعلوك ، ودفع الشكوك ، ونادم الملوك .
يفهم بالإشارة ، ويرسم العبارة .

إن كتب به الأحق . . تدفق ولم يترفق ، وضل ولم يوفق ، وإن كتب به
الرجل الرشيد . . جاءك بالقول السديد ، والعلم المجيد ، والنقل الحميد .
يطير العلم من الراس ، فيقيده القلم في القرطاس ، وإذا حملة الأمي . .
قال : لا مساس .

مؤدّب لا ينتقد ، ومقلّد لا يجتهد .
يسهر بلا قيام ، ويجوع بلا صيام ، له كل يوم شجون ، وعنده من الحكمة
فنون ، يخون الحفظ وهو لا يخون ، صغير الجرم ، كبير الجرم .

* * *

محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

خالد محمد خالد

أيُّ معلم كان ، وأيُّ إنسان ؟
هذا المُتَرَعُّ عظمة ، وأمانة ، وسموًّا .
ألا إن الذين بهرتهم عظمته لمعدورون .
وإن الذين افتدوه بأرواحهم لهم الراحون .
ابن عبد الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس في قِظ
الحياة .

أيُّ سرٍّ توافر له فجعل منه إنساناً يشرف بني الإنسان ؟
وأيُّ طُولٍ بسطها شطر السماء ؛ فإذا كل أبواب رحمتها ، ونعمتها ،
وهذا مفتوحة على الرحاب ؟

أيُّ إيمان ، وأيُّ عزم ، وأيُّ مضاء ؟
أيُّ صدق ، وأيُّ طهر ، وأيُّ نقاء ؟
أيُّ تواضع ، وأيُّ حب ، وأيُّ وفاء ؟
أيُّ تقديس للحق ، أيُّ احترام للحياة وللأحياء ؟
لقد آتاه الله من أنعمه بالقدر الذي يجعله أهلاً لحمل رايته والتحدث
باسمه ، بل يجعله أهلاً لأن يكون خاتم رسله ؛ ومن ثمَّ كان فضل الله عليه
عظيماً .

ومهما تبارَّ القرائح والأفهام ، والأقلام ، متحدثه عنه ، عازفة أناشيد

عظمته . . فستظل جميعاً كأن لم تبرح مكانها ، ولم تحرك بالقول لسانها .
 وإذا كانت صفحات الصدارة من هذا الكتاب تريد أن تستهل الكتاب
 بحديث عن الرسول عليه صلاة الله وسلامه . . فهي لا تطمع في أن توفي
 الحديث بعض حقه ، ولا تزعم أنها تقدّم الرسول العظيم - أي : إلى القراء -
 إنما هي - لا غير - (بنان) تومىء على استحياء إلى بعض سمات تفوّقه
 وعظمته ، التي جعلت أفئدة الناس تهوي إليه ، والتي جذبت نحوه في ولاء
 لا نظير له هؤلاء الذين يتحدث الكتاب عن بعضهم من مهاجرين وأنصار ،
 والتي لم تكد الحياة تنشقّ عبيرها ، حتّى جعلت من كل رياحها وأنسامها بُشراً
 بين يديها ، ورُسلًا إلى كل بقاع الإنسان ومواطنه ، حاملة مبادئ الدعوة ،
 وعبير الداعي ، صِدْقَ التعاليم ، وعظمة المعلم ، نورَ الرسالة ، ورحمة
 الرسول .

أجل ؛ تلك هي الغاية ، لا أكثر ؛ أن نبصر في ضوء شعاع من ضيائه الغامر
 بعض سمات عظمته النادرة التي نادى إليه ولاء المؤمنين ، وجعلتهم يَرَوْنَ فيه
 الهدف والطريق ، والمعلم والصديق .

ما الذي جعل سادة قومه يسارعون إلى كلماته ودينه ؛ أبو بكر وطلحة ،
 والزبير ، وعثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن
 أبي وقاص . . . مُتَخَلِّين بهذه المسارعة المؤمنة عن كل ما كان يحيطهم به
 قومهم من مجد وجاه ، مستقبلين - في الوقت نفسه - حياة تمورٌ مَوْرًا شديداً
 بالأعباء ، وبالصعاب ، وبالصرع ؟!

ما الذي جعل ضعفاء قومه يلوذون بحماه ، ويهرعون إلى رايته ودعوته ،
 وهم يبصرونه أعزل من المال ومن السلاح ، ينزل به الأذى ، ويطارده الشرُّ في

تحدّ رهيب ، دون أن يملك - عليه الصلاة والسلام - له دفعاً ؟!

ما الذي جعل جبّار الجاهلية عمر بن الخطاب وقد ذهب ليقطف رأسه العظيم بسيفه ، يعود ليقطِفَ بنفس السيف الذي زاده الإيمان مضاء رؤوس أعدائه ومضطهديه ؟!

ما الذي جعل صفوة رجال المدينة ووجهاءها يغدون إليه ؛ ليبايعوه على أن يخوضوا معه البحر والهول ، وهم يعلمون أن المعركة بينهم وبين قريش ستكون أكبر من الهول ؟!

ما الذي جعل المؤمنين به يزدون ولا ينقصون ، وهو الذي يهتف فيهم صباح مساء : « لا أملك لكم نفعاً ، ولا ضرّاً... ولا أدري ما يُفعل بي ولا بكم » ؟!

ما الذي جعلهم يصدّقون أن الدنيا ستفتح عليهم أقطارها ، وأن أقدامهم ستخوض خوضاً في ذهب العالم وتيجانه ، وأن هذا القرآن الذي يتلونه في استخفاء ، سترده الآفاق عالي الصبح قوي الرنين ، لا في جيلهم فحسب ، ولا في جزيرتهم فحسب ، بل عبّر جميع الزمان ، وجميع المكان ؟!

ما الذي جعلهم يصدّقون هذه النبوءة ، يحدثهم بها رسولهم صلى الله عليه وسلم ، وهم الذين يتلفتون فلا يجدون أمامهم وخلفهم ، وعن أيّمانهم وعن شمائلهم سوى القيظ ، والسَّعْب ، وحجارة تلفظ فَيَح الحميم ، وشجيرات يابسة ، طُلُعها كأنه رؤوس الشياطين ؟!

ما الذي ملأ قلوبهم يقيناً وعزماً ؟!

إنه ابن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، ومن كل هذا سواه ؟!

لقد رأوا رأي العين كل فضائله ومزاياه .

رأوا طهره ، وعفته ، وأمانته ، واستقامته ، وشجاعته .

رأوا سموه ، وحنانه .

رأوا عقله ، وبيانه .

رأوا الشمس تتألق تألق صدقه وعظمة نفسه .

سمعوا نموّ الحياة يسري في أوصال الحياة ، عندما بدأ محمد صلى الله عليه وسلم يفيض عليها من وَحْيِ يومه ، وتأمّلات أمّسه .
رأوا كل هذا ، وأضعاف هذا ، لا من وراء قناع ، بل مواجهة وتمرّساً ، وبصراً وبصيرة .

وحين يرى عربي تلك العصور شيئاً ويفحصه ، فلا يُنبِّئك أنتذِ مثلُ خبير .
فهل أهل « القيافة والعيافة » يرى أحدهم وقع الأقدام على الطريق ، فيقول لك : هذه قدم فلان بن فلان ، ويشمُّ أنفاس محدثه ، فيدرك ما تحت جوانحه من صدق وبهتان .

هؤلاء رأوا محمداً صلى الله عليه وسلم وعاصروه منذ أهلّ على الوجود وليداً .

لم تخفَ عليهم من حياته خافية .

حتىّ طور الطفولة ، ذلك الذي لا يلحظه إلا أهل الطفل وذووه ، كان بالنسبة لمحمد صلى الله عليه وسلم مرثياً مشاهداً لأهل مكة جميعاً ؛ ذلك أن طفولته لم تكن كبقية الطفولات ، ولقد لفتت أنظار الناس إليها بقدر ما انطوت عليه من رجولة مبكرة ومبادرة ، وبقدر ما عَزفت عن لهو الأطفال إلى جدّ الرجال .

فعلى سبيل المثال : كانت قريش تتحدث عن حفيد عبد المطلب الذي

ينأى عن ملاعب الأطفال وأسمارهم ، ويقول كلما دُعِيَ إليها : « أنا لم أخلق لهذا » .

وكانت تتحدث عما أنبأتهم به وأذاعته بينهم مرضعته حليلة ، حين عادت به إلى أهله ، حاكية لهم من ملحوظاتها ، ومشاهداتها ، وتجربتها مع الطفل ما أقنعها بأنه طفل غير عادي ، وأنه ينطوي على سرٍّ يعلمه الله وقد تكشفه الأيام .

وأما شبابه - يا لَطْهَرِ شبابه - فقد كان أكثر وضوحاً وإسفاراً ، وكان حديث قومه عنه وشغلهم به أكثر دأباً وإكباراً .

وأما رجولته . . فقد كانت ملء كل عين ، وأُذُن ، وقلب ، وكانت فوق هذا ضمير مجتمعه وقومه ، يقيسون بسلوكها وتصرفاتها كل رؤاهم عن الحقِّ ، والخير ، والجمال .

هي إذن حياة واضحة مقروءة من المهد إلى الممات .
كل رؤاه ، كل خطاه ، كل كلماته ، كل حركاته ، بل كل أحلامه ، وأمانيه ، وخاطرات نفسه ، كانت من أول يوم أهلَّ فيه على الدنيا حقاً للناس جميعاً .

لكن الله تعالى أراد هذا ؛ ليقول للناس : هذا رسولي إليكم ، وسيلته المنطق والعقل ، وهذه حياته كلها مُدَّ كان جنيئاً ، فبكل ما معكم من منطق وعقل افحصوها ، وحاكموها :

هل ترون فيها شبهة ؟ هل تبصرون زيفاً ؟

هل كَذَبَ مرة ؟ هل خان مرة ؟ هل هبط مرة ؟ هل ظلم إنساناً ؟

هل كشف عورة ؟ هل خَفَرَ ذمة ؟

هل قطع رحماً ؟ هل أهمل تبعة ؟ هل تخلى عن مروءة ؟
هل شتم أحداً ؟ هل استقبل صنماً ؟

ابحثوا جيداً ، وافحصوا تماماً ؛ فليس على طُورٍ من أطوار حياته ستر
ولا حجاب ، فإذا كانت حياته كما ترون وكما تبصرون نقاءً ، وصدقاً ،
وعظمة أفيسيغ المنطق والعقل أن يعرف الكذب بعد سن الأربعين رجل هذه
حياته ؟!

وعلى من يكذب ؟ على الله ، فيزعم أنه رسوله ، اختاره ، واصطفاه ،
وأوحى إليه ؟! لا .

الحسُّ والبداهة يقولانها ، والمنطق والعقل يقولانها .

فبأي أسلوب تفكرون ؟ وبأي حق تكذبون ؟!

هذا - فيما نحسب - كان مُنطلق المؤمنين الأوائل إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم المهاجرين منهم ، والذين آووا ونصروا .
ولقد كان منطلقاً حاسماً وسريعاً ، ليس للتردد ولا للتلكؤ معه
سبيل ؛ فإنسان له كل هذه الحياة المضیئة الطاهرة لا يمكن أن يكذب
على الله .

بهذه البصيرة النافذة ، رأى أولئك المؤمنون نور الله ؛ فاتبعوه .

ولسوف يحمدون بصيرتهم هذه عندما يرون فيما بعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم ينصره ربه ، وتدين له الجزيرة كلها ، ويفتح عليهم من أبواب
الرزق والغنائم ما لم يكونوا يحتسبون ، فإذا هو هو ، لا يزداد إلا زهداً ،
وتقشفاً ، وورعاً ، حتى يلقى ربه حين يلقاه ، وهو نائم فوق حصير تترك
أعواده في الجسد انطباعاتها الضاغطة !!

وحين يَرَوْنَهُ ، وهو الرسول صلى الله عليه وسلم الذي تملأ راياته الأفق
عزيزة ظافرة ، يصعد المنبر ، ويستقبل الناس باكياً وهو يقول :
« من كنتُ جلدتُ له ظهرأ . . فهذا ظهري فليقتدُ منه ، ومن كنتُ أخذتُ له
مالاً . . فهذا مالي فليأخذُ منه » .

وحين يَرَوْنَهُ وعُمُّه العباس يسأله أن يوليه عملاً من تلك الأعمال التي ظفر
بها كثير من المسلمين العاديين ، فيصرفه في رفق قائلاً له :
« إِنَّا والله يا عَمِّ ، لا نُؤَلِّي هذا الأمر أحداً يسأله ، أو أحداً يحرصُ
عليه » .

وحين يَرَوْنَهُ لا يشارك الناس ما ينزل بهم من خِصاصة فحسب ، بل يضع
لنفسه ولأهل بيته مبدأ لا يحيدون عنه ، هو : « أن يكونوا أول من يجوع إذا
جاع الناس ، وآخر من يشبع إذا شبع الناس » .
أجل ؛ سيزداد المؤمنون الأوائل حمداً لبصيرتهم التي أحسنت رؤية الأمور
في إقبالها ، بعد أن يزدادوا حمداً وشكراً لله الذي هداهم للإيمان .

وسيرَوْنَ أن الحياة التي كانت خير برهان على صدق صاحبها حين قال
لهم : « إني رسول الله إليكم » كانت عظيمة حقاً ، وكانت بعظمتها وطهرها
خير برهان على صدق المعلم العظيم والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ؛
فإن مستواها من العظمة والتفوق لم يهبط لحظة ولم يتعثر ، بل ظلَّ كما هو من
المهد إلى الممات .

وعَبَّرَ هذه الحياة وبعد بلوغها قَمَّتْها ، تبين كضوء النهار أن صاحب
هذه الحياة وهذه الرسالة ، لم يكن يسعى إلى جاه ، ولا مال ،
ولا سيادة ؛ فحين جاءته كل هذه معقودة بألويته الظافرة . . رفضها جميعاً ،

وعاش حياته حتى اللحظة الأخيرة الأواب المتبتل .

لم تتخلف نفسه عن أغراض حياته العظمى قيد شعرة .

ولم يخلف مواعده مع الله في عبادة ولا في جهاد .

فلا يكاد النصف الأخير من الليل يبدأ حتى ينهض قائماً ، فيتوضأ ، ويظل

كما اعتاد أبداً يناجي ربه ويبكي ، ويصلي ويبكي .

تراكمت الأموال بين يديه تلالاً ، فلم يتغير ، ولم يأخذ منها إلا مثلما يأخذ

أقل المسلمين شأنًا وأكثرهم فقراً ، ثم مات ودرعه مرهونة!!

دانت البلاد كلها لدعوته ، ووقف أكثر ملوك الأرض أمام رسائله التي

دعاهم بها إلى الإسلام وجليين ضارعين ، فما استطاعت ذرة من زهو وكبر ،

أن تمر به ولو على بُعد فراسخ .

وحين رأى بعض القادمين عليه يهابونه في اضطراب ووجل . . قال لهم :

« هَوَّنُوا عليكم ؛ إن أُمِّي كَانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ بِمَكَّةَ » .

ألقى كل أعداء دينه السلاح ، ومدُّوا إليه أعناقهم ؛ ليحكم فيها بما يرى ،

بينما عشرة آلاف سيف تتوهج الفتح فوق رُبا مكة في أيدي المسلمين ، فلم يزد

على أن قال لهم : « اذهبوا ؛ فأنتم الطُّلقاء » .

حتى حقَّه في رؤية النصر الذي أفنى في سبيله حياته ، حرم نفسه منه ؛ فقد

سار في موكب نصره يوم الفتح حانياً رأسه ، حتى تعذَّر على الناس رؤية

وجهه ، مردداً بينه وبين نفسه ابتهالات الشكر المبلَّلة بدمعه ، رافعاً إيَّاهَا في

حياء إلى ربِّه العلي الكبير ، حتى وصل إلى الكعبة ، وواجه الأصنام في

زحامها ، فأعمل فيها معولهُ وهو يقول : « جاء الحقُّ وزهق الباطل ؛ إِنَّ

الباطل كان زهوقاً » .

أَبْقَى ثَمَّةً رِيبَ فِي رِسَالَتِهِ ؟!

إنسان ينذر حياته لدعوة ، ليس له فيها أُنْيٌ مغنم شخصي من ثراء ، أو منصب ، أو جاه ، أو نفوذ ، حتى الخلود التاريخي لشخصه لم يكن في حسابه ؛ لأنه لا يؤمن إلا بخلود عند الله .

إنسان يقضي حياته من الطفولة إلى الأربعين في طهر وتأمل ، ثم يقضيها من الأربعين إلى منتهاها في عبادة ، وهداية ، وجهاد ، ونضال ، وتفتح له الدنيا ، فيركل كل أمجادها الباطلة ، ويظل لائذاً بمسلكه ، وعبادته ، ورسالته ، ثم يكون كاذباً! وفيم إذن كذبه ؟! ألا تنزه فيه الإنسان ، وتنزه فيه الرسول!!

قلنا : إن المنطق والعقل كانا - كما لا يزالان حتى اليوم - خير برهان على صدق محمد صلى الله عليه وسلم حين قال : « إني رسول الله » .

فليس يسيغ المنطق الرشيد ، ولا العقل السديد ، أن يكذب على الله إنسان هذه حياته من البدء إلى الختام .

فالمؤمنون الأوائل الذين سارعوا إليه . . كان معهم - إذن - بعد هداية الله لهم برهان من المنطق والعقل ، أُنْيٌ برهان .

ها هو ذا محمد صلى الله عليه وسلم قبل رسالته ، وها هو ذا بعد رسالته .

ها هو ذا والمهد يستقبله ، ثم ها هو ذا وفراش الموت يُدَثِّرُهُ .

هل ترى العين في طول حياته وعرضها من تفاوت ؟ أبداً .

والآن ، لنقف قليلاً على مقربة من السنوات الأولى لرسالته ؛ فتلك سنوات

قلماً نجد لها في تاريخ الثبات ، والصدق ، والعظمة نظيراً .

وتلك سنوات كشفت أكثر من سواها عن كل مزايا معلم البشرية وهاديها ،

وتلك سنوات كانت فاتحة الكتاب الحيّ ؛ كتاب حياته وبطولاته ، بل كانت قبل سواها - وأكثر من سواها - مَهْدَ معجزاته .

هناك عَبَّرَ تلك السنوات ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم وحيد أعزل ، قد غادر كل ما كان فيه من راحة ، وأمن ، واستقرار ، وخرج على الناس بما لا يألَفون ، بل قولوا : بما يكرهون .

لقد خرج عليهم يوجّه كلماته إلى عقولهم ، وما أشقَّ مهمة مَنْ يوجّه خطابه إلى عقول الجماهير بدلاً من عواطفها .

ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعل هذا فحسب ، فقد تهون عقبى توجيه الخطاب إلى العقول إذا كنتَ تقف مع الناس داخل دائرة العرف المشترك والأمل المشترك ، أما حين تناديهم من مستقبل بعيد ، تبصره ولا يبصرونه ، وتعيش فيه ولا يدركونه ، أجل ؛ حين تخاطب عقولهم وتنهض ؛ لتهدم أسس حياتهم من قواعدهم مخلصاً أميناً ، لا يحفزك غرض ، ولا مجد ، ولا هوى . . فهنا المخاطرة التي لا يقدر عليها إلا أولو العزم من الأبرار والمرسلين .

ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم بطل هذا الموقف ، وأستاذه العظيم .

لقد كانت عبادة الأصنام هي العبادة ، وشعائرها هي الدين .

ولم يلجأ الرسول صلى الله عليه وسلم للمناورة . . أيّة مناورة ؟!

إن وعورة الطريق ، وفداحة العبء ، كانا يشفعان له لو أنه استعمل ذكاءه النادر في تهيئة الأنفس قبل أن يفاجئها بكلمة التوحيد .

كان في وُسْعِهِ ، وكان من حقّه ، أن يمهد لعزل المجتمع عن آلهته التي

يتوارث عبادتها عبّر مئات السنين ، فيبدأ بحركة تطويق والتفاف ، بعيدة قدر المستطاع عن تلك المواجهة الصاعقة التي يعلم أنها ستُحرّك ضده من أول لحظة كلّ أحقاد قومه ، وستشحد ضده من أول لحظة كلّ ما معهم من سلاح .

ولكنه لم يفعل ، وهذه آية أنه رسول ، سمع صوت السماء داخل قلبه يقول له : قم ؛ فقام ، وبلّغ ؛ فبلّغ ، في غير مداجاة ، وفي غير هروب !
لقد واجههم من اللحظة الأولى بجوهر الرسالة ولباب القضية :
« يا أيها الناس ، إني رسول الله إليكم ؛ لتعبدوه ، ولا تشركوا به شيئاً » .
« إن هذه الأصنام لغو باطل ، لا تملك لكم ضرراً ولا نفعاً » .

من اللحظة الأولى ، واجههم بهذه الكلمات المبينة المسفرة ، ومن اللحظة الأولى ، واجه المعركة القاسية التي سيكتب عليه أن يخوضها حتى يغادر الحياة .

أو كان المؤمنون الأوائل في حاجة لحافز يدفعهم إلى مبايعة هذا الرسول ؟! أيّ ضمير حي لا يحركه هذا المشهد الفدّ الفريد ؟
مشهد رجل لم يعرفه الناس إلا كامل العقل ، كامل الخلق ، يقف وحيداً ، يواجه قومه بدعوة تتصدع من هول وقعها الجبال ، وتخرج الكلمات من فؤاده وفمه صادعة رائعة ؛ كأنما احتشدت فيها كل قوى المستقبل ، ومشيته ، وتصميمه ، كأنها قدرٌ يذيع بيانه !

ولكن ، ربما تكون هذه ومضة روح خيرة ، وبعد حين يعود محمد صلى الله عليه وسلم إلى نفسه ، يعبد ربه كما يشاء ، تاركاً آلهة قومه في مثواها ، وتاركاً دين قومه لسبيله .

لو أن هذه الخاطرة حوّمت حول بعض الأذهان آنئذٍ . فإن محمداً عليه الصلاة والسلام سرعان ما يبدها ؛ فقد أوضح للناس تماماً أنه رسول عليه البلاغ ، وأنه لا يملك أن يسكت ولا أن ينطوي على نفسه بما اهتدت إليه من حقّ ونور .

بل إنّ كل قوى العالم والطبيعة لن تقدر على إسكاته وصدّه ؛ لأن الله هو الذي ينطقه ، ويحركه ، ويقود خطاه .

وجاء ردّ قريش سريعاً ، كاللهب تطوح به ريح عاتية . وبدأت المُنغصات تنهال على نفسٍ لم تألف طول حياتها سوى الإجلال الذي ليس بعده إجلال .

وبدأ الرسول الرجل صلى الله عليه وسلم يُلقّن أول دروسه في أستاذية خارقة ، وتفانٍ عجيب .

وكانت صورة المشهد تملأ الزمان ، والمكان ، بل التاريخ . وذوو الضمائر الحية في مكة يطربون ، ويعجبون ، ويقربون . رأوا رجلاً شاهقاً عليّاً .

لا يدرون : هل استطال رأسه إلى السماء فلامسها أم اقتربت السماء من رأسه فتوجّته ؟!

رأوا تفانياً ، وصموداً ، وعظمة .

وكان أنضر ما رأوا ، وأروع ما بَصُرُوا به ، ذلك اليوم الذي ذهب فيه أشراف قريش إلى أبي طالب قائلين له :

يا أبا طالب ؛ إن لك سِنّاً ، وشرفاً ، ومنزلةً فينا ، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك ، فلم تنّهه عنّا ، وإنا - والله - لا نصبرُ على هذا من شتم آبائنا ،

وتسفيه أحلامنا ، وعيب آلهتنا ، حتى تكفُّه عَنَّا ، أو نُنَازِلُه وإيَّاكَ في ذلك ، حتى يهلك أحدُ الفريقين .

ويبعث أبو طالب إلى ابن أخيه صلى الله عليه وسلم ويقول له : يا ابن أخي ؛ إن قومَكَ قد جاؤوني ، وكلموني في أمركَ ، فأبقِ عليَّ وعلى نفسك ، ولا تحمِّلني من الأمرِ ما لا أطيق .

ماذا يكون موقف الرسول صلى الله عليه وسلم اليوم ؟

إن الرجل الوحيد الذي كان يقف إلى جانبه ، يبدو وكأنه سيتخلَّى عنه ، أو يبدو وكأنه غير مستعد ولا قادر على مواجهة قريش التي شحذت كل أنيابها . لم يتردد الرسول عليه الصلاة والسلام في الجواب ، ولم يتلعثم عزمه ، لا . . ولم يبحث عن الكلمات التي يثبت بها يقينه .

لقد كان يقينه هناك ناهضاً فوق منصَّة الأستاذية ، يلقي على البشرية كلها أبلغ الدروس ، ويلقنها أمضى مبادئها .

وهكذا تحدَّث ، فلا ندري ، أناسان يتكلم ؟ أم الوجود كله يعزف نشيداً ؟ !

« يا عَمَّ ؛ والله لو وضَعوا الشمسَ في يميني ، والقمرَ في يساري ، على أن أتركَ هذا الأمرَ حتى يُظهِرَهُ اللهُ أو أهلكَ فيه . . ما تركته » .

السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته .

ويا سيد الرجال ، لقد كانت كلماتك رجالاً .

استردَّ أبو طالب من فوره كل إقدامه وإقدام آبائه ، وشدَّ بكلتا يديه على يمين ابن أخيه قائلاً له : « قُلْ ما أَحَبَّبْتَ ، فوالله ، لا أسلمك لشيء أبداً » .

لم يكن محمد صلى الله عليه وسلم - إذن - يستمدُّ من عمِّه - رغم اقتداره -
الحماية والأمن ، بل إن محمداً صلى الله عليه وسلم هو الذي كان يفيض على
كل من حوله الحماية ، والأمن ، والثبات !

أيُّ إنسان من الناس الشرفاء ، يبصر مشهداً كهذا ، ثم لا يطير قلبه صوب
هذا الرسول صلى الله عليه وسلم حباً ، وتفانياً ، وإيماناً ؟ !
إن ثباته على الحقِّ ، وصموده مع الرسالة ، وصبره على الهول في
سبيل الله ، لا في سبيل نفسه أو نفعه .

كلُّ ذلك كان حريّاً أن يبهر العقول الذكية ، ويوقظ العقول الحيّة ؛ فتتبع
النور الذي يناديها ، وتسارع إلى الأمين الصادق صلى الله عليه وسلم الذي جاء
يطهرها ويهديها .

لقد رآه الناس والأذى ينوشه من كل جانب ، والعزاء الذي كان يجده في
عمِّه أبي طالب ، وفي زوجه خديجة تولى عنه ؛ فقد ماتا في أيام متقاربة .
ومن أراد أن يتصور مبلغ الاضطهاد ومدى الحرب التي شنتها قريش على
الرسول الأعزل صلى الله عليه وسلم . . فحسبه أن يعلم أن أبا لهب نفسه ،
الذي كان ألدَّ خصومه وأعدائه ، ناء ضميره ذات يوم بما يرى ؛ فأعلن أنه
يحمي الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويُجيريه ، ويقاوم كل عدوان ينزل به .
لكن الرسول صلى الله عليه وسلم ردَّ عليه جواره ، لبث شامخاً ، ناهضاً ،
متفانياً .

لا أحد يدفع عنه الأذى ؛ لأنه لا أحد يجد القدرة على أن يدفع عنه
الأذى .

حتى أبو بكر العظيم ، لم يكن يملك إلا أن يبكي .

ذهب الرسول صلى الله عليه وسلم يوماً إلى الكعبة ، وإذ هو يطوف بها
وثب إليه أشراف قريش المتربصون به ، وأحاطوا به يقولون : أنت الذي تقول
في آلهتنا كذا ؟ فيجيبهم في هدوء : نعم ، أنا أقول ذلك ، فيأخذون بمجمع
ثوبه ، وأبو بكر يتوسل إليهم ، وهو يبكي ويقول : أقتلونا رجلاً أن يقول :
ربِّي الله ؟!

ومن رأى الرسول صلى الله عليه وسلم يوم الطائف . . رأى من آيات صدقه
وتفانيه ما هو به جدير ، وله أهل ؛ لقد يَمَّم وجهه شطر ثقيف يدعوهم إلى الله
الواحد القهار .

ألا يكفيه ما يلقاه من عشيرته وأهله ؟
وألا يُحذره ذلك من أضعاف أضعاف هذا الأذى حين يجيئه من قوم ليس
بينه وبينهم رَحِمٌ ولا قَرَبى ؟
لا ، إن العواقب لا تدخل في حسابه بحال ؛ لقد قال له ربّه الأعلى :
﴿ عَلَيْكَ الْبَلَاءُ ﴾ .

وإنه ليذكر يوم اشتدّت عليه سفاهات قومه ، فعاد إلى بيته ، وتدَثَّرَ
أسفاً حزيناً بفراشه ، فإذا صوت السماء يقرع فؤاده ، وإذا الوحي يأتيه من
فوره ، ملقياً عليه الأمر الذي ألقاه عليه من قبل يوم الغار : ﴿ بَأْسًا يَآ أَيُّهَا الْمَدِينَةُ ﴾ * قُرْ
فَإَنذِرْ .

هو إذن مبلغٌ ونذير .

وهو إذن رسول لا يبالى بالأذى ، ولا يبحث عن الراحة ، فليذهب إلى
الطائف ؛ ليلبغ أهله كلمة الله .

وهناك أحاط به أشراف البلد ، وكانوا أشدّ لؤماً من زملائهم في مكة ؛ فقد

أَغْرَوْا به الأطفال والسفهاء ، وتخلوا حتى عن أقدس خصال العربي ، وهي إكرام الضيف وحماية المستجير .

لقد أطلقوا سفهاءهم وغلمانهم وراء الرسول صلى الله عليه وسلم يقذفونه بالحجارة .

هذا الذي عرضت عليه قريش أن تجمع له من المال ما يجعله أغناها ، ومن الجاه ما يجعله زعيمها ومَلِكُهَا ، فرفض قائلاً : « إنما أنا عبد الله ورسوله » .
ها هو ذا في الطائف ، وقد آوى إلى بستان يحتمي بحائطه من مطاردة السفهاء ، يمناه مبسوطة إلى السماء يدعو بها ربّه . . . ويسراه تدفع عن وجهه الحجارة المقدوفة ، وهو يناجي خالقه ومولاه قائلاً : « إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ غَضَبٌ عَلَيَّ . . فلا أبالي ، ولكنَّ عافيتك أوسعُ لي » .

أجل ؛ إنه لرسول يعرف كيف يناجي ربه في أدب عظيم ؛ فهو إذ يعلن أنه لا يبالي بالأذى في سبيل الله ، يعلن كذلك أنه في أشد الحاجة إلى العافية يمنحها الله .

إنه في موقف كهذا لا يتبذخ باحتماله وشجاعته ، ولا يزهو ؛ فمثل هذا الزهو في هذا الموقف قد يحمل معنى المنّ على الله ، وليس محمد صلى الله عليه وسلم من يخفى عليه ذلك .

ومن ثمّ ، فإن خير ما يعبر في مثل هذا الموقف عن شجاعته واحتماله ، هو صوت ضراسته وابتهاله .

وهكذا مضى يقول معتذراً إلى ربّه ومبتهاً : « اللهم ؛ إليك أشكو ضعف قوّتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ؛ أنت ربّ المستضعفين ، وأنت ربّي ، إلى من تكّلني ؟ إلى بعيد يتجهّمني ؟ أم إلى عدوّ

ملَّكته أمري ؟ إن لم يكن بك غضبٌ عليَّ . . فلا أبالي ، ولكن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن ينزل بي غضبك ، أو يحلَّ عليَّ سخطك ، لك العُتْبَى حتى ترضى ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ .

أيُّ ولاء هذا الذي يحمله الرسول صلى الله عليه وسلم لدعوته ؟ فردُّ أعزل ، تواجهه المكائد أينما ولَّى وسار .

ليس هناك من أسباب الحياة الدنيا ما يشدُّ أزره ، ثم هو يحمل كل هذا الإصرار ، وكل ذلك الصمود والولاء .

لقد رآه الناس يعود من الطائف إلى مكة لا يائساً ، ولا مهزوماً ، بل أكثر ما يكون أملاً ، وبشراً ، وتفانياً .

وإنه ليعرض نفسه على القبائل ، ذاهباً إليها في أحيائها ومواطنها : فيوماً عند قبيلة كندة ، ويوماً عند بني حنيفة ، ويوماً عند بني عامر . . . وهكذا ، قبيلة بعد قبيلة .

يقول لهؤلاء جميعاً : « إني رسولُ الله إليكم ، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأوثان » . وعند منازل القبائل القريبة ، كان أبو لهب يتبعه قائلاً للناس : لا تصدقوه ، إنما يدعوكم إلى الضلال .

ولقد رأى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في موقف العُسرة هذا ، يلتمس المؤمنين والنصراء ، فيلقاه الجحود والعداوة .

رأوه آنذاك يرفض كل مساومة ، ويرفض أن يكون للإيمان ثمن منْ دُنيا ، حتى لو يكون هذا الثمن مجردَ وعدٍ منه بجاءٍ أو سلطان .

ففي تلك الأيام اللافحة ، عرض نفسه على قبيلة بني عامر بن صعصعة ،
وجلس يحدثهم عن الله ، ويتلو عليهم كلماته ، فسألوه :

أرأيت إن نحنُ بايعناكَ على أمرِكَ ، ثمَّ أظهرَكَ الله على مَنْ خالفكَ . .
أَيكونُ لنا الأمرُ مِنْ بعدِكَ ؟

فأجابهم صلى الله عليه وسلم قائلاً : « الأمرُ لله يضعُه حيث يشاء » .

عندئذِ انفضوا قائلين : لا حاجة لنا بأمرِكَ .

وتركهم الرسول صلى الله عليه وسلم باحثاً عن المؤمنين الذين لا يشترُونَ
بإيمانهم ثمنًا قليلاً .

ولقد رآه الناس ، وقد آمَنت به قِلَّةٌ ، ومع هذا وبرغم قلة عددهم ، فقد
كان يجد فيهم إيناساً وصحبة .

بيدَ أنَّ قريشاً قررت أن تتولى كلَّ قبيلة تأديب المؤمنين منها .

وفجأة نزل العذاب كالعاصفة المجنونة بالمسلمين جميعاً ، ولم يترك
المشركون جريمة إلا اقترفوها .

وهنا تقع المفاجأة التي لم تكن في الحسبان .

إنَّ محمداً يأمر جميع المسلمين بالهجرة إلى الحبشة ، وسيبقى هو وحده
يواجه العدوان!!

لماذا لا يهاجر ، ويبلغ كلمة الله في مكان آخر ، فالله رب العالمين ،
وليس رب قريش وحدها ؟

أو لماذا لا يقيهم إلى جواره ؛ فإن في بقائهم نفعاً مؤكداً ؛ فوجودهم في
مكة - رغم قتلهم - يغري غيرهم بالدخول في دين الله ؟

ثم إن من بينهم عدداً غير قليل من أعلى أسر قريش وأكثرها قوة وبأساً .

فهناك مثلاً من بني أمية : عثمان بن عفان ، وعمرو بن سعيد بن العاص ،
وخالد بن سعيد بن العاص . . .

وهناك من بني أسد : الزبير بن العوام ، والأسود بن نوفل ، ويزيد بن
زمعة ، وعمرو بن أمية . . .

وهناك من بني زُهرة : عبد الرحمن بن عوف ، وعامر بن أبي وقاص ،
ومالك بن أهيب ، والمطلب بن أزهر . . .

هناك هؤلاء وسواهم ممن لن تصبر عائلاتهم طويلاً عن اضطهادهم وإنزال
الأذى بهم ، فلماذا لا يبقِيهم الرسول صلى الله عليه وسلم بجانبه ؛ ليشُدُّوا
أزره ، وليكونوا مناط قوة ممكنة في يده ؟

هنا تومضُ عظمة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فهو لا يريد
فتنة ، ولا يريد حرباً أهلية ، ولو كان فيها احتمال نصره ، بل اليقين من نصره .
وهنا تتجلى إنسانيته ورحمته ؛ فهو لا يطيق أن يرى الناس يعذبون بسببه ،
مع علمه وإيمانه بأن التضحية ضريبة كل جهاد نبيل ودعوة عظيمة ، فلتبذل
التضحية حين لا يكون ثمة مفر من بذلها .

أما الآن ، وهناك إلى تَوَقِّي العذاب سبيل ، فليذهب المسلمون إلى هذا
السبيل .

ولماذا لا يذهب هو معهم ؟

إنه لم يؤمر بالرحيل ، إن مكانه هنا ، في أرض الأصنام .

وسيطل يهتف باسم الله الأحد ، وسيظل يتلقى العذاب والأذى دون
ما ضجر ولا جزع ، ما دام هو الذي يُؤذى وليس أولئك الضعفاء الذين آمنوا
به واتبعوه .

بل ولا أولئك الأشراف الذين آمنوا به واتبعوه كذلك .

ومن كان يعرف من صور الثبات ، ونبل الفداء نظيراً لهذا . . فليأتنا به .

إنه سمو لا يقدر عليه إلا أولو العزم من المرسلين ، والمختارين .

إنَّ الإنسان والرسول التقيا في محمد صلى الله عليه وسلم لقاءً وثيقاً

باهرًا .

والذين استرابوا في رسالته ، لم يستريبوا في عظمتها ، ولا في صفاء

جوهره ، ونقاء إنسانيته .

وإن الله الذي يعلم أين يجعل رسالته ، قد اختار لها إنساناً يزكيه أقصى

ما تطمح البشرية في إدراكه من رفعة ، وسمو ، وأمانة .

لقد سمعه الناس ورأوه يزجرهم عن كل مبالغة في تعظيم شخصه ، بل -

أيضاً - عما هو دون المبالغة بكثير وكثير .

إنه ليزجرهم عن مجرد القيام له حين يقدم عليهم وهم جلوس ، فيقول

لهم : « لا تقوموا كما تقوم الأعاجم ، يُعظم بعضهم بعضاً » .

وتلُم ظاهرة الكسوف بالشمس يوم وفاة ولده الحبيب إبراهيم ، فيتحدث

المسلمون بأنها كسفت حزناً على إبراهيم ، فيسارع الرسول الأمين العظيم صلى الله

عليه وسلم إلى تفنيد هذا الادعاء ودحضه ، قبل أن يتحوّل إلى أسطورة .

ويقف في المسلمين خطيباً ويقول : « إنَّ الشمس والقمر آيتان من

آيات الله ، لا ينخسفان لموت أحد ، ولا لحياته » .

إنه الأمين على عقول الناس وتفكيرهم ، وقيامه بحق هذه الأمانة خيرٌ عنده

وآثر لديه من ملء الأرض مجدداً وتمجيذاً .

ولقد كان صلى الله عليه وسلم يعلم علم اليقين أنه جاء الحياة الإنسانية

ليغيرها ، وأنه ليس رسولاً إلى قريش وحدها ، ولا إلى العرب وحدهم ، بل رسول الله إلى الناس كافة .

وقد فتح الله سبحانه بصيرته على المدى البعيد الذي ستبلغه دعوته ، وتخفق عنده رايته .

ورأى رأي اليقين مستقبل الدين الذي بشر به ، والخلود الحي الذي سيكون له ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ورغم ذلك كله لم ير في نفسه ، ولا في دينه ، ولا في نجاحه الذي لن تشهد الأرض له مثيلاً ، أكثر من لبنة في البناء .

ووقف الإنسان العظيم صلى الله عليه وسلم يعلن هذا في أوضح بيان ، فيقول :

« مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي ؛ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتاً فَأَحْسَنُهُ وَأَجْمَلُهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبَنَةٍ فِي زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ ، وَيَقُولُونَ : هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبَنَةُ ، فَأَنَا تِلْكَ اللَّبَنَةُ ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ » .

كل هذه الحياة التي عاشها ، كل جهاده وبطولاته ، كل عظمته وطهره ، كل هذا الفوز الذي حققه دينه في حياته ، والفوز الذي كان يعلم أنه سيبلغه بعد مماته ، كل ذلك ، وليس إلا لبنة ، لبنة واحدة في بناء شاهر عريق ! وهو الذي يعلن هذا ، ويقول له ، ويصرُّ على توكيده !

ثم هو لا ينتحل بهذا القول تواضعاً يغذي به جوعاً إلى العظمة في نفسه . بل يؤكد هذا الموقف باعتباره حقيقة تشكل مسؤولية تبليغها وإعلانها جزءاً من جوهر رسالته .

ذلك أن التواضع على الرغم من أنه خلق من أخلاق محمد صلى الله عليه

وسلم الأصيلة لم يكن الدليل الذي يدل على عظمته ويشير إليها ، فإن عظمة
الرسول صلى الله عليه وسلم بلغت من التفوق والأصالة ما جعلها آية نفسها ،
وبرهان ذاتها .

هذا هو معلّم البشر ، وخاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم .
هذا هو النور الذي رآه الناس وهو يحيا بينهم بشراً ، ثم رآه العالم بعد
رحيله عن الدنيا حقيقة وذكراً .



أشرف المطالب

العلم أشرف مطلوب ، وأجل موهوب .
والعلماء ورثة الأنبياء ، وسادة الأولياء ، والشهداء على الألوهية ،
والدعاة إلى الربوبية .
تستغفر لهم حيتان الماء ، وطيور السماء ، وتدعو لهم النملة ، وتستغفر
لهم النحلة .
ولايتهم لا تقبل العزل ، وأحكامهم ليس فيها هزل ، مجالسهم عبادة ،
وكلامهم إفادة .
يوقعون عن رب العالمين ، ويفضلون الناس أجمعين ، وكما يُهتدى
بالنجوم في ظلم البر والبحر ، فهم منائر الأرض يهتدى بهم في كل أمر .
العلم في صدورهم ، والله يهدي بنورهم ، وينزل عليهم الرضوان في
قبورهم ، هم حملة الوثيقة ، والشهداء على الخليقة .
كلامهم محفوظ منقول ، وحكمهم ماضٍ مقبول .
بهم تصلح الديار ، وتعمر الأمصار ، ويكتب الأشرار ، وهم عز الدين ،
وتاج الموحدين ، وصفوة العابدين .
هم أنصار الملة ، وأطباء العلة ، يذودون عن حياض الشريعة ، ويزجرون
عن الأمور الفظيعة ، وينهون عن المعاصي الشنيعة .
هم خلفاء الرسول ، ثقات عدول ، ينفون عن الدين تأويل

المبطلين ، وتحريف الجاهلين ، وأقوال الكاذبين .

مذاكرتهم من أعظم النوافل ، ومرافقتهم من أحسن الفضائل ، وهم زينة المحافل .

بهم تقام الجماعات والجمع ، وبهم تقمع البدع .

هم الكواكب في ليل الجهل ، وهم الغيث يعم الجبل والسهل .

عالمٌ واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ؛ لأن العالم يُدرك الحيل ، ولا تختلط عليه السبل .

يكشف الله بهم تلييس إبليس ، ويدفع الله بهم كل دجال خسيس .

أحياء بعد موتهم ، موجودون بعد فوتهم ، علمهم معهم في البيوت والأسواق ، ويزيد بكثرة الإنفاق .

أقلامهم قاضية ، على السيوف الماضية .

بصائرهم تنقب في مناجم النصوص ، وعقولهم تركب الدر في

الفصوص .

الناس يتقاسمون الدرهم والدينار ، وهم يتوزعون ميراث النبي المختار .

لو صَلَّى العابد سبعين ركعة .. ما عادلته من العالم دمعة ، فهم أهل

العقول الصحيحة ، وأرباب النصيحة .

أما العلم .. فشرف الدهر ، ومجد العصر ، ذهب الملك بحراسه ،

وبقيت بركة العالم في أنفاسه ، فني السلاطين ، ووُسِدوا الطين ، وخلد ذكر

أهل العلم أبداً ، وبقي ثناؤهم سرمداً .

العلم أعلى من المال ، وأهيب من الرجال ، به عُبد الديان ، وقام

الميزان ، وبه نزل جبريل ، على صاحب الغرة والتحجيل ، وبه عرفت شرائع

الإسلام ، ومُميّز بين الحلال والحرام ، وبه وُصِلت الأرحام ، وحُلَّ كلُّ نزاع
وخصام .

وبالعلم قام صرح الإيمان ، وارتفع حصن الإحسان ، وبيّنت العبادات ،
وشرحت المعاملات .

وهو الذي جاء بالزواج ، عن الصغائر والكبائر ، وفقّه الناس به الفرائض
والنوافل ، والآداب والفضائل ، ونصبت به معالم الشُّنن ، وكُشف به وجه
الفتن ، ودلَّ به على الجنة ، ودعي به إلى السنة .

وهو الذي سحق الوثنية ، وهدم كيان الجاهلية ، ونهَى عن سبيل النار ،
وموجبات العار ، ووسائل الدمار ، وبه حُورب الكفرة ، وطُرد الفجرة .

وهو من العلل دواء ، والشكوك شفاء ، ينسف الشبهات ، ويحجب
الشهوات ، ويصلح القلوب ، ويرضي علاّم الغيوب ، وهو شرف الزمان ،
وختم الأمان ، وهو حارس على الجوارح ، وبوابة إلى المصالح .

وصاحبه مهّاب عند الملوك ، ولو أنه صعلوك ، وحامله ممجّد مسودّ ،
ولو كان عبداً أسود .

يجلس به صاحبه على الكواكب ، وتمشي معه المواكب ، وتخدمه
السادة ، وتهابه القادة ، وتُكتب أقواله ، وتُقتفى أعماله ، وتحترمه الخاصة
والعامة ، ويدعى للأمور العامّة ، مرفوع الهامة ، ظاهر الفخامة .

عظيم في الصدور ، غني بلا دُور ولا قصور ، الله بُغيته ، والزهد حليته ،
مسامرته للعلم قيام ، وصمته عن الخنا صيام .

رؤيته تُذكرُ بالله ، لا يعجبه إلا الذكر وما والاّه ، عرف الحقيقة ، وسلك
الطريقة ، به تقام الحجة ، وتعرف المحجة ، وهو بطل المنابر ، وأستاذ

المحابر ، والمحفوظ اسمه في الدفاتر .

والعلم وسام لا يُخلع ، وهو من الملك أرفع ، وهو إكليل على الهامة ،
ونجاة يوم القيامة ، ينقذ صاحبه من ظلمات الشك والريبة ، ويخلصه من كل
مصيبة ، وهو علاج من الوسواس ، وفي الغربة رضاء وإيناس ، وهو نعم
الجلس والأنيس ، وهو المطلب النفيس .

يغنيك عن المسومة من الخيل ، والباسقات من النخل ، ويكفيك عن
القناطير المقنطرة ، والدواوين المعطرة .

وحسبك به كفاية عن كل بناء ، وعن الحدايق الغناء ، والبساتين الفيحاء .
وهو الحكمة التي مَن أوتيها . . فقد أوتي خيراً كثيراً ، والمُلْك الذي من
أعطيه . . فقد أعطي ملكاً كبيراً .

وصاحب العلم غنيٌّ بلا تجارة ، أمير بلا إمارة ، قويٌّ بلا جنود ، والناس
بالخير له شهود .

مات القادات والسادات ، وذكرهم معهم مات ، إلا العلماء ؛ فذكرهم
دائم ، ومجدهم قائم ، فالسنة الخلق أقلام الحق ، تكتب وتخط لهم الشاء ،
وأفئدة الناس صحف تحفظ لهم الحب والوفاء .

كان أبو حنيفة مولىً يبيع بزاً ، ولكنه بعلمه هزّ الدنيا هزّاً ، وكان عطاء بن
أبي رباح ، خادماً لامرأة في البطاح ، فنال بعلمه الإمامة ، وأصبح في الأمة
علامة ، وابن المبارك عبد الله ، المولى الإمام الأواه ، والأعمش ومكحول ،
كانوا من الموالي ولكنهم أئمة فحول ، فالعلم يرفع صاحبه بلا نسب ، ويشرفه
بلا حسب .

وإنما يحصل العلم بخدمته كلّ حين ، وطلبه ليعبد به رب العالمين ، وطى

الليل والنهار في تحصيله ، والسهر على تفصيله ، ومذاكرته كل يوم ، والاستغناء به عن حديث القوم ، ومطالعة مصنفاته ، ومدارسة مؤلفاته ، وتقييد أوابده ، وحفظ شوارده ، وتكرار متونه ، ومعرفة عيونه .

فمن طلبه بصدق ، وحرص عليه بحق . . فهو مهاجر إلى الله ورسوله ، تفتح له أبواب الجنة عند وصوله ، وهو مرابط في ثغور المرابطين ، وجواد في صفوف المعطين ، ومداده في الأوراق ، كدماء الشهداء المهرق ؛ لأنه مقاتل بسيف النصوص ، قُطّاع طريق الملة واللصوص ، وقد يجمع الله به الأشرار ، ما لا يقوم به جيش جرّار ؛ فإن الله يُجري حجّته على لسانه ، ويُسيّر موعظته في بيانه ، فينزعه الله بكلامه حظّ الشيطان من النفوس ، ويجتث به خطرات الزيغ من الرؤوس ، ويغسل الله بمعين علمه أوساخ القلوب ، وينفض بنصائحه أدران الذنوب ، فكلما بنى إبليس في الأرواح ضلالة . . جاء العالم فأزهاقها ، وكلما نسج في الأنفس خيمة للباطل . . قام العالم فمزّقها .

صاحب المال مغموم مهموم ، خادم وليس بمخدوم ، حارس على ماله ، بخيل على عياله ، وصاحب العلم سعيد مسرور ، يعمره الحبور ، ويملاً فؤاده النور ، بلغ من السؤدد غايته ، ومن الشرف نهايته ، تجبى إليه ثمرات كل شيء من لطائف المعارف ، وتهوي إليه أفئدة الحكمة وهو واقف ، يأتيه طلبه العلم من كل فجّ عميق ، كأنما يؤمّن البيت العتيق ، في قلبه نصوص الشريعة ، ينزل عليها ماء الفقه فتهتزّ وتربو ، وتنبث من كل زوج بهيج .

فترى العالم يجول فكره في الملأ الأعلى والناس في أمر مريج ، فقلب العالم له جولان في فضاء التوحيد ، وقلب الجاهل في غابات الجهل بليد ، أشرقت في قلب العالم مشكاة فيها مصباح ، وتنفس في نفسه نور الصباح ،

أنزل من السماء ماءً فسالت أودية بقدرها ، فاخضرت روضة العالم على أثرها .
 صيد الكلب المعلم حلال ، وصيد الكلب الجاهل حرام ووبال ، وما ذاك
 إلا لشرف العلم حتى في البهائم ، ومكانة المعرفة حتى في السوائم .
 والهدهد حمل علماً إلى سليمان ، فسطر الله اسمه في القرآن ، فهو
 بالحجة دمع بلقيس ، وأنكر عليهم عبادة إبليس ، وحمل من سليمان رسالة ،
 وأظهر بالعلم شجاعة وبسالة .
 فعليك بالعلم ، والفهم فيه الفهم ، وتصدّق عليه بنوم الجفون ، وأنفق
 عليه دمع العيون ، واكتبه في ألواح قلبك ، واستعن على طلبه بتوفيق ربك ،
 وأتعب في طلبه أقدامك ، وأشغل بتحصيله أيامك .
 وإذا سهر الناس على الأغاني . . فاسهر على المثاني ، وإذا وقع القوم في
 الملذات ، وأدمنوا الشهوات . . فاعكف على الآيات البيّنات ، والحكم
 البالغات .
 وإذا احتسى العصاة الصهباء . . فاكرع من معين الشريعة الغراء ، وإذا
 سمعت اللاهين يسمرون ، وعلى غيهم يسهرون . . فصاحب الكتاب ؛ فإنه
 أوفى الأصحاب ، وأصدق الأحباب .
 وإذا رأيت الفلاح يغرس الأشجار ، ويفجّر الأنهار . . فاغرس شجر العلم
 في النفوس ، وفجّر ينابيع الحكمة في الرؤوس ، وإذا أبصرت التجار يصرفون
 الفضة والذهب . . فاصرف الحجة كالشهب ، وأطلق الموعظة كاللهب .
 يكفيك أن العلم يدّعيه غير أهله ، وأن الجهل ينتفي منه الجاهل وهو في
 جهله ، يرفع العالم الصادق بعلمه على الشهيد ؛ لأنه يقتل به كل يوم شيطان
 مريد .

العالم سيوفه أعلامه ، وصحفه أعلامه ، ومنبره ظهر حصانه ، وحلقته
حلبة ميدانه .

العالم يفرّ من الدنيا وهي تلحقه ، ويأبى المناصب وهي ترمقه .
والعلم هو العُضْب المهند ليس ينبو ، وهو الجواد المضمر الذي لا يكبو ،
ولكن المقصود بهذا العلم علم الكتاب والسنة ، الذي يدلّك على طريق
الجنة ، وهو ما قادك إلى الاتباع ، ونهاك عن الابتداع ، فإن كسرك وهصرك
ونصرك . . فهو علم نافع ، فإن أعجبك وأطربك وأغضبك . . فهو علم ضار .
ما كسرك عن الدنيا الدنية ، والمراكب الوطيّة ، والشهوات الشهية ،
وهصرك عن العلو في الأرض ، ونسيان يوم العرض ، ونصرك على النفس
الأمارة ، والأمانى الغدارة . . فهذا هو العلم المفيد ، والعطاء الفريد .

* * *

الكلمة الطيبة

الحمد لله ذي الجلال والإكرام ، والصلاة والسلام على أجل خطيب وأنبل إمام ، وعلى آله وصحبه ما شدا حمام ، وهطل غمام ، واكتمل بدر التمام .
أما بعد :

فمثل كلمة طيبة ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ .
والكلمة الطيبة : تقيم مبادئ ، وتنشئ أرواحاً ، وتحرك أجيالاً ، وتنبئ شعوباً .

الكلمة الطيبة : تصلح خطأ ، وتنصب عدلاً ، وترخص باطلاً ، وتسحق زيفاً .

والكلمة الطيبة : طريق العمل ، واستفادة من الماضي ، ونشيد حماسي لليوم ، وأمل وإعد للمستقبل .

وأقوى ما تكون الكلمة على منبر الوعظ ، يوم تطرق الرؤوس ، وتسكت النفوس ، وتشرئب الأعين ، ويسود الصمت فلا تسمع إلا همساً .

حينها ينتصب الخطيب ، ويتدفق لسانه بالحجج ، وتنساب نغماته في الأرواح انسياب الماء في العود ، والحب في المِهْج ، والنور في التيار .

وينسج الخطيب الخطير بكلامه من الأمة العاطلة المُستَكينة أمة عاملة مُنتجة فاعلة ، تبني وتغرس ، وتكتب وتقرأ ، وتعطي وتدفع .

أول ما فعله صلى الله عليه وسلم بأمة الصحراء أنه خطبهم ووعظهم ،

وبشّرهم وأنذرهم ، وأمرهم ونهاهم ، فتحوّل عبّاد الأوثان إلى أئمة طُهر ،
ونجوم هدى ، وسُراق الحجيج إلى مرابطين في الثغور ، وشعراء الخمر
والمجون إلى أدباء للحكمة ، وشداة للحق ، والأعراب الحُفاة إلى عبّاد
ترجف أعضاؤهم في السّحر بالخشية .

الرسول صلى الله عليه وسلم أعظم الخطباء ، كما قيل :
مَا بَنَى جُمْلَةً مِنْ أَلْفَظٍ إِلَّا اِئْتَنَى أَلْفَظُ أُمَّةٍ مِنْ عَفَاءٍ
إِنَّ اللسان الصادق البليغ يفعل في الأمم فعلَ الجيوش الجرّارة ، والكتائب
الهادرة ، والجنود المغامرين .

واللسان الصادق البليغ يخاطب الأرواح مباشرة ، ويناجي النفوس بلا
حجاب ، ويُشاجي البصائر بما أراد .

وبالخطبة المؤثرة الواصلة يدركُ حُداة الحقّ ورؤّاد الفضيلة مطالبهم ، فعند
سماع الخطبة يشجع الجبان ، ويسخو البخيل ، وينبل الخامل ، ويجاهد
القاعد ، ويثوب المحطّم ، وعند سماع الخطبة يُطعمُ الفقير ، ويكسى
العاري ، ويُعان المنكوب ، ويمسح دمعُ المصاب .

الخطب الهادرة الطنّانة تُشعل الحماس في رؤوس المقاتلين ، والغيرة في
نفوس المدافعين ، والحميّة في أفئدة أبطال الكفاح .

وبُلغاء الخطباء يدعون إذا ادلّهم خطب ، ووقعت واقعة ، وحلّت داهية ؛
ليقولوا كلمتهم في الحشود ، ويُلْقُوا عصا الحجّة في الجُموع ، فإذا هي تلقف
كل باطل ، وتلتهم كل حدث .

بُلغاء الخطباء ينسجون في وقفة واحدة تاريخاً طويلاً ، وينظمون في لحظة
قصيرة آمالاً كبيرة .

إن انتصرت الأمة .. مجّدوها ، حتى تصل هامتها الثرىا ، وإن غلبت ..
رفعوها ولو كان رأسها على الثرى .

إن خطبوا في فنّ الشجاعة .. هوّنوا الموت على الجنود ، حتى كأنه حضور
مهرجان ، ومُشاهدة حدائق ذات أفنان ، ورغبوا الجيوش في البسالة ، حتى
كأن الحياة بلا موت لا شيء ، والبقاء بلا دفاع فناء ، والعيش بلا نضال عار ،
يهوّنون شأن العدو ، حتى كأن سيوفهم أقلام كاتبين ورماحهم أغصان لاعبين :
فَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ قَنَاءٌ كَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ خِضَابُ
وإن خطبوا في الأغنياء مُلتَمسين البذل والسّخاء .. جعلوا العطاء حياة ،
والإمساك موتاً ، والإنفاق سعادة ، فعلى زجل كلامهم تنهل الدراهم
والدنانير ، ومع وقع عباراتهم يسقط الذهب والفضة ، وبخطبهم تفرغ القناطير
المقنطرة من أكياسها ، وتخرج الكنوز من أكداسها .

يخطبون في الفقراء فيُحيلون مرارة العدم إلى سعادة ، وبذاذة البؤس إلى
مكرمة ، فإذا الفقير محسود بفقره مغبوط بعُدْمِهِ ، يرى أن فقره سبيل إلى قلة
التبّة ، وخفة السير ، وضحالة الخطايا ، وارتياح الروح .

ويخطبون في المنكوبين ، فإذا تيجان المدائح على رؤوسهم ، وألوية
الفضل تخفق فوق هاماتهم ، فكلّ منكوب يرى أنه مجتبي بنكبته ، مُصطفى
بمصيبته .

والخطباء اللامعون يحيلون بجلال العبارة وقديسيّة الكلمة صدمة الهزيمة
إلى انتصار ، وهزّة الفاجعة إلى استعلاء .

وهل الأحداث والوقائع والمثلات إلّا نتائج للكلمات الملتهبة والخُطب
المجنّحة الهادِرة !؟

خطب صلى الله عليه وسلم خطبة ضافية في بدر قرّبت الجنة لعُشّاق السعادة ، وبَغَّضت البقاء عند محبِّي الدنيا ، وسهّلت الموت على طالبيه ، والقتل على راغبيه ، فتسابق المؤمنون على وقع كلامه صلى الله عليه وسلم ، وكأنهم في صراع الأعداء ، يلجّون أبواب الجنة الثمانية ، وفي نزال الكُفّار يطوفون بالكوثر ، وفي حرّ هامات الوثنيين يخسّون الكأس الدّهاق في جنة عدن .

وخطب صلى الله عليه وسلم قبل أحد بيوم ، فأبى الأبطال البقاء في المدينة ، وحثّوا السَّير إلى أحد ، ورنين الخطبة في الآذان كأنها طلائع الجيوش ، ورايات الكتائب ، وأعلام الجنود .

ولمّا مات صلى الله عليه وسلم . . وقع الخطب الجلل ، والحدث الفادح ، فقام أبو بكر الصّديق فعزّى في المصاب ، وسلّى الخطب ، ودمل الجراح ، ومسح الدمع ، وأعاد للهَمَم توقّدها ، وللنفوس إشراقها ، وللضمائر حياتها .

فكأن الكلام الذي ارتجله كلام جديد ، هبط من الغيب على أجنحة القبول ، وهبط من الفلك على أوسمة المحبّة .

عَبَر طارق بن زياد البحر ، ولقي العالم الكافر ، واحتدم الهول ، وقامت قيامة الأبطال ، فهتف بخطبة طنّت لها آذان الشُّجعان ، ورنّت لها رماح الأقران ، وتقدّم على صليلها الجبان ، فهو يزبد ويرعد ، والصفوف تتقدّم ، والمنايا تقع على الرُّؤوس ، والموت يُداعب النفوس ، فإذا جيوش المسلمين على هدير خطبة طارق تطرق باب الفتح ، ترفع علم الانتصار ، وتعفر أنوف الطّغام برغام المعركة .

الأرواح طواعية ، ويأسر النفوس أسراً ، ويكسر جماجم الفصاحة على رؤوس الشهود كسراً .

يرتجل الخطبة فكأنَّ كل جملة لوحة هائمة في الجمال ، روعة في الحُسن ، غاية في النَّفاسة .

فعليُّ أبو الحسن هو الفصاحة وهي هو .

وكان ابن الجوزي يَعْظُ الناس فتقع في مجلس وعظه صور غير عاديَّة في حياة الناس ، انخلاع في النفوس ، تدفُّق في الدموع ، ذُهُول في الجمهور ، وجلُّ في قلوب الحُضور ، فذاك يصرخ تائباً ، وهذا يَنْتَحِب نادماً ، وهذا يُغْمِي عليه ، وذاك ينسحق تحت سِياط الوَعْظ .

بعض الخطباء يخطب في الجلوس فيجثون على الرُّكب ، ويزحفون إليه ، وتنقطع أبصارهم فيه .

وبعض الخطباء يخطب في الجُموع فلا تنبس شفة ، ولا تتحرك أنملة ، ولا يرمش طرف .

وبعض الخطباء إذا خطب . . قعقع منبره بهدير صوته ، وصار جمهوره في قبضته ، وأصبح مُسْتَمِعوه طوع يمينه .

وآخرون إذا خطبوا . . انسابوا كالماء هدوءاً وسكينة ، وهبوا كالنسيم لطافة ورقة ، يُصاحِبون الأرواح قبل الأجسام ، والأنفس دون الأبدان .

الخطيب القدير هو الذي يملك زمام المبادرة ، فلا يترك الأرواح تتفلَّت من قبضته ، وهو الذي يركض في ميدان الألفاظ ، يتخيَّر ما يشاء ويهجر ما يشاء ، رابط الجأش ، قوي القلب ، واثق النفس ، ثابت القدم ، هادئ الأعصاب .

ترتجف القلوب من صولته وقلبه في أمان ، وتضطرب الأرواح من نبراته
وروحه في حَزْزٍ مَكِين .

والخطيب القدير كالسَّيْل الزاحف ، إذا صادفته هضبة .. طمَّها وارتقى
عليها ، وإذا قابلته حُفرة .. ملأها وعدَّى عنها ، وإذا واجه صخرة .. مالَ عنها
ذات اليمين وذات الشمال .

والخطيب القدير يهدأ يهدأ ، فتسكن الأسماع ، وتخفت الأرواح ، ويثور
يثور ، فيغلي الجوّ ، ويضطرب الشهود .

يستفهم واجماً كالأسد المتأمل ، ويتعجّب مُنْذهلاً كالشاعر الواله ،
ويستعطف في العبارة كالفقير اللّحوح ، ويأمر كالسلطان المُطاع ، ويرثي في
مقام الرثاء ، فينسى الناس الخنساء ، ويُعزِّي فيذهب حرّ المصاب مع برد
العزاء .

والخطيب القدير يستظهر الآيات البيّنات فيُرصّع بتيجانها هامات خطبه ،
ويرصّع بدُرّها حلل وعظه .

ويحفظ الحديث الصحيح فيطرّز كلامه بجوامع كلمه صلى الله عليه
وسلم ، ويربط على قلبه بأنفاس المعصوم .

عنده الأدب مادته وعصاه وبُرده ، فالآبيات على طرف لسانه ، يطرب
ويحمّس ويتفنّن .

وعنده القصص ينثرها بسرد عجيب ، وطرح غريب ، فكأن السامع
عاشها ، والغائب حضرها .

والخطيب القدير يُحيي العبارات ، فكأن الكلمات طير بأجنحة ، وحمائم
بريش ، وعصافير على سنابل .

تقرأ الأحذوثة فلا تحرّكك ، ولا تعجبك ، ولا تستهويك ، وتسمع الخطيب
المصقع يتلوها على الأسماع فتصل شِغاف قلبك المدنف ، فتشعل فيه جذوة
من الحرارة والحماس والجازبية .

الخطيب القدير يصف الليل وهو في الظّهيرة ، فتحسّ أنك تحت أسمال
الدّجى ، وتحت أجنحة الدياجير ، ويصف النهر ، فتلمّس ثيابك أن تبلّ وأنت
ناءٍ عن النهر ، ويصف جيش الأعداء البعيد ، فتنظر إلى مطالع الجبال ، كأن
الطلائع أقبلت ، والكتائب دنت .

يدعوك للجائعين باذلاً ، فترمي الخبزة من يدك طائعاً ، ويُشاجيك للعرّة
مُنجداً ، فتخلع ثوبك مُسعفاً راضياً .

هل الخطابة إلّا جذب النفوس ، وامتلاك الأرواح ، والتصرّف في
المشاعر ؟!

هل الخطابة إلّا الاستيلاء على مستعمرات الأفكار ، وفتح قلاع
التصورات ، والانتصار على الآراء المُخالفة ؟!

والخطابة هي الإقناع ، ونقل السّامع من الغيِّ إلى الرّشاد ، ومن الانحراف
إلى الاستقامة ، ومن الظلم إلى العدل .

يريد الخطيب أن يُبكي الناس ، فيتوجّع من قلبه ، ويتأسّف من خلده ،
ويتهدّج صوته ، وتنساب عبارات الفجیعة ، وكلمات الشّجن من بين شفّتيه ،
وتتساقط الآهات مع الدمعات ، والزفرات مع العبرات ؛ فإذا الجمع مناحة ،
والكلُّ مأتم .

ويريد الخطيب أن يُلهب الحماس ، ويشجّع السّامع ، فيهدف بسطوة
ويمور بقوة ، وينفعل بإباء ؛ فإذا الحضور في بسالة وإقدام ، وإذا الأعين

ترقّب متى هي ساعة التضحية ولحظة الفداء ؟

الخطابة أن تأتي إلى الغضوب الحقود ، الممتلىء النائر الجريح ، فتعالج قلبه ، وتُدخل نفسه ، وتسلّ سخيمته ، وتزِيل ضراوته ، حتى تبرد حرارته ، وينطفئ لهبه ، ويموت غضبه ، فيعود حليماً صفوحاً مُسامحاً .

والخطابة أن تأتي إلى المُعانِد الجموح المُشاكس ، فتُلين عريكته ، وتُخاطب فطرته ، وتدغدغ مشاعره ، حتى يثوب ، ويسلم ، ويدعن .

ليست الخطابة لفظاً بلا معنى ، وقالباً بلا قلب ، وعبارات بلا عِبر ، فكلّها صوت وصورة ، ماء وظلّ ، ندَى وظلّ ، شبع وريّ ، عواطف ومعانٍ ، مُثل وقيم .

إن من البيان لِسِحراً يخلّب الألباب ، ويلوّن الأمزجة ، ويُغيّر الصور والأحداث والأشياء والمواقف .

وإن من الخطابة لِسِحراً يشجّع الجبان ، ويردّ الجامح ، ويُعزيّ المُصاب ، ويُسخّي البخيل ، ويُقدّم الهَيّاب .

وسِحر الخطابة في سُمُوها ، في عمقها ، في تأثيرها ، في معانيها ، في عواطفها .

وسِحر الخطابة في إلقائها ، وجاذبيتها ، وحلاوتها ، وطلاوتها .

واللسان الذلق يصنع الأعاجيب ، وينتج الأحداث ، ويرسم الوقائع .

كان الأحنف بن قيس هزلياً ، نحيفاً ، أحنف ، ضعيفاً ، تقتحمه العين ، وينبو عنه الطّرف ، فإذا تكلم . . خطف الأضواء ، وجلب الأبصار ، واستنصت الأسماع ، وملك القلوب ، وهذه هي البلاغة .

كان بعض الخطباء كالعاصفة الهوجاء ، إذا اندفع في الحديث . . يغضب

ويثور ، وينفعل ويمور ، ولسان حاله يقول : لا مساس ، فتراه يفلق هامّ البيان
بسيف الفصاحة البتار ، ويقطع جبال الشكوك بمهتد الحجة الصارم ، فهو
وحده رجل الموقف ، وأستاذ الحداث ، وسلطان المقام .

الخطابة هي جرأة صادقة ، وإقدام فظيع لا يعرف النكوص والالتواء ،
وإقدام في مواجهة الجماهير ، من غير هيبة ، ولا وُجُوم ، ولا خجل .
والخطابة تحضير مسبق لما يُراد أن يُقال ، وامتلاء الذهن بأطراف
الموضوع ، ورصد تام لحديث المقام ، حينها يدلف الخطيب وهو واثق من
نفسه تمام الثقة ، متماسك القوى ، قوي الإرادة ؛ لأنه قد أحرز مادته ، وخمّر
أفكاره ، واستعدّ للمواجهة ، ولبس للخطابة لأمة النزال .

إن أول فشل الخطيب ألا يعدّ كلاماً في صدره ، ولا يُهيئ أفكاراً في
خاطرهِ ، وربما ظنّ أن وقوفه أمام الناس كفيل بإثراء ذهنه بالمعلومات ، وملء
عقله بالأفكار ، وهذا ليس بصحيح : ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً ﴾ .

والخطيب القدير يعيش الخطبة بقلبه وجوانحه وعواطفه ، فهو يتكلّم
للناس لكن بعروق دمه وشرائينه وحشاياه ، يتحدث عن الألم وهو أوّل
المتألمين ، يتوجّع لما حدث لا بلسانه ، بل بجنانهِ ، فيظهر ذلك في خلجات
صدره ، وقسمات وجهه ، ونبرات صوته ، ولفتاته وإشاراته .

ويتكلّم عن البشري ، فإذا هو سعيد بما حدث ، جذلان بما صار ، يُسعد
الناس بما يحمله هو في نفسه وخفاياه .

والخطيب المصقع موسوعة علميّة ، لا يضايقه الحديث عن أيّ جانب ،
بل هو كالسَّيل ؛ كلّما وجد فراغاً .. ملأه ، وكلّما صادف مكاناً منخفضاً ..
أفرغ فيه جموحه .

يُطالع كثيراً ، ويحفظ كثيراً ، ويتدبّر كثيراً ، يسبك العبارات ، فيجعل الخطبة كهيكल الذّهب ، متناسقة ، متقاربة ، لا نشاز فيها ولا التواء .

والخطيب يحتاج إلى تدريب سابق ، وِمران كثير ، ولا يكفيه أن يُطالع صِفات الخطيب ، أو أن يقرأ سِمات الخطابة ، بل يعيشها هو بنفسه ، مُزاولةً ودُرْبَةً وِمراناً ، كالسَّباحة تماماً ؛ فإن مجلّداً ضحماً في طريقة السَّباحة لا ينفع شيئاً ، ما لم يتوجّه الإنسان إلى النهر ليغمس نفسه فيه متمثلاً ما قرأ وما علم .

إذا أردت أن تدعو الناس إلى بذل المال والجود والإنفاق . . فهل تظن أنك إذا جمعت الآيات والأحاديث في الباب وعرضتها على الناس أنك تحصل على ما تريد ؟! كلاً ، بل تجمع الآيات والأحاديث والعِبَر والأفكار ، ثم تصبغها بعواطفك وجاذبيتك وأنفاسك ، ثم تروّض نفسك على القول ، وتضع نفسك في مكان السّامعين ، وترى هل هذا الكلام مؤثّر مُقنع .

إنّ الكلام على عواهنه ليس خطابة ، بل حديث عادي ، وليس كل متحدّث خطيباً ؛ لأن الخطابة شيء آخر غير الحديث ومطلق الكلام .

والأمة تحتاج إلى خُطباء جهابذة ، يملكون المشاعر ، ويستولون على العواطف ، خطباء همّهم عرض الرسالة الحقّة عرضاً قوياً مؤثّراً واصلّاً ، خُطباء يشرحون المنهج الربّاني بحرارة وجاذبيّة واندفاع ، خُطباء يجلبلون في المجامع العامّة بنبرة الحق ونغمة الصدق وكلمة الإسلام .

وإن قطاعاً هائلاً من الناس لا يُقنعه الدرس الهاديء الوديع ، ولا يُبهِجه الحديث المُناسب الخافِت ، وإنما يهزّه ويحرّكه من أعماقه ثوائر خُطباء صقع ، وإيقاعات فُصحاء ذلق ، تصل أصواتهم إلى سُويداء القلوب وأعماق الأعماق ، وإن الذين يظنون أن دور الخطابة ضحّل ، وأن الصّياح والضّجيج

لا داعيَ له ، أخطؤوا خطأً بيّناً ، وغلطوا غلطاً فاحشاً ؛ لأن أخطب الناس هو رسولنا صلى الله عليه وسلم ، والذي أصلح بخطبه أمماً ، وهدى بوظه شعوباً ، (كان إذا خطب .. علا صوته ، واحمرَّ وجهه كأنه مُنذرُ جيش) .

والناس مستويات ودرجات ، فهذا يكفيه وضوح الفكرة وصفاء العرض ، وذاك لا يفتت ذرات الالتواء والصدوف في نفسه ، إلا لكّمت هائلة من الوعظ ، وهدير متتابع من الخطب ؛ ليستجيب لهذا النداء الصّامد ، ويدعن لهذا الخطاب الجارف الدّامغ .

إنّ الحُشود تحتاج إلى خطباء أقوياء مُؤهلين ، يؤدّون واجب النّصح ووظيفة الإقناع ، لهم من سرعة البديهة ما يُنقذهم من ورطات المفاجأة ، ولهم من رصيد التجارب ما يُسعفهم في الأحداث ، ولهم من روعة الهِمَم ما يدعوهم إلى معالي الأمور .

والأمة اليوم تحتاج إلى دُور ومعاهد لتعليم الخطباء ، وتخريج الفُصحاء ، لتزرعهم في العالم ، وتوزّعهم في المعمورة ، يلهجون بذكر الله والدعوة إليه ، وتحبيب الناس في شرعه ، وهذا مطلب سام وهدف نبيل .

ويا ليت أن هناك دوراتٍ للخطباء ، واجتماعات سنوية لهم ، ليتدارسوا أوضاعهم ، ويتلافوا أخطاءهم ، ويحسنوا من أحوالهم .

والله المستعان ، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

* * *

اللولو لمشتور

- ما رفعتُ أحداً عن مرتبته إلا حطّني عن مرتبتي .
- من أربعين سنة ما سألت متزوجاً إلا قال : ما رأيت خيراً .
- أظلم الظالمين من لم يتواضع لمن يكرمه ، وأحبّ من لا ينفعه .
- لا يكون الملول حافظاً .
- لو أعلم أن شرب الماء يفسد مروءتي . . ما شربته .
- رأيت شيخاً بلغ التسعين يدور على الجواري حافياً يعلمهن الغناء ثم يصلي قاعداً .
- المروءة الحرفة والعفة .
- يكفيك من شرّ سماعه .
- إذا عظم المطلوب . . قلّ المساعد .
- كل عزيز تحت القدرة ذليل .
- لا حكيم إلا ذو تجربة .
- لولا المشقة . . ساد الناس كلهم .
- مَنْ لك بأخيك كله ؟
- أكثر أسباب النجاح مع اليأس .
- وحسبك داءً أن تصح وتسلما .
- العيال سوء المال .

- ومن يبكِ حولاً كاملاً . . فقد اعتذر .
- ربّ حلم أضاعه عدم المال .
- البطنة تذهب الفطنة .
- وحاجة من عاش لا تنقضي .
- إن الشجاعة مقرون بها العطب .
- العلم نقطة كثّر لها الجهال .
- قيمة كل امرئ ما يحسن .
- الرأي قبل شجاعة الشجعان .
- إن الكريم على الإخوان ذو المال .
- خاطر من استغنى برأيه .
- المودة قرابة مستفادة .
- الفراغ مفسدة .
- أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم .
- إن العلا حسن في مثلها الحسد .
- وقد يكون مع المستعجل الزلل .
- قلة العيال أحد اليسارين .
- وخير جليس في الزمان كتابٌ .
- فليسعد النطق إذ لم تسعد الحال .
- والحمد لا يشتري إلا بأثمان .
- وللأرض من كأس الكرام نصيب .
- ترك الذنوب حياة القلوب .

- الغمرات ثم ينجلينا .
- إنّما الأعمال بالنيات .
- احفظ الله يحفظك .
- لا تغضب .
- رأس الحكمة مخافة الله .
- لا ضرر ولا ضرار .
- إذا ضاق الأمر . . اتسع .
- لكل امرئ من دهره ما تعودا .
- والكفر مخيبة لنفس المنعم .
- ولا رأي في الحب للعاقل .
- من صمت . . نجا .
- من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه .
- دع ما يريبك إلى ما لا يريبك .
- أذل الحرص والطمع الرقابا .
- قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت .
- وربما صحّت الأجسام بالعلل .
- السيف أصدق أنباء من الكتب .
- إذا ملكت . . فأسجح .
- الجود يفقر والإقدام قتال .
- والمشقة تجلب التيسير .
- الإنسان مدني بطبعه .

- الناس في أول دولتهم شجعان .
- حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق .
- وفي النفس حاجات وفيك فطانة .
- إذا أنت أكرمت الكريم . . ملكته .
- والناس أعوان من والته دولته .
- الناس أعداء ما جهلوا .
- لكل شيء إذا ما تم نقصانٌ .
- لكل زمان دولة ورجال .
- ما كل ما يتمنى المرء يدركه .
- أعوذ بك من جلد الفاجر وعجز الثقة .
- رمتني بدائها وانسلت .
- كل الصيد في جوف الفرا .
- من مأمنه يؤتى الحذر .
- إن السماء ترجى حين تحتجب .
- إن لصاحب الحق مقالاً .
- أخوك البكري ولا تأمنه .
- ما يوم حليلة بسر .
- وعند جهينة الخبر اليقين .
- البلاء موكل بالمنطق .
- إنما العاجز من لا يستبد .
- المؤمن كيس فطنٌ .

- من عرفك صغيراً . . حقرك كبيراً .
- من سرّه زمن . . ساءته أزمان .
- ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ .
- وعين الرضا عن كل عيب كليله .
- الذباب لا يقع إلا على الجرح .
- تجوع الحرة ولا تأكل بشديها .
- من يسالم الناس . . يسلم من غوائلهم .
- أسلم تسلم .
- الإسلام يجب ما قبله .
- التوبة تهدم ما قبلها .
- كفّ عليك لسانك .
- أمضى من السيف حسماً .
- كاد من شهرة اسمه لا يُسمّى .
- أوجهاً تستحق ركلاً ولطمأ .
- أعذر من أنذر .
- أبت الدراهم إلا أن تخرج أعناقها .
- إن النفيس غريب حيثما كانا .
- أي الرجال المهذب ؟
- وهل عود يفوح بلا دخان ؟
- والأذن تعشق قبل العين أحياناً .
- وفي الليلة الظلماء يُفتقد البدر .

- ومن يطلب الحسنة . . لم يغله المهر .
- لنا الصدر دون العالمين أو القبر .
- من جدّ . . وجد .
- من طلب العلا . . سهر الليالي .
- وما نيل المطالب بالتمني .
- إن الحياة عقيدة وجهاد .
- إنما أصل الفتى ما قد حصل .
- وإنما المرء حديثٌ بعده .
- ذكر الفتى عمره الثاني .
- القناعة كنز لا يفنى .
- إذا ساء فعل المرء . . ساءت ظنونه .
- فلا مجد في الدنيا لمن قلّ ماله .
- ولا كتب إلا المشرفيّة عنده .
- فلما التقينا . . صغر الخبرُ الخبرُ .
- علوّ في الحياة وفي الممات .
- ذم المنازل بعد منزلة اللوى .
- مرعى ولا كالسعدان .
- تجري الرياح بما لا تشتهي السفن .
- حشفاً وسوء كيلة .
- تعدو الذئاب على من لا كلاب له .
- وهل يلين لفك الماضغ الحجر ؟

- إذا هُم ألقى بين عينيه همه .
- يا أعدل الناس إلا في معاملتي .
- واحرّ قلباه ممّن قلبه شبّم .
- خير الكلام ما قلّ ودلّ .
- لا بارك الله بعد العرض في المال .
- سحابة صيف عن قليل تقشّع .
- وزهدني في الناس معرفتي بهم .
- ولو أن أهل العلم صانوه . . صانهم .
- نُحْ على نفسك يا مسكين إن كنت تنوح .
- كل بطّاح من الناس له يوم بطوح .
- من يفعل الخير لا يُعدم جوازيه .
- ولا يرى طارداً للحرّ كاليأس .
- صلّ صلاة مودّع .
- إياكم وما يُعتذر منه .
- عيد بأية حال عدت يا عيد ؟
- أحرام على بلبله الدوح ؟
- لا بد من صنعا وإن طال السفر .
- فلا يدوم على الإحسان إمكان .
- مواعيد عرقوب .
- كفى بك داءً أن ترى الموت شافياً .
- عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه .

- ألسنة الخلق أقلام الحق .
- وحسب المنايا أن يكن أمانيا .
- ودّ السارق أن يسرق الناس .
- قال رجل لأبي العيناء : يا قرد ، قال : ﴿ وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ﴾ .
- قال رجل لعلي : أنت خير الناس ، فقال : أنا فوق ما في نفسك ودون ما تقول .
- الزهد : ترك ما لا ينفع في الآخرة .
- رأى أبو العيناء فاجراً يصلي ويطيل ، فقال : لكلّ جديد لذة .
- الورع : ترك ما يخشى منه .
- الإيمان : ما وفر في القلب وصدّقه العمل .
- أنذرتكم سوف .
- الأمانى رؤوس أموال المفاليس .
- قتلوا الحسين ويسألون عن دم بعوضة !!
- اتق شرّاً من أحسنت إليه .
- النفس مولعة بحب العاجل .
- اتق الله حيثما كنت .
- إن في البشر خياراً .
- بعض الشر أهون من بعض .
- من يهنّ . . . يسهل الهوان عليه .
- وأتبع السيئة الحسنة تمحّوها .
- ما لجرح بميت إيلام .

- مَنْ وطأته العيون . . وطأته الأقدام .
- اشتدي أزمة تنفرجي .
- الليل أستر للويل .
- همة تنطح الشريا .
- ألبط تهددين بالشطّ ؟
- ابن الوزّ عوّام .
- لا ينفع التهذيب في الذئب .
- نعيب زماننا والعيب فينا .
- وفي الناس أبدال وفي الترك راحة .
- من عزّ . . بزّ .
- الله عدّة لكل شدّة .
- إذا كان الله معك . . فمن تخاف ؟!
- ماذا وجد من فقد الله ؟
- من وجد الله . . وجد كل شيء .
- إذا كان الله ضدّك . . فمن ترجو ؟!
- كفى المرء نبلاً أن تعد معاييه .
- من كثر كلامه . . كثر سقطه .
- قيل لمجوسي : بع دارك واقض دين والدك ، قال : الوالد في النار ولو بعث الدار .
- أنزلوا الناس منازلهم .
- لست بالخَبّ ولا الخَبّ يخدعني .

- كثرة المزاح تُذهب المروءة .
- على قدر أهل العزم تأتي العزائم .
- مصائب قوم عند قوم فوائد .
- وتأتي على قدر الكرام المكارم .
- لا تحسب الشحم في من شحمه ورم .
- أحب شيء إلى الناس ما مُنعا .
- ادفع بالتي هي أحسن .
- الأيام دول .
- الجار ولو جار .
- الجار قبل الدار .
- العذر عند كرام الناس مقبول .
- طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس .
- الطهور شطر الإيمان ، الحمد لله تملأ الميزان ، الصلاة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن حجة لك أو عليك ، كل الناس يغدو ، فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها .
- اعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك .
- إن مع العسر يسراً .
- إذا اشتدَّ الحبل . . انقطع .
- الوحدة خير من جليس السوء .
- خيركم من تعلّم القرآن وعلمه .
- ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ ﴾ .

- من مشى هوناً.. مشى دهرأ .
- ما عال من اقتصد .
- الظلم ظلمات .
- كن في الدنيا كأنك غريب .
- الجامعات تُخرِّجُ العظماء ، إلا محمداً صلى الله عليه وسلم ؛ فالله أخرجه للناس .
- الكلمة الطيبة صدقة .
- وقولوا للناس حسناً .
- إن الملوكة إذا دخلوا قرية.. أفسدوها .
- من دخل على السلطان.. افتتن .
- من بدا.. جفا .
- من تتبع الصيد.. غفل .
- إن العرائن تلقاها محسدة .
- ليس التكحل في العينين كالكحل .
- خذ ما رأيت ودع شيئاً سمعت به .
- ولن ترى للثام الناس حساداً .
- في طلعة البدر ما يغنيك عن زحل .
- فإنك شمس والملوك كواكب .
- تبسمك في وجه أخيك صدقة .
- من ساعة إلى ساعة فرج .
- فكّر واشكر .

- نعم المال الصالح للرجل الصالح .
- سمع عمر آية : ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴾ فمرض شهراً .
- سمع ابن وهب ﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ ﴾ فمات .
- جبلت القلوب على حب من أحسن إليها .
- المعدة بيت الداء ، والحمية رأس كل دواء .
- انتصر بدر بن عمر ، فقرأ الخطيب : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ ﴾ .
- كل الموارد غير النيل آسنة .
- وما كل مصقول الترائب زينب .
- وكل مكان يُنبِت العز طيب .
- وكل فتى يولي الجميل محبب .
- ولكن طبع المرء للمرء قائد .
- الإعجاز مع الإيجاز .
- كلماته قضب وهن فواصل .
- العادة أخت الطبيعة .
- ومن العداوة ما ينالك نفعه .
- ﴿ فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ .
- حياتك من صنع أفكارك .
- الكلاب تنبح والقافلة تسير .
- نقدي يساوي قيمتك .
- التافه لاحاسد له .
- إِنَّ البعوضة تدمي مقلة الأسد .

- ومن الصداقة ما يضر ويؤلم .
- لهُوى النفوس سريرة لا تعلم .
- ذو العقل يشقى في النعيم بعقله .
- لسان الفتى نصف ونصف فؤاده .
- وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم .
- شكوى الجريح إلى الغربان والرخم .
- ويبقى من المال الأحاديث والذكر .
- وأغفر عوراء الكريم ادخاره .
- الخير أبقي وإن طال الزمان به .
- وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا .
- والشر أخبث ما أوعيت من زاد .
- إخفاء العمل نجاة ، وإخفاء العلم هلكة .
- الفرائض علانية ، والنوافل سر .
- لنعظم الجوامع ، ونحترم الفروق .
- الحب ما منع الكلام الألسنا .
- وأحلى الهوى ما شك في الوصل ربّه .
- وألذ شكوى عاشق ما أعلنّا .
- كالهريحي انتفاخاً صولة الأسد .
- إذا أصبحت . . فلا تنتظر المساء .
- من ترك المشي . . تركه المشي .
- إنما الصبر عند الصدمة الأولى .

- سبق السيف العذل .
- كم من ولي في قباء وزنديق في عباء .
- فضح الموت الدنيا .
- التواضع التكبر على الجبابة .
- خير الأمور أوساطها .
- ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها ؟!
- من راقب الناس . . مات همّاً .
- من راقب الناس . . لم يظفر بحاجته .
- كن أحمر العين إن المجد منتهب .
- لما هملجت الخيول . . ركبها الملوك .
- لم ينفع الشاة في الدنيا سكيبتها .
- إنما يبكي على الحب النساء .
- عند الصباح يَحمد القوم السرى .
- تكاثرت الأطباء على خراش .
- الصيف ضيَعَت اللبن .
- ولكل شيء آفة من جنسه .
- الصاحب صاحب .
- أسلِمَ تسَلِمَ .
- كالموت ليس له ري ولا شبع .
- لا يُعجَبَنَّ مضيماً حُسْنُ بَزَّتِهِ .
- رب نائم مرحوم وقائم محروم .

- استغزروا الدموع بالتذكير .
- وليس يكسف إلا الشمس والقمر .
- الدنيا ماء وخبز وظل .
- لا يدرك المجد إلا سيّد فِطْن .
- لا يحمل الحق من تعلو به الرتب .
- إذا لم تستطع شيئاً . . فدعه .
- قال أنصاريّ لمصعب بن الزبير : أذكرك وصية الرسول صلى الله عليه وسلم فينا ، فنزل من سريره وبكى وتمرغ .
- الإسلام قضية عادلة محاميها فاشل .
- أيّ دين لو كان له رجال .
- كما تكونوا يؤلّي عليكم .
- وكذلك نولّي بعض الظالمين بعضاً .
- وافق شئ طبقة .
- إن الطيور على أشباهها تقع .
- الأرواح جنود مجنّدة .
- ذهبت المكارم إلا من الكتب .
- لا خير في السرف ، ولا سرف في الخير .
- طوبى للغرباء .
- وأكتم السرف فيه ضربة العنق .
- وأظمى فلا أبدي إلى الماء حاجة .
- أعز مكان في الدنا سرج سابح .

- جزى الله عنا واعظ الشيب شكره .
- ذهب الشباب بجهله .
- ذهب الشباب بشره وجاء المشيب بخيره .
- وأتى المشيب بحلمه ووقاره .
- ازددنا همًّا كلما ازددنا غنى .
- ما زاد فوق الزاد فللنفاد .
- فَنِعَمَ الْفَتَى تَعَشَوْا إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ .
- ما العيش إلا في الخمول مع الغنى .
- لا تقنع بما دون النجوم .
- العود في أرضه نوع من الحطب .
- والأسد لولا فراق الغاب ما افترست .
- والسهم لولا فراق القوس لم يصب .
- والترب في الأرض ترب في موطنه .
- فما المجد إلا السيف والفتكة البكر .
- ولا رُسُلٌ إلا الخميسُ العرمرم .
- كن وسطاً وامش جانباً .
- رُبَّ ذَكَرٍ أَقْرَبَتْ مِنْ نَزْحَا .
- ارضَ بما ليس فيه بدّ .
- لا تُعَلِّمِ الْيَتِيمَ الْبِكَاءَ .
- الرأس كثير الأوجاع .
- جاورت أعدائي وجاور ربّه .

- قيل لسقراط : لماذا تأكل في السوق ؟ قال : لأنني جعت في السوق .
- قوت الروح أرواح المعاني .
- من ذا الذي ما ساء قط ؟!
- وأي عبد لك ما أَلَمَّا ؟!
- العز في العزلة .
- أرى الناس من دانا هم هان عندهم .
- زر غباً تزدد حباً .
- أزورهم وظلام الليل يشفع لي .
- تمتع من شميم عرار نجد .
- جرت الرياح على محل ديارهم .
- كأنني صارم في كف منهزم .
- كاد المريب أن يقول : خذوني .
- وبئس الرديفان المذلة والفقير .
- جسم البغال وأحلام العصافير .
- المعونة على قدر المؤونة .
- أكثر ما يُخاف لا يكون .
- أجمع اليأس مما في أيدي الناس .
- الدين المعاملة .
- الحلم أعز لك من الرجال .
- الحكمة ضالة المؤمن .
- في كل وادٍ بنو سعد .

- ما ملئت دارٌ حبرة إلا ملئت عبرة .
- اتق المحارم تكن أعبد الناس .
- لا تصاحب إلا مؤمناً .
- ختم ابن إدريس القرآن ٤٠٠٠ مرة .
- طالع المزني كتاب « الرسالة » ٥٠ سنة .
- كرر النيسابوري صحيح « مسلم » ١٠٠ مرة .
- كرر ابن جرير « صحيح البخاري » ٧٠٠ مرة .
- ألف ابن سلام « الغريب » في ٥٠ سنة .
- جمع أبو الفرج « الأغاني » في ٥٠ سنة .
- كان الشيرازي يكرر الدرس ١٠٠ مرة .
- صام أبو طلحة مواصلاً ٤٠ سنة .
- لزم عطاء المسجد الحرام ٣٠ سنة لطلب العلم .
- ما فاتت تكبيرة الإحرام ابن المسيب ٦٠ سنة .
- كان أحمد ابن حنبل يتنفل كل يوم ٣٠٠ ركعة .
- أخذ ابن حبان العلم على ٢٠٠٠ شيخ .
- لا تعاند من إذا قال . . فعل .
- هو الجد حتى تفضل العين أختها .
- لا تلقَ دهرَكَ إلا غير مكترث .
- ولن يردَّ عليك الغائبَ الحزنُ .
- فإن المسك بعض دم الغزال .
- فإن في الخمر معنى ليس في العنب .

- من أمن العقوبة . . أساء الأدب .
- لا عقل كالتهدير .
- اجعل الهموم همأً واحداً .
- لا تطلب الخير من ذي نعمة حدثت .
- كُنْ كالغراب في البكور ، والنملة في الدأب ، والنحلة في الأثر ،
والنحلة في المنافع .
- لا تدبر لك أمراً فإنما التهدير هالكى .
- دع المقادير تجري في أعنتها .
- يغطى بالسماحة كل عيب .
- أنفق ولا تخش من ذي العرش إقلالاً .
- تعس عبد الدرهم ، وتعس عبد الدينار .
- كفى بالجود سربالاً ، وبحسن الخلق نوالاً .
- لا تجد مذاحاً إلا رذلاً ، ولا هجاءً إلا نذلاً .
- لا تمدحن امرأ حتى تجربه .
- ومن لم يمت بالسيف . . مات بغيره .
- لا تتبذل ؛ فإن السلعة ترخص إذا كثر تداولها .
- خذ من الكلب جرأته ؛ فإنه يطارد فريسته ولو في النار .
- ويل لمن كان لسانه حجيجَه وعلمُه خصمه .
- إذا قال لي ربي : يا عبدي ؛ ما غرّك بي ؟ قلت : برّك بي .
- خدم أبو شجاع السلطان ٥٠ سنة ، فكفر عنها بخدمة مسجد الرسول
صلّى الله عليه وسلم ٥٠ سنة .

- الفقير يحیی الجبار علانية ، ويسخر منه سراً .
- السحر الحلال تبسمك في وجوه الرجال .
- تبسم في مجلس وتكلم كلاماً مختصراً .
- ألدُّ شيء التنزُّه في عقول الرجال بقراءة الكتب .
- الحياة : إنها عندي وأحلام الكرى غفلات بعضها من بعضها .
- لزوم السنة أكل الحلال وحسن الخلق ، وسلامة الصدر معالم النجاة .
- الإيمان والقناعة والصحة بنود السعادة .
- قيل للكسائي : من نسي سجود السهو . . هل يسجد ؟ قال : لا ؛ لأن المصغّر لا يصغّر .
- زاد اليهود نقطة ، فسقطوا سقطت ووقعوا في ورطة ، قالوا : حنطة بعد حطة .
- أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنّعه الله بما آتاه .
- استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان .
- البرّ لا يبلى ، والذنب لا ينسى ، والديان لا يموت ، كما تدين تُدان .
- بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين .
- أعظم الكرامة لزوم الاستقامة .
- سهر بعض السلف على آية واحدة ليلة كاملة يتدبّرونها .

* * *

أشرف وظيفة

ترى الناس بلا دعوة أيتاماً ، لا يعرفون حلالاً ولا حراماً ، ولا صلاة ولا صياماً ، ولا سنناً ولا أحكاماً ، فالدعوة لرثة الأحياء هواء ، ولكبد الدنيا ماء ، ولذلك أرسل الله الأنبياء ، وخط في اللوح ما شاء .

وقد حملت القلم والدواة ، ورافقت الدعوة ، ولقيت العلماء والقضاة ، وعرفت البسطاء والدهاة ، وجئت مع إخواني البلاد ، وخالطت العباد ، فكم عرفنا من ناد وواد ، وسرنا في حاضر وباد ، فأخذت من الناس المواهب ، واستفدت من الزمان التجارب ، وميزت المشارب ، ونزلت تلك الخيام والمضارب .

فالداعية الناجح ، والواعظ الصالح ، من جعل محمداً إمامه ، فعرف هديه وكلامه ، فرأى بهداه سهامه ، وجعل بسنته مقامه .

والداعية من كان بالناس رفيقاً ، وعاش معهم رقيقاً ، وصار بهم شقيقاً ، فاجتنب العنف والتجريح ، والإسراف في المديح ، فلزم القول اللين ، والخلق الهين ، فصار لقلوب الناس طيباً ، ولأرواحهم حبيباً .

ولي في الدعوة انتقال وارتحال ، والفضل لذي الجلال ، وليس لي في الفضل فلس ولا مثقال .

وكانت البداية في (أبها) ، وهي من الشمس أبهى ، ومن الزلال أشهى ، وأهلها من أرق الناس قلوباً ، وأقلهم عيوباً ، تغلب عليهم الاستجابة ، والذكاء والنجابة .

ثم زرت (مكة) ، فعرفت من الحب يقينه وشكّه ، فصرت لأهلها بالمودة ضامناً ، وصار الأنس في قلبي كامناً ، وآمن فؤادي ومن دخله كان آمناً ، فلو أن الثرى يُقَبَّل . . لقبَلت ، لكنني لما رأيته . . كبرت وهللت ، وحول البيت هرولت .

ثم سرت إلى (الرياض) ، وأنا من الهم خالي الوفاض ، فلاحت لنا الأعلام النجدية ، والأمانى الوردية ، ووصلنا أرض التوحيد ، وبلاد التجديد ، فوجدنا العلماء ، والكرماء ، والحلماء .

ثم حملنا الشوق إلى (طيبة) ، وهي أمنيتنا في الحضور والغيبة ، وهي أرض الجلال والهيبة ، فيا قلب ؛ والله لا ألومك في هواك ، ولا أردك عن مناك ؛ لأن أحب الناس يرقد هناك ، أليس في هذه الروابي مشى محمّد ، وصلى وتعبد ، وقام وتهجد .

ثم رحلنا إلى (جدة) ، ولنا عنها مدة ، فلما وصلناها . . ذهب كل عناء وشدة ، وقد أخذنا من الحب عدة ، وحملنا في القلوب مودة ، فلقينا بها شباباً كالسحاب ، برؤيتهم تم الأنس وطاب ، وذهب الهم والأوصاب ، أخلاقهم أرق من النسيم ، وعشرتهم أجمل من الدر النظيم .

ثم جاءتنا برقية ، فسافرنا إلى (الشرقية) ، وما أبقى لنا الشوق بقية ، فقابلونا بالحفاوة والإكرام ، والحب والاحترام ، ووجدنا رقة الحضارة ، والبشاشة والنضارة ، فعجزنا عن الشكر ، وهام بنا إليهم الذكر ، وما نسيهم الفكر .

ثم قلت لصاحبي : ما لك في الجدل خصيم ؟ تقول : (القيصومة) ، وأنا أقول : (القصيم) ، فلما وصلنا تلك الديار ، وعانقنا الأخيار . . وجدنا

أهل الديانة ، والأمانة ، والصيانة ، عفاف في طُهر ، كأنهم نجوم زُهر ، أشاد
بمكارمهم الدهر .

ثم دخلنا (حائل) ، والقلب إليها مائل ، فلقينا أبناء المكارم ، وعانقنا
أحفاد حاتم ، فرجع حبهم في الميزان ، وحدثناهم في جامع برزان ،
واعتذرت من إبطائي .

ولما هبطنا (الباحة) .. وجدنا الأنس والراحة ، وقد عانق القلب
أفراحه ، ونسي أتراحه ، فغمد حسام الإسلام غامد ، كم بها من عابد ،
وزاهد ، وساجد .

وزهرة المكارم (زهران) ، صرت في ليلي عندهم من الفرح سهران ،
سيرتهم أطيب سيرة ، وسريرتهم أحسن سريرة ؛ لأنهم أبناء أبي هريرة .
وقد هبطنا (تهامة) ، فلا ملل ولا سامة ، وأقمنا أحسن إقامة ، فوجدت
الجود خلفي وأمامي ، ولمست الإكرام ورائي وقدامي ، وكفاهم أن الرسول
تهامي ، تفيض وجوههم مما عرفوا من الحق ، وتشرق وجوههم مما حملوا
من الصدق .

ولما أتينا (جيزان) ، والجو قد زان .. نسينا من السرور الأهل والجيران ،
ووجدنا الحلقات الشرعية ، والآثار القرعائية ، والجهود الدعوية ، والكل منّا
يلاحظ ، تلاميذ الحكمي حافظ ، حيث ولدت العبقريّة ، ولا زالت القرائح
غضة طريّة ، ولمسنا العزم والهمم ، ووجدنا الجود والكرم .

وأهم ما يُدعى إليه التوحيد ؛ فإنه حق الله على العبيد ، ومن أجله بعث
الرسل ، وكل كتاب به نزل ، وهو رأس العمل .

وعلى الداعية أن يعمل بما يقول ؛ ليضع الله له القبول ، فكل من ترك

الهدى فهو مخذول ، كلامه ساقط مردول .

ولتكن للداعية نوافل وأوراد ، وحسن خلق مع العباد ، وإصلاح لنفسه وجهاد ، ومحاسبة لها قبل يوم التناد .

وليكثر من الأذكار ، بالعشي والإبكار ، وليراقب الواحد القهار ، مع قراءة سيرة الأخيار ، ومصاحبة الأبرار ، والزهد في هذه الدار .

وليعتقد في نفسه التقصير ويعترف ، ويخشى مما اقترف ، ويبكي على ما سلف ، وعلى ما كان عليه السلف يقف ، وليسلم من الهلاك والتلف ، وليتقيد بما شرع ، وليحذر البدع ؛ فإن النفس أمارة ، والنفس غرارة .

وليجود العبارة ، ويحسن الإشارة ، وليوقر الكبير ، ويرحم الصغير ، ويعطف على الفقير .

وليأت المنابر بعزم وثاب ، وقلب غير هيّاب ، وأسلوب جذاب ، وليعد العدة قبل أن يلقي الخطاب ، وليتذكر حديث : « لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم » ؛ فإن هذا من أجل النعم ، وليحمد ربه وليشكر ، حيث جعله يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وليعلم أن معلم الخير ، وناصح الغير ، يستغفر له الطير ، والحوث في البحر .

فظوبى لمن كان للرسول خليفة ، وما أجلها من وظيفة ، فهي المنزلة الشريفة ، والدرجة المنيفة ، فهذا عمل الأنبياء ، وشغل العلماء ، وقربة الأولياء ، فهنيئاً له الأجر ، ورفعته الذكر ، وجلال القدر ، وصلاح الأمر .

فسبحان من اصطفى من عباده دعاة إلى الجنة ، أعلاماً للسنة ، له عليهم أجل نعمة ، وأعظم منة .

* * *

علي الطنطاوي دائرة المعارف

اليوم يُقضى دين الشيخ علي الطنطاوي على الأمة ، واليوم يسدد حقه في عنق الأجيال ، واليوم تبرأ ذمة القلم من تبعة التنكر والمماثلة والإهمال لعلم من أعلام العلم والأدب ، وقمة شامخة من قمم المعرفة والبيان ، وكان الذي أدّى الأمانة ورفع اللائمة ألمعي الحسب ، ألمعي الأدب ، الأستاذ الأديب : أحمد بن علي آل مريع ، فجاء إلى هذا المبحث الرصين الثمين وهو كامل العدة ، مشبوب الفؤاد ، جياش العاطفة ، فرصع آيات الوفاء في لوح العطاء ، ودبّج حروف الحب في سفر المجد ، كتب بقلم الإعجاب والمعرفة ، ورسم بريشة العارف الوفي ، فجاء بحثه قصيدة عصماء أسرة ، ولوحة حسن ساحرة . صاحبته في رحلته الماتعة مع سيرة هذا العالم الفقيه ، والأديب الفذ ، فاستوقفني بتدفق بيانه ، وعذوبة ألفاظه ، وتناسق جملة ، تسعفه في ذلك ذاكرة خلابة ، وروح متقدة ، وهمة صادقة ، فصار كتابه ثوب حسن موشى بخيوط الجمال ، وإلياذة عاشق مطرزة بأبيات الفتون وآهات الشجون ، كل كلمة نجمة في سماء الإبداع ، وكل جملة أنشودة عذبة في مهرجان الإمتاع ، قلبت عبارته تقليب الدرة في كف الصيرفي ، ونشرت بحثه نشر الثوب في يد البزاز .

أما بطل السيرة وأستاذ المسيرة .. فهو علي الطنطاوي فحسب ، وإذا قلت : علي الطنطاوي .. حضرت دائرة المعارف ، وموسوعة الأدب ،

وجامعة الفنون ، فصرت معه في عالم من المنقول والمعقول ، والقديم والحديث ، والعلم والأدب ، والنثر والشعر ، تقرأه فإذا الآية والحديث ، والقصة والمثل ، والبيت والحكاية ، والنكتة والخاطرة .

يُضحكك ويُبكيك ، يطريك ويشجيك ، يفرحك ويحزنك ، فأنت معه بين بسمه ودمعة ، ووصل وهجر ، وسلم وحرب ، يحدثك عن الأنبياء والعلماء ، والحكماء والشعراء ، والملوك والسوقة ، والأغنياء والفقراء ، والرجال والنساء ، والملائكة والشياطين .

يقص عليك أخبار مالك ، والشافعي ، وابن تيمية ، وابن حزم ، وابن سينا ، وابن رشد ، والفارابي ، وابن خلدون ، والمتنبي ، وأبي تمام ، وفولتير ، وسارتر ، وديكارت ، وكانت ، وشكسبير ، وتولستوي ، وإقبال ، وطاغور .

يرتحل بك من برج إيفل إلى تاج محل ، ومن هضبة التبت إلى مقاصير الحمراء ، ومن ضفاف دجلة إلى روافد الراين .

يتحفك بتاريخ العرب ، ودهاء العجم ، وصبر الأتراك ، وسمود الأكراد ، وسخرية الفرنسيين ، وبرود الإنجليز ، يجمع لك في مجلس واحد عدل نور الدين ، وشجاعة صلاح الدين ، وهمة نابليون ، وأبهة الناصر في الزهراء ، وحنكة معاوية في دمشق ، وملك هارون ببغداد .

يهدأ فإذا هو رخاء حيث أصاب ، ويزبد ويرعد فإذا هو قاصف من الريح ، وعات من الموج ، تعيش معه وعظ الحسن البصري ، وزهد الثوري ، وبديهة إياس ، وموسوعية الشعبي ، وسخرية برناردشو ، وجاذبية غوته ، وتصوير هيجو .

ينقلك بقوة براعته ، وأسر إبداعه ، من عالمك الصغير إلى عالمه الكبير ،
ومن أفقك الضيق إلى أفقه الواسع ، ومهما حاولت أن تتماسك أمام أسره
وسحره . . فهيئات سوف تستسلم لسلطان بيانه ، وتعلن الطاعة لنور برهانه ؛
لأن حديثه يكاد يضيء من بريق نوره ولو لم تمسه نار ذاكرته ، وسوف تعترف
بتميزه وعمقه وموسوعيته وأصالته .

لم أقرأ لأديب ولا لكاتب معاصر أعذب عبارة ، وألطف إشارة ، وأحسن لفظاً ،
وأعظم أسراً ، وأبرع كتابةً ، وأجمل أسلوباً من علي الطنطاوي ، لكأن مقالته
صبح تنفس ، أو روض أخضر باكرته صبا باردة ، أو جنة بربوة أصابها وابل .
قرأت كل كتبه وأعدت الكثير منها ، وحفظت قطعاً جميلة ، وتحفاً غالية
منها ، وخطبت ببعض إشرافاته ، فسالت من سماعها الدموع ، ووجلت من
بلاغتها القلوب .

استفدت من كتبه جلال الحق ، وإشراق النفس ، وسمو الروح ، وحلاوة
الجملة ، وطلاوة الحرف ، قطفت من روضه أينع الثمار ، وأذ الطلع ،
فحديقة علمه صنوانٌ وغير صنوان تُسقى بماء واحد ، وبستان أدبه فيه من كل
زوج بهيج ؛ تفسيراً ، وحديثاً ، وأدباً ، وثقافة ، وفي رحاب فنونه حدائق
ذات بهجة مما يهيج ويبهر ؛ لأنه يغرب ويطرب ويعجب .

والمعاصرون من الأدباء طرائق جدد ، ومذاهب شتى ؛ منهم عميق الفكر
راسخ المعلومة ، لكنه قلق العبارة ، شاق الطريق ، فاتر الأداء ، ومنهم البارع
في عرضه ، الجميل في لفظه ، لكن بضاعته مزجاة ، وعيبته فارغة ، وكفه
صفر ، ومنهم خالي الوفاض من المعنى ، على جرف هار في المبنى ، (حشفاً
وسوء كيلة) .

أما الشيخ علي الطنطاوي.. فهو ثروة المعرفة ، واسع العلم ، راسخ الفهم ، عميق الفكر ، وهو مع ذلك صاحب أروع مقالة تتصدّر الكتاب العربي ، والمجلة السائرة ، والصحيفة اليومية ، سهولة في أصالة ، ويسراً في رصانة ، وعذوبة في عمق .

حُلِّلْ مِنْ السَّخْرِ الْجَمِيلِ وَمَوْكِبٌ مِنْ رَوْعَةِ الْإِيحَاءِ وَالْإِغْرَاءِ
إذا أصل لنا.. نسينا ابن سينا ، وإذا نظر.. سقطت أسهم سقراط ، له تفنن الجوزي ، وعبقريّة ابن حزم ، وتبيان الجاحظ ، وسلاسة ابن حيان ؛ لأنه جرد الأسفار ، وطاف الديار ، وطوى منشور الزمان ، ونشر مطوي المكان ، فهو جامع لأحداث العصر ، وأنباء كل مصر ، إن أحبّ.. أطيب وأسهب ، وإن شاء.. أوجز وألغز ، مع جودة خاطر ماطر ، وصحة نفس عاطر ، ولا غرابة فهو خليفة مُجَدِّدِ الأدب ، وإمام الكتاب مصطفى صادق الرافعي .

والشيخ علي الطنطاوي لا يتركك تقرأ له بقلب خامد ، وطرف جامد ، وحسّ هامد ، بل يبعث في نفسك شعوراً حياً ، فيهِزُّ عاطفتك ، ويُلْهِبُ حماسك ، ويوقظ روحك ، هذا إذا كان القارئ له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، أما إذا كان ميت الشعور ، يابس الإحساس ، مقفر المعرفة.. فهذا لا كلام معه : ﴿ أَمُوتْ غَيْرَ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ .

مَا فِي الْخِيَامِ أَخُو وَجْدٍ نَطَارِحُهُ حَدِيثَ نَجْدٍ وَلَا خِلَّ نُجَارِيهِ
لقد عرفت الطنطاوي قبل ثلاثين سنة ، تأبّطت كتبه في جبال الجنوب ، وتصفّحت مقالاته في روابي نجد ، وطالعت ذكرياته في مغاني الحجاز ، استقبلتني كتبه في دمشق ، وهزّنتي مقالاته في القاهرة ، ولقيت قصصه في

باريس ، وسمعت أخباره في قرطبة .

وهو مصري المحتد ، دمشقي المولد ، حجازي الهوى ، نجدي الجوى ،
صوته في المذياع ، وصورته في الشاشة ، وأدبه في الصحيفة ، وإشراقه في
الكتاب .

سافرت وكتبه معي ، ونمتُ ورسائله على مخدتي ، وكنت مرة في الطائرة
إلى جاكركتا ، وبين يدي كتابه : « رجال من التاريخ » ، فأبكاني وأشجاني ،
وأيتت أرتجل خطبة في جمع بعد ما حفظت مقطوعة : (نحن المسلمون) من
أول « قصص من التاريخ » ، فسمعت نشيج الحضور .

بيني وبين الطنطاوي - غير نسب الدين العظيم ، والمعتقد الحق - صفاتُ
مقاربة متجاذبة ، مع اعترافي بفضلله وتقدمه وسابقيته ؛ فقد حَبَّبني في الأدب
شعراً ونثراً ، على نزعة فطرية سابقة ، وولع قديم ، وحنين دائم ، ﴿ فَالْفَقَى
الْمَاءَ عَلَى أَمْرٍ قَدِيرٍ ﴾ .

وَمَا شَرَقِي بِالْمَاءِ إِلَّا تَذَكُّرًا لِمَاءِ بِهِ أَهْلُ الْحَبِيبِ نُزُولُ
وشجّعني على الموسوعية ، وتعدد الفنون ، والضرب في كل غنيمة
بسهم ، وهبوط وديان المعرفة ، وشحذ ما عندي من طبع دعوب ، ومزاح
متأصل ، ونكتة منكوتة في الدم جعلتني أعجب بطرائفه ولطائفه ، وأضحك
معه ، وأحفظ كما يحفظ ، مما تخف له الروح ، ويهش له خاطر ، والله
هو ؛ مواهب متعددة ، وروح متجددة ، نهج حنفي ، ومذهبي حنفي ،
وخلق أحنفي ، يكاد سنا برق لموعه يذهب بأبصار حساده .

وحرصتُ على لقاء الشيخ الطنطاوي وتمنيتُ ذلك ، وقبل أن ألقاه بأشهر
كنت ألقى درس السبت بأبها في جمع من الناس ، فوصلتني إشاعة موته ،

وصدّق ذلك بعضُ الأصدقاء وقوّوها عندي ، فأخبرت الناس بموته وهو حي يُرزق ، وترحّمتُ عليه وغسّلتُه وكفّنتُه وصلّيتُ عليه ودفنتُه وبكيتُ ، فلما انتهى الدرس .. ثبت أن الشيخ علي لم يمت ، وأنه لا يزال مصراً على الحياة على رغم أنوفنا!! ولو كانت تنطلي عليه الحيلة .. لصدّقنا ومات ، فصار بكاؤنا عليه هباءً منثوراً .

وزرته بمكة في بيته بالعزيرية ، وعرفه صاحبه بي ، وقد سمع ببعض أشرطتي واستشهادي بكلامه ، فهشّ وبشّ ، وحيّا ورحّب ، وقال لي : أنت الذي أماتني قبل أن أموت ؟! ثم استشهد بييت المتنبّي :

يَا كَمْ دُفِنْتُ وَيَا كَمْ مِتُّ عِنْدَكُمْ ثُمَّ أُنْتَفَضْتُ فَزَالَ الْقَبْرُ وَالْكَفَنُ

ومازحني وداعبني ، ثم حدثنا بشيء من ذكرياته المشجية ، فبكى مرتين وهو يقص علينا أحسن قصصه ، بكى حينما تذكر زميله وصديقه الكاتب اللامع والداعية الصادق سيد قطب رحمه الله ، وقال والدمع يغسل خدّه : كان خيراً مني ، وأفضل مني ، وأنفع مني ، ثم تنهّد وترحّم عليه .

ثم بكى لما ذكر ابنته بنان رحمها الله التي قُتلت بألمانيا ، فجادت عيناه بأحر وأصدق الدموع على فلذة كبده ، وصنو روحه ، فكان دمه أصدق خطبة قرأتها ، وأعظم موعظة سمعتها ، حرّم الله تلك العيون على النار ، وأنس الله تلك الجفون بصحبة الأبرار .

وكل ما ذكرته عن الشيخ علي الطنطاوي عظيم ، ويستحق عليه التكريم ، لكن أعظم من سعة علمه وكثرة فنونه ودائرة معارفه : أنه قد رضي بالله ربّاً وبالإسلام ديناً ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ، وهنا عظمة الإنسان ، وغاية نبهه ، وذروة كماله البشري ، حيث يبارك في علمه ، ويصلح عمله ،

ويرتفع ذكره ، ويستقيم منهجه ، وتطيب كلماته ، وتعذب عبارته ، ويحلو أدبه ، وهذا بعينه الذي حببنا في شيخ الجيل ، وأستاذ الأدب ، وكاتب العصر ، علي الطنطاوي .

ألا فتناً وسحقاً لمن عَقَّ دينه ، ونسي ربّه ، وكنتم شهادةً عنده من الله ، وألغى الدليل ، ورفض المحجّة البيضاء ، وتدثّر بلباس الزور ، وتزمل برداء الغرور ، فهو إنسان في فهم ثور ، ﴿ إِنَّهُمْ ظَنُّوا أَن لَّنْ يَحُورَ ﴾ .

فلا يلوم لائم تعلق الجيل المؤمن ، والشباب الصادق بهذا الأستاذ الجهبذ ، وهذا العلم الأعجوبة ؛ لأنهم وجدوا فيه الأمانة والإيمان مع ورع النفس ، وطهر الضمير ، وعفة القلم ، وصفاء الفكر ، أما المرتزقة الآثمون المفلسون في عالم القيم . . ﴿ فَتَعَسَّاهُمْ وَأَصْلَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ ، نتاجهم سراب بقيعة ، وحصيلتهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف ، صار ذمهم شهادة على كمال من جرّحوه ، وأصبحت تزكيتهم وصمة عار لمن مدحوه .

إنني في هذا التقريظ أنوب عن أمة الضاد ، وحملة الرسالة ، لأقدم أنبل الشكر وأصدق وأكرمه وأرقه لمؤلف هذا الكتاب ، ومسطرّ هذا البحث ؛ لأنه قد أعفانا من مشقة التنقيب والبحث الدقيق ، والتتبع الأمين لسيرة هذا العالم الفقيه الأديب ؛ بما خطّه من سفر موثق أمين صادق ، في ثوب قشيب ، نسج بخيوط التجرّد والإنصاف ، ولقد رحّبت بتقريظ كتابه ترحيب من تاقت نفسه لمآثر وأخبار الشيخ علي الطنطاوي ، تقبلت هذا البحث بقبول حسن ، تقبّل الوالد لأعزّ أبنائه ، والضال الواجد لضالته المنشودة ، وأخذت أرتشف سلسيله البارد على الروح ترشّف الظمآن زلال ماء بارد ، من ينبوع صاف ، تمدّه عين يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً .

وكنْتُ أحدث نفسي كثيراً بالكتابة عنه ، فصرت كما قال الأول :
هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي

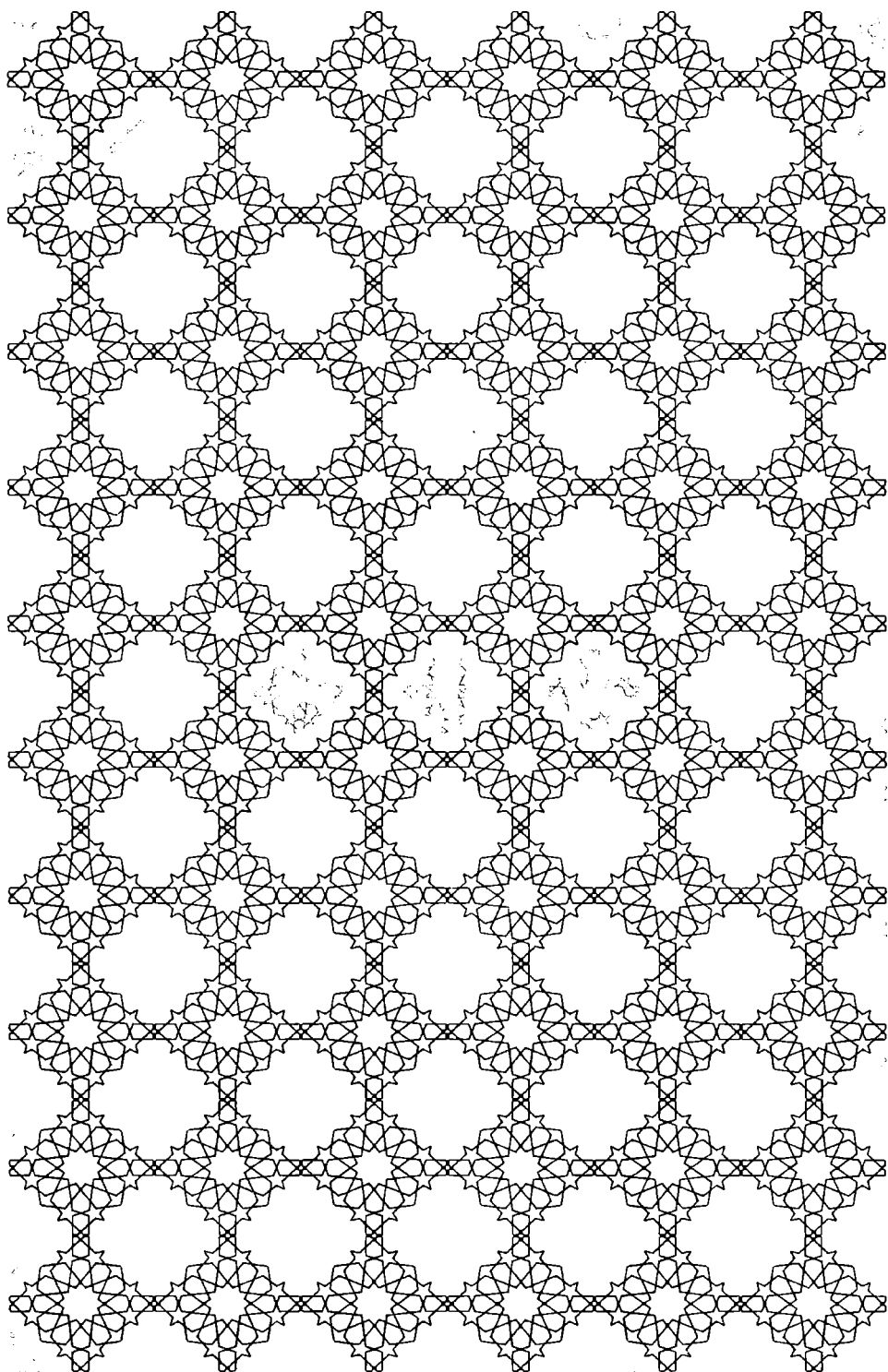
أقدم وأحجم في تقديم عمل موثق ، وسيرة عطرة لهذه القمة العلمية
الأدبية الشامخة ، فأعظمُ من نصب التذكار وأوسمة الشرف الثناء الحسن ،
ولسان الصدق في الآخرين ، فذكرُ الفتى عمره الثاني ، والمرء حديثٌ جميل
بعده فحسب .

أمّا وقد خرج هذا العمل المبارك من النور إلى النور ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ ..
فشفى وكفى ، فليهدأ من نوى أن يكتب ، وليسكن من حدّث نفسه أن يبحث ،
فلا طيب بعد عروس ، وقطعتُ جَهيزَةً قول كل خطيب ، وفي طلعةِ البدر
ما يُغنيك عن زحل ، وإذا لم يأت عمل مثل هذا العمل في إتقانه ودقته ،
وانسياقه وسياقه ، ونصاعته وبراعته ، وفصاحته وملاحته .. فليكسر القلم ،
ولتمزق القراطيس .

هُوَ الْجَدُّ حَتَّى تَفْضَلَ أَلْعَيْنُ أَخْتَهَا وَحَتَّى يَكُونَ الْيَوْمَ لِلْيَوْمِ سَيِّدًا

* * *

اُطُّوْا قُلُوبَ الْزَهَبِ



قال أبو تمام :

وَلَقَدْ أَرَاكَ فَهَلْ أَرَاكَ بِغِبْطَةٍ
أَعْوَامٌ وَضَلَّ كَانَ يُنْسِي طَوْلَهَا
ثُمَّ أَنْبَرَتْ أَيَّامٌ هَجَرٍ أَرْدَفَتْ
ثُمَّ أَنْقَضَتْ تِلْكَ السَّنُونُ وَأَهْلَهَا

* * *

قال امرؤ القيس :

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ مُرَخِّ سُدُولَهُ
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ
أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَنْجَلِ
فِيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَانَ نُجُومُهُ
كَأَنَّ الثُّرَيَّا عُلِقَتْ فِي مَصَامِهَا
وَقَدْ اغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا
مَكْرٌ مِفْرٌ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعَا
لَهُ أَنْطَلَا ظَنِّي وَسَاقَا نَعَامَةٍ
ضَلِيلٍ إِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ سَدَّ فَرْجَهُ

* * *

وقال مهلهل بن ربيعة :

إِذَا أَنْتِ أَنْقَضَيْتِ فَلَا تَحُورِي
فَقَدْ أَبْكَى مِنَ اللَّيْلِ الْقَصِيرِ
فَيَعْلَمَ بِالذَّنَائِبِ أَيُّ زِيرِ

بِیَوْمِ الشَّغْمَيْنِ أَقْرَّ عَيْنًا
وَأَيْتِي قَدْ تَرَكْتُ بِوَارِدَاتِ
هَتَكْتُ بِهِ يُيُوتَ بَنِي عَبَادِ
عَلَى أَنْ لَيْسَ يُوفِي مِنْ كُلِّبِ
وَهَمَّامِ بْنِ مُرَّةٍ قَدْ تَرَكْنَا
يُنُوءُ بِصَدْرِهِ وَالرُّمُحُ فِيهِ

* * *

وقال ابن الخياط الشامي :

خُذَا مِنْ صَبَا نَجْدٍ أَمَانًا لِقَلْبِهِ
وَإِيَّاكُمْ ذَاكَ النَّسِيمَ فَإِنَّهُ
وَفِي الْحَيِّ مَخْنِي الضُّلُوعِ عَلَى جَوَى
إِذَا نَفَحَتْ مِنْ جَانِبِ الْغُورِ نَفْحَةٌ
خَلِيلِي لَوْ أَبْصَرْتُمَا لَعَلِمْتُمَا
غَرَامٌ عَلَى يَأْسِ الْهَوَى وَرَجَائِهِ
تَذَكَّرَ وَالذِّكْرَى تَشُوقٌ وَذُو الْهَوَى
وَمُخْتَجِبٍ بَيْنَ الْأَسِنَّةِ وَالْقَنَا
أَغَارُ إِذَا آنَسْتُ فِي الْحَيِّ أَنَّهُ

* * *

وقال بشار بن برد :

إِذَا كُنْتُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَاتِبًا
فَعِشْ وَاحِدًا أَوْ صِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ
صَدِيقَكَ لَمْ تَلَقَ الَّذِي لَا تُعَاتِبُهُ
مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُهُ

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَاراً عَلَى الْقَدَى ظَمِئْتُ وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهُ

* * *

وقال أيضاً :

إِذَا بَلَغَ الرَّأْيُ الْمَشُورَةَ فَاسْتَعِنَ بِحَزْمٍ نَصِيحٍ أَوْ نَصِيحَةِ حَازِمٍ
وَلَا تَجْعَلِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاضَةً فَإِنَّ الْخَوَافِي قُوَّةٌ لِلْقَوَادِمِ
وَمَا خَيْرُ كَفٍّ أَمْسَكَ الْغُلُّ أُخْتَهَا وَمَا خَيْرُ سَيْفٍ لَمْ يُؤَيِّدْ بِقَائِمٍ

* * *

وقال ابن اللبانة :

شَكَاتُنَا لَكَ يَا فَخْرَ الْأَعْلَا عَظُمَتْ وَالرُّزْءُ يَعْظُمُ مِمَّنْ قَدَرُهُ عَظُمَا
طَوَّقَتْ مِنْ نَائِبَاتِ الدَّهْرِ مُخَنَّفَةً ضَاقَتْ عَلَيْكَ وَكَمْ طَوَّقْنَا نِعَمَا
وَعَادَ طَوْفُكَ فِي دُكَانٍ قَارِعَةٍ مِنْ بَعْدِ مَا كُنْتَ فِي قَصْرِ حَكَى إِرَمَا
صَرَفْتَ فِي آلِهِ الصَّوَاغِ أَنْمَلَةً لَمْ تَذِرْ إِلَّا الْأَنْدَى وَالسَّيْفَ وَالْقَلَمَا
يَدُ عَهْدُكَ لِلتَّقْيِيلِ تَبْسُطُهَا فَتَسْتَقِلُّ الثَّرِيَّا أَنْ تَكُونَ فَمَا
يَا صَائِغاً كَانَتْ الْأَعْلِيَا تُصَاغُ لَهُ حُلِيّاً وَكَانَ عَلَيْهِ الْحُلِيُّ مُنْتَظَمَا
لِلنَّفْخِ فِي الصُّورِ هَوْلٌ مَا حَكَاهُ سِوَى هَوْلٍ رَأَيْتُكَ فِيهِ تَنْفُخُ الْفَحْمَا
وَدِدْتُ إِذْ نَظَرْتُ عَيْنِي إِلَيْكَ بِهِ لَوْ أَنَّ عَيْنِي تَشْكُو قَبْلَ ذَلِكَ عَمَى
مَا حَطَّكَ الدَّهْرُ لَمَّا حَطَّ عَنْ شَرَفٍ وَلَا تَحْيَفَ مِنْ أَخْلَاقِكَ الْكَرَمَا
لُحْ فِي الْأَعْلَا كَوَكْبَا ، إِنْ لَمْ تَلُحْ قَمَرَا وَقُمْ بِهَا رَبْوَةً ، إِنْ لَمْ تَقُمْ عَلَمَا
وَأَصْبِرْ فَرُبَّمَا أَحْمَدَتْ عَاقِبَةُ مَنْ يَلْزِمُ الصَّبْرَ يَحْمَدُ غَيْبَ مَا لَزِمَا
وَاللَّهِ لَوْ أَنْصَفْنَاكَ الشُّهُبُ لَانْكَسَفَتْ وَلَوْ وَفَى لَكَ دَمْعُ الْغَيْثِ لَانْسَجَمَا

* * *

وقال ابن الزبيري :

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُحَوَّلُ رَحْلَهُ
أَلَا خِذُونَ الْعَهْدَ مِنْ أَفَاقِهَا
وَالْخَالِطُونَ فَقِيرَهُمْ بِغَنِيِّهِمْ
وَالْمُطْعِمُونَ إِذَا الرِّيحُ تَنَاوَحَتْ
وَالْمُفْضِلُونَ إِذَا الْمُحَوَّلُ تَرَادَفَتْ
هَبْلَتِكَ أُمُّكَ لَوْ نَزَلَتْ بِرَحْلِهِمْ
وَيَكْلَلُونَ جَفَانَهُمْ بِسَدِيفِهِمْ
كَانَتْ قُرَيْشٌ بَيْضَةً فَتَقَلَّقَتْ

* * *

وقال الحطيئة :

وإِنَّ أَلَّتِي نَكَبْتُهَا عَنْ مَعَاشِرِ
أَتَتْ آلَ شَمَّاسٍ بِنِ لَأِيٍّ وَإِنَّمَا
فَإِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ تَعَادِي صُدُورُهُمْ
يَسُوسُونَ أَحْلَامًا بَعِيدًا أَنَاتُهَا
أَقْلُوا عَلَيْهِمْ لَا أَبَا لِأَبِيكُمْ
أُولَئِكَ قَوْمٌ إِنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا الْبِنَا
وَإِنْ كَانَتْ النِّعْمَاءُ فِيهِمْ جَزَوْا بِهَا
وَإِنْ قَالَ مَوْلَاهُمْ عَلَى جُلٍّ حَادِثٍ

* * *

وقال المتنبي :

إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرَفِ مَرُومٍ فَلَا تَقْنَعْ بِمَا دُونَ النُّجُومِ
فَطَعْمُ الْمَوْتِ فِي أَمْرِ حَقِيرٍ كَطَعْمِ الْمَوْتِ فِي أَمْرِ عَظِيمٍ
سَبَّكِي شَجْوَهَا فَرَسِي وَمُهْرِي صَفَائِحُ دَمْعِهَا مَاءُ الْجُسُومِ
قَرَبْنِ النَّارَ ثُمَّ نَشَأَنَّ فِيهَا كَمَا نَشَأُ الْعَذَارَى فِي النَّعِيمِ
وَفَارَقْنِ الصَّيَاقِلَ مُخْلِصَاتٍ وَأَيَّدِيهَا كَثِيرَاتُ الْكُلُومِ
يَرَى الْجُبْنَاءُ أَنَّ الْعَجْزَ عَقْلٌ وَتِلْكَ خَدِيعَةُ الطَّبْعِ اللَّئِيمِ
وَكُلُّ شَجَاعَةٍ فِي الْمَرءِ تُغْنِي وَلَا مِثْلُ الشَّجَاعَةِ فِي الْحَكِيمِ

* * *

وقال أيضاً :

أَطَاعَنُ خَيْلًا مِنْ فَوَارِسِهَا الدَّهْرُ وَحِيداً وَمَا قَوْلِي كَذَا وَمَعِيَ الصَّبْرُ
وَأَشْجَعُ مِنِّي كُلِّ يَوْمٍ سَلَامَتِي وَمَا ثَبَّتَ إِلَّا وَفِي نَفْسِهَا أَمْرُ
تَمَرَّسْتُ بِأَلْفَاتٍ حَتَّى تَرَكْتُهَا تَقُولُ: أَمَاتَ الْمَوْتُ، أَمْ ذَعَرَ الذُّعْرُ؟
وَأَقْدَمْتُ إِقْدَامَ الْإِنِّي كَانَ لِي سِوَى مُهْجَتِي أَوْ كَانَ لِي عِنْدَهَا وَتْرُ
ذَرِ النَّفْسَ تَأْخُذُ وَسَعَهَا قَبْلَ بَيْنِهَا فَمُفْتَرِقُ جَارَانِ دَارُهُمَا الْعُمْرُ
وَلَا تَحَسَبَنَّ الْمَجْدَ زَقَاً وَقَيْنَةً فَمَا الْمَجْدُ إِلَّا السَّيْفُ وَالْفَتَكَةُ الْبِكْرُ
وَتَضْرِبُ أَعْنَاقَ الْمُلُوكِ وَأَنْ تَرَى لَكَ الْهَبَوَاتُ السُّودَ وَالْعَسْكَرُ الْمَجْرُ
وَتَرْكُكَ فِي الدُّنْيَا دَوِيًّا كَأَنَّمَا تَدَاوَلُ سَمْعَ الْمَرءِ أَنْمَلُهُ الْعَشْرُ
وَكَمْ مِنْ جِبَالٍ جُبْتُ تَشْهَدُ أَنَّيَ الْـ جِبَالُ وَبَحْرِ شَاهِدِ أَنَّيَ الْبَحْرُ

* * *

وقال أيضاً :

يَزُورُ الْأَعَادِي فِي سَمَاءِ عَجَاجَةٍ
فَتُسْفِرُ عَنْهُ وَالسُّيُوفُ كَأَنَّمَا
طَلَعْنَ شُمُوساً وَالْغُمُودُ مَشَارِقُ
لَهُنَّ وَهَامَاتُ الرِّجَالِ مَغَارِبُ
أَسْتَتُهُ فِي جَانِبَيْهَا الْكُوَاكِبُ
مَضَارِبُهَا مِمَّا أَنْفَلَلْنَ ضَوَارِبُ

* * *

وقال أيضاً :

لَقَدْ تَصَبَّرْتُ حَتَّى لَاتَ مُصْطَبَرُ
لَأَتْرُكَنَّ وُجُوهَ الْخَيْلِ سَاهِمَةً
بِكُلِّ مُنْصَلَبٍ مَا زَالَ مُنْتَظَرِي
شَيْخٍ يَرَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ نَافِلَةً
رِدِّي حِيَاضَ الرَّدَى يَا نَفْسُ وَأَتْرِكِي
إِنْ لَمْ أَذْرِكِ عَلَى الْأَرْمَاحِ سَائِلَةً
أَيَمْلِكُ الْمُلْكُ وَالْأَسْيَافُ ظَامِمَةً
مَنْ لَوْ رَأَيْ مَاءَ مَاتَ مِنْ ظَمَأٍ
فَالآنَ أَقْحِمُ حَتَّى لَاتَ مُقْتَحَمِ
وَالْحَرْبُ أَقْوَمُ مِنْ سَاقٍ عَلَى قَدَمِ
حَتَّى أَدْلْتُ لَهُ مِنْ دَوْلَةِ الْخَدَمِ
وَيَسْتَحِلُّ دَمَ الْحُجَّاجِ فِي الْحَرَمِ
حِيَاضَ خَوْفِ الرَّدَى لِلشَّاءِ وَالنَّعَمِ
فَلَا دُعِيْتُ ابْنِ أُمِّ الْمَجْدِ وَالْكَرَمِ
وَالطَّيْرُ جَائِعَةٌ لَحْمٍ عَلَى وَضَمِ
وَلَوْ مَثَلْتُ لَهُ فِي النَّوْمِ لَمْ يَنَمْ

* * *

وقال قرواش معتمد الدولة :

مَنْ كَانَ يَحْمَدُ أَوْ يَذُمُّ مُورَثَا
فَأَنَا أَمْرُؤُ اللَّهِ أَشْكُرُ وَخَدُهُ
فِي أَشْقَرِ سَمَجِ الْعِنَانِ مُعَاوِدِ
وَمُهَنَّدِ عَضْبٍ إِذَا جَرَّدَتْهُ
وَمُثَقِّفِ لَذَنِ السَّنَانِ كَأَنَّمَا
لِلْمَالِ مِنْ آبَائِهِ وَجُدُودِهِ
شُكْرًا كَثِيرًا جَالِبًا لِمَزِيدِهِ
يُعْطِيكَ مَا يُرْضِيكَ مِنْ مَجْهُودِهِ
خَلَّتِ الْبُرُوقُ تَمْوجُ فِي تَجْرِيدِهِ
أُمُّ الْمَنَايَا رُكِبَتْ فِي عُودِهِ

وَبِذَا حَوَيْتُ الْمَالَ إِلَّا أَنْتَ سَلَطْتُ جُودَ يَدِي عَلَى تَبْدِيدِهِ

* * *

وقال دريد بن الصَّمَّة :

أَعَاذِلْ إِنَّمَا أَفْنَى شَبَابِي
مَعَ الْفَتَيَانِ حَتَّى كُلَّ جِسْمِي
أَعَاذِلْ إِنَّهُ مَالٌ طَرِيفٌ
أَعَاذِلْ عُذَّتِي بَدَنِي وَرُمَحِي
وَيَبْقَى بَعْدَ حِلْمِ الْقَوْمِ حِلْمِي
تَمَنَّا نِي لِيَلْقَانِي أَبِي
وَلَوْ لَا قَيْتَنِي وَمَعِي سِلَاحِي
أُرِيدُ حِبَاءَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي

* * *

وقال قطري بن الفجاءة :

لَا يَزُكَّنْ أَحَدٌ إِلَيَّ الْإِحْجَامَ
فَلَقَدْ أُرَانِي لِلرَّمَاكِ دَرِيئَةً
حَتَّى خَضَبْتُ بِمَا تَحَدَّرَ مِنْ دَمِي
ثُمَّ أَنْصَرَفْتُ وَقَدْ أَصَبْتُ وَلَمْ أَصَبْ
يَوْمَ الْوَعَى مُتَخَوِّفًا لِحِمَامِ
مَنْ عَن يَمِينِي مَرَّةً وَأَمَامِي
أَكْنَافَ سَرْجِي أَوْ عِنَانَ لِحَامِي
جَذَعَ الْبَصِيرَةَ قَارِحَ الْأَقْدَامِ

* * *

وقال أبو تمام :

قَلُّوا وَلَكِنَّهُمْ طَابُوا فَأَنْجَدَهُمْ
إِذَا رَأَوْا لِلْمَنَايَا عَارِضًا لَبَسُوا
جَيْشٌ مِنَ الصَّبْرِ لَا يُحْصَى لَهُ عَدَدُ
مِنَ الْيَقِينِ دُرُوعًا مَا لَهَا زَرَدُ

نَاوَا عَنِ الْمَصْرَحِ الْأَذْنَى فَلَيْسَ لَهُمْ إِلَّا السُّيُوفَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ مَدَدُ

* * *

وقال سعد بن ناشب :

سَأَغْسِلُ عَنِّي أَلْعَارَ بِالسَّيْفِ جَالِبًا
وَأَذْهَلُ عَنْ دَارِي وَأَجْعَلُ هَذْمَهَا
وَيَصْغُرُ فِي عَيْنِي تِلَادِي إِذَا أَنْشَتْ
فَلِنْ تَهْدِمُوا بِالْغَدْرِ دَارِي فَإِنَّهَا
أَخُو غِمَرَاتٍ لَا يُرِيدُ عَلَى الَّذِي
إِذَا هَمَّ لَمْ تُزْدَعْ عَزِيمَةُ هَمِّهِ
فَيَا لِرَزَامٍ رَشَّحُوا بِي مُقَدِّمًا
إِذَا هَمَّ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ
وَلَمْ يَسْتَشِرْ فِي أَمْرِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ

* * *

وقال تميم بن جميل :

أَرَى الْمَوْتَ بَيْنَ السَّيْفِ وَالنَّطْعِ كَامِنًا
وَأَكْبَرُ ظَنِّي أَنَّكَ الْيَوْمَ قَاتِلِي
وَمَنْ ذَا الَّذِي يُدْلِي بِغَدْرِ وَحُجَّةٍ
يَعِزُّ عَلَى الْأَوْسِ بْنِ تَغْلِبَ مَوْقِفُ
وَمَا جَزَعِي مِنْ أَنْ أَمُوتَ وَإِنِّي
وَلَكِنْ خَلْفِي صَبِيَّةٌ قَدْ تَرَكَتْهُمْ
كَأَنِّي أَرَاهُمْ حِينَ أَنْعَى إِلَيْهِمْ

فَإِنْ عِشْتُ عَاشُوا خَافِضِينَ بِغِبْطَةٍ
أَذُودُ الرَّدَى عَنْهُمْ وَإِنْ مِتُّ مُوتُوا
فَكَمْ قَائِلٍ : لَا يُبْعَدُ اللَّهُ رُوحَهُ
وَأَخَرُ جَذْلَانُ يُسَرُّ وَيَشْمَتُ

* * *

وقال مجنون ليلي :

وَأَجْهَشْتُ لِلتَّوْبَادِ حِينَ رَأَيْتُهُ
وَأَذْرَيْتُ دَمْعَ الْعَيْنِ لَمَّا عَرَفْتُهُ
وَقُلْتُ لَهُ : أَيْنَ الَّذِينَ عَاهَدْتُهُمْ
فَقُلْتُ لَهُ : قَدْ كَانَ حَوْلَكَ جِيرَةٌ
فَقَالَ : مَضَوْا وَأَسْتَوْدَعُونِي بِلَادَهُمْ
وَإِنِّي لِأُبْكِي الْيَوْمَ مِنْ حَذَرِي غَدًا
سَجَالًا وَتَهْتَانًا وَوَبْلًا وَدِيمَةً
وَكَبَّرَ لِلرَّحْمَنِ حِينَ رَأَيْتُ
وَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ فَدَعَانِي
بِقُرْبِكَ فِي حِفْظٍ وَطِيبِ أَمَانٍ
وَعَهْدِي بِذَاكَ الصَّرْمِ مُنْذُ زَمَانٍ
وَمَنْ ذَا الَّذِي يَبْقَى عَلَى الْحَدَثَانِ
فِرَاقَكَ وَالْحَيَّانِ مُجْتَمِعَانِ
وَسَحًا وَتَسْجَامًا إِلَى هَمَلَانٍ

* * *

وقالت قتيلة بنت الحارث :

يَا رَاكِبًا إِنَّ الْأُتَيْلَ مَظْنَّةُ
أَبْلَغُ بِهَا مَيْتًا بِأَنَّ تَحِيَّةَ
مَنِّي إِلَيْكَ وَعَبْرَةٌ مَسْفُوحَةٌ
هَلْ يَسْمَعُنِي النَّضْرُ إِنْ نَادَيْتُهُ
أُمَحَمَّدُ يَا خَيْرَ ضِنءٍ كَرِيمَةٍ
مَا كَانَ ضَرْكَ لَوْ مَنَنْتَ وَرُبَّمَا
لَوْ كُنْتَ قَابِلَ فِذْيَةٍ لَفَدَيْتُهُ
فَالنَّضْرُ أَقْرَبُ مَنْ أَسَرْتَ قَرَابَةً
مَنْ صُبْحِ خَامِسَةٍ وَأَنْتَ مُوَفَّقُ
مَا إِنْ تَزَالَ بِهَا النَّجَائِبُ تَخْفِقُ
جَادَتْ بِوَائِكِفِهَا وَأُخْرَى تَخْنُقُ
أَمْ كَيْفَ يَسْمَعُ مَيْتٌ لَا يَنْطِقُ
فِي قَوْمِهَا وَالْفَحْلُ فَحْلٌ مُغْرِقُ
مَنْ أَلْفَتَى وَهُوَ الْمَغِيْظُ الْمُخْنِقُ
بِأَعَزِّ مَا يُغْلِي بِهِ مَنْ يُنْفِقُ
وَأَحَقُّهُمْ إِنْ كَانَ عِتْقُ يُعْتَقُ

ظَلَلْتُ سُيُوفَ بَنِي أَبِيهِ تَنْوُشُهُ
صَبْرًا يُقَادُ إِلَى الْمَيِّتَةِ مُتَعَبًا
لِلَّهِ أَرْحَامٌ هُنَاكَ تَشَقُّقُ
رَسَفَ الْمُقَيَّدِ وَهُوَ فَإِنْ مُوْتَقُ

* * *

وقال محمد بن الزيات :

أَلَا إِنَّ سَجَلًا وَاحِدًا قَدْ أَرْقُتُهُ
فَلَا تَلَحِّيَانِي إِنْ بَكَيْتُ فَإِنَّمَا
وَأَنَّ مَكَانًا فِي الثَّرَى خُطَّ لَحْدُهُ
أَحَقُّ مَكَانٍ بِالزِّيَارَةِ وَالْهَوَى
فَهَيِّنِي عَزَمْتُ الصَّبْرَ عَنْهَا لِأَنْتِي
ضَعِيفُ الْقُوَى لَا يَعْرِفُ الْأَجْرَ حِسْبَةً
أَلَا مَنْ أُمْنِيهِ أَلْمُنَى وَأَعُدُّهُ
أَلَا مَنْ إِذَا مَا جِئْتُ أَكْرَمَ مَجْلِسِي
فَلَمْ أَرَ كَالْأَقْدَارِ كَيْفَ تُصَيِّبُنِي

* * *

وقال التهامي :

فَوَاللَّهِ لَوْ أَسْطِيعُ قَاسَمَتُهُ الرَّدَى
وَلَكِنَّمَا أَرْوَاحُنَا مُلْكُ غَيْرِنَا
أُحْمَلُهُ ثِقْلَ الثَّرَابِ وَإِنِّي
وَمَا أَنَا بِالْوَافِي وَقَدْ عِشْتُ بَعْدَهُ
فَمِتْنَا جَمِيعًا أَوْ يُقَاسِمُنِي عُمْرِي
فَمَالِي فِي نَفْسِي وَلَا فِيهِ مِنْ أَمْرِ
لَاخِشَى عَلَيْهِ الثَّقَلُ مِنْ مَوْطِئِ الدَّرِّ
وَرُبَّ اعْتِرَافٍ كَانَ أَبْلَغَ مِنْ عُذْرِ

* * *

وقال الشاعر :

أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَاذَا تَصَمَّنَتْ
بُدُورٌ إِذَا الدُّنْيَا دَجَتْ أَشْرَقَتْ بِهِمْ
فِيَا شَامِتًا بِالْمَوْتِ لَا تَشْمَتَنَّ بِهِمْ
حَيَاتُهُمْ كَانَتْ لِأَعْدَائِهِمْ عَمَى
أَقَامُوا بِظَهْرِ الْأَرْضِ فَأَخْضَرَ عُودَهَا
بُطُونُ الثَّرَى وَاسْتَوْدَعَ الْبَلَدُ الْقَفْرُ
وَإِنْ أَجْدَبَتْ يَوْمًا فَأَيْدِيهِمُ الْقَطْرُ
حَيَاتُهُمْ فَخْرٌ وَمَوْتُهُمْ ذِكْرُ
وَمَوْتُهُمْ لِلْفَاخِرِينَ بِهِمْ فَخْرُ
وَصَارُوا بِبُطْنِ الْأَرْضِ فَاسْتَوْحَشَ الظُّهْرُ

* * *

وقال دريد بن الصمة :

أَمِنْ ذِكْرِ دَارٍ بِالرَّقَاشِينَ أَصْبَحَتْ
حَنَنْتُ إِلَى رَيَّا ، وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ
فَمَا حَسَنٌ أَنْ تَأْتِيَ الْأَمْرَ طَائِعًا
قَفَا وَدَّعَا نَجْدًا وَمَنْ حَلَّ بِالْحِمَى
وَلَمَّا رَأَيْتُ الْبِشْرَ أَغْرَضَ دُونَنَا
تَلَقَّتُ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتَنِي
بَكَتْ عَيْنِي أَلِيْمُنِي فَلَمَّا زَجَرْتُهَا
وَأَذْكُرُ أَيَّامَ الْحِمَى ثُمَّ أَتْنِي
فَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الْحِمَى بِرَوَاجِعِ
وَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْعَامِرِيَّةِ قَبْلَهَا
تُرِيكَ غَدَاةَ الْبَيْنِ مُقَلَّةَ شَادِنِ
فَلَيْتَ جَمَالَ الْحَيِّ يَوْمَ تَرَحَّلُوا
كَأَنَّكَ بَدَعٌ لَمْ تَرَ الْبَيْنَ قَبْلَهَا

بِهَا عَاصِفَاتُ الصَّيْفِ بَدْءًا وَرُجْعًا
مَزَارِكُ مِنْ رَيَّا وَشُعْبَاكُمَا مَعَا
وَتَجَزَعُ إِنْ دَاعِيَ الصَّبَابَةِ أَسْمَعَا
وَقُلْ لَنَجِدَ عِنْدَنَا أَنْ يُودَّعَا
وَجَالَتْ بَنَاتُ الشَّوْقِ يَخْنِنُ نَزْعَا
وَجِئْتُ مِنَ الْإِضْغَاءِ لَيْتًا وَأَخْدَعَا
عَنِ الْجَهْلِ بَعْدَ الْجِلْمِ أَسْبَلَتَا مَعَا
عَلَى كِبْدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَصَدَّعَا
عَلَيْكَ ، وَلَكِنْ خَلَّ عَيْنِكَ تَدَمَّعَا
وَلَا بَعْدَهَا يَوْمَ أَرْتَحِلْنَا مُودَّعَا
وَجِيدَ غَزَالٍ فِي الْقَلَائِدِ أَتْلَعَا
بِذِي سَلَمٍ أَضَحَتْ مَزَاحِفَ ظُلُّعَا
وَلَمْ تَكْ بِأَلْأَلَفِ قَبْلُ مُفْجَعَا

وقال مجنون ليلي :

أَلَا أَيُّهَا أَلْبَيْتُ الَّذِي لَا أَزُورُهُ
هَجَرْتُكَ مُشْتَقاً وَرَزْتُكَ خَائِفاً
سَأَسْتَعِظُكَ أَلْأَيَّامَ فِيكَ لَعَلَّهَا
جَرَى السَّيْلُ فَاسْتَبْكَايَ السَّيْلُ إِذْ جَرَى
وَمَا ذَاكَ إِلَّا حِينَ أَقْنَنْتُ أَنَّهُ
يَكُونُ أَجَاجاً دُونَكُمْ فَلِذَا أَنْتَهَى
أَظَلُّ غَرِيبَ الدَّارِ فِي أَرْضِ عَامِرٍ
وَأَنَّ الْكُثِيبَ الْفَرْدَ مِنْ أَيْمَنِ الْحِمَى
فَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِذَا أَنْتَ لَمْ تَزُرْ

* * *

وقال لقيط الإيادي :

يَا دَارَ عَمْرَةٍ مِنْ مُحْتَلِّهَا الْجَزَعَا
يَا قَوْمَ لَا تَأْمُنُوا إِنْ كُنْتُمْ غَيْراً
هُوَ الْجَلَاءُ الَّذِي تَبْقَى مَذَلَّتُهُ
هُوَ الْفَنَاءُ الَّذِي يَجْتَثُّ أَصْلَكُمْ
فَقَلِّدُوا أَمْرَكُمْ - اللَّهُ دَرُّكُمْ -
لَا مُتَرَفَاً إِنْ رُخَاءُ الْعَيْشِ سَاعَدَهُ
لَا يَطْعَمُ النَّوْمُ إِلَّا رَيْثَ يَنْعُثُهُ
مُسَهِّدُ النَّوْمِ تَغْنِيهِ ثُغُورُكُمْ
مَا أَنْفَكَ يَحْلُبُ هَذَا الدَّهْرَ أَشْطَرُهُ

عَنْكُمْ وَلَا وَلَدٌ يَنْغِي لَهُ الرَّفَعَا
مُسْتَحْكِمَ السِّنِّ لَا قَحْمًا وَلَا ضَرَعَا
زَيْدُ الْقَنَا حِينَ لَا قَى الْحَارِثَيْنِ مَعَا
دَمْتُ لِحَبْنِكَ قَبْلَ اللَّيْلِ مُضْطَجَعَا
فِي الْحَرْبِ يَخْتَلِلُ الرُّبَالَ وَالسَّبْعَا
فِي الْحَرْبِ لَا عَاجِزًا نُكْسًا وَلَا وَرَعَا
لَوْ صَارَعُوهُ جَمِيعًا فِي الْوَرَى صَرَعَا
لِمَنْ رَأَى الرَّأْيَ بِالْإِبْرَامِ قَدْ نَصَعَا
فَاسْتَيْقَظُوا إِنَّ خَيْرَ الْعِلْمِ مَا نَفَعَا

* * *

فَلَيْسَ يَشْغُلُهُ مَالٌ يُثْمَرُهُ
حَتَّى اسْتَمَرَّتْ عَلَى شَرْرِ مَرِيرَتِهِ
كَمَالِكَ بْنِ قَنَانٍ أَوْ كَصَاحِبِهِ
إِذْ عَابَهُ عَائِبٌ يَوْمًا فَقَالَ لَهُ :
فَسَاوَرُوهُ فَأَلْفَوْهُ أَحَا عِلَلِ
عَبْلَ الدَّرَاعِ أَيْبَا ذَا مُزَابَنَةِ
مُسْتَنْجِدًا يَتَحَدَّى النَّاسَ كُلَّهُمْ
هَذَا كِتَابِي إِلَيْكُمْ وَالنَّذِيرُ لَكُمْ
وَقَدْ بَدَلْتُ لَكُمْ نُصْحِي بِلَا دَخَلِ

وقال الواواء الدمشقي :

بِاللهِ صِفُهُ وَلَا تَنْقُصْ وَلَا تَزِدْ
وَقُلْتُ: قِفْ عَنْ وُرُودِ الْمَاءِ . . لَمْ يَرِدْ
يَا بَرْدَ ذَاكَ الَّذِي قَالَتْ عَلَى كَبْدِي

* * *

قَالَتْ لَطِيفِ خَيَالِ زَارَنِي وَمَضَى :
فَقَالَ : خَلَقْتُهُ لَوْ مَاتَ مِنْ ظَمَلٍ
قَالَتْ : عَهْدْتُ أَلُوفًا وَالصَّدَقَ شِيمَتَهُ

وقال ابن الدمينه :

وَلَا تَحْرِمِينَا نَظْرَةً مِنْ جَمَالِكَ
وَنَشْكُ الْهَوَى ثُمَّ أَفْعَلِي مَا بَدَا لَكَ
رَبِيعِي الَّذِي أَرْجُو زَمَانَ نَوَالِكَ
فَقَدْ سَرَّنِي أَنِّي خَطَرْتُ بِبَالِكَ
فَأَفْرَحُ أَمْ صَيَّرْتَنِي فِي شِمَالِكَ ؟

قَفِي قَبْلَ وَشْكِ الْبَيْنِ يَا ابْنَةَ مَالِكِ
قَفِي يَا أُمِيمَ الْقَلْبِ نَقْضِ لُبَانَةٍ
أَرَى النَّاسَ يَرْجُونَ الرَّبِيعَ وَإِنَّمَا
لَيْسَ سَاءَ نِي أَنْ نِلْتَنِي بِمَسَاءَةٍ
أَبِينِي أَفِي يُمْنِي يَدِيكَ جَعَلْتَنِي

عَدِمْتُكَ مِنْ نَفْسٍ ، فَأَنْتَ سَقَيْتَنِي
وَمَنْيْتَنِي لُفْيَانٍ مَنْ لَسْتُ لَاقِيَا
لِيَهْنِكَ إِمْسَاكِي بِكَفِّي عَلَى الْحَشَا
فَلَوْ قُلْتُ : طَأُ فِي النَّارِ ، أَعْلَمَ أَنَّهُ
لَقَدَّمْتُ رِجْلِي نَحْوَهَا فَوَطِئْتُهَا
فَوَاللَّهِ مَا مَنَيْتَنَا مِنْكَ مَحْرَمًا

* * *

وقال الشريف الرضي :

إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْجِمَامُ فَإِنِّي
وَأَلْبَسُهَا حَمْرَاءَ تَضْفُو ذُبُولَهَا
فَمِنْ قَبْلُ مَا اخْتَارَ ابْنُ الْأَشْعَثِ عَيْشُهُ
فَطَارَ ذَمِيمًا قَدْ تَقَلَّدَ عَارَهَا
وَجَاءَهُمْ يَجْرِي الْبَرِيدُ بِرَأْسِهِ
وَقَدْ حَاصَ مِنْ خَوْفِ الرَّدَى كُلِّ حَيْصَةٍ
وَهَذَا يَزِيدُ بَنُ الْمُهَلَّبِ نَافَرَتْ
فَقَالَ وَقَدْ عَنَّ الْفِرَارُ أَوْ الرَّدَى :
وَمَا غَمَرَاتُ الْمَوْتِ إِلَّا أَنْغِمَاسَةٌ

* * *

وقال المتنبي :

الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ
فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِنَفْسٍ مَرَّةٍ
هُوَ أَوَّلُ ، وَهِيَ الْمَحَلُّ الثَّانِي
بَلَغْتَ مِنَ الْعُلْيَاءِ كُلِّ مَكَانٍ

بِالرَّأْيِ قَبْلَ تَطَاعِنِ الْأَقْرَانِ
أَذْنَى إِلَى شَرَفٍ مِنَ الْإِنْسَانِ
أَيْدِي الْكُفَاةِ عَوَالِي الْمُرَانِ

* * *

وَلَرُبَّمَا طَعَنَ الْفَتَى أَقْرَانَهُ
لَوْلَا الْعُقُولُ .. لَكَانَ أَذْنَى ضَيْعَمٍ
وَلَمَّا تَفَاضَلَتِ النُّفُوسُ وَدَبَّرَتْ

وقال أيضاً :

وَصَدَّقَ مَا يَغْتَادُهُ مِنْ تَوَهُّمٍ
وَأَصْبَحَ فِي لَيْلٍ مِنَ الشُّكِّ مُظْلِمٍ
وَأَعْرِفُهَا فِي فِعْلِهِ وَالتَّكَلُّمِ
مَتَى أَجْزِهِ حِلْمًا عَلَى الْجَهْلِ يَنْدَمِ
جَزَيْتُ بِجُودِ الْبَاذِلِ الْمُتَبَسِّمِ
نَجِيبٍ كَصَدْرِ السَّمْهَرِيِّ الْمُقَوِّمِ
بِهِ الْخَيْلُ كَبَاتِ الْخَمِيسِ الْعَرْمَرَمِ

* * *

إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ
وَعَادَى مُحِبِّهِ بِقَوْلِ عِدَاتِهِ
أَصَادِقُ نَفْسِ الْمَرْءِ مِنْ قَبْلِ جِسْمِهِ
وَأَحْلَمُ عَنْ خَلِّي وَأَعْلَمُ أَنَّهُ
وَإِنْ بَذَلَ الْإِنْسَانُ لِي جُودَ عَابِسٍ
وَأَهْوَى مِنَ الْفِتْيَانِ كُلِّ سَمِيدِعٍ
خَطَّتْ تَحْتَهُ الْعَيْسُ الْفَلَاةَ وَخَالَطَتْ

وقال زهير :

وَإِنْ يُسْأَلُوا يُعْطُوا وَإِنْ يَنْسِرُوا يُغْلُوا
وَأَنْدِيَّةٌ يَنْتَابُهَا الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ
وَعِنْدَ الْمُقْلِينَ السَّمَا حَةَ وَالْبَذْلُ
مَجَالِسَ قَدْ يُشْفَى بِأَحْلَامِهَا الْجَهْلُ
شُكْرَتْ فَلَا غَرْمَ عَلَيْكَ وَلَا خَذْلُ
فَلَمْ يَفْعَلُوا وَلَمْ يُلَامُوا وَلَمْ يَأْلُوا
تَوَارِثُهُ أَبَاءَ آبَائِهِمْ قَبْلُ

هُنَالِكَ إِنْ يُسْتَخْبَلُوا أَلْمَالُ يُخْبَلُوا
وَفِيهِمْ مَقَامَاتُ حِسَانٍ وَجُوهُهُمْ
عَلَى مُكْثَرِيهِمْ حَقٌّ مَنْ يَغْتَرِيهِمْ
وَإِنْ جِثَّتْهُمْ أَلْفَيْتَ حَوْلَ بِيُوتِهِمْ
وَإِنْ قَامَ مِنْهُمْ حَامِلٌ .. قَالَ قَاعِدٌ :
سَعَى بَعْدَهُمْ قَوْمٌ لِكَي يُذَرِّكُوهُمْ
وَمَا يَكُ مِنْ خَيْرٍ أَتَوْهُ فَلِئِمَّا

وَهَلْ يُنْبِتُ الْخَطِيئَ إِلَّا وَشِجْهُ وَتَغْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا النَّخْلُ

* * *

وقال مروان بن أبي حفصة :

بُنُو مَطَرٍ يَوْمَ اللَّقَاءِ كَانَهُمْ
هُمْ يَمْنَعُونَ الْجَارَ حَتَّى كَانَمَا
لَهَا مِيمٌ ، فِي الْإِسْلَامِ سَادُوا وَلَمْ يَكُنْ
هُمْ الْقَوْمُ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا وَإِنْ دُعُوا
وَلَا يَسْتَطِيعُ الْفَاعِلُونَ فِعَالَهُمْ
أُسُودٌ لَهَا فِي بَطْنِ خَفَّانَ أَشْبُلُ
لِجَارِهِمْ بَيْنَ السَّمَاكَيْنِ مَنَزِلُ
كَأَوَّلِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَوَّلُ
أَجَابُوا وَإِنْ أَعْطُوا أَطَابُوا وَأَجْزَلُوا
وَإِنْ أَحْسَنُوا فِي النَّائِبَاتِ وَأَجْمَلُوا

* * *

وقال ربيعة الرقي :

لَشَتَّانَ مَا بَيْنَ الْبَزِيدَيْنِ فِي النَّدَى
بَزِيدُ سُلَيْمٍ سَالِمُ الْمَالِ وَالْفَتَى
فَهُمُ الْفَتَى الْأَزْدِيُّ إِتْلَافُ مَالِهِ
فَلَا يَخْسِبُ التَّمَتُّامُ أَنِّي هَجَوْتُهُ
فَيَا بَنَ أُسَيْدٍ لَا تُسَامِ أَبْنِ حَاتِمٍ
هُوَ الْبَحْرُ إِنْ كَلَّفْتَ نَفْسَكَ خَوْضَهُ
بَزِيدُ سُلَيْمٍ وَالْأَغَرُّ أَبْنِ حَاتِمٍ
أَخُو الْأَزْدِ لِلْأَمْوَالِ غَيْرُ مُسَالِمٍ
وَهُمُ الْفَتَى الْقَيْسِيُّ جَمْعُ الدَّرَاهِمِ
وَلَكِنِّي فَضَّلْتُ أَهْلَ الْمَكَارِمِ
فَتَقَرَّعَ إِنْ سَامَيْتَهُ سِنَّ نَادِمٍ
تَهَالَكْتَ فِي مَوْجٍ لَهُ مُتَلَاطِمٍ

* * *

وقال الحطيئة :

إِلَى الْقَائِلِ الْفَعَالِ عَلَقَمَةِ النَّدَى
إِلَى مَاجِدِ الْأَبَاءِ فَرْعِ سَمِيدِ
فَمَا كَانَ بَيْنِي لَوْ لَقَيْتُكَ سَالِمًا
رَحَلْتُ قُلُوصِي تَجْتَوِيهَا الْمَنَاهِلُ
لَهُ عَطْنٌ يَوْمَ التَّقَاضِلِ أَهْلُ
وَبَيْنَ الْغِنَى إِلَّا لَيَالٍ قَلَائِلُ

لَعْمَرِي لِنَعْمَ الْمَرْءِ مِنْ آلِ جَعْفَرٍ
لَقَدْ غَادَرَتْ حَزْماً وَجُوداً وَنَائِلًا
وَقَدْرًا إِذَا مَا أَمَحَلَ النَّاسُ أَوْفَضَتْ
لَعْمَرِي لِنَعْمَ الْمَرْءِ لَا وَاهِنُ الْقَوَى
لَعْمَرِي لِنَعْمَ الْمَرْءِ إِنْ عَيَّ قَائِلٌ
بِدَاكَ خَلِيجُ الْبَحْرِ إِحْدَاهُمَا دَمًا
فَإِنْ تَخَيَّ لَا أَمْلُلُ حَيَاتِي وَإِنْ تَمُتْ
لَعْمَرِي لِنَعْمَ الْمَرْءِ لَا مُتْقَاصِرٌ

* * *

وقال المعري :

طَرِبْنَا لِضَوْءِ الْبَارِقِ الْمُتَعَالِي
سَمَتْ نَحْوَهُ الْأَبْصَارُ حَتَّى كَانَتْهَا
إِذَا طَالَ عَنْهَا سَرَّهَا لَوْ رُؤُوسُهَا
تَمَنَّتْ قُوتَيْقًا وَالصَّارَةَ أَمَامَهَا
إِذَا لَاحَ إِيمَاضٌ سَتَرَتْ وَجُوهَهَا
وَكَمْ هَمٌّ نَضُو أَنْ يَطِيرَ مَعَ الصَّبَا

* * *

وقال متمم بن نويرة :

لَقَدْ لَامَنِي عِنْدَ الْقُبُورِ عَلَى الْبُكَاءِ
أَمِنْ أَجْلِ قَبْرِ بَالْمَلَأَ أَنْتَ نَائِحٌ
وَقَالَ : أَتَبْكِي كُلَّ قَبْرِ رَأَيْتَهُ

فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ الشَّجَا يَبْعَثُ الشَّجَا فَدَعَنِي فَهَذَا كُلُّهُ قَبْرُ مَالِكٍ

* * *

وقال حميد بن ثور :

وَمَا هَاجَ هَذَا الشُّوقَ إِلَّا حَمَامَةٌ
إِذَا شِئْتُ غَتَّتَنِي بِأَجْزَاعِ بَيْشَةٍ
مُطَوَّقَةٌ خُطْبَاءُ تَسْجَعُ كُلَّمَا
مُحَلَاةٌ طَوْقٍ لَمْ يَكُنْ مِنْ تَمِيمَةٍ
تَغَنَّتْ عَلَى غُصْنٍ عِشَاءً فَلَمْ تَدَعْ
إِذَا حَرَّكَتُهُ الرِّيحُ أَوْ مَالَ مَيْلَةً
عَجِبْتُ لَهَا أَنِّي يَكُونُ غَنَاؤُهَا
فَلَمْ أَرِ مِنْ لِي شَاقَهُ صَوْتُ مِثْلِهَا

* * *

وقال يوسف بن لؤلؤ :

أَحَمَامَةُ الْوَادِي بِشَرْقِيِّ الْغَضَا
فَبِحَقِّهِ عُودِي بِغَرْبِيِّ الْحَمَى
إِنَّا تَقَاسَمْنَا الْغَضَا فِغْصُونُهُ
مَا تَعَجِّبِينَ فَقَدْ غَدَتْ أَفْنَانُهُ
هَلَّا تَذَكَّرْتَ أَلَلَّاقَا بِالْأَجْرَعِ
إِنْ كُنْتَ مُسْعِدَةً الْكُتَيْبِ فَرَجَّعِي
مَا سَتَ بِلَيْلِكَ نَارُهُ فِي مَذْمَعِي
فِي رَاحَتِيكَ وَجَمْرُهُ فِي أَضْلَعِي

* * *

وقال المعري :

وَعَنَّتْ لَنَا فِي دَارِ سَابُورَ قَيْنَةٌ
رَأَتْ زَهْرًا غَضًّا فَهَاجَتْ بِمِزْهَرٍ
مِنَ الْوُرْقِ مِطْرَابُ الْأَصَائِلِ مِيهَالُ
مَثَانِيهِ أَخْشَاءُ لُطْفَنَ وَأَوْصَالُ

غَنَاؤُكَ عِنْدِي يَا حَمَامَةً إِغْوَالُ
بَجِيدِكَ فِيهَا مِنْ شَذَا الْمِسْكِ تِمْنَالُ
أَطْوَاقُ حُسْنٍ هُنَّ أَمْ هُنَّ أَغْلَالُ

* * *

فَقُلْتُ : تَغْنِي كَيْفَ شِئْتَ فَلِئَمَّا
وَتَخْسُدُكَ أَلْبِيضُ أَلْغَوَانِي قِلَادَةٌ
فَأَقْسَمْتُ مَا تَذَرِي أَلْحَمَائِمُ بِالضُّحَى

وقال أشجع السلمي :

وَلَا مَغْرِبٌ إِلَّا لَهُ فِيهِ مَادِحُ
عَلَى النَّاسِ حَتَّى غَيَّبَتْهُ الصَّفَائِحُ
وَكَانَتْ بِهِ حَيًّا تَضِيقُ الصَّحَاصِحُ
فَحَسْبُكَ مِنِّي مَا تُجِرُّ أَلْجَوَانِحُ
وَلَا بِسُرُورٍ بَعْدَ مَوْتِكَ فَارِحُ
لَقَدْ حَسُنْتَ مِنْ قَبْلُ فِيكَ أَلْمَدَائِحُ

* * *

مَضَى ابْنُ سَعِيدٍ حِينَ لَمْ يَبْقَ مَشْرِقُ
وَمَا كُنْتُ أَذْرِي مَا فَوَاضِلُ كَفِّهِ
فَأَضْبَحَ فِي لَحْدٍ مِنَ الْأَرْضِ مَيِّتًا
سَابِكِيكَ مَا فَاضَتْ دُمُوعِي فَإِنْ تَغَضُ
فَمَا أَنَا مِنْ رُزْءٍ وَإِنْ جَلَّ جَانِعُ
لِئِنْ حَسُنْتَ فِيكَ أَلْمَرَاثِي وَذَكَرُهَا

وقال الأبيوردي :

لَنَا رَغْبَةٌ أَوْ رَهْبَةٌ عُظْمَاؤُهَا
شَدَائِدُ أَيَّامٍ قَلِيلٌ رَخَاؤُهَا
فَصَارَتْ عَلَيْنَا بِالْهُمُومِ بُكَاءُهَا
رِقَاقِ أَلْحَوَاشِي كَادَ يَقْطُرُ مَاؤُهَا

* * *

مَلَكْنَا أَقَالِيمَ أَلْبِلَادِ فَأَذَعَنْتُ
فَلَمَّا أُنْتَهَتْ أَيَّامُنَا عَلِقَتْ بِنَا
وَكَانَ إِلَيْنَا فِي السُّرُورِ أُتِسَامُهَا
وَصِرْنَا نَلَاقِي أَلْنَائِبَاتِ بِأَوْجِهٍ

وقال البحتري :

فَضُلْتُ بِهَا أَلْسَيْفَ أَلْحُسَامِ أَلْمُجَرَّبَا
يُجَرِّدُ نَابًا لِلْقَاءِ وَمِخْلَبَا

وَقَدْ جَرَّبُوا بِالْأَمْسِ مِنْكَ عَزِيمَةً
غَدَاةَ لَقِيَتْ أَلَلَيْثَ وَأَلَلَيْثُ مُخْدِرُ

فَلَمْ أَرِ ضِرْغَامَيْنِ أَصْدَقَ مِنْكُمَا عِرَاكَ إِذَا الْهَيَّابَةُ الْنَّكْسُ كَذَّبَا
 هِزْبَرٌ مَشَى يَبْغِي هِزْبَرًا وَأَغْلَبُ مِنْ الْقَوْمِ يَغْشَى بَاسِلَ الْوَجْهِ أَغْلَبَا
 أَدَلَّ بِشَغْبٍ ثُمَّ هَالَتْهُ صَوْلَةٌ رَاكَ لَهَا أَمْضَى جَنَانًا وَأَشْعَبَا
 حَمَلَتْ عَلَيْهِ السَّيْفَ لَا عَزْمُكَ أَثْنَى وَلَا يَدُكَ أَرْتَدَّتْ وَلَا حَدُّهُ نَبَا
 وَكُنْتَ مَتَى تَجْمَعُ يَمِينُكَ تَهْتِكُ أَلْ—ضَّرِيَّةَ أَوْ لَا تَبْقِ لِلْسَّيْفِ مَضْرِبَا
 فَأَخْجَمَ لَمَّا لَمْ يَجِدْ فِيكَ مَطْمَعًا وَأَقْدَمَ لَمَّا لَمْ يَجِدْ عَنْكَ مَهْرَبَا
 فَلَمْ يُغْنِهِ إِنْ كَرَّ نَحْوُكَ مُقْبِلًا وَلَمْ يُنْجِهِ أَنْ حَادَ عَنْكَ مُنْكَبَا

* * *

الرسالة الجديّة لابن زيدون

بعث ابن زيدون من سجنه لابن جهور بهذه الرسالة :

يا مولاي وسيدي ، الذي ودادي له ، ومن أبقاه الله تعالى ماضيّ حدّ العزم ،
واري زند الأمل ، ثابت عهد النعمة ؛ أظمأتني إلى برود إسعافك ، ونفضت بي
كفّ حياطتك ، وغضضت عني طرف حمايتك ، بعد أن نظر الأعمى إلى تأميلي
لك ، وسمع الأصمّ ثنائي عليك ، وأحسن الجماد باستنادي إليك ، فلا غرو ؛ قد
يغصّ بالماء شاربهُ ، ويقتل الدواء المستشفي به ، ويؤتى الحذر من مأمنه ،
وتكون منية المّتمني في أمنيته ، والحين قد يسبق جهد الحريص .

كُلُّ الْمَصَائِبِ قَدْ تَمَرُّ عَلَى الْفَتَى وَتَهْوَنُ غَيْرَ شِمَاتَةِ الْحُسَّادِ
وَإِنِّي لِأَتَجَلَدُ ، وَأَرِي الشَّامِتِينَ أَنِّي لَرَيْبِ الدَّهْرِ لَا أَتَضَعُّعُ ، فأقول : هل أنا
إلا يد أدمها سوارها ، وجبين عضّ به إكليله ، ومشرقي الصّقه بالأرض صاقله ،
وسمهرئي عرّضه على النار مثقفهُ ، وعبد ذهب به سيده مذهب الذي يقول :

فَقَسَا لِيَزْدَجِرُوا وَمَنْ يَكُ حَازِمًا فَلْيَقْسُ أَحْيَانًا عَلَى مَنْ يَرْحَمُ
هذا العتب محمود عواقبه ، وهذه النّبوة غمرة ثم تنجلي ، وهذه النكبة
سحابة صيف عن قريب تقشع ، ولن يريني من سيدي أن أبطأ سحابه ، أو تأخر
غير ضنين غناؤه ، فأبطأ الدلاء فيضاً أملؤها ، وأثقل السحاب مشياً أحفلها ،
وأنفع الحيا ما صادف جذباً ، وألذّ الشراب ما أصاب غليلاً ، ومع اليوم غد ،
ولكل أجل كتاب ، له الحمد على اغتنامه ولا عتب عليه في إغفاله .

فَإِنْ يَكُنِ الْفِعْلُ الَّذِي سَاءَ وَاحِدًا فَأَفْعَالُهُ اللَّاتِي سَرَزْنَ الْوُفُ
وأعود فأقول : ما هذا الذنبُ الذي لم يسعه عفوكَ ؟! والجهلُ الذي لم
يأتِ من ورائه حلمك ؟! والتطاوُلُ الذي لم يستغرقهُ تَطَوُّلُكَ ؟! والتحامُلُ الذي
لم يفِ به احتمالك ؟! ولا أخلو من أن أكون بريئاً ، فأين العدلُ ؟ أو مسيئاً ،
فأين الفضلُ ؟

إِلَّا يَكُنْ ذَنْبٌ فَعَدْلُكَ وَاسِعٌ أَوْ كَانَ لِي ذَنْبٌ فَفَضْلُكَ أَوْسَعُ
حنانيك ، قد بلغ السيلُ الزُّبْيُ ، ونالني ما حسبي به وكفى ، وما أراني إلا
لو أني أمرتُ بالسجود لآدم فأبيتُ واستكبرت ، وقال لي نوح : ﴿ أَزْكَبَ
مَعَنَّا ﴾ ، فقلت : ﴿ سَكَاوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ﴾ ، وأمرتُ ببناء الصرح
لعلي أطلع إلى إله موسى ، واعتديتُ في السبتِ ، وتعاطيتُ ففقرت ،
وشربتُ من ماء النهر الذي ابتليَ به جنود طالوت ، وقدتُ الفيلَ لأبرهة ،
وعاهدتُ قريشاً على ما في الصحيفة ، وتأولتُ في بيعة العقبة ، ونفرتُ إلى
العيَرِ ببدر ، وانخذلتُ بثلاثِ الناسِ يومَ أحد ، وتخلَّفتُ عن صلاةِ العصرِ في
بني قريظة ، وأنفتُ من إمارة أسامة ، وزعمتُ أن بيعة أبي بكر كانت فلتة ،
ورجمتُ الكعبة ، وصلبتُ العائدَ بها على الثنية . . لكان فيما جرى - على
ما يُحتمل - أن يُسمى نكالاً ، ويُدعى - ولو على المجاز - عقاباً .

وَحَسْبُكَ مِنْ حَادِثٍ بِأَمْرِي تَرَى حَاسِدِيهِ لَهُ رَاحِمِينَ
فكيف ولا ذنب إلا نميمة أهداها كاشح ؟! ونبأ جاء به فاسق ؟! وهم
الهمازون المشاؤون بنميم ، الواشون الذين لا يلبثون أن يصدعوا العصا ،
والغواة الذين لا يتركون أديماً صحيحاً ، والسعاة الذين ذكرهم الأحنف بن
قيس ، فقال : ما ظنك بقوم الصدق محمود إلا منهم .

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيْبَةً وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبٌ
والله ؛ ما غششتك بعد النصيحة ، ولا انحرفتُ عنك بعد الصّاعية ،
ولا نصبتُ لك بعد التشييع فيك ، ولا أزمعتُ بأساً منك مع ضمانٍ تكفلت به
الثقةُ عنك ، وعهدٍ أخذه حُسنُ الظنِّ عليك ؛ فقيم عِبَثَ الجَفَاءِ بأذمتي ،
وعاثَ العقوقُ في مودتي ، وتمكّن الضياعُ مِنْ وسائلي ؟! ولَمَّا ضاقت
مذاهبي ، وأكدتُ مطالبي ، رضيتُ مِنَ المركبِ بالتعليقِ ، بل من الغنيمة
بالإياب . وأتَى غلبني المغلبُ ، وفخرَ عليّ العاجزُ الضعيفُ ، ولطمتني غيرُ
ذاتِ سوار ، وما لك لا تمنعُ مني قبلَ أنْ أُفترَسَ ، وتُدركني ولَمَّا أُمزقَ ، أم
كيفَ لا تنضرمُ جَوانِحُ الأكفَاءِ حَسداً لي على الخصوصِ بك ، وتقطعُ أنفاس
النّظراءِ منافسةً في الكرامةِ عليك ؟! فكيف وقد زانني رَسْمُ خِدَمَتِكَ ، وزاهني
وَسْمُ نِعَمَتِكَ ، وأبليتُ البلاءَ الجميلَ في سِماطِكَ ، وقمتُ المقامَ المحمود
عن سِباطِكَ ؟!

أَلَسْتُ أَلْمُوَالِي فِيكَ غُرَّ قَصَائِدٍ هِيَ الْأَنْجُمُ أَفْتَادَتْ مَعَ اللَّيْلِ أَنْجُمًا
ثَنَاءٌ يُظَنُّ الرُّوضُ مِنْهُ مُنَوَّرًا ضَحَى وَيَخَالُ أَلَوْشِي فِيهِ مُنَمَّمًا
وَهَلْ لَبَسَ الصَّبَاحُ إِلَّا بُرداً طرزته بفضائلك ، وتقلدت الجوزاءُ إِلَّا عِقدًا
فصلته بمآثرِكَ ؟! واستلَّ الربيعُ إِلَّا ثناءً ملأته من محاسنك ، وبثَّ المسكُ إِلَّا
حديثاً أذعته في محامدك ؟! وما يومٌ حلّمة بِسرٍ ، وإن كنتُ لم أكسُك سلياً ،
ولا حلّيتُك عُطلاً ، ولا وسمتُك غُفلاً ، بل وجدتُ أجراً وجِصّاً فبنيتُ ، وكان
القولُ ذا سِعةٍ فقلتُ ، وحاشا لله أنْ أعدَّ من العاملة النَّاصبة ، وأكونَ كالذّبالةِ
المنصوبةِ تُضيءُ للنّاسِ وهي تحترقُ ، فلك المثلُ الأعلى ، وهو بك أولى .

* * *

الحب

الحُبُّ على المحبِّين فرض ، وبه قامت السماوات والأرض ، من لم يدخل جنة الحبّ . . لن ينال القرب ، بالحبِّ عبدُ الربِّ ، وتُرك الذنب ، وهان الخطب ، واحتُمِّل الكرب .

عقل بلا حبٍّ لا يُفكّر ، وعين بلا حبٍّ لا تُبصر ، وسماء بلا حبٍّ لا تُمطر ، وروض بلا حبٍّ لا يُزهر ، وسفينة بلا حبٍّ لا تُبحر .
بالحبِّ تتألف المجرة ، وبالحبِّ تدوم المسرة .

بالحبِّ ترسم على الثغر البسمة ، وتنطلق من الفجر النسمة ، وتشدو الطيور بالنغمة .

أرض بلا حبٍّ صحراء ، وحديقة بلا حبٍّ جرداء ، ومقلة بلا حبٍّ عمياء ، وأذن بلا حبٍّ صماء .

بالحبِّ تُرضعُ الأمُّ وليدَها ، وتروم الناقةٌ وحيدَها .

بالحبِّ يقع الوفاق ، والضم والعناق ، وبالحبِّ يعم السلام ، والمودة والوئام .

الحبُّ هو بساط القربى بين الأحباب ، وهو سياج المودة بين الأصحاب .
بالحبِّ يفهم الطلاب كلام المعلم ، وبالحبِّ يسير الجيش وراء القائد ويتقدّم ، وبالحبِّ تُدعِن الرعيّة ، ويُعمل بالأحكام الشرعية ، تُصان الحرمات ، وتُقَدّس القربات .

بيت لا يقوم على الحب مهذوم ، جيش لا يحمل الحب مهزوم .
لكن أعظم الحب وأجله ، ما جاءت به الملة ، أجمل كلمة في الحب قول
الرب : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ ، فلا تطلب حباً دونه .

أحبّ امرؤ القيس فتاة ، وأحبّ أبو جهل العزى ومناة ، وأحبّ قارون
الذهب ، وأحبّ الرئاسة أبو لهب ، فأفلسوا جميعاً ؛ لأنهم أخطؤوا خطأ
شنيعاً .

أما حبّ بلال بن رباح . . فهو البر والصلاح ، سُحِبَ على الرمضاء ،
فنادى ربّ الأرض والسماء ، انبعث من قلب المحب أحدّ أحد ؛ لأن في
القلب إيماناً كجبل أحد .

مهر الجنة عند بلال السنة ، ركعتان ودمعتان .

الحبّ لا يعترف بالألوان ولا بالأوطان ، والدليل بلال وسلمان ؛ بلالٌ
أبيض القلب أسود البشرة ، فصار بالحبّ مع البررة ، وأبو لهب بالبغض ليس
من أهل البيت ، وسلمان نال بالحبّ جائزة « سلمان منا أهل البيت » .

دعني من حبّ مجنون ليلي ، ومحجوب سلمى ، ومعشوق عفرا ؛ فلطالما
لطخت بأشعارهم الطروس ، وضاحت بأخبارهم النفوس ، وخذعت
بقصائدهم الأجيال ، واتبعهم الضلال .

حدثني عن أنباء الأنبياء ، وهم من أجل حبّ الربّ يهجرون الآباء
والأبناء .

فإبراهيم يتبرأ من أبيه ، ونوح من بنيه ، وامرأة فرعون تلغي بنفسها عقد
النكاح ؛ لأن البقاء مع الكافر سفاح .

هذا هو عالم الحب بتضحياته ، بأفراحه وأتراحه ، وهو حبّ يصلك

برضوان مَنْ رضاه مَطْلَب ، وعفوه مَكْسَب .

امرؤ القيس يصيح في نجد ، وقد غلبه الوجد :

قَفَا نَبْكَ

فإذا بكأؤه على الأطلال ، وإذا دموعه تُسْفَح على الرمال ، إنه هُيام العقل
بلا وازع ، وحيرة الإنسان بلا رادع .

ورسولنا صلى الله عليه وسلم يذوق الويلات ، ويعيش النكبات ، ثم ينادي
مولاه في مناجاة وإخبات ، ويقول : « لك العتبى حتى ترضى » .

لا تُضِعْ عمري بشعر طرفة بن العبد ، وهو يشكو الحبِّ والصدِّ ، حبَّ
ماذا ، يا هذا ؟! أَمَا علمت أن أحد الأنصار ، كان يقرأ : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾
بتكرار ، فسئل عن المقصود ، فقال : لأن فيها مدح المعبود ، وأنا أحب تلك
البنود ، فدخل الجنة بالمحبة ؛ لأن الله أحبه .

شغلونا بالروايات الشرقيّة ، والمسرحيّات الغربيّة ، ويل هذا الجيل
ويله ، سهر مع غراميات ألف ليلة وليلة . وفي الذكر المنزل ، والحديث
المبجل ، قصص الحب الصادقة ، والمعاني الناطقة ، ما يخلب اللب ،
ويستميل القلب .

أخرجونا يا قوم من ظلمات عشق الأعراب ، والهيام في الأهذاب ، فكل
ما فوق التراب تراب ، وأدخلونا في عالم الحب الراقي ، والدواء الواقى ،
الذي تطير له الأرواح ، وتهتز له الأشباح ، في ملكوت الخلود ، وعلى بساط
رب الوجود .

دع حب هؤلاء فإنهم مرضى ، وتعال إلى الواحد وناد : ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ
رَبِّ لِتَرْضَى ﴾ ، ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ

كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ۖ .

حمزة سيد الشهداء يمزق الحبّ تمزيقاً ، وأنتم تهيمون بروايات غرامية
لفقت تلفيقاً ، نقول : حدّثونا عن الحبّ عند ابن عباس ، فتذكرون لنا عشق
أبي نُوَاس ، كفى جفاء ، فأما الزبد . . فيذهب جُفَاء .

حبّ طلحة والزبير ، أعظم من حب شكسبير ؛ لأنّ حبهما سَطَّرَ في بدر
لمرضاة القوي العزيز ، وحب شكسبير كتب في شوارع لندن لمراهقي
الإنجليز .

إن كنت يا شاعر الغرب كتبت رواية الحبّ بالحبر . . فالصحابة سجلوا
قصص المحبة بدم الصبر .

لا تدري ربما عُدَّتْ بحبك ، وكتب عنك عند ربك : هذا فراق بيني
وبينك ، ونحن نسمع من أجل امرأة بكاءك وأنيك .

كلما خرج علينا شاعر مخمور ، فاقد الشعور . . حفظنا شعره في
الصدور ، وكتبناه في السطور ، وقلنا : يا عالم ؛ هذه قصصنا الغرامية ،
ونسينا رسائلنا الإسلامية ، وفتوحاتنا السماوية ، التي أذهلت الإنسانية .

علّمني الحبّ من (سورة الرحمن) ، ولا تكدر خاطري بهيام :

يَا ظَنِيَّةَ أَلْبَانِ

أنا ما أحبّ لغة العيون ، ولكن أحبّ لغة القلوب ، ولا اتَّباع فلتات
أبي نواس والمجنون ، ولكني أرتع في رياض الكتاب المكنون : ﴿ وَإِنْ لَّمْ تَرَوْهُ مُتَوًّا
لِي فَأَعَزِّلُونِ ﴾ .

الحبّ الصادق في جامعة ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ﴾ ، والغرام الرخيص
في مسرح الفنانين والفنانات .

استعرض نصوص الحبّ في وثيقة الوحي المقدس ؛ لترى فيها حياة الأنفس .

الحبّ الأرضي يقتل الإنسان بلا قيمة ، والحبّ السماوي يدعو العبد إلى حياة مستقيمة ؛ ليجد فضل الله ونعيمه .

حبّ العز عند فرعون ، وحبّ الكنز عند قارون ، وحبّ البنز عند شارون ، أما حبّ الجنة . . فعند أبطال السنّة ، الذين حصلوا على أعظم منّة .
الجعد بن درهم ذُبح على الابتداع ، وأنت تبخل بدمعة في محراب الاتباع .

أتريد من الجيل أن يحبّ الملك العلّام ، ويصلي خلف الإمام ، ويحافظ على تكبيرة الإحرام ، وأنت تحفظه رباعيات الخيام ، ليلبّغهم رسالة لا بعث ولا نشور ، أعوذ بالله من تلك القشور ؟!

يا حاج ، أين حملة المنهاج ؟ أما ترى كيف عشق الإمارة الحجاج ، وقُتل في البدعة الحلاج ، وأنت من أحرص الناس على حياة ؟ فبماذا تدخل الجنة يا أخاه ؟

من تداجي ؟ يا إبراهيم ناجي ، ومن تكلم ومن تناجي ؟ تقول :
يا فؤادي ؛ رحم الله الهوى ، بل قتل الله الهوى .

من يشارك في ثورة الخبز . . لا يحضر معركة العز ، لما نسيت الأمة حبّ القلوب ، واشتغلت بحبّ البطون ، رضيت بالدون ، وعاشت في هون .
﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ .

نحن بحاجة إلى صوت خبيب بن عدي وهو يلقي قصيدة الفداء ، على خشبة الفناء ، في إصرار وإباء ، وصبر ومضاء .

بارك الله فيك وفي أشلائك يا خبيب ، فأنت إلى قلوبنا حبيب ، ﴿وَالَّذِينَ
ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ .

اللهم ؛ اجعلنا ممن يحبّك ويحبّ من يحبّك ؛ ليؤنسنا قربك ، اللهم ؛
ازرع شجرة حبّك في قلوبنا ؛ لنرى النور في دروبنا ، وننجو من ذنوبنا ،
ونظهر من عيوبنا .

وإن تعجب فعجب أن ترى شاعراً بائساً ، يشكو طللاً دارساً ؛ فهو يبكي
من نار الغرام ، ويشكو ألم الهيام ، ولو سافرت روحه في عالم الملكوت . .
لصار حبّه عنده كالقوت . لو أدرك عنترة الإسلام . . لما كبا ، وما قال :

أَذْكُرِي يَا عَبْلُ أَيَّامَ الصَّبَا

جرير يشكو العيون السود ، ويشار يشكو الصدود ، والشريف الرضي
يشكو فتنة الخدود ، وكأن الحياة لديهم اختصرت في امرأة حسناء ، وكأن
العمر يتسع لهذا الهراء ، ويحسبون أن الناس من أجلهم تركوا المنام ،
وهجروا الطعام .

إذا افتخرنا على الغرب بأن لدينا نساء حسناوات ، وفتيات فاتنات . . قالوا
لنا : عندنا في ذلك مسارح ومسرحيات ، ومغامرات وغراميات ، لكن فخرنا
على الناس أن لدينا رسالة ملأت الكون نوراً ، والعالم جبوراً ، والدنيا
طهوراً .

* * *

الجمال

الله جميل يحبّ الجمال ، موصوف بالجلال ، انظر نهجه ، وقد أنبت
حدائق ذات بهجة ، خلق الإنسان في أحسن تقويم ، وأبدع الكائنات في تصوير
مستقيم ، جمال في كواكب السماء ، وحسن يكسو الأشياء ، نجوم زاهرة ،
وبحار زاخرة ، كأن الأرض مكسوة بأحسن نسيج ، والحدائق فيها من كل زوج
بهيج ، رسم الجمال في الكائنات ، وخطّ الحُسن في المخلوقات .

الجمال في العين بلونها الأسود ، وبجفنها المقعد ، بسحر نظرتها ،
وروعة خطرتها ، مدورة في بهاء ، متحركة في سناء ، لها في الظلام بريق ،
ولها في الحركة تلفت رشيق ، عليها رمش يحميها ، ويغسلها ولا يدميها ،
وهي في نهر من الماء تسبح ، وفي هالة من النور تمرح ، في نظرها أسرار ،
وفي تلفتها أخبار ، لها لغة تفهمها القلوب ، ولها سحر تكاد منه النفس
تذوب ، في طرفها حور ، يقتل من نظر ، لها في النفوس إيماءات ، وفي
الأرواح إضاءات ، يعرف بها الرضا والغضب ، والجد واللعب .

الجمال في الفم وهو بالحسن محبوب ، وبالأسنان مسبوك ، يرسل
الكلمات ، ويبعث النغمات ، بلسان فصيح ، وصوت مليح ، لا ينطق حتى
يؤمر ، ولا يسكت حتى يزجر ، فيا له من خلق ما أبدعه ، ومن صنع
ما أروعه ، ﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ لِمُعْصِيَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْتَهُ الْجَدَيْنِ ﴾ .

الجمال في الوجه بطلعته البهية ، وإشراقاته الرضية ، قسما ترسم ،

وقبلات عليه من البهاء تبسم ، خد بماء البشاشة يسيل ، وطرف بإيحاء الحسن
كحيل ، دمع كالسيل ، وشعر كالليل ، وجبين كالمهند ، وفم منضد .
الجمال في قامة الإنسان ، وروعة هذا البنيان ، أذنان وصماخان ،
وعينان نضاختان ، ويدان منافحتان ، ورجلان كادحتان .

الجمال في الروض الجذاب ، بجماله الخلاب ، طيور تلقي قصائد
الحنان ، على منابر الأغصان ، و حمام ينشد إلياذة الفراق ، على أطراف
الأوراق ، وماء يسكب ، ونسيم يكتب ، أنهار ودوح ، ومسك من الروض
يفوح ، حسن باه ، وإبداع إلهي ، ﴿ سَيِّحَ أَسْمَرُكَ الْأَعْلَى ﴾ * الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى .

الجمال في الصبح إذا تنفس ، فسبحان من صورته وتقدس ، الصبح بطلعته
الآسرة ، وإطلالته الباهرة ، الصبح وهو يغشى العالم ، ويمر على كل قاعد
وقائم ، الصبح وهو ينشر عباته الذهبية على الوجود ، فيكاد يكلمه من حسنه
الجلمود ، الصبح يوم يتوضأ الفكر في عباب نوره ، ويغتسل القلب في بحر
سروره ، وتسرح النفس في مهرجان عرسه ، وتنصت الروح لهمسه وجرسه .

الجمال في الليل إذا عسعس ، وأقبل في هدوء يتوجس ، يقبل الليل بردائه
الأسود ، وشعره المجعد ، فيستر الأحياء بثيابه ، ويضع الأشياء تحت
جلبابه ، فيملاً بجيشه المساكن ، فكل متحرك ساكن ، والليل له هيبة في
العيون ، كأنه كتيبة تحمل المنون .

الجمال في الشمس وهي على الكون تتبرج ؛ ليطمتع في الحسن كل حيٍّ
ويتفرج ، أشعة تعانق العين في صفاء ، وتداعب الروح في وفاء ، نور يطارد
الظلام ، ويبعث في الكون الإشراق والوئام ، الشمس جرم هائل من النور ، فيها
معاني الفرح والسرور ، تجري لمستقر لها ، فويل لمن غفل عن آياته ولها .

الجمال في القمر يوم يبدأ علينا بهذا الوجه الصبيح ، والمنظر المليح ،
هالة من الصفاء ، وفيض من السناء ، ينزل أبراجه في وقار ، ويطارد الظلام
بالأنوار ، كثير إحسان ، حبيب إلى كل إنسان ، إذا خسف .. بكى الناس ،
كانهم حل بهم الباس ، يتدرج في النمو حتى يكتمل ، ويهرم شيئاً فشيئاً حتى
يضمحل ، فسبحان من صوّر ودبّر ، وزين القمر وكوّر .

والجمال في النجوم اللامعة ، والكواكب الساطعة ، انظر إلى السماء ، في
الظلماء ، وقد رصّع تاجها بالنجوم ، التي تذهب رؤيتها الهموم والغموم ،
مهرجان حي من الحسن الباهر ، حفل بهيج من الجلال الظاهر ، الجوزاء
تضحك في الظلماء ، كأنها حسناء في قصر أحد العظماء ، الثريا في
صويعباتها ، ومع رفيقاتها ، في مشهد عجيب ، وفي صمت رهيب ، سهيل
وقد هجر الجميع واعتزل ، وهو واقف ما مشى وما نزل ، آلاف النجوم تجمل
هذا الفضاء الكبير ، بتقدير اللطيف الخبير ، نجم تراه عن الجميع شارداً ،
ونجم يحرق مارداً ، ونجم يُعرف به السفر ، ويستدل به البدو والحضر ،
ونجم إنما هو زينة ، لهذه السماء الحسينة .

الجمال في الجبال بالوقار قائمة ، وفي جلال القدر هائمة ، ثابتة على مر
الأزمان ، باقية ما تعاقب الحداث ، تمر بها الرياح الهوجاء ، وهي صامدة
صماء ، عاش معها ثمود وعاد ، وساسان وشداد ، وهي باقية والجمع قد
باد ، صاحبت القرون ، وشاهدت فرعون وقارون ، فبقيت وهم ماتوا ،
وحضرت وهم فاتوا ، ﴿ وَسْئَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا
صَفْصَفًا * لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴾ .

وكل ما مر يدخل في جمال الذات ، وحسن الصفات .

أما جمال المعنى . . فكن معنا ، ولا تذهب وتدعنا .

فمن ذلك جمال البيان ، مثلما أشرقت به شمس القرآن ، أما رأيت حسن هذا الكتاب المقدس ، الذي على الصدق تأسس ؛ تأثير يسافر إلى أعماق الأرواح ، وأسر يشد ما اهتز من الصور والأشباح ، نبأ يوقف العاقل متفكراً ، وخبر يجعل الإنسان متذكراً ، حقيقة تغوص في الضمائر ، وطهر يرسخ في السرائر ، موكب من النور يجتث أكوام الرذيلة ، فيض من الحق يحمل معاني الفضيلة ، قافلة من الصلاح تطوي صحراء النفوس طياً ، نهر من البرّ يروي القلوب العطشى ريثاً .

إيماء وإيجاز ، وإفحام وإعجاز ، عذوبة وحلاوة ، وسلاسة وطلاوة ، قوة وأصالة ، فصاحة وجزالة ، لغة جميلة ، مقاصد جليلة ، براعة استهلال ، وحسن تفصيل وإجمال .

يسافر بقلبك إلى عالم الخلود ، ويرتحل بروحك إلى حقيقة الوجود ، ويغسل ضميرك من لوثة الخيانة ، ويطهر كيائك بماء الأمانة ، مشاهد وصور ، وأحداث وعبر ، وأخبار وسير ، وقصص وأمثال ، وأفعال وأقوال ، عالم الحياة بأريجيه وضجيجه ، وعالم الموت بأناته ونشيجه ، دول تمر مر السحاب ، وملوك تدرس في التراب .

تقرأ هذه المعجزة الخالدة ، فإذا الأُمم البائدة ، حضارات تسقط كأوراق التوت ، وممالك تتهاوى كبيت العنكبوت ، والقرآن يناديك من أطراف لُبِّك ، ومن سويداء قلبك ، تدبّر يا عبد ، جدّ ؛ فإن الأمر جدّ ، ودع الردّ والصدّ ، استفق يا إنسان ، اهجر عالم الغفلة والنسيان .

انبعث من قبور الأشقياء ، وتعال إلى جنات الأتقياء ، انفض غبار الوثنية ،

ارفض وساوس الجاهلية ، أعتق رقبتك من النار ، حصّن نفسك من البوار ،
ارفع رأسك في سماء الكرامة ، أنت من أمة الخلافة والإمامة ، تقدم لإصلاح
العالم ، فالكل سواك هائم عائم .

أيها الإنسان ؛ شاهد الكون بعين الإيمان ، تنظر للشوك ولا ترى الزهور ،
تشاهد الآسن ولا تبصر الطهور ، يهولك الليل بالظلام ، ولا تستمتع ببدر
التمام ، تشكو من حرارة الشمس اللاذعة ، ولا تتلذذ بتلك الأشعة الساطعة .

تستوحش من وحدة الصحراء ، ولا يؤنسك فيها روعة الإيحاء ، مالك
ترعجك الرياح الهوجاء ؟ فأين حسننها إذا زارتك وهي رخاء ؟ تنظر إلى الصخر
كيف تحجّر ، ولا تنظر إلى الماء منه كيف تفجر ! تبصر رداءة التراب ،
ولا تدرك أنه مادة الإنجاب والإخصاب ! لا ترى من السيل إلا الدمار ، وهو
مصدر النماء والعمار ! تأخذ من المصيبة العويل ، وتنسى الأجر الجزيل !

تضع على عينيك نظارة سوداء ، لترى الحياة جرداء مرداء ! فأين الندى
والطل ، وأين الخضرة والظل ؟ تسمع نعيق الغراب ، ولا تنصت لهديل
الحمام الجذاب !

انظر إلى الحياة في ثياب جمالها ، وفي رداء جلالها ، شاهد الكون وهو
في عباءة البهاء ، وحلة السناء ، طالع العالم بعين الحب ؛ لتشاهد بديع صنع
الربّ ، واعلم أن الجحود إلحاد ، والتنكر فساد ، ومن لم يشاهد إلا القبيح . .
فأراه غير صحيح ، ﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ، ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ
فَأَرَوْهُ مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾ .

* * *

بركات لا إله إلا الله

لا إله إلا الله عدد ما خطت الأقلام .

لا إله إلا الله كلما سجع الحمام ، وهطل الغمام ، وقوضت من منى الخيام .

لا إله إلا الله كلما برق الصباح ، وهبت الرياح ، وكلما تعاقبت الأتراح

والأفراح .

لا إله إلا الله كلما ازدحمت الأنفاس ، وكلما حل السرور والإيناس ،

وانتقل الضر والباس ، وزال القنوط والياس .

لا إله إلا الله ترضيه ، لا إله إلا الله بها نلاقه ، لا إله إلا الله تملؤ الكون

وما فيه .

لا إله إلا الله كلما دجى الليل ، وكلما انكشف الهول والويل ، وكلما

انعقد السحاب وجرى السيل .

لا إله إلا الله يفعل ما يريد ، لا إله إلا الله يبدأ ويعيد ، لا إله إلا الله ذو

العرش المجيد ، والبطش الشديد ، لا إله إلا الله ندخرها ليوم الوعيد ،

ونتقي بها عذاب جهنم الأكيد .

لا إله إلا الله كلما ترعرع ورد وأزهر ، وكلما لمع بارق وأمطر ، وكلما

تنفس صبح وأسفر .

لا إله إلا الله كلما زجرت الرعود ، وخفقت البنود ، وجرى الماء في

العود .

لا إله إلا الله كلما هتف الحمام ، وهطل الغمام ، وارتفعت الأعلام ،
وؤسدت الجماجم الرغام .

لا إله إلا الله كلما تلاً الضياء ، وشع السناء ، وتدفق الماء ، وسرى
الهواء .

لا إله إلا الله الواحد القهار ، الملك الجبار ، مكور الليل على النهار .
لا إله إلا الله في علاه ، لا نعبد إلا إياه ، ولا ندعو سواه ، تفضل
بالجميل وأعطى الجزيل ، وشفى العليل ، وأزاح الهم الثقيل .

لا إله إلا الله حفظ الأولياء ، ونصر الأنبياء ، وكبت الأعداء ، يفعل
ما يشاء ، ويبرم القضاء ، وينزل الداء والدواء .

لا إله إلا الله محيي الأموات ، المتكفل بالأقوات ، منزل الآيات ، عالم
السر والخفيات ، رفيع الدرجات .

لا إله إلا الله مكرم الأبرار ، مهين الفجار ، هازم الكفار ، عالم الجهر
والإسرار .

لا إله إلا الله نأمن بها من الفتان ، ونعوذ بها من النيران ، ونرجو بها
الجنان في جوار الرحمن .

* * *

الله أكبر تهذ الكون

الله أكبر عدد قطر البحار ، وورق الأشجار ، ورذاذ الأمطار ، وذرات الغبار .

الله أكبر عدد حبات الرمال ، الله أكبر ، مع تعاقب القرون والأجيال ، وتصرم الأعمار والآجال .

الله أكبر حقاً حقاً ، الله أكبر محبة وصدقاً ، الله أكبر عبودية ورقاً .

الله أكبر تشدو بها الطيور على الفنن ، وتلهج بها الألسن في كل زمن ، تقدس الكبير المتعال ، تبارك ذو الجلال ، عز ذو الجمال والكمال .
الله أكبر تزلزل قلاع المارقين ، وتنسف معاقل المنافقين ، وتحطم أوكار الفاسقين ، وتهدم جيوش الخائنين .

الله أكبر ترَجف لها القلوب ، وتُغفر بها الذنوب ، وتصغر لها الشعوب .
الله أكبر تُكسر بها آمال الأكاسرة ، وتُقصّر بها أعمار القياصرة ، وترُغم بها أنوف الجبابرة .

الله أكبر له الكبرياء والثناء ، وإليه الرجاء ، ومنه النعماء .
الله أكبر لم تحجبه سماء عن سماء ، ولا شغلته أرجاء عن أرجاء ، سمع دبيب النملة السوداء ، في الليلة الظلماء ، على الصخرة الصماء .
الله أكبر دعاه المريض على سريريه ، وفزع إليه المنكوب في أموره ، وهتف باسمه الربان في البحار ، ولهج بذكره من ضل في القفار .

الله أكبر يدعى للكرب الشديد ، وينادى للخطب العتيد ، يفر إليه في
المللمات ، ويركن إليه في الأزمات .

الله أكبر ما أحلمه على الطغاة ، وما أصبره على العصاة ، وما أقربه ممن
دعاه ، وما أقدره على نصر من تولاه ، وما أشد بطشه بمن عاداه ، وما أسمع
لمن ناداه ، مَنْ قبله . . فهو المقبول ، مَنْ حاربه . . فهو المخذول ، مَنْ التجأ
إليه . . عز ، مَنْ توكل عليه . . كفاه ، مَنْ أطاعه . . تولاه ، مَنْ نازعه . .
قصمه ، مَنْ بارزه . . حطمه ، مَنْ أشرك به . . أحرقه ، مَنْ ناداه . . مزقه .

الله أكبر شهدت بعظمته البحار والمحيطات ، والجبال الراسيات .

الله أكبر كلما دعاه ملهوف فحماء ، وكلما سألته محتاج فأعطاه .

الله أكبر أفنى القرون الأول ، وقل الجيوش والدول .

الله أكبر أنزل الجبابرة من القصور ، وأضجعهم في القبور .

* * *

إنما أنت منذر

قلنا لأحد العلماء ، النبلاء ، الأولياء : عظنا موعظة ، للقلوب موقظة ؛
فإن قلوبنا بالذنوب مريضة ، وأجئنا بالخطايا مهیضة ، فنحن قد أدمنا
الذنوب ، وعصينا علام الغيوب ، حتى قست منا القلوب .
فقال : واحرّ قلباه ، واكرباه ، يا رباه ، يا ابن آدم ؛ تذنّب ولست بنادم ،
الأنبياء ييكون ، والصالحون يشكون ، تتابع المعاصي ، وتستهيّن بمن أخذ
بالنواصي .

ويحك ، كيف تلعب بالنار ، وتستهيّن بالجبار ؟! يغديك ويعشّيك ، ويُععدك
ويمشّيك ، ثم تنهض على عصيان أمره ، مع علوّ قدره ، وعظيم قهره ؟!
ويلك ، هذا الملك كسر ظهور الأكاسرة ، وقصّر بالموت آمال
القياصرة ، وأرغم بالجبروت أنوف الجبابرة .

الروح الأمين ، وجِلّ مسكين ، من خوف القويّ المتين ، ومحمد يتهجّد
ويتعبّد ، وهو الذي دعا كل موحد ، ومع هذا يتوعّد ويهدّد ، من ركن لكلّ
كافر وملحد .

أين عقلك يا مغرور ؟ هل نسيت يوم العبور ، وساعة المرور ؟
كل طائر من خوفه يخزّ صريعاً ، وكل كاسر يئنّ من خشيته وجيعاً .
أبو بكر انتفض من خوفه كالعصفور ، وصار صدره بالنشيج يفور ، وسقط
الفاروق من الخشية على الرمال ، حتى حُمِلَ على أكتاف الرجال ، وبقي ذو

النورين ، من منظر القبر يبكي يومين ، وهذا علي بن أبي طالب دموعه من التذكر سواكب .

كان عمر بن عبد العزيز ، يرتعد ولصدره أزيز ، ويقول : يا قوم ؛ اذكروا صباح ذلك اليوم .

ويلك ، والله ؛ لو أن القرآن نزل على صخر . . لتفجر ، ولو هبط على حجر . . لتكسر ، وتقرؤه وأنت لاه ساه ، تتفكر في المنصب والجاه ، كأن الليالي لا تطويك ، والكلام لا يغنيك ، تدفن الآباء والأجداد ، وتفقد الإخوة والأولاد ، وأنت ما زلت في إصرار وعناد ، سبحان الله ! تغتر بالشباب ، وتزين الثياب ، وتنسى يوم يهال عليك التراب .

لا تغفل ذكره ، ولا تنس شكره ، ولا تأمن مكره ، هو الذي عقر بالطين ، أنف فرعون اللعين ، وفرق جنوده أجمعين .

مساكن من عصاه قاع قرقر ، بعد ما أرسل عليهم الريح الصرصر ، إذا غضب . . دمر المنازل على أهلها ، وسوى جبالها بسهلها .

شاب رأسك ، وما خف بأسك ، وما زال في المعاصي فأسك .

ما لك ما تردك الآيات ، ولا تزجرك العظات ، ولا تتذكر الأموات ، مصرّ مستكبر ، تركب كل أمر منكراً ؟!

سمع ابن وهب آية : ﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ ﴾ ، فسقط مغشياً عليه في الدار ، ثم مات في آخر النهار .

سمع عمر ، بعض السور ، فطرح دُرّته وانفعر ، فبقي مريضاً لشهر ، وصارت دموعه كالنهر .

قرأ سفيان (سورة الزلزلة) ، فسُمع له ولولة ، كأنها أصابت مقتله .

بعض الصقور تسقط من السماء ، وإن من الحجارة لما يشقّ فيخرج منه الماء ، وأغمي من الخشية على كثير من العلماء .

ويحك ، خفّ ربك ، وراجع قلبك ، واذكر ذنبك ، موسى خرّ من الخوف مغشياً عليه مصعوقاً ، ويوشع صار قلبه من الوجل مشقوقاً ، وبعضهم أصبح وجهه من الدموع محروقاً .

كيف تصبح وتمسي ، والرسل كل - إلا محمداً - يقول : نفسي نفسي ؟! أعجبتك الدور والقصور يا مغرور ، ونسيت القبور ، ويوم النشور ، يوم يحصل ما في الصدور .

والذي نفسي بيده ، ما تساوي الدنيا فتيلة ، ولا تعادل في القبر فزع أول ليلة ، يوم تطرح فيه وليس لك حيلة ، استنفق ما لك ، وراجع أعمالك ، وزن أقوالك . خطك الشيب ، وما تركت العيب .

تشاهد المصارع ، وتسمع القوارع ، وتنهال عليك الفواجع . تنسى الرب ، يا ميت القلب .

الصحابة من الخوف مرضى ، وطلحة ينادي : اللهم ؛ خذ من دمي حتى ترضى ، ما شاء الله ما تحضر صلاة الفجر ، ولا تطمع في الأجر ، وجعفر تقطعت بالسيوف أوصاله ، وارتفع بالفرح تهليله وابتهاله .

ويلك ، أنت مهموم بالقرش ، والفرش ، والكرش ، وسعد يهتز لموته العرش . تهاب الوضوء إذا برد الماء ، وحنظلة غسل قتيلاً في السماء .

تعصي حي على الفلاح ، ومصعب بن عمير قدّم صدره للرماح . ما تهتز فيك ذرة ، والموت يناديك في كل يوم مئة مرة .

والله ؛ لو أن في الخشب قلوباً . لصاحت ، ولو أن للحجارة أرواحاً . لناحت .

يحن المنبر للرسول الأزهر ، والنبي الأطهر ، وأنت ما تحن ولا تن ،
ولا يضج بكاءك ولا يرن .

لو مُتَّ.. لعذرناك ، وفي قبرك زرنك ، ولكنك حيٌّ تأكل وتشرب ،
وتلهو وتلعب ، وتغني وتطرب .

بعض الصالحين أتى لينام ، فترك الفراش وقام ، وأخذ ينوح كما تنوح
الحمام ، قالوا : ما لك ؟ قال : تذكرت ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ ،
وهذه الآية كافية .

سعيد بن المسيّب ، الإمام المحبب ، والزاهد المقرب ، ذهب عينه من
كثرة الدموع ، واصفر وجهه من الخشوع ، وهو ما بين سجود وركوع .
يزيد بن هارون ، الإمام المأمون ، عمي من البكاء ، فما أنّ ولا اشتكى ،
فقالوا له : ما فعلت عينك الجميلتان ؟ فقال : أحسبهما عند الواحد الديان ،
أذهبهما بكاء الأسحار ، وخوف الواحد القهار .

والله ؛ إن فينا علّة ؛ ننام الليل كلّهُ ، كأنا لسنا من أهل الملة .
الملك حمل الصُّورَ لينفخ ، والملائكة تكتب عليك وتنسخ ، وأنت
بالذنوب ملطّخ ، ما تبكي لك مقلة ، كأنك أبله .

كان ابن المبارك من البكاء يخور ، كأنه ثور منحور .
وابن الفضيل يموت في الصلاة ؛ لأنه سمع من الإمام قرأناً تلاه .
ترك ابن أبي ذئب القيام لأمر المؤمنين ، وقال : ذكرت ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ
الْعَالَمِينَ﴾ .

كان ميمون بن مهران ، كأن عينيه نهران ، حفر له في البيت قبر ، إذا
رآه.. فكأنه يُنقر في قلبه نقر ، يا ويلاه ؛ القبر القبر .

يقول أحد السلف : يا مغرور ؛ إن كنت تظن أن الله لا يراك ، وتفعل هذه الأفعال . . فأنت شاك ، فما أغرك وألهاك ؟! وإن كنت تعلم أنه يبصر أفعالك ، ويحصي أعمالك ، ويراقب أقوالك ، ثم تتجراً على محارمه ، وتستهين بمعالمه . . فقد سلب قلبك ، وأخذ لبك .

ابن تيمية يمرغ وجهه في التراب ، وينادي : يا وهّاب ، يا فاتح الأبواب ؛ الطف بنا ساعة الحساب ، وأنت ميّت الإرادة ، ظاهر البلادة ، عريض الوسادة .

الملائكة يسبحون الليل والنهار لا يسأمون ، ويذكرون ربهم ولا يفترون ، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، ولم يعملوا سيئات ، ولم يقتربوا خطيئات ، ولم يرتكبوا موبقات ، ونحن أهل العصيان ، والتمرد والنكران ، ومع هذا ترانا لاعبين ، وفي طرق اللهو ساربين ، ولكأس الغفلة شاربين .

الأمر فصل ، وجدّ ليس بالهزل ، يوم قمطير ، شرّه مستطير ، تكاد القلوب منه تطير ، تذهل المرضعة عما أرضعت ، وتُسقط الحامل ما حملت ، وترى كل نفس ما عملت ، الخلائق تضيق نفوسهم ، الولدان تشيب رؤوسهم .

أراد علي بن الحسين أن يلبي على الراحلة ، فسقط من الخوف بين القافلة ، فلما أفاق . . قال للرفاق : أخشى أن أقول : لبيك ، فيقول : لا لبيك ولا سعديك ، مع أنه زين العابدين ، وريحانة المتجهدين ، لكن القوم عرفوا ربهم ، فبكوا ذنبهم ، وجمعوا خوفهم وحبهم .

فيا صاحب العين التي لا تدمع ، والنفس التي لا تشبع ، والقلب الذي لا يخشع ؛ إلى متى تؤجل التوبة ، أما لك أوبة ؟!

العمر قصير ، والشيب نذير ، والدار جنة أو سعير .

نراك تضحك كأنك أتناك أمان ، من الملك الديان ، ما لك لا تحزن ؟! هل عبرت الصراط حتى تأمن ؟! الندم على ما فرطت أحسن .

يا مسكين ؛ إبراهيم الخليل ، وهو النبي الجليل ، بكى ذنبه ، ودعا ربه ، وقال : ﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ ، فكيف بنا نحن المذنبين ؟ خلقك فسواك ، وأطعمك وسقاك ، وآواك وكساك ، ثم تعصيه وهو يراك !

أحسن ماء دموع التائبين ، أعظم حزن حزن المنيبين ، وأهنأ نعاس نعاس المتهجدين ، أجمل لباس لباس المحرمين .

ما ألد جوع الصائمين ! ما أسعد تعب القائمين ! ما أكرم بذل المتصدقين ! أين المباني والمغاني ؟ أين الغواني والأغاني ؟ أين الأفراح والتهاني ؟ أين من شاد وساد ؟ أين ثمود وعاد ؟ أين ساسان ، وقحطان ، وعدنان ، وفرعون ، وهامان ؟ أين مُلك سليمان ؟ أين أصحاب الأكاليل والتيجان ؟ ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ ، والطول والإنعام .

أما زرت المقابر ؟ أما هالتك تلك المناظر ؟ أما رأيت القوم صرعى ؟ والدود في عيونهم يرعى ؟ عن الحديث سكتوا ، وعن السلام صمتوا ، الظالم بجانب المظلوم ، والمنتصر بجانب المهزوم ، والضعيف مع الأمير ، والغني مع الفقير ، وانظر إلى المغمور والمشهور ، والغالب والمقهور ، ذهب الحُسن والجمال ، والجاه والمال ، وبقيت الأعمال ، أموات يتجاورون ، ولا يتزاورون .

* * *

شورة الكلام

* هذه بنات فكر ضمرت مرائرها ، وسرحت ضفائرها ، سموها ما شئتم : مقامات أدبية ، أو صولات خطابية ، إلياذة أو ملحمة ، المهم أنني آمن بأفكارها ، وتبطنت أسرارها ، فإن كنتم منهم .. حصل الاتفاق ، وإلا .. فالسمع يكفي ، والقراءة تشفي .

* نحن أمة تسأل عن دم البعوضة ، وتهريق دم الحسين!!

* لبست قمص المثني بن حارثة ، وفي يدها حربة بابك الخرمي .

* حج محمد عليه الصلاة والسلام ، ليقول للحجاج : (أنا كأفقركم !)

ففهمها الفطناء ، لكن أبا جهل ما حضر الموقف!

* عرب بلا عمر ، وأكراد بلا صلاح الدين ، وترك بلا فاتح ، وأفارقة بلا

بلال ، لا قيمة لهم .

* جسم الأمة كله جراح يوم عرفة ، جوار البوسنة والهرسك أخجل أهل

الموقف ، وخلاف الأفغان أزعج المحرمين ، وضياع بيت المقدس نكس

رؤوسنا عند الصخرات .

* من لم تنفعه عينه ، لم تنفعه أذنه ، ونحن كذبنا ما سمعناه بأذاننا ، وقد

رأيناه بعيوننا .

لَقَدْ نَصَحْتُكَ عَيْنُكَ فِي نَهَارٍ مِنْ أَلْتَبْيَانِ حَتَّى سَالَ مَاهَا

* حج عمر فأنفق عشرين درهماً ، وقد ختم بالرق على عنق كسرى

وقيصر ، وقد حجبنا ندوس الحرير ونستخشن الديباج ، ونحن نسبح للرق
في أدبار الصلوات !!

أَمَّا الْخِيَامُ فَإِنَّهَا كَخِيَامِهِمْ وَأَرَى رِجَالَ الْحَيِّ غَيْرَ رِجَالِهَا
* صحن طعامنا مكسور ؛ لأنه ما صنع في المدينة ، وخيمتنا ممزقة ؛ لأن
أطناها مستورة ، ونسينا ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ
يُلْنَهُمْ ﴾ .

* نحن ثلاثة حجاج ضاع رابعنا !

حاج في عرفة ، وماله في البنك الربوي ، وحاج في مزدلفة ، ولكنه بات
مع نغمة ووتر ، وحاج رمى الجمرات ، وأشعل في قلوبنا الجمرات ، والرابع
أشعث أغبر ، رفعت دموعه إلى العرش .

لَا تَسْلُ عَنْ خَلْدِي قَدْ ضَاعَ مِنِّي عُذْنِي فِي زَحْمَتِي أَوْ عَدَّ عَنِّي
* عشق بلال الجنة ، فأمهرها ركعتين مع كل وضوء ، فسمع صاحب العقد
دفي نعليه بباب المخطوبة ، فعرف أن ليلة العرس حانت :

أَلَمْ تَرَ أَنِّي كُلَّمَا زُرْتُ زَيْنَبًا وَجَدْتُ بِهَا طِيًّا وَإِنْ لَمْ تَطْيَبْ
وقصر بلال تلوح عليه أحرف : ﴿ وَتِلْكَ الْبَلْعَةُ الَّتِي أَوْرِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴾ .

وعشق أبو جهل النار ، فصعبت عليه لا إله إلا الله ؛ لأن نافخ الكير تزكمه
نفحة المسك .

قيل لأبي جهل : قد أقام بلال الصلاة ، فصل وراء الإمام ، فقال : لست
على وضوء ، فمات قبل أن يصلي .

قيل لأبي جهل : لماذا تدخل النار ؟ قال : لأنني عاشق !

لَا تَلْمَنِي فِي هَوَاهَا وَالْجَوَى فَأَنَا مِنْ لَوْمِكُمْ فِي صَمَمِ
صاح في وجه أبي جهل لسان القدر : ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ
يُوزَعُونَ ﴾ .

* أبو مسلم الخراساني عشق الإمارة حتى الثمالة ، فعاش من أجلها وهاش ،
وسكر من حبها وطاش ، وبقر بطون المساكين بالخنجر ، فبقر بطنه أبو جعفر .
كُلُّ بَطَّاحٍ مِنَ النَّاسِ لَهُ يَوْمًا بَطُوحٌ
تعلق بغير الله ، فعلقه أقرب الناس إليه من قدميه ﴿ وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِعَضَ الظَّالِمِينَ
بَعْضًا يَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ .

أَبْعَيْنِ مَفْتَقِرٍ إِلَيْكَ نَظَرْتُ لِي فَأَهْتَنِّي وَقَذَفْتَنِي مِنْ حَالِقِ
لَسْتُ الْمَلُومَ أَنَا الْمَلُومُ لِأَنَّنِي عَلَّقْتُ آمَالِي بِغَيْرِ الْخَالِقِ
جعل الرياسة تميمة في عنقه ، وقد قال المعصوم عليه الصلاة والسلام :
« من علق تميمة . . فقد أشرك » .

* عشق أبو مسلم الخراساني المنصب فما تراجع عنه ، والتراجع حرام عند
العاشقين .

* مات الجعد بن درهم في حب البدعة ، فما أحسن للذبح في هوى
المحسوب ألماً ، فلماذا يألم أهل السنة من الذبح في حب السنة ، والله يقول :
﴿ إِن تَكُونُوا تَأْلُمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلُمُونَ كَمَا تَأْلُمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ ؟ !
سَقَيْنَاهُمْ كَأْسًا سَقَوْنَا بِمِثْلِهَا وَلَكِنَّا كُنَّا عَلَى الْمَوْتِ أَصْبَرَا
خرج خالد القسري على الجعد بن درهم بالسكين ، فما تاب المسكين ؛
لأنه عاشق ، والعاشق يقول :

وَاللَّهُ لَوْ قَطَعُوا رَأْسِي لَأَهْجُرَهَا لَسَارَنَحُو هَوَاهَا فِي الْحِمَى رَأْسِي

الجعد بن درهم : ممن زين له سوء عمله فرآه حسناً .

* صاح النذير لأبطال السنة بلسان : ﴿ إِن يَمَسَّكُمْ فَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرْحٌ مِّثْلُهُ ﴾ . فما أحسوا المسَّ حساً !

* تحدى أحمد ابن حنبل الدنيا في حب مبدئه الحق ، فتكسرت الشياطين على البساط ، وأبو عبد الله يضحك في وجوه المنايا ، والوحي يهتف به : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْيَحْيَى الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ ؛ ليعلم أحمد أن المتوكل سوف يتولى ، والمعتصم يموت .

* في قاموس أحمد ابن حنبل : حديث قدسي : (وعزتي وجلالي ما اعتصم بي أحد فكادت له السماوات والأرض إلا جعلت له من بينها فرجاً ومخرجاً) .

أراد أهل البدعة أن يصرفوه عن الحق فما انصرف ؛ لأن أحمد ممنوع من الصرف !

عَجَباً كَيْفَ شَرِبْتُ أَلْمُوتَ شُرْباً وَجَعَلْتُ أَلْسَيْفَ لِّلْعَلْيَاءِ دَرْباً
عَجَباً كَيْفَ تَحَدَّثْتُ أَلْمَلَأَ وَسَقَيْتُ الرُّمَحَ حَتَّى صَبَّ صَبّاً
كنا أطفالاً نسمع بأحمد ابن حنبل ، فحسبناه مفتياً في الزوايا ، فلما كبرنا .. علمنا أنه معلم جيل ، وشيخ حياة .

* عشق الدماء الحجاج بن يوسف ، كما عشقت امرأة العزيز يوسف ، فجرد السيف على الملة ، فشقي بسعيد ، وكسر بابن جبير منارة الدين .
الرجل محنط في الدماء ، فما سمع من سكاره : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَعَظُمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنُهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً ﴾ .

* أحد الفنانين رقص على نعمة :

أَخْبِرُوهَا إِذَا أَتَيْتُمْ حِمَاهَا أَنَّنِي دُبْتُ فِي الْغَرَامِ فِدَاهَا

وتراقص أطراف جعفر الطيار على زمجرة :

يَا حَبَّذَا الْجَنَّةُ وَأَقْتِرَابُهَا طَيِّبَةٌ وَبَارِدُ شَرَابُهَا

طارت روح جعفر إلى الجنة ، فأعطاه مولاه جناحين يطير بهما في الجنة

حيث يشاء ، والذي يطير أعظم ممن يسير .

نَطِيرُ إِلَيْكَ مِنْ شَوْقِ الْحَشَايَا وَبَعْضُ النَّاسِ نَحْوَكُمْ يَسِيرُ

* حمل أبو بكر الصديق الصدق فصار في قافلة : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ

وَصَدَّقَ بِهِ ﴾ ، فسمي الصديق ، فلا يعرفه العالم إلا (بالصديق) ، وصار خليفة الصادق المصدق .

وحمل مسيلمة الكذاب رداء الكذب ، فهو في زنارته ﴿ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى

الظَّالِمِينَ ﴾ ، فلا يعرف مسيلمة إلا (بالكذاب) .

أراد خالد بن الوليد أن يداوي مسيلمة الكذاب من الكذب ، فما نجع

الدواء ، فقطع رأسه ، ليزول الألم بالكلية !!

عشاق الصدق كثير يموتون من أجله ، وعشاق الكذب أكثر يقتلون تحت

نعليه !

* جرحت إصبع رسولنا صلى الله عليه وسلم ، فسال الدم الطاهر فقال :

هَلْ أَنْتِ إِلَّا إِصْبَعٌ دَمِيَتْ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتِ

لأن من قرب روحه للرحمن . . لا يحزن على إصبعه ، ومن انتظر أن يسيل

دم ظهره . . لا يبكي على دم ظهره .

* حرام بن ملحان طعن بالرمح من قفاه ، فأخذ من دم صدره ، ورش

القاتل وهو يقول : فزت ورب الكعبة! شهد له دمه أنه محب ، وأقام دليل المحبة ، فسلوا رمح القاتل ، « فالبينة على المدعي ، واليمين على من أنكر » .

يأتي حرام بن ملحان يوم القيامة ، وكلمه يدمى ، الريح ريح المسك ، واللون لون الدم .

تَضُوعُ أَرْوَاحُ نَجْدٍ مِنْ ثِيَابِهِمْ عِنْدَ الْقُدُومِ لِقُرْبِ الْعَهْدِ بِالذَّارِ
السَّيْحُ وَالْكَادُ وَالرَّيْحَانُ قَدْ عَقَبَتْ يَا مَوْقِدَ النَّارِ أَطْفِئْ شُعْلَةَ النَّارِ

* دخل المهدي خليفة بني العباس المسجد ، والعلماء جلوس ، فلما رآوه .. قاموا ، وقعد ابن أبي ذئب ؛ لأن الذئب لا تقوم للثعالب ، فقال له : لم لم تقم لي ؟ قال : كدت أفعل ، فذكرت : ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ، فتركت القيام لذاك اليوم ، فقال الخليفة : اجلس ؛ فقد أقمت شعر رأسي ! فقامت الدنيا لابن أبي ذئب ؛ لأنه ما قام ، والقيام مع القدرة ، ولا قدرة لمن يذخر قيامه لمولاه !

* مد سعيد الحلبي رجله في المسجد ، فدخل السلطان عليه فما رد رجله ، فأعطاه مالا ، فقال سعيد : إن الذي يمدّ رجله لا يمدّ يده ، ولو مد سعيد يده .. لقطع السلطان رأسه !

أَنَا لَا أَرْغَبُ تَقْبِيلَ يَدٍ قَطَعَهَا أَحْسَنُ مِنْ تِلْكَ الْقَبْلِ
إِنْ جَزَيْتَنِي عَنْ صَنِيعِي كُنْتُ فِي رِقِّهَا أَوْ لَا فَيَكْفِينِي الْخَجَلُ

* الكافر يولد مرة ، ويموت مرتين ، والمؤمن يولد مرتين ، ويموت مرة ، الكافر : جثمانى بليد ، والمؤمن : روحانى مجيد .

* الهدهد أذكى من فرعون ؛ لأن الهدهد أنكر على بلقيس سجودها

لشمس ، وفرعون يقول : ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ !!
 رزق الهدهد يُخبئه في الأرض ، فلما عرف ربه .. قال : ﴿ الَّذِي يُخْرِجُ
 الْحَبَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ .

أحب الهدهد رب العالمين ، فأتى سليمان من سبأ نبأ يقين ، وفرعون
 مهين ، دس أنفه في الطين !

الهدهد آمن في الرخاء ، فنفعه إيمانه في الشدة ، وفرعون كفر في
 الرخاء ، فما نفعه إيمانه في الشدة ، بل قيل له : يا فتان ، الآن فات الأوان .
 قَدْ مَضَى الرِّكْبُ وَخُلِفَتْ لَوْحْدُكَ فَأَبْكَ مَا شِئْتَ وَلَا تَأْنَسْ بِرُشْدِكَ
 * عبد الدينار يرد النار ، كلما كثرت دراهمه .. دار همه .

إمامه : قارون ، خرج في زينته ، فدفن في طينته !
 صاح متكبراً : ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ ، قيل له : عندك أو عندنا ؟ هيا
 إلى الدور الأرضي ، وخذ دارك معك ! ﴿ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ ﴾ ؟ !
 * دراهم أبي بكر ختمت بـ ﴿ يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴾ ، ودراهم أمية بن خلف
 عليها ﴿ وَيَلْ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٌ ﴾ !

أعطي أبو بكر حلة ﴿ وَسَيَجَنَّبُهَا الْأَتَقَى ﴾ ، وألبس أمية قميص ﴿ فَسَيَنْفِقُونَهَا
 ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾ .

لَشَتَّانَ مَا بَيْنَ الزَّيْدَيْنِ فِي النَّدَى يَزِيدُ بْنُ عَمْرٍو وَالْأَعْرَضِيُّ ابْنُ حَاتِمٍ
 فَهَمُّ الْفَتَى الْأَزْدِيِّ إِنْتِلَافُ مَالِهِ وَهَمُّ الْفَتَى الْقَيْسِيِّ جَمْعُ الدَّرَاهِمِ
 فَلَا يَحْسَبُ التَّمْتَامُ أَنِّي هَجَوْتُهُ وَلَكِنِّي فَضَّلْتُ أَهْلَ الْمَكَارِمِ
 * سمع حنظلة مؤذن الجهاد في أحد ، وعليه جنابة ، فطار إلى سيفه ،
 وصب دمه مع دماء الأبرار ، وقدم لحمه مع لحوم الأخيار ، هذه الكتاب

﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ النَّقْوَىٰ مِنْكُمْ﴾ .

يا حنظلة ؛ ثمار شجرك ما حنظل ، وحب زرعك قد سنبل ، قبل أن تدخل الجنة تغسل :

أَمْلَأَكَ رَبِّي بِمَاءِ الْمُزْنِ قَدْ غَسَلُوا جُثْمَانَ حَنْظَلَةٍ وَالرُّوحُ تُخْتَلَفُ
وَكَلَّمَ اللَّهُ مِنْ أَوْسٍ شَهِيدَهُمْ مِنْ غَيْرِ تَرْجَمَةٍ زِيحَتْ لَهُ الشُّجْفُ
* تلاميذ عبد الله بن أبي يحفظون : ﴿لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ ،
وينسون : ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ، فيسرقون لقمة العيش من على
الشفاه!

ومداوي الداء بالداء ، أعلّه وما شفاه .

* عبد الله بن أبي ، فاكهته : لحوم الصحابة ، ومصحفه : الربابة ، سهامه
طائشة ؛ لأن الصيد عائشة :

أَتَذِرِي مَنْ رَمَيْتَ وَكَيْفَ تَذِرِي ؟ فَمَا أَعْمَاكَ عَنْ شَمْسٍ وَيَذِرِ
رَمَيْتَ الْفَجْرَ بِالْبُهْتَانِ كَيْدًا وَنُورُ الْحَقِّ مَخْفُوفٌ بِفَجْرِ
* درسنا قصة (طه والطبلة) فآلهانا طه عن : ﴿طه﴾ * مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ
لِتَشَقَّ . والذي حفظ قصة الطبلة خرج أبله ! وقيم المدرسة أرقم ؛ لأنه ألغى
منهج دار الأرقم بن أبي الأرقم .

* صاح أنس بن النضر : إني لأجد ريح الجنة من دون أحد ، فقتل على
مبدأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ .

بحثت عنه أخته ، فما عرفته إلا بينانه ؛ لأن داخل الجنة يحتاج إلى
شهود ، وقد كتبوا شهادتهم بخطوطهم على جسم أنس ، فكل جرح يقول :
﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ .

* قالوا لأحد المنافقين : جاهد لتؤجر ، قال : أخاف بنات بني الأصفر ،
 قيل له : تضحك على من ؟ ونزلت فتوى : ﴿ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ﴾ ،
 فضحكهم الوحي ، فسجلاتهم مكشوفة ، وأسمائهم معروفة .
 وقال أحدهم : أنا لا أخشى بنات بني الأصفر ، لكن لا تنفروا في الحر ،
 فما أصبح الأمر سرّاً ، ﴿ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ﴾ .

تَفَرُّ مِنْ الْهَجِيرِ وَتَقِيهِ فَهَلَّا مِنْ جَهَنَّمَ قَدْ فَرَرْنَا
 وَتُشْفِقُ لِلْمَصِيرِ عَلَى الْخَطَايَا وَتَرْحَمُهُ وَنَفْسُكَ مَا رَحِمَتَا !!

* عاشق الشهادة تأتبه على الفراش : « من سأل الله الشهادة بصدق ..
 بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه » ؛ لأن الحب يفتت الأكباد ،
 ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

نَسِيتُ فِي حُبِّكَ الدُّنْيَا وَمَا حَمَلْتُ وَبِعْتُ مِنْ أَجْلِكَ الْأَنْفَاسَ وَالنَفْسَا
 * درس الطلاب « التدمرية » لابن تيمية ، فنجح عشرون في المية ؛ لأنها
 تدمر كل شرك بأمربها ، ﴿ فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسْكَنُهُمْ ﴾ .

* كان ابن تيمية يعلم الشباب ، فسجنه الحجاب ، ﴿ فَضْرَبَ بَيْنَهُمْ سُورًا لَّهُ بِابُ
 بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهَرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ .

* هل سمعت أنشودة شيخ الإسلام ؟ ولكنها من الشعر المشور ؛ لأن
 العبيد لا يفهمون إلا الشعر الحر .

أنا جنتي وبستاني في صدري ، أننى سرت فهي معي ، أنا قتلي شهادة ،
 وإخراجي من بلدي سياحة ، وسجني خلوة .

كتب القصيمي عن ابن تيمية في « صراع بين الإسلام والوثنية » ، لكن ابن
 تيمية أصيل ، والكاتب عميل ؛ لأنه وارد بترومكس ، ومن فضيلة كارل

ماركس ﴿ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَأَنْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ .

واحسرتاه على السبورة ، والطبشورة ، والملعب ، والكورة .

أَشْقَى بِهِ غَرْسًا وَأَجْنِيهِ ذِلَّةً إِذَا فَاتَّبَاعُ الْجَهْلِ قَدْ كَانَ أَحْزَمًا
وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوهُ صَانَهُمْ وَلَوْ عَظُمُوهُ فِي النَّفْسِ لِعُظِّمًا

* قال الحجاج لعجوز : والله ؛ لأقتلن ابنك ، قالت العجوز : لو لم

تقتله . . مات ! وهذا من ذكاء العجوز ، ولكن الظلمة لا يفهمون الرموز ! ﴿قُلْ
إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ .

* أرسلنا شاعرنا في المربد ليغرد فعيد ، ظننا أنه بالدين سوف يجول

ويصول ، فذهب قليل الحياء يسب الرسول .

نبهناه فما أدرك ؛ لأن الرجل مجمر : ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ

يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ .

* شعراء مدحوا صدام قبل الغزو ، وذموه بعده ، قلنا : كشفناكم

يا أوباش ، « الولد للفراش » .

هؤلاء لا ينفع فيهم الوعظ ؛ لأن المنافقين بعضهم من بعض .

* قاتلوا موشه ديان في حزيران ، فهربوا كالفئران ؛ لأنه لم يحضر المعركة

سيف الله أبو سليمان .

وَأَطْفَأَتْ شُهْبَ الْمِرَاجِ أَنْجُمُنَا وَشَمْسُنَا وَتَحَدَّتْ نَارَهَا الْخُطْبُ

وَقَاتَلَتْ دُونَنَا الْأَبْوَاقُ صَامِدَةً أَمَّا الرِّجَالُ فَمَاتُوا ثُمَّ أَوْ هَرَبُوا

* قيل للرسمي : ألا تحج البيت العتيق ؟ فأنشد بنغمة العاشق :

حَجِّي إِلَى الْبَابِ الْجَدِيدِ وَكَعْبَتِي الْبَابُ الْعَتِيقُ وَبِالْمُصَلَّى الْمَوْقِفُ

وَاللَّهُ لَوْ عَرَفَ الْحَجِيجُ مَكَانَنَا مِنْ زَنْدَرُوزَ وَسُغْبِهِ مَا عَرَفُوا

أَوْ شَاهَدُوا زَمَنَ الرَّبِّيعِ طَوَافَنَا بِالْخُنْدَقَيْنِ عَشِيَّةَ مَا طَوَّفُوا
 زَارَ الْحَجِيجُ مِنِّي وَزَارَ ذَوُو الْهَوَى جِسْرَ الْحُسَيْنِ وَشَعْبَهُ وَأَسْتَشْرَفُوا
 وَرَأَوْا ظَبَاءَ الْخَيْفِ فِي جَنَابَتِهِ فَرَمَوْا هُنَالِكَ بِالْجِمَارِ وَخَيَّفُوا
 أَرْضُ حَصَاهَا جَوْهَرٌ وَتُرَابُهَا مِسْكٌ وَمَاءُ الْمُدِّ فِيهَا قَرْقَفٌ
 أقول لهذا : أما سمعت بدار قيل فيها : ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ
 الْأَعْيُنُ﴾ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ؟!

وعند ابن ماجه : « ألا مشمر للجنة ؛ فإن الجنة - والذي نفسي بيده - نور
 يتلأأ ، وقصر منيف ، وشجرة تهتز .
 الخطاب كثيرون ، ولكن المهر غال .
 من صفات الخاطب : أن يرئم في السَّحر ، وكثير من الخطاب ينام عن
 صلاة الفجر .

ومن صفاته : أن يقدم مهجته حلية للخطوبة ، وبعضهم يبخل بدرهمه !
 ثَمَنُ الْمَجْدِ دَمٌ جُذْنَا بِهِ فَاسْأَلُوا كَيْفَ دَفَعْنَا الثَّمَنَا
 وَاسْأَلُوا مَاذَا فَعَلْنَا فِي الْوَعَى يَوْمَ هَالِ الْهَوْلِ فِينَا وَدَنَا
 الذبح للعاشق في سبيل معشوقه : برد وسلام .

* ذكر المجد في « المنتقى » : أن رسولنا صلى الله عليه وسلم لما أراد أن
 ينحر الإبل في منى . . . تسابقت إليه ؛ أيتها ينحر أولاً ، فمن أخبر البعير ، أن
 صاحب الحربة هو البشير النذير ، والسراج المنير ؟!
 ما خرت الإبل وهو ينحر وما استقرت ، بل دنت وأقبلت ؛ لأن التولي يوم
 الزحف حرام .

وَيَقْبُحُ مِنْ سِوَاكَ الْفِعْلُ عِنْدِي وَتَفَعَّلُهُ فَيَحْسُنُ مِنْكَ ذَاكَ

عَلَى عَمْدٍ مِنَ التَّوْفِيقِ قَدْماً أَحَبَّكَ مَنْ أَحَبَّكَ فَأَصْطَفَاكَ

* خطب صاحب المنهج العظيم رسولنا الكريم ، عليه الصلاة والسلام ، في جنوده في بدر ، فأخبرهم أن بينهم وبين الجنة القتل فمن يقتل . . يدخل ، ومن يذبح . . يفلح .

فقام عمير بن الحمام ، ورمى بالتمرات ، ولسان الحال يقول : خذوا تمرکم ، فالغداء هناك ، وإجابة الدعوة واجبة ، ومن لم يجب الدعوة . . فقد عصى أبا القاسم صلى الله عليه وسلم ، وكيف يجيب الأمر من ألهاه التمر ؟
للهِ دَرْكٌ وَالرَّدَى مُتْكَالِبٌ وَالْمَشْرِفِيَّةُ تَسْحَقُ الْأَبْطَالَ
وَوَقَفَتْ تَخْطُبُ وَالرُّؤُوسُ تَطَايَرَتْ أَسْقَيْنَتْ رَاحَ الْعِزِّ حَتَّى سَالَا
* حضر محمد بن حميد الطوسي القتال مع الروم ، فوقف يقطع رؤوسهم من الفجر إلى الظهر ، وما أحسن الذبح على الطريقة الإسلامية .

فر أصحابه فخرج أن يفر ؛ لأن صاحب الشريعة لا يقر ، فتكسر سيفه ، ومال رأسه ، فكفنه أبو تمام بقصيدته الخالدة :

لَقَدْ مَاتَ بَيْنَ الضَّرْبِ وَالطَّعْنِ مِيتَةً تَقُومُ مَقَامَ النَّصْرِ إِنْ فَاتَهُ النَّصْرُ
تَرَدَّى ثِيَابَ الْمَوْتِ حُمُراً فَمَا أَتَى لَهَا اللَّيْلُ إِلَّا وَهِيَ مِنْ سُنْدُسٍ خُضْرُ
ثَوَى طَاهِرِ الْأَرْدَانِ لَمْ تَبْقَ بَقْعَةٌ غَدَاةَ ثَوَى إِلَّا أَشْتَهَتْ أَنَّهَا قَبْرُ

* وقف القائد صلى الله عليه وسلم أمام الكتيبة ، فسل السيف وقال : « من يأخذ هذا السيف مني ؟ » ، فكلهم رفع يده ، وظنوا السيف جائزة ، فقال : « من يأخذه بحقه ؟ » ، فعلموا أن في المسألة سرّاً فتوقفوا ، وألح أبو دُجانة في الطلب ، وسأل القائد : ما حق السيف ؟ قال : « أن تضرب به في الأعداء حتى ينحني » فأخذ أبو دُجانة يعدل به رؤوس الضلال ، مرة في

اليمين ، ومرة في الشمال ، ينشب السيف في الجماجم فيهزه هزاً ؛ لأن في الجمجمة مسامير اللات والعزى .

أخرج عصابته الحمراء من الجلباب ، فصاح الناس : خطر ممنوع الاقتراب .
وَمَنْ تَكُنِ الْأَسْدُ الضَّوَارِي جُدُودُهُ يَكُنْ زَادُهُ رِفْدًا وَمَطْعَمُهُ غَضَبًا
فَحُبُّ الْجَبَانِ الْعَيْشَ أوردَهُ الْبَقَا وَحُبُّ الشُّجَاعِ الْمَوْتَ أوردَهُ الْحَرْبَا

* عندنا أعظم ميراث عرفه التاريخ ، وأكبر ثورة رأتها الدنيا ؛ عندنا متون من الوحي ما اختلطت بالطين ؛ لأنها من رب العالمين ، لكن الطلاب كسالى ، المرعى أخضر ، لكن العنز مريضة ، وثيقتنا كتبت من أربعة عشر قرناً ، خطب بها على منابر المعمورة ، وصلي بها في محاريب القارات ، وأذن بها على منائر الكون :

وَالْوَحْيُ مَدْرَسَتِي الْكُبْرَى وَغَارُ حِرَا مِلَادُ فَجْرِي وَتَوْحِيدِي وَإِيمَانِي
وِثْقَتِي كُتِبَتْ فِي اللَّوْحِ وَأَنْهَمَرْتُ آيَاتُهَا فَأَقْرَأُوا يَا قَوْمُ قُرْآنِي
معجزتنا : أن معلمنا أمي أعجز البلغاء ، لا يكتب ، وقد أفحم الكتبية ، ولا يقرأ ، ولكنه بذ القراء : ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَأَزْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ .

* وقف في عرفة محرماً أشعث أغبر ليخاطب الدنيا ، فقال له مولاه في الموقف : ﴿ وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾ ، فعلم أن النعمة ليست في ناقته القصواء ، ولا في حصيره الممزق ، الذي أثر في جنبه ، ولا في درعه المرهونة عند اليهود ، ولا في الحجرين المربوطين على بطنه ، إنما نعمته : دعوته ، وحبوره : نوره ، ﴿ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ .

* عقدة الوليد بن المغيرة في كفره بصاحب السيرة : أنه ليس له كنز ،
وليس له جنة يأكل منها ، وما علم أن صاحب الكنز ، والبنز ، والجنز
لا يُرشح للعرز .

تَرَكْتُ الشَّرِيَّ خَلْفِي لِمَنْ ضَاعَ عُمْرُهُ وَأُورِدْتُ قَلْبِي فِي عَظِيمِ الْمَوَارِدِ
* تمزقت الأمة في العصر ، فالبعض ذبح والبعض في الأسر ، ومن نجا
منا . . نسي ﴿ وَإِنْ أَسْتَضَرُّوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ ﴾ .

لِمَ ذَا التَّقَاطُعُ فِي الْإِسْلَامِ بَيْنَكُمْ وَأَنْتُمْ يَا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانُ
صار صوت المفجوعة في عمورية ، يعبر المحيطات ، ينادي :
وامعتصماه ، فوصل الصوت قبل الصورة ، فصاح المعتصم : قربوا أفراسي ،
وهااتوا أتراسي ، الجنسية مسلم ، والنسل عباسي .

أحرق المدن ؛ لأن ليلة النصر تحتاج إلى بخور ، وهو ممن ﴿ يَرْجُونَ
نَجْرَةً لَّنْ تَبُورَ ﴾ .

فغردت كتابه ؛ وترافقت ركائبه على الإيادة :
أَجَبْتَ صَوْتًا زَبَطَرِيًّا هَرَقْتَ لَهُ كَأْسَ الْكَرَى وَلُعَابَ الْخُرْدِ الْعُرْبِ
أَبْقَيْتَ جِدَّ بَنِي الْإِسْلَامِ فِي صَعْدِ وَالْمُشْرِكِينَ وَدَارَ الشُّرْكِ فِي صَبَبِ
المعتصم ، أبوه : الرشيد ، وجده : ابن عباس ، فما أذعن ليوحنا ،
ولا توماس ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴾ .

المعتصم بطل في النزال ، لكن فيه بدعة الاعتزال .
* زياد ، أمه : سمية ، يزيد بني أمية ، أنجب عبيد الله السمين ؛ ليقتل
الحسين ، جنود عبيد الله هذا كالعجول ، يكبرون لمقتل ابن البتول .

وَيُكَبِّرُونَ بِأَنْ قُتِلَتْ وَإِنَّمَا قَتَلُوا بِكَ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ

* خربت خيبر ؛ لأنها بنيت على شفا جرف هار ، حجر الزاوية : كعب بن الأشرف ، وسدة الباب : بن غوريون ، والطباخة : جولداماثير ، نادى الرسول صلى الله عليه وسلم : يا علي ، قال : مرحباً ، قال : اقتل مرحباً ، يقول مرحب لعلي :

أَنَا الَّذِي سَمَّيْتَنِي أُمِّي مَرْحَبًا

قال لسان الحال : أمك سامرية عبدت العجل ، وأم علي هاشمية لا تحب الدجل .

أَنَا الَّذِي سَمَّيْتَنِي أُمِّي حَيْدَرَه

فتحدر رأس مرحب على سيف حيدر!

يَا أَبَا السَّبْطَيْنِ أَحْسَنْتَ فَرِذْ فِعْلُكُمْ يَا شَيْخَنَا فِعْلُ الْأَسَدِ
رِمْدٌ تَفْعَلُ هَذَا فِي الْعِدَا كَيْفَ لَوْ عُوِفِتَ مِنْ ذَاكَ أَلْرَمْدُ ؟

بطاقة علي في الزحام : يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، وبطاقة مرحب : ﴿ فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ ﴾ .

* يا شباب الصحوة ؛ من لا يدع منكم ويؤثر . . فلا ينمنم ويثرثر! « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » ، إذا لم تصاحبنا ، فترجوك لا تضربنا .
الذي بيته من زجاج لا يرمي بيوت الناس ، والذي يضرب العود لا يحمل الفأس .

* اللهم ؛ إنك نثرت على أهل الدنيا الدنانير ، فשרوا الذمم بالدينار ، اللهم ؛ فأعطنا تاج النجاة ؛ لننجو به من النار .

* أحرقونا فقلنا : أح ، قال الصبر : هذا ما يصح .

لَا تَقُلْ لِلنَّارِ أَحْ إِنَّ قُلْتَ أَحَا فَرِحَ الْبَاغِي وَسَحَّ الْجُرْحُ سَحَا

* أمر الله بني إسرائيل بذبح بقرة ، فأخذوا الأمر مستهترين ، ورأى رسولنا صلى الله عليه وسلم بقرًا تنحر في المنام ، فنحر من أصحابه في أحد سبعون .
* سود الله وجوه اليهود ؛ قيل : اذبحوا بقرة ، قالوا : ما بقرة ؟ قيل : لا فارض ولا بكر ، قالوا : لا بد من معرفة اللون ، قيل : صفراء ، قالوا : ما سنها ؟ قيل : عوان بين ذلك ، فتلكؤوا وما كادوا يفعلون .

ومحمد عليه الصلاة والسلام ، طلب من الأنصار الحماية ، قالوا : بالأرواح ، والنصرة ، قالوا : السلاح السلاح ، قال لهم بلال العزم : حي على الصلاة ، قالوا : حي على الفلاح .

يقول خطيبهم : يا رسول الله ؛ أعط من شئت ، وامنع من شئت ، وصل جبل من شئت ، واقطع جبل من شئت ، عسى الله أن يريك منا ما تقر به عينك ! فقتل هذا الخطيب ، فاهتز له عرش الرحمن .

* أحدهم ذهب يتعلم في جنيف كيف يصيد الشريعة ، وصيد غير المعلم حرام ، لأن الله يقول : ﴿ مُكَلِّينَ تَعَلَّمُوهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ ﴾ .

عَرَفْنَاكَ يَوْمَ الْجِزْعِ تَخْذُو رِكَابَنَا فَلَمَّا ذَهَبْنَا عَنْكَ أَشْعَلْتَهَا حَرْبًا
* الحسن بن علي ، هاشمي ، أراد الخلافة فتذكر : « إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » ، تنازل في مؤتمر القمة ؛ ليحقن دماء الأمة .

﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾ .

* أرسلناك تسابق على الخيل المضمرة ، من ثنية الوداع إلى مسجد بني زريق ، فذهبت تتزلج على الثلوج وتصاحب العلوج ، أما سمعت ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ ؟ فمن أنت أم منهم !؟

* انتصر عبد الحميد بن باديس ؛ لأنه يحب باريس ، وفضح الأمة ابن بيلا
لأن زنبيله صنع في مانلا .

* زار أبو سفيان وهو مشرك ابنته رملة زوج رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، لما دخل البيت . رفعت فراش المعصوم ؛ خوفاً عليه من غبار
الوثنية ؛ لأن في الحديث : (لا يورد ممرض على مصح) ، والفراش الأجل
لا يصلح لمن سجد لهبل .

* أدونيس أبياته من الشيطان ، وروح القدس يؤيد بالقوافي حسان ، ولذا
استطاع شاعر الرسول أن يقول :

وَيَوْمَ بَذَرَ إِذْ يَصْدُ وَجُوهَهُمْ جَبْرِيلُ تَحْتَ لِوَائِنَا وَمُحَمَّدُ
* وتقياً أدونيس بعد أن بال الشيطان في أذنه فقال : (خرافية تلك أسطورة
هي الملة النحلة البائدة) .

حسان على وزن رضوان ، وأدونيس على وزن إبليس ، ويحرم من الرضاع
ما يحرم من النسب .

حسان أزدي زكي ، وطاغور مزدكي ﴿ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ .

* تركيا نور نسي بموت النورسي ، أتاتورك في آخر درك ، أتاتورك نجس
البحيرة وأوقع الأمة في حيرة ، كسر ظهر الخلافة ، ومزق عمامة المفتي ،
وهدم أعواد المنبر .

* ألقيت أنت على الناس محاضرة ، فتبجحت بها في البادية والحاضرة ،
وعبد الله بن عمرو الأنصاري ، وجد مقتولاً ، به ثمانون طعنة فما أخبر أحداً ؛ لأن
صدقة السر تطفئ غضب الرب ، والمحجون يتسترون بالليل لزيارة المحبوب .

كَمْ زُورَةٍ لَكَ فِي الْأَعْرَابِ دَاهِيَةٍ أَذْهَى وَقَدْ رَقَدُوا مِنْ زُورَةِ الذَّبِّ

أَزُورُهُمْ وَظِلَامُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي وَأَنْثَنِي وَبَيَاضُ الصُّبْحِ يُغْرِي بِي
* تصدقت أنت للبوسنة والهرسك بخمسين ريالاً ، وتمنيت بها على الله
الأماني ، وخالد بن الوليد احتبس أدرعه وأعتده في سبيل الله ، ثم أتبعها
خيله ، ثم أتبعها نفسه .

* جهز عثمان جيش العسرة من جيبه ، فسمع الثمن نقداً على المنبر :
(اللهم ؛ اغفر لعثمان ما تقدم من ذنبه وما تأخر) .

يقول المترفون : أنتم متطفرون ، أنتم تهرفون بما لا تعرفون ، قلنا : لهذا
فرية ، والدليل : ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً﴾ .

* حاول صبيغ بن عسل أن يخلط في الآيات ، ويشوش في المنهج ،
فضربه عمر بعضاً خضراء حتى أغمي عليه ، فاستفاق ولسان حاله يقول :
أصبحنا وأصبح الملك لله .

والحداثيون خلطوا في الدين تخليطاً ، ويحتاجون إلى دواء كدواء صبيغ ،
لكن الطبيب مات :

تَشْفِي بِسَيْفِكَ دَاءَ النَّاكِثِينَ لَهُ وَتَجْعَلُ الرُّمَحَ تَاجَ الْفَارِسِ الْبَطَلِ
* يقول فرعون لموسى : ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكُ﴾ قلنا : وأنت يا مجرم ما فعلت
شيئاً وأنت أبو الفعائل ؟ أبصرت القذى في إناء موسى ، ولم تر الجذع في
إنائك .

إِذَا مَحَاسِنِي الْأَلَّيْ أُدِلُّ بِهَا كَانَتْ ذُنُوبِي فَقُلْ لِي كَيْفَ أَعْتَذِرُ
* وقفوا بعرفات ما يقارب ثلاثة ملايين ، يسألون رباً غنياً قديراً رحيماً
حليماً .

أَتَيْنَاكَ بِالْفَقْرِ يَا ذَا الْغِنَى وَأَنْتَ الَّذِي لَمْ تَزَلْ مُحْسِنًا

وَعَوَّدْتَنَا كُلَّ فَضْلٍ عَسَى يَدُومُ الَّذِي مِنْكَ عَوَّدْتَنَا
فَمَا فِي الْغِنَى أَحَدٌ مِثْلُكُمْ وَفِي الْفَقْرِ لَا أَحَدٌ مِثْلَنَا

وقصت ناقة محرماً بعرفة فقتلته ، وصاحب المنهج ، عليه الصلاة والسلام موجود ، فقال : « كفنوه في ثوبيه وجنبوه الطيب ، ولا تخمروا رأسه ؛ فإنه يبعث يوم القيام مليباً » .

هل تأملت الصورة ؟ إذا أهل هذا الميت من قبره مليباً ، ميقاته قبره ، ومن تجاوز الميقات يريد الحج بلا إحرام .. فعليه دم ، وهذا يريد الجنة ؛ لأنه مطلوب هناك ، والجواب : (ليك اللهم ليك) .

أَتَيْنَاكُمْ نَحْبُ السَّيْرِ خَبَا وَنَحْمِلُ فِي حَشَايَا الْقَلْبِ حَبَا
نَهَيْمُ بَيْتَكُمْ شَوْقاً وَنَسْقِي بَدَمْعِ الْعَيْنِ فِي الْعَرَصَاتِ صَبَا
فَهَيَّا سَامِحُونَا قَدْ أَسَانَا وَهَيَّا فَاعْفِرُوا يَا رَبَّ ذَنْبَا
تَقَرَّبَ غَيْرُنَا لِسِوَاكَ جَهْلًا وَنَحْنُ لِقُرْبِكُمْ نَزْدَادُ قُرْبَا
﴿ رَبَّنَاوَا إِنَّمَا وَعَدْنَا عَلَى رُسْلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ .

* بجانب هيئة الإذاعة البريطانية في لندن ، شاعر عربي قام في الصباح

ينشد :

أَنْتَ الْقَوِيُّ فَقَدْ حَمَلْتَ عَقِيدَةَ أَمَّا سِوَاكَ فَحَامِلُوا أَسْفَارِ
يَتَعَلَّقُونَ بِهِذِهِ الدُّنْيَا وَقَدْ طَبَعَتْ عَلَى الْإِيرَادِ وَالْإِضْدَارِ
دُنْيَا وَبَاعُوا دُونَهَا أَلْعُلْيَا فَيَا بُؤْساً لِبَيْعِ الْمُشْتَرِي وَالْشَّارِي

* يا أيها الذين آمنوا ما لكم لا تنفقون من كنوز الرسالة دنائير الحكم ، وصاحب الغلة يقول : « بلغوا عني ولو آية » .

كل منكم بحسبه ، فمن لم يجد سيفاً . فعصاً ، وافعلوا فعل علي بن عمار ،

هجم عليه الأسد ، وسيفه معلق في بيته ، ولو انتظر وصول السيف . . لوصل رأسه إلى الأرض على الكيف ، فأخذ هراوة غليظة ، وفلق بها هام الأسد ، حتى يأتي المدد ، فحياه أبو الطيب فقال :

أَمْعَفَرِ اللَّيْثِ الْهَزْبِرِ بِسَوِطِهِ لِمَنْ أَدَّخَرَتِ الصَّارِمَ الْمَصْقُولَا
* إذا لم تلق . . محاضرة فاحضرها ، وإن لم تدبج خطبة . . فكلمة ، أنفق رجل من بره ، ومن تمره ، من درهمه ، من ديناره ، من علمه ، من شعره ، من فكره ، والذي لا يركب في سفينة الصحوه ﴿ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ ﴾ ، فليس لهم في الغنيمة قسَم ، ولا في الخيالة اسم ، ولا في الديوان رسم ، بعضهم حفظ المتون ، وجمع الفنون ، وكتب الحواشي ، وهو ما شي .

قلنا : علِّم ، قال : حتى أتعلم ، قلنا : أجل ، درِّس ، قال : حتى أؤسس ، قلنا : فهل سمعت : ﴿ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾ .

قُمْ خَاطِبِ الدُّنْيَا بِنَبْرَتِكَ الَّتِي عَزَفَتْ قُلُوبَ الْأَهْلِ وَالْأَصْحَابِ
فَمَنَابِرُ التَّوْحِيدِ مِنْ خُطَبَائِهَا وَمَحَافِلُ الْأَعْلِيَاءِ لِلْخُطَّابِ
* شبيب الخارجي في ستين من أصحابه هزم ثلاثة آلاف ، وكان في المعركة ينعس على البغلة من ثبات الجأش ، قلنا : دعونا من نعاس الخوارج ، فأين نعاس أهل السنة ؟ ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسُ أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾ ، فنعاس طلحة بن عبيد الله في أحد خير من نعاس شبيب ؛ لأن طلحة : متَّبِع ، وشبيباً : مبتدع ، وطلحة : من نكاح ، وشبيباً من سفاح .

قَوْمٌ أَبَوْهُمْ سِنَانٌ حِينَ تَنْدُبُهُمْ طَابُوا وَطَابَ مِنَ الْأَوْلَادِ مَا وَلَدُوا
لَوْ كَانَ يَقْعُدُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ قَوْمٌ بِأَبَائِهِمْ أَوْ مَجْدِهِمْ قَعَدُوا
* غفار من المغفرة ، وأسلم من المسالمة ، وعصية من المعصية ، ثلاث

قبائل وافقت أسماؤها مسمياتها ، فقال المعلم : « غفار غفر الله لها ، وأسلم سالمها الله ، وعصية عصت الله ورسوله » .

وأقول : وماركس أركسه الله .

* صاحب المنهج يدرس الطلاب ، وفي الفصل : منافقون لم يعرفهم ،
فأنزل الله ﴿ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ﴾ ، فلاحظ التصرفات والتلونات ،
﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾ ، فلما انكشفوا . . سمع : ﴿ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ فَنِلَهُمْ
اللَّهُ أَنِّي يُؤَفِّكَونَ ﴾ .

* أراد السلطان أن يشتري الأعمش المحدث الكبير برسالة فيها فتوى
لتكون حبة الطائر ، فإذا وقع في الشباك . . قيل : نصيبك ما أخطأك ، فعرف
الأعمش العلة ؛ لأنه عالم بعلل الأسانيد ، وتدليس الرجال ، فأعطى الرسالة
شاة عنده ، فأكلت الرسالة ، وحملها الخطأ ؛ لأنها تأكل الرسائل .

فَلَا كُتِبَ إِلَّا أَلْمَشْرِفَاتُ عِنْدَهُ وَلَا خَطٌّ إِلَّا بِالْقَنَابِلِ
﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ .

* العقيدة الإسلامية ، لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيت أصالتها يضيء ،
ولو لم تمسسه نار الشوق ، فكيف إذا اجتمع نور الفطرة ونور الاتباع ؟ ﴿ نُورٌ
عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

* قال اليهود لموسى عليه السلام : ﴿ فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلَا إِنَّا هَاهُنَا
قَاعِدُونَ ﴾ ، وقال الصحابة للرسول عليه الصلاة والسلام : لو استعرضت بنا
البحر . . لخضناه معك ، فقطعوا أمامه ، فكل بيت فيه قتيل :

سَعْدٌ وَسَلْمَانٌ وَالْقَعْقَاعُ قَدْ عَبَرُوا إِيَّاكَ نَعْبُدُ مِنْ سَلْسَالِهَا رَشَفُوا
فِي كَفِّكَ الشَّهْمُ مِنْ حَبْلِ الْهَوَى طَرَفٌ عَلَى الصِّرَاطِ وَفِي أَرْوَاحِنَا طَرَفٌ

فَكُنْ شَهِيداً عَلَى مَا فِي الْقُلُوبِ فَمَا تَحْوِي الضَّمَائِرُ مِنَّا فَوْقَ مَا نَصِفُ
﴿فَقَاتِلْهُمْ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ .

* يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « لعن الله اليهود ، إن الله لما حرم عليهم شحوم الميتة . . جملوه ، فباعوه ، فأكلوا ثمنه » .

وذاك يسمع الغناء ، ويقول : غناء إسلامي ، والبعيد يتناول المسكر ، ويقول : شراب روحي ، وعلام الغيوب لا يلعب عليه ولا يُخَادَع .

﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ ، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ .

* قال الحسن البصري : يا ابن آدم ؛ خالف موسى الخضر ثلاث مرات ،

ألا تخشى أن يقول لك : هذا فراق بيني وبينك ؟!

إِغْفِرِ اللَّهُمَّ رَبِّي ذَنْبَنَا ثُمَّ زِدْنَا مِنْ عَطَايَاكَ الْجِسَامَ
لَا تَعَايِنَا فَقَدْ عَايَنَّا قَلْبُ أَشْهَرْنَا جُنْحَ الظَّلَامِ

* العالم ينتظر من يدعوه إلى الإسلام ، والملة تحتاج إلى حملة .

* التمر مقفزي ، لكن البخل مروزي !

﴿فَبَدُّوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبَسَّ مَا بَشَرُوتُ﴾ .

* رفعوا خبيب بن عدي على خشبة الموت ، فأنشد طرباً وامتلأ عجباً ،

وقال قصيدة الحب كل الحب ، فسمعها المحبون ، لكن عبدة الأصنام في سكرة يعمهون .

وَلَسْتُ أَبَالِي حِينَ أَقْتُلُ مُسْلِمًا عَلَى أَيِّ جَنْبٍ كَانَ فِي اللَّهِ مَضْرَعِي

ما يحلو الشعر إلا في المعمة : ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾

﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ * وَيَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةُ عَرَفَهَا هُمْ .

قال خبيب للكفار : أنظروني لحظة ، قالوا : تكتب الوصية ؟ قال لسان

الحال : لا ميراث ، لكن أصلي ركعتين ، أراد أن يُطيلهما ، فخاف أن يوصم بالجبن ، وهو أبو الشجاعة ، رفعوه على المشنقة ، فدعا دعاء القنوت :

اللهم ؛ أحصهم عددا ، واقتلهم بددا ، ولا تغادر منهم أحدا . . . آمين .

* استحييت خزاعة من ربها أن ترد الحوض بلا بطل ، فأنجبت أحمد بن نصر الخزاعي حامل لواء السنة ، محدث بغداد ، رأى المداد يلطخ ثياب طلاب السنة ، فعزم على أن يلطخ بدمه ثياب المبتدعة ، قال له الوراق : وافق ، قال : لا يا منافق ، فحره بالخنجر ، فوقع ميتاً لتحيا السنة .

دَمٌ أَزَكَى مِنَ الْمِسْكِ الْمُصَفَّى وَرُوحٌ فِي ذَكَاءِ الْأَقْحَوَانِ
وَتَارِيخٌ مِنَ الْأَقْدَامِ فَدَمٌ كَأَنَّ بَرِيْقَهُ نَضْلٌ يَمَازِي
﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ .

* الصدق حبيب الله .

* وصل الطعن الرقبة .

أمة دمها رخيص ، ودماء الناس غالية ، يتيما في المحافل يبكي ، وشيخها على القديم ينوح .

تربية اللحى ، وركعتا الضحى : ثابتة شرعاً ، لكن نقض الميثاق ، وخلط الأوراق ، من أركان النفاق .

إذا لم تتهجد . . فاحضر الجماعة في المسجد ، الذي يكشف صادقنا من كاذبنا : صلاة العشاء والفجر .

* أتى ابن المبارك ليشرب من زمزم ، فتذكر حديثاً من مروياته نصه : « ماء زمزم لما شرب له » ، فقال : اللهم ؛ إني أشربه لظماً ذاك اليوم ، فدمعت العيون !

ابن المبارك يعرف أن زمزم الوحي يشرب منه ليتشافى به من العلل ، لكن من يقنع من ؟ يطلب العلاج في بروكسل بقناعة ابن المبارك :

مِنْ زَمْزَمٍ قَدْ سَقَيْنَا النَّاسَ قَاطِبَةً وَجِئْنَا الْيَوْمَ مِنْ أَعْدَائِنَا شَرِبًا

وقال زميلي سلمان ، وأحسن أيما إحسان : زمزم في بلدي ، لكن من يقنع الناس بجذوى زمزم .

تسمّع ابن المبارك صياح المجاهدين وهو يتقلب في الساجدين ، ففك لجام البغلة وهتف :

بُغْضُ الْحَيَاةِ وَخَوْفُ اللَّهِ أَخْرَجَنِي وَبَيْعُ نَفْسِي بِمَا لَيْسَتْ لَهُ ثَمَنًا

إِنِّي وَزَنْتُ الَّذِي يَبْقَى لِيَعْدِلُهُ مَا لَيْسَ يَبْقَى فَلَا وَاللَّهِ مَا أَتَزَنَّا

ذهب إلى الشمال ، يقطع رؤوس الضلال ، فلامه الفضيل على ترك الحرم ، ولسان الحال يقول : ترك الجهاد حرام ، فكتب ابن المبارك إليّ :

يَا عَابِدَ الْحَرَمَيْنِ لَوْ أَبْصَرْتَنَا

فتمنى المصلون عند الركن اليماني قتال الكفار بالسيف اليماني .

﴿ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا لَا كُفْرَنَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دُخِلَتْهُمْ جَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ .

* شرب الخمر شارب والرسول صلى الله عليه وسلم حي ، فأدبه ، وقال للعدال : « ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله » .

وَإِذَا الْحَبِيبُ أَتَى بِذَنْبٍ وَاحِدٍ جَاءَتْ مَحَاسِنُهُ بِأَلْفِ شَفِيعٍ

* الحديد يتمدد بالحرارة ، وينكمش بالبرودة ، والخشب يتمدد بالبرودة وينكمش بالحرارة ، وبعض الناس لا يتمدد ولا ينكمش ، ﴿ هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ .

لَقَدْ أَسْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي

* أحد الرؤساء ، سجن العلماء ، ثم خطب في الدهماء وقال : أنا إمام عادل كعمر بن الخطاب ، فقال له أحد العلماء : نعم ، عمر إمام عادل ، وأنت عادل إمام !

تُقَاسُ بَيْنَ طَلْحَةٍ وَأَبْنٍ سَاوِي رَعَاكَ اللَّهُ مَا هَذَا التَّسَاوِي ؟

فَطَلْحَةُ مُشْرِقُ الطَّلَعَاتِ بَذْرٌ وَذَاكَ الْجَوْرُ فِي أَلْحَانَاتِ عَاوِ

* كلما انخفض الأسهم ، ارتفع ضغط الدم ؛ لأن الشيك مكتوب عليه « وإذا شيك . . فلا انتقش » ، كل شيك من رباً معه شوكة من لظى ، ﴿ أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا ﴾ .

* علمناك (الفاتحة) تصلي بها التراويح في الليالي ، فتركتهَا وذهبت تغني : البارحة ما نمت مما جرى لي .

الكلاب تحب الجيف ، والأسود تأكل مما تقتل ، ومن رضي بأفكار البشر ، عن وحي رب البشر ، فبشره بسقر ، ﴿ لَا بُقْيَ وَلَا نَذْرَ ﴾ .

* روى البخاري في (الرقاق) : أن علياً قال : إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة ، وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة ، فكونوا من أبناء الآخرة ، ولا تكونوا من أبناء الدنيا ؛ فإن الدنيا عمل ولا حساب ، والآخرة حساب ولا عمل .

وفي ترجمة يقول : يا دنيا ؛ غُرِّيْ غيري ، زادك حقير ، وعمرك قصير ، وسفرك طويل ، آه من قلة الزاد ، وبعد السفر ، ولقاء الموت ، يا دنيا ، طلقتك ثلاثاً لا رجعة بعدها ، وعلي لا يرى نكاح المحلل ؛ لأنه راوي حديث : « لعن الله المحلل والمحلل له » .

* لما شمر عمر ثوبه في اليقظة . . جره في المنام ، والقميص في النوم ،

هو : الدين واليقين ، وأبو حفص أحد الأساطين .

نام عمر بلا حراسة تحت الشجرة ؛ لأنه خَوْفُ الفجرة ، عدل في الرعية ..
فنام في البرية .

كان في التاريخ دُرَّة ؛ لأن له دِرَّة ، فله دَرَّة .

* الكعبة ، وحبة القلب ، وإنسان العين ، كلها سود ، فلا عاش

الحسود .

يَرُوقُ لِي مَنَظَرُ أَلْبَيْتِ الْعَتِيقِ إِذَا بَدَا لِطَرْفِي فِي الْإِصْبَاحِ وَالطَّفَلِ
كَأَنَّ حُلَّتَهُ السُّودَاءَ قَدْ نُسِجَتْ مِنْ حَبَّةِ الْقَلْبِ أَوْ مِنْ أَسْوَدِ الْمُقَلِّ

أسامة بن زيد : أسود ، وأبو لهب : أبيض ، ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ

وُجُوهٌ ﴾ يبيض الأول ، ويسود الثاني ؛ لأن بياض أبي لهب بهرجاني .

* ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ

يُنْفِقُونَ ﴾ ، في الليل إشفاق ، وفي النهار إنفاق !

النوم لذيد ، ولكن الخوف أطاره ، وبعض العباد كان يتمنى أن يطول

الليل :

طَاوِلْ بِهَا اللَّيْلَ ضَنْ أَلْجَفْنُ أَوْ سَمَحَا وَمَا طَلِ النَّجْمَ مَالَ النَّجْمِ أَوْ جَنَحَا
فَإِنْ تَشَكَّتْ فَعَلَّلَهَا الْمَجْرَةَ مِنْ ضَوْءِ الصَّبَاحِ وَعِذَهَا بِالْقُدُومِ ضَحَى

أسرار القرآن تبوح في الليل ، والخوف والرجى يتسابقان في الدجى .

* في « صحيح مسلم » : أن عائشة سئلت : متى يقوم الرسول صلى الله

عليه وسلم ؟ قالت : (كان إذا سمع الصارخ .. وثب) ، تقول : وثب ، ولم

تقل : قام ، وأنت عربي تعرف معنى (وثب) ، والصارخ هو الديك .

يُصَوِّتُ دِيكَ الْحَيِّ مِنْ حَرٍّ مَا بَنَا وَيَرِثِي لَنَا الْقُمْرِي وَيَبْكِي لَنَا الْحَجَلِ

إِذَا مَا بَكَتْكَ الطَّيْرُ فَأَعْلَمَ بِأَنَّهُ تَقَارَبَ مِنْكَ الْعُمْرُ بَلْ زَارَكَ الْأَجَلَ

يقول عليه الصلاة والسلام في الصحيح : « نِعَمَ عَبْدُ اللَّهِ ، لو كان يقوم من الليل » ، فكان عبد الله لا ينام من الليل إلا قليلاً .

إذا لم تصبر للسهر . . فركعتان عند السحر : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْصَحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَأْمَلِكُكُمْ ﴾ .

نحن نتحدث عن الربح ، وقد وقع النقص في رأس المال ؛ لأن من لم يحضر الفجر جماعة . . . لا يرشح لطاعة .

طالب الأمة بالفرائض قبل النوافل ، أما قيام الليل . . فلذاك الرعيل ، والخيال المضمرة تسبق التي لم تضر .

دَعْنَا مَنْ أَلْتَشْبِيهِ بِالسَّلَفِ الْأَلَى قَامُوا الدُّجَى وَتَقَطَّعُوا فِي الْمُعْتَرَكِ

* يقول شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري الهروي : عرضت على السيف خمس مرات ، لا يقال لي : اترك مذهبك ، بل يقال : لا تتعرض للمذاهب ، فقلت : لا .

قلنا : أما أنت فما سمعنا بمثلك ، وما عندنا إلا هروي واحد ، وما سميت شيخ الإسلام إلا بعد تعب .

قالوا لتلميذ الأنصاري هذا قبل أن يقتل : قل : لا إله إلا الله ، فقال : إن شيخي قال لي : إن الدابة لا تسمن في أسفل العقبة ، وصدق الأنصاري .

تريد أن تتعامل بالربا ، فإذا حشرجت النفس . . تبت .

تسمع الغناء ، فإذا حضر اليقين . . كسرت العود .

تتهاون في الصلاة ، فإذا حانت الوفاة . . أذنت .

﴿ حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرِقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنْهُمْ ﴾

الْمُسْلِمِينَ * ءَالَفَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ .

أَتَرْجُو أَنْ تَكُونَ وَأَنْتَ شَيْخٌ كَمَا قَدْ كُنْتَ فِي عَصْرِ الشَّبَابِ
لَقَدْ كَذَبْتَكَ نَفْسُكَ لَيْسَ ثَوْبٌ جَدِيدٌ كَالْخَلِيقِ مِنَ الثِّيَابِ

* أفتى النابلسي محدث مصر ، فقال : من عنده عشرة أسهم . . فليرم
النصارى بسهم ، والفاطميّين بتسعة ، فغلط الجاسوس ، فرفع الخبر للسلطان
وفيه : فليرم النصارى بتسعة ، والفاطميّين بسهم ، فاستدعى السلطان
النابلسي ، وقرأ عليه الخبر ، قال : هذا غلط حرفتم الفتيا ، قلت : يرمكم
بتسعة والنصارى بسهم ، فصاح السلطان : علي بالجزار والسكين ، فصاح
النابلسي : ﴿ لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا
نَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنَغْفِرَ لَنَا خَطَايَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ
خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ ، فأخذه يهودي ، يسلخ جلده سلخاً بالسكين ، بعد أن علقوه
بقدميه ، فأخذ يسبح ربه ؛ لأنه من رواة حديث : « من قال سبحان الله
وبحمده في يوم مئة مرة . . غفرت ذنوبه ولو كانت كزبد البحر » .

أما قلت : لن تجد أشجع من أهل السنة وقت التضحيات ؟!

السني وقت التضحية يزري بالبعثي ، والناصري ، والقومي ؛ لأن السني من
سلالة أبطال بدر وأحد ، وأولئك من سلالة أبطال ح�يران وأيلول الأسود .

سَيْفِ أَبِي رَغْوَانَ سَيْفِ مُجَاشِعٍ ضَرَبْتَ وَلَمْ تَضْرِبْ سَيْفِ ابْنِ ظَالِمٍ
وَلَوْ كَانَ سَيْفِي فِي يَمِينِكَ لَأَنْتَحَى عَلَيْكَ وَلَكِنْ فَاتَ يَوْمُ التَّلَاوُمِ

* أطعم ابن بقية الوزير ، المساكين والفقراء ، وأكرم العلماء ، فغار منه
السلطان ، واحتال عليه حتى قتله وصلبه ، فلما ارتفع على الخشبة مصلوباً . .
وقفت الأمة كلها بوقوفه ، فطافت به قلوب المحبين ، ونامت بغداد على أصوات

البكاء ، فترجل أبو الحسن الأنباري عن فرسه إلى خشبه الصلب ، وسلم على
الجثمان ، ودشنه بتلك القصيدة ، التي من لم يحفظها . . ففي تذوقه للشعر نظر :

عُلُوٌّ فِي الْحَيَاةِ وَفِي الْمَمَاتِ بِحَقِّ أَنْتَ إِحْدَى الْمُعْجَزَاتِ
كَأَنَّكَ قَائِمٌ فِيهِمْ خَطِيئاً وَهُمْ وَقَفُوا قِيَاماً لِلصَّلَاةِ
مَدَدْتَ يَدَيْكَ نَحْوَهُمْ اخْتِفَاءً كَمَدَّهُمَا إِلَيْهِمْ بِالْهَبَاتِ
وَلَمَّا ضَاقَ بَطْنُ الْأَرْضِ عَنْ أَنْ يُوَارُوا فِيهِ تِلْكَ الْمَكْرُمَاتِ
أَصَارُوا الْجَوَّ قَبْرَكَ وَأَسْتَعَاضُوا عَلَى مَثْوَاكَ صَوْتَ النَّائِحَاتِ
لِعُظْمِكَ فِي النُّفُوسِ تَبَاتُ تُرَعَى بِحُرَّاسٍ وَحُفَاطٍ ثَقَاتِ
وَتُوَقَّدُ حَوْلَكَ الْكَيِّرَانُ لَيْلًا كَذَلِكَ كُنْتَ أَيَّامَ الْحَيَاةِ
وَمَا لَكَ تَرْبَةً فَأَقُولُ تُسْقَى لِأَنَّكَ نَضْبُ هَطْلٍ الْهَاطِلَاتِ

أصبحت خشبة ابن بقية مسرحاً ، تلقى عليه قصائد المادحين ، وخطب
المثنيين ، وأصبح من قتله في صغار ، كأنه طلي بالقار .

* الذي يعشق الليالي الحمراء . . لا يستعيد قرطبة والزهراء ، ومن يستورد
أفكاره من لندن . . يسهر على دندن .

﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّمْ مِّنْكُمْ
فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ .

* خرج سعد بن أبي وقاص على الرسول صلى الله عليه وسلم ومعه
الصحابه ، فلما رأى سعداً . . قال : (هذا خالي فليرني امرؤ خاله) ، فلم
يخرج له أحد خالاً كخاله ، المتحدّي قوي ، والمتحدّي به أبي .

فلما حضرت القادسية ، والجموع الفارسية . . حضر الخال ، يقود الأبطال ،
فحصل النصر قبل العصر ؛ لأن الناصر هو القهار ، والقائد خال المختار :

وَقَفْتَ لَكَ الْأَبْطَالُ تُضْغِي فِي الْوَعَى وَوَقَفْتَ تَخْطُبُ بِالْقَنَا الْخَطَارِ

وَالْحَيْلُ تَسْمَعُ وَالْكَتَائِبُ صَفَقَتْ وَتَرَى الْجَمَاجِمَ حُرَّقَتْ بِالنَّارِ

* أرسل القائد العظيم رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أنيس ؛ ليقتل خالد بن سفيان الهذلي عدو الدين ، فقتله واحتز رأسه ؛ ليعطي المعصوم اليانة على قتله ، فسلم الرأس ، وضمن له صلى الله عليه وسلم الجنة ، وشهد العقد الحضور على إعطائه صلى الله عليه وسلم عصاه ؛ ليتوكأ بها ابن أنيس في الجنة زيادة في التبجيل .

يَتَوَكَّؤُنَ عَلَى الْأَعْصَا مِنْ هَيْبَةٍ أَهْلُ الرِّزَانَةِ فِي حُضُورِ الْمَخْفَلِ

قَرَعُ الْأَعْصَا عِنْدَ الْخَطَايَةِ دَأْبُهُمْ لَا يَتْرُكُونَ الْخُطْبَ حَتَّى يَنْجَلِي

أدخل ابن أنيس رأسه في الجنة ، لما أدخل رأس خالد الهذلي النار ، رأس برأس ، والجروح قصاص .

* أم سليم أنصارية ، لا تملك ذهباً ، ولا فضة ، أرادت أن تهدي لمعلم البشرية هدية ، فما وجدت أغلى من ابنها أنس ، فدفعته خادماً للإمام ، فقال لسان الحال : ﴿ يَبْشُرِي هَذَا غُلَمٌ ﴾ ، فكان ثواب الهدية « اللهم ؛ أطل عمره ، وكثر ماله وولده ، واغفر ذنبه » ، فسعد الخادم بخدمة المخدم سعادة لا شقاء بعدها .

أم سليم ، مهرها من أبي طلحة : لا إله إلا الله ، فأخجلت بمهرها كل فتاة تغالي في المهر .

يقول عليه الصلاة والسلام : « دخلت الجنة البارحة فرأيت الرميضاء في الجنة » ، والرميضاء : أم سليم ؛ لأن مهرها أدخلها من الباب ، فأذن لها الحُجاب ، عرفت المفتاح ، فسكنت الدار .

لَكَ اللَّهُ مِنْ مَخْطُوبَةٍ عَزَّ مَهْرُهَا تَعَالَتْ بِثَوْبِ الْمَجْدِ عَنْ كُلِّ خَاطِبٍ
أَبُوهَا مِنْ الْأَعْيَاصِ زَيْنَبُ أُمُّهَا وَزَيْنَبُ بِنْتُ الْفَضْلِ لَا كَالزَّيَانِبِ

* جاء جابر بالجمل ، فاشتراه الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلما قبض جابر الثمن . . رد عليه الجمل ، وقال له : « خذ الثمن والجمل بارك الله لك فيه » ، قال بعضهم : ليزكره بأن الله هدى أباه عبد الله بن عمرو ثم وفقه للشهادة ، ثم رد عليه روحه ، ثم أدخله الجنة ، ثم كلمه .

تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا قُصُورَ قَضَاعَةٍ أَلَدْتُ فِي جَنَبَاتِ تِلْكَ يُصَفِّقُ
نَارُ تَضِيءُ عَلَى الثَّنِيَّةِ فِي الدُّجَى سَرَبُ الْجُمُوعِ عَلَى الْقُرَى يَتَدَفَّقُ
جابر يقرأ المدح في أبيه كل صباح ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ .

ما أجل الذبح ! وما أجمل المدح !

* ما كان لأهل الصحوة ومن حولهم من المحبين أن يتخلفوا عن قافلة محمد صلى الله عليه وسلم ، ذلك بأنه لا يصيبهم ظمأ المشقة والبذل ، ولا يطأون موطئاً يغيب كل كافر ونذل ، إلا كتب لهم في الصحائف ، كما وعد بذلك في المصاحف .

* أراد المعتصم أن يغزو الروم ، قال المنجمون : البرج في الذنب ، فلا تخرج للغزو وقت الذنب والعقرب ، قال : ما أعرف الذنب من العقرب ، هذا الذنب ومد السيف ، وهذا العقرب ومد الرمح ، وأفتاه أبو تمام بجواز الخروج ، وقال له في الفتوى :

أَلْعِلْمُ فِي شُهْبِ الْأَرْمَاحِ لَامِعَةٍ بَيْنَ الْخَمِيسَيْنِ لَا فِي السَّبْعَةِ الشُّهُبِ
بَهَارِجاً وَأَحَادِيثاً مُلَفَّقَةً لَيْسَتْ بِنَعِ إِذَا عُدَّتْ وَلَا غَرَبِ

* صلى إمام الأنصار بهم ، فكان يقرأ في كل ركعة : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ مع سورة أخرى ، قالوا له : إما أن تكتفي بها ، وإما أن تقرأ غيرها ، قال : إما أن أصلي بكم وأقرأها ، وإما أن أعزل الإمامة ، فسأله المعصوم عليه الصلاة والسلام ، لماذا تقرأها في كل ركعة ؟ قال : لأن فيها صفة الرحمن فأنا أحبها ، فتوجه بتاج : « حبك إياها أدخلك الجنة » .

وَدَاعٍ دَعَا إِذْ نَحْنُ بِالْخَيْفِ مِنْ مَنَى فَهَيَّجَ أَشْوَاقَ الْفُؤَادِ وَمَا نَذَرِي
دَعَا بِأَسْمٍ لَيْلَى غَيْرَهَا فَكَأَنَّمَا أَطَارَ بِلَيْلَى طَائِرًا كَانَ فِي صَدْرِي
أولئك القوم يحبهم ويحبونه ، فخلف من بعدهم خلف لا يحبهم ولا يحبونه ، والعياذ بالله .

* ابن رواحة بايع حبيبه في العقبة ، وبعد العقد قال : ربح البيع ، والله ؛ لا نقييل ولا نستقييل ، وتفرقا عن المجلس ، وفي « الصحيحين » : « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ، فإذا تفرقا . . وجب البيع » .

فجاء ابن رواحة بالثمن ، ودفعه في مؤتة ، ودخل الجنة ، ﴿ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبِشِرُوا بِالَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ﴾ .

فَمَا مَاتَ حَتَّى مَاتَ مَضْرِبُ سَيْفِهِ مِنْ الْأَضْرِبِ وَأَعْتَلَّتْ عَلَيْهِ الْقَنَا السُّمُرُ
* أصبحت الأمة مثل قبيلة (باهلة) ؛ كلما فاخرتها العرب . . قالت : منا قتيبة بن مسلم ، ولكن مات يرحمه الله ، كلما قالت لنا الأمم : انظروا لإبداعنا ، واختراعنا ، وإنتاجنا . . قلنا : منا عمر ، صلاح الدين ، والمثنى ، فألى متى هذا الخداع !؟

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

* أهل السنة ذهب أحمر ، لا تزيده النار إلا لمعانا ، وأهل البدعة خبث الحديد ، يحترق الخبث ، ويزدوب الحديد ، ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾ .

أحمدنا ابن حنبل شيعه مليون ، وأحمدهم بن أبي دؤاد شيعه ثلاثة بالأجرة .
* ذرفت إحدى عيني سعيد بن المسيب من البكاء في السحر ، وبقي على عين واحدة يحضر بها صلاة العتمة ، والمرثية تقول :

بَكَتْ عَيْنِي أَلَيْمَنِي فَلَمَّا زَجَرْتُهَا عَنْ الْجَهْلِ بَعْدَ الْحِلْمِ أَسْبَلَتَا مَعًا
﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ﴾ .

سعيد بن المسيب سجل للمكرمات ، وديوان للصالحات ، أربعون سنة ما فاتته تكبيرة الإحرام ، دائما في الصف الأول ؛ لأن الرباني يأنف من الصف الثاني .

خطب الوليد ، بنت سعيد ، قال : أنا لا أزوج البليد ، فجلدوه مئة بالجريد ، كان يجلد في حر المدينة ، وقتادة بن دعامة يستمليه الحديث في القرطاس ، والضرب على الراس ، لماذا لم يزوج سعيد الوليد ، وهو ولي العهد ؟ لأن العقد لا يتم لمن ينقض العهد ، ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ .

* عطس ابن هبيرة فشتمه أهل بغداد ؛ لأنه سني ، وأهل السنة يرون مشروعية تشميت العاطس ، فانظر ما أعظم الحب والقبول ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ .

ابن هبيرة وزير ، ولكن لا يعرف الطبله ولا الزير .

استسقى في منى للحجاج ، فنزل المطر كالأمواج .

كنيته أبو المظفر ، فقال فيه الخليفة المستنجد :

وَلَمْ أَرْ مَنْ يَنْوِي لَكَ الشُّوءَ يَا أَبَا الْمُظَفَّرِ إِلَّا كُنْتَ أَنْتَ الْمُظَفَّرُ
وَزَهْدُكَ وَالْدُّنْيَا إِلَيْكَ فَقِيرَةٌ وَجُودُكَ وَالْمَعْرُوفُ فِي النَّاسِ يُنْكَرُ

* دخل سهل بن عبد الله التستري على أبي داود صاحب « السنن » ،

فسأله بالله أن يلبي مسأله ، قال : قل ، قال : مد لسانك لأقبله ؛ لأنه روى
حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، ففعل .

اللسان سني ، وصاحبه إمام سنة ، ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَكَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ

الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ .

* محدثان سنيان : حماد بن سلمة بن دينار ، وحماد بن زيد بن درهم ،

والدينار عشرة دراهم ، وفارق الصرف يخبر بأفضل الرجلين ، فهل فهمت
الحساب ؟ والدراهم كلها سنية .

أما درهم المبتدعة . . فلا يساوي فلساً .

* كثرت مجالس اللغو ، هذا يتحدث عن دنياه ، وهذا عن ديناره ،

وذاك عن داره ، وآخر عن قصره ، عندها قال معاذ لأخيه : تعال بنا نؤمن
ساعة ، وهذه الساعة لله ، وفي الله عز وجل ، حديث في أسمائه ، وصفاته ،
وآياته ، وأفعاله .

يَطِيبُ حَدِيثُنَا فِيكُمْ وَيَخْلُو وَيَغْلُو عِنْدَ ذِكْرِكُمْ الْكَلَامُ

وَأَمَّا غَيْرُكُمْ فَأَلْقَلُّبُ يَأْبَى حَرَامٌ مَدْحُ غَيْرِكُمْ حَرَامٌ

﴿ أَلَا يَذَكِّرُ اللَّهُ تَطْمِئِنَّ الْقُلُوبُ ﴾ ، فكيف يطمئن قلب من أصعب الأشياء

عليه أن تحدثه عن الله عز وجل ؟!

﴿وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذَكَرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ .

* أرسل عمر أميراً على بيسان ؛ ليقيم هناك السنة والقرآن ، فسمّر الأمير مع أصحابه وأنشد :

إِذَا كُنْتَ نَذْمَانِي فَبِالْأَكْبَرِ أَسْقِنِي وَلَا تَسْقِنِي بِالْأَصْغَرِ الْمُتَشَلِّمِ
لَعَلَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسُوُّهُ تَنَادُمْنَا بِالْجَوْسَقِ الْمُتَهَدِّمِ

فبلغ الخبر عمر ، فغضب وبسر ؛ لأن الخلافة الراشدة لا تتحمل تبعات الأبيات ، واستدعى الوالي فعزله ؛ لأن الأمة كانت تعزل ، والقرآن ينزل ، فمات عمر ليقبض صدام في الخلافة خمسين عاماً ، كلها ذبح للشيوخ والأيتام ، وعليكم السلام .

* ابن الراوندي يهودي لعله نزعه عرق ، ألف كتاب « الدماغ » يدمغ به القرآن ! دماغ الله رأسه في النار .

ترجم له ابن خلكان ، فملس عليه ، وتسامح معه ، كأن الكلب لم يأكل له عجيناً ، فأين الغضب للدين والملة ؟ ولماذا هذا الانهزام والذلة ؟

والذهبي من ذهب السنة معدنه ، لما ترجم لابن الراوندي قال : هو الكلب المعثر ؛ لأن الذهبي يكتب بقلم الولاء والبراء ، وابن خلكان ، يسجل بقلم العجائز (كان يا ما كان) .

أهل السنة ينقدون الرجال ، فليس عندهم للتدليس مجال .

أَنْتَ يَا أَسْتَاذُ مَوْفُورُ الْأَدَبِ لَا تُزَكِّي كُلَّ مَنْ هَبَّ وَدَبَّ

﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ .

* انتمى أهل السنة إلى حزب الله ، والعبد وما ملك لسيده ، إذا سئلت :

ما اسم أهل السنة ؟ فقل : هم الذين ليس لهم اسم إلا أهل السنة ، شيخ أهل السنة : محمد صلى الله عليه وسلم ، وبيوتهم : المساجد ، وكتبهم القرآن ، ودواوينهم : السنة ، يريدون وجهه ، مواعيد الدروس عندهم بالغدو والآصال ، لهم علامات ، منها : حب الصحابة ، والترضي عنهم ، وعندهم : عدم تكفير أهل الكبائر ما لم يستحلوها ، وزيادة الإيمان ونقصانه ، والقدر عندهم من الله ، خيره وشره ، والأعمال عندهم من الإيمان ، والعبد له مشيئة تحت مشيئة الله عز وجل .

* * *

أهل السنة رواد البجته

هُمُ الْقَوْمُ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا وَإِنْ دُعُوا أَجَابُوا وَإِنْ أَعْطُوا أَطَابُوا وَأَجْزَلُوا
وَلَا يَسْتَطِيعُ الْفَاعِلُونَ فِعَالَهُمْ وَلَوْ حَاوَلُوا فِي النَّازِلَاتِ وَأَجْمَلُوا

* آه .. طعن عمر فما قال : آه ، خنجر أبي لؤلؤة مصنوع في الخارج ،
والمؤامرة محبوكة ، سقط في المحراب ، وكُفن في الثياب ، وكُسر الباب .
عمر عظيم ما يموت فطيسة ، ما يموت إلا مذكى ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ ﴾ .
﴿ وَجَزَاءُ مَا صَبَرُوا جَنَّةٌ وَحَرِيرٌ ﴾ * مُشْكِكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْيَاكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا .

قال ابن الحداد المالكي : دفنت سعادة الإسلام في أكفان عمر ، وصدق ،
فلأن الإسلام لا زال جريحاً بعد جرح عمر ، فالله المستعان .

* حاطب بن أبي بلتعة عنده حصانة حضور بدر ، أراد عمر أن يؤدبه بقطع
الراس ، فقال لسان الحال : على أي أساس ، قال أبو حفص : لقد خان الله
ورسوله ، فقال صاحب الشرع عليه الصلاة والسلام : « وما يدريك يا عمر ،
لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم ؛ فقد غفرت لكم » !!
فسالت دموع عمر واكتشف الخبر ، فمهما حدث ، « إذا بلغ الماء قلتين .. لم
يحمل الخبث » .

في دفتر الوحي ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي
أَحْسَنِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ .

* قيل : أيهما أقرب إلى الإسلام : الحداثة أو العلمانية ؟

قلنا : كان للعبادي حماران ، ف قيل له : أيهما أقبح ؟ قال : هذا ثم هذا .

﴿ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيَبْلُوَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ .

* لما تولى استالين .. لعن لينين ، فلما تولى خروتشوف .. لعن استالين ، فلما جاء غورباتشوف .. قطع الرباط وانتهى ، ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا ﴾ .

* جوائز البشر مكتوب عليها : ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَفْقَدُ ﴾ وجوائز مالك الملك كتب عليها : ﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ ، قل لعباد الدنيا : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّكَارُ وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

* دخل سالم بن عبد الله بن عمر الحرم طائفاً ، فلقيه الخليفة هشام بن عبد الملك ، فقال لسالم : يا سالم ؛ ألك إليّ حاجة ؟ قال سالم : أما تستحي ، تقول هذا الكلام ، وأنا في بيت ملك الملوك ؟ !
علم سالم أن عطايا الخدم ، لا تتجاوز القدم ، كيف يمد يديه إلى هشام ، وهو في حضرة الملك العلام ؟ كيف يترك العطاء القدسي ، لعطاء عبد الكرسي ؟

لما خرج سالم من الحرم .. عرض له هشام ، وأعاد عليه : هل من حاجة ؟ قال سالم : من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة ؟ قال : حوائج الآخرة لا أملكها ، وإنما أملك حوائج الدنيا ، قال سالم : والله ؛ ما سألت الدنيا ممن يملكها ، فكيف أسألك منك ؟ ! الخدم يشترون الدماء ، حتى في

الحرم، لكن سالماً عرف الجواب، فحوى الخطاب؛ لأن جده عمر بن الخطاب.

يَا بَنَ الَّذِينَ سَمَا كِسْرَى لَجَمْعِهِمْ فَجَلَّلُوا وَجْهَهُ قَاراً بِذِي قَارِ
يَا دَوْحَةَ الصِّدْقِ وَالْفَارُوقُ رَائِدُهَا تِلْكَ السَّلَالَةُ لَا أَوْبَاشُ دِيَارِ

* جلسوا تحت الشجرة ، وتظلّلوا بالمرّة ، وبايعوه على قتال الفجرة ،

فما قاموا حتى سمعوا : ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ

الشَّجَرَةِ﴾ ، فقل لي بربك : أي فرح فرحوه ؟ وأي كسب ربحوه ؟ لو قيل

لك : الملك رضي عنك .. لأصابتك نشوة الفرح ، فكيف إذا رضي ملك

الملوك ؟!

رِضَاكَ رِضَاكَ يَا مَوْلَايَ عَنِّي فَهَلْ يُرْضِيكَ أَنْ قَدَمْتُ نَفْسِي

أهل بيعة الرضوان ، ضيوف الرحمن ، لكن الكافر ما درى ، بسرّ ﴿إِنَّ اللَّهَ

أَشْتَرَى﴾ .

* « من صلى الفجر في جماعة .. فهو في ذمة الله ، فالله الله لا يطلبنكم الله

من ذمته بشيء ؛ فإنه من طلبه بذمته .. أدركه ، ومن أدركه .. كبه على وجهه

في النار » .

من علامة المنافق : حذف صلاة الفجر من جدولته ، وربما نقرها بعد

الشروق ، ولكن هيهات ، الوقوف بعرفة في اليوم التاسع ، ومن فاته الوقوف

بعرفات .. فليبك على نفسه قبل الوفاة ، ضيعت رأس المال ونحن نطلب

الريح ، أردنا منك صلاة الليل .. فتركت الصبح ، حرّصك على النوم

الطويل .. أوقعك في الخطأ الويل .

فَمَا أَطَالَ النَّوْمُ عُمْراً وَمَا قَصَّرَ فِي الْأَعْمَارِ طُولُ السَّهْرِ

« بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة » .

قيل للحسن : لماذا صفت وجوه المتجهدين بالنور ؟ قال : خلوا بالرحمن ، فألبسهم نوراً من نوره .

* صلى أسيد بن حضير في الغلس ، فدنا الحرس ، وتحرك الفرس ، فأخبر معلمه صلى الله عليه وسلم ، فقال : « تلك الملائكة تنزلت للقرآن ، ولو بقيت تقرأ . . لأصبح يراها الناس لا تتوارى منهم » !

﴿ الَّذِينَ يَمْجُلُونَ الْأَعْرَشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ .

* مساكين نحن ، ندعي أنا أمة الخلافة ولا يحضر لصلاة الفجر إلا صف واحد ، إذا : فلو بدأ قتال الكفار . . ما وجدنا ولو صفأ .

مَنْ خَانَ حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ يَخُونُ حَيَّ عَلَى الْكِفَاحِ هَاتُوا مِنَ الْمِلْيَارِ مِائِيُوناً صِحَاحاً مِنْ صِحَاحِ

* وزع صلى الله عليه وسلم الغنائم ، فأعطاهم مسلمة الفتح ، وترك أبطال

الفتح ، فجرى همس العتاب في الأصحاب .

فخلا المختار بالأنصار ، وبين لهم سر المسألة في قوله : « أما ترضون أن يذهب الناس بالشاء والبعير ، وتذهبون برسول الله إلى راحم ؟ ! فوالذي نفسي بيده ؛ لما تذهبون به خير مما يذهب به الناس » .

وصدق المعصوم ؛ فإنه صلى الله عليه وسلم نصيب الأنصار من الغنائم ،

وأولئك نصيبهم البهائم .

خُذُوا أَلْشِّيَاءَ وَالْجِمَالَ وَالْبَقَرَ فَقَدْ أَخَذْنَا عَنْكُمْ خَيْرَ الْبَشَرِ

* الأبرار يأتون إلى مسجده صلى الله عليه وسلم من بني سلمة ، ويتخلف

الظلمة ، عن صلاة العتمة ، فقام منذراً ، وصاح محذراً : « والذي نفسي بيده ؛ لقد هممت بالصلاة فتقام ، ثم أخالف إلى أناس لا يشهدون معنا العشاء ، فأحرق عليهم بيوتهم بالنار » .

أَشْعِلْ بُيُوتَ الْنَّاكِثِينَ بِأَهْلِهَا أَصْلُ الْوُجُوهِ السُّودِ صَلُّوا بِالنَّارِ
يَتَخَلَّفُونَ عَنِ الصَّلَاةِ دَنَاءَةً أَلْهَاكَ يَا سَهْرَانُ ضَرْبُ الطَّارِ

* بلال يناديك من أعلى المنارة ، وأنت نائم في العمارة ، لو أصغيت لبلال . . . لدخلت في مسمى الرجال ، ﴿ رِجَالٌ لَا لُتْهِمِهِمْ تَحْرَهُ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ .

* كان المنافقون يتخلفون عن صلاة العشاء والفجر ؛ لأنه لم يكن في المدينة كهرباء في ذلك العصر ، فلما أضيء الكهرباء . . ظهر الوباء .

* أشعل النمرود الفتيل ، وسعر النار في الأصيل ، ورمى فيها بالخليل ، فأطفأها حسبنا الله ونعم الوكيل .

الأعداء خططوا لكم ، فخذوا حذرکم ، إن الناس قد جمعوا لكم ، فحسبنا الله ونعم الوكيل .

أُبرمت خيوط الفتنة ، ونسجت حبال المحنة ، ونقض عهد الهدنة ، فحسبنا الله ونعم الوكيل .

اتفق المنافقون ، واجتمع المارقون ، وقلّ الصادقون ، فحسبنا الله ونعم الوكيل .

سَأَلْتُكَ لَا تَكُنْ لِي لِأَعَادِي فَقَدْ أَسَكَنْتُ حُبَّكَ فِي فُؤَادِي
فَزَوَّدْنِي مِنَ التَّوْفِيقِ زَادًا عَطَاؤُكَ يَا إِلَهِي خَيْرُ زَادِي

﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ .

* هاك بعض صفات المنافقين في الجملة ، فاحذر أن تكون في الحملة :
كسل عن الصلوات ، واستهزاء بالدين في الخلوات ، وانقضاض على
الأعراض ، وسماع الآيات في إعراض ، الدين عندهم ثانوي ؛ لأن الجد
ما نوي !

الله كم من صرح للإسلام هدموه ؟! وكم من طريق للحق ردموه ؟! يظنون
كل إشارة إليهم ، و﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾ ، كم زلزلهم الوحي وأنذرهم ؟!
﴿ هُمْ أَعْدُوٌّ فَأَحْذَرْتَهُمْ ﴾ ، وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ ، لكن العلامات عليهم ومن
حولهم .

سهامهم في نحور العلماء مسددة ، ﴿ كَانَتْهُمْ حُشْبٌ مُسَدَّةٌ ﴾ ، رفعت مع
الباطل أعلامهم ، ﴿ وَإِذَا رَأَوْهُمْ تَعْجَبُ أَجْسَامُهُمْ ﴾ .

عشرت بعبد الله بن أبي بَغْلَةَ التوفيق ، فسقط في الطريق ، ما طهرته صلاة
الإمام ؛ لأنه غارق في الإجرام ، أراد المعصوم أن يمدّه مدداً ، فنزلت :
﴿ وَلَا تَصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا ﴾ خاف عمر على نفسه من النفاق ، قيل له :
سبحان الله يا شيخ ! أنت الفاروق باتفاق .

أصبحت منهم الدنيا كالجيفة ، تستروا ؛ لأنه مات حذيفة :

أَنْتَ مِنِّي وَتَدْعِي حَمْلَ حُبِّي كُلَّ يَوْمٍ تُعْطِي الْيَمِينَ الْعَمُوسَا
وَلْ عَنِّي عَرَفْتُ فِيكَ أُمُورًا حَزْبَةٌ فِي الْقَفَا وَوَجْهًا عَبُوسَا

* سقطت الأندلس لما تولى السقط ، ضعفت الملة ، وتداعى المنبر ،
وعزل القرآن عن الميدان ، وطمست معالم الرسالة ، وصار اللهو أمنية ،

ودوت الأغنية ، وصار الناس حيارى ، وتحالف الأدعياء مع النصارى ،
وتنحى العلماء عن الدهماء ، فلا أمر ولا منكّر ، ولا واعظ ولا مذكر ،
الخطيب مرتج ، والسامعون يلعبون الشطرنج .

﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ .

إِنَّكَ مِثْلَ النِّسَاءِ مَجْدًا مُضَاعًا لَمْ تُحَافِظْ عَلَيْهِ مِثْلَ الرِّجَالِ
* المرأة درة مصونة ، وياقوتة مكنونة ، أرادوا أن تنزع الجلباب ، وتخلع
الحجاب ، أرادوا لها حياة فوضوية ، والله يقول : ﴿وَلَا تَبْرَحْ تَبْرِجِ
الْجَنَهِلَةَ﴾ .

يريد المصلحون لها منهجاً قوياً ، ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ
تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ .

يَا فَتَاةَ الدِّينِ قُومِي لِلْغَيْبِ رُدِّيْ عَلَيْهِ
حِينَ نَادَىٰ يَا ابْنَةَ الْإِنْسَانِ خِذْكَ مَزْقِيهِ
يَا خَسِيسَ الطَّبْعِ لَصِ كُلُّ نَذْلٍ يَدْعِيهِ
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيكَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ
أَنْ يُعْرِقْنَ فَلَا يُؤْذِنَنَّكَ اللَّهُ عُقُورًا رَّحِيمًا﴾ .

* تفوق الصحابة على من بعدهم بأمور :

منها : أنهم يطالعون الغيب المستور ، كما يرون الشاهد المنظور ، فكان
أحدهم في الغزوات لو مد يده . لتناول عنب الجنة ؛ من يقينه بخبر الصادق
المصدق .

ومنها : أنهم بدمائهم أجود منا بدراهمنا ، ويكفي أن يصب الواحد منهم
دمه في سبيل الله كلمات من معلم الخير صلى الله عليه وسلم ، بينما يقوم

واعظنا بالخطب الطوال يطلب المال ، لوجه ذي الجلال ، فنكدي في العطية ، ونمنّ بالبذل .

ومنها : أن من عصي من أولئك . . يأتي إلى الموت نشيطاً ليظهر نفسه ولو كان في ذلك ذهاب رأسه ، فقل لي بربك ، أي إقدام هو إقدام ماعز والغامدية في طلب التطهير من رسول البشرية ؟!

ومنها : أن علم الصحابة للعمل ، وثقافتهم لما يحتاجون إليه ، بينما أصبح العلم ترفاً ، والفكر خيالاً ، والثقافة موضة .

ومنها : أن الصحابة يعيشون على الكفاية ، ومن زاد منهم ماله قدمه لماله ، والمتأخرون أصبح جمع المال عندهم مهنة ، والسعي وراء الحطام حرفة ، فاشتغلوا بفضول العيش عن أصول العمل .

ومنها : أن الصحابة قاموا بأعمال القلوب خير قيام ؛ من الخوف ، والرجاء ، والرغبة ، والرغبة ، والخشية ، والمحبة وغيرها ، مع قيامهم بأعمال الجوارح ، بينما الخلف يهتمون بالظاهر أكثر من الباطن ، فلذلك وقع الخلل في الأعمال والأقوال ؛ لأن « في الجسد مضغة إذا صلحت . . صلح الجسد كله ، وإذا فسدت . . فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب » .

* اشكر لمن شرفك بصعود المنبر ، وعرف الناس به في كلامك ، ولا تعرف الناس بنفسك ؛ فإنه سبحانه أعرف المعارف ، وأنت نكرة من النكرات . ولولا أن تعظمه سبحانه . . ما عظمك الناس .

وما دام أنه ستر معايبك عن الحضور . . فانشر مدائحه سبحانه في الجمهور ، الله يستحق المدح ويحبه ؛ ولذلك مدح نفسه بأشرف المدائح ، ونزه نفسه عن القبائح .

كلما بالغت في مدح المخلوق.. قال الناس : هذا غير صدوق ، وكلما
أكثر من مدح الخالق.. قالت القلوب : حياك الله يا صادق .

* إذا لم تصاحب الصحابة الأخيار.. فاقراً الأخبار .

فَاتِنِي أَنْ أَرَى الدِّيَارَ بِطَرْفِي فَلَعَلِّي أَرَى الدِّيَارَ بِسَمْعِي
قراءة سير الصحابة حسنة من الحسنات ، تظهر للقارئ سمو حياتهم ،
وجلالة قدرهم ، وعظيم تضحياتهم ؛ ليعرف الإنسان قدر نفسه ، وضالته أمام
هؤلاء الأعلام الكرام ، وربما شدة مقام من مقاماتهم ، إلى الاتصاف ببعض
صفاتهم .

كان ابن المبارك يخلو بأخبار الصحابة في خلوة شرعية روحية ، ويخبر
طلابه ، أنه جلس مع الصحابة .

مَا فِي الْخِيَامِ أَخُو وَجِدٍ نَطَارِحُهُ حَدِيثَ نَجْدٍ وَلَا خِلَّ نُجَارِيهِ
* حضرت أبا بكر الصديق الوفاة ، ليلقي بعدها رباً طالما عبده ،
ووحده ، وأحبه ، وتقرب إليه ، وجاهد من أجله .

ليلقي رباً طالما أحب فيه البعيد ، وأبغض فيه القريب ، سالم من أجله
وحارب ، ورضي لرضاه ، وغضب لغضبه .

رباً أعطى لوجهه النفس والنفيس ، والغالي والرخيص ، سكب لمرضاته
الدمع والدم ، وأتعب لدينه الروح والبدن .

رباً ملك حبه على أبي بكر كل لحظة ولفظة .

كَأَنَّ رَقِيْبًا مِنْكَ يَزْعَى جَوَارِحِي وَآخَرُ يَزْعَى نَاطِرِي وَفُؤَادِي

رباً سال حبه في عروق أبي بكر وعرقه ، من أخمصه إلى مفرقه ، به
يبصر ، وبه يرى ، وبه يسمع .

ربّاً هو صاحب كل خير ، وصل أبا بكر .

هو الذي خلق ورزق وأعطى ، وأفاد وهدى .

إنها أمنية أبي بكر أن يلقي ربه ، لذلك خف لهذا اللقاء ، ونشط لهذا النداء ، وتخفف لهذا السفر ، فإذا التَّركَةُ بغلةً لكن لبيت المال ، وثيابٌ لكنها كنزٌ للصديق ، أما الثروة الطائلة التي جمعها أبو بكر ، أما الأموال التي حصلها ، أما الكنوز ، والخيول ، والجمال ، والغنم . . فقد قدّمها أبو بكر أمامه عند من لا تضيع عنده الودائع .

ماذا قدمنا نحن ؟ ماذا فعلنا ؟ ماذا بذلنا ؟ ماذا حصلنا ؟ أي جهد بذلناه ؟ أي دمع سكبناه ؟ أي دم أسلناه ؟ لا شيء .

ننكص عن الفجر ، وقد قام الصديق في الدجى ، ولا نبكي في الخوف ، والصديق يبكي في الرجا .

نحن نجر المطارف ، يوم مطارف أبي بكر تجر بسيف الغزاة في بدر وأحد .

* قليل في اتباعٍ خيرٍ من كثير في ابتداء .

* الفرائض الخمس مع ركعتي الضحى ، والوتر قبل النوم ، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر ، ومداومة الذكر ، والكفّ عن الذنوب ، هذا منهج الراشدين ، مع ما يتيسّر من كتاب رب العالمين .

* السلف كلامهم قليل ، لكنه كله درر ، والخلف كثرة كلام وإسهاب منطق ، لكن غالبه سقط ، وجله زخرف .

* * *

الفردوس المفقود

حدثنا محمود بن أنس ، قال : لما دخلنا الأندلس ، وهي في ثياب الجمال تتبهرج ، ولسانها من الخجل يتلجلج ، قلنا : كيف الحال ، يا موطن الرجال ، أنتِ بلسم الفؤاد ، وأرض الآباء والأجداد ، ومهبط جيش طارق بن زياد ، فقالت : أهلاً بالأخوة من النسب ، أهل الكرم والحسب ، وبيننا سبب الإسلام أعظم سبب .

ثم التفتنا إلى ثلاثة شباب ، وقد ارتدوا أجمل الثياب ، فقام أحدها معرفاً بأسمائهم ، ونسبهم إلى آبائهم ، فقال :

أما الأول : فاسمه عبد الرحمن بن طارق بن زياد .

والثاني : عبد الله بن موسى بن نصير .

والثالث : عبد السلام بن عبد الرحمن الداخل .

فقلنا : يا أبناء الأجواد ، وأحفاد الأسياد ؛ حدثونا عن هذه البلاد .

فقال عبد الرحمن : أما قرأتُم التاريخ ، وما فيه من مدح وتوبيخ ، أما علمتم أن أجدادنا دخلوا الأندلس فاتحين ، مكبرين مسبحين ، عظموا الله في القلوب ، فملكهم الشعوب ، نشروا رضاه بالدماء ، فرفع رايتهم في السماء ، صدقوا في الديانة ، فشفهم بحمل الأمانة ، نشروا العدل ، وطرَدوا الجهل ، فهم كالغيث على المَحَل ، فلما تخلف بعدهم جيل ، وضلوا السبيل . . أصبحوا في الذيل .

فقام عبد الله فقال : يا الله ، كيف كنا ، وكيف أصبحنا ! بعد ما قصرنا في ديننا . . ما أفلحنا ، كانت المنائر تؤذن بدعوتنا ، والمنابر تضج بخطبتنا ، كنا بالإيمان سادة ، وللشعوب قادة ؛ لأننا أطعنا الرحمن ، وحكّمنا القرآن ، وحاربنا الشيطان ، فلما قعدنا عن الجهاد ، وعصينا رب العباد ، ووقعنا في الفساد . . صرنا ما بين طريد وشريد ، وقتيل وفقيد .

ثم قام عبد السلام ، فاندفع في الكلام ، وقال : لما اتبعنا الأثر . . حكمنا البشر ، وبلغ مجدنا القمر ، وفرح بنا البدو والحضر ، فلما وقعنا في الترف ، وأدمننا السرف . . ودّعنا الشرف ، وصرنا كالصّدف .

قال الراوي محمود : ثم دخلنا غرناطة ، والقلب قد هد نياطه ، فوجدناها قد كتب على بابها : السلام على من اتبع الهدى ، وأجاب النداء ، أنا غرناطة فاعرفوني ، سُلبت من أيدي أهلي فارحموني ، كنت مدينة العباد والزهاد والأجواد ، فأصبحت ملعب الأشرار ، ومرتع الكفار ، ومسرح الفجار ، فرحم الله عبداً ترحم عليّ ، وأهدى ثواب حجّه إليّ ، فبكينا مما رأينا ، وكأنها تشكو إلينا .

ثم أتينا قرطبة ، وهي معبسة مقطّبة ، فوجدنا على بابها كتابة ، كأنها كتبت بالسبابة ، فقرأنا فإذا هي تقول : يا أهل العقول ؛ أنا قرطبة دار العلوم ، سلّمني الظلوم ، ونهّمني الغشوم ، كنت داراً للعلماء ، وكعبة للحكماء ، ومزاراً للكرماء ، ومنزلاً للعلماء ، واليوم أصبحت بارة للخمّار ، وحانوتاً للشطّار ، بعد أن كنت بيت الأبرار ، وكهف الأخيار ، فوقفنا نبكي ، وإلى الله نشكي .

ونادى منادينا ، وصاح حادينا ، فقال : أين القوم الفاتحون ؟ أين الملأ الناصحون ؟ أين صقر قريش ؟ أين قادة الجيش ؟ أين الناصر والزهراء ؟ أين

الحاكم والحمراء ؟ أين المنذر بن سعيد ، صاحب الرأي السديد ، والنهج الرشيد ؟

أين ابن عبد البر ، الذي نشر العلم في البحر والبر ، ونثر الجواهر والدر ؟
أين « الاستذكار » ، من أنفع الكتب في الآثار ؟ أين « التمهيد » ، الذي ما حمل مثله البريد ؟

أين ابن حزم ، صاحب العزم ، إمام الظاهر ، صاحب العلم الباهر ،
والقلب الطاهر ، صاحب القدح المعلّى ، ومؤلف « المجلّى » ،
و« المحلّى » ، الذي بلغ الإمامة ، وألف « طوق الحمامة » ؟

أين القرطبي صاحب التفسير ؟ أين الشاطبي الإمام الشهير ، حامل الفكر
المستنير ؟ أين ابن زيدون ، وابن خلدون ، وابن عيذون ، وأهل الفنون ؟
ما لهم لا ينطقون ؟

أين لسان الدين الخطيب ، ومؤلف « نفح الطيب » ، وابن رشد الحفيد ،
الذكي الفريد ، صاحب « بداية المجتهد ونهاية المقتصد » ؟ أين المنصور بن
أبي عامر ، البطل المغامر ، صاحب العزم القاهر ؟

لله كم من علم جليل ، ورأي أصيل ، ونسب نبيل ، ووجه جميل ، دفناه
في هذا الثرى ، وتركاناه آية للورى .

هنا تركنا أكبادنا ، هنا دفنا أولادنا ، هنا قبرنا أجدادنا ، هنا دموعنا
سفحت ، هنا دماؤنا سُفكت ، هنا مرايع سمرنا ، وهنا ديار شمسنا وقمرنا ،
هنا طرحنا نفوس الأبطال الأشداء ، في بلاط الشهداء ، هنا أرواحنا خفاقة ،
على قتلى معركة الزلاقة .

ما كنا نظن أننا إلى هذا الحال نصير ، بعد أمجاد موسى بن نصير .

اسألوا الجبال والوهاد ، اسألوا كل ناد ، واستنطقوا كل واد ، عن كتائب
طارق بن زياد .

السلام على كل أندلس في الآخرين ، وجمعنا بأهلها من المسلمين ، في
جوار رب العالمين .

* * *

لا تحزن

هذه الكلمة الجميلة الشجاعة قالها صلى الله عليه وسلم وهو في الغار مع صاحبه أبي بكر الصديق وقد أحاط بهم الكفار ، قالها قوية في حزم ، صادقة في عزم ، صارمة في جزم : ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ ، فما دام الله معنا . فلم الحزن ؟ ولم الخوف ولم القلق ؟ اسكن ، اثبت ، اهدأ ، اطمئن ؛ لأن الله معنا .

لا نغلب ، لا نهزم ، لا نضل ، لا نضيع ، لا نياس ، لا نقنط ؛ لأن الله معنا .

النصر حليفنا ، الفرج رفيقنا ، الفتح صاحبنا ، الفوز غايتنا ، الفلاح نهايتنا ؛ لأن الله معنا .

لو وقفت الدنيا كل الدنيا في وجوهنا ، لو حاربنا البشر كل البشر ، ونازلنا كل من على وجه الأرض . . فلا تحزن ؛ لأن الله معنا .

من أقوى منا قلباً ، من أهدى منا نهجاً ، من أجل منا مبدأ ، من أحسن منا مسيرة ، من أرفع منا قدراً ؛ لأن الله معنا .

ما أضعف عدونا ، ما أذل خصمنا ، ما أحقر من حاربنا ، ما أجبن من قاتلنا ، لأن الله معنا .

لن نقصد بشراً ، لن نلتجئ إلى عبد ، لن ندعو إنساناً ، لن نخاف مخلوقاً ؛ لأن الله معنا .

نحن أقوى عدة ، وأمضى سلاحاً ، وأثبت جناناً ، وأقوم نهجاً ؛ لأن الله معنا .

نحن الأكثرون ، الأكرمون ، الأعلون ، الأعزون ، المنصورون ؛ لأن الله معنا .

يا أبا بكر ؛ اهجر همك ، وأرح غمك ، واطرد حزنك ، وأزل يأسك ؛ لأن الله معنا .

يا أبا بكر ؛ ارفع رأسك ، وهدىء من روعك ، وأرح قلبك ؛ لأن الله معنا .

يا أبا بكر ؛ أبشر بالفوز ، وانتظر النصر وترقب الفتح ؛ لأن الله معنا .
غداً سوف تعلو رسالتنا ، وتظهر دعوتنا ، وتُسمع كلمتنا ؛ لأن الله معنا .
غداً سوف نُسمع أهل الأرض روعة الأذان ، وكلام الرحمن ، ونعمة القرآن ؛ لأن الله معنا .

غداً سوف نخرج الإنسانية ، ونحرّر البشرية من عبودية الوثنية ؛ لأن الله معنا .

هذه كلمات قالها رسولنا صلى الله عليه وسلم لأبي بكر الصديق وهما في الغار وقد أحاط بهما الكفار من كل ناحية ، وطوقهم الموت من كل مكان ، وأغلقت الأبواب إلا باباً واحداً ، وقطعت الجبال إلا حبلاً واحداً ، وعز الصديق والقريب ، وغاب الصاحب والحبيب ، وعجزت الأسرة والقبيلة ، وبقي الواحد الأحد الفرد الصمد ، حينها قالها عليه الصلاة والسلام : ﴿لَا تَخْزَنَ ابْنُ اللَّهِ مَعَنَا﴾ .

﴿لَا تَخْزَنَ ابْنُ اللَّهِ مَعَنَا﴾ ، إذاً : معنا الركن الذي لا يضام ، والقوة

التي لا ترام ، والعزة التي لا تغلب ، وما دام الله معنا . فمنن تخاف ، ومنن تخشى ، ومنن ترهب ؟ فهو القوي العزيز ، وهم الضعفاء الأذلاء .

ما دام الله معنا . فلا تأسف على قلة من عدد ، أو عوز من عتاد ، أو فقر من مال ، أو تخاذل من أنصار ، إن الله معنا وكفى ، معنا بحفظه ورعايته ، بقوته وجبروته ، بكفايته وعنايته ، بدفاعه وبطشه ، فلا تحزن إذا تلاها الخادم يهدد الناس بقوة سيده من ملوك الأرض . فيخافون ويذعنون ، فكيف برب الناس ملك الناس إله الناس ؟

ألا إن أعظم كلمة في الخطب ، وأشرف جملة في الكرب هي هذه الكلمة الصادقة الساطعة : ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ .

وسر هذه الكلمة في مدلولها ، وعظمتها في معناها يوم تذكر معية الله عز وجل ، وهو الذي بيده مقاليد الحكم ، ورقاب العباد ، ومقادير الخلق ، وأرزاق الكائنات .

وهذه الكلمة في زمانها الذي قيلت فيه ، وفي جوها المخيف المرعب ، وفي مكانها المزلزل المذهل ، لها طعم آخر ، وقصة أخرى ، لقد جاءت في لحظة طوق فيها على المعصوم وصاحبه في الغار ، وأغلق الباب ، وأحاط الأعداء بكل جانب ، وسلّوا سيوف الموت ، يريدون أشرف مهجة خلقت ، وأزكى نفس وجدت ، وأطهر روح خلقت ، فما الحيلة ؟

الحيلة رفع ملف القضية ، وأوراق الفاجعة ، وسجل الكارثة إلى من على العرش استوى ؛ ليقضي فيها بما يشاء ، ولكن صاحب الرسالة ذا القلب المشرق الفياض أرسل لصاحبه أبي بكر رسالة رقيقة هادئة باسمه حانية نصها : ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ ، فصار الحزن سروراً ، والهم فرجاً ، والغم

راحة ، والكرب فرجاً ، والهزيمة نصراً عزيزاً .

ظَنُّوا الْحَمَامَ وَظَنُّوا الْعَنْكَبُوتَ عَلَى خَيْرِ الْبَرِيَّةِ لَمْ تَسْجُجْ وَلَمْ تَحُمِ
عِنَايَةُ اللَّهِ أَغْنَتْ مِنْ مُضَاعَفَةٍ مِنَ الدَّرُوعِ وَعَنْ عَالٍ مِنَ الْأُطْمِ

وكلمة ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ ، يحتاجها المسلم كل يوم : فإذا
تكاثف همك ، وكثر غمك ، وتضاعف حزنك ، فقل لقلبك : ﴿ لَا تَحْزَنْ
إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ .

وإذا ركبك الدين ، وأضناك الفقر ، وشواك العدم ، فقل لقلبك : ﴿ لَا
تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ .

وإذا هزتك الأزمان ، وطوّقتك الحوادث ، وحلّت بك الكربات .. فقل
لقلبك : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ .

* * *

أنس الوثن

أما ترى الهدهد وحّد وتفرد ، وأنذر وأوعد ، وخوف وهدد ؛ لأنه اعتزل في الطريق وتجرّد ، وتخلّى عن الخلق وتزهّد ، فعرف المقصد فوقّ وسدّد ، ومُدح ومُجّد .

- فاشرب في الوحدة رحيق الهناء من سيبويه ، وأشعل في ليل العزلة مصباح الأنس من نبط نفطويه ، واسحق مسك الإخلاص رهواً من علم إسحاق بن راهويه ، وعليك بالخلوة مع بدائع أبي الطيب وابن خالويه .

- إن أنست وحشة.. فناد نفسك : يا نفس ؛ قرّي ولا تفرّي ، وجاهدي ولا تغتري ، وعلى صراط السلامة مرّي ، وفي جنات الأنهار استقري .

- في العزلة ألّف الفارابي « المدينة الفاضلة » ، ودبّج أبو حيان « المفاضلة » ، وبها تدرّب الجاحظ على المناظرة والمناضلة ، وأتقن أبو يعلى المجادلة ، وبها مهر ابن تيمية على المصاولة .

- والتفرد للزمخشري كاف شاف ، ولهذا ألّف « الكشف » ، وغاص في البلاغة إلى الشغاف ، ونثر تلك الجواهر والألطف ، وكان في أيام تأليفه معترلاً بين السعي والطواف .

- ومالك بن أنس ملك الأنس بعزّة النفس ، وبقائه في بيته كالحلس ، وخلوته بالقرطاس والطرس ، لما صار الناس كالذئاب الطلس .

- فاجعل العقل رئيسك ، والعلم أنيسك ، والكتاب جليسك ، والقلم

والدفتر طمسك وجديسك ، واتخذ القناعة كيسك .

- ولما ترك أبو الفرج الهمج ، وركب من الأدب الشج ، وهجر من هرج ومرج . . أتى في « الأغاني » بالمطربات والروائع والحجج .

- فاعتزل الفرق ، فمن لابس الفتن . . احترق ، ومن ركب بحر الغوغاء . . غرق ، وإذا رأيت الطبع يسرق من أخلاق الخلق الخرق . . فاهتف به :
﴿ إِنَّكَ ابْنُكَ سَرَقٌ ﴾ .

- وارشف في العزلة من المزني مزنه ، واستفد من ابن المسيب سهله وحزنه ، وخذ من « الفتح » المفتاح ، ومن « الميزان » وزنه .

- واسبك في الوحدة سبائك محمود بن سبكتكين في غرته كما سبك الذهبي الذهب ، واترك من جاء ومن ذهب .

- واجلس مع ابن جرير لتنسى كل جريرة ، وفاكه « مقامات الحريري » فما أجمل حريره ، ولا تستكثر ليلة مع ابن كثير فليست كثيرة ، وسامر الشعر فرزقه وجريره .

- وألقم كلب الفراغ حجراً بأخبار كليب ، واجعل للفراغ نصيباً من أبيات نصيب ، واستغن عن الأحباب بروائع حبيب ، وحادث خاطرك بروايات بلال وصُهيّب .

- ولا تترك يوسفَ علمك مع البطالين فيأكله الذيب ، بل جالس مالكاً وابن أبي ذيب ، واقترب من ملك الأدب بمجالسة عبد الملك بن قريب ، وحادث مؤلف « جامع الأصول والغريب » ، وشمّ « نفع الطيب من تاريخ الغصن الرطيب » .

- وأطفئ نار الشهرة بماء الخليل ، وأرسل على أبرهة المعصية الطير

الأبائيل ، ويكفيك (قال الله) عن (قال) و(قيل) ، واعتبر بأصحاب البقرة
والناقة والفيل .

- وأطفئ نار الذنب بدمعة ، ونور ليل الوحشة من الذكر بشمعة .
- واغزل خيوط الحكمة كما فعل الغزالي ، وبرز في العلم تبريز البرزالي ،
- فلن تدرك المعالي إلا بهمة أبي المعالي ، والتقلل من الدنيا كالقالي .

* * *

مجاهدون في سبيل الله

قال أبو شجاع ، محمد بن القعقاع : ما رأيت مثل الجهاد ، في سبيل رب العباد ، فيه تصان الملة ، ويدخل على الكفار الذلة .

قلنا : يا أبا شجاع ، حدثنا عن بعض التحف ، من مواقف السلف ، في ساح الوغى ، يوم قاتلوا من بغى وطغى .

فقال : كان المسلمون مع قتيبة بن مسلم في حصار كابل ، وكل ذاهل ، فأرسل إلى محمد بن واسع ، الإمام الخاشع ، فلقبه بجفن داعم ، وكفّ ضارع ، يشير بسبابته إلى السماء ، ويقول : يا سميع الدعاء ؛ عظم فيك الرجاء ، اللهم ؛ ثبت أقدامنا ، وسدد سهامنا ، وارفع أعلامنا ، فلما أخبروا قتيبة بما شاهدوا ، وأطلعوه على ما وجدوا . قال : والله ؛ لإصبع محمد بن واسع خير عندي من مئة ألف شاب طرير ، ومن مئة ألف سيف شهير .

ثم بدأ القتال ، فنصرهم ذو الجلال ، وانهزم الكفار ، وولّوا الأدبار .

قال : ولما حضر خالد لقتال الروم . قدموا له قارورة مملوءة بالسموم ، وقالوا له : إن كنت متوكلاً على الله ولا تخاف . فاشرب من هذا السم الزعاف ، فقال : (بأسم الله ، توكلت على الله) ، ثقة بالله ، ثم شرب القارورة ، فما مسه ضرورة .

ولما رأى المسلمون جيش الروم ، وكثرة القوم . قال أحد الناس ، لما رأى الباس : اليوم نلتجئ إلى جبل سلمى وأجأ ، قال خالد : بل إلى الله الملتجأ .

قال : ولما حضر المسلمون في تستر ، ما بين مهلل ومكبر . . قال المسلمون : يا براء بن مالك ؛ أقسم على إلهك ، عله أن يرزقنا النصر ، وعظيم الأجر ، فأقسم على الديان ، فهزم الله أهل الطغيان ، وذهب البراء إلى الجنان .

والبراء هو صاحب حديث : « رُبَّ رجل أشعث أغبر ذي طمرين ، لو أقسم على الله . . لأبره » ، فأبّر الله قسمه ، وبلغه كل مسرة .
ثم قال أبو شجاع : اعلموا أن صرخات التفجع ثلاث ، سجلت أهم الأحداث .

وهي : وامعتصماه ، وإسلاماه ، وأماه .
فوامعتصماه : أطلقتها امرأة في عمورية ، بعد أن أهينت في البلاد الرومية ، فسمعها المعتصم الأسد الهصور ، فترك القصور ، وخرج بجيش يَمُور ، فأذل أتباع نقفور ، وأخذ الكفور ، وجعله عبداً للمسلمة التي صرخت باسمه من وراء البحور .
وأما وإسلاماه : فأطلقها قطز ويده البتار ، يوم نازل التتار ، فهزم الكفار وولّوا الأدبار .

وأما وأماه : فهي صرخة مفجوعة ، وصيحة مقطوعة ، قالها طفل من الأندلس ، لما رأى أمه وهو في حضنها تختلس .
أحب عبد الله بن عمرو الأنصاري ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ، فهب إلى أحد ، ف قيل له : البينة على المدعي للمحبة ، ف ضرب في سبيل الله ثمانين ضربة .
بعضهم هوايتهم منصب شريف ، أو قصر منيف ، أما ابن رواحة . . فهو ايتة طعنة بسيف .

يأتي الشهيد يوم القيامة وعليه علامات ، وآيات بينات ، والبراهين على
عبد الله بن جحش واضحات ، ذهاب العينين ، وقطع الأذنين ، وبتريدين ؛
لأن لكل قضية شاهدين .

أتى إلى مؤتة جعفر ، فتقدم وما تأخر ، وكان يوم الجماجم يتعثر ، ودمه
يتقطر ، فضرب بسيفه في الكفار حتى تكسر ، فلما قطعت يده ، وأسلم الروح
إلى الله ، طاب وطاب مسعاه . . أبدله الله جناحين ، يطير بها على الرياحين ،
ويتنعم في الفردوس كل حين .

كل يكتب اسمه بمداد ، إلا الشهيد ؛ فإنه يكتبه بدم في سفر الأمجاد .
كان الشهيد يموت مختاراً ، وغيره يموت مضطراً .
كل ميت يوضع المسك معه في الأكفان ، إلا الشهيد ؛ فإن دمه كله مسك
يملأ المكان .

آل سعد ثلاثة في العد ، أهل وعد وعهد .
اهتز عرش الله لسعد ، ووجد ريح الجنة من دون أحد سعد ، وقال
صلى الله عليه وسلم في أحد : « ارم فداك أبي وأمي يا سعد » .
فالأول : سعد بن معاذ سيد الأنصار ، وقُدوة الأبرار ، الذي ألحق باليهود
البوار .

والثاني : سعد بن الربيع ، المقدم الشجاع ، صاحب الموقف البديع .
والثالث : سعد بن أبي وقاص ، كان مع النبي من الخواص ، أخذ من
الفرس القصاص .

قتل عمر في المسجد بعد الفجر عندما غدت الطيور من وكورها ، لأن
معلمه يقول : « اللهم ؛ بارك لأمتي في بكورها » .

وقتل علي في المسجد قبل الفجر ؛ لأنه وقت استغفار ، ونزول للغفار ،
وجلسة للأبرار ، والرجل يحب الأسحار .

استحت خزاعة ، أن ترد الحوض يوم الشفاعة ، مزجية البضاعة ، فقدّمت
أحمد بن نصر ، الذي قتله الوثاق في القصر ، فدخل الجنة بعد العصر .
قال له الوثاق : وافق ، قال : لا ، يا منافق .

حاول الوثاق أن يجيبه ولو بإدغام فيه غنة ، فقال لسان الحال : الخداع
ليس من السنة ، فذبحه بعد أن اشتاق إلى الجنة .

اثنان تاجان عظيمان ، من قبيلة بني شيبان ، جاهدا في سبيل الرحمن ؛
ابن حنبل والمثنى ، وكل منهما لدينه تعنى ، وللقاء ربه تمنى .

قدم المهاجرون أربعة خلفاء ، فقدم الأنصار أربعة قراء ، أهدت قریش
مصعب بن عمير ، فأهدى الأنصار ابن الحمام عمير .

تأخر أنس بن النضر عن بدر ، فجمع بين الغزوتين في جمع وقصر ، فقتل
في أحد بعد الظهر .

لما عذر الله عثمان ، يوم بيعة الرضوان .. علم الله صدقه ، فسعت إليه
الشهادة إلى الديوان .

أبو بكر صديق ، والمخطوطة لا تحتاج إلى تحقيق ، والرجل غني عن
التوثيق ، فلم يقتل ؛ لأنه أخذ حكم الرفيق .

السلام على الشهداء ، فهم عند ربهم سعداء .

* * *

سورة الفيل

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا فَعَلْ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ .

أما علمت ، أو ما رأيت ماذا فعل الله بأبرهة الأشرم صاحب الفيل يوم أتى من اليمن ؟ !

كانت غزوة الفيل في السنة ذاتها التي ولد فيها الرسول عليه الصلاة والسلام ، فأهلك الله الفيل وصاحبه وأهلك الجيش .

أنت يا محمد ؛ ما رأيت بطش الله ، وقوة الله ، وماذا فعل بأصحاب الفيل ، ولم يستهم بأسماءهم ، وإنما جعلهم أصحاب الفيل إهانة لهم ، فهو سيدهم وهم أصحابه ، هو قائدهم وهم أتباعه .

وأبرهة الأشرم كان حبشياً احتل اليمن ، وبقي فيها سنوات عديدة ، وبني كعبة غير الكعبة في مكة ، فأتى أحد العرب فلوث كعبة أبرهة ، فأقسم أبرهة ليهدم الكعبة ، وتحرك بجيشه ، ولما وصل إلى الطائف . . زاحت الطوائف عن وجهه ، وقالوا : ما نستطيع ؛ فإنه جيش عرمرم ومعه فيل ، وأتى عبد المطلب جد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وطلب من قريش أن ترتفع في الجبال ، فصعدت إلى الجبال بأطفالها ونسائها .

وكان لعبد المطلب مئة ناقة ، فأخذها جيش أبرهة ، فأتى ودخل على السراشق ، واستأذن ليكلم الملك ، وإذا عليه الهالة جد الرسول طويل صبيح مليح فصيح ، فقالوا لأبرهة : هذا شيخ مكة أتى يكلمك ، فظن أنه أتى ليشفع

في الكعبة ويترجاه ، فلما رأى أبرهة عبد المطلب وعليه هالة السيادة والريادة . . استحيا وأجلسه معه على السرير ، قال : ماذا تريد ؟
قال : لي مئة ناقة عندكم كانت ترعى في المغمّس فأخذها جندكم ، ردّوا إيلي .

قال : كنت أظنك تشفع في الكعبة .
فقال عبد المطلب : هذا الإبل أنا ربه وللييت رب يحميهِ ، فأخذ الإبل وصعد بها إلى الجبل ، ورجع عبد المطلب إلى الكعبة وأخذ حلق البيت وقال :

لَاهُمْ ؛ إِنَّ الْمَرْءَ يَمْنَعُ رَحْلَهُ فَأَمْنَعُ رِحَالِكَ
لَا يَغْلِبَنَّ صَلِيْبُهُمْ وَمِحَالُهُمْ أَبَدًا مِحَالِكَ
ثم ارتفع في الجبال .

وفي الصباح جهز أبرهة الجيش ليهدم الكعبة ، فأرسل الله الواحد القهار طيراً ، كل طير يحمل ثلاثة أحجار ، كل حجر عليه اسم الجندي الذي سيضربه ، وغطت السماء عليهم ، وأتت الطيور تقذفهم بالحجارة ، فتضربه من رأسه ، وتخرج أسفله ، ويلقون في الأرض سراعاً سراعاً بدداً بدداً .

وكان الفيل قبل ذلك إذا وجهوه إلى الكعبة . . جلس ، وإذا وجهوه إلى غيرها . . مشى ، وقال الرسول يوم حبست ناقته : « حبسها حابس الفيل » .
يقول أحد العلماء : سبحان الله ! يستحيي الفيل من بيت ملك الملوك ، والناقة تستحيي ، وأنت لا تستحيي !

وبقي من الجند أبرهة و غلام ، وأصابه الجرب ، وأخذ يحك جسمه حتى تساقط جلده .

﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴾ .

أما ضيع سعيهم ، أما قتلهم ، أما بددهم ، أما دمرهم ، والآن شهدت قريش بتلك الواقعة ، وشهدوا عام الفيل ، وأرخوا بعام الفيل .

﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾ .

قيل : الطير من البحر الأحمر ، وقيل : طير مثل الجراد له مناقر يحمل في رجله حجر كالحمصة مكتوب عليه اسم الرجل الذي ترميه به .

﴿ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴾ .

من طين منضود محمي شديد كالحجارة .

﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ .

مثل الزرع إذا أكلته الدواب ، ثم مزقته ، ثم مشت عليه ، ذاك اليوم جلست الطيور عليهم حتى مزقت الجيش كله ، وأصبح لحمهم طعاماً للطيور الجارحة ، فمن الذي يقاوم قوة الله ؟ !
قيل : ما أخطأ لها رمية .

* * *

سورة المسد

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ .

وأبو لهب هو عم محمد صلى الله عليه وسلم ، وكان أَحَدَ عَشْرَةٍ من أعمامه .

كان له غديرتان وراء ظهره ، وكان وضيقاً ، جميل الوجه ، قبيح العمل والسريرة والمعتقد .

أذى محمداً ، وكان ينثر التراب عليه ، ويكذبه في المواسم ، ويقول : لا تصدقوا هذا فهو مجنون وكذاب ، وتدور الأيام ، وتشترك معه أم جميل زوجته ، وتؤذي الرسول ، وتضع الشوك .

ويأتي النبي ، ويدعو كفار قريش إلى الصفا ، فلما اجتمعوا . . قال : « قولوا : لا إله إلا الله . . تفلحوا » ، قال : تبألك ، ألهذا جمعتنا ؟! فتبأله وخسارة .

فإن كان لا يدعوهم إلى أعظم قضية ، قضية التوحيد والإيمان ، وإنقاذ الناس من الضلالة وهدايتهم . . فلماذا يدعوهم وإلام ؟!

وهو - أي : أبو لهب - كان يعبد الطاغوت ، ويسجد للحجر والصنم ، وهو نجس لا يعرف الطهارة ، وإنما هو في سكر ونكر ، فلما قال أبو لهب قوله . . أنزل الله : ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ ، وسمّاه بكنيته ؛ لأنه سوف يصلّي ناراً ذات لهب ، فله من اسمه نصيب مشتق من اللهب ، فالمعنى : خسر

وخاب وأفلس من الخير والبركة ، وهذا حال كل من عارض محمداً صلى الله عليه وسلم وخالف منهجه ، فتَبَّ ؛ أي : خاب عمله ، وضل سعيه ، وساء فعله ، وقبح وجهه .

﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾ .

عنده مال ومعاش ، فلا يدافع عنه ماله ولا يغنيه ولن ينفعه عند الله ، وماله وبال عليه وجاهه ، فكان الإنسان إذا انحرف عن عبادة الله .. حاربه كل شيء ؛ ماله ، وجاهه ، وأبنائه ، ومنصبه ، وأعوانه .

﴿ سَيُصَلِّي نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ .

وعزة الله ؛ ليصلين ناراً تَلْظِيْ ، وهي نار جهنم ذات اللهب تحرقه وتحرق
جُنُوبه وتصل إلى فؤاده ، فما دام هذا موقفه من الدعوة . . فلا محابة في
الإسلام ولو كان قريباً ، وَلَيَصْلَ ناراً ذات لهب ، فأبو لهب مع أنه عم النبي
صلى الله عليه وسلم إلا أنه خالف وعاند ، وجحد وكفر ، وبلال من الحبشة
وسلمان من فارس وصهيب من الروم يؤمنون فيصبحون أنصار الإسلام ،
ويبنى الله لهم قصوراً في الجنة ، ويمتدحهم الرسول عليه الصلاة والسلام .

﴿وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ .

تحمّل النميمة والغيبة ، والصحيح عند العلماء : أنها كانت تحمّل حزمة من الشوك وتشره في طريق الرسول تؤذيه عليه الصلاة والسلام ، فكان إذا خرج .. وقع في الشوك ، فأنزل الله في امرأة أبي لهب : ﴿ وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾ ، فسوف تجتمع مع زوجها في النار ذات اللهب .

﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ .

وكان عندها حبل تربط به الشوك لترمي به في طريق النبي صلى الله عليه

وسلم ، فيجعل الله سبحانه هذا الحبل من نار يشتعل ثم يجعله في جيدها ،
عنقها أو يدها ، فيربطها فتسحب به في النار في كل مكان عقاباً لها على
ما فعلت بسيد الخلق عليه الصلاة والسلام ، و(المسد) قيل : ليف ، وقيل :
سلب .

فصاحب الزور والبهتان يضرب شذقه ويسحب في النار ، والزناة يوضعون
في صهاريج وآنية تغلي بالزيت حتى تنسلخ لحومهم عن عظامهم ، والجزاء من
جنس العمل ، والذي سرق وغَلَّ يَغُلُّ الله يده وراء ظهره .

* * *

البصائر والذخائر

قال في مقدمة « البصائر والذخائر » :

اللهم ؛ إني أسألك جداً مقروناً بالتوفيق ، وعلماً بريئاً من الجهل ، وعملاً عرياً من الرياء ، وقولاً موشحاً بالصواب ، وحالاً دائرة مع الحق ؛ نعم ، وفطنة عقل مضروبة في سلامة صدر ، وراحة جسم راجعة إلى روح بال ، وسكون نفس موصولاً بثبات يقين ، وصحة حجة بعيدة من مرض شبهة ؛ حتى تكون غايتي في هذه الدار مقصودة بالأمثل فالأمثل ، وعاقبتي عندك محمودة بالأفضل فالأفضل ، مع حياة طيبة أنت الواعد بها ووعدك الحق ، ونعيم دائم أنت المبلغ إليه .

اللهم ؛ فلا تخيب رجاء من هو منوط بك ، ولا تصرف كفاً هي ممدودة إليك ، ولا تذلل نفساً هي عزيزة بمعرفتك ، ولا تسلب عقلاً هو مستضيء بنور هدايتك ، ولا تُعم عينا فتحتها بنعمتك ، ولا تحبس لساناً عودته الثناء عليك ، وكما أنت أولى بالفضل . . فكن أحرى بالإحسان .

الناصية بيدك ، والوجه عان لك ، والخير متوقع منك ، والمصير على كل حال إليك ، ألبسني في هذه الحياة البائدة ثوب العصمة ، وحلني في تلك الدار الباقية بزيئة الأمن ، وافطم نفسي عن طلب العاجلة الزائلة ، وأجرني على العادة الفاضلة ، ولا تجعلني ممن سها عن باطن ما لك عليه ، بظاهر ما لك عنده ، فالشقي من لم تأخذ بيده ، ولم تؤمنه من غده ، والسعيد من آوئته إلى

كنف نعمتك ، ونقلته حميداً إلى منازل رحمتك ، غير مناقش له في الحساب ،
ولا سائق له إلى العذاب ، فإنك على ذلك قدير .

ثبت - أطال الله بقاءك - الرأي بعد المحص والاستخارة ، وصح العزم بعد
التنقيح والاستشارة ، على نقل جميع ما في ديوان السماع ، ورسم ما أحاطت
به الرواية ، واشتملت عليه الدراية ، منذ عام خمسين وثلاث مئة ، مع توخي
قصار ذلك دون طويله ، وسمينه دون غثه ، ونادره دون فاشيه ، وبديعه دون
معتاده ، ورفيعه دون سفسافه .

ومتى أنصفتك نفسك ، وهدتك الرأي ، وملكتك الزمام ، وجنبتك
الهوئى ، وحملتك على النهج ، وحمكت دواعي العصية .. علمت علماً
لا يخالطه شك ، وتيقنت تيقناً لا يطور به ريب ، أنك ممن كفي مؤونة التعب
بنصب غيره ، ومنح شريف الموهبة بطلب سواه .

وذلك بين عند تصفح ما تضمن هذا الكتاب ؛ فإنك مع النشاط والحرص
ستشرف على رياض الأدب ، وقرائح العقول ، من لفظ مصون ، وكلام
شريف ، ونثر مقبول ، ونظم لطيف ، ومثل سائر ، وبلاغة مختارة ، وخطبة
محيرة ، وأدب حلو ، ومسألة دقيقة ، وجواب حاضر ، ومعارضة واقعة ،
ودليل صائب ، وموعظة حسنة ، وحجة بليغة ، وفقرة مكنونة ، ولمعة ناقبة ،
ونصيحة كافية ، وإقناع مؤنس ، ونادرة ملهية ، وعقل ملقح ، وقول منقح ،
وهزل شيب بجد ، وجد عجن بهزل ، ورأي استنبط بعناية ، وأمر بيت بليل ،
وسر كتم على الزهد ، وحجة استخلصت من شوائب الشبه ، وشبهة أنشئت
من فرط جهالة ، وبلاغة طباع رويت بلسان عي ، ولفظ مرذول عن صدر
حرج ، وفؤاد عمام .

جمعت ذلك كله في هذه المدة الطويلة مع الشهوة التامة ، والحرص المتضاعف ، والدأب الشديد ، ولقاء الناس ، وفلي البلاد ، من كتب شتى حكيت عن أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ الكناني ، وكتبه هي الدر النثير ، والنور المطير ، وكلامه الخمر الصرف ، والسحر الحلال ؛ ثم كتاب « النوادر » لأبي عبد الله محمد بن زياد الأعرابي ، ثم كتاب « الكامل » لأبي العباس محمد بن يزيد الثمالي ، ثم كتاب « العيون » لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكاتب الدينوري ، ثم « مجالسات ثعلب » ، ثم كتاب ابن أبي طاهر الذي وسمه بـ « المنظوم والمنثور » ، ثم كتاب « الأوراق » للصولي ، ثم كتاب « الوزراء » لابن عبدوس ، و« الحيوانات » لقدماء .

هذا إلى غير ذلك من جوامع للناس مضافات إلى حفظ ما فاهوا به ، واحتجوا له ، واعتمدوا عليه ، في محاضرتهم ونواديهم ، وحواضرهم وبواديهم ، مما يطول إحصاؤه ، ويميل استقصاؤه ، وسيعتري في التفصيل كل شيء منه إلى معدنه ، وينتسب إلى قائله ، والغرض من الكتاب مسوق إليك ، والمراد فيه معروض عليك ، فلا عائدة إذن للإطالة ، إلا بقدر التلطف والاستمالة .

وأنا ضامن لك أنك لا تخلو في دراسة هذه الصحيفة من أمهات الحكم ، وكنوز الفوائد :

أولها وأجلها : ما يتضمن كتاب الله تعالى الذي حارت العقول الناصعة في رصفه ، وكلت الألسن البارة عن وصفه ؛ لأنه المطمع ظاهره في نفسه ، الممتنع باطنه بنفسه ، الداني بإفهامه إياك إليك ، العالي بأسراره وغيوبه عليك ، لا يطار بحواشيه ، ولا يمل من تلاوته ، ولا يحس بإخلاق جدته ،

كما قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : ظاهره أنيق ، وباطنه عميق ،
ظاهره حكم ، وباطنه علم .

والثاني : سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فإنها السبيل الواضح ،
والنجم اللائح ، والقائد الناصح ، والعلم المنصوب ، والأمم المقصود ،
والغاية في البيان ، والنهية في البرهان ، والفرع عند الخصام ، والقدرة
لجميع الأنام .

والثالث : حجة العقل ؛ فإن العقل هو الملك المفزوع إليه ، والحكم
المرجوع إلى ما لديه ، في كل حال عارضة ، وأمر واقع ، عند حيرة الطالب ،
ولدد الشاغب ، وبس الريق ، واعتساف الطريق .

وهو الوصلة بين الله وبين الخلق ، به يميز كلام الله عز وجل ، ويعرف
رسول الله ، وينصر دين الله ، ويذب عن توحيد الله ، ويلتمس ما عند الله ،
ويتحجب إلى عباد الله ، ويساس عباد الله ، ويتخلص عباد الله من عذاب الله ؛
نوره أسطع من نور الشمس .

وهو الحكم بين الجن والإنس ، التكليف تابعه ، والحمد والذم قرينه ،
والثواب والعقاب ميزانه ، به ترتبط النعمة ، وتستدفع النقمة ، ويستدام
الوارد ، ويتألف الشارد ، ويعرف الماضي ، ويقاس الآتي ، شريعته
الصدق ، وأمره المعروف ، وخاصته الاختيار ، ووزيره العلم ، وظهيره
الحلم ، وكنزه الرفق ، وجنده الخيرات ، وحليته الإيمان ، وزينته التقوى ،
وثمرته اليقين .

والرابع : رأي العين ؛ وهو يجمع لك بحكم الصورة ، واعتراف
الجمهور ، وشهادة الدهور ، نتيجة التجارب ، وفائدة الاختيار ، وعائدة

الاختبار ، وإذعان الحس ، وإقرار النفس ، وطمأنينة البال ، وسكون الاستبداد .

هذا سوى أطراف من سياسة العجم ، وفلسفة اليونانيين ؛ فإن الحكمة ضالة المؤمن ، أينما وجدها أخذها ، وعند من رآها طلبها ، والحكمة حق ، والحق لا ينسب إلى شيء ، بل كل شيء ينسب إليه ، ولا يحمل على شيء ، بل كل شيء يحمل عليه ، وهو متفق من كل وجه ، يطرب به الراضي ، ويقنع به الغضبان ، مشرق في نفسه ، موثوق بحكمه ، معمول بشرطه ، معدول إلى قضيته ، به خلق الله عز وجل السماء والأرض ، وعليه أقام الخلق ، وبه قبض وبسط ، وحكم وأقسط .

فاستدع - أيدك الله - نشاطك الشارد ، وراجع بالك الرخي ، وجُل بفهمك في رياض عقول القدماء ، وانظر إلى مآثر هؤلاء الحكماء ، واطلع على نوادر فطن الأدباء ، واجمع بين طيب السلف ، وخبيث الخلف ، فما تخلو عند جولانك فيها من جد أنت سعيد به ، وهزل أنت مدار فيه ، ورأي أنت فقير إليه ، وأمر لعلك محمود عليه :

فَالْدَّهْرُ آخِرُهُ شِبْهُ بِأَوَّلِهِ نَاسٌ كَنَاسٍ وَأَيَّامٌ كَأَيَّامٍ
وإذا حفظت ما مضى . . حذرت ما بقي .

واجعل نهاية حالك ، وقصارى أمرك ، فيما تستفيد من هذا الكتاب ، وعساه يجمع ألفي ورقة ، أن تكون سالياً عن هذه الدنيا ، قالياً لأموورها ، واثقاً بالله تعالى ، مطمئناً إليه ، ممترياً لمزيده ، منتظراً لموعوده ، عالماً بأنه أولى بك ، وأملك لك ، وأقرب إليك ؛ فإنه متى خلاك من توفيقه . . عثرت عثاراً بعد عثار ، وأسرت إساراً بعد إسار ، واستمرت في الخزي استمراراً

بعد استمرار ، وتلك حال من غضب الله عليه ، وأرسله من يده ، ووكله إلى
حول خفيف ، ومتن ضعيف ، لا أذاقك الله كرب هذه البلوى ، ولا أخلاك
أبدأ من متجدد النعمى .

واصرف ما استطعت همتك عن هذا الظل القالص ، والزخرف العاقل ،
والعيش الزائل ، إلى ما وعدك الله ؛ فإن إلهامه إياك متى صادف طاعتك له ،
ودعائه لك متى وافق إجابة منك . . مدت السعادة جناحها عليك ، وصافحت
يد اليمن كفك ، ونجوت من معاطب عالم : الساكن فيه وجل ، والصاحي من
أهله ثمل ، والمقيم على ذنوبه خجل ، والراحل عنه مع تماديه عجل ؛ وإن
داراً هذا من آفاتنا وصروفها ، لمحقوقة بهجرانها وتركها ، والصدوف عنها ،
خاصة ولا سبيل لساكنها إلى دار قراره إلا بالزهد فيها ، والرضا بالطفيف منها
كبلغة الثاوي وزاد المنطلق .

عرفنا الله حظنا ، وسلك بنا في طرق رشدنا ، وسلّ حب الدنيا من قلوبنا ،
وحطّ ثقل الحرص عليها عن ظهورنا ، وفتح على ما عنده بصائرنا ، وغمض
عما هلهنا أبصارنا ، ولا ابتلانا بنا ، ولا أسلمنا إلينا ، إنه ولي النعمة
ومانحها ، ومرسل الرحمة وفتاحها ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير ؛
جل مذكوراً ، وعز مراداً .

اللهم ؛ فاسمع ، وإذا سمعت . . فأجب ، وإذا أجبت . . فبلغ ، وإذا
بلغت . . فأدم ؛ فإنه لا يشقى من كنت له ، ولا يسعد من كنت عليه ، وصلّ
على نبيك المبعوث من لدنك إلى خلقك ، محمد وآله الطاهرين ، ولا تنزع
من قلوبنا حلاوة ذكره ، ولا تضلنا بعد إذ هديتنا ، وقرب علينا طريق الاقتداء
بأمره ، والاهتداء بهديه ؛ فإنك تصرف من تشاء إلى ما تشاء ، لا راد

لقضائك ، ولا معقّب لحكمك ، ولا محيط بكنهك ، ولا مطلع على سرّك ،
ولا واصف لقدرك ، ولا آمن لمكرّك ؛ أنت الإله المحمود ، وأنت نعم
المولى ونعم النصير .

قد تلطفت إلى قلبك بحثي إياك على حظك في فنون من القول ، وضروب
من الوصايا ، وأرجو أن يكون صوابي عندك فيها متقبلاً ، وخطأي فيها عندك
متأولاً ، لا لأنني لذلك أهل ، ولكن لأنك حقيق به ، وله خليق ، ومهما
شككت فيما يرد عليك مني في هذا الكتاب ، فلا تشك أنني قد نثرت لك فيه
اللؤلؤ والمرجان ، والعقيق والعقيان ، وهكذا يكون عمل من طب لمن
حب .

ثبت الله نعمه لديك ، وخفف مؤونة شكرها عليك ، وتابع لك المزيد ،
في كل يوم جديد ، وحرسك من نفسك ، وعصمك من بني جنسك ، وعرفك
الخير ، وحبب إليك الإحسان ، ووفقك للرشاد ، وختم أمرك بالطهارة بعد
بلوغ الأمانى ودرك المطالب ، بمنه وقدرته .

* * *

تلج الملك

* قال محمد إقبال : إذا لم تعرف رازقك . . كنت فقيراً إلى الملوك ، وإذا عرفته . . افتقر إليك كبار الملوك ، إن الاستغناء ملوكية ، وعبادة البطن قتل للروح ، وأنت مخير بينهما ، إذا شئت . . اخترت القلب ، وإذا شئت . . اخترت البطن .

* قال أبو عثمان الجيزي : من علامة السعادة أن تطيع وتخاف ألا تُقبل ، ومن علامة الشقاء أن تعصي وترجو أن تنجو .

* قيل لأعرابي : أتحسن أن تدعو ربك ؟ قال : نعم ، اللهم ؛ إنك أعطيتنا الإسلام من غير أن نسألك ، فلا تحرمنا الجنة ونحن نسألك .
* وقيل : لا تكن كثير القلق على خبزك ؛ فلقد تكفل الله بالجميع ، فعندما يولد الطفل يُوفّر لثدي الأم لبناً حلواً .

* جاء في الأثر أن الله سبحانه يقول : (لو أن ابن آدم لم يرجْ غيري . . ما وكلته إلى غيري ، ولو أن ابن آدم لم يخف غيري . . ما أخفته من غيري) .

* قيل لأبي حازم : إنك لمسكين ، فقال : كيف أكون مسكيناً ومولاي له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى ؟!

* قال الأصمعي : قلت لأعرابي معه شاء : لمن هذه شاء ؟ فقال : هي لله عندي .

* دَخَلَتْ عجوز على الحجاج ، فقال لها : والله ؛ لأقتلنَّ ابنك ، قالت :
لو لم تقتله .. مات .

* قال شكيب أرسلان : اليأس من جهة العقل انتحار ، ولا ينتحر إلا الذي
خالط عقله الجنون ، ومن جهة الدين كفر ، ولا ييأس من روح الله إلا القوم
الكافرون .

* أوصى رجل آخر أراد سفراً فقال : آثر بعملك معادك ، ولا تدع لشهوتك
رشادك ، وليكن عقلك وزيرك ، الذي يدعوك إلى الهدى ، ويعصمك من
الردى ، والجم هواك عن الفواحش ، وأطلقه في المكارم ؛ فإنك تبر بذلك
سلفك ، وتشيد شرفك .

* قال الشيخ عبد القادر الدشوطي : أوصيك بعدم الالتفات إلى غير الله
عز وجل في شيء من أمورك في الدنيا والآخرة ؛ فإن جميع الأمور لا تبرز إلا
بأمره ، فارجع في الأمور إلى من قدرها ، يقول الله عز وجل في بعض كتبه
المنزلة : (يا عبدي ؛ لو سقتُ إليك ذخائر الكونين فنظرت إليها بقلبك طرفة
عين .. فأنت مشغول عنا لا بنا) .

* دخل محمد الباقر على عمر بن عبد العزيز فقال : يا أبا جعفر ؛
أوصني ، قال : أوصيك أن تتخذ صغير المسلمين ولداً ، وأوسطهم أخاً ،
وكبيرهم أباً ، فارحم ولدك ، وصل أخاك ، وبرّ أباك ، وإذا صنعت معروفاً ..
فربّه .

* قال شكيب أرسلان : بفساد أخلاق الأمراء ، ومواطأة بعض العلماء
لهم ، أصاب الأمة الإسلامية ما أصابها .

* وقال سفيان الثوري : أوصيك بتقوى الله ؛ فإن اتقيت الله عز وجل ..

كفأك الناس ، وإن اتقيت الناس . . لم يغنوا عنك من الله شيئاً .

* احذر المنزلة وحبّها ؛ فإنّ الزهد فيها أشد من الزهد في الدنيا .

* دخل بعض الفقراء على الرشيد العباسي ، وتاجه يومئذ سبيكة العصر الذهبي في تاريخ الإسلام ، والإسلام يومئذ ترتجف به دفتا الشرق والغرب ، وكأن الشمس والقمر يتلألان على أرجاء ملكه ذهباً وفضة ، وكانت في يد الرشيد شربة ماء وقد رفعها إلى فمه ، فلما أبصر ذلك الرجل الفقير الملك الذي لا يملكه شيء . . أمسك ثم قال له : عطني ، قال : أرأيت يا أمير المؤمنين لو مُنِعْتَ عنك هذه الشربة التي في يدك . . أفكنت تطلبها بكل ملكك ؟ قال : نعم ، قال : أفرأيت لو شربتها ، ثم امتنع خروجها منك ، أكنت تفتدي من عاقبة ذلك بكلّ ملكك ؟ قال : نعم ، قال الرجل الصالح : فانظريا أمير المؤمنين ؛ ما قيمة ملك لا يُساوي عند قَدَرِ الله شربة ولا بولة ؟ !

* كان أبو علي الدقاق الحسن بن علي النيسابوري الشافعي الزاهد العابد لسانَ وقته ، وإمام عصره ، وزاهد زمانه ، وعالم أوانه ، أتاه بعض أكابر الأمراء ، فعقد على ركبتيه بين يديه وقال : عطني ، فقال أبو علي : أسألك عن مسألة ، وأريد الجواب بغير نفاق ، فقال : نعم ، هات ما عندك ، فقال أبو علي : أيُّهما أحب إليك : المال أو العدو ؟ قال : المال ، قال أبو علي : كيف تترك ما تحبه بعدك لورثتك ، وتستصحب العدو الذي لا تحبه معك ، وهو عملك ؟ ! فبكى وقال : نعمت الموعظة هذه .

* قال أبو أيوب الأنصاري : إنّ الرجل ليعمل الحسنة ، فيثق بها ، وينسى المحقرات ، فيلقى الله وقد أحاطت به ، وإنّ الرجل ليعمل السيئة ، فلا يزال منها مشفقاً ، حتى يلقى الله آمناً .

* كتب محمد بن النضر الحارثي إلى أخ له : أما بعد ؛ فإنك في دار تمهيد ، وأمامك منزلان لا بُدَّ من أن تسكن أحدهما ، ولم يأتك أمان فتطمئن ، ولا براءة فتقصر . والسلام .

* قال أبو الحسن الندوي : ليست مسألة اليوم مسألة انحطاط في الأخلاق ، وضعف في العبادات ، وترك للشعائر ، وتقليد للأجانب ، وإن كانت هذه مسائل تستحق العناية والجهد ، ولكن مسألة العالم الإسلامي اليوم أعظم وأضخم من كل ذلك .

إنها مسألة كفر وإيمان ، إنها مسألة بقاء على الإسلام وخلع له ، إنَّ المعركة قائمة بين الفلسفة الغربية اللادينية وبين الإسلام آخر الرسالات ، وبين المادية والشرائع السماوية ، ولعلها آخر معركة تقوم بين الدين واللا دينية وإنها تحدد مصير العالم .

* الفشل للضعيف انسحاق ، وللقوي نقطة انطلاق .

* استسلم طائعاً ، وتعزَّ يوم فقرك وفاقتك ، واسع في طلب الأمان ؛ فإنك في سفر إلى الموت ، يطرد بك ، نائماً ويقظان ، واذكر سهر أهل النار في خلد أبداً .

* وتخوف أن يُنصرف بك من عند الله عز وجل إلى النار ، فيكون ذلك آخر العهد بالله عز وجل وينقطع الرجاء .

* واذكر أنك قد راهقت الغاية ، وإنما بقي الرmq ، فسدد تصبراً وتكرماً .

* وارغب ببقية عمرك أن تُفنيَه للدنيا ، وخذ منها ما يفرغك لآخرتك ، ودع منها ما يشغلك عنها .

* قال ابن الجوزي : فإذا عاد إلى النظر في مقدار بقائه في الدنيا . . فرضنا

ستين سنة . . فإنه يمضي منها ثلاثون سنة في النوم ، ونحوً من خمس عشرة سنة في الصُّبا ، فإذا حسب الباقي . . كان أكثره في الشهوات والمطاعم والمكاسب ، فإذا خلص ما للآخرة . . وجد فيه من الرياء والغفلة كثيراً ، فبماذا تشتري الحياة الأبدية ، وإنما الثمن هذه الساعات ؟!

* قال سليمان بن عبد الملك : قد ركبنا الفاره ، ووطئنا الحسناء ، ولبسنا اللين ، وأكلنا الطيب ، ما أنا اليوم إلى شيء أحوج مني إلى جليس أضع عني مؤونة التحفظ فيما بيني وبينه .

* عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أنه بكى يوماً بين أصحابه ، فسئل عن ذلك ، فقال : فكرت في الدنيا ولذاتها وشهواتها ، فاعتبرت منها بها ؛ ما تكاد شهواتها تنقضي حتى تكدرها مرارتها ، ولئن لم يكن فيها عبرة لمن اعتبر . . إن فيها مواضع لمن اذكر .

* قال عبد الله بن المبارك : مرّ رجل براهب عند مقبرة ومزيلة ، فناده فقال : يا راهب ؛ إنّ عندك كنزين من كنوز الدنيا ، فيهما معتبر : كنز الرجال ، وكنز الأموال .

* قال سفيان الثوري : إنّ الدنيا غمها لا يفنى ، وفكرها لا ينقضي ، وفرحها لا يدوم ، فلا تتوان فتعطب .

* سادة الناس في الدنيا الأسخياء ، وفي الآخرة الأتقياء .

* قال أحمد بن أبي الحواري : من عرف الدنيا . . زهد فيها ، ومن عرف الآخرة . . رغب فيها ، ومن عرف الله . . أثر رضاه ، ومن لم يعرف نفسه . . فهو من دينه في غرور .

* كان بعض السلف يقول : اللهم ؛ احفظني من أصدقائي ، فسئل عن

ذلك ، فقال : إنني أحفظ نفسي من أعدائي .

* وكان حكيمٌ يقول : استهينوا بالموت حتى يهون عليكم فراق الدنيا .

* قال فتح الموصلي : رأيت رجلاً صالحاً في البادية ، فقلت له : أين الزاد؟ فقال : قدَّمتهُ إلى المعاد ، قلت : فأين الراحلةُ ؟ قال : مناخةٌ في الآخرة .

* وقال آخر : مَنْ بلغ أقصى أمله .. فليتوقع دُنُوَّ أجله .

* قال العلاء بن المسيب : ليس قبل الموت شيء إلا والموت أشدُّ منه ، وليس بعد الموت شيءٌ إلا والموت أيسر منه .

* قال حكيم : ما نقصت ساعةً من أمسِكَ إلا يبضعة من نفسك .

* وقال آخر : لنا بكل ميت عظة بحاله وعبرة بمآله .

* قال علي بن محمد بن حبيب الماوردي : إن الدنيا إذا وصلت .. فتبعات موبقة ، وإذا فارقت .. ففجعات محرقة ، وليس لوصلها دوام ، ولا من فراقها بُدٌّ ، فَرُضْ نفسك على قطيعتها ؛ لتسلم من تبعاتها ، وعلى فراقها ؛ لتأمن فجعاتها ، فقد قيل : المرء مقترض من عمره المتقارض ، مع أن العمر وإن طال قصير ، والفراغ وإن تم يسير .

* من طاول طرفه .. تابع حتفه .

* من قوي على نفسه .. تناهى في القوة .

* ومن يخطب الحسنة .. لم يَغْلُهُ المهر .

* وقيل : الدنيا إن بقيت لك .. لا تبقى لها .

* قال الحسن البصري : نهارك ضيفك فأحسن إليه ؛ فإنك إن أحسنت

إليه .. ارتحل بحمدك ، وإن أسأت إليه .. ارتحل بذكِّك ، وكذلك ليلك .

* ما أنصف نفسه من أيقن بالحشر والحساب ، وزهد في الأجر والثواب .

* كتب الربيع بن خثيم إلى صديق له : قدّم جهازك ، وافرغ من زادك ،
وكن وصيّ نفسك . والسلام .

* قال بشر بن الحارث : أول عقوبة يعاقبها ابن آدم في الدنيا مفارقة
الأحباب .

* قال أبو العباس الطوسي : أنت في هدم عمرك منذ خرجت من بطن
أمك .

* قال عمر بن عبد العزيز : أصلحوا سرائركم . . تصلح لكم علانيتكم ،
وأصلحوا آخرتكم . . تصلح دنياكم ، وإن امرأ ليس بينه وبين آدم أب حيٍّ
لمعرق في الموت .

* قال عثمان بن عفان : إنما أعطاكم الله الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ، ولم
يعطكموها لتركوا إليها ، إن الدنيا تفنى ، والآخرة تبقى ، فلا تبطرنكم
الفانية ، ولا تشغلنكم عن الباقية .

* قال سهل بن هارون : من طلب الآخرة . . طلبته الدنيا حتى تُوفِّيَهُ رزقه
فيها ، ومن طلب الدنيا . . طلبه الموت حتى يخرج منه .

* قال الحسن : يا ابن آدم ؛ أنت أسير الدنيا ، رضيت من لذاتها بما
ينقضي ، ومن ملكها بما ينفد ، تجمع لنفسك الأوزار ، ولأهلك الأموال ،
فإذا متَّ . . حملت أوزارك إلى قبرك ، وتركت أموالك لأهلك .

* * *

يابني

أقدم لأبنائي وصية ، وهي أعظم هديّة ، وإنما العمل بالنية .
اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ، فمن فعل ذلك .. فإن الله ظهيره
ونصيره ، وكلما سمعتم حديثاً لصاحب الشفاعة .. فقولوا : سمعاً وطاعة .
وأوصيكم ببر الآباء والأمهات ، وأنهاكم عن منع وهات ، وتضييع
الصلوات ، واتباع الشهوات .

والله الله في تدبر المثاني ، وهجر الأغاني ، وترك الأمانى .
واعلموا أنها قامت عليكم الحجة ، وبانت المحجة .
وأوصيكم بتوقير شعائر الدين ؛ فإنها تقوى رب العالمين .
واستعدوا للرحيل ، إلى الملك الجليل ؛ فإنكم قادمون إليه عما قليل .
وإذا سمعتم الأذان .. فأجيبوا داعي الرحمن ؛ فليس بعد الأذان أعمال
ولا أشغال ، بل ذهاب إلى بيت ذي الجلال .

وقد دعيتم ، فأجيبوا الداعي ، بقلب واع ؛ فإنني أخشى على من تهاون
بتكبيرة الإحرام ، مع الإمام ، أن يحرم التوفيق على الدوام ، وألا يبلغه الله
المرام .

واعلموا أن من صحب الفساق ، ونقض الميثاق .. ابتلاه الله بالنفاق .
ولا تقولوا : نحن في عصر الصبا ، وكم من سيف نبا ، وجواد كبا ، فهذا
كلام من غره بالله الغرور ، حتى فاجأته قاصمة الظهر ، وطرح في القبور .

وتذكروا ليلة صبحها يوم القيامة ، فما أكثر الأسف فيها والندامة !

وتذكروا أول ليلة في القبر ، فلا إله إلا الله ما أعظمه من أمر ! ليلة ليس فيها جليس ولا أنيس ، يرتجف لها القلب ، ويذهب من هولها اللب ، ليس معكم فيها صديق ولا رفيق ، تخلص عنكم الأحباب ، وترككم الأصحاب ، وجردوكم من الثياب ، ووسدوكم التراب .

الأموال بعدكم قسمت ، والبيوت سكنت ، والزوجات نكحت ، فأين قلوبكم والعقول ؟ ما لكم في ذهول ، وأنتم في نقول ؟

فارقعوا بالاستغفار ما مزقته أيادي الذنوب الكبار ، واغسلوا بدمع العيون غبار الذنوب ، وفرّوا إلى علام القلوب ، وعليكم بالسكوت ، ولزوم البيوت ، والرضا بالقوت ؛ فإنه كاف لمن سيموت ، والحرص على تكبيرة الإحرام ، وسلامة الصدر من الآثام ، وإطابة الطعام ، وحسن الخلق مع الأنام ، عربون صادق لدار السلام ، وطهروا القلوب من الإحن ، والزموا السنن ، وفروا من الفتن ، تجدوا عونه عز وجل وقت المحن ، مع إسباله عليكم ثوب المنن .

وأشرف تاج تاج الديانة ، وثوب الصيانة ، والصدق والأمانة ، والوقار والرزانة .

وثوب الرياء ثوب مخرق ، ورداء الكبر رداء ممزق .

والعمل بالسُّنة ، أقرب طريق إلى الجنة ، ومرافقة الأشرار ومصاحبة الفجار ، هي الخسار والبوار ، وهم الدعاة إلى النار ، ومن ألان كلامه ، ووصل أرحامه ، وبذل طعامه ، ونشر سلامه . . أكرم الله في الجنة مقامه .

وويل لمن كان خصمه لسانه ، وأشهد على نفسه إخوانه ، واستشار في

أمره شيطانه ، وأرخص للشهوات إيمانه .

وخلوة بكتاب ، ودمعة في محراب ، وتواضع للأصحاب .. خير من القصور والقباب .

ومن أقبح ممن ناداه ربه إلى المسجد ، فتبلد وتردد ؟!

ومن عود لسانه الذكر ، وقلبه الشكر ، وعقله الفكر ، وبدنه الصبر .. نال أعظم الأجر ، وحط عنه الوزر .

وكل لباس يبلى إلا لباس التقوى ، ومن كان في دنياه شقياً بمخالفة مولاه .. فهو في الآخرة أشقى ، والمأسور من أسره هواه ، والمخدول من عصي مولاه ، والمفلس من خاب مسعاه .

وعليكم يا أبنائي بالصبر على المصائب ، والتجلد للنوائب ، ومجانبة الغضب ، والإجمال في الطلب ، والإخلاص في الطاعة ، والزهد والقناعة .

واعلموا أنه ليس معكم في شدائد الزمان ، غير الواحد الديان ، فلا يغرركم كلام الإخوان ؛ فإن الناس في وقت العافية أعوان ، واستنطقوا الذكر الحكيم ، واتبعوا الرسول الكريم ، والزموا الصراط المستقيم .

واعلموا أن للذنوب كفّارات ، وأن الحسنات يذهبن السيئات ، وأنه لا أنفع من الصالحات ، ولا أضر من الموبقات .

وللذنب من الله طالب ، وعلى الضمائر مراقب ، وللأعمال محاسب .

واعلموا أن شرفكم صدق اللسان ، ونسبكم الإحسان ، وكنزكم الإيمان .

ولن ينقذكم من النار ، إلا طاعة العزيز الغفار ، واتباع المختار .

واطلبوا الكفاف ، واستتروا بالعفاف ، وخذوا وأعطوا الإنصاف ؛ فإن

الحق كافٍ واف .

واسلكوا من الطرق الوسط ، ودعوا الغلو والشطط ، والتهور والغلط .
واسمعوا مني نصيحة : اعلموا أن الدنيا لا تساوي تسبيحة ، ولو كانت
مليحة ، لجعلها الله لأوليائه مريحة .

وصونوا أنفسكم من سؤال الناس ، واستغنوا عما في أيديهم باليأس .
واطلبوا العلم ؛ فإنه أجل المطالب ، وأعظم المواهب ، وهو أرفع من
المناصب ، وأكرم من كل المراتب ، وزينته العمل ، وخوف الأجل ،
والاعتصام بما نزل .

والداء العضال معادة الرجال ، ومن سالم الناس . . سلم ، ومن صمت . .
غنم .

والناس لا يطلبون منكم الأرزاق ، وإنما يطلبون جميل الأخلاق .
وأوصيكم بالأذكار ، في طرفي النهار ؛ فإنها عبادة الأبرار .
ولا تهجروا تلاوة القرآن كل يوم ؛ فإنه دواء الهموم والغموم .
وركعتان في السحر خير مما طلعت عليه الشمس والقمر .
ووقروا الكبير ، وارحموا الصغير .

واحذروا أن يكون لسان أحدكم كالمقراض في الأعراض ؛ فإن هذا من
ضعف البصيرة ، وخبث السيرة .

ورافقوا أهل الصلاح ، وأحبوا أصحاب الفلاح ، ولا تستصغروا شيئاً من
المعاصي ، وراقبوا من يأخذ بالنواصي .

وقسوة القلب يذيبها الندم ، والدمع المنسجم ، والأسف من الذنب
المنصرم .

ولا تتنعموا تنعم المترفين ، ولا تزروا بأنفسكم فعل الشحاذين ؛ فإن

المبالغة في الزينة للنساء ، والوقاحة للإماء ، والشره للسفهاء ، فكونوا أنتم العلماء الحكماء .

وأدمنوا الاستغفار كل حين ؛ فإنه مفتاح رضا رب العالمين ، وهو قوة وتمكين ، وعلى كل كربة معين .

ومن لم يراقب الحسيب ، ويردعه الشيب ، ويخف العيب . . فليس له في الفضيلة نصيب .

وويل لمن غرته دنياه ، وخدعه مناه ، وصرعه هواه .

وطوبى لعبد إذا أنعم عليه . . شكر ، وإذا ابتلي . . صبر ، وإذا أذنب . . استغفر .

وعليكم بتوقير الصحابة ، وحب القرابة ، مع لزوم مذهب السلف ، فهم أعلم وأحكم من الخلف .

حفظكم الله بالدين ، وعصمكم من نزغات الشياطين .

* * *

على الهواء مباشرة

سرعة البدهة في الرجل موهبة من الله عز وجل يمنحها من يشاء ، وخاصة إذا سُخِّرَتْ في الخير .

ومن مواقف سرعة البدهة ما ذكره أهل الأدب : أن أحد الشعراء دخل على الأمير المُهلبي في العراق ، وكان المُهلبي الوزير مهيباً غضوباً عبوساً ، فدخل عليه الشاعر وقت المساء ، وأراد أن يقول : كيف أمسيت أيها الأمير ؟ فغلط الشاعر من الرهبة وخوف الموقف ، فقال : كيف أصبحت أيها الأمير ؟ فقال : هذا مساء أو صباح ؟! فأطرق الشاعر قليلاً ، ثم رفع رأسه وقال :

صَبَّحْتُهِ عِنْدَ الْمَسَاءِ فَقَالَ لِي : مَاذَا الصَّبَاحُ ؟ وَظَنَّ ذَاكَ مِرَاحًا
فَأَجَبْتُهُ : إِشْرَاقُ وَجْهِكَ غَرَّرَنِي حَتَّى تَبَيَّنْتُ الْمَسَاءَ صَبَاحًا

وعلى هذا كانت أجوبة علي بن أبي طالب أبي الحسن ، إذ يقولون : كان من أسرع الناس جواباً ؛ لسرعة بدهته .

قال له رجل : لماذا اجتمع الناس على أبي بكر وعمر واختلفوا عليك ؟ فقال : لأن رعية أبي بكر وعمر أنا وأمثالي ، ورعيتي أنت وأمثالك ، قال : أنت خير الناس ، فقال : أنا فوق ما في نفسك ودون ما تقول .

وقيل له : كم بين الشرق والغرب ؟ قال : مسيرة الشمس يوماً .

قيل له : كم بين الأرض والعرش ؟ قال : دعوة مستجابة .

وأهل الأدب يذكرون : أن أبا العلاء المعري ذهب إلى الشريف الرضي في

مجلسه ، وكان الشريف الرضي لا يحب المتنبي ، والمتنبي هو شيخ أبي العلاء المعري ، فوقف عنده ، وذكر شعر المتنبي ، فهوّن الشريف الرضي شعر المتنبي ومن استشهاده ومن قوة شاعريته ، فقال : أيها الأمير ، لا تهوّن من شعر المتنبي ؛ لو لم يكن له إلا قصيدة :

لَكَ يَا مَنَازِلُ فِي الْقُلُوبِ مَنَازِلُ أَفْقَرْتُ أَنْتَ وَهَنْ مِنْهُ أَوَاهِلُ
لكفى .

قال الأمير : أخرجوه من مجلسي ، فقال الناس للأمير الشريف الرضي : ما قال أبو العلاء سوءاً ! قال : بلى ، هو استشهد بهذه القصيدة مع العلم أن للمتنبي أحسن منها ، لكن قصده آخر القصيدة ، وهو قوله :

وَإِذَا أَتَيْتَكَ مَذْمُوتِي مِنْ نَاقِصٍ فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلُ
فانظر كيف استحضر القصيدة سريعاً ، وانتزع هذا البيت ؟! وهذا من أجمل الأبيات ، فإذا ذمك إنسان قليل قدر . . فهو دلالة على سموّ قدرك ، وارتفاع كعبك في المكارم .

ثم ذكروا : أن أبا جعفر المنصور كان من الأذكياء وصاحب أدب ، ذهب إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ملك ، فقال : من يطلعنا على آثار الصحابة رضي الله عنهم ، وعلى أسماء بيوت المهاجرين والأنصار ؟ فأتوا بشيخ كبير - بالأجرة - مطوّف ، وقال له أبو جعفر : أخبرني فقط باسم صاحب البيت ، ولا تكثر علي ؛ وذلك لأنه لا يحتمل كثرة الكلام ، فأخذه من الصباح إلى المساء ، يقول : هذا بيت عمر بن الخطاب ، هذا بيت عثمان ، هذا بيت سعد بن معاذ ، هذا بيت حسان بن ثابت رضي الله عنه ، ونسوا أن يعطوه الأجرة .

وفي اليوم الثاني طلب الشيخ ، فقال : اتتوني بالشيخ علي ، فأتوا به ،
فأخذ يدل أبا جعفر ويصف له البيوت ، حتى أتى إلى بيت الأحوص الأنصاري
الشاعر ، فقال : هذا - يا أمير المؤمنين - بيت الأحوص الأنصاري الشاعر
الذي يقول :

يَا بَيْتَ عَاتِكَ الَّذِي أَتَعَزَّلُ أَثَرُ الْعِدَى وَبِهِ الْفَوَادُ مُوَكَّلُ
إِنِّي لَأَمْنُحُكَ الصُّدُودَ وَإِنَّنِّي قَسَمًا إِلَيْكَ مَعَ الصُّدُودِ لَأُمِيلُ

فوجم أبو جعفر ، وتعجب لماذا استشهد الرجل بهذه الأبيات ؟ فقال :

أكملوا القصيدة ، فأكملوا القصيدة ، فإذا في آخرها :

وَأَرَاكَ تَفْعَلُ مَا تَقُولُ وَبَعْضُهُمْ مَذِقُ الْكَلَامِ يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلُ

قال : ما أعطيتموه الأجرة ؟ قالوا : لا ، قال : الآن هو يطلب الأجرة في

القصيدة والاستشهاد ، وهذا من هذا .

ثم إن أبا تمام من أشهر الشعراء بلا شك ويأتي بعد المتنبي ، وقف عند

المعتصم ينشده قصيدته التي يقول في مطلعها :

مَا فِي وَفُوفِكَ سَاعَةً مِنْ بَاسٍ نَقْضِي ذِمَامَ الْأَرْبَعِ الْأَدْرَاسِ
إِلَى أَنْ يَقُولَ :

إِقْدَامُ عَمْرٍو فِي سَمَاحَةِ حَاتِمٍ فِي حِلْمٍ أَحْخَفَ فِي ذِكَاةِ إِيَّاسِ

فقام الطبيب الكندي - وكان الفيلسوف وكان حاضراً - فقال : ما زدت على

أن وصفت أمير المؤمنين بأجلاف العرب! فوجم قليلاً أبو تمام ثم ورَّد

الأبيات :

لَا تَنْكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مِنْ دُونِهِ مَثَلًا شَرُودًا فِي النَّدَا وَالْبَاسِ
فَاللَّهُ قَدْ ضَرَبَ الْأَقْلَ لِنُورِهِ مَثَلًا مِنَ الْمِشْكَاةِ وَالنَّبْرَاسِ

فُحْمَدُ فَعْلُهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ الطَّبِيبُ الْفِيلَسُوفُ : هَذَا لَا يَعِيشُ طَوِيلًا -
وَفَعْلًا مَاتَ أَبُو تَمَامٍ وَعَمْرُهُ (٤٦ سَنَةً) - قَالَ : لِأَنَّ عَقْلَهُ يَأْكُلُ جِسْمَهُ . فَدَائِمًا
الْأَذْكِيَاءُ تَجِدُ عَنْدهُمْ مِنَ الْإِنْدِفَاعِ ، وَمِنْ حِدَّةِ الْخَاطِرِ ، وَجُودَةِ الرَّأْيِ مَا يُوَثِّرُ
عَلَى أَجْسَامِهِمْ فِي الْغَالِبِ .

وَذَكَرُوا - أَيْضًا - : أَنَّ أَحَدَ الْوُزَرَاءِ كَانَ فِي مَجْلِسٍ ، فَقَالَ لِأَحَدِ الشُّعْرَاءِ :
مَنْ يَكْمُلُ لِي بَيْتَ شَعْرٍ يَبْدَأُ بِكَلِمَةٍ وَيَنْتَهِي بِنَفْسِ الْكَلِمَةِ ؟ قَالُوا : أَعْطِنَا الْكَلِمَةَ
أَيُّهَا الْوَزِيرُ ، قَالَ : سَمْسَمَةٌ ، فَقَالَ الشَّاعِرُ الْأَوَّلُ :

سِمٌ سِمَةٌ فِي الْعِلْمِ تُحْمَدُ بِهَا وَأَحْمَدُ لِمَنْ أَعْطَى وَلَوْ سِمْسِمَةً
أَي : اطْلُبْ عِلَامَةَ تُحْمَدُ ، وَتَشْكُرْ فِيهَا فِي الْعِلْمِ ، وَاحْمَدِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ
وَلَوْ أَعْطَاكَ سَمْسَمَةٌ . وَفِي الْآخِرِ قَالَ : مَلَأْمَةٌ ، فَقَالَ الثَّانِي :

مَلَأْمَةٌ الْوَكُوسَاءِ فِي خِدْرِهَا أَلَامٌ مِنْ حُرٍّ أَتَى مَلَأْمَةً
الْمَلَأْمَةُ : الْجَارِيَةُ الْغَبِيَّةُ فِي خِدْرِهَا ، أَشَدُّ بِخِلَافٍ وَأَشَدُّ مَلَأْمَةٌ مِنَ الْحَرِّ الَّذِي
يَأْتِي مَلَأْمَةً ؛ أَي : مَا يُلَامُ عَلَيْهِ مِنَ الْأَفْعَالِ الشَّنِيعَةِ .

وَالْمَحْ كَمَالَ الْفَضْلِ حَتَّى تَرَى قَاضٍ يُدِيرُ الْحُكْمَ فِي الْمَحْكَمَةِ
قَالَ : أَلْجَمُ ، فَقَالَ :

أَلْجَمُ جِمَاحَ النَّفْسِ عَنْ غَيِّهَا فَغَيَّهَا يُذْهِبُ بِالْجُمُجُمَةِ
وَهَكَذَا ، وَهَذَا مِنْ سُرْعَةِ الْبِدَاهَةِ الَّتِي تَحْضُرُ لِبَعْضِ الشُّعْرَاءِ ، وَهِيَ
مَوْهَبَةٌ ، فَمَنْ سَخَّرَهَا فِي الْخَيْرِ . . أَجَرَ عَلَى ذَلِكَ .

وَقَرَأْتُ فِي « سَفِينَةِ الْأَدَبِ وَالتَّارِيخِ » : أَنَّ أَحَدَ الْأَعْيَانِ وَالْوُجْهَاءِ كَانَ
مَشْهُورًا بِأَكْلِ الرِّبَا ، وَهُوَ يَعْرِفُ بـ : السَّحْتِ ، وَكَانَ كَذُوبًا ، فَدَعَا أَنَا سَأَ مِنْ
الْأَدْبَاءِ وَبَعْضِ الْأَعْيَانِ لِلْغَدَاءِ ، وَفَرَشَتْ الْمَائِدَةُ أَمَامَهُمْ ، وَجَلَسَ عَنْدهُمْ -

وهو لا يتغذى - ويحدثهم بقصص من الأوهام والخيالات والخرافات وهم يأكلون ، فهم يرون أن أكلهم من الربا وهو يتكلم بالكذب ، ثم صاح بأحد الأدباء ، فقال : كيف أنتم يا فلان ؟

قال الأديب : سمّعون للكذب ، أكّالون للسحت . وهذا في كتاب الله عز وجل عن أعدائه اليهود : ﴿ سَمْعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ﴾ ، وهذا من سرعة البداهة التي لا تتأني لكل أحد .

قرأت أن أحد القادة المشهورين مرّ في مدينة بسرداب ، والسرداب مثل الشارع الضيق ، وفي أحد جنبات السرداب جزار ولا يعلم أن القائد الشجاع سوف يمر ، وكان قد ذبح شاة ، وأراد أن يرمي ببقية الشاة ، مثل : الكراع ، والرأس ، وعليها دم ، ويريد أن يرميها في الشارع ، ولم يعلم أن هذا القائد يمر بموكبه في هذه اللحظة ، فمر ، فرمى ، فوقع بعض الدم على جسم هذا القائد وعلى ثيابه وعلى عمامته ، وكان بطاشاً ظلوماً غشوماً ، وأراد أن يبطش به ، فقال أحد الأدباء وكان معه : أيها القائد ؛ يقول أبو الطيب :

لَا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ أَلَدَمُ
قال : عفوت عنه ؛ لأجل هذا البيت .

وهذا من قصيدة مشهورة لأبي الطيب ، مطلعها :
لَهْوَى النُّفُوسِ سَرِيرَةٌ لَا تُعْلَمُ عَرَضاً نَظَرْتُ وَخِلْتُ أَنِّي أَسْلَمُ
ومنها :

ذُو الْعَقْلِ يَشْقَى فِي النَّعِيمِ بَعْقَلِهِ وَأَخُو الْجَهَالَةِ فِي الشَّقَاوَةِ يَنْعَمُ
إلى أن يقول :

لَا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ أَلَدَمُ

أي : إن المجد العالي يحتاج إلى نضال وإلى كفاح وإلى مدافعة ، حتى إلى توضيحات بالغير ؛ ليستقيم الأمر ، لكن انظر إلى استشهاد هذا الأديب في هذه المناسبة ، حتى أعتق هذا الجزار من القتل ، أو من الأذى .

وذكر الإمام العلامة الكبير ابن حزم الظاهري ، قال : كان أبي مُستشاراً في الديوان عند أحد ملوك الأندلس ، قال : فأتى عدوّ له يراجع أبي في مسألة ، فكتب خطاباً لأبي ، وكتب في الخطاب - وهذا من قلة الحيلة وقلة الذكاء - قول أبي الطيب :

وَمِنْ نَكْدِ الدُّنْيَا عَلَى الْخُرِّ أَنْ يَرَى عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدُّ
فأنت تحتاج إلى هذا الوزير ، وتريد أن تراجع في أمر ، فكتب هذا البيت الذي مقصوده : إننا مضطرون لك وأنت عدو لنا ، لكننا حملتنا الضرورة والحاجة لأن نصانعك ، وما كان ينبغي أن نفعل ذلك . فمن ذكاء والد ابن حزم أن قلب اللفظ ، فقال :

وَمِنْ نَكْدِ الدُّنْيَا عَلَى الْخُرِّ أَنْ يَرَى صَدِيقاً لَهُ مَا مِنْ عَدَاوَتِهِ بُدُّ
أي : إنك كنت صديقاً قبل ، لكنك اضطررتنا الآن ، وأغضبتنا إلى أن نجعلك عدواً بالغضب والقوة .

وهذا يفعله بعض الناس من الهوج ، بأن يستخدم بعض العبارات التي لا تجدي ، وقد تكلفه روحه ، أو تكلفه موقفه أو مصلحته ، حتى إن الله عز وجل يقول في كتابه العزيز : ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ ﴾ ؛ أي : يختارون من العبارات اللينة الموفقة التي تدعو إلى الوفاق ، وإلى المسامحة ، أحسن من اختيار العبارات التي تُزعج .

ومن هذا الباب : أن امرأة كانت مارة في مجلس في الكوفة ، وفيها قوم

يظهر أنهم من بني نُمير ، فنظروا إليها ، فالتفتت إليهم ، فقالت : قاتلكم الله يا نُمير ، أنتم لا أخذتم بقول الله عز وجل ولا بقول جرير ، فالله عز وجل يقول : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّونَ أَبْصَارَهُمْ ﴾ . وجرير يقول :

فَغَضَّ الْأَطْرَفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَعْبَأَ بَلَغْتَ وَلَا كِلَابَا

انظر لها كيف استخدمت الأمرين ، واستشهدت في الحال المناسب بهذا الاستشهاد المناسب في وقته ، وهذا من الذكاء المفرط .

ذكر الذهبي عن أبي مسلم الخراساني القائد المشهور ، وهو من القادة الكبار ، الذي نقل دولة بني أمية إلى بني العباس ، وكان من الذكاء على نحو عجيب ، قُتل وعمره (٣٩ سنة) : كان يخطب بالناس في يوم الجمعة ، وعليه عمامة سوداء ، فقام أحد الناس - وهذا طُفيلي متعجل - وقال في المسجد : لماذا تلبس السواد ، وقد نهينا عن لبس السواد ؟! والسواد هو شعار الدولة العباسية ، فالتفت أبو مسلم إلى الرجل وقال - وهو مرتجل وما قطع كلامه - : حدثني فلان ، عن فلان ، عن أبي الزبير ، عن جابر رضي الله عنه : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دَخَلَ يوم الفتح وعليه عمامة سوداء) ، وقال : يا غلام ؛ اضرب عنقه ، فقتله أمام الناس وأتى بالحديث ، فعجب الناس من سرعة بداهته ، وحفظه للحديث وهو قائد عسكري وقائد سياسي ، وأمر بقتله في الحال !

ومن هذا الباب ينبغي - أيضاً - ألا تُستخدم سرعة البداهة في النيل من الناس والتعرض لهم والإضرار بهم ؛ لأن من عنده جرأة في الحديث أحياناً إذا لم يكن عنده تقوى ، ولم يكن عنده وازع ديني . . أسرع بالكلام فيما يشتهي ، ولذلك كانت سرعة بداهة الأخيار والأبرار فيما يرفع وفيما يُقيم .

وأذكر من المعاصرين أحد العلماء ، ذهب إلى دولة من الدول - وهي دولته ، لكن منعه من الدخول فيها ؛ لأمر سياسي - فوصل المطار وأمر أن يُعاد من المطار ، وأن يخرج خارج الوطن ، فلما رجع إلى أصحابه قالوا : كيف وجدت المدينة التي ذهبت إليها ؟ قال : ﴿ مُلِثَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ﴾ .
وهذا من أسلوب القرآن الكريم .

وعلى سبيل اختيار الألفاظ : حدثني أحد الأدباء في الرياض أنه قرأ : أن هتلر لما اتجهت جيوشه إلى بلغراد ، متجهة إلى موسكو ، وفي تلك المدة ألقى خطاباً عالمياً أذيع على العالم . . فطلب أن تُختار له كلمة من الكتب السماوية : القرآن ، أو الإنجيل ، أو التوراة ، تملأ الجو والمكان والزمان ، وكان عندهم هناك أديب عراقي لاجئ في ألمانيا ، فأتاه الخبر ، فقال : أرى أن يبدأ هتلر خطابه الليلة بقوله عز وجل ﴿ أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأُنْشِقَ الْقَمَرُ ﴾ ، هذا الكلام الذي يملأ الجو ويملأ المكان ويملأ الزمان ، فبدأ بهذا الخطاب .
ولذلك أسلوب القرآن عجيب ، حتى الجن قالوا : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴾ ، فهم ذهلوا وعجبوا ، حتى الجن سمعوا هذا الكتاب ، فقالوا : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴾ ، فإذا عُلِمَ هذا . . فهذه بعض المواقف الشعرية .

وقد قرأت : أن بعض الأدباء كان جالساً ، فأقبل عالم - وبعض العلماء يرى عدم القيام ، وهذا رأي من المذاهب - فقام الأديب له ، فقال العالم : اجلس ، لا يجوز القيام - وهذا على مذهبه - فقال الأديب الشاعر :

قِيَامِي - وَالْإِلَهِ - إِلَيْكَ حَقٌّ وَتَرْكُ الْحَقِّ مَا لَا يَسْتَقِيمُ
فانظر كيف حضر له مثل هذا المعنى ، ومثل هذه الأبيات في هذا

المكان ؟!

والمواقف في ذلك كثيرة ولكن السلف الصالح ذكروا عنهم أنهم ما كانوا يستخدمون مثل هذا ؛ لأنهم يخشون أن يكون شيئاً من المباهاة ، حتى يقول الحسن : أترك بعض الكلام ؛ خشية العُجب ؛ أي : يترك بعض الاختيارات والاستشهادات ؛ خشية من العجب .

وبعضهم يتركه خشية من العين ؛ فإن إياساً القاضي كان من أذكى الناس ، ولذلك كان يُخشى عليه من العين ؛ لتسديده في القضاء ، وتسديده في الإجابة .

ومن أكثر من كان يجيب شريك القاضي ؛ قال له رجل : من عندنا خرج العلم - أي : من الكوفة - قال : ثم لم يعد إليكم أبداً .

* * *

أنا والكلمة الجميلة

كنت في الصبا أعجب بالكلمة الجميلة ، أنصت لها ، أتمتع بحسنها ،
يشدني جرسها ، يخلبني سرها ، يدهشني أسرها .

أسمع الكلمة البليغة من النثر والشعر فأجد لذة في سماعها ، وتغمرني
فرحة في تأمل بيانها ، فالبيان سواء كان قرآناً أو حديثاً أو شعراً أو رواية هو
منتهى الإبداع لدي .

وأحياناً أتناول كلمات من القرآن ، فأقرأ ما كتب عنها المفسرون
والبلاغيون ، ثم أعود بنفسني متأملاً متفكراً متدبراً ، فأجد لها في أعماقي
معاني لا أستطيع أحياناً أن أعبر عنها بلساني ، وكم هي الآيات التي هزّت
كياني ، وحركت أشجاني ، وزلزلت أركانني ، وقد تكون هذه الآيات وعظماً ،
أو قصصاً ، أو حواراً ، أو خطاباً ، أو وصفاً ، المهم أنني أعيش مواقف من
التأثر لروعة البيان وجمال الخطاب .

وفي عام (١٤٠٠ هـ) كنت مع سماحة الشيخ الإمام العلامة عبد العزيز بن
باز في جازان لافتتاح مخيم دعوي هناك ، وبدأ الحفل بآيات من أول (سورة
فُصِّلَتْ) ، قارئها طالب جميل الصوت ، حسن الأداء ، رخيخ النغمة ، وكنت
قريب عهد بقراءة السيرة ، وقصة السورة ؛ فتأثرت وأنا جالس بين الناس
وأصابني دهشة ، ودعيت بعدها بفقرتين لإلقاء قصيدة ؛ فلما ألقيت ما يقارب
عشرة أبيات وكانت أربعين بيتاً . . لم أستطع المواصلة ، وشعرت بتعبٍ

وإعياء ، فقطعت الإلقاء فجأة وجلست ، وكان الموقف لافتاً للنظر ؛ وما ذاك إلا لما بقي في نفسي من تأثر بالغ أثر في مشاعري وعواطفني .

وصلينا في الحرم المكي صلاة التراويح فرفع الإمام صوته بقوله تعالى : ﴿ فَأَعْلَزَ أَنْتُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ ﴾ الآية ، وارتج الحرم بالصوت ، ولكنه بلغ الأعماق ، فلا أدري هل أعجب من هذا البيان الأسر ، أم من هذه الفخامة والإشراق والإعجاز ، أم من هذا الصدق واليقين والعدل ؟!

كنت أقف على بعض الجمل من القرآن ، فأفصلها كلمة كلمة كما يفصل الدر من عقده ، والجوهر من خيطه ، وقفت مرة عند قوله تعالى : ﴿ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴾ ، فتأملت كلمة (باسقات) وجمالها ، فإذا لها مدلول غير مدلول طويلات ؛ لأن الباسق الطويل في حسن ورواء ، وكذلك كلمة : (طلع) كيف اختارها من بين كلمة ثمر وحب وتمر ورطب وبسر ونحوها ، وكلمة : (نضيد) وما فيها من جمال ودلالة وإشراق يذكر بال عقد الزاهي من الجوهر .

وقرأت قوله تعالى عن كتابه : ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ ، فهزني هذا الكلام الجليل ، ثم عدت إلى مصطفى صادق الرافعي ، فإذا هو مندهش لهذه الآية ، مأسور لجزالتها وفصاحتها ، وممرت به آية : ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ ﴾ ، فوقف متأملاً صامتاً منبهرأ من هذه الإجازة والإيجاز والإعجاز .

ثم طالعت مذكرات الإبراهيمي الجزائري ؛ فإذا هو يدبج أروع الكلام عن هذه الآية ، ويعلن دهشته من هذا الكلام المشرق السامي الراقي . وعشت مع سورة الجن ، فكأنني في عالم الحنين والأنين ، يبهرني اللفظ ،

ويأسرني المعنى ، وتذهلني الفصاحة ، ويهزني الإعجاز ، ثم أعذر الجن وهم يقولون : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴾ ، وأقرأ كلام سيد قطب ، فإذا هو يعيش تلك اللحظات من الانبهار والدهشة لهذا الكلام .

وكم هي الآيات التي أوقفني وسلبت لبي ، وذهب بي الإعجاب بها كل مذهب ، وتمنيت أن عندي من البيان ما يعبر عما يدور بخلدي من معان كامنة مستورة في الحشا .

وكنت أردد آية : ﴿ وَقِيلَ يَتَّزِشْ أَبْلَى مَاءٍ كِ وَنَسَمَاءٍ أَقْلَى وَغِيصَ أَلْمَاءِ وَفُصَى الْأَمْرِ وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ ، فأعيد النظر فيها ، وأعرضها على بعض الأصدقاء ليشاركني هذه المتعة ، ثم أجد عبد القاهر الجرجاني يبسط الكلام عن إعجاز هذه الآية ووجه البيان والبدیع فيها .

ووقفت عند آية : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ ، فعجبت لقوة هذا الحديث الذي ينسف قلاع الباطل ، ويحطم أسوار الزور ، ويجتث شجرة العناد والتمرد . وطالعت عالم البيان في حديثه صلى الله عليه وسلم ، وتأملت أحاديثه العذاب الرطاب ، وكلامه الجزل الفخم .

وذهبت مع الشعر ، فحفظت منه الكثير ، ورويت الكثير ، ولكن الذي أحفظه هو الذي يعجبني ويطربني .

وسافرت مع المحدثين ، والنقلة ، والمؤرخين ، والمفسرين ، وأهل اللغة والأدباء ، أقف مع الرائع الجميل من كلامهم ، وأعيد القطعة الماتعة من كلام الذهبي ، والوقفه الصادقة لابن تيمية ، والمقولة المؤثرة لابن القيم ، والمداخلة الخلابة للجاحظ ، والعرض الشائق لابن خلدون ونحوهم ، وأكثر

ما يشدني في ذلك ، البيان ، وحسن السبك ، وجمال اللفظ ، وقوة المعنى ،
وسطوع البرهان .

جلست مع صديق لي ، فقرأت عليه هذه القطعة للجاحظ إذ يقول :
(جعلت فداك ، وإنما أخرجك من شيء إلى شيء ، وأورد عليك الباب بعد
الباب ؛ لأن من شأن الناس ملالة الكثير ، واستثقال الطويل وإن كثرت
محاسنه ، وجمت فوائده ، وإنما أردت أن يكون استطرافك للآتي قبل أن
ينقضي استطرافك للماضي ، ولأنك متى كنت للشيء متوقفاً ، وله منتظراً .
كان أحظي لما يرد عليك ، وأشهى لما يهدى إليك ، وكل منتظر معظّم ، وكل
مأمول مكرّم ، كل ذلك رغبة في الفائدة ، وصباة بالعلم ، وكلفاً بالاقتراس ،
وشحاً على نصيبي منك ، وضناً بما أوّله عندك ، ومدارة لطباعك ،
واستزادة من نشاطك ، ولأنك على كل حال بشر ، ولأنك متناهي القوة
مدبر) .

كررت هذه القطعة الفائقة ، فكأنني أجد طعمها في فمي قطعة من الشهد ،
وزلاً بارداً من معين صاف ، وبقيت أقلبها في عيني تقليب الدرة في اليد ،
والفكرة في القلب ، والخطر في الضمير ، وأنت لو تأملت هذه القطعة الثرية
الفائقة للجاحظ . . لوجدتها في أوج البيان ، وقمة الفصاحة ، بعيدة عن
التزويق والتكلف ، سليمة من التبذل والرعونة ، ساحرة فاتنة .

وإنما ذكرت هذا مثلاً ، وإلا فكم من مقالة وقطعة وقصيدة توقف
اللييب ، وتدهش الفطن من حسنها وروعها .

أسمع الخطيب والواعظ والمعلم والمفتي والشاعر والمحاضر ، فلا يملك
إعجابي إلا المتفرّد في بيانه ، المتوحد في اختيار مفرداته ، واصطفاء كلماته ،

وانتقاء جملة ، أمّا الهذر والحشو والإكثار . فكلّ يستطيعه ، وهو المبدول
المملول ، المرذول المدخول .

وقرأت مقالة لأديب يهاجم أديباً آخر سرق له مقالات ونسبها إليه ، فجعل
عنوان هذه المقالة قوله تعالى : ﴿ آتَتْهَا الْغَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَرِقُونَ ﴾ ، فبقيت مع
العنوان متأملاً مكرراً معجباً ، وأهملت المقالة !

ولهذا فإنك تعذر كل من أسره القرآن ، واستمال قلبه ، وسيطر على
روحه ، حتى إن أحد العرب صلّى خلف الرسول صلى الله عليه وسلم ،
فسمعه يقرأ : ﴿ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا ﴾ ، فكاد قلبه يطير ، وسمع آخر
قوله تعالى : ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ ﴾ ، فذهل وتحير من بلاغتها
وجمالها ، وهذا الذي حمل الوليد بن المغيرة ليصبح صيحة المعترف
ويقول : (إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله
لمغدق ، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه) .

إن صرعى الشبهات لا يعجبهم القرآن ، وإن عبيد الشهوات لا يهزمهم هذا
الكتاب العظيم ، إن القرآن يعجب سليم الفطرة ، بريء الضمير ، حيّ
القلب ، مشوب العاطفة ، متوقد الذهن ، صافي القريحة ، فهذه أرض طيبة
خصبة لغيث البيان ، ومطر الفصاحة العذب .

مرت بي مئات المقالات والقصائد ، فوجدتها ثقيلة وبيلة لا تستحق
العناية والمطالعة ، مهلهلة السبك ، ضعيفة البناء ، ركيكة اللفظ ، ماتت قبل
أن تولد ، ودفنت قبل أن تحيا جزاءً وفاقاً ، وبقيت الكلمات الآسرة
الساحرة الساطعة خالدة خلود الحق ، لامعة لموع الفجر ، جميلة جمال
الإبداع .

طالعُ كتاب « صيد الخاطر » لابن الجوزي ، وكرر كلماته ، وأعد جملة ؛ لتدرك سر شيوع هذا الكتاب وذيوعه وخلوده ؛ إنها الفكرة الرائدة في ثوب جميل ، والتوجيه الصادق في قالب بديع ، والمعنى العميق في لفظ بهيج مشرق .

يقول ابن الجوزي في كتابه « طيب الذكر » : (رجال مؤمنون ونساء مؤمنات يحفظ الله بهم الأرض ، بواطنهم كظواهرهم بل أجلى ، وسرائرهم كعلانياتهم بل أحلى ، وهمهم عند الثريا بل أعلى ، إن عرفوا . . تنكروا ، وإن رثيت لهم كرامة . . أنكروا ، فالناس في غفلاتهم ، وهم في قطع فلاتهم ، تحبهم بقاع الأرض ، وتفرح بهم أفلاك السماء ، نسأل الله - عز وجل - التوفيق لاتباعهم ، وأن يجعلنا من أتباعهم) انتهى كلامه ، ولكن لم ينته أثره ولا نوره ولا أسرته ولا جماله .

إن البحث عن البيان في الكلام متعة لا يعادلها متعة ارتياد الروض الأخضر ، والخميلة المائسة ، ولا يعادلها مجلس أنس ، أو رحلة سياحة ، وقد وصف أحد البلغاء كلام أحد الأدباء فقال : (إذا تحدث . . فكأن السحر دبَّ في جسمك) ، وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم : « إن من البيان لسحرا » ، فهو يفعل السحر في خلبه للب السامع ، يقول ابن الرومي :

وَكَلَامُهَا السَّخَرُ الْحَلَالُ لَوْ أَنَّهُ لَمْ يَجْنِ قَتْلَ الْمُسْلِمِ الْمُتَحَرِّزِ
إِنْ طَالَ لَمْ يُمَلَلْ وَإِنْ هِيَ أَوْجَزَتْ وَدَّ الْمُحَدِّثُ أَنَّهَا لَمْ تُوجَزْ

والكلمات الجميلة هي التي نُقِشت في أذهاننا ، وكتبت في قلوبنا ، فبقيت وعاشت .

اقرأ كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فأكرره كأنني أشرب زلالاً

بارداً حلواً على ظمأ في قيظ ، حتى عقد له ابن كثير في « تاريخه » فصلاً
عنوانه : (باب في كلماته الحاصلة التي هي إلى القلوب واصلة) .

ولما افتتح البخاري كتاب الرقاق من « صحيحه » .. ذكر قول علي : (إن
الدنيا ارتحلت مدبرة ، وإن الآخرة ارتحلت مقبلة ، فكونوا من أبناء الآخرة ،
ولا تكونوا من أبناء الدنيا ؛ فإن اليوم عمل ولا حساب ، وغداً حساب
ولا عمل) ، فانظر إلى هذا الإيجاز مع قوة المعنى وحسن الفواصل ، وبراعة
الإيراد ، وجمال العرض .

ولما بدأت في مطالعة « الكشف » للزمخشري .. بدأ ليصلي على النبي
صلى الله عليه وسلم فقال : (والصلاة والسلام على حامل لواء العز في بني
لؤي ، وصاحب الطود المنيف في بني عبد مناف بن قصي ، صاحب الغرة
والتحجيل ، المذكور في التوراة والإنجيل . . .) إلى آخر هذا الكلام الجزل
الفخم ، ولحسنه حفظته .

إن أول طبعة لـ « مصنف ابن أبي شيبة » طبعت في الهند ، قدم لها أحد علماء
الهند مقدمة باردة سامجة متفككة متهاكة ، حتى صارت مصدر نادرة في
المزاح ؛ وما هذا إلا لأن الرجل يكتب بغير لسانه ، وما غاص في مفردات
اللغة العربية ، وما تمتع بجمالها ، فهو غريب ، وإنك لتسمع العالم يفتي ،
والمعلم يدرس ، والخطيب يتحدث ، والشاعر يلقي ، فتعرف قوة هؤلاء من
ضعفهم ، وبيانهم من عيهم من أول وهلة ؛ لأن الكلام الجميل الساطع
لا يخفى حسنه ، ولا يجهل قدره .

إن أساطين البيان حفروا كلماتهم في ديوان التاريخ ، وذاكرة الأجيال ؛
لأن الإبداع له خلود ، والتفوق له ذبوع ، والتفرد له امتياز .

قال أحد الخلفاء لبليغ : ما البلاغة ؟ قال هي : ألاَّ تبطئ ولا تخطيء ،
قال : مثل ماذا ؟ قال : مثل هذا !
وانظر كيف أوجز وأعجز .

وقالوا للشاعر : نراك تسرع في الكلام ! قال : لأن القوافي تزدهم في فيء ؛
أي : فمي ، فما أسرع جوابه وأحسن صوابه !
ومدح رجل علياً رضي الله عنه - وكان يبغض علياً - فقال له عليٌّ : أنا فوق
ما في نفسك ودون ما تقول ، وقال له رجل : لماذا اتفقت الأمة على
الشيخين ، واختلفت عليك ؟ قال : لأن رعيَّتهم أنا وأمثالي ، ورعيتي أنت
وأمثالك !

فقل لي بربك ، أي جواب هذا الذي كأنه أعدّه من شهر ؟ !
لقد حرمتنا متعة البيان بسبب هذا الهذيان ، كلام طويل ثقيل وبيل ،
وتكرار وتبذُّل ، حتى إنك لتسمع الخطيب يتكلم ساعة كاملة ، ولو جمع
ما قال في خمس دقائق . . لأحسن إلى نفسه وإلى السامعين .
إن السيلان الخطابي ، والثرثرة في الحديث شيء ، والبيان والبلاغة شيء
آخر ، إن البيان هو أن تصيب المحز ، وتشفي النفس ، وتبلغ حجتك .
ولولع النفس بالبيان ، وتعلق القلب بالفصاحة ؛ سافرت مع أبي الطيب
المتنبي لجمال شعره ، وروعة بيانه ، وجزالة لفظه ، وبراعة عرضه ، وأما
مبادئه ومذهبه في الحياة . . فله موطن آخر .

* * *

استحلال

قال الراوي : سمرنا ليلة مع جماعة أبية ، لهم شوق إلى المقامات الأدبية ، والأشعار العربية ، فقالوا : حدثنا عن الأدب ؛ فإنه ديوان العرب ، ومنتهى الأرب ، ونهاية الطلب .

قلنا : حباً وكرامة ، وتحية وسلامة ، فقد رضعت الآداب ، وجالست الأعراب ، وحفظت الشعر من عصر الشباب ، فالشعر عندي سمير ، وهو لنفسي روضة وغدير .

فقال أحد السُّمار ، من محبي الأشعار : أفض علينا من القصائد الغراء ، التي قالها على البديهة الشعراء .

قلت : هذا فن طويل الذيل ، يأخذ في كل سبيل ، ولكن سوف أورد بعض الشواهد ، والشوارد ، والأوابد .

فهذا أبو جعفر المنصور تحدى الشعراء بقافية ، قال : من أجازها فله الجائزة وافية ، إذ يقول ، وفكره يجول .

فقام الشعراء على ركبهم جاثين ، كلهم يريد الجائزة من أمير المؤمنين ، فقال بشار بن برد ، وكان سريع الردّ ، فأخذ بردة أبي جعفر ، وكانت من خز أصفر .

وهذا أبو تمام ، وهو شاعر مقدم ، مدح المعتصم ، فما تعثر وما وهم ، فقال الحارث الكندي : ما لك قدر عندي ، أما تخاف ، تصف أمير المؤمنين

بالأجلاف ، فانهذ أبو تمام كالسيل معتذراً عما قيل .

حكم النعمان ، على نابغة ذبيان ، بالإعدام ، بعد ما اتهمه ببعض الاتهام ، فأنشده البائية الرائعة الذائعة ، فعفا عنه وحباه ، وقربه واجتباها .

وأهدر البشير النذير ، دم كعب بن زهير ، فعاد إليه ، ووضع يده بين يديه ، فحلم عليه وصفح ، وعفا عنه وسمح ، واستقام حاله وصلاح .

وأصدر حاكم اليمن ، قراراً بإعدام سبعين من أهل العلم والسنن ، والفقهاء والفتن ، فأنشده البيهاني ، قصيدة بديعة المعاني ، هزّ بها أعطافه ، واستدر بها ألطافه ، فأكرم مثواه ، وعفا عن السبعين من العلماء والقضاة .

وكاد معاوية أن يفر من صيفين ، يوم وقف بين الصفين ، فذكر قول ابن الإطنابة ، فأوقف ركابته .

وأوشك المتنبي الشاعر الهدّار ، أن يولي الأدبار ، ويجدّ في الفرار ، فكرر عليه غلامه ، أبياتاً أثبتت أقدامه ، فرجع مقبلاً ، فقتل مجندلاً .

وقتل عضد الدولة الوزير ابن بقية ، ولم تردعه تقية ، فأنشد ابن الأنباري قصيدة كأنها برقية ، أو رواية شرقية ، فسمعها عضد الدولة فتأسف ، وقال : حبذا ذاك الموقف .

ولما قتل محمد بن حميد ، بكاه أبو تمام بذاك القصيد ، ورثاه بذاك النشيد .

وسب أحد الأمراء ، المعري أبا العلاء ، وهجاه أشد هجاء ، وسب أستاذه سيد الشعراء ، فقال أبو العلاء : لا تسبه أيها الأمير ؛ فإنه شاعر قدير ، ولو لم يكن له إلا قصيدة لكفاه ، ففهم الأمير ماذا يريد ؛ لأنه قصد آخر القصيد .

ولما زار أبو جعفر المنصور المدينة . . طلب شيخاً كبيراً ، وجعله عنده
أجيراً ، يخبره ببيوت المهاجرين والأنصار ، فدار به إلى آخر النهار ، ولم
يعطه مالاً ، ونسيه إهمالاً ، فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين ؛ هذا بيت
الأحوص الشاعر المبين ، فتذكر أبو جعفر القصيدة ، وهي فريدة مجيدة ،
ففهم المراد ، وأعطى الشيخ الزاد .

أقبل عالم كبير القدر ، ظاهر الأمر ، على شاعر قاعد ، فقام لهذا العالم
الوافد ، وكان العالم يرى أن القيام للقادم باطل ولو أن القادم رجل كامل ،
فقال للشاعر : دع القيام ، فأنت لا تلام .

وأنا مُحدث لا حدائي ، من مكة مركبي وأثائي ، ومن المدينة ميراثي ،
أصل الحدائين من البلاشفة الحمر الكفرة ، كأنهم حمر مستنفرة ، فرت من
قسورة .

لا تتبلد ، أرسلناك إلى المريد ، بالحق تنشد ، وبالإسلام تغرد ، فذهبت
تعربد .

اسمك محمد فلا تزدد في الحروف ، لتصبح محمذوف ؛ لأن محمداً
شرعي ، ومحمذوف شيعي .

« ديوان المتنبي » مجلد لطيف خفيف ، فيه لفظ منيف ، ومعنى شريف ،
أنصت لشعره الدهر ، وعبر البر والبحر ، وصار غدوه شهر ، ورواحه شهر ،
وبعض الشعراء المولدين ، لكل منهم عشرة دواوين ، كل ديوان ككيس
الإسمت ، إذا قرأت منها قصيدة سكت وصمت ، وبُهِتَ وخُفَّتْ ، ثم مُتْ .

تعبنا من ركافة الكلام ، ومن هذا الركام ، إذا سألناهم عن المعنى . .
أكثرُوا من الهمز والغمز ، وقالوا : هذا شعر الرمز ، فيه إيجاز ، وألغاز ،

وإعجاز ، والصحيح : أنه هراء وطلسمة ، وشعاب مظلمة ، وتمتمة ،
وهمهمة ، وغمغمة .

وقد حكم رسولنا صلى الله عليه وسلم في الشعر وقد رضينا حكمه ،
فقال : « إن من الشعر لحكمة » ، وهو الشعر المحمود ، الذي يوافق
المقصود ، وليس فيه بذاء ، ولا هجاء ، ولا ازدراء ، وكان فيه لطف بلا
سخف ، مع صدق في الوصف ، وليس فيه تبذل ولا إغراب ، ولا كذب
ولا إعجاب ، مع إشراق في العبارة ، ولطف في الإشارة ، ومتانة في
السبك ، وجمال في الحبك ، فإذا كان كما وصفنا ، وصار كما عرّفنا . فهو
السحر الحلال ، وهو فيض من الجمال ، وهالة من الجلال ، يبهج العاقل ،
وينبّه الغافل .

واعلم أن في الشعر مختارات ، وفي القصائد أمهات ، مثل المعلقات ،
وما اختاره أصحاب الحماسات .

واعلم - رحمك الله - أن في الشعر تَبَرّاً وتراباً ، وذهباً وأخشاباً ،
ولا يخدعنك قولهم : فلانٌ شاعر موارٍ ؛ فقد لا يساوي شعره ربع دينار ، فإن
من الشعر مسكاً وعنبراً ، ولؤلؤاً وجوهرأ ، يسافر إلى سويداء قلبك ويبحر ،
وينادي : إنما نحن فتنة فلا تكفر .

وفي الشعر شعير ، وروث بعير ، فيه نذالة ، وجهالة ، ورذالة ، فويل لمن
أشغل الناس ، وسوّد القرطاس ، وجلب الوسواس ، وحاس وداس ، وفي
ديار القلوب جاس ، يصيبك من شعره ثناؤب وعطاس ، ونوم ونعاس ، فإذا
رأيت . . فقل له : لا مساس ، ولا باس عليك منه لا باس .

وهذا الصنف لا يردّه عقل ، ولا يردعه نقل ، جائزته بصل وفجل ؛ لأنه

أشرب في قلبه العجل ، إذا قام أحدهم في النوادي .. صاح المنادي : هذا شاعر الحواضر والبوادي ، وبلبل النادي ، فيصدق المسكين ، قطع بلعومه بالسكين ، فيتمایل طرباً ، ويتيه عجباً ، ويقول للحضور : ﴿ لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴾ .

فإذا ألقى القصيدة ، فكأنه يأكل عصيدة ، يلوي راسه ، ويكظم أنفاسه ، كأنما يتخبّطه الشيطان من المس ، حتى ينادي الجمهور : بس بس ، فليت قارئاً يبرك على صدره ، ويضع يده على نحره ، ويرش وجهه بماء من تبسي ، ويقرأ عليه آية الكرسي .

فإذا خرج شيطان الشعر الرخيص ، وعلم أنه ليس له محيص .. قام هذا الغبي ، كأنه صبي ، لترك الأشعار ، لأهل الاقتدار ، ويقصد البيع والإجارة ، أو البناء والنجارة ، أو يصلح عقاره ، ويهجر القوافي ، لكل فصيح واف .
وليت الناس سلكوا مذهبهم ؛ فقد علم كل أناس مشربهم ، ويا من اشتغل بالأشعار ؛ عليك بالأذكار ، وإدمان الاستغفار ، والخوف من القهار ؛ فإن اللسان ثعبان ، وأمامك قبر وميزان ، ونجاة وخسران .

ولا يكن لسانك كالمقراض للأعراض ، ولا يكن كالمقباض للأغراض ؛ فإن الأنفاس تكتب عليك ، وعملك منك وإليك .

وويل لمن أطلق لسانه ، وأرضى شيطانه ، وأجرى في اللهو حصانه ، من يوم تشيب فيه النواصي ، ويندم فيه كل عاص ، ويهابه كل دانٍ وقاص .

ويا شعراء المجون ، ما لكم في الغي تلجون ، وفي النوادي تصجّون ، ولكل رأس تشجّون ، ألا عقل يردع ، ألا أذن تسمع ، ألا قلب يخشع ، ألا عين تدمع .

أشغلتكم القلوب ، وأنسيتم الناس علّام الغيوب ، ودلّتم الأمة على المعاصي والذنوب ، أشعلتم النفوس الهائجة ، أحرقتكم القلوب المائجة ؛ لأن بضاعتكم على الأراذل رائجة ، أنظنون أنه لا حساب ولا عقاب ، ولا عذاب ولا ثواب ، الموقف أصعب مما تظنون ، والمشهد أعظم مما تتصوّرون ، إذا بُعِثَ ما في القبور ، وحُصِّلَ ما في الصدور ، وفار التنور ، وقصمت الظهور ، وطار الكبر والغرور .

يا شعراء المجنون ، ويا أتباع كل غاٍ مفتون ، وهائم مجنون ؛ ويل لكم مما كتبت أيديكم ، وويل لكم مما تكسبون .

* * *

تواقيع العظماء

يقول إفريت مارتن صاحب كتاب « نم قليلاً تعش كثيراً » : إننا ورثنا عادة النوم من جداتنا .

ويقول بوناثان سويفت الإنجليزي : أفضل الأطباء في العالم ثلاثة : الدكتور روجيم وهادى ومرح .

ويقول مرسيه الفرنسي : لن تكون عظيماً إلا بألم عظيم .

ويقول جوستاف لوبون : لا يعرف العالم فاتحاً أعدل ولا أرحم من العرب .

ويقول صموئيل جونسون : النظر إلى الجانب المشرق من كل حادثة أغلى من ألف جنيه في السنة .

ويقول أولسر : أعطنا خبزنا لهذا اليوم فقط .

يقول توماس كارليل : لا تنظر لما يقع في الظلام ، بل انظر ما يقع قريباً منك .

يقول ستيفنسون : كل إنسان يستطيع أن يعيش السعادة حتى تغرب الشمس لهذه الحياة .

يقول دانتى : فكر أن هذا اليوم لن ينبثق مرة ثانية .

يقول كاليداسة الهندي : أمس ميت ، واليوم مولود ، وغداً غائب .

يقول د . جوزيف مونتاجيو - صاحب كتاب « مشكلة العصبية » - : أنت

لا تمرض مما تأكل لكن من الشيء الذي يأكلك .

يقول شكسبير : لا توقد لعدوك فرناً فتقع فيه .

يقول براندوني : لا تبك على الحليب المراق .

يقول دايل كارنيجي : لا تحاول نشر النشارة ، ولا طحن الطحين .

يقول ميلتون : إن العقل يستطيع أن يجعل الجنة جحيماً والجحيم جنة .

يقول نابليون : ملكْتُ الجاه والسلطة والفن ولم أسعد في حياتي إلا ستة

أيام .

يقول الفيلسوف أبيقور : الأفكار الخاطئة في الذهن كالورم في الجسم

يجب بترها .

يقول الفيلسوف الفرنسي مونتيني : لا يتأثر الإنسان مما يحدث ، ولكن

بتفكره فيما يحدث .

يقول وليم جيمس - أبو علم النفس - : حياتك من صنع أفكارك .

يقول شوبنهاور الفيلسوف الألماني في كتاب « دراسات في التشاؤم » :

ثمن الانتقام تدفعه أنت .

يقول الجنرال ايزنهاور : لا تضع دقيقة واحدة في التفكير في أعدائك ،

امسحهم من الذاكرة .

يقول كونفوشيوس : ليس المهم أن يُساء إليك ، المهم أن تفكر فيمن أساء

لك .

يقول أرسطو : الرجل المثالي هو الذي ينفع الآخرين ، والفاشل هو الذي

يطلب النفع من الناس .

يقول برلين : إذا ما أصررت أن تكون كما أنت ولا تقلد غيرك . . صرت

فريداً في العالم .

يقول أمريسون « الاعتماد على النفس » : التشبه والذوبان في الآخرين انتحار .

يقول بتهوفن : عاهاتنا تساعدنا على النجاح .

قال بوليثو : كل أحق يستفيد من أرباحه ، ولكن الذكي من يحوّل خسائره إلى أرباح .

قال إبراهيم لنكولن : لو حاولت قراءة رسائل الشتائم الموجهة لي . . لتعطلت عن العمل .

قال بنيامين فرانكلين : عندما تحسن للآخرين تحسن إلى نفسك .

قال فرانسيس بايكون : قليل من العلم ربما يجعلك ملحداً ، فإذا تعمقت . . آمنت بالله .

قال كارل جانج في كتابه « الإنسان الحديث في البحث عن الروح » : كل الناس مرضى إلا المؤمنين برّبهم .

قال غاندي : من دون الصلاة لأصبحت مجنوناً من أمد طويل .

قال أليكسيس كاريل ، الحائز على جائزة نوبل ، في كتابه « الإنسان ذلك المجهول » : أعظم طاقة الإنسان هي الصلاة .

قال توماس جفرسون : اعمل ما تراه صحيحاً وأدر ظهرك لكل نقد سخيف .

قال والت ويتمان : استفد درساً من عدوك أكثر من صديقك .

قال بزرجمهر : الشدائد قبل المواهب كالجوع قبل الشبع يحسن موقعه ويلذ طعمه .

قال أفلاطون : الشدائد تصلح من النفس بقدر ما تفسد من العيش ، والترف بضد ذلك .

قال أرنولد توينبي : الدعة تنافي الحضارة .

قال أزدشير : الشدة كحل ترى به ما تراه بالنعمة .

قال أبقرط : الإقلال من الضار خير من الإكثار من النافع .

قال الشاعر الإنجليزي تشوسر : التجربة تؤخذ من الكتب ، ومن ممارسة أحداث الحياة .

قال ونستون تشرشل : السياسة ابنة التاريخ ، والتاريخ ابن الجغرافيا ، والجغرافيا لا تتغير .

قالوا : لولا أن فرانسوا فولتير - الأديب الفرنسي - نقد وليم شكسبير وشهر به . . لما ذاع صيته .

قال برتراند راسل : إن روجر بيكون أخرج الفكر الإنجليزي من غياهب الكنيسة ؛ لأنه قرأ للفلاسفة العرب .

يقول كريسي مريسون - في كتابه « الإنسان لا يقوم وحده » - : إذا شككت في القدرة . . فتفكر في النحلة .

قال فيثاغورس : احفظ ميزانك من الندى ، وأوزانك من الصدئ ؛ أي : اللسان من الخنا ، والعقل من الهوى .

قال سقراط : اعرف نفسك بنفسك . ولا راحة لمن تعجل الراحة بكسله .

الحزم انتهاز الفرصة عند القدرة . والحياة من دون ابتلاء لا تستحق العيش .

حاذر عمل الشر . . أكثر مما تحاذر العذاب بسببه .

خلق الله لنا أذنين ولساناً واحداً ؛ لنسمع أكثر مما نقول .

من صح فكره . . أتاه الإلهام ، ومن دام اجتهاده . . أتاه التوفيق .

ليس من الضروري أن يكون كلامي مقبولاً ، لكن من الضروري أن يكون صادقاً .

قلة الدين ، وقلة الأدب ، وقلة الندامة عند الخطأ ، وقلة قبول العتاب . .
أمراض لا دواء لها .

قال كونفوشيوس : من يرى الصواب ولا يفعله . . فهو جبان .

عدم الرجوع عن الخطأ . . هو خطأ أكبر .

أفضل للعالم أن يوقد شمعة من أن يلعن الظلام .

من يتكلم دون تواضع . . سيجد صعوبة في جعل كلماته مسموعة .

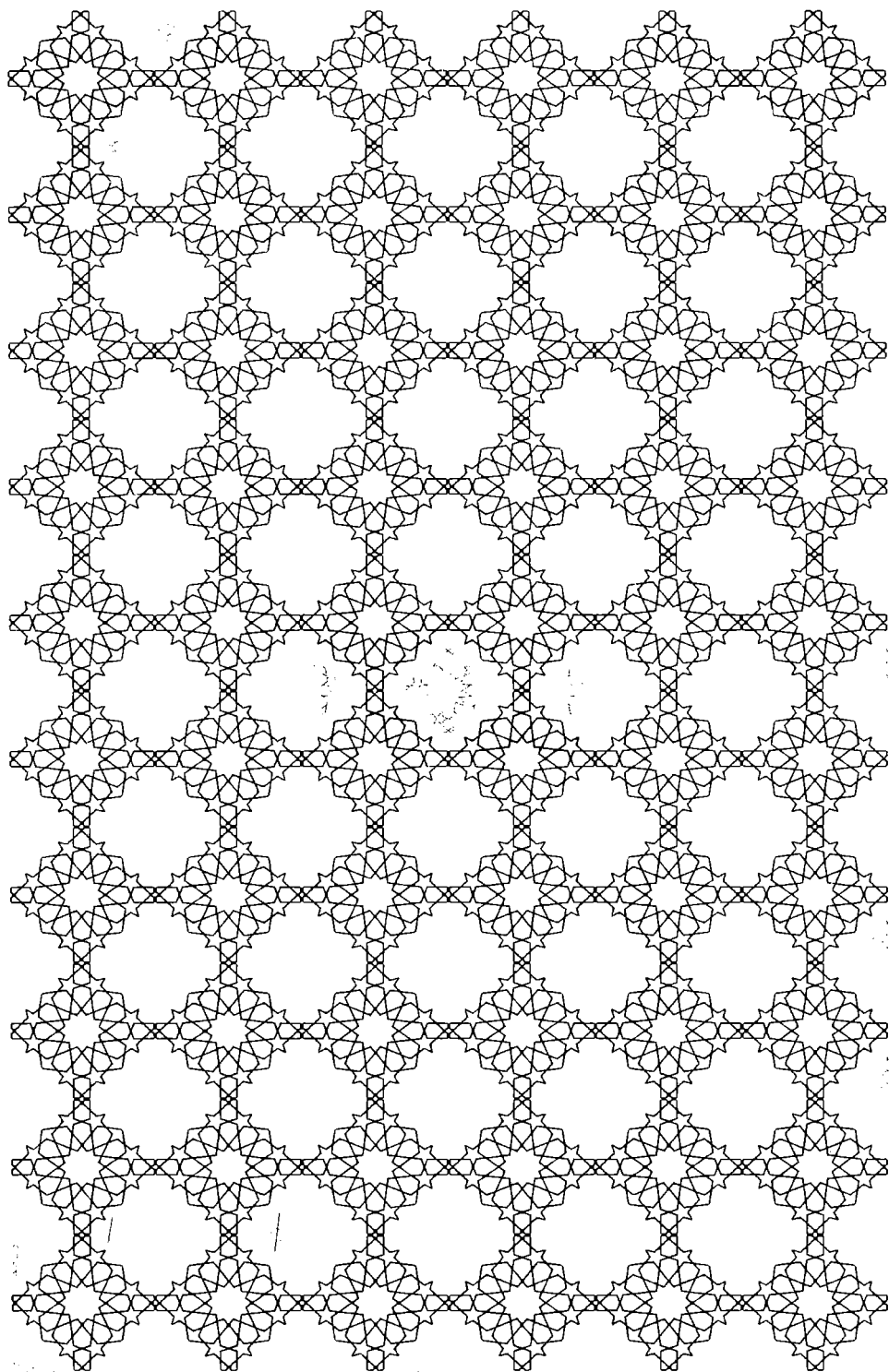
لا يهم أكانت خطواتك بطيئة ، المهم هو ألا تتوقف .

على الإنسان أن يفعل ما يعظ الناس به ، كما عليه أيضاً أن يعظ الناس بما

يفعله .

* * *

الاستعداد



ساعة الميلاد

مُذْ بَدَأَ الشَّوْطَ جَوْهَرَنَا الْحَصَى بِالْدَّمِ الْغَالِي وَفَرَدَسْنَا الْكِرْمَانَ
ولد الطفل أحمد صباح الجمعة في مدينته الجميلة بطاشقند ، وجاءت أباه
الشيخ عطاء الله البشري بابنه وهو يستعد لصلاة الجمعة ، وإذا بأخت الشيخ
شيرين تنادي أياها بالبشري بعد أن يس من الأبناء ، ووهن العظم منه ، واشتعل
الرأس شيباً ، وإذا بصوت شيرين يدب إلى غرفته ديب الماء في العود ، والبرء
في الجسد : أبشر يا عطاء! أبشر يا عطاء! رُزقت بمولود ، فما استطاع عطاء من
شدة الفرح إلا أن تنهمر دموع الفرح الباردة من عينيه ، فتتحدّر على خديه دمعتان
طاهرتان كدرتين في أذني فتاة ، ثم يلتفت إلى القبلة ، فيختر ساجداً لله .

وأقبلت أم عطاء الله شهرزاد جدة المولود أحمد تصيح وتولول وتنشد بيت
طاغور شاعر الهند : يا قلبي الفرحه مرّة واحدة وقد لا تعود فاغتنمها ،
وضمت ابنها عطاء ، فامتزج دمع الأم العجوز بدمع الابن الشيخ ، وألصقت
خدها الملوّع بهجر السنين بشبيهه المجدّد بحوادث الزمن .

وطلب عطاء الله من أمه شهرزاد أن تسمي المولود الجديد ، فصاحت : سمّه
باسم الحبيب صلى الله عليه وسلم أحمد ، فتبسم الشيخ عطاء وأنشد قول شوقي :
وُلِدَ الْهُدَى فَأَلْكَائِنَاتُ ضِيَاءُ وَفَمُ الزَّمَانِ تَبَسُّمٌ وَثَنَاءُ
وكان الشيخ عطاء يحب الأدب العربي ، وسبق أن حج وتعلم العربية من
قبل في تركيا ، وكان يعمل مزارعاً في حقول البر والعنب .

وبيت عطاء الله بيت ريفي جميل ، أمامه نهر صغير ، وحديقة ملتفة
بالأعنان والمشمش ، وكان يدعو الله دائماً أن يرزقه ابناً يحمل اسمه .
وكانت الشيوعية تحكم البلاد ، والمسلمون في اضطهاد مضايقون ؛ لأن

الشيوعية المادية تقوم على فكرة الإلحاد ، وتحارب الأديان ، فكان عطاء الله يستعير المصحف في خفية من جاره في الأسبوع مرة ، ويجمع أسرته على ضوء المصباح ، ويقرأ عليهم كلام الله ودموعه تنهمر ، ثم يفسر لهم معاني القرآن ؛ لأن الأسرة لا تجيد العربية .

أما الآن .. فأصبح المولود أحمد بهجة في بيت والده ، وزاد في الأسرة طفل ينتظر أن يقوم بأمور الأسرة مستقبلاً .

واجتمعت الأسرة على كانون النار ولهيبُ الجمر يتوقد كأنه شفق الشمس إذا دنت للغروب ، وأم أحمد تصنع خبز البر سعيدة بابنها وزوجها ، أما شهرزاد أم عطاء الله .. فبيدها سبحة تسبح بها ، وهي سعيدة بهذه الأسرة المسالمة الراضية .

وقد تركت الليالي في وجه شيرين أحاديث وقصصاً يفهمها من ينظر إلى وجهها بتأمل ، ولا يقطع صمت الأسرة إلا ثغاء الأغنام في المزرعة ، أو صياح الدجاج ، أو صوت المؤذن إذا حانت الصلاة في المسجد المجاور الذي تختفي منارته خوفاً من الجنود الحمر ، والأسرة راضية بالكفاف ، ليس لهم ما يشغل قلوبهم من الغنى الطاغي ، ولا الفقر المجحف ، فهم يعيشون كل يوم بيومه كما يقول الشاعر السعدي الشيرازي : إذا ملكت رغيفاً وكوز ماء وثوباً .. فيا دنيا اغربي عني بوجهك القبيح .

بسمه الطفولة

وَيَا بَسْمَةَ الْأَطْفَالِ أَيُّ قَصِيدَةٍ تُوفِّي جَلَالَ الطُّهْرِ لَحْنًا مُرْتَمًا
وبدأ الطفل أحمد ينمو نمو العصفور في الروض ، كلما لمحّه أبوه وأمه ..
أطلق من شفثيه بسمه حانية وديعة كأنها تبشير الصباح ، وكأنه ليس في الحي

إلا أحمد ، وكلهم اعتناء واحفاء بأحمد ، وكانت أمه ترقصه على نشيد مولانا
جلال الدين الرومي :

صَغِيرِي نَمْ عَلَى أَحْشَاءِ قَلْبِي مُنِيرَ الْقَلْبِ يَغْلُو كُلَّ عَرْشِ
وأخذ الشيخ عطاء يحمل أحمد ويداعبه ويحدثه أحاديث الطفولة وهو
يضحك ولا يعرف شيئاً من الحديث ، وجدته تعوّذه وتقرأ عليه المعوذات
وتقول : حصّنتك من العين ومن همزات الشياطين .

وأخذ أهل الحي ينادون الشيخ عطاء : يا أبا أحمد ، فيعظم سروره ،
ويرى أن حياته أكثر سعادة ورضاً ، ويحبو أحمد فيود أبوه لو حبا على قلبه ،
ومشى على أضلاعه .

وتمر الأيام سريعة وأحمد ينمو نمواً ممتازاً ، عليه براءة الطفولة ، ومخايل
الذكاء ، ولما بدأ يمشي . . ذهب إلى الروض القريب يطارد الفراش ، ويعبث
بالعشب ، ويلعب في الغدير ، وجدته تصيح من باب الدار : حفظك الله
يا أحمد من عيون الحساد .

وفي يوم من الأيام تأخر أحمد عن البيت ، وسأل عنه أبوه ، وأخذت أمه
تناديه ولا مجيب لها ، وبدأ القلق ، وتسابق الوالدان إلى الروض يبحثان عن
أحمد ، ويناديانه باسمه في خوف واضطراب ، وبدأ الليل يزحف بظلامه كالسيل
الجارف ، ويغطي الدنيا بعباءته السوداء ، وسمع الجيران أصوات والذي
أحمد ، فأسرعوا يبحثون معهم وبأيديهم قناديل الزيت ، وذهب وقت العشاء ولم
يجدوا أحمد ، وبدأ البكاء على أحمد ، وضافت الدنيا على أهله بما رحبت .

أما العجوز . . فبقيت تبكي في البيت وقد استقبلت القبله تدعو ربّها أن يرد
أحمد ، ومضى الليل والقرية كلها في حركة وقلق وترقب تبحث عن أحمد ،

وأخذ الجيران يشاركون أهل أحمد البكاء ، وأخذت الظنون تتسرب إلى النفوس تسرب السم في الجسم والأسرار في القلوب ، فمنهم من اتهم الذئب بأكله ، وقالوا : ربما مرَّ بالمزرعة قطاع طريق فسرقوه ، ومنهم من شك في أنه سقط في البئر ، وكثر اللغط ، وإذا بصوت يشق الظلام فيه البشري : وجدناه وجدناه ، فإذا بأحمد نائم في غرفة راعي الأغنام في مزرعة الجيران ، وحلت البشري على الأهل حلول المطر الهنيء على الأرض المجذبة .

ونذر أبو أحمد ليذبحن عجلاً سميناً بهذه المناسبة ، وضم الشيخ عطاء ابنه أحمد ، ثم احتضنته أمه ، ثم ذهبوا به إلى جدته ، فانكبت عليه تقبله وتبكي بكاء السرور .

وفي الليلة الثانية اجتمع الجيران ، وذبح الشيخ عطاء أبو أحمد عجلاً سميناً ؛ وفاءً بنذره شكراً لله لعثورهم على أحمد وسلامته ، وجلس الرجال في طرف البيت والنسوة في الطرف الآخر ، والنار تتوقد والقدر يغلي بلحم العجل ، والشيخ عطاء يشوي بعض اللحم على الجمر الملتهب كأنه حدود الغواني ، ودخان النار يتخلل لحيته البيضاء ، ونكات الجيران وضحكهم يرتفع ، ومعهم شيخ القرية وأكبرهم سناً الشيخ مجد الدين متقي يقص عليهم أخبار الأولين وأحاديث الأجداد ، والحليب بالزنجبيل يدور في أكواب خشبية ، فتمتزج رائحة الشواء بالزنجبيل بالمرق في ليلة مريحة طيبة في كرم ضيافة ، وحسن سمر ، وخفة أرواح .

وبعد العشاء قام الشيخ مجد الدين متقي فقرأ (سورة الفاتحة) ، ورفع يديه ودعا ، وتلا كفارة المجلس ، وودع الضيوف أهل البيت في إكرام وحفاوة .

أول يوم في المدرسة

﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ العلم يُجلس الصعلوك على أسرة الملوك .

ذهب الشيخ عطاء بابنه إلى المدرسة بعد أن ألبسته أمه وطيبته ودعت له ، وفي الطريق أخذ الأب يقول لابنه أحمد : يا بني ؛ أريدك أن تكون مؤدباً ، مجتهداً في الدراسة ، تحترم أستاذك وزملاءك ، وتكون رجلاً صالحاً ، نبيلاً ، قدوة لأهل قريتك ، وأجاب أحمد : أبشريا أبت .

ودخل الشيخ عطاء بأحمد إلى مدير المدرسة ، فرحّب بالشيخ وبابنه ، وأخبرهما أن المدرسة تعلم الطالب أربع مواد؛ الخط ، والإملاء ، والرياضة ، والرسم في السنة الأولى ، وأن أجرة الدراسة في العام مئة دينار ، فوافق الشيخ . وذهب المدير إلى الفصل ، وسلم على الأستاذ ، وأجلسوا أحمد على كرسي الدراسة بين الطلاب ، واندفع الأستاذ يشرح لهم كيف يكتب الألف ثم يرسمه على السبورة ثم ينطقه ، ويردد معه الطلاب ، وأحمد جالس في إنصات عليه لباس أطفال القرية ، وعلى رأسه عمامة بيضاء صغيرة ؛ لأن المدرسة تعلم الإيمان والسيرة ، ولهما صلة بدعوة الأستاذ جلال الدين الرومي ، والشاعر السعدي الشيرازي ، التي تقوم دعوتهما على توحيد الله ، ونشر الفضيلة في الناس ، وبث روح الإخاء في البشر .

وبعد حصة الخط . . دخل أستاذ الرسم ، فرسم وردة الياسمين بالطبشورة على السبورة ، وأخذ يصف شكلها وجمالها ، ثم وقف فقال : أتدرون من الذي زينها وأبدع خلقها ؟ فسكت الطلاب ، ورفع أحمد إصبعه ثم قال : الله خالقها ومبدعها ، فشكره الأستاذ وسأله : أين الله ؟ فأشار بسبابته إلى السماء ، قال الأستاذ : صدقت ، الله في السماء . مستو على عرشه سبحانه .

ثم رسم الأستاذ صورة جبل شاهق يشقه نهر ، ثم سأل الطلاب : أي جبل هذا ؟ فلم يجبه أحد ، فدمعت عينا الأستاذ وقال : هذا الجبل سكنه آبائي من قبل ، ثم طردنا منه الغزاة المغول ، فخرجنا هاربين إلى طاشقند ، وأنا أحن إلى موطني ، ومن لا يحب وطنه . . فليس بوفي ، وحب الوطن من الإيمان .

ثم انتهت حصّة الرسم ، وخرج الطلاب لتناول طعام الإفطار في مطعم المدرسة ، وإذا بطالب منزو وحده ليس عنده ما يشتري به الإفطار ، فتقدم إليه أحمد وسأله : لماذا لا تفطر معنا ؟ قال : أنا يتيم ولا أتناول في اليوم إلا وجبة واحدة ، فتأثر أحمد ، وجلس بجانب هذا الطالب اليتيم يسأله برحمة وشغف ، وسأله : كيف مات والدك ؟

فقال : سافر أبي وأمي في القطار المار من طاشقند إلى سمرقند وتركاني مع جدتي ، وفي الطريق اصطدم القطار بسيارة مارة ، فتحطّم ومات غالب الركاب ، ومنهم أبوي ، وبقيت مع جدتي على مرتب المعاش الزهيد ، فقام أحمد ، وأخذ من جيبه ديناراً ووضعها في يد الطالب اليتيم ، ووعدته خيراً ، وقام اليتيم واشترى إفطاراً ، وأخذ يلتهم الطعام التهام الجائع الذي بلغ به الجوع الغاية ، ثم عاد أحمد مع زملائه إلى الفصل ، وأكملوا الدراسة حتى الظهر ، وإذا بصوت الصافرة مؤذنة بانتهاء الدراسة ، فهب الجميع إلى بيوتهم .

حريق يلتهم بيوت القرى

طَبِعْتُ عَلَى كَدَرٍ وَأَنْتَ تَرِيدُهَا صَفَوْا مِنَ الْأَقْدَاءِ وَالْأَكْدَارِ
كانت بيوت القرية من الأخشاب والقش ، وكان أهل القرية يجمعون أكوام الزرع اليابس والحشيش بجانب البيوت لحيواناتهم .

وفي صباح يوم كئيب عصيب شبت نار في أحد هذه الأكوام ، ثم اندلعت النيران في بعض البيوت ، ثم أخذت تكبر حتى أتت على غالب المنازل ، ويهب الناس من بيوتهم مذعورين ، وارتفعت الأصوات ، وعلت أعمدة النيران والدخان في سماء القرية ، وأخرج الطلاب من فصول الدراسة خوفاً على حياتهم ، وصاح بعض الناس بأهل القرية : أن اخرجوا من بيوتكم فالنار زاحفة عليكم ، وكثرت الضوضاء ، وعمّ الخوف .

وهذه النار عدو لا يرحم ؛ فهي أشبه بوال غشوم جبار لا يفرق بين الصالح والطالح ، وحاول الناس إيقاف النار بصب الماء أو نثر التراب على أطرافها ، ولكن هيهات ؛ فأعمدة النار كقوس قزح ، ودخانها كغمام أسود ، والريح تساعد النار على سرعة الانتشار ، وأهل القرية كباراً وصغاراً مجتمعون ينظرون إلى هذه الداهية الدهيئة تعصف ببيوتهم بما فيها من متاع وفرش وملابس .

وبعد أكثر من ساعتين من الزمن أقبلت سيارات الإسعاف من مدينة طاشقند الأم تشق طريقها في أصوات الإطفاء والنجدة ، وأخذت تفرغ ماءها عبر خراطيم من البلاستيك القوي النافذ ، وأخذت النار تهدأ وتطفأ أمام سيل هائل من الماء المندفع بقوة على الحريق ، كما أخذت تذوي وتضعف شيئاً فشيئاً حتى سكنت بعد ما خلقت دماراً في البيوت ، وخسارة في أموال أهل القرية .

وقام شيخ القرية مجد الدين متقي فألقى كلمة في أهل القرية عزّاهم فيها ، وأخبر أن ذلك بقضاء وقدر ، وطالبهم بالصبر واحتساب الأجر .

وأقبلت سيارات تحمل خياماً وطعاماً من المدينة ، وأخذ العمال ينصبون الخيام لمن فقد بيته ، وعادت الحياة رويداً رويداً إلى القرية ، ونجا أهل القرية

من الحريق ، غير أن غالبهم خسروا ما يملكون من بيوت الأخشاب مع متاعهم المتواضع في البيوت ، ولكن ماذا يفعلون :

فَطَبَّ نَفْسًا إِذَا وَقَعَ الْقَضَاءُ فَمَا لِحَوَادِثِ الدُّنْيَا أَنْتَهَاءُ
عادوا من جديد للحياة ، وأخذوا يبنون بيوتهم ، يبدأون بها بيتاً بيتاً وهم ينشدون قول الشاعر أكرم شاه :

سَنَعُودُ لِلْحَيَاةِ مِنْ جَدِيدٍ بِهَمَّةٍ فِي قُوَّةِ الْحَدِيدِ
فالرجال يقصون الأخشاب ، والنساء يقربن الطين ، والأطفال يحملون التبن وينشدون مع الكبار ، وبعضهم يصنع خبز البر والمرق مع الحليب .
فلما انتهوا من البناء ، وأعادوا ما تبقى من أثاث . . صنعوا وليمة كبيرة ، ومهرجاناتاً حافلاً لأهل القرية ، وبدأ الطفل أحمد الحفل بتلاوة أول (سورة الفتح) ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ .

ثم تكلم الشيخ مجد الدين متقي ، فحمد الله على قضائه وبارك لأهل القرية همتهم وصبرهم .

ثم أشد الطلاب أشودة : (أقبل الفجر) للشاعر السمرقندي ، والتي من أبياتها :

مَرْحَبًا بِأَلْفَجْرِ يَا نُورَ الْأَمَلِ قَدْ لَقِينَاكَ بِجِدٍّ وَعَمَلٍ
ثم قام الرجال يؤدون العرضة في صفين ، والشيوخ والأطفال ينظرون مبتهجين .

ومتوت الجدة شهرزاد

مشكلة الحياة قلة الوفاء ، وتعكير الصفاء ، فهي تفرق بين الحبيب وحبيبه ، والابن وأبيه ، والأخ وأخيه ، كما قال ابن عطاء الله السمرقندي :

يا نفس ؛ استعدي بدمع غزير ليوم الفراق ؛ فإن نعوش الأحباب تصنع ،
وقبور الأوفياء تحفر ، ولا بد من تجرع كأس الفراق .

وبدأت جدة أحمد شهرزاد بالرحيل إلى الآخرة بمرض أقعدها عن
الحركة ، ثم اشتدَّ بها ، ونادت ابنها عطاء الله وحفيدها أحمد وزوجة ابنها
شيرين ، وقالت : سامحوني ، وإذا مت .. فاذبحوا بقرة ، ووزعوا لحمها
على الفقراء ، ومزرعتي وقف على الأيتام ، ولا تنسوني من الدعاء .

ثم أخذ الموت ينسل إلى أعضائها كالنعاس في الجفون ، وهي تحرك
إصبعها وتشير إلى السماء ، وتردد : أشهد أن لا إله إلا الله ، ثم تلفظ أنفاسها
البريئة كأنها قطرة ماء عذبة من فم القربة ، ويبكي الشيخ عطاء وابنه أحمد
وزوجته شيرين ، ويوجهونها للقبلة ، وينادون مغسلة الأموات الحاجة
افتخار ، وهي عجوز صالحة تغسل الأموات لوجه الله ، معها أكفان مطيبة ،
وحنوط ، وكافور .

ويحضر الجيران للصلاة على شهرزاد ، ويشيعونها إلى المقبرة ، وتوضع
بجانب قبر والدها الحاج حسين شمس الحق وكان خطيباً وحكيماً ومشهوراً
بالجود ، وها هو الموت يضع المغمور بجانب المشهور ، والفقير بجوار
الغني ، والملك بجانب المسكين ، كما قال الشاعر العربي :

أَتَيْتُ الْقُبُورَ فَنَادَيْتُهَا أَيْنَ الْمَعْظَمُ وَالْمُخَفَّرُ ؟

وكما قال الشيخ السرهندي : إن ظاهر القبور واحدة ، ولكن العجائب في
الداخل ؛ فإما روضة جنة ، أو حفرة نار .

وعند قبر شهرزاد قام الشيخ مجد الدين متقي ، فوعظ الحضور ، وبكى
وأبكى ، ثم قال : ولكن أقول كما قال مولانا جلال الدين الرومي : أيها

الميت العزيز الغالي عليّ ؛ مما يخفف مصيبتني بفراقك أننا سوف نلتقي قريباً ،
وعادت الأسرة والجيران من المقبرة ، وتركوا الجدة شهرزاد في قبرها ،
وهذا شأن الحياة ، تدفن أعز حبيب عليك ، ثم تحثو عليه التراب ، وتعود
إلى بيتك كأن شيئاً لم يكن .

ونامت الأسرة تلك الليلة ، وفي وسط الليل قام الشيخ عطاء من نومه
مذعوراً خائفاً يقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، فتستيقظ زوجته شيرين
وابنه أحمد ويسألانه : ماذا حدث ؟ فيقول : رأيت أُمي في المنام في منظر
طيب ووجه مشرق ، وتقول لي : أبشرك أن عملي صالح ولكن أرجوك أرحني
من الذهب الذي تركته في محفظة بصندوق عند رأسي في غرفة نومي .

وفي الصباح سأل ابنها شيخ القرية مجد الدين متقي عن تفسير الرؤيا فقال :
خير إن شاء الله ، هي امرأة صالحة وعلى خير ، ولكنها ما كانت تزكي كنزها
من الذهب ، فأرى أن تتصدق به عنها ، وتدفعه للفقراء .

ثم بكى الشيخ مجد الدين متقي وقال : هذا حال الدنيا ، نجمع الكنوز
ونحفظها ، ثم نحاسب عليها ، كما قال أبو معاذ الرازي : ما أشد مصيبتك
يا ابن آدم عند الموت ، تخسر مالك كله ، وتحاسب عليه كله .

ثم قال الشيخ : الذهب والتراب بعد الموت سواء ، لكنك قد تعذب
بالذهب بخلاف التراب .

وجلس أحمد يتذكر جدته وهي تضمه وتقبله ، فأخذت دموعه تعبّر وهو
صامت ، والذكريات تمور بداخله ، وهو ينظر إلى سرير جدته وقد أصبح
فارغاً ، ثم يلمح شرفها وسجاداتها وطبيها ، فيجهش بالبكاء ، ويتذكر
كلمات الإمام فضل الله النورمندي : يا مجالس الأحباب ، أنت أعظم عبرة لنا

بعد فراقهم ، كيف ننساهم وكل شيء يذكرنا بهم ؟ وإذا كان حبيبك مثل قلبك . . فهل في العالم أحد ينسى قلبه ؟

ثم يرفع أحمد يديه الصغيرتين الطاهرتين ويدعو : اللهم ؛ ارحم جدتي برحمتك الواسعة ، فجوارك خير من جوارنا ، ودارك لأوليائك أفضل من دارنا ، ثم يعقد النية أن يتصدق عنها كل يوم رغيفاً ، كما قال ابن سطاتم : رغيف تضعه في كف جائع أفضل من كنوز كسرى أنوشروان في صناديق .

بين موحد وملحد

أفي الله شك فاطر السماوات والأرض ؟
اللهُ رَبِّي لَا أَرِيدُ سِوَاهُ هَلْ فِي الْوُجُودِ حَقِيقَةٌ إِلَّا هُوَ ؟
في يوم عاصف دخل أستاذ الرياضة على الطلاب في الفصل وفيهم أحمد ، وكان هذا الأستاذ عضواً في النادي الشيوعي السوفيتي ومؤمناً بفكرة الإلحاد ؛ لا إله والحياة مادة ، وتصدر منه كلمات ضد الإيمان بالله ، لكن في هذا اليوم أخذ يصرح ويحاور وينظر لفكرته ، وكان المفترض عليه أن يخرج الطلاب في حصة الرياضة لممارسة التمارين الرياضية ، ولكنه اليوم آثر أن يدخل في نقاش مع الطلاب ، وكان فيه من الصلف والوقاحة ما الله به عليم ، فأقام طالباً داغستانياً وسأله : أين الله ؟

فقال الطالب : الله في السماء .

قال : هل تؤمن به ؟

فقال الطالب : نعم .

قال : هل رأيته ؟

قال : لا ، لكن عرفته بمخلوقاته وآياته ، فقال الأستاذ : كيف تؤمن بشيء وما رأيته ؟

قال الطالب : ليس يا أستاذ كل شيء لم نره معناه العدم ، فأنت تؤمن بالعقل وما رأيت العقل .

فأعرض عنه الأستاذ مغضباً والتفت إلى أحمد وسأله باستهتار : قم يا مولانا أحمد ، أتؤمن بوجود الله ؟

قال أحمد : نعم ، لا إله إلا هو .

فقال الأستاذ : وما دليلك على وجوده ؟

قال : يا أستاذ ؛ لو رأينا بيتاً مشيداً . . ألا يدلك على أن له بانياً بناه ؟ قال الأستاذ : بلى .

قال أحمد : ولو رأينا يا أستاذ لوحة جميلة . . ألا تدل على أن لها رساماً ؟ قال الأستاذ : بلى .

قال : فهذا البناء العظيم في الكون والخلق العجيب الجميل ليس له موجد وخالق ؟ فأعرض الأستاذ مغضباً ، فقال : اجلس ؛ فأنت وزملاؤك على خرافات الأولين .

وعاد أحمد إلى أبيه وأخبره بما جرى ، فقال له أبوه : يا بني ؛ هذا وأمثاله فروخ للشيوعية الحمراء ، وهم أعضاء في حزب بندريوف الاشتراكي ، ولا يؤمنون بالله ، وهم يحاربون الدين ، ولا عليك منهم ، ففكرته منبوذة ؛ لأنها تخالف الفطرة والعقل والشرع ، ولولا أن هؤلاء لهم من يحميهم من الحاكم المحلي الأجير العميل لموسكو . . لطردناهم ، ولكن ها هم من عشرين سنة لم يؤمن بفكرتهم أحد .

ووالله ؛ إن جدتك شهرزاد رحمها الله أكثر فهماً منهم ، وأكبر عقلاً ؛ لأنهم خالفوا المنطق والبرهان ، وكابروا ، وأضحكوا عليهم الأطفال ، وها هو الأستاذ الأحق قد غلبته أنت وزميلك ، وليس عنده دليل ولا حجة .

وزيادة على ذلك يا بني : هذه مذكرة للفيلسوف العظيم والمفكر الكبير سخروف ، ذكر فيها أن هذا الكون له مبدع حكيم وخالق عظيم ، فنفاه الحزب الشيوعي بعدها إلى صحراء سيبيريا ، والله يا بني ؛ إن حماري هذا الأشهب الأجرب أذكى من أستاذك الشيوعي .

يا بني ؛ هل تسمع بإنشتاين مكتشف النظرية النسبية ؟ قال أحمد : لم أسمع به ، قال : فإنه ذكر في مذكراته وهو عبقرى لامع : أن من ينظر إلى الكون . . . يعلم أن مبدعه عظيم حكيم لا يلعب بالنرد سبحانه ، وقد أرسل لي يا بني بعض أصدقائي العرب مقالة للكاتب أحمد حسن الزيات في مجلة الرسالة يقول فيها : إن الشيوعية أرض بلا سماء ، ويوم بلا غد ، وعمل بلا خاتمة ، وسعي بلا نهاية ، إنها خرافة لكنها تافهة ، ولعنة لكنها ماحقة ، وكذبة لكنها كبرى .

يا بني ؛ لقد حدثني الحاج ولي الله مرتضى : أن أحد الشيوعيين في العراق ذهب إلى مزارع كردي مسلم ، فوجده يصلي ، فقال له : ما الدليل على وجود الله ؟ فقال المزارع : عندي دليل قوي ، قال : ما هو ؟ فأخذ المزارع فأسه وفلق به رأس الشيوعي فخرَّ ميتاً ، وصاح المزارع : هذا هو الدليل على وجود الله تعالى .

وقد ترجم لي الأستاذ عناية الله جزءاً من كتاب العقاد « مذاهب ذوي العاهات » فوجدته يستهزئ بالشيوعية الملحدة ويقسم إنهم معاقون عقلياً وحمقى ، وصدق والله .

ليلة مع التاجر البخيل

لا تنظر في وجه البخيل فيقسو قلبك .

جُودُ الرِّجَالِ مِنَ الْأَيْدِي وَجُودُهُمْ مِنَ اللِّسَانِ فَلَا كَانُوا وَلَا الْجُودُ

في مساء ليلة وفد على بيت الشيخ عطاء وابنه أحمد تاجر يركب حصاناً أدهم عليه متاعه وحقائبه ، فقصدهم ؛ لأنه لا فنادق في القرية ، فرحّب الشيخ عطاء به وهلاً وسهلاً ، وأنزله في بيته ، وربط حصانه ، وأنزل متاعه وحقائبه ، فترل هذا التاجر واسمه جواهر مزار ، وصنع له أهل البيت طعاماً لذيذاً من الخبز واللحم والحساء والحليب ، وهو مشغول يعدّد دراهمه ، يخرجها من كيس ويضعها في آخر .
فلما قدموا له العشاء . . أقبل عليه بنهم وشره ، وأقسم بالله أنه ما ذاق الطعام منذ ثلاثة أيام .

فقال الشيخ عطاء : كيف تبقى جائعاً ثلاثة أيام وعندك مال والأسواق في طريقك ؟

قال التاجر : هذا صحيح لكن الغلاء فاحش ورغيف الخبز بدرهم ، من يصدق هذا ؟ وكيло اللحم بخمس دراهم ، والله ؛ لو مات الإنسان جوعاً . .
لكان أهون عليه من أن يضحك عليه بهذه الأسعار ، حتى حصاني اشتريت له حزمة برسيم قبل ثلاثة أيام بدرهمين كأنها قطعت من قلبي ، ولو أننا أطعنا هؤلاء الغشاشين . . صرنا مثلهم .

ثم أخرج هميان وسطه ممزقاً فيه دراهم قديمة ، فعدها وأعادها مكانها ، وأغلق عليها بسحاب ، وشدها بحزام ، ولبس الهميان ، وأخذ حذاءه ، فوضعها عند رأسه ، وفيها عشرات المسامير ، ثم قال لصاحب المنزل : هذه حذائي لها معي سبع سنوات ، وأين أنا من أهل الاقتصاد مثل تاجر في بلدنا مقتصد بقي معه

حذاؤه خمسة عشر عاماً ؟ لكن نعوذ بالله من الإسراف ، حتى أبنائي سألوني من سنة كل واحد منهم حذاء ، فمنعتهم ؛ فالحذاء الواحد بستة دراهم ، وقلت لهم : أنتم لستم خيراً من مولانا إبراهيم بن أدهم الزاهد العابد ، عاش ستين سنة حافياً بلا حذاء ، لكن قاتل الله التبذير ، وحب الدنيا ، ومظاهرها الكاذبة .

فقال الشيخ عطاء للتاجر البخيل : وماذا تريد بالمال الذي تجمعه إذا كنت في هذه الحالة البائسة ، وحصانك هزل من الجوع ، وأبناؤك حفاة جياع عراة ، وأنت تكدس الدراهم ؟

فقال التاجر : يا شيخ ؛ المال عزّ ، ولو أنفقت أموالي في شراء الأحذية والثياب والطعام .. صرت فقيراً شحاذاً ، وعند الأفغان مثل يقول : الفقر عضني بنابه ، فحلفت لو ملكت درهماً .. لدافعت عنه بنابي .

قال الشيخ عطاء : قبح الله مالاً يجعل الإنسان خادماً له ، محروماً من الاستفادة منه ، عبداً لثروته ، مقترأ على نفسه .

ثم نام التاجر ولم يخلع ثوبه خوفاً عليه ، وفي الثوب سبع عشرة رقعة من طول ما لبسه التاجر .

أما الشيخ عطاء .. فجلس مع ابنه أحمد وزوجته شيرين يتعجبون من هذا التاجر الشيخ البخيل ويدعون الله : ألا يجعلهم خدّاماً للثروة ، عبيداً للمال ، وتف وأف على الدراهم إذا أذلت صاحبها ، وأزرت به ، وجعلته مصدر التهكم والسخرية من الناس .

حفل التخرج من السادسة

تخرّج أحمد بن عطاء الله مع زملائه من السادسة بمدرسة القرية ، وكان هو

الأول على زملائه ، وعمل حفل في المدرسة مسائي ، وحضر الآباء ، وبدأ الحفل بتلاوة القرآن ، ثم نشيد المدرسة من قصائد محمد إقبال ، ومنها :
إِذَا الْإِيمَانُ ضَاعَ فَلَا أَمَانٌ وَلَا دُنْيَا لِمَنْ لَمْ يُحْيِ دِينًا
ثم ألقى مدير المدرسة محمد برهان كلمة نوّه فيها بجد الطلاب ، وشكر الطالب الأول على مستوى المدرسة أحمد بن عطاء ، ووصف نبوغه ، وأبو أحمد الشيخ عطاء يستمع وقد غمره السرور ، وهو يقول في نفسه لولده :
أعيذك يا أحمد بكلمات الله التامات .

ثم دعا والد أحمد الشيخ عطاء ليلقي كلمة الآباء ، فخنقته العبرة فرحاً وسروراً بنجاح ابنه بامتياز ، وأثنى على المدرسة مديراً وأساتذة .
وبعدها قام أحمد يرتجل كلمة الطلاب ، فخلب الألباب ، وأدهش العقول حيث إنه حفظ كلمته عن ظهر قلب ، وأخذ يلقيها بشجاعة ونبرة عالية وإلقاء مؤثر ، ثم ختمها بقوله : ربي ؛ اجعلني من خدام دينك ، وأنصار ملتك ، فبكى الحفل من روعة الكلمة وأسرها وسحرها ، وأخذ الشهادة من المدير ، وعاد مع أبيه ، وإذا أمّه شيرين تنتظره ، فلما رآته .. ضمّته بحرارة ودموعها تنهمر وهي تقول : يا قلبي ؛ رفعت رأسي بين الناس .

وصار أحمد في القرية نجماً لامعاً لذكائه وحفظه وأدبه ، وإذا مرّ في سوق القرية .. أشاروا إليه وقالوا : هذا أحمد بن عطاء الله ؛ لأن الناس يعشقون الفضيلة ، ويحبّون المتميّز ، ويكرهون الغبي البليد ، فالنفوس مفضولة على تمجيد النبوغ ، والميل للتفوق ، وكما قال الرئيس الأمريكي الأسبق إبراهيم لنكولن : إذا نجحت .. خضع لي الكل ، وإذا فشلت .. فلو شهدت لي الملائكة ما صدقني أحد .

ويقول مصطفى أمين كاتب مصر اللامع : العظمة قطرات من الدموع والدماء والآهات والزفرات .

ونعود لأحمد وأسرته ؛ فقد أقام الوالد حفل عشاء تكريماً لابنه وفرحاً بنجاحه ، وقرأ أحمد (سورة الإنسان) بصوته الشجي الندي ، فبكى الرجال والنساء ، ثم سأل شيخ القرية الطالب أحمد عن أمنيته في الحياة ، فأشار أحمد بسبابته إلى السماء وقال : أن أكون عبداً لله مخلصاً صادقاً .

وكان أحمد يلقي في المسجد كلمات قصيرة عن الإيمان والأخلاق ، فيدعوه له أهل المسجد ، وربما صلى بهم إذا غاب الإمام .

وكان أحمد يمر بأطفال القرية وهم يتضحكون ويسخرون من المارة ، فيقول : هذا لا يليق بكم ، هذا يخالف الدين والمروءة ، وهذا يسيء لسمعة قريتنا .

وسأل الشيخ عطاء ابنه أحمد : ما هي الهدية التي يريدها ؟ قال : أنا حبي للكتاب لا نهاية له ، فشرى له كتاب « رسالة المسترشدين » للمحاسبي ، و« صيد الخاطر » لابن الجوزي ، و« كليله ودمنة » ، و« ديوان السعدي الشيرازي » ، فأقبل عليها يلتهمها ويكاد يحفظها ، ويكرر ألفاظها ، ويستحضر معانيها ، وهذا من توفيق الله له ؛ لأن الكتاب خير جليس في الزمان ، وكما قال المأمون : أعظم الأُنس التمتع في عقول الرجال .

وقال الفارابي : ليت لي بعدد حجارة بلخ كتباً ، ولي كعمر نوح ، وأجعل أيامي كلها قراءة .

ولكن الأغبياء والبلداء لا يحبون الكتب ، ولهذا بقوا أصفاراً في الحياة .
وذهب أحمد مع أبيه لزيارة قبر جدته شهرزاد ، فبكيا ودعوا الله لها

بالمغفرة ، ثم التفتا إلى القبور ، فإذا صمت مطبق ، فتذكر بيت المتنبي عن الأموات :

خُرُسٌ إِذَا نُودُوا كَأَن لَّمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الْكَلَامَ لَهُمْ حَلَالٌ مُّطْلَقٌ

ثم قال أبو أحمد : هذه هي الحياة يا بني ، عش ماشئت ، واجمع ما أردت ، ثم النهاية هنا ، كما قال مولانا شمس الواعظين : أنا إذا زرت القبور . . هانت في عيني الحياة ، ورخصت عندي الدنيا ، ونظرت إلى الأحياء ، فإذا هم أشبه بأناس في فيلم لمسرحية عابثة ، عندها قال أحمد : يا أبت ؛ ليس لنا إلا أن نحسن في هذه الحياة ، ونجتنب الشر ، ولا ننخدع بالمظاهر الكاذبة ، فقال أبوه : صدقت زادك الله توفيقاً ، ثم خرجا من المقبرة ، ووجدوا لوحة كبيرة مكتوباً عليها :

وَسَلَّاطِينُهُمْ سَلَّ الطَّيْنِ عَنْهُمْ وَالرُّؤُوسُ الْعِظَامُ صَارَتْ عِظَامًا

ويموت الوالد فجأة

من الذي عنده عهد بالسلامة من الآفات والنجاة من الموت ؟ لا أحد .

في عصرية طيبة الهواء ، علية النسيم ، جلس الشيخ عطاء وزوجته شيرين وابنهم أحمد في حديقة البيت ، بين شجر اللوز والمشمش ، والماء له خرير وأصوات الطيور تملأ الفضاء ، والسحاب يغطي سماء القرية ، وقطرات الرذاذ تنهمر على ورق التوت كأنها دموع الأحباب ساعة الوداع .

وبينما أحمد يصب الشاي لوالديه وأبوه متكئ على مخدة من ليف النخل وإذا برأس والده يميل رويداً رويداً وكوب الشاي يسقط من يده ونفسه تطرد ، ثم يضع رأسه على المخدة ، ويشير بإصبعه إلى السماء ، ويردد : أشهد أن

لا إله إلا الله ، وأحمد وأمه ينظران في ذهول واندهاش ، يا رب : أحلم هذا أم حقيقة ؟ ثم يلفظ الشيخ عطاء أنفاسه الأخيرة ، وهو يتمتم بصوت ضعيف خافت : وداءااا وداءااا ، ثم يموت ، فيقفز أحمد ويضع يده على صدر أبيه وإذا هو ميت لا حركة ولا نبض ، فيضع رأسه على رأسه ويجھش بالبكاء ، وتضع شيرين يدها على زوجها وعيناها تفيض بالدمع ، ثم يسجيانه بثوب كان يصلي فيه وأوصى أن يدفن فيه ، ونادوا أحد الصالحين لتغسله ، وفاحت رائحة البخور مع صوت تلاوة القارئ بـ (سورة يس) ، واجتمع أهل القرية لحفر قبر الشيخ عطاء ، وجلس أحمد في ذهول ينظر لآلات الحفر وهي تنثر تراب القبر ، ومرت في ذهنه الذكريات :

الله ، أيتها الحياة ، ضحك وبكاء ، اجتماع وفراق ، سرور وحزن .
الله ، أيتها الحياة ، لا حبيب يبقی ، ولا عيش يصفو ، ولا أحد يخلد ، ننسى نهايتنا في غمرة الحياة ، ثم يفاجئنا الموت ليعلن نهاية قريب وحبيب أو صاحب .

ثم يقف ذهنه مع أيام والده ، ويشارك الدمع في الصمت ، وتنحدر دموع الوفاء على خد أحمد وشفته تتمم بالاستغفار لوالده ، ويدفن الوالد الحنون الرحيم ، ويؤسد الثرى ، ويهال عليه التراب ، ويترك وحيداً مع عمله الذي قدّمه ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدَىٰ كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ ﴾ ، ويبقى بلا ابن ولا زوجة ولا مال ولا أصدقاء ، كما يقول واعظ سمرقند ياقوت صفی الحق : كل من تحب سوف يذهب معك إلى باب القبر ثم يعود إلا عملك ؛ فإنه معك دائماً ، ويقول شكسبير الشاعر الإنجليزي : أنت بالخيار ، إن أحسنت أو أسأت . . فهذا عملك ، وسوف يدفن معك .

ويعود أحمد إلى بيت والده مع أمه ، ويسود صمت مطبق ، والمصباح وحده المتوقّد بلهيب خافت ، وكلّ من أحمد وأمّه قد نكّسا رأسيهما في خشوع في أول ليلة ليس فيها أب الأسرة وكبير البيت ، فلا فرح ولا ابتسام ولا كلام ، هدوء وتفكّر وإعادة للذكريات ، كما يقول كنفشيوس فيلسوف الصين : أوفى صديق لك بعد موتك سوف يسكب عليك دموعين ثم ينسأك .

ولكن أحمد يرفع رأسه ويقول لوالدته في خشوع : يا أماه ؛ أليس جوار الله لأبي أحسن من جوارنا ؟ فتقول أمه : أي والله يا أحمد ، جوار أرحم الراحمين أفضل من جوار الناس .

وفي الصباح يحضر الجيران للعزاء ، ويقف إمام المسجد يعظ ويعزي ويدعو للترحم على الشيخ عطاء ، ويبدأ أهل القرية بذكر محاسن الشيخ عطاء ويقولون : كان مصلياً صادقاً ، وكان متواضعاً ، وكان لا يؤذي أحداً ، وكان يجود بما يجد ، وكان رحيم القلب ، حسن العشرة ، وأحمد وأمّه يستمعان لهذا الثناء الحسن في والد أحمد ، وهل هناك أجمل من سمعة طيبة للإنسان بعد موته ، كما قال الله على لسان إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَاجْعَلْ لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾ وكما قال الجنيد بن محمد : ألسنة الخلق أقلام الحق ، والإنسان في النهاية ثناء حسن أو سيرة سيئة ، كما قال ابن دُرَيْد :

وَإِنَّمَا الْمَرْءُ حَدِيثٌ بَعْدَهُ فَكُنْ حَدِيثاً حَسَنًا لِمَنْ وَعَى
ويرتاح أحمد وأمّه لثناء أهل القرية على الشيخ عطاء ، وتخف المصيبة ؛ لأن الذكر الجميل مجد باقٍ ، وهو أئمن من الذهب والفضة ، وأعلى من كنوز الدنيا ، كما قال المتنبي :

ذِكْرُ الْفَتَى عُمَرُ الْثَّانِي وَحَاجَتُهُ مَا قَاتَهُ وَفُضُولُ الْغَيْشِ أَشْغَالُ

أحمد يرى والده في المنام

الأموات يرسلون لنا رسائل في المنام أبلغ من الكلام .

نام أحمد بعد ما قرأ الأذكار ، وسامح كل من آذاه أو اغتابه ؛ ليسعد بنوم هنيء ، وليرتاح ضميره من معاناة الناس ؛ لأنه قرأ للملاّ حسين الأصبهاني : اغسل قلبك قبل النوم سبع مرّات بالعفو عن الناس ؛ لتنام أسعد ليلة في حياتك ، وكان دانتى شاعر إيطاليا يقول : كلما ذهبت لأنتقم . . تمزّق قلبي من الغيظ ، فوجدتُ العفو أسلم .

وبعد ما نام أحمد . . رأى والده الشيخ عطاء في المنام ضاحكاً مسروراً عليه ثياب جميلة في قصر منيف ، لا يستطيع وصفه الواصفون ، فيه أنوار وبهاء ، وحسن فتان ، أمامه نهر مطرد ، وبستان فيه من كل زوج بهيج ، عندها قال أحمد لوالده : كيف حالك يا والدي بعد ما فارقتنا ؟

قال والده : يا بني ؛ أنا في خير حال ، أكرمني ربي بالنعيم المقيم ، في مقام كريم ، في جوار رب رحيم ، وقد عدت شباباً وذهب عني كل سقم وهم .

قال أحمد : يا أبتاه ؛ بماذا نلت هذا ؟

قال : يا بني ؛ نلت ذلك بمحافظتي على الصلاة في الدنيا ، وإطعامي المساكين ، وسلامة قلبي من الحقد والحسد ، فإذا أردت النجاة يا أحمد . . فأصلح ما بينك وبين الله ، ولا تؤذِ أحداً ؛ فإن كل عمل محفوظ ، والجزاء من جنس العمل ، وأبشرك يا أحمد أنني لقيت أمي شهرزاد ، فوجدتها شابة فتية في أجمل صورة ، عليها من الحلي ما يفوق الوصف ، وهي في حدائق وقصور وأنهار ؛ لأنها كانت مصلية صوامة قوامة متصدقة .

ثم استيقظ أحمد ، ومسح عينيه ، وذكر الله ، ثم قال : والله ؛ إن دنيانا هذه تافهة حقيرة ، يا ليتني لحقت بوالدي وجدتي ، وإذا بصوت المؤذن يشق الفضاء ، ويطرد الصمت ، ويعلن مبدأ الحق ، فقام فتوضأ ، وذهب إلى المسجد وصلى الفجر ، ثم جلس مع إمام المسجد وأخبره بالرؤيا ، فبشّره الإمام بالخير ، ونصحه أن يواصل طريق والده في الصلاح وفعل الخير ، وقال له : يا بني ؛ كان والدك إذا صلى الفجر . . جلس يسبح الله حتى تطلع الشمس ، ثم ذهب إلى منزله ، فتناول طعام الإفطار ، ثم أخذ رغيفاً بيده ودرهماً ، فأعطاهما لأول فقير يلقاه ، وبقي على هذا العمل أربعين سنة ، وبهذا العمل وأمثاله صرف الله عنه الشرّ ، ونجّاه من كل كرب .

وابتهج أحمد لهذا الخير ، وعزم على الصدقة بدرهم ورغيف كل يوم ، فكان إذا أراد أن يخرج من منزله . . أخذ كيساً فيه درهم ورغيف ، فإذا وجد فقيراً . . وضع في يده الرغيف والدرهم ، وتذكر قول الحكيم : الذي تصدق به . . تجده أمامك في القبر ، والذي تتمتع به . . فإنك تسأل عنه ولا تجده ، وكما قال حاتم الطائي لزوجته :

لَعَمْرُكَ مَا يُغْنِي الْكُثْرَاءُ عَنِ الْفَتَى إِذَا حَشَرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ
والمعنى : والله ؛ ما ينفع المال الباقي إذا ضاق الصدر بالكرب عند نزول الموت ، بل ينفع ما قدّمه الإنسان قبل موته .

ثم نظر أحمد إلى قصر أكرم شاه التاجر البخيل فقال : أفّ وتفتّ عليك من محروم ، جمعت الكنوز ، وبخلت بها ، وحرمت نفسك سعادة الدارين ، فأنت محتقر بين الناس لبخلك ، ومحروم عند الله من الأجر .

جلسة ذكرى بين أحمد وأمه

في مساء ليلة يتوقد فيها المصباح خافتاً في الغرفة والنار تلتهم الحطب في كانون البيت ، جلس أحمد يستذكر مع والدته الذكريات مع أبيه عطاء وجدته شهرزاد ، ويتعجبان من حال الدنيا وتقلباتها ، وغدرها بأصفيائها ، وجفائها وقلة وفائها ، وسرعة نسيان الحي للميت مهما كان عزيزاً عليه ، كما قال حكيم نهاوند : لا تسرف في الثقة بأحبابك ؛ فإن أوفاهم لك ينساک بعد موتك بعام . ويقول محمد جواهر الكابلي : لو كان الحبيب صادقاً في حبه لحبيبه . لمات معه في يوم وفاته .

وأقول : لكن ها هي الحياة اجتماع وفرقة ، وحياة وموت ، وضحك وبكاء ، وسوف يفقدنا أبنائنا كما فقدنا آباءنا .

وأخذ أحمد يحرك عود حطب في النار ويقول : يا أماه ؛ أنت عوضي في كل غائب وذاهب وأستأذنك أن أقرأ عليك فصلاً عن الأم لمؤلف قصص الحب بزرجمهر ؛ إذ يقول عن الأم : الله يا أمي ، أنت أوفى الناس لي ، نسيني أصدقائي وأحبابي إلا أنت يا أمي ، وجدتُ الغدر من الناس ولم أجد الوفاء إلا عندك يا أمي ، لقيت عندك الحنان والسلوان والرضوان ، أنت الوحيدة التي سكبت دمعها بسخاء وفاءً لي ، أنت الوحيدة التي شاركتني الهموم والأحزان ، والله يا أمي ؛ لو غسلتُ أقدامك بدموعي كل صباح . . لكان هذا قليلاً .

فتبكي أمه وتقول : فداك العمر يا أبرّ ابن في العالم ، وليت الموت يبدأ بي قبلك ، فيقول هو : بل أنا أفديك بروحي ودمي ، ثم يقول لها : والله يا أماه طال شوقي لوالدي عطاء وجدتي شهرزاد ، عسى الله أن يجمعنا بهم في الجنة . قالت أمه : آمين يا رب العالمين ، ثم تنهّدت وقالت : يا أحمد ؛ والله

ما في الدنيا راحة إلا بتعب ، ولا لقمة إلا بغصة ، ولا ابتسامة إلا بدمعة ،
فعسى الله يريحنا من العناء في جواره .

ثم تمد يدها إلى حقيبة قديمة داخل صندوق خشبي أثري عتيق ، فتخرج منه
مصحفاً ، أوراقه صفراء ، وغلافه جلد وتقول : يا بني ؛ هذا كتاب الله فيه بيان
طريق الفلاح والنجاة والسعادة ، وهذا المصحف مخطوط من خمس مئة عام ،
كان أبي يوصيني به تلاوة وحفظاً وعملاً ، والله ؛ ما بقي أنصح ولا أصدق من
القرآن ، وأبشرك يا أحمد أنني أتلو كل يوم منه جزءاً ، فهو سلوتي في الحياة ،
وعزائي عن كل غائب وذاهب ، فيقوم أحمد فيقبل المصحف ، وتنهمر منه دمعتان
على غلاف المصحف ، وبعدها يودّع أحمد أمه حيث إنه سوف يذهب إلى حضور
درس مولانا شمس الحق الكشميري الذي يدرّس « تفسير ابن جرير الطبري » .

وفي الطريق يلتقي أحمد بشيخ هرم كبير يتوكأ على عصاً ، قد انحنى
ظهره ، وجفّ جلده ، وتجعّد وجهه ، فيخرج أحمد دراهم من جيبه ليضعها
في يد الشيخ ، فيأبى الشيخ ويقول : بارك الله فيك يا بني ، أنا في خير
من الله ، ولا آخذ من أحد شيئاً .

فقال أحمد : كم عمرك حفظك الله ؟

قال : بلغت المئة عام ، والله الحمد على بقاء العقل والسمع والبصر .

قال أحمد : أما سئمت الحياة يا شيخ ؟

قال الشيخ : لا والله ؛ لأنني كلما قمت أو جلست أو نمت أو انتبهت ..

سبّحت الله وحمدته ، فأنا بين ذكر واستغفار ، وتوبة وإنابة ، وفي الحديث :

« خيركم من طال عمره ، وحسن عمله » .

فقال أحمد : ما هي أمنيتك يا شيخ ؟

قال الشيخ : أمنيّتي أن يتوفّاني ربي وأنا ساجد .

فقال أحمد : أدعوك يا شيخ لتناول طعام الغداء .

فقال الشيخ : يا أحمد ؛ غدائي تمر ولبن منذ خمسين سنة .

فقال أحمد : فنحن أهل تمر ولبن ، فذهب مع الشيخ ، وكان في الطريق

يتمتم الشيخ بذكر الله ، فلما وصلا البيت وتناولوا التمر واللبن . . أذن المؤذن

لصلاة العصر ، فتوضأ الشيخ وأحمد ، وذهبا إلى المسجد ، وفي آخر سجدة

من الصلاة قبض الله روح الشيخ في السجود ، ولَبَّيْ دُعَاءه ، وأجاب مسألته ،

وسلّم الإمام من الصلاة والشيخ ميت ساجد لم يرفع رأسه ، وقام الناس

وحزّكوا الشيخ ، فإذا هو ميت متبسّم ، فحملوه إلى بيت أحمد ، وغسّلوه ،

وكفّنوه ، وصلّوا عليه ، ودفنوه ، ودموعهم تغسل خدودهم .

وصارت قصة موته أعجوبة لأهل القرية ، وأكثر تأثيراً من ألف خطبة وألف

درس .

وعاد أحمد إلى أمّه مذهبولاً من قصة الشيخ وحسن خاتمته ، وقال :

يا أمّاه ؛ سلي الله لي أن يحسن لي الخاتمة بعد فريضة وعمل طاعة ، فرفعت أم

أحمد يديها وهي تبكي وتقول : اللهم ؛ إذا قبضت روح ابني أحمد بعد عمر

طويل . . فاقبضه بعد فريضة أداها ، وفي طاعة ترضيك عمّلها ؛ فإنك لا ترد

السائلين ، ولا تخيّب الطامعين .

أحمد ومرحلة الشباب

ويعيش أحمد مرحلة شبابه في قريته الجميلة مع أمه الحنون ، فيبتهج هو

وهي كل صباح بالجلوس في شرفة البيت أمام النهر وهو يتلو القرآن على

والدته ، والشمس تبدو وبحاجبها كالفتاة الخجول ، كما قال الشاعر العربي :
تَبَدَّتْ لَنَا كَالشَّمْسِ تَحْتَ غَمَامَةٍ بَدَا حَاجِبٌ مِنْهَا وَضُنْتُ بِحَاجِبِ
فإذا طلعت الشمس . . صلى هو وأمه ركعتي الضحى ، ثم تناولوا الإفطار ،
وزهب هو لدراسته ، وزهبت هي للحقل تدير عاملات الزرع ، وتشرف على
مزارع البر والخضراوات .

وفي ذات يوم طرق باب بيته فقير عليه ثياب بالية يمشي حافياً ، صاحب
اللّون ، ففتح له الباب ، وحيّاه ، وأدخله المنزل ، وسأل عن حاله ، فقال
الفقير : أنا من قرية جيهان ، أتيتُ إلى قريبتكم حافياً ، ولي يومان ما أكلت
شيئاً ، فرحّب به أحمد ، وقدم له التمر واللبن ، وقامت أمه إلى المطبخ ،
فعملت للفقير طعاماً من اللحم والأرز والفواكه .

وبعد ما شبع الفقير سأله أحمد عن حاله ، فقال الفقير : أنا مسعود الجارودي
من قرية جيهان ، كنت من أغنياء القرية ، وكنت مع أسرتي في بيت بوسط وادي
كرمان شاه ، وعندي مال وبقر وغنم ومزرعة جميلة ، ولديّ زوجة وولدان
وبنت ، وفي ليلة ونحن نائمون . . انهار سد وادي كرمان شاه ، ففاض الوادي ،
وأنا كنت أصلي الفجر بمسجد في أعلى القرية ، فجاء السيل وحمل بيتي بالأسرة
والمزرعة والمواشي ، ودَمَّر كل شيء ، ومات كل أفراد الأسرة ، وجئتُ إلى
موقع منزلي ، ووجدت كل شيء مدمّراً تماماً ، لا أهل ولا ولد ولا مال ،
فأمسيت غنياً ، وأصبحت فقيراً ، وهذا حال الدنيا غدارة غرارة ، فقلت :
الأحسن لي أن أخرج من هذه القرية ؛ لئلا يراني الحساد والشماتون ، وأنا راضٍ
بقضاء الله ، وكلما فكّرت في تقلبات الدنيا بأهلها . . تسليتُ وتعزيتُ ، ثم إن لنا
حياة أخرى كمسلمين في جنات النعيم ، فلماذا الجزع على هذه الحياة ، وأنا

متفائل أنني سوف أجتمع بأسرتي في الجنة ، عندها تهون كل مصيبة .

فقال أحمد : حياك ربي ، ووصلت مكانك المناسب ، واعتبر هذا البيت بيتك ، وأبشر بما يخفف عليك مصابك .

قال الرجل الفقير : جزاك الله خيراً ، وأنا قبلت ضيافتك ، ولن أكون ثقيلاً عليك ، وأريد منك أن تجعل لي عملاً بأجرة ؛ لأنني لا آخذ مالاً بالمجان بلا مقابل ، فقد أوصاني أبي وقال لي : يا بني ؛ لا تأخذ من أحد شيئاً ولو حملت الحطب على ظهرك وبعته في الأسواق ، كما قال مولانا المروزي : سَفُّ التراب أشرف من الوقوف على الأبواب .

قال أحمد : فأريدك أن تشرف على مزرعتنا حرثاً وسقياً ورعاية ولك النصف من الثمرة ، فوافق الرجل ، وهبّ مع الصباح يشرف على عمال المزرعة ، ويعدّل معهم الماء ، ويصلح الأشجار ، وصار كأنه فرد من أفراد الأسرة ، ولما عمل.. أشغل نفسه عن الوسائس ، ونسي الهم ، كما قال الحكيم : إذا أشغلت يديك.. ارتاح قلبك .

وقال وليم جمس : ويل للكسالى من القلق ؛ لأن الفراغ انتحار بطيء ، ومن أراد السعادة.. فليشغل نفسه بعمل نافع مفيد .

وفي ذات صباح لاحظ هذا الرجل عصفوراً بقمه قطعة لحم يقترب بها من رأس شجرة ، ثم يضعها هناك ، ويعود ويأخذ غيرها مرّات عديدة ، فتعجّب الرجل من صنيع العصفور ، وصعد الشجرة ، فوجد في رأس الشجرة حيّة عمياء لا تستطيع النزول ، وليس عندها طعام ، فسخر الله لها هذا العصفور ، فإذا اقترب منها وبقمه قطعة اللحم.. صفّر لها بصوته ، ففتحت فمها ، وألقى فيها قطعة اللحم حتى تشبع ، قال الرجل : سبحانك ربي ما أحكمك ! ضمنت الرزق

لكل مخلوق ، وعاد الرجل فأخبر أحمد بما وجد من خبر العصفور والحية .
فقال أحمد : أنا وجدت في هذه المزرعة عجائب من خلق الله ، ففي
طرف المزرعة بيت للنمل لا تخرج منه النمل طيلة فصل الشتاء ، فإذا جاء فصل
الصيف . . خرجت تجمع الحب وتكدسه في مخازن خاصة في بيوتها ، فإذا
خافت أن ينبت الحب . . قسمت الحبة نصفين حتى لا تنبت في المخزن ،
وهي لا تأكل من الحب الذي خزنته طيلة فصل الصيف ، فإذا جاء الشتاء . .
مكثت في بيتها خوفاً من الرياح والمطر ، وأكلت مما ادخرته ، فسبحان من
علمها ، لا إله إلا هو ، ولا ربّ سواه .

ثم قال أحمد : هذه عناية الله بالطيور والحشرات وسائر الحيوان ، فكيف
رعايته للإنسان ؟! وكيف ولايته لأهل الإيمان ؟! وقد قال سيدنا صديق فيض
الحق : اشتغل بما لله عليك ، ولا تشتغل بما لك عند الله ؛ فإن الله كريم ضامن .
وقال صاحب « الأمثال الهندية » : الله ضمن رزق النحلة والنملة ، فكيف
لا يضمن رزقي ؟! ولكن بعض الحمقى الأغبياء يطالب ربّه بالرزق ،
ولا يخلص لربّه العبوديّة ، ففضل الله إليه نازل ، ومعاصيه إلى الله صاعدة .

أحمد يسافر بأمه لأداء فريضة الحج

وأراد أحمد أن تكون خاتمة حياة أمه حجة مبرورة متقبلة ، فتهيأ للسفر مع
أمه ، وودّعوا القرابة والجيران ، وطلبوا العفو من أهل القرية إن حصل خطأ أو
زلة ، وقام أحمد فاستأجر له ولوالدته مركباً في القافلة ، وأخذ نفقة طيبة من
نتاج المزرعة ؛ لأنه يعلم أن الله طيب لا يقبل إلا طيباً .

ثم ودّعوا الجيران والدموع تسيل على الخدود ، وتنطلق بهم القافلة بين

حقول البر ، وهما يدعوان الله أن يكون سفرهما سعيداً مباركاً .

وفي الطريق أقبل الليل يغطي الكون ، والشمس تغيب شيئاً فشيئاً ، والعالم بدأ يسكن مع الليل ، فيا لعظمة المشهد ، ويا لجماله والروابي مكلّلة بضوء الشمس الذهبي ، وأصوات الرعاة تملأ الوديان وهم يهتفون بأغنامهم .

ثم سرنا إلى وادٍ عظيم قد وقف الناس على طرفيه بعد ما امتلأ بسيل جارف مدمّر حمل بعض المواشي من قوته ، فوقفنا ننتظر متى يخف ، وبعد ساعات خف جريانه ، ومررنا من على الجسر ، وانطلقنا عبر حقول البر والشعير الممتدة في سهول هزار ، فكأنها بساط أخضر ، أو بحر لجي ، وبعدها مررنا بجبال كندوش الشاهقة المنيعة فسبحان الخالق ما أحكمه وأبدع صنعه!

وأصبح السحاب معقوداً على رؤوس الجبال كأنها عمائم الرجال ، ثم سرنا في غابات كثيفة كأنها الليل من كثرتها ، وقد تشابكت أشجارها ، واطردت أنهارها ، وغنت أطيّارها ، وفاحت أزهارها ، فسبحان من جمّلها وكمّلها!

ثم بدت لنا سهول بلوشستان الواسعة الممتدة التي تنقطع فيها الطير ، ويضل فيها الذئب ، وقوافل التجار ذاهبة آية ، وأنواع الحيوانات والطيور تملأ السهل والجبل والجو ، وبدت أمامنا بحيرات من الماء العذب بعد الأمطار ، فشربنا ، وتوضأنا ، واغتسلنا ، وأرحنا أنفسنا تحت شجر السلم والسدر الكثيف الملتفّ ، فإذا شيخ كبير قد جاوز مئة عام يمشي حافياً متوكئاً على عصاً يسوق قطيعاً من الضأن ، فسلمنا عليه ، فردّ السلام ، وحيّا بنا ورحب ، فسألناه عن حاله ، فأخبرنا أنه وحيد بلا أسرة ، ومعه هذا القطيع من الغنم ، ويأوي إلى مغارة في الجبل ، وأنه يشرب من ألبانها ، وربما باع منه واكتسب وأكل من ثمنها .

فسألناه : وأين أسرتك ؟

قال : أنا لم أتزوج ، وكان لي أخت وماتت ، وأنا سعيد في حياتي ،
أعيش بلا هم ولا غم ، فأخرجنا له بعض النقود ، فأبى وامتنع ، وقال : أنا لم
أخذ من أحد شيئاً ، ولا أريد أن أعود نفسي الأخذ من الناس ، ثم تركنا ، فإذا
هو يتمتم ، فقلنا له : ماذا تقول يا شيخ ؟

قال : أنا أذكر الله وأقرأ (قل هو الله أحد) كل يوم ألف مرة ، فعجبنا من
حاله وعبادته ، وأدركنا تفاهة الدنيا ، وأنه في مقدور الإنسان أن يعيش رضىً
بأقل العيش .

ثم سرنا إلى البحر العربي ، فركبنا سفينة إلى باب المندب في عدن ،
فلعبت بنا الرياح ، وهاج علينا الموج ، وغضب علينا البحر ، وعشنا ليلة
الكر ، وكدنا نهلك ، وبكى ركّاب السفينة ، وارتفع العويل ، وبلغت
القلوب الحناجر ، وصاح الناس مستغيثين بالله عز وجل ، والكل ينادي : (يا
حي يا قيوم) ، وآيسنا من الحياة ، وأشرفنا على الموت .

ثم كان لطف الله ، وهدأت الرياح ، واقتربت السفينة من الشاطئ ، وأخذنا
نردد : (لا إله إلا الله) ، ثم خرجنا سالمين كأننا خرجنا من القبور ، وعدنا إلى
الحياة ، فنزلنا من ساحل البحر نمشي على الساحل ، وأخذنا ما يلزمنا من
الطعام ، وتجوّلنا في سوق هنا على ساحل البحر ، وبقينا يوماً كاملاً لنواصل
رحلتنا عبر البحر الأحمر إلى جدة ، ومنها إلى مكة ، واستغرقتنا من باب المندب
إلى جدة ثلاثة أيام بسير بطيء في البحر ، ثم نزلنا جدة ملبين ، محرمين ،
تائبين ، منيبين ، كلنا شوق للحرم والبيت العتيق ، ترفرف قلوبنا لها ، وتكاد
تطير أرواحنا طرباً وفرحاً ؛ لأننا اقتربنا من بيت ملك الملوك جلّ في علاه .

والدة أحمد تموت بعد أداء الحج

ووصل أحمد بوالدته إلى بيت الله العتيق ، وحين لاحت لهما الكعبة بجلالها وطهرها . . أثارت في نفوسهما حالة من التأثر ؛ لأنهما كانا في غاية الشوق لرؤية بيت الله في أرضه ، وانهمرت الدموع ، وأخذ النشيج ، ورفع كل منهما يديه يدعو .

قال أحمد : وعادت ذاكرتي إلى أيام قديمة كنت قرأت فيها سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ونزل الوحي ، وحضرت الذكريات ، ومارت الخواطر ، والقلب يرجف مهابة وإجلالاً لله الواحد الأحد ، واقتربنا من الكعبة ، وبدأنا نطوف ، واستلمنا الحجر الأسود تقبيلاً ، وأخذ الدمع يبلّ الخدود ، وأخذت الوالدة تدعو وتلح في دعائها ، وتسأل ربها الغفران لها ولوالديها ، وأخذت تدعو لولدها أحمد ، فيقترب منها أحمد ويقول : ادعي لي يا أماه بالشهادة في سبيل الله ، فتقول : اللهم ؛ ارزق ابني أحمد شهادة في سبيلك .

ويذهبا إلى منى ، ثم يقفان بعرفة ، وفي يوم الوقوف ينظر أحمد ووالدته إلى الحجاج الشعث الغبر من كل لون وجنس ولغة وهم يهتفون داعين ربهم في بكاء ونحيب ووجل ، هذا يطلب هداية ، وذاك يطلب رزقاً ، وثالث يطلب عافية ، ورابع يطلب ذرية ، وهكذا كل له طلب بلغات شتى ، ولهجات متباينة ، وحاجات مختلفة ، ويطلبون غنياً ماجداً واحداً سبحانه .

وتدنو الشمس من الغروب ، وتعم الموقف خشية وخشوع ، وتنكس الرؤوس ، وتتساوى القامات بين الملك والمملوك ، الغني والفقير ، الأبيض والأسود في منظر عجيب رهيب .

ثم يزحف الجميع إلى مزدلفة ، وأحمد أخذ بيد أمه يخدمها ويرفق بها ؛

لأنه يعلم أن برّ الوالدة طريق الجنة ، وأن خدمتها مهر الحور العين .

ثم بات أحمد مع أمه في منى ثلاث ليالٍ ، ورمى الجمرات الثلاث مع ما حصل من النحر والحلق أو التقصير ، ثم طواف الإفاضة .

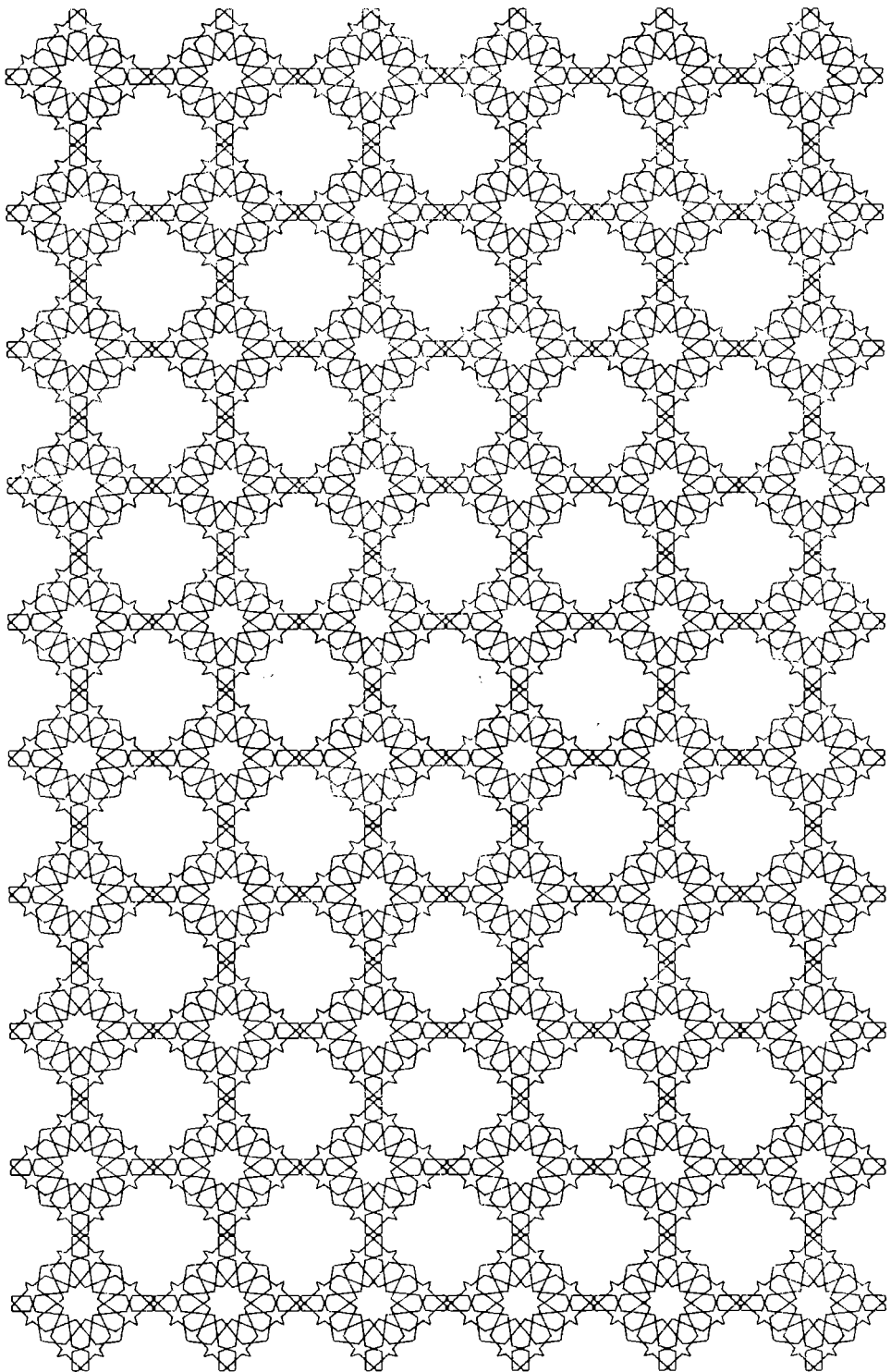
وبعد الطواف وقف أحمد مع والدته يسقيها من زمزم ، و« ماء زمزم لما شرب له » كما في الحديث ، فأخذت أمه تشرب وتقول : اللهم ؛ ارزقني ميتة حسنة في جوارك ، وفي بيتك ، اللهم ؛ لا تُعَذِّبني إلى بلدي طاشقند ، اللهم ؛ إني خرجت راغبة في ثوابك ، وأتمنى وفاة في حرمك ، ثم أخذت تبكي وتلحّ على ربّها في الدعاء ، ثم شهقت ، ثم جلست ولها نسيج ، وابنها أحمد يمسكها ، ويبكي معها ، ويلتزمها .

ثم أسندها إلى صدره ، فأشارت بإصبعها إلى السماء تردد : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، ثم مالت ، وأسلمت روحها إلى خالقها ، فحرّكها ابنها أحمد ، فإذا هي قد فارقت الحياة ، فحملها مع بعض المحسنين ، وتولى الإشراف على غسلها والصلاة عليها ودفنها في مقبرة مكة .

وكان أحمد دفن قلبه في مكة ، وكان روحه التي بين جنبيه قد دسّها في تراب مكة ، وعاد بلا أم إلى أرضه في طاشقند ، فلما استقبله أصحابه وجيرانه وعرفوا أنه فقد أمه وقد فارقت الحياة . . بكوا جميعاً ، وأخذوا يدعون لها بالمغفرة والرحمة ، ويذكرون محاسنها .

* * *

سَمَرْوِیُّرُ الْاَدَبِ



حسان بن ثابت :

عَدِمْنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تُبَارِيَنَّ الْأَعِنَّةَ مُضْعِدَاتِ
تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّراتِ فَإِذَا تُعْرِضُوا عَنَّا اعْتَمَرْنَا
وَالْأَفْأَصِبِرُوا لِجِلَادِ يَوْمِ وَجِبْرِيلُ أَمِينُ اللَّهِ فِينَا
لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدٍّ سَبَابُ أَوْ قِتَالُ أَوْ هِجَاءُ
تُشِيرُ النَّقْعَ مَوْعِدَهَا كَدَاءُ عَلَى أَكْتَفِهَا الْأَسْلُ الْظَّمَاءُ
تَلَطَّمُهُنَّ بِالْخُمْرِ النِّسَاءُ وَكَانَ الْفَتْحُ وَأَنْكَشَفَ الْغَطَاءُ
يُعِزُّ اللَّهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَرُوحُ الْقُدُسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ
سَبَابُ أَوْ قِتَالُ أَوْ هِجَاءُ

* * *

نزار قباني :

مَرْحَباً يَا عِرَاقُ جِئْتُ أُغْنِيكَ مَرْحَباً مَرْحَباً أَتَعْرِفُ وَجْهَهَا
حَقَّرْتَهُ الْأَيَّامُ وَالْأَنْوَاءُ وَخَدَوِيُونَ وَالْبِلَادُ شَطَايَا
كُلُّ جُزْءٍ مِنْ لَحْمِهَا أَجْزَاءُ قُرَشِيُّونَ لَوْ رَأَتْهُمْ قُرَيْشُ
لَا سَتَجَارَتْ مِنْ رَمْلِهَا الْبَيْدَاءُ قَدْ يَهُونُ الْعُمُرُ إِلَّا سَاعَةٌ
وَتَهُونُ الْأَرْضُ إِلَّا مَوْضِعَاءُ لَا يَمِينُ يُجِيرُنَا أَوْ يَسَارُ
تَحْتَ حَدِّ السَّكِينِ نَحْنُ سَوَاءُ لَوْ قَرَأْنَا التَّارِيخَ مَا ضَاعَتِ الْقُدُ
سُ وَضَاعَتْ مِنْ قَبْلِهَا الْحُمَرَاءُ

* * *

المتنبي :

لَا تَعْذِلِ الْمُشْتَقَ فِي أَشْوَاقِهِ حَتَّى يَكُونَ حَشَاكَ فِي أَحْشَائِهِ

إِنَّ الْقَتِيلَ مُضَرَّجاً بِدُمُوعِهِ
وَالْعَشِقُ كَالْمَعْشُوقِ يَعَذُّبُ قُرْبُهُ
لَوْ قُلْتَ لِلدَّنْفِ الْحَزِينَ فِدَيْتُهُ
وَقِي الْأَمِيرُ هَوَى الْعُيُونِ فَإِنَّهُ
يَسْتَأْسِرُ الْبَطْلَ الْكَمِيَّ بِنَظَرَةٍ
إِنِّي دَعَوْتُكَ لِلنَّوَائِبِ دَعْوَةً
فَأَتَيْتَ مِنْ فَوْقِ الزَّمَانِ وَتَحْتِهِ

* * *

علي بن الجهم :

إِلَى اللَّهِ فِيمَا نَابَنَا نَزَعُ الشَّكْوَى
خَرَجْنَا مِنَ الدُّنْيَا وَنَحْنُ مِنْ أَهْلِهَا
إِذَا جَاءَنَا السَّجَّانُ يَوْمًا لِحَاجَةٍ
وَنَفْرَحُ بِالرُّؤْيَا فَجُلُّ حَدِيثِنَا
فَإِنْ حَسُنْتَ لَمْ تَأْتِ عَجَلَى وَأَبْطَأَتْ

* * *

أحمد بن حمزة البوني :

إِنِّي لَا أَرْجُو عَظْفَةَ اللَّهِ وَلَا
لَا بُدَّ أَنْ يَنْشُرَ مَا كَانَ طَوَى
وَرُبَّمَا يَنْشُرُ مَا كَانَ زَوَى
وَكُلُّ شَيْءٍ يَنْتَهِي إِلَى مَدَى
لَطَائِفُ اللَّهِ وَإِنْ طَالَ الْمَدَى

كَمْ فَرَجٍ بَعْدَ إِيسَى قَدْ أَتَى وَكَمْ سُرُورٍ قَدْ أَتَى بَعْدَ الْأَسَى
مَنْ لَأَذٍ بِاللَّهِ نَجَا فِيمَنْ نَجَا مِنْ كُلِّ مَا يُخْشَى وَنَالَ مَا رَجَا
سُبْحَانَ مَنْ نَهَفُوا وَيَعْفُو دَائِمًا وَلَمْ يَزَلْ مَهْمَا هَفَا الْعَبْدُ عَفَا
يُعْطِي الَّذِي يُخْطِي وَلَا يَمْنَعُهُ جَلَالُهُ مِنَ الْعَطَا لِذِي الْخَطَا

* * *

المتنبي :

وَلَدِيدُ الْحَيَاةِ أَنْفَسُ فِي النَّفْسِ وَأَشْهَى مِنْ أَنْ يُمَلَّ وَأَحْلَى
وَإِذَا الشَّيْخُ قَالَ : أَفَّ فَمَا مَلَّلَ حَيَاةً وَإِنَّمَا الضَّعْفُ مَلًّا
أَلَهُ الْعَيْشِ صِحَّةٌ وَشَبَابٌ فَإِذَا وَلَّى عَنِ الْمَرْءِ وَلَّى
أَبْدًا تَسْتَرِدُّ مَا تَهَبُّ الدُّنْيَا فَيَا لَيْتَ جُودَهَا كَانَ بُخْلًا
وَهِيَ مَعْشُوقَةٌ عَلَى الْغَدْرِ لَا تَخْفُظُ عَهْدًا وَلَا تُتِمُّ وَضْلًا

* * *

المتنبي :

بَادٍ هَوَاكَ صَبَرْتَ أَمْ لَمْ تَصْبِرَا وَبُكَكَ إِنْ لَمْ يَجْرِ دَمْعُكَ أَوْ جَرَى
كَمْ غَرَّ صَبْرُكَ وَابْتِسَامُكَ صَاحِبًا لَمَّا رَاكَ وَفِي الْحَشَى مَا لَا يُرَى
مَنْ مُبْلِغُ الْأَغْرَابِ أَنِّي بَعْدَهَا شَاهَدْتُ رَسْطَالِيْسَ وَالْإِسْكَندَرَا
وَسَمِعْتُ بَطْلِيمُوسَ دَارِسَ كُتْبِهِ مُتَمَلِّكًا مُتَبَدِّيًا مُتَحَضِّرَا
وَلَقِيتُ كُلَّ الْفَاضِلِينَ كَأَنَّمَا رَدَّ إِلَيْهِ نُفُوسَهُمْ وَالْأَعْضُرَا
نُسِقُوا لَنَا نَسَقَ الْحِسَابِ مُقَدَّمًا وَأَتَى فَذَلِكَ إِذْ أَتَيْتَ مُؤَخَّرَا

* * *

إبراهيم ناجي :

يَا فُؤَادِي رَحِمَ اللَّهُ أَلْهَوَى
إِسْقِنِي وَأَشْرَبْ عَلَيَّ أَطْلَالِهِ
كَيْفَ ذَاكَ الْحُبِّ أَمْسَى خَبْرًا
وَبَسَاطًا مِنْ نَدَامَى حُلْمٍ
يَا رِيحًا لَيْسَ يَهْدَا عَصْفُهَا
وَأَنَا أَقَاتُ مِنْ وَهْمٍ عَفَا
كَمْ تَقَلَّبْتُ عَلَى خِنَجَرِهِ
وَإِذَا أَلْقَلْتُ عَلَى غُفْرَانِهِ
كَانَ صَرْحًا مِنْ خَيَالٍ فَهَوَى
وَأَزُو عَنِّي طَالَمَا الدَّمْعُ رَوَى
وَحَدِيثًا مِنْ أَحَادِيثِ الْجَوَى
هُمْ تَوَارَوْا أَبَدًا وَهُوَ أَنْطَوَى
نَضَبَ الزَّيْتِ وَمِصْبَاحِي أَنْطَفَا
وَأَفِي الْعُمَرِ لِنَاسٍ مَا وَفَى
لَا أَلْهَوَى مَالٌ وَلَا أَلْجَفُنُ غَفَا
كُلَّمَا غَارَ بِهِ النَّضْلُ عَفَا

* * *

المعري :

مِنْكَ الصُّدُودُ وَمَنِّي بِالصُّدُودِ رِضَا
بِي مِنْكَ مَا لَوْ غَدَا بِالشَّمْسِ مَا طَلَعَتْ
إِذَا أَلْفَتَنِي ذَمٌّ عَيْشًا فِي شَبِيبَتِهِ
وَقَدْ تَعَوَّضْتُ مِنْ كُلِّ بِمُشَبِّهِهِ
جَرَّبْتُ دَهْرِي وَأَهْلِيهِ فَمَا تَرَكْتُ
مَنْ ذَا عَلَيَّ بِهِذَا فِي هَوَاكَ قَضَى
مِنْ أَلْكَابَةِ أَوْ بِالْبَرْقِ مَا وَمَضَا
فَمَا يَقُولُ إِذَا عَصُرُ الشَّبَابِ مَضَى
فَمَا وَجَدْتُ لِأَيَّامِ الصَّبَا عَوْضَا
لِي أَلْتَجَارِبُ فِي وَدِّ أَمْرِي غَرَضَا

* * *

أبو تمام :

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ
بَيضُ الصَّفَائِحِ لَا سُودُ الصَّحَائِفِ فِي
وَالْعِلْمُ فِي شُهْبِ الْأَرْمَاحِ لَامِعَةٌ
فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ
مُتَوْنِهِنَّ جَلَاءُ الشَّكِّ وَالرَّيْبِ
بَيْنَ الْخَمِيسَيْنِ لَا فِي السَّبْعَةِ الشُّهُبِ

صَاغُوهُ مِنْ زُخْرَفٍ فِيهَا وَمِنْ كَذِبِ
لَيْسَتْ بِنَبْعٍ إِذَا عُذَّتْ وَلَا غَرْبِ
عَنْهُمْ فِي صَفْرِ الْأَصْفَارِ أَوْ رَجَبِ
إِذَا بَدَأَ الْكَوْكَبُ الْغَرْبِيُّ ذُو الذَّنَبِ
مَا كَانَ مُنْقَلِبًا أَوْ غَيْرَ مُنْقَلِبِ
مَا دَارَ فِي فَلَكٍ مِنْهَا وَفِي قُطْبِ
لَمْ تُخَفِ مَا حَلَّ بِالْأَوْثَانِ وَالصُّلْبِ

* * *

عبد الله البردوني :

وَأَكْذَبَ السَّيْفَ إِنْ لَمْ يَصْدُقِ الْغَضَبُ
أَيَّدَ إِذَا غَلَبَتْ يَغْلُو بِهَا الْغَلَبُ
فَهُمْ سَوَىٰ فَهَمٍ كَمْ بَاعُوا وَكَمْ كَسَبُوا
أَنْصَافِ نَاسٍ طَغَوْا بِالْعِلْمِ وَأَغْتَصَبُوا
شَيْئًا كَمَا أَكَلَ الْإِنْسَانُ أَوْ شَرِبُوا
عَفْوًا سَازَوِي وَلَا تَسْأَلْ وَمَا السَّبَبُ
كَيْفَ احْتَفَتِ بِالْعِدَىٰ حَيْفًا أَوْ النَّقَبُ

* * *

عائض القرني :

أَشَدُّ سُرُورِ الْقَلْبِ طِفْلٌ إِذَا حَبَا
تُوَفِّي جَلَالَ الطُّهْرِ وَرَدًا وَمَشْرَبًا
عَلَىٰ وَجْهِهِ الرِّيَّانِ أَهْلًا وَمَرْحَبًا

أَيْنَ الرِّوَايَةُ أَمْ أَيْنَ النُّجُومُ وَمَا
تَخَرُّصًا وَأَحَادِيثًا مُلَفَّقَةً
عَجَائِبًا زَعَمُوا الْأَيَّامَ مُجْفِلَةً
وَحَوَّفُوا النَّاسَ مِنْ دَهْيَاءَ مُظْلِمَةٍ
وَصَيَّرُوا الْأَبْرُجَ الْعُلْيَا مُرْتَبَةً
يَقْضُونَ بِالْأَمْرِ عَنْهَا وَهِيَ غَافِلَةٌ
لَوْ بَيَّنَّتْ قَطُّ أَمْرًا قَبْلَ مَوْفِعِهِ

مَا أَصْدَقَ السَّيْفَ إِنْ لَمْ يُنْضِهِ الْكَذِبُ
بِيضُ الصَّفَائِحِ أَهْدَىٰ حِينَ تَحْمِلُهَا
وَأَقْبَحَ النَّصْرَ نَصْرَ الْأَقْوِيَاءِ بِلَا
أَذْهَىٰ مِنَ الْجَهْلِ عِلْمٌ يَطْمِئُنُّ إِلَى
قَالُوا : هُمُ الْبَشَرُ الْأَرْزَقَىٰ وَمَا أَكَلُوا
مَاذَا جَرَىٰ يَا أَبَا تَمَّامٍ تَسْأَلُنِي
يَذْمَى السُّؤَالَ حَيَاءً حِينَ نَسَأَلُهُ

سَلَامٌ عَلَىٰ عَهْدِ الطُّفُولَةِ إِنَّهُ
وَيَا بَسْمَةَ الْأَطْفَالِ أَيُّ قَصِيدَةٍ
أَيَّا رَبِّ بَارِكْ بِسْمَةِ الطُّفْلِ كَيْ نَرَىٰ

وَيَا رَبِّ كَفِّفْ دَمْعَهُ بِرِعَايَةِ
وَحَبِّهِ لِلْأَجْيَالِ تَحْضُنُ طَهْرَهُ
وَيَا رَبِّ فِي بَيْتِي عَصَافِيرُ دَوْحَةٍ
أَخَافُ عَلَى عَشِّ الطُّفُولَةِ جَائِرًا
وَكُنْتُ أُدْرِي عَنْهُمْ الضَّيْمَ جَاهِدًا
وَأَسْتَمِيلُ الْمَوْتَ اللَّحُوحَ مَخَافَةً
وَكَمْ لَيْلَةٍ أَضْنَى أُنَيْنُ بُكَائِهِمْ

* * *

البحثري :

فَلَمْ أَرْ ضِرْغَامَيْنِ أَصْدَقَ مِنْكُمَا
هَزَبَرٌ مَشَى يَبْغِي هَزَبَرًا وَأَغْلَبُ
أَدَلَّ بِشَغْبٍ ثُمَّ هَالَتْهُ صَوْلَةٌ
فَأَحْجَمَ لَمَّا لَمْ يَجِدْ فِيكَ مَطْمَعًا
فَلَمْ يُغْنِهِ أَنْ كَرَّ نَحْوَكَ مُقْبِلًا
حَمَلَتْ عَلَيْهِ السَّيْفَ لَا عَزْمُكَ أَتْنَى
وَكُنْتَ مَتَى تَجْمَعُ يَمِينِكَ تَهْتِكُ الصَّرِيَّةَ أَوْ لَا تُبْقِ لِلْسَّيْفِ مَضْرِبًا

* * *

كعب الغنوي :

لَعَمْرِي لَئِنْ كَانَتْ أَصَابَتْ مَيِّتَةً
لَقَدْ كَانَ أَمَّا جِلْمُهُ فَمُرُوحُ
أَخِي مَا أَخِي لَا فَاحِشٌ عِنْدَ رِيَّةِ
أَخِي وَالْمَنَايَا لِلرَّجَالِ شُعُوبُ
عَلَيَّ وَأَمَّا جَهْلُهُ فَعَزِيبُ
وَلَا وَرَعٌ عِنْدَ الْلَقَاءِ هَيُوبُ

حَبِي السَّيِّبِ لِلنَّفْسِ اللَّجُوجِ غُلُوبُ
 فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبُ
 لَعَلَّ أَبَا الْمَغُورِ مِنْكَ قَرِيبُ
 بِأَمْثَالِهَا رَحْبُ الذَّرَاعِ أَرِيبُ
 كَذَلِكَ قَبْلَ الْيَوْمِ كَانَ يُجِيبُ
 إِذَا حَالَ حَالَاتِ الرِّجَالِ شُحُوبُ
 فَلَمْ يَنْطِقُوا بِاللَّغْوَاءِ وَهُوَ قَرِيبُ

* * *

نزار قباني :

يَا شَامُ أَيْنَ هُمَا عَيْنَا مُعَاوِيَةَ
 فَلَا خِيُولُ بَيْنِي حَمْدَانِ رَاقِصَةَ
 وَقَبْرِ خَالِدٍ فِي حِمَصٍ نَلَامِسُهُ
 يَا رَبَّ حَيِّ رُخَامِ الْقَبْرِ مَسْكَنُهُ
 يَا بَنَ الْوَلِيدِ أَلَا سَيْفٌ تَوَجَّرُهُ ؟
 دِمَشْقُ يَا كَنْزَ أَحْلَامِي وَمِرْوَحَتِي
 أَدَمْتُ سِيَاطَ حُزَيْرَانَ ظُهُورَهُمْ
 وَطَالَعُوا كُتُبَ التَّارِيخِ وَافْتَنَعُوا

* * *

النابعة الذبياني :

كِلِينِي لَهُمْ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبِ
 تَطَاوَلَ حَتَّى قُلْتُ لَيْسَ بِمُنْقَضِ
 وَلَيْلِ أَقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاعِبِ
 وَلَيْسَ الَّذِي يَرَعَى النُّجُومَ بِآبِ

وَصَدْرٍ أَرَاخَ اللَّيْلِ عَازِبَ هَمِّهِ
 عَلَيَّ لِعَمْرٍو نِعْمَةٌ بَعْدَ نِعْمَةٍ
 حَلَفْتُ يَمِيناً غَيْرَ ذِي مَثْوِيَّةٍ
 لِّئِنْ كَانَ لِلْقَبْرِينِ قَبْرٌ بِجَلَّتِي
 وَلِلْحَارِثِ الْجَفْنِيِّ سَيِّدٍ قَوْمِهِ
 رِقَاقَ النَّعَالِ طَيِّباً حُجْزَاتِهِمْ
 وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ
 تُورَثُنَ مِنْ أَرْمَانِ يَوْمِ حَلِيمَةٍ

* * *

نصيب بن رباح :

أَقُولُ لِرَكْبٍ قَافِلِينَ رَأَيْتُهُمْ
 قَفُّوا خَبَرُونِي عَنْ سُلَيْمَانَ إِنَّنِّي
 فَعَا جُوا فَأَتُّنُوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ
 فَقَالُوا تَرَكْنَاهُ وَفِي كُلِّ لَيْلَةٍ
 وَلَوْ كَانَ فَوْقَ النَّاسِ حَيٌّ فَعَالُهُ
 لَقُلْنَا لَهُ شِبْهٌ وَلَكِنْ تَعَذَّرْتُ
 هُوَ الْبَدْرُ وَالنَّاسُ الْكَوَاكِبُ حَوْلُهُ

* * *

ابن الخياط :

خُذَا مِنْ صَبَا نَجِدَ أَمَاناً لِقَلْبِهِ
 وَإِيَّاكُمْ ذَاكَ النَّسِيمَ فَإِنَّهُ
 فَقَدْ كَادَ رِيَّاهَا يَطِيرُ بِلُبِّهِ
 إِذَا هَبَّ كَانَ الْوَجْدُ أَيْسَرَ خَطْبِهِ

وَفِي الرِّكْبِ مَطْوِيٌّ الصُّلُوعُ عَلَى جَوَى
مَتَى يَدْعُهُ دَاعِي الغَرَامِ يُلَبِّهِ

* * *

بشار بن برد :

إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَاتِبًا
فِعِشْ وَاحِدًا أَوْ صِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى الْقَدَى
صَدِيقَكَ لَمْ تَلَقَ الَّذِي لَا تُعَابِيهِ
مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُهُ
ظَمِئَتْ وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهُ

* * *

سعد بن ناشب :

سَاغِسِلْ عَنِّي الْعَارَ بِالسَّيْفِ جَالِبًا
وَأَذْهَلْ عَن دَارِي وَأَجْعَلْ هَذْمَهَا
فَإِنْ تَهْدِمُوا بِالْغَدْرِ دَارِي فَإِنَّهَا
أَخِي عَزَمَاتٍ لَا يُطِيعُ عَلَى الَّذِي
إِذَا هُمْ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ
وَلَمْ يَسْتَشِرْ فِي شَأْنِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ
عَلَيَّ قَضَاءُ اللَّهِ مَا كَانَ جَالِبًا
لِعِرْضِي مِنْ بَاقِي الْمَذَلَّةِ حَاجِبًا
تُرَاثُ كَرِيمٍ لَا يُبَالِي الْعَوَاقِبَا
يَهْمُ بِهِ مِنْ هَائِلِ الْأَمْرِ عَاتِبَا
وَنَكَبَ عَن ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ جَانِبَا
وَلَمْ يَرْضَ إِلَّا قَائِمَ السَّيْفِ صَاحِبَا

* * *

قيس بن الخطيم :

وَكُنْتُ أَمْرًا لَا أَبْعَثُ الْحَرْبَ ظَالِمًا
فَلَمَّا رَأَيْتُ الْحَرْبَ حَرْبًا تَجَرَّدَتْ
مُضَاعَفَةً يَغْشَى الْأَنَامِلَ فَضْلُهَا
إِذَا مَا فَرَزْنَا كَانَ أَسْوَا فِرَارِنَا
صُدُودَ الْخُدُودِ وَالْقَنَا مُتَشَاجِرُ
فَلَمَّا أَبَوْا أَشْعَلْتُهَا كُلَّ جَانِبٍ
لَبِسْتُ مَعَ الْبُرْدَيْنِ ثُوبَ الْمُحَارِبِ
كَأَنَّ قَتِيرِيهَا عُيُونُ الْجَنَادِ
صُدُودَ الْخُدُودِ وَأَزُورَارَ الْمَنَازِبِ
وَلَا تَبْرَحُ الْأَقْدَامُ عِنْدَ التَّضَارِبِ

إِذَا قُصِرَتْ أَسْيَافُنَا كَانَ وَصْلُهَا
حُطَانًا إِلَى أَعْدَائِنَا فَنُضَارِبِ
أَجَالِدُهُمْ يَوْمَ الْحَدِيقَةِ حَاسِرًا
كَأَنَّ يَدِي بِالسَّيْفِ مِخْرَاقُ لَاعِبِ

* * *

المتنبي :

أَعِيدُوا صَبَاحِي فَهُوَ عِنْدَ الْكَوَاعِبِ
فَإِنَّ نَهَارِي لَيْلَةٌ مُذْلِهَمَّةٌ
بَعِيدَةٌ مَا بَيْنَ الْجُفُونِ كَأَنَّمَا
إِذَا عَلَوِيٌّ لَمْ يَكُنْ مِثْلَ طَاهِرِ
أَلَا أَيُّهَا الْمَالُ الَّذِي قَدْ أَبَادَهُ
وَرُدُّوا رُقَادِي فَهُوَ لَحْظُ الْحَبَائِبِ
عَلَى مُقْلَةٍ مِنْ بَعْدِكُمْ فِي غَيَابِ
عَقْدْتُمْ أَعَالِي كُلِّ هُذْبٍ بِحَاجِبِ
فَمَا هُوَ إِلَّا حُجَّةٌ لِلنَّوَاصِبِ
تَعَزَّ فَهَذَا فِعْلُهُ فِي الْكَتَائِبِ

* * *

ابن صمادح :

وَزَهَّدَنِي فِي النَّاسِ مَعْرِفَتِي بِهِمْ
فَلَمْ تُرِنِي إِلَّا يَامُ خِلَا تُسْرُنِي
وَلَا صِرْتُ أَدْعُوهُ لِدَفْعِ مُلَمَّةٍ
وَطُولُ اخْتِبَارِي صَاحِبًا بَعْدَ صَاحِبِ
بَوَادِيهِ إِلَّا سَاءَنِي فِي أَلْعَوَاقِبِ
مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا كَانَ إِحْدَى النَّوَائِبِ

* * *

مجنون ليلى :

جَرَى السَّيْلُ فَاسْتَبَكَانِي السَّيْلُ إِذْ جَرَى
وَمَا ذَاكَ إِلَّا حِينَ أَتَقَنْتُ أَنَّهُ
يَكُونُ أَجَاجًا دُونَكُمْ فَإِذَا أَنْتَهَى
فَيَا سَاكِنِي أَكْنَافِ نَخْلَةٍ كُلُّكُمْ
أَظَلُّ غَرِيبٍ الدَّارِ فِي أَرْضِ عَامِرِ
وَفَاضَتْ لَهُ مِنْ مُقْلَتِي غُرُوبُ
يَكُونُ بَوَادٍ أَنْتَ مِنْهُ قَرِيبُ
إِلَيْكُمْ تَلَقَّى طَبِيبُكُمْ فَيَطِيبُ
إِلَى الْقَلْبِ مِنْ أَجْلِ الْحَبِيبِ حَبِيبُ
أَلَا كُلُّ مَهْجُورٍ هُنَاكَ غَرِيبُ

شاعر :

إِذَا اشْتَمَلْتُ عَلَى الْيَاسِ الْقُلُوبُ
وَأَوْطَنْتِ الْمَكَارِهِ وَأَطْمَأْنَنْتِ
وَلَمْ تَرَ لَانْكِشَافِ الضُّرِّ وَجْهًا
أَتَاكَ عَلَى قُنُوطٍ مِنْكَ غَوْثٌ
وَكُلُّ الْحَادِثَاتِ إِذَا تَنَاهَتْ
وَصَاقَ لِمَا بِهِ الصَّدْرُ الرَّحِيبُ
وَأَرْسَتْ فِي أَمَاكِنِهَا الْخُطُوبُ
وَلَا أَغْنَى بِحِيلَتِهِ الْأَرِيبُ
يُمْنٌ بِهِ اللَّطِيفُ الْمُسْتَجِيبُ
فَمَوْصُولٌ بِهَا فَرَجٌ قَرِيبُ

* * *

محمود محمد الزبيري :

خَرَجْنَا مِنَ السَّجْنِ شَمَّ الْأَنْوَفِ
نَمْرُ عَلَى شَفَرَاتِ السُّيُوفِ
وَنَابَى الْحَيَاةَ إِذَا دُنُسَتْ
وَنَحْتَقِرُ الْحَادِثَاتِ الْكِبَارِ
وَنَعْلَمُ أَنَّ الْقَضَا وَاقِعٌ
سَتَعْلَمُ أُمَّتُنَا أَنَّنَا
فَإِنْ نَحْنُ فُزْنَا فَيَا طَالَمَا
وَأِنْ نَلْقَ حَقًّا فَيَا حَبَّذَا
أَنْفَنَا الْإِقَامَةَ فِي أُمَّةٍ
وَسِرْنَا لِنُقْلِتَ مِنْ خِزْيِهَا
كَمَا تَخْرُجُ الْأُسْدُ مِنْ غَابِهَا
وَنَاتِي الْمَنِيَّةَ مِنْ بَابِهَا
بِعَسْفِ الطَّغَاةِ وَإِزْهَابِهَا
إِذَا اعْتَرَضْتَنَا بِأَتْعَابِهَا
وَأَنَّ الْأُمُورَ بِأَسْبَابِهَا
رَكِبْنَا الْخُطُوبَ حَنَانًا بِهَا
تَذِلُّ الصَّعَابُ لِطُلَّابِهَا
مَنَايَا تَجِيءُ لِخُطَابِهَا
تُدَاسُ بِأَقْدَامِ أَرْبَابِهَا
كِرَامًا وَنَخْلُصَ مِنْ عَابِهَا

* * *

المتنبي :

وَقَدْ فَارَقَ النَّاسُ الْأَحِبَّةَ قَبْلَنَا
وَأَعْيَا دَوَاءُ الْمَوْتِ كُلَّ طَيْبِ

مُنْعَنَا بِهَا مِنْ جِيَاةٍ وَذُحُوبٍ
وَفَارَقَهَا الْمَاضِي فِرَاقَ سَلِيبٍ
وَصَبِرِ الْفَتَى لَوْلَا لِقَاءُ شُعُوبٍ
إِذَا لَمْ يُعَوِّذْ مَجْدَهُ بِعُيُوبٍ
غَفَلْنَا فَلَمْ نَشْعُرْ لَهُ بِذُنُوبٍ
إِذَا جَعَلَ الْإِحْسَانَ غَيْرَ رَيْبٍ
مُعَذِّبَةً فِي حَضْرَةٍ وَمَغِيبٍ
وَيَجْهَدُ أَنْ يَأْتِيَ لَهَا بِضَرْبٍ

* * *

سُبِقْنَا إِلَى الدُّنْيَا فَلَوْ عَاشَ أَهْلُهَا
تَمَلَّكَهَا إِلَّا تِي تَمَلُّكَ سَالِبٍ
وَلَا فَضْلَ فِيهَا لِلشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى
كَأَنَّ الرَّدَى عَادَ عَلَى كُلِّ مَا جِدِ
وَلَوْلَا أَيَادِي الدَّهْرِ فِي الْجَمْعِ بَيْنَنَا
وَلَلْتَرَكُ لِلْإِحْسَانِ خَيْرٌ لِمُحْسِنٍ
فَدَتِكَ نَفُوسُ الْحَاسِدِينَ فَإِنَّهَا
وَفِي تَعَبٍ مَنْ يَحْسُدُ الشَّمْسَ نُورَهَا

المتنبي :

عَلَى عَيْنِهِ حَتَّى يَرَى صِدْقَهَا كِذْبًا
فَكَيْفَ إِذَا كَانَتْ نِزَارِيَّةَ عُرْبًا
فَكَيْفَ إِذَا كَانَ الْلُيُوثُ لَهُ صَحْبًا
فَكَيْفَ بِمَنْ يَغْشَى الْبِلَادَ إِذَا عَبَا
حَرِيصًا عَلَيْهَا مُسْتَهَامًا بِهَا صَبَا
وَحُبُّ الشُّجَاعِ النَّفْسَ أَوْرَدَهُ الْحَرْبَا
إِلَى أَنْ يَرَى إِحْسَانَ هَذَا لِذَا ذَنْبَا

* * *

وَمَنْ صَحِبَ الدُّنْيَا طَوِيلًا تَقَلَّبَتْ
تُهَابُ سُيُوفِ الْهِنْدِ وَهِيَ حَدَائِدُ
وَيُرْهَبُ نَابُ الْلَيْثِ وَاللَيْثُ وَحْدَهُ
وَيُخْشَى عُبَابُ الْبَحْرِ وَهُوَ مَكَانُهُ
أَرَى كُلَّنَا يَنْغِي الْحَيَاةَ لِنَفْسِهِ
فَحُبُّ الْجَبَانِ النَّفْسَ أَوْرَدَهُ التَّقَى
وَيَخْتَلِفُ الرِّزْقَانِ وَالْفِعْلُ وَاحِدُ

المتنبي :

وَقَدْ يُؤْذِي مِنَ الْمَقَةِ الْحَبِيبُ
وَأَنْتَ لِعِلَّةِ الدُّنْيَا طَيِّبُ

يُجَشِّمُكَ الزَّمَانُ هَوًى وَحُبًّا
وَكَيْفَ تَعْلُكَ الدُّنْيَا بِشَيْءٍ

وَأَنْتَ الْمَرءُ تُمْرِضُهُ الْحَشَايَا
فَإِنِّي قَدْ وَصَلْتُ إِلَى مَكَانٍ
لَهُمَّتِهِ وَتَشْفِيهِ الْحُرُوبُ
عَلَيْهِ تَحْسُدُ الْحَدَقَ الْقُلُوبُ

* * *

المتنبي :

طَوَى الْجَزِيرَةَ حَتَّى جَاءَنِي خَبْرٌ
حَتَّى إِذَا لَمْ يَدْعَ لِي صِدْقُهُ أَمَلًا
تَعَثَّرْتُ بِهِ فِي الْأَفْوَاهِ أَلْسُنَهَا
تَخَالَفَ النَّاسُ حَتَّى لَا اتَّفَاقَ لَهُمْ
فَقِيلَ : تَخْلُصُ نَفْسُ الْمَرءِ سَالِمَةً
وَمَنْ تَفَكَّرَ فِي الدُّنْيَا وَمُهِجَتِهِ
فَزِعْتُ فِيهِ بِأَمَالِي إِلَى الْكَذِبِ
شَرَفْتُ بِالذَّمِّ حَتَّى كَادَ يَشْرُقَ بِي
وَالْبُرْدُ فِي الطَّرْقِ وَالْأَقْلَامُ فِي الْكُتُبِ
إِلَّا عَلَى شَجَبٍ وَالْخُلْفُ فِي الشَّجَبِ
وَقِيلَ : تَشْرِكُ جِسْمَ الْمَرءِ فِي الْعَطَبِ
أَقَامَهُ الْفِكْرُ بَيْنَ الْعَجْزِ وَالتَّعَبِ

* * *

المتنبي :

وَتَحْتَقِرُ الدُّنْيَا اخْتِقَارَ مُجَرَّبٍ
يَرَى كُلَّ مَا فِيهَا وَحَاشَاكَ فَايِنَا

* * *

المتنبي :

أَزُورُهُمْ وَسَوَادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي
لَيْتَ الْحَوَادِثَ بَاعَتْنِي الَّذِي أَخَذْتُ
فَمَا الْحَدَاثَةُ مِنْ حِلْمٍ بِمَانِعَةٍ
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْغَانِي بِتَسْمِيَةِ
أَنْتَ الْحَبِيبُ وَلَكِنِّي أَعُوذُ بِهِ
وَأَنْتَنِي وَبَيَاضُ الصُّبْحِ يُغْرِي بِي
مِنِّي بِحِلْمِي الَّذِي أَعْطَتْ وَتَجَرَّبِي
قَدْ يُوجَدُ الْحِلْمُ فِي الشُّبَّانِ وَالشُّبِّ
فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ عَنْ وَصْفٍ وَتَلْقِيبِ
مَنْ أَنْ أَكُونَ مُحِبًّا غَيْرَ مَحْبُوبِ

* * *

المتنبى :

وَكَمْ لِظَلَامِ اللَّيْلِ عِنْدَكَ مِنْ يَدٍ
وَقَاكَ رَدَى الْأَعْدَاءِ تَسْرِي إِلَيْهِمْ
لَحَى اللَّهُ ذِي الدُّنْيَا مُنَاخًا لِرَاكِبٍ
أَبَا الْمِسْكِ هَلْ فِي الْكَأْسِ فَضْلٌ أَنَالُهُ
وَكُلُّ أَمْرٍ يُؤَلِّي الْجَمِيلَ مُحَبَّبٌ
وَأَظْلَمَ أَهْلُ الظُّلَمِ مَنْ بَاتَ حَاسِدًا

* * *

المتنبى :

وَفِي الْجِسْمِ نَفْسٌ لَا تَشِيبُ بِشَبِّهِ
يُغَيِّرُ مِنِّي الدَّهْرُ مَا شَاءَ غَيْرَهَا
وَإِنِّي لَنَجْمٍ تَهْتَدِي بِي صُخْبَتِي
وَلِلسَّرِّ مِنِّي مَوْضِعٌ لَا يَنَالُهُ
تَرَكْنَا لِأَطْرَافِ الْقَنَا كُلِّ شَهْوَةٍ
أَعَزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنْيَا سَرَجٌ سَابِحٌ
وَهَلْ نَافِعِي أَنْ تُزْفَعَ الْحُجُبُ بَيْنَنَا
وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ وَفِيكَ فِطَانَةٌ
وَمَا أَنَا بِأَبْلَاغِي عَلَى الْحُبِّ رِشْوَةً
إِذَا نِلْتُ مِنْكَ الْوُدَّ فَالْمَالُ هَيِّنٌ

* * *

الألبيري :

تَفَتُّ فُوَادَكَ الْآيَامُ فَتَا
وَتَدْعُوكَ الْمُنُونُ دُعَاءَ صَدَقِ
تَنَامُ الدَّهْرَ وَيَحْكُ فِي غَطِيطِ
(أَبَا بَكْرٍ) دَعْوَتِكَ لَوْ أَجَبْنَا
إِلَى عِلْمٍ تَكُونُ بِهِ إِمَامًا
وَيَجْلُو مَا بَعَيْنِكَ مِنْ غِشَاهَا
هُوَ الْعَضْبُ الْمُهَنْدُ لَيْسَ يَنْبُو
وَكَنْزٌ لَا تَخَافُ عَلَيْهِ لَصَا

* * *

دعبل الخزاعي :

مَدَارِسُ آيَاتٍ خَلَتْ مِنْ تِلَاوَةٍ
لَا لِرَسُولِ اللَّهِ بِالْخَيْفِ مِنْ مَنْى
دِيَارِ عَلِيٍّ وَالْحُسَيْنِ وَجَعْفَرِ
دِيَارِ لِعَبْدِ اللَّهِ وَالْفَضْلِ صُنُوهِ
وَسِبْطِي رَسُولِ اللَّهِ وَأَبْنِي وَصِيَّهُ
مَنَازِلُ وَخِي اللَّهِ يَنْزِلُ بَيْنَهَا
مَنَازِلُ قَوْمٍ يُهْتَدَى بِهِدَاهُمْ

* * *

أبو الحسن الأنباري :

عُلُوٌّ فِي الْحَيَاةِ وَفِي الْمَمَاتِ
لَحَقْتُ بِكَ إِحْدَى الْمُعْجَزَاتِ

وُقُودُ نَدَاكَ أَيَّامَ الصَّلَاتِ
وَكُلُّهُمْ قِيَامٌ لِلصَّلَاةِ
كَمَدَّهِمَا إِلَيْهِم بِالْهَبَاتِ
يَضُمُّ عِلَاكَ مِنْ بَعْدِ الْوَفَاةِ
عَنِ الْأَكْفَانِ ثُوبَ السَّافِيَاتِ
بِحُرَّاسٍ وَحُفَاطٍ ثَقَاتِ
كَذَلِكَ كُنْتَ أَيَّامَ الْحَيَاةِ
لَأَنَّكَ نَضَبُ هَظْلِ الْهَاطِلَاتِ
بِرَحِمَاتٍ غَوَادٍ رَائِحَاتِ

* * *

كَأَنَّ النَّاسَ حَوْلَكَ حِينَ قَامُوا
كَأَنَّكَ قَائِمٌ فِيهِمْ خَطِيئاً
مَدَدْتَ يَدَيْكَ نَحْوَهُمْ اخْتِفَاءً
وَلَمَّا ضَاقَ بَطْنُ الْأَرْضِ عَنْ أَنْ
أَصَارُوا الْجَوْ قَبْرَكَ وَأَسْتَعَاضُوا
لِعُظْمِكَ فِي النُّفُوسِ بَقِيَتْ تَرْغَى
وَتُوقَدُ حَوْلَكَ النَّيْرَانُ لَيْلَاً
وَمَا لَكَ تَرْبَةً فَأَقُولَ تُسْقَى
عَلَيْكَ تَحِيَّةُ الرَّحْمَنِ تَتَرَى

عمران السدوسي :

بِيَدٍ تُقَرُّ بِأَنْهَا مَوْلَاتُهُ
عَفَّتْ عَلَى عِرْفَانِهِ جَهْلَاتُهُ
فِي الصَّفِّ وَاحْتَجَّتْ لَهُ فَعَلَاتُهُ
غُرِسَتْ لَدَيَّ فَحَنَظَلْتُ نَخْلَاتُهُ
لَأَحَقُّ مَنْ جَارَتْ عَلَيْهِ وُلَاتُهُ
وَجَوَارِحِي وَسِلَاحُهَا آلَاتُهُ

* * *

أَقَاتِلُ الْحَجَّاجَ عَنْ سُلْطَانِهِ
إِنِّي إِذَنْ لِأَخُو الدَّنَاءَةِ وَالَّذِي
مَاذَا أَقُولُ إِذَا وَقَفْتُ مُوَازِيَاً
وَتَحَدَّثَ الْأَكْفَاءُ أَنَّ صَنَائِعَاً
أَقُولُ جَارَ عَلَيَّ إِنِّي فِيكُمْ
تَاللَّهِ مَا كِدْتُ الْأَمِيرَ بِآلَةٍ

شوقي :

وَقَبَلْتُ مَثْوَى الْأَعْظَمِ الْعَطِرَاتِ
لِأَحْمَدَ بَيْنَ السَّنَرِ وَالْحُجُرَاتِ

إِذَا زُرْتُ يَا مَوْلَايَ قَبْرَ مُحَمَّدٍ
وَفَاضَتْ مَعَ الدَّمْعِ الْعُيُونُ مَهَابَةً

وَأَشْرَقَ نُورٌ تَحْتَ كُلِّ نَبِيَّةٍ
لِمُظْهِرِ دِينِ اللَّهِ فَوْقَ تَنُوفَةٍ
فَقُلْ لِرَسُولِ اللَّهِ : يَا خَيْرَ مُرْسَلٍ
شُعُوبُكَ فِي شَرْقِ الْبِلَادِ وَغَرْبِهَا
بِأَيْمَانِهِمْ نُورَانِ ذِكْرٌ وَسُنَّةٌ
وَضَاعَ أَرِيحٌ تَحْتَ كُلِّ حَصَاةٍ
وَبَانِي صُرُوحِ الْمَجْدِ فَوْقَ فَلَاةٍ
أَبْثُكَ مَا تَذَرِي مِنَ الْحَسَرَاتِ
كَأَصْحَابِ كَهْفٍ فِي عَمِيقِ سُبَاتٍ
فَمَا بِالْهَمِّ فِي حَالِكَ الظُّلُمَاتِ

* * *

محمد محمود الزبيري :

الشَّاعِرِيَّةُ فِي رَوَائِعِ سِحْرِهَا
مَا لِي بِهَا جَهْدٌ فَأَنْتَ سَكَبْتَهَا
أَنْتَ الَّذِي بِشَذَاكَ قَدْ عَطَّرْتَهَا
وَقَفْتَ لِسَانِي فِي هَوَاكَ غِنَاءَهَا
يَتِمَّتْ رُوحِي فِي عِلَاكَ وَصُغْتَهَا
أَبْعَدْتَنِي عَنْ أُمَّةٍ أَنَا صَوْتُهَا أَلْـ
حَمَلْتَنِي الْآلَمَهَا وَدُمُوعَهَا
نَادَيْتَ أَشْتَاتَ الْجِرَاحِ بِأُتْمِي
مَا قَالَ قَوْمِي : آهَ إِلَّا جِئْتَنِي
عَذَّبْتَنِي وَصَهَرْتَنِي لِيَقُولَ عَنْكَ النَّاسُ : هَلْذِي آيَةٌ أَبْدَعْتَهَا
أَنْتَ الَّذِي سَوَّيْتَهَا وَصَنَعْتَهَا
بِدَمِي وَأَنْتَ بِمُهْجَتِي أَوْدَعْتَهَا
وَنَشَرْتَهَا بَيْنَ الْوَرَى وَأَذَعْتَهَا
فَإِذَا تَغَنَّتْ فِي سِوَاكَ قَطَعْتَهَا
بِسَنَّاكَ ثُمَّ طَرَدْتَهَا وَفَجَعْتَهَا
عَالِي فَلَوْ ضَيَعْتَنِي ضَيَعْتَهَا
وَمَنْعْتَنِي عَنْ وَضْلِهَا وَمَنْعْتَهَا
وَجَمَعْتَهَا فِي أَضْلُعِي وَطَبَعْتَهَا
فَكُوَيْتَ أَحْشَائِي بِهَا وَلَسَعْتَهَا
عَذَّبْتَنِي وَصَهَرْتَنِي لِيَقُولَ عَنْكَ النَّاسُ : هَلْذِي آيَةٌ أَبْدَعْتَهَا

* * *

النميري :

تَضَوَّعَ مِسْكَاً بَطْنُ نَعْمَانَ إِنْ مَشَتْ
فَأَصْبَحَ مَا بَيْنَ الْهَمَاءِ فَخْزُوهُ
بِهِ زَيْنَبٌ فِي نِسْوَةٍ عَطِرَاتٍ
إِلَى الْمَاءِ مَاءِ الْجَزْعِ ذِي الْعَشَرَاتِ

لَهُ أَرْجٌ مِنْ مَجْمَرِ الْهِنْدِ سَاطِعٌ
تَهَادَيْنَ مَا بَيْنَ الْمُحْصَبِ مِنْ مَنَى
أَعَانَ الَّذِي فَوْقَ السَّمَاوَاتِ عَرْشُهُ
مَرَزَنَ بَفْخٍ ثُمَّ رُحْنَ عَشِيَّةً
يُحْبِئْنَ أَطْرَافَ الْبَنَانِ مِنَ التَّمَى

* * *

تميم بن جميل :

أَرَى الْمَوْتَ بَيْنَ السَّيْفِ وَالنُّطْعِ كَامِنًا
وَأَيُّ أَمْرِيءٍ يُذْلِي بِعُذْرِ وَحْجَةٍ
يَعِزُّ عَلَى الْأَوْسِ بْنِ تَغْلِبَ مَوْقِفٌ
وَمَا جَزَعِي مِنْ أَنْ أَمُوتَ وَإِنِّي
وَلَكِنْ خَلْفِي صَبِيَّةٌ قَدْ تَرَكْتُهُمْ
فَإِنْ عِشْتُ عَاشُوا خَافِضِينَ بِغِبْطَةٍ
وَكَمْ قَائِلٍ : لَا يُبْعَدُ اللَّهُ دَارَهُ

* * *

شاعر :

قِفْ عَلَى أَلْيَرْمُوكِ وَأَخْضَعْ جَائِيًا
تُرْبَةً طَيِّبَةً طَاهِرَةً
يَا قُبُورًا مُحِيثًا وَأَنْدَرَسَتْ
هَهُنَا مَثْوَى الصَّنَادِيدِ الْأَلَى
دَوَّخُوا الرُّومَ وَثَلُّوا عَرْشَهَا
وَتَيَّمَمَ مِنْ صَعِيدِ الْقَادِسِيَّةِ
وَقُبُورٌ مِنْ حَيَا النَّقْعِ نَدِيَّةُ
أَنْتِ بِنِرَاسُ الْهُدَى وَالْوَطَنِيَّةِ
دَوَّخُوا الْكُفْرَ بِيضِ الْمَشْرِفِيَّةِ
وَطَوَّوْا حُمْرَ الْبُنُودِ الْفَارِسِيَّةِ

ابن الرومي :

أَمَامَكَ فَانْظُرْ أَيَّ نَهَجِيكَ تَنْهَجُ
أَلَا أَيُّ هَذَا النَّاسُ طَالَ ضَرِيرُكُمْ
أَكُلَ أَوَانٍ لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
تَبِيعُونَ فِيهِ الدِّينَ شَرَّ أَيْمَةٍ
أَبْعَدَ الْمُكْنَى بِالْحُسَيْنِ شَهِيدِكُمْ
أَيُّخَى الْعُلَا لَهْفِي لِذِكْرِكَ لَهْفَةٌ
أَحِينَ تَرَاءَ تَكَ الْعُيُونُ جِلَاءَهَا
لِمَنْ تَسْتَجِدُّ الْأَرْضُ بَعْدَكَ زِينَةً
سَلَامٌ وَرَيْحَانٌ وَرَوْحٌ وَرَحْمَةٌ
وَلَا بَرِحَ الْقَاعُ الَّذِي أَنْتَ جَارُهُ
وَيَا أَسْفِي أَلَا تَرُدُّ تَحِيَّةَ
وَلَيْسَ الْبُكَاءُ أَنْ تَسْفَحَ الْعَيْنُ إِنَّمَا
عَفَاءٌ عَلَى دَارٍ ظَعَنْتَ لغيرِهَا
كَأَنِّي بِهِ كَاللَّيْلِ يَحْمِي عَرِينَهُ
يَكِرُّ عَلَى أَعْدَائِهِ كَرَّ نَائِرٍ
كَدَابٍ عَلَيَّ فِي الْمَوَاطِنِ قَبْلَهُ

* * *

عوف بن محلم :

أَمَّا لِلنَّوَى مِنْ وَنِيَةٍ فَتُرِيحُ
فَهَلْ أَرَيْنَ الْبَيْنَ وَهُوَ طَرِيحُ

وَأَرْقَنِي بِالرَّيِّ نَوْحَ حَمَامَةٍ
عَلَى أَنَّهَا نَاحَتْ وَلَمْ تَذِرْ دَمْعَةً
وَنَاحَتْ وَفَرَزَخَا بِحَيْثُ تَرَاهُمَا
أَلَا يَا حَمَامَ الْأَيْكِ إِلْفَكَ حَاضِرٌ
فُنُحْتُ وَذُو الشَّجْرِ الْغَرِيبُ يَنْوَحُ
وَنُحْتُ وَأَسْرَابُ الدُّمُوعِ سُفُوحُ
وَمِنْ دُونَ أَفْرَاحِي مَهَامُهُ فَيُحُ
وَعُصْنُكَ مَيَّادٌ فَفَيْمَ تَنْوَحُ

* * *

أشجع السلمي :

مَضَى ابْنُ سَعِيدٍ حِينَ لَمْ يَبْقَ مَشْرِقُ
وَمَا كُنْتُ أَذْرِي مَا فَوَاضِلُ كَفِّهِ
فَأَصْبَحَ فِي لَحْدٍ مِنَ الْأَرْضِ مَيَّاتاً
مَضَى حِينَ مَدَّ الْمَجْدُ أَطْنَابَ بَيْتِهِ
وَحِينَ اسْتَهَانَتْ نَزَحَ كُلُّ تَنُوفَةٍ
فَإِنْ سَفَحَتْ عَيْنِي عَلَيْهِ دُمُوعَهَا
سَأَبْكِيكَ مَا فَاضَتْ دُمُوعِي فَإِنْ تَغَضُّ
وَمَا أَنَا مِنْ رُزْءٍ وَإِنْ جَلَّ جَانِعٌ
كَأَنَّ لَمْ يَمُتْ حَيٌّ سِوَاكَ وَلَمْ تَقُمْ
لَنْ حَسُنْتُ فِيكَ الْمَرَاثِي وَذِكْرُهَا

* * *

دريد بن الصمة :

أَمَرْتُهُمْ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى
وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةٍ إِنْ غَوَتْ
تَنَادَوْا فَقَالُوا : أَرَدَتْ الْخَيْلُ فَارِساً
فَلَمْ يَسْتَبِينُوا الرُّشْدَ إِلَّا ضَحَى الْغَدِ
غَوِيْتُ وَإِنْ تَرَشَّدَ غَزِيَّةُ أَرُشْدِ
فَقُلْتُ : أَعْبَدُ اللَّهَ ذَلِكَمُ الرَّدْيِ

فَجَنُتْ إِلَيْهِ وَالرِّمَاحُ تُنَوِّشُهُ
فَطَاعَنْتُ عَنْهُ الْخَيْلَ حَتَّى تَبَدَّدَتْ
فَقَالَ أَمْرِيءُ آسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ
وَطَيَّبَ نَفْسِي أَنَّنِي لَمْ أَقُلْ لَهُ :

* * *

طرفة بن العبد :

إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا : مَنْ فَتَى خِلْتُ أَنَّنِي
وَلَسْتُ بِحَلَالِ التَّلَاعِ مَخَافَةً
فَإِنْ كُنْتُ لَا تَسْطِيعُ دَفْعَ مَيْسِي
وَلَوْلَا ثَلَاثُ هُنَّ مِنْ عَيْشَةِ الْفَتَى
فَمِنْهُنَّ سَبْقِي الْعَادِلَاتِ بِشَرِّبَةٍ
وَكَرِّي إِذَا نَادَى الْمُضَافُ مُحَنَّبًا
وَتَقْصِيرُ يَوْمِ الدَّجَنِ وَالْدَّجْنُ مُعْجِبُ
أَرَى الْمَوْتَ يَغْتَامُ الْكِرَامَ وَيَضْطَفِي
أَرَى الْعَيْشَ كَنْزًا نَاقِصًا كُلَّ لَيْلَةٍ
لَعَمْرُكَ إِنَّ الْمَوْتَ مَا أَخْطَأَ الْفَتَى

* * *

الأعشى :

أَجِدْكَ وَدَّعْتَ الصَّبَا وَالْوَلَائِدَا
وَمَا خِلْتُ أَنْ أَبْتَاعَ جَهْلًا بِحِكْمَةٍ
يَلُومُ السَّفِي ذَا الْبَطَالَةِ بَعْدَمَا
وَأَصْبَحْتَ بَعْدَ الْجَوْرِ فِيهِنَّ قَاصِدَا
وَمَا خِلْتُ مِهْرَاسًا بِلَادِي وَمَارِدَا
يَرَى كُلُّ مَا يَأْنِي الْبَطَالَةَ رَاشِدَا

وَكَانَ حُرَيْثٌ عَنْ عَطَائِي جَامِداً
 شَمَائِلُهُ وَلَا أَبَاهُ الْمُجَالِداً
 يَرَى أَسْداً فِي بَيْتِهِ وَأَسَاوِداً
 بِجَوْ لَخَيْرٌ مِنْكَ نَفْساً وَوَالِداً
 وَأَصْفَدَنِي عَلَى الزَّمَانَةِ قَائِداً
 فَأُبْتُ بِخَيْرٍ مِنْكَ يَا هَوْدُ حَامِداً
 فَأَعْنِي بِهَا أَبَا قُدَامَةَ عَامِداً
 أَوْ الْقَمَرَ السَّارِي لَأَلْقَى الْمُقَالِداً
 عَلَى ظَهْرِ أَنْمَاطٍ لَهُ وَوَسَائِداً
 يَلْدُ بِهِ عَذْباً مِنَ الْمَاءِ بَارِداً
 أَبُو أَشْبِلٍ أَمْسَى بِخَفَّانٍ حَارِداً
 لَدَى الرُّوعِ مِنْ لَيْثٍ إِذَا رَاحَ حَارِداً
 وَيَعْدُو إِذَا كَانَ الثَّمَانُونَ وَاحِداً
 وَأَصْبَحَ مِنْ طُولِ الثَّوَايَةِ هَامِداً
 مَهَاةً بِدَكَدَاكِ الصُّفْيَيْنِ فَاقِداً
 لَتَقْطَعَ عَنِّي سَبَباً مُتْبَاعِداً
 وَتَبْعْتُ بِالْفَلَا قَطَاها الْهُوَاجِداً

* * *

أَتَيْتُ حُرَيْثاً زَائِراً عَنْ جَنَابَةِ
 لَعْمُوكَ مَا أَشْبَهْتَ وَعِلَّةَ فِي النَّدَى
 إِذَا زَارَهُ يَوْماً صَدِيقٌ كَأَنَّمَا
 وَإِنَّ أَمْرًا قَدْ زُرْتُهُ قَبْلَ هَذِهِ
 تَضَيَّقْتُهُ يَوْماً فَقَرَّبَ مَقْعَدِي
 وَأَمْتَعَنِي عَلَى الْعُشَا بِوَلِيدَةٍ
 وَمَا كَانَ فِيهَا مِنْ ثَنَاءٍ وَمِذْحَةٍ
 فَتَى لَوْ يُنَادِي الشَّمْسَ أَلْقَتْ قِنَاعَهَا
 وَيُضْبِحُ كَالسَّيْفِ الصَّقِيلِ إِذَا غَدَا
 يَرَى الْبُخْلَ مُرّاً وَالْعَطَاءَ كَأَنَّمَا
 وَمَا مُخْدِرٌ وَرَدَّ عَلَيْهِ مَهَابَةٌ
 وَأَحْلَمُ مِنْ قَيْسٍ وَأَجْراً مُقَدِّماً
 يَرَى كُلَّ مَا دُونَ الثَّلَاثِينَ رُخْصَةً
 وَلَمَّا رَأَيْتُ الرَّحْلَ قَدْ طَالَ وَضَعُهُ
 كَسَوْتُ قُتُودَ الرَّحْلِ عَنَساً تَخَالُهَا
 أَتَارَتْ بِعَيْنَيْهَا الْقَطِيعَ وَشَمَّرَتْ
 تَبَزُّ يَعَافِيرَ الصَّرِيمِ كِنَاسَهَا

حمد الحجي :

كَأَنَّمَا قَدْ شَوَى الْأَضْلَاعَ سَقُودُ
 فَإِنَّ أَيَّامَنَا مِنْ بُعْدِكُمْ سُودُ

يَا سَاكِنِي نَجِدَ إِنَّا بَعْدَ بَيْنِكُمْ
 فَادْعُوا بِحَقِّ الْهُوَى أَنْ نَلْتَقِيَ بِكُمْ

يَا لَيْتَكُمْ تَبْصِرُونَ الصَّبَّ عَنْ كَثَبٍ
إِذَا ذَكَرْتَكُمْ أَمْسَيْتُ مُرْتَعِشاً
أَنَا الْمُتَيَّمُ وَالْأَحْدَاثُ شَاهِدَةٌ
إِنِّي غُلَامٌ وَلَكِنْ حَالَتِي عَجَبٌ
لَمْ أَشْرَبِ الْكَأْسَ وَالْأَشْوَاقُ تَشْرِيبِي
حَتَّى يَبِينَ الَّذِي يَلْقَاهُ مَعْمُودٌ
كَأَنِّي فِي مَهَبِّ الرِّيحِ أُمْلُودٌ
مِنْ أَلْهُومٍ عَلَتْ وَجْهِي التَّجَاعِيدُ
أَرَى كَأَنِّي فِي السَّبْعِينَ مَوْلُودٌ
وَلَمْ أَغِرِّدْ وَمِنْ حَوْلِي الْأَغَارِيدُ

* * *

علي محمود طه :

أَخِي جَاوَزَ الظَّالِمُونَ أَلْمَدَى
أَنْتَرَكُهُمْ يَغْضِبُونَ الْعُرُو
وَلَيْسُوا بِغَيْرِ صَلِيلِ السُّيُ
فَجَرَّدَ حُسَامَكَ مِنْ غَمْدِهِ
أَخِي أَهْهَا الْعَرَبِيُّ الْأَبِي
أَخِي أَقْبَلَ الشَّرْقُ فِي أُمَّةٍ
أَخِي إِنَّ فِي الْقُدْسِ أُخْتًا لَنَا
فَحَقَّ الْجِهَادُ وَحَقَّ الْفِدَا
بَةِ مَجْدِ الْأَبُوءِ وَالشُّؤْدُودَا ؟
فِ يُجِيبُونَ صَوْتًا لَنَا أَوْ صَدَى
فَلَيْسَ لَهُ بَعْدُ أَنْ يُغْمَدَا
أَرَى الْيَوْمَ مَوْعِدُنَا لَا الْغَدَا
تَرُدُّ الضَّلَالِ وَتُخَيِّ أَلْهُدَى
أَعَدَّ لَهَا الذَّابِحُونَ أَلْمَدَى

* * *

زهير بن أبي سلمى :

لَوْ كَانَ يَخْلُدُ أَقْوَامٌ بِمَجْدِهِمْ
أَوْ كَانَ يَقْعُدُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ
قَوْمٌ أَبْوَهُمْ سِنَانٌ حِينَ تَنْسُبُهُمْ
إِنْسٌ إِذَا أَمِنُوا جِنٌّ إِذَا غَضِبُوا
مُحْسَدُونَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ نَعَمٍ
أَوْ مَا تَقَدَّمَ مِنْ أَيَّامِهِمْ خَلَدُوا
قَوْمٌ بِأَوَّلِهِمْ أَوْ مَجْدِهِمْ قَعَدُوا
طَابُوا وَطَابَ مِنَ الْأَوْلَادِ مَا وَلَدُوا
مُرَرَّزُونَ بِهَالِيلٍ إِذَا جُهِدُوا
لَا يَنْزِعُ اللَّهُ مِنْهُمْ مَا لَهُ حَسَدُوا

المقنع الكندي :

يُعَاتِبُنِي فِي الدِّينِ قَوْمِي وَإِنَّمَا
أَسُدُّ بِهِ مَا قَدْ أَخْلَوْا وَضَيَّعُوا
وَفِي جَفَنَةٍ مَا يُغْلَقُ الْبَابُ دُونَهَا
وَإِنَّ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي أَبِي
فَإِنْ يَأْكُلُوا لَحْمِي وَفَرَّتْ لُحُومُهُمْ
وَإِنْ ضَيَّعُوا غَنِي حَفِظْتُ غُيُوبَهُمْ
وَلَا أَحْمِلُ الْحِفْدَ الْقَدِيمَ عَلَيْهِمْ
وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ نَازِلًا

* * *

علي بن الجهم :

غَيْرُ اللَّيَالِي بَادِيَاتٌ عُودٌ
قَالَتْ حُبِسْتُ فَقُلْتُ : لَيْسَ بِضَائِرٍ
وَالشَّمْسُ لَوْلَا أَنَّهَا مَحْجُوبَةٌ
وَالْبَذْرُ يُذَرِكُهُ السَّرَارُ فَتَنْجَلِي
وَالنَّارُ فِي أَحْجَارِهَا مَخْبُوءَةٌ
وَلِكُلِّ حَالٍ مُعْقِبٌ وَلَرُبَّمَا
لَا يُؤَيِّسُكَ مِنْ تَفَرُّجِ كُرْبَةٍ
كَمْ مِنْ عَلِيلٍ قَدْ تَخَطَّاهُ الرَّدَى
صَبْرًا فَإِنَّ الصَّبْرَ يُعْقِبُ رَاحَةً

* * *

المعري :

صَاحِ هَٰذِي قُبُورَنَا تَمَلَّأُ الرُّحُوبَ فَأَيْنَ الْقُبُورُ مِنْ عَهْدِ عَادٍ ؟
خَفَّفِ الْوُطْءَ مَا أَظُنُّ أَدِيمَ الْأَرْضِ إِلَّا مِنْ هَٰذِهِ الْأَجْسَادِ
وَقَبِيحُ بِنَا وَإِنْ قَدُمَ الْعَهْدُ هَوَانُ الْأَبَاءِ وَالْأَجْدَادِ
سِرٌّ إِنْ أَسْطَغَتْ فِي الْهَوَاءِ رُويْدَا لَا أَخْتِيَالَا عَلَى رُفَاتِ الْعِبَادِ
رُبَّ لَحْدٍ قَدْ صَارَ لَحْدًا مِرَارًا ضَاحِكٍ مِنْ تَزَاحُمِ الْأَضْدَادِ
وَدَفِينِ عَلَى بَقَايَا دَفِينِ فِي طَوِيلِ الْأَزْمَانِ وَالْآبَادِ
إِنَّ حُزْنَاً فِي سَاعَةِ الْمَوْتِ أَضْعَا فُ سُرُورٍ فِي سَاعَةِ الْمِيلَادِ

* * *

الخطيئة :

أُولَٰئِكَ قَوْمٌ إِنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا الْبِنَا
وَأَنْ قَالَ مَوْلَاهُمْ عَلَى جِلِّ حَادِثٍ
أَقْلُوا عَلَيْهِمْ - لَا أَبَا لِأَبِيكُمْ -
وَأِنْ عَاهَدُوا وَقَّوْا وَإِنْ عَقَدُوا شَدَّوْا
مِنْ اللَّذَّةِ: رُدُّوْا فَضْلَ أَحْلَامِكُمْ رَدُّوْا
مِنْ اللَّوْمِ أَوْ سُدُّوْا الْمَكَانَ الَّذِي سَدُّوْا

* * *

الخطيئة :

فَمَا زَالَتْ الْعُوجَاءُ تَجْرِي ضُفُورُهَا
تَزُورُ أَمْرًا يُؤْتِي عَلَى الْحَمْدِ مَالَهُ
يَرَى الْبُخْلَ لَا يُبْقِي عَلَى الْمَرْءِ مَالَهُ
كَسُوبٌ وَمِثْلَافٌ إِذَا مَا سَأَلْتَهُ
مَتَى تَأْتِيهِ تَغْشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ
وَذَاكَ أَمْرٌ إِنْ يُعْطِكَ الْيَوْمَ نَائِلًا
إِلَيْكَ ابْنُ شَمَّاسٍ تَرْوُحُ وَتَعْتَدِي
وَمَنْ يُؤْتِ أَثْمَانَ الْمَحَامِدِ يُحْمَدِ
وَيَعْلَمُ أَنَّ الْبُخْلَ غَيْرُ مُحْلَدِ
تَهَلَّلْ وَاهْتَزَّ اهْتِزَّازَ الْمُهْنَدِ
تَجِدْ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مَوْقِدِ
بِكَفِّهِ لَا يَمْنَعُكَ مِنْ نَائِلِ الْعَدِ

* * *

دريد بن الصمة :

أَعَاذِلُ إِنَّمَا أَفْنَى شَبَابِي
مَعَ الْفَتَيَانِ حَتَّى كُلِّ جِسْمِي
أَعَاذِلُ إِنَّهُ مَا لَطَرِيفُ
أَعَاذِلُ عُذَّتِي بَدَنِي وَرُمَحِي
وَيَقْنَى بَعْدَ حِلْمِ الْقَوْمِ حِلْمِي

* * *

الحطيئة :

أَتَتْ آلَ شَمَّاسٍ بِنِ لَأِي وَإِنَّمَا
فَإِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ تَعَادِي صُدُورُهُمْ
يَسُوسُونَ أَخْلَامًا بَعِيدًا أَنَاتَهَا
أَقْلُوا عَلَيْهِمْ - لَا أَبَا لِأِيكُمْ -
أُولَئِكَ قَوْمٌ إِنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا الْبِنَا
وَإِنْ كَانَتْ النُّعْمَى عَلَيْهِمْ جَزَوْا بِهَا
وَإِنْ قَالَ مَوْلَاهُمْ عَلَى جِلٍّ حَادِثٍ
مَطَاعِينَ فِي الْهَيْجَا مَكَاشِيفُ لِلدُّجَى

* * *

المتنبي :

أَقْلُ فَعَالِي بَلَهَ أَكْثَرَهُ مَجْدُ
سَأَطْلُبُ حَقِّي بِالْقَنَّا وَمَشَايِخِ
يَقَالِ إِذَا لَاقُوا خِفَافٍ إِذَا دُعُوا
وَذَا الْجِدُّ فِيهِ نِلْتُ أَمْ لَمْ أَنْلِ جَدُّ
كَأَنَّهُمْ مِنْ طُولِ مَا التَّمُّوا مُرْدُ
كَثِيرٍ إِذَا شَدُّوا قَلِيلٍ إِذَا عُذُّوا

أَذُمُّ إِلَى هَذَا الزَّمَانِ أَهْلَهُ
وَأَكْرَمُهُمْ كُلِّ وَأَبْصَرُهُمْ عَمِ
وَمِنْ نَكَدِ الدُّنْيَا عَلَى الْحُرِّ أَنْ يَرَى
وَيَحْتَقِرُ الْحُسَادَ عَنْ ذِكْرِهِ لَهُمْ
فَاعْلَمُهُمْ فَذُمُّ وَأَحْزَمُهُمْ وَغَدُ
وَأَسْهَدُهُمْ فَهَذَا وَأَشْجَعُهُمْ قِرْدُ
عَدُوِّ لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدُ
كَانَهُمْ فِي الْخَلْقِ مَا خُلِقُوا بَعْدُ

* * *

البارودي :

إِنْ كُنْتُ لَمْ تَرْحَمْ ضَنَائِي لِبُعْدِهَا
أَفْرَدْتُهُنَّ فَلَمْ يَنْمَنْ تَوَجُّعاً
أَلْقَيْنَ دُرَّ عُقُودِهِنَّ وَصُغْنَ مِنْ
يَبْكِينَ مِنْ وَلَهٍ فِرَاقَ حَفِيَّةٍ
فَحُدُودُهُنَّ مِنَ الدُّمُوعِ نَدِيَّةٍ
أَسْلِيلَةَ الْقَمَرَيْنِ أَيْ فَجِيعَةٍ
لَكِنَّهَا الْأَقْدَارُ لَيْسَ بِنَاجِعِ
هَيْهَاتَ بَعْدَكَ أَنْ تَقَرَّ جَوَانِحِي
وَلَهِي عَلَيْكَ مُصَاحِبٌ لِمَسِيرَتِي

* * *

حاتم الطائي :

أَيَا بَنَّةَ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنَةَ مَالِكِ
إِذَا مَا صَنَعْتَ الزَّادَ فَالْتَمِسِي لَهُ
أَخاً طَارِقاً أَوْ جَارَ بَيْتِ فَإِنِّي
وَيَا ابْنَةَ ذِي الْبُرْدَيْنِ وَالْفَرَسِ الْوَرْدِ
أَكِيلاً فَإِنِّي لَسْتُ أَكَلُهُ وَخَدِي
أَخَافُ مَذَمَّاتِ الْأَحَادِيثِ مِنْ بَعْدِي

* * *

المتنبى :

أَهْمُ بِشْيءٍ وَاللَّيَالِي كَأَنَّهَا
وَحِيدٌ مِنَ الْخُلَّانِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ
وَلَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ دُونَ مَحَلِّهِ
أَحَقُّهُمْ بِالسَّيْفِ مَنْ ضَرَبَ الطَّلَى
أُحِبُّكَ يَا شَمْسَ الزَّمَانِ وَبَذَرَهُ
وَذَاكَ لِأَنَّ الْفَضْلَ عِنْدَكَ بَاهِرٌ
فَإِنَّ قَلِيلَ الْحُبِّ بِالْعَقْلِ صَالِحٌ
تَطَارِدُنِي عَنْ كَوْنِهِ وَأُطَارِدُ
إِذَا عَظُمَ الْمَطْلُوبُ قَلَّ الْمُسَاعِدُ
تَيَقَّنْتُ أَنَّ الدَّهْرَ لِلنَّاسِ نَاقِدُ
وَبِالْأَمْنِ مَنْ هَانَتْ عَلَيْهِ الشَّدَائِدُ
وَإِنْ لَامَنِي فِيكَ الشَّهَاءُ وَالْفَرَاقُ
وَلَيْسَ لِأَنَّ الْعَيْشَ عِنْدَكَ بَارِدُ
وَإِنَّ كَثِيرَ الْحُبِّ بِالْجَهْلِ فَاسِدُ

* * *

المتنبى :

لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْ دَهْرِهِ مَا تَعَوَّدَا
هُوَ الْبَحْرُ غَضٌّ فِيهِ إِذَا كَانَ سَاكِناً
فَإِنِّي رَأَيْتُ الْبَحْرَ يَغْشَى بِالْفَتَى
هَيْنِئاً لَكَ الْغَيْدُ الَّذِي أَنْتَ عَيْدُهُ
وَلَا زَالَتِ الْأَعْيَادُ لُبْسَكَ بَعْدَهُ
فَذَا الْيَوْمُ فِي الْأَيَّامِ مِثْلَكَ فِي الْوَرَى
هُوَ الْجَدُّ حَتَّى تَفْضُلَ الْعَيْنُ أُخْتَهَا
وَمَنْ يَجْعَلِ الضَّرْعَامَ بَارِزاً لِحَصِيدِهِ
وَمَا قَتَلَ الْأَخْرَارَ كَالْعَفْوِ عَنْهُمْ
إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكَتَهُ
وَوَضَعَ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعُلَا
وَعَادَةُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الطَّعْنُ فِي الْعِدَا
عَلَى الدَّرِّ وَأَحْذَرُهُ إِذَا كَانَ مُزِيدَا
وَهَذَا الَّذِي يَأْتِي الْفَتَى مُتَعَمِّدَا
وَعَيْدٌ لِمَنْ سَمَى وَضَحَى وَعَيْدَا
تُسَلِّمُ مَخْرُوقاً وَتُعْطِي مُجَدِّدَا
كَمَا كُنْتَ فِيهِمْ أَوْحَدَا كَانَ أَوْحَدَا
وَحَتَّى يَصِيرَ الْيَوْمُ لِلْيَوْمِ سَيِّدَا
تَصِيدُهُ الضَّرْعَامُ فِيمَا تَصِيدَا
وَمَنْ لَكَ بِالْحُرِّ الَّذِي يَحْفَظُ الْيَدَا
وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّيِّمَ تَمَرَّدَا
مُضِرُّ كَوْضِعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى

المتنبى :

أَوْدُ مِنَ الْأَيَّامِ مَا لَا تَوَدُّهُ
يُبَاعِدُنَ حَبًّا يَجْتَمِعْنَ وَوَضْلُهُ
أَبَى خُلُقِ الدُّنْيَا حَبِيباً تُدِيمُهُ
وَأَسْرَعُ مَفْعُولٍ فَعَلْتَ تَغْيِيراً
وَأَتَعَبُ خَلْقِ اللَّهِ مَنْ زَادَ هَمُّهُ
فَلَا يَنْحَلِّلُ فِي الْمَجْدِ مَالِكَ كُلُّهُ
وَدَبَّرَهُ تَذْيِيرَ الَّذِي الْمَجْدُ كَفُّهُ
فَلَا مَجْدَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ
وَفِي النَّاسِ مَنْ يَرْضَى بِمَيْسُورِ عَيْشِهِ
وَلَكِنَّ قَلْباً بَيْنَ جَنْبَيَّيْ مَا لَهُ
يَرَى جِسْمَهُ يُكْسَى شُفُوفاً تَرُثُهُ

* * *

المتنبى :

عَيْدٌ بِأَيَّةِ حَالٍ عُدْتَ يَا عَيْدُ
أَمَّا الْأَحِبَّةُ فَالْيَبِيدَاءُ دُونَهُمْ
لَمْ يَتْرُكِ الدَّهْرُ مِنْ قَلْبِي وَلَا كَبِدِي
أَصْحَرَةً أَنَا مَا لِي لَا تَحْرُكُنِي
إِنِّي نَزَلْتُ بِكَذَائِبِنَ ضَيْفُهُمْ
جُودُ الرِّجَالِ مِنَ الْأَيْدِي وَجُودُهُمْ
نَامَتْ نَوَاطِيرُ مَضِرٍ عَنْ ثَعَالِيهَا

المتنبى :

تَمَنَّ بِلَدِّ الْمُسْتَهَامِ بِمِثْلِهِ
وَعِظْتُ عَلَى الْأَيَّامِ كَالنَّارِ فِي الْحَشَا
كَفَانَا الرَّيْبُ الْعَيْسَ مِنْ بَرَكَاتِهِ
إِذَا مَا اسْتَجَبْنَ الْمَاءَ يَعْزِضُ نَفْسَهُ
وَإِنْ كَانَ لَا يُغْنِي فِتِيلًا وَلَا يُجْدِي
وَلَكِنَّهُ غِظْتُ الْأَسِيرَ عَلَى الْقِدِّ
فَجَاءَتْهُ لَمْ تَسْمَعْ حُدَاءَ سِوَى الرَّعْدِ
كَرَعْنَ بِسَبَبٍ فِي إِنْاءٍ مِنَ الْوَرْدِ

* * *

أبو نواس :

تَقُولُ الَّتِي عَنْ بَيْتِهَا خَفَّ مَرْكَبِي :
أَمَّا دُونَ مِصْرٍ لِلْغِنَى مُتَطَلَّبُ
فَقُلْتُ لَهَا وَاسْتَعْجَلْتَهَا بِوَادِرُ
ذَرِينِي أَكْثَرُ حَاسِدِيكَ بِرَحْلَةٍ
إِذَا لَمْ تَزُرْ أَرْضَ الْخَصِيبِ رِكَابُنَا
فَتَى يَشْتَرِي حُسْنَ الشَّاءِ بِمَالِهِ
فَمَا جَاذَهُ جُودٌ وَلَا حَلَّ دُونَهُ
عَزِيزُ عَلَيْنَا أَنْ نَرَكَ تَسِيرُ
بَلَى إِنَّ أَسْبَابَ الْغِنَى لَكَثِيرُ
جَرَتْ فَجَرَى فِي جَرِيهِنَّ عَيْرُ
إِلَى بَلَدٍ فِيهِ الْخَصِيبُ أَمِيرُ
فَأُتِيَ فَتَى بَعْدَ الْخَصِيبِ تَزُورُ
وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّائِرَاتِ تَدُورُ
وَلَكِنْ يَصِيرُ الْجُودُ حَيْثُ يَصِيرُ

* * *

أبو تمام :

كَذَا فَلْيَجِلَّ الْخَطْبُ وَلْيَفْذَحِ الْأَمْرُ
تُوفِّتِ الْأَمَالَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ
وَمَا كَانَ إِلَّا مَالٌ مِنْ قَلِّ مَالِهِ
وَمَا كَانَ يَذْرِي مُجْتَدِي جُودَ كَفِّهِ
أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ عَطَلَتْ لَهُ
وَلَيْسَ لِعَيْنٍ لَمْ يَفِضْ مَاؤُهَا عُذْرُ
وَأَصْبَحَ فِي شُغْلِ عَنِ السَّفَرِ السَّفَرُ
وَذُخْرًا لِمَنْ أَمْسَى وَلَيْسَ لَهُ ذُخْرُ
إِذَا مَا اسْتَهَلَّتْ أَنَّهُ خُلِقَ الْعُسْرُ
فَجَاجُ سَبِيلِ اللَّهِ وَأَنْتَغَرَ الثَّغْرُ

فَتَى كُلَّمَا فَاضَتْ عُيُونُ قَبِيلَةٍ
فَتَى دَهْرُهُ شَطْرَانِ فِيمَا يَنْوِبُهُ
فَتَى مَاتَ بَيْنَ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ مِيتَةٌ
وَمَا مَاتَ حَتَّى مَاتَ مَضْرِبُ سَيْفِهِ
غَدَا غَدَوَةٌ وَالْحَمْدُ نَسْجُ رِدَائِهِ
تَرَدَّى ثِيَابَ الْمَوْتِ حُمْرًا فَمَا دَجَا
مَضَى طَاهِرَ الْأَثْوَابِ لَمْ تَبَقْ رَوْضَةٌ
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ وَقَفَا فَإِنِّي

* * *

أبو فراس الحمداني :

أَسْرْتُ وَمَا صَحْبِي بِعُزْلٍ لَدَى الْوَعَى
وَلَكِنْ إِذَا حُمَّ الْقَضَاءُ عَلَى أَمْرِي
وَقَالَ أَصِيحَابِي : الْفِرَارُ أَوْ الرَّدَى ؟
سَيَذْكُرْنِي قَوْمِي إِذَا جَدَّ جَدُّهُمْ
وَلَوْ سَدَّ غَيْرِي مَا سَدَدْتُ أَكْتَفُوا بِهِ
وَنَحْنُ أَنْاسٌ لَا تَوَسَّطَ عِنْدَنَا
تَهُونٌ عَلَيْنَا فِي الْمَعَالِي نَفُوسُنَا
أَعَزُّ بَنِي الدُّنْيَا وَأَعْلَى ذَوِي الْعُلَا

* * *

التهامي :

حُكْمُ الْمَيِّتَةِ فِي الْبَرِيَّةِ جَارِي

دَمَا ضَحِكْتَ عَنْهُ الْأَحَادِيثُ وَالذُّكْرُ
فَفِي بَأْسِهِ شَطْرٌ وَفِي جُودِهِ شَطْرُ
تَقُومُ مَقَامَ النَّصْرِ إِذْ فَاتَهُ النَّصْرُ
مِنَ الضَّرْبِ وَأَعْتَلَّتْ عَلَيْهِ أَلْقَنَّا السُّمْرُ
فَلَمْ يَنْصَرِفْ إِلَّا وَأَكْفَانُهُ الْأَجْرُ
لَهَا اللَّيْلُ إِلَّا وَهِيَ مِنْ سُندُسٍ خَضِرُ
غَدَاةَ ثَوَى إِلَّا أَشْتَهَتْ أَنَّهَا قَبْرُ
رَأَيْتُ الْكَرِيمَ الْحَرَّ لَيْسَ لَهُ عُمُرُ

وَلَا فَرَسِي مُهْرٌ ، وَلَا رَبُّهُ غُمْرُ
فَلَيْسَ لَهُ بَرٌّ يَقِيهِ ، وَلَا بَخْرُ
فَقُلْتُ : هُمَا أَمْرَانِ ، أَحْلَاهُمَا مُرُ
وَفِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ يُفْتَقَدُ الْبَذْرُ
وَمَا كَانَ يَغْلُو التَّبَرُّ لَوْ نَفَقَ الصُّفْرُ
لَنَا الصَّدْرُ دُونَ الْعَالَمِينَ أَوْ الْقَبْرُ
وَمَنْ خَطَبَ الْحَسَنَاءَ لَمْ يَغْلُهَا الْمَهْرُ
وَأَكْرَمُ مَنْ فَوْقَ الثَّرَابِ وَلَا فَخْرُ

مَا هَذِهِ الدُّنْيَا بِدَارٍ قَرَارِ

بَيْنَا يَرَى الْإِنْسَانَ فِيهَا مُخْبِرًا
طُبِعَتْ عَلَى كَدَرٍ وَأَنْتَ تُرِيدُهَا
وَمُكَلِّفُ الْأَيَّامِ ضِدَّ طِبَاعِهَا
وَإِذَا رَجَوْتَ الْمُسْتَحِيلَ فَإِنَّمَا
فَالْعَيْشُ نَوْمٌ وَالْمَنِيَّةُ يَقْظَةٌ
وَالنَّفْسُ إِنْ رَضِيتَ بِذَلِكَ أَوْ أَبَتْ
فَاقْضُوا مَا رَبَّكُمْ عَجَالًا إِنَّمَا
وَتَلْهَبُ الْأَحْشَاءُ شَيْبَ مَفْرِقِي

* * *

علي بن الجهم :

حَتَّى يُرَى خَبْرًا مِنَ الْأَخْبَارِ
صَفَوْا مِنَ الْأَقْدَاءِ وَالْأَكْدَارِ
مُتَطَلِّبٌ فِي الْمَاءِ جَذْوَةَ نَارِ
تَبْنِي الرَّجَاءَ عَلَى شَفِيرِ هَارِ
وَالْمَرْءُ بَيْنَهُمَا خِيَالٌ سَارِي
مُنْقَادَةٌ بِأَرْمَةِ الْأَقْدَارِ
أَعْمَارُكُمْ سَفَرٌ مِنَ الْأَسْفَارِ
هَذَا الضِّيَاءُ شَوَاطِئُ تِلْكَ النَّارِ

جَلَبْنَ الْهَوَى مِنْ حَيْثُ أَدْرِي وَلَا أَدْرِي
سَلَوْتُ وَلَكِنْ زِدَنْ جَمْرًا عَلَى جَمْرٍ
تُشَكُّ بِأَطْرَافِ الْمُتَقَفَّةِ السُّمْرِ
تُضِيءُ لِمَنْ يَسْرِي بَلِيلٌ وَلَا تَقْرِي
وَلَا وَضَلْ إِلَّا بِالْخِيَالِ الَّذِي يَسْرِي
وَالْهَبْنِ مَا بَيْنَ الْجَوَانِحِ وَالصُّدْرِ
زَوَى نَفْسَهُ عَنْ شُرْبِهَا خِيَفَةَ السُّكْرِ

* * *

ابن عبدون :

فَمَا الْبُكَاءُ عَلَى الْأَشْبَاحِ وَالصُّوَرِ
عَنْ نَوْمَةٍ بَيْنَ نَابِ اللَّيْثِ وَالظُّفْرِ

الذَّهْرُ يُفْجِعُ بَعْدَ الْعَيْنِ بِالْأَثَرِ
أَنْهَاكَ أَنْهَاكَ لَا أَلَوْكَ مَوْعِظَةٌ

فَالْدَّهْرُ حَزْبٌ وَإِنْ أَبَدَى مُسَالَمَةً
وَلَا هَوَادَةَ بَيْنَ الرَّأْسِ تَأْخُذُهُ
فَلَا تَغْرَنكَ مِنْ دُنْيَاكَ نَوْمَتُهَا
مَا لِلْيَالِي! أَقَالَ اللَّهُ عَثْرَتَنَا
فِي كُلِّ حِينٍ لَهَا فِي كُلِّ جَارِحَةٍ
وَلَيْتَهَا إِذْ فَدَتْ عَمراً بِخَارِجَةٍ
وَالْبَيْضُ وَالسُّودُ مِثْلُ الْبَيْضِ وَالسُّمْرِ
يَدُ الضَّرَابِ وَبَيْنَ الصَّارِمِ الذَّكْرِ
فَمَا صِنَاعَةُ عَيْنَيْهَا سِوَى السَّهْرِ
مِنَ اللَّيَالِي وَخَانَتْهَا يَدُ الْغَيْرِ
مِنَّا جِرَاحٌ وَإِنْ زَاغَتْ عَنِ النَّظَرِ
فَدَتْ عَلَيَّا بِمَنْ شَاءَتْ مِنَ الْبَشَرِ

* * *

عدي بن زيد :

أَيُّهَا الشَّامِتُ الْمُعَيَّرُ بِالذَّهْرِ
أَمْ لَدَيْكَ الْعَهْدُ الْوَثِيقُ مِنَ الْأَيَّامِ بَلْ أَنْتَ جَاهِلٌ مَغْرُورٌ
مَنْ رَأَيْتَ الْمُنُونَ خَلَدَنَ أَمْ مَنْ
ذَا عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يُضَامَ خَفِيرٌ
أَيْنَ كِسْرَى كِسْرَى الْمُلُوكِ أَنْوَشُ
وَأَنْ أَمْ قَبْلَهُ سَابُورٌ
وَبَتُّو الْأَصْفَرَ الْكَرَامَ مُلُوكِ الرُّ
وَم لَمْ يَنْقَ مِنْهُمْ مَذْكُورٌ
وَأَخُو الْحَضَرِ إِذْ بَنَاهُ وَإِذْ دَجَلَهُ تَجَنَّى إِلَيْهِ وَالْخَابُورُ
شَادَهُ مَرَمَراً وَجَلَّلَهُ كِلْساً فَلِلطَّيْرِ فِي ذِرَاهُ وَكُورُ
لَمْ يَهَبْهُ رَبُّبُ الْمُنُونَ فَبَادَ الْمُلْكُ عَنْهُ فَبَابُهُ مَهْجُورُ

* * *

أبو القاسم الشاذلي :

إِذَا الشَّعْبُ يَوْماً أَرَادَ الْحَيَاةَ
وَلَا بُدَّ لِلَّيْلِ أَنْ يَنْجَلِيَ
إِذَا مَا طَمَحْتُ إِلَى غَايَةٍ
فَلَا بُدَّ أَنْ يَسْتَجِيبَ الْقَدَرُ
وَلَا بُدَّ لِلْقَيْدِ أَنْ يَنْكَسِرَ
رَكِبْتُ الْمُنَى وَنَسِيتُ الْحَذَرَ

وَمَنْ لَا يُحِبُّ صُعُودَ الْجِبَالِ
أُبَارِكُ فِي النَّاسِ أَهْلِ الطُّمُوحِ
هُوَ الْكَوْنُ حَيٌّ يُحِبُّ الْحَيَا
فَلَا أَلْفَتْ يَحْضُنُ مَيْتَ الطُّيُورِ
يَعِشُ أَبَدَ الدَّهْرِ بَيْنَ الْخُفَرِ
وَمَنْ يَسْتَلِذُّ رُكُوبَ الْخَطَرِ
وَإِخْتِقَارِ الْمَيِّتِ مَهْمَا كَبُرَ
رِ وَلَا النَّحْلُ يَلْتِمُ مَيْتَ الزَّهْرِ

* * *

امرؤ القيس :

بَكَى صَاحِبِي لَمَّا رَأَى الدَّرَبَ دُونَهُ
فَقُلْتُ لَهُ : لَا تَبْكُ عَيْنُكَ إِنَّمَا
أَرَى أُمَّ عَمْرٍو دَمْعُهَا قَدْ تَحَدَّرَا
إِذَا قُلْتُ : هَذَا صَاحِبٌ قَدْ رَضِيَتْهُ
كَذَلِكَ جَدِّي مَا أَصَاحِبُ صَاحِبَا
وَأَيَقِنَ أَنَّا لَاحِقَانِ بِقَيْصَرَا
نُحَاولُ مُلُكَا أَوْ نَمُوتُ فَنُعْذَرَا
بُكَاءَ عَلَى عَمْرٍو وَمَا كَانَ أَصْبَرَا
وَقَرَّتْ بِهِ الْعَيْنَانِ بُدِّلْتُ آخَرَا
مِنَ النَّاسِ إِلَّا خَانَنِي وَتَغَيَّرَا

* * *

المعتمد بن عباد :

فِيمَا مَضَى كُنْتُ بِالْأَعْيَادِ مَسْرُورَا
تَرَى بَنَاتِكَ فِي الْأَطْمَارِ جَائِعَةً
بَرَزْنَ نَحْوَكَ لِلتَّسْلِيمِ خَاشِعَةً
يَطَّانَ فِي الطِّينِ وَالْأَقْدَامُ حَافِيَةً
قَدْ كَانَ دَهْرُكَ إِنْ تَأْمُرْهُ مُمْتَلِئَا
مَنْ بَاتَ بَعْدَكَ فِي مُلْكٍ يُسَرُّ بِهِ
فَسَاءَكَ الْعَيْدُ فِي أَغْمَاتِ مَأْسُورَا
يَغْزِلْنَ لِلنَّاسِ مَا يَمْلِكْنَ قِطْمِيرَا
أَبْصَارُهُنَّ حَسِيرَاتٍ مَكَاسِيرَا
كَأَنَّهُا لَمْ تَطَأْ مِسْكَاً وَكَافُورَا
فَرَدَّكَ الدَّهْرُ مِنْهِيَا وَمَأْمُورَا
فَإِنَّمَا بَاتَ بِالْأَحْلَامِ مَغْرُورَا

* * *

المعري :

يَا سَاهِرَ الْبَرْقِ أَيْقِظْ رَاقِدَ السَّمْرِ
يَوْدُ أَنْ ظَلَامَ اللَّيْلِ دَامَ لَهُ
لَوْ اخْتَصَرْتُمْ مِنَ الْإِحْسَانِ زُرْتُكُمْ
فَالْحُسْنُ يَظْهَرُ فِي شَيْئَيْنِ رَوْنَقُهُ
وَالْخِلُّ كَالْمَاءِ يُبْدِي لِي ضَمَائِرَهُ
يَا بَنَ الْأَلَى غَيْرَ زَجَرِ الْخِلِّ مَا عَرَفُوا
جَمَالَ ذِي الْأَرْضِ كَانُوا فِي الْحَيَاةِ وَهُمْ

* * *

المتنبي :

أَطَاعِنُ خَيْلًا مِنْ فَوَارِسِهَا الدَّهْرُ
وَأَشْجَعُ مِنِّي كُلَّ يَوْمٍ سَلَامَتِي
وَأَقْدَمْتُ إِقْدَامَ الْأَتِيِّ كَأَنَّ لِي
ذَرَّ النَّفْسِ تَأْخُذُ وَسَعَهَا قَبْلَ بَيْنِهَا
وَلَا تَحْسَبَنَّ الْمَجْدَ زَقَاً وَفِينَا
وَتَضْرِبُ أَعْنَاقَ الْمُلُوكِ وَهَامِهَا
وَتَرْكُكَ فِي الدُّنْيَا دَوِيًّا كَأَنَّمَا

* * *

البردوني :

بُشْرَى مِنْ الْغَنِيبِ أَلْقَتْ فِي فَمِ الْغَارِ
بُشْرَى النُّبُوَّةِ طَافَتْ كَالشَّدَى سِحْرًا
وَحَيًّا وَأَفْضَتْ إِلَى الدُّنْيَا بِأَسْرَارِ
وَأَعْلَنْتْ فِي الرُّبَى مِيلَادَ أَنْوَارِ

وَشَقَّتِ الصَّمْتَ وَالْأَنَسَامُ تَحْمِلُهَا
وَهَذِهِدَتْ مَكَّةُ الْوَسْنَى أَنَامِلَهَا
فَأَقْبَلَ الْفَجْرُ مِنْ خَلْفِ التَّلَالِ وَفِي
كَأَنَّ فَيْضَ السَّنَا فِي كُلِّ رَابِيَةٍ
تَدَافَعُ الْفَجْرُ فِي الدُّنْيَا يَزُفُ إِلَى
وَسَبَّ طِفْلُ الْهَدَى الْمَنشُودِ مُتَزَرًّا
فِي كَفِّهِ شُعْلَةٌ تَهْدِي وَفِي فَمِهِ
وَفِي مَلَامِحِهِ وَعَدُّ وَفِي دَمِهِ

* * *

شاعر :

صَلِّ يَا ذَا الْعُلَا لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ
أَنْتَ أَعْلَى مِنْ أَنْ تَكُونَ أَصَاحِي
بَلْ قُرُومًا مِنَ الْمُلُوكِ ذَوِي السُّؤْ
كُلَّمَا خَرَّ سَاجِدٌ لَكَ مِنْهُمْ

* * *

أبو علي القالي :

أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَاذَا تَصَمَّنَتْ
بُدُورٌ إِذَا الدُّنْيَا دَجَتْ أَشْرَقَتْ بِهِمْ
حَيَاتُهُمْ كَانَتْ لِأَعْدَائِهِمْ عَمَى
أَقَامُوا بِظَهْرِ الْأَرْضِ فَأَخْضَرَ سَهْلَهَا

* * *

تَحْتَ السَّكِينَةِ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ
وَهَزَّتِ الْفَجْرَ إِذَانًا بِإِسْفَارٍ
عَيْنِيهِ أَسْرَارُ عُشَّاقٍ وَسُمَّارٍ
مَوْجٌ وَفِي كُلِّ سَفْحٍ جَذُولٌ جَارِي
تَارِيخَهَا فَجْرَ أَجْيَالٍ وَأَذْهَارٍ
بِالْحَقِّ مُتَشَحًّا بِالنُّورِ وَالنَّارِ
بُشْرَى وَفِي عَيْنِهِ إِصْرَارُ أَقْدَارٍ
بُطُولَةٌ تَتَحَدَّى كُلَّ جَبَّارٍ

كُلُّ ضِدٍّ وَشَانِيءٍ لَكَ أَبْتَرُ
كَ قُرُومًا مِنَ الْجَمَالِ تَعْفَرُ
دِدِ تَيْجَانِهِمْ أَمَامَكَ تُنْشَرُ
عِنْدَهَا قَالَ سَيْفُكَ : اللَّهُ أَكْبَرُ

بُطُونُ الثَّرَى وَأَسْتَوْدَعِ الْبَلَدُ الْقَفْرُ
وَإِنْ أَجْدَبَتْ يَوْمًا فَأَيْدِيَهُمُ الْقَطْرُ
وَمَوْتُهُمْ لِلْفَاخِرِينَ بِهِمْ فَخْرُ
وَصَارُوا بِبَطْنِ الْأَرْضِ فَاسْتَوْحَشَ الظُّهْرُ

* * *

ابن عقبة :

وَقَسَمْتُ حَالَاتِي ثَلَاثًا مِثْلَمَا
كَرَّمْتُ تَدِينُ لَهُ الْأَنَامُ وَحَالَةً
وَتَخِذْتُ أَصْحَابًا إِذَا نَادَمْتُهُمْ
عَلِمِي وَحِلْمِي وَالْحِصَانُ وَصَارِمِي

* * *

لبيد بن ربيعة :

تَمَنَّى ابْنَتَايَ أَنْ يَعِيشَ أَبُوهُمَا
وَنَائِحَتَانِ تَتَدَبَّانِ بِعَاقِلٍ
وَفِي ابْنِي نِزَارٍ أَسْوَةٌ إِنْ جَزِعْتُمَا
فَقُومَا فَقُولَا بِالَّذِي قَدْ عَلِمْتُمَا
وَقُولَا : هُوَ الْمَرْءُ الَّذِي لَا خَلِيلَهُ
إِلَى الْحَوْلِ ثُمَّ أَسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا

* * *

محمد بن عثيمين :

هُمْ جَدُّوَا الدِّينَ إِذْ خَفِيتْ مَعَالِمُهُ
هُمْ الْمُصِيبُونَ إِنْ قَالُوا وَإِنْ حَكَمُوا
وَالْبَازِلُونَ نَهَارَ الرُّوعِ أَنْفُسَهُمْ
مَحَامِدُ فِي سَمَاءِ الْمَجْدِ مُشْرِقَةٌ
لَكِنَّ تَاجَ مُلُوكِ الْأَرْضِ إِنْ ذَكَرُوا
عَبْدُ الْعَزِيزِ الَّذِي كَانَتْ خِلَافَتُهُ

وَفَلَّلُوا حَدَّ كِسْرِي يَوْمَ ذِي قَارِ
وَالطَّيِّبُونَ ثَنَا مَجْدٍ وَأَخْبَارِ
وَالصَّائِنُوهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْعَارِ
مِثْلَ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِي بِهَا السَّارِي
يَوْمًا وَأَرْجَحَ فِي فَضْلِ وَمِقْدَارِ
مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ لِلْبَادِي وَلِلْقَارِي

أَعْطَاهُمُ اللَّهُ أَمْنًا بَعْدَ خَوْفِهِمْ
أَشْمُ أَرْوَعُ مَضْرُوبٍ سُرَادِقُهُ
مُظْفَرُ الْعَزْمِ شَهْمٌ غَيْرُ مُؤْتَشِبٍ
مَا نَالَ مَا نَالَ إِلَّا بَعْدَ مَا سَفَحَتْ

* * *

حاتم الطائي :

أَمَاوِيٌّ إِنَّ الْمَالَ غَادٍ وَرَائِحُ
أَمَاوِيٌّ مَا يُغْنِي الثَّرَاءُ عَنِ الْفَتَى
وَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ لَوْ أَنَّ حَاتِمًا
عُنِينَا زَمَانًا بِالتَّصْغُلِكِ وَالْغِنَى
كَسَيْنَا صُرُوفَ الدَّهْرِ لِينًا وَغِلْظَةً
فَمَا زَادَنَا بَأْوًا عَلَى ذِي قَرَابَةٍ
وَمَا ضَرَّ جَارًا يَا ابْنَةَ الْقَوْمِ فَاعْلَمِي
بِعَيْنِي عَنْ جَارَاتِ قَوْمِي غَفْلَةً

* * *

الشريف الرضي :

يَا قَلْبَ مَا أَنْتَ مِنْ نَجْدٍ وَسَاكِينِهِ
رَاحَتْ نَوَازِعُ مِنْ قَلْبِي تُتْبِعُهُ
أَهْفُو إِلَى الرِّكْبِ تَعْلُو لِي رِكَابُهُمْ
تَضُوعُ أَرْوَاحُ نَجْدٍ مِنْ ثِيَابِهِمْ
يَا رَاكِبَانَ قِفَا لِي وَأَفْضِيَا وَطَرِي

لَمَّا تَوَلَّى وَيُسْرًا بَعْدَ إِغْسَارِ
عَلَى فَتَى الْحَزْمِ نَفَّاعٍ وَضَرَّارِ
مُسَدَّدُ الرَّأْيِ فِي وَرْدٍ وَإِضْدَارِ
سُمُرُ الْعَوَالِي دَمًا مِنْ كُلِّ جَبَّارِ

وَيَبْقَى مِنَ الْمَالِ الْأَحَادِيثُ وَالذِّكْرُ
إِذَا حَشَرَجَتْ نَفْسٌ وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ
أَرَادَ ثَرَاءَ الْمَالِ كَانَ لَهُ وَفُرُ
كَمَا الدَّهْرُ فِي أَيَّامِهِ الْعُسْرُ وَالْيُسْرُ
وَكُلًّا سَقَانَاهُ بِكَأْسَيْهِمَا الدَّهْرُ
غِنَانًا وَلَا أَرْزَى بِأَحْسَانِنَا الْفَقْرُ
يُجَاوِرُنِي إِلَّا يَكُونُ لَهُ سِتْرُ
وَفِي السَّمْعِ مِنِّي عَنْ حَدِيثِهِمْ وَقُرُ

* * *

خَلَفَتْ نَجْدًا وَرَاءَ الْمُدْلِجِ السَّارِي
عَلَى بَقَايَا لُبَانَاتٍ وَأَوْطَارِ
مِنْ الْحِمَى فِي أُسْنِحَاقٍ وَأَطْمَارِ
عِنْدَ النُّزُولِ لِقُرْبِ الْعَهْدِ بِالذَّارِ
وَحَبْرَانِي عَنْ نَجْدٍ بِأَخْبَارِ

خَمِيلَةُ الطَّلَحِ ذَاتِ الْبَانَ وَالْغَارِ
دَارِي وَسَمَّارُ ذَاكَ الْحَيِّ سَمَّارِي
وَأَكْتُمُ الْحَيِّ إِذْ لَاجِي وَأَخْطَارِي

* * *

هَلْ رُوِّضَتْ قَاعَةُ الْوَعَسَاءِ أَمْ مُطِرَتْ
أَمْ هَلْ أَيْتُ وَدَارُ عِنْدَ كَاطِمَةِ
أَيَّامٍ أَوْدِعُ سِرِّي فِي الْهَوَى فَرَسِي

نزار قباني :

وَذِكْرَاكَ عُصْفُورٌ مِّنَ الْقَلْبِ يَنْقُرُ
أَفْسَرُ مَاذَا ؟ وَالْهَوَى لَا يَفْسَرُ
وَأَنْتَ لَنَا الْمَهْدِيُّ أَنْتَ الْمُحَرَّرُ
وَفِي بَيْتٍ لَحْمٍ قَاصِرَاتٌ وَقُصَّرُ
وَهَلْ شَجَرٌ فِي قَبْضَةِ الظُّلَمِ يُزْهِرُ ؟
فَإِنَّ جُيُوشَ الرُّومِ تَنْهَى وَتَأْمُرُ
وَجُنْدُكَ فِي حِطِّينَ صَلُّوا وَكَبَّرُوا
عَلَى بَرَكَاتِ اللَّهِ يَرْسُو وَيُنْجِرُ
وَتَبْكِيكَ بَدْرٌ - يَا حَبِيبِي - وَخَيْرُ
وَيَبْكِيكَ زَهْرُ الْغُوطَتَيْنِ وَتَدْمُرُ
فَفِي الشَّرْقِ هُوَ لَاكُو وَفِي الْغَرْبِ قَيْصَرُ

* * *

زَمَانُكَ بُسْتَانٌ وَعَصْرُكَ أَخْضَرُ
أَحْبُكَ لَا تَفْسِيرَ عِنْدِي لِصَبَوَتِي
أَتَسْأَلُ عَنْ أَعْمَارِنَا ؟ أَنْتَ عُمَرُنَا
نِسَاءُ فِلِسْطِينِ تَكْخُلْنَ بِالْأَسَى
وَلَيُمُونُ يَافَا يَابِسٌ فِي حُقُولِهِ
رَفِيقُ صَلَاحِ الدِّينِ هَلْ لَكَ عَوْدَةٌ
رِفَاقُكَ فِي الْأَغْوَارِ شَدُّوا سُرُوجَهُمْ
تَغْنَى بِكَ الدُّنْيَا كَأَنَّكَ طَارِقُ
تُنَادِيكَ مِنْ شَوْقٍ مَا ذَنْ مَكَّةِ
وَيَبْكِيكَ صَفْصَافُ السَّامِ وَوَرْدُهَا
يُحَاصِرُنَا كَالْمَوْتِ أَلْفُ خَلِيفَةٍ

الصمة القشيري :

بِنَا بَيْنَ الْمُنِيفَةِ فَالْضَّمَارِ
فَمَا بَعْدَ الْعَشِيَّةِ مِنْ عَرَارِ
وَرِيًّا رَوْضِهِ بَعْدَ الْفِطَارِ

أَقُولُ لِصَاحِبِي وَالْعَيْسُ تَهْوِي
تَمَتَّعْ مِنْ شَمِيمِ عَرَارِ نَجْدِ
أَلَا يَا حَبَّذَا نَفَحَاتُ نَجْدِ

وَأَهْلَكَ إِذْ يَحِلُّ الْحَيُّ نَجْدًا
شُهُورٌ يَنْقُضِينَ وَمَا شَعَرْنَا
فَأَمَّا لِنَاهُنَّ فَخَيْرٌ لَيْلٍ

* * *

عائض القرني :

خُذِي صَبًا نَجِدَ فَضْلًا وَحَيِّ أَفْكَارِي
وَنَجِدُ جُدَدَ فِيهَا الْحُبُّ وَأَنْبَعَثُ
وَنَجِدُ مَهْبِطُ آيَاتِ الْجَمَالِ بِهَا
رَفَقًا بِقَلْبِي يَا نَجْدُ الْهَوَىٰ فَأَنَا
قَالَتْ : يَقُولُونَ : أَلْقَيْتَ الْعَصَا تَعْبًا
فَقُلْتُ : كَلَّا فَلِي فِي خَالِقِي أَمَلٌ
قَالَتْ : فَدَعَوْتُكَ الْغَرَاءُ هَلْ نُسَيْتُ ؟
فَقُلْتُ : رُوحِي فِدَا الْمَعْصُومِ وَأَوْلَهِ
خُوبَيْدُمُ أَنَا لِلدِّينِ الْحَنِيفِ وَهَلْ
وَمَنْ أَنَا ؟ مَا قَدْرِي ؟ وَمَا عَمَلِي

* * *

لسان الدين الخطيب :

جَادَكَ الْغَيْثُ إِذَا الْغَيْثُ هَمَى
لَمْ يَكُنْ وَضْلُكَ إِلَّا حُلْمًا
إِذْ يَقُودُ الدَّهْرُ أَشْتَاتِ الْمُنَى
زُمَرًا بَيْنَ فُرَادَى وَثُنَا

فُتُورُ الزَّهْرِ فِيهِ تَبَسُّمٌ
كَيْفَ يَرْوِي مَالِكٌ عَنْ أَنَسٍ
يَزْدَهِي مِنْهُ بِأَبْهَى مَلْبَسٍ

* * *

وَالْحَيَا قَدْ جَلَلَ الرُّوضَ سَنَا
وَرَوَى التُّعْمَانَ عَنْ مَاءِ السَّمَاءِ
فَكَسَاهُ الْحُسْنَ ثَوْباً مُعْلِماً

الصمة القشيري :

عَنِ الْجَهْلِ بَعْدَ الْحِلْمِ أَسْبَلَتَا مَعَا
وَقَلَّ لِنَجْدٍ عِنْدَنَا أَنْ يُودَّعَا
وَمَا أَحْسَنَ الْمُصْطَافَ وَالْمُتَرَبَّعَا
عَلَى كِبْدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَصَدَّعَا
عَلَيْكَ وَلَكِنْ خَلَّ عَيْنِيكَ تَدَمَّعَا
إِذَا لَمْ يَكُنْ شَمْلِي وَشَمْلُكُمْ مَعَا
وَلَوْ كَانَ مُخْضَلَّ الْجَوَانِبِ مُمْرِعَا
وَحَيْثُ أَرَى مَاءً وَمَرْعَى فَمُسْبِعَا

* * *

بَكَتْ عَيْنِي الْيُسْرَى فَلَمَّا زَجَرْتُهَا
فَقَا وَدَّعَا نَجْدًا وَمَنْ حَلَّ بِالْحِمَى
بِنَفْسِي تِلْكَ الْأَرْضُ مَا أَطْيَبَ الرُّبَا
وَأَذْكُرُ أَيَّامَ الْحِمَى ثُمَّ أَتْنِي
فَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الْحِمَى بِرَوَاجِعِ
سَلَامٍ عَلَى الدُّنْيَا فَمَا هِيَ رَاحَةٌ
وَلَا مَرْحَبًا بِالرَّبْعِ لَسْتُمْ حُلُولُهُ
فَمَاءٌ بِلَا مَرْعَى وَمَرْعَى بِغَيْرِ مَا

سويد بن أبي كاهل :

قَدْ تَمَنَّى لِي شَرًّا لَمْ يُطْعَ
عَسِيراً مَخْرُجُهُ مَا يُتَنَزَّعُ
فَإِذَا أَسْمَعْتُهُ صَوْتِي أَنْقَمَعَ
وَمَتَّى لَمْ يَكْفِ شَيْئاً لَمْ يُضْغَ
مَطْعَمٌ وَخَمٌّ وَدَاءٌ يُدْرَعُ
فَهُوَ يَزُقُّو مِثْلَ مَا يَزُقُّو الْأَضْوَعُ

رُبَّ مَنْ أَنْضَجْتُ غَيْظاً قَلْبَهُ
وَيَرَانِي كَالشَّجَا فِي حَلْقِهِ
مُزِيدٌ يَخْطُرُ مَا لَمْ يَرْنِي
قَدْ كَفَانِي اللَّهُ مَا فِي نَفْسِهِ
بُئْسَ مَا يَجْمَعُ أَنْ يَغْتَابِنِي
لَمْ يَضُرْنِي غَيْرَ أَنْ يَخْسُدَنِي

وَإِذَا يَخْلُو لَهُ لَحْمِي رَتَعُ
سَطَعَ الشَّيْبُ بِرَأْسِي وَلَمَعُ

وَيَحْيِيَنِي إِذَا لَاقَيْتُهُ
أَتْرِيدُونَ سُقُوطِي بَعْدَ مَا

* * *

أبو ذؤيب الهذلي :

وَالدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتَبٍ مَنْ يَجْزَعُ
مُنْذُ ابْتَدَلْتُ وَمِثْلُ مَالِكَ يَنْفَعُ
إِلَّا أَقْضَ عَلَيْكَ ذَاكَ الْمَضْجَعُ
أَوْدَى بَنِيَّ مِنَ الْبِلَادِ فَوَدَّعُوا
بَعْدَ الرُّقَادِ وَعَبْرَةَ لَا تُقْلَعُ
فَتُخْرَمُوا وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَضْرَعُ
وَإِخَالُ أَنِّي لِاحِقٍ مُسْتَبْعُ
فَإِذَا الْمَيِّتَةُ أَقْبَلَتْ لَا تُدْفَعُ
أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَفْعُ
بِصَفَا الْمُسَرِّقِ كُلِّ يَوْمٍ تُقْرَعُ

أَمِنْ أَلْمُنُونِ وَرَبِّهَا تَتَوَجَّعُ
قَالَتْ أُمَيْمَةٌ : مَا لِحِسْمِكَ شَاحِبًا
أَمْ مَا لِحَنْبِكَ لَا يُلَائِمُ مَضْجَعًا
فَأَجَبْتُهَا أَنْ مَا لِحِسْمِي أَنَّهُ
أَوْدَى بَنِيَّ وَأَعْقَبُونِي غُصَّةً
سَبَقُوا هَوًى وَأَعْنَقُوا لِهَوَاهُمْ
فَغَبَرْتُ بَعْدَهُمْ بِعَيْشٍ نَاصِبٍ
وَلَقَدْ حَرَصْتُ بِأَنْ أَدَافِعَ عَنْهُمْ
وَإِذَا الْمَيِّتَةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا
حَتَّى كَأَنِّي لِلْحَوَادِثِ مَرْوَةٌ

* * *

ابن زريق البغدادي :

قَدْ قُلْتُ حَقًّا وَلَكِنْ لَيْسَ يَسْمَعُهُ
مَنْ حَيْثُ قَدَرْتُ أَنَّ النُّصْحَ يَنْفَعُهُ
بِالْكَرْخِ مِنْ فَلَكَ الْأَزْرَارِ مَطْلَعُهُ
صَفَوْ الْحَيَاةَ وَأَنِّي لَا أَوَدَّعُهُ
وَلِلضَّرُورَاتِ حَالٌ لَا تُشْفَعُهُ

لَا تَعْذِلِيهِ فَإِنَّ الْعَذْلَ يُوْلَعُهُ
جَاوَزْتُ فِي نُصْحِهِ حَدًّا أَضَرَّ بِهِ
أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ فِي بَغْدَادَ لِي قَمْرًا
وَدَّعْتُهُ وَبِوَدِّي لَوْ يُودِّعُنِي
وَكَمْ تُشْفَعُ بِي أَنْ لَا أُفَارِقَهُ

وَكَمْ تَشَبَّثَ بِي يَوْمَ الرَّحِيلِ ضَحَى
هَلِ الزَّمَانُ مُعِيدٌ فِيكَ لَدُنَّا
وَأَذْمُعِي مُسْتَهْلَاتٍ وَأَذْمُعُهُ
أَمْ اللَّيَالِي الَّتِي أَمْضَتْهُ تُرْجِعُهُ

* * *

الحسين بن مطير :

أَلَمَّا بِمَعْنٍ ثُمَّ قُولَا لِقَبْرِهِ
فَيَا قَبْرَ مَعْنٍ كُنْتَ أَوَّلَ حُفْرَةٍ
وَيَا قَبْرَ مَعْنٍ كَيْفَ وَارَيْتَ جُودَهُ
بَلَى قَدْ وَسِعَتْ الْجُودَ وَالْجُودُ مَيِّتٌ
وَلَمَّا مَضَى مَعْنٌ مَضَى الْجُودُ وَأَنْقَضَى
فَتَى عَيْشٍ فِي مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ
وَلَوْ أَنَّنِي أَنْصَفْتُكَ الْوُدَّ لَمْ أَبْتَ
سَقَتَكَ الْغَوَادِي مَرْبَعًا ثُمَّ مَرْبَعًا
مِنْ الْأَرْضِ خُطَّتْ لِلِسَّمَاحَةِ مَضْجَعًا
وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبَرُّ وَالْبَحْرُ مُتْرَعًا
وَلَوْ كَانَ حَيًّا ضِيقَتْ حَتَّى تَصَدَّعَا
وَأَصْبَحَ عَزِيزُ الْمَكَارِمِ أَجْدَعَا
كَمَا كَانَ بَعْدَ السَّيْلِ مَجْرَاهُ مَرْتَعَا
خِلَافَكَ حَتَّى نَنْطَوِي فِي الرَّدَى مَعَا

* * *

قطري بن الفجاءة :

أَقُولُ لَهَا وَقَدْ طَارَتْ شَعَاعَا
فَإِنَّكَ لَوْ سَأَلْتَ بَقَاءَ يَوْمٍ
فَصَبْرًا فِي مَجَالِ الْمَوْتِ صَبْرًا
وَلَا ثَوْبُ الْبَقَاءِ بِثَوْبِ عِزٍّ
سَبِيلُ الْمَوْتِ غَايَةُ كُلِّ حَيٍّ
وَمَنْ لَا يُعْتَبِطُ يَسْأَمُ وَيَهْرَمُ
وَمَا لِلْمَرْءِ خَيْرٌ فِي حَيَاةٍ
مِنْ الْأَبْطَالِ : وَيَحِكْ لَنْ تَرَاعِي
عَلَى الْأَجَلِ الَّذِي لَكَ لَمْ تَطَاعِي
فَمَا نَيْلُ الْخُلُودِ بِمُسْتَطَاعٍ
فَيُطَوَّى عَنْ أَخِي الْخَنَعِ الْبِرَاعِ
فَدَاعِيهِ لِأَهْلِ الْأَرْضِ دَاعِي
وَتُسْلِمُهُ الْمُنُونُ إِلَى أَنْقِطَاعِ
إِذَا مَا عُدَّ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ

* * *

ابن زيدون :

وَدَعَ الصَّبْرَ مُحِبًّا وَدَعَكَ
يَقْرَعُ السَّنَّ عَلَى أَنْ لَمْ يَكُنْ
يَا أَخَا الْبَذْرِ سَنَاءً وَسَنَاءً
إِنْ يَطْلُ بَعْدَكَ لَيْلِي فَلَكُمْ

ذَائِعٌ مِنْ سِرِّهِ مَا أَسْتَوْدَعَكَ
زَادَ فِي تِلْكَ الْخُطَا إِذْ شِيعَكَ
حَفِظَ اللَّهُ زَمَانًا أَطْلَعَكَ
بِثُّ أَشْكُو قِصَرَ اللَّيْلِ مَعَكَ

* * *

أحمد شوقي :

جَبَلَ التَّوْبَادِ حَيَّاكَ الْحَيَا
فِيكَ نَاعَيْنَا الْهَوَى فِي مَهْدِهِ
وَحَدَوْنَا الشَّمْسَ فِي مَغْرِبِهَا
وَحَطَطْنَا فِي نَقَى الرَّمْلِ فَلَمْ
كُلَّمَا جِئْتُكَ رَاجَعْتُ الصَّبَا
قَدْ يَهُونُ الْعُمُرُ إِلَّا سَاعَةً

وَسَقَى اللَّهُ زَمَانًا وَرَعَى
وَرَضِعْنَاهُ فَكُنْتَ الْمُرْضِعَا
وَبَكْرْنَا فَسَبَقْنَا الْمَطْلِعَا
تَحْفَظُ الرِّيحُ وَلَا الرَّمْلُ وَعَى
فَأَبَتْ أَيَّامُهُ أَنْ تَرْجِعَا
وَتَهُونَ الْأَرْضُ إِلَّا مَوْضِعَا

* * *

البحري :

إِذَا افْتَرَقُوا عَنْ وَقْعَةِ جَمْعَتِهِمْ
تَذُمُّ الْفَتَاهُ الرُّؤْدُ شِمَةً بَغْلَهَا
وَفُرْسَانُ هِنَجَاءِ تَجِيْشُ صُدُورُهَا
تُقْتَلُ مِنْ وَتْرِ أَعَزَّ نَفْسِهَا
إِذَا اخْتَرَبَتْ يَوْمًا فَفَاضَتْ دِمَاؤُهَا
شَوَاجِرُ أَرْمَاحٍ تَقْطَعُ بَيْنَهُمْ

لِأُخْرَى دِمَاءٌ مَا يُطْلُ نَجِيعُهَا
إِذَا بَاتَ دُونَ الثَّأْرِ وَهُوَ ضَجِيعُهَا
بِأَحْقَادِهَا حَتَّى تَضِيقَ دُرُوعُهَا
عَلَيْهَا بِأَيْدٍ مَا تَكَادُ تُطِيعُهَا
تَذَكَّرَتْ الْقُرْبَى فَفَاضَتْ دُمُوعُهَا
شَوَاجِرَ أَرْحَامٍ مُلُومٍ قُطُوعُهَا

الصمة القشيري :

حَنَنْتَ إِلَيَّ رَيًّا وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ
كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ وَدَاعَ مُفَارِقِ
بَكَتْ عَيْنُكَ الْيُمْنَى وَلَمَّا زَجَرْتَهَا
وَلَمَّا رَأَيْتُ الْبَشْرَ أَعْرَضَ دُونَنَا
وَأَذْكَرُ أَيَّامِ الْحِمَى ثُمَّ أَتْنِي
أَمَّا وَجَلَالِ اللَّهِ لَوْ تَذَكَّرِيَنِي
فَقَالَتْ : بَلَى وَاللَّهِ ذِكْرًا لَوْ أَنَّهُ

* * *

لقيط بن يعمر :

فَقَلِّدُوا أَمْرَكُمْ لِلَّهِ دَرْكُمْ
لَا يَطْعَمُ النَّوْمُ إِلَّا رَيْثَ يَبْعَثُهُ
لَا مُتْرَفًا إِنْ رَخَاءَ الْعَيْشِ سَاعِدُهُ
مَا زَالَ يَخْلُبُ دَرَّ الدَّهْرِ أَشْطَرُهُ
حَتَّى اسْتَمَرَّتْ عَلَى شَرْرٍ مَرِيرَتُهُ

* * *

متمم بن نويرة البربوعي :

لَعَمْرِي وَمَا دَهْرِي بِتَأْيِينِ هَالِكِ
لَقَدْ كَفَّنَ الْمِنْهَالَ تَحْتَ رِدَائِهِ
تَرَاهُ كَصَدْرِ السَّيْفِ يَهْتَزُّ لِلنَّدَى
وَكُنَّا كَنَدْمَانِي جُذَيْمَةَ حِقْبَةٍ

وَلَا جَزِعَ مِمَّا أَصَابَ فَأَوْجَعَا
فَتَى غَيْرَ مِبْطَانِ الْعَشِيَّاتِ أَرْوَعَا
إِذَا لَمْ تَجِدْ عِنْدَ أَمْرِيءِ السَّوْءِ مَطْمَعَا
مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ : لَنْ يَتَصَدَّعَا

لَطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبْتَ لَيْلَةً مَعَا
فَقَدْ بَانَ مَحْمُودًا أَخِي حِينَ وَدَّعَا
ذَهَابَ الْغَوَادِي الْمُدَجَّنَاتِ فَأَمْرَعَا
وَأَمْسَى تَرَابًا فَوْقَهُ الْأَرْضُ بُلْقَعَا

* * *

فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكَا
فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ فَرَقَنَ بَيْنَنَا
سَقَى اللَّهُ أَرْضًا حَلَّهَا قَبْرُ مَالِكِ
تَحِيَّتُهُ مِنِّي وَإِنْ كَانَ نَائِيَا

المتنبي :

إِنْ قَاتَلُوا جَبْنُوا أَوْ حَدَّثُوا شَجَعُوا
وَفِي التَّجَارِبِ بَعْدَ الْعَيِّ مَا يَزْعُ
أَنَّ الْحَيَاةَ كَمَا لَا تَشْتَهِي طَبْعُ
فَلَيْسَ يَأْكُلُ إِلَّا أَلْمِيَّتَ الضَّبْعُ
فَلَيْسَ يَرْفَعُهُ شَيْءٌ وَلَا يَضْعُ
مَنْ كُنْتَ مِنْهُ بِغَيْرِ الصَّدَقِ تَتَفَعُ
وَلَيْسَ كُلُّ ذَوَاتِ الْمِخْلَبِ السَّبْعُ

* * *

غَيْرِي بِأَكْثَرِ هَذَا النَّاسِ يَنْخَدِعُ
أَهْلُ الْحَفِیْظَةِ إِلَّا أَنْ تُجَرِّبَهُمْ
وَمَا الْحَيَاةُ وَنَفْسِي بَعْدَ مَا عَلِمْتُ
لَا تَحْسَبُوا مَنْ أَسْرْتُمْ كَانَ ذَا رَمَقٍ
مَنْ كَانَ فَوْقَ مَحَلِّ الشَّمْسِ مَوْضِعُهُ
لَقَدْ أَبَاحَكَ غِشًّا فِي مُعَامَلَةٍ
إِنَّ السَّلَاحَ جَمِيعُ النَّاسِ تَحْمِلُهُ

شاعر :

أَنْتَ الْمُعَدُّ لِكُلِّ مَا يُتَوَقَّعُ
يَا مَنْ إِلَيْهِ الْمُشْتَكَى وَالْمَفْرَعُ
أَمُنْ فَإِنَّ الْخَيْرَ عِنْدَكَ أَجْمَعُ
فَبِالْإِفْتِقَارِ إِلَيْكَ فَقَرِي أَدْفَعُ
فَلَيْسَ رُدِّدْتُ فَأَيَّ بَابٍ أَقْرَعُ
إِنْ كَانَ فَضْلُكَ عَنْ فَقِيرِكَ يُمْنَعُ

يَا مَنْ يَرَى مَا فِي الضَّمِيرِ وَيَسْمَعُ
يَا مَنْ يُرْجَى لِلشَّدَائِدِ كُلِّهَا
يَا مَنْ خَزَائِنُ رِزْقِهِ فِي قَوْلِ كُنْ
مَا لِي سِوَى فَقْرِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ
مَا لِي سِوَى قَرْعِي لِبَابِكَ حِيلَةٌ
وَمَنْ ذَا الَّذِي أَدْعُو وَأَهْتِفُ بِاسْمِهِ

حَاشَا لِحُجُودِكَ أَنْ تُقْنِطَ عَاصِيَا أَلْفَضْلُ أَجْزَلُ وَالْمَوَاهِبُ أَوْسَعُ

* * *

لِلى التغلبية :

فَيَا شَجَرَ الْخَابُورِ مَا لَكَ مُورِقًا كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفِ
فَلَا تَجْزَعَا يَا ابْنِي طَرِيفِ فَإِنِّي أَرَى الْمَوْتَ وَقَاعًا بِكُلِّ شَرِيفِ
أَلَا يَا لِقَوْمٍ لِلنَّوَائِبِ وَالرَّدَى وَدَهْرٍ مُلَحٍّ بِالْكَرَامِ عَنِيفِ
وَلِلْبَدْرِ مِنْ بَيْنِ الْكَوَكِبِ إِذْ هَوَى وَلِلشَّمْسِ هَمَّتْ بَعْدَهُ بِكُصُوفِ
وَلِلَّيْلِ فَوْقَ النَّعْشِ إِذْ يَحْمِلُونَهُ إِلَى حُفْرَةٍ مَلْحُودَةٍ وَسُقُوفِ
وَقُلْنَ وَقَدْ أَبْرَزْنَ بَعْدَكَ لِلوَرَى مَعَاتِدَ حَلِيٍّ مِنْ بُرَى وَشُوفِ
حَلِيفُ النَّدَى إِنْ عَاشَ يَرْضَى بِهِ النَّدَى وَإِنْ مَاتَ لَا يَرْضَى النَّدَى بِحَلِيفِ
فَقَدْنَاهُ فَقَدَانُ الرِّبْعِ فَلَيْتَنَا فَدَيْنَاهُ مِنْ دَهْمَانِنَا بِالْوَفِ

* * *

الطرماع :

وَأِنِّي لَقِيَادُ جَوَادِي فَقَازِفُ بِهِ وَبِنَفْسِي الْيَوْمَ إِحْدَى الْمَتَالِفِ
لَأَكْسِبَ مَالًا أَوْ أُؤُوبَ إِلَى غِنَى مِنْ اللَّهِ يَكْفِينِي أُمْتِنَانُ الْخَلَائِفِ
فَيَا رَبِّ إِنْ حَانَتْ وَفَاتِي فَلَا تَكُنْ عَلَى شَرْجَعٍ يُكْسَى بِخُضْرِ الْمَطَارِفِ
وَلَكِنَّ قَبْرِي بَطْنُ نَسْرِ مَقِيلُهُ بِجَوْ سَمَاءٍ فِي نُسُورٍ عَوَائِفِ
وَأُمْسِي شَهِيدًا ثَاوِيًا فِي عَصَابَةِ يُصَابُونَ فِي فَجٍّ مِنَ الْأَرْضِ خَائِفِ
فَوَارِسُ أَشْتَاتٍ يُؤْلَفُ بَيْنَهُمْ هُدَى اللَّهِ نَزَالُونَ عِنْدَ الْمَوَاقِفِ

* * *

المعري :

وَمَا أَزْدِيهِتُ وَأَثْوَابُ الصَّبَا جُدُّ
فَرَّتْ أَنْظَمَ تَرْتَبَ الْحُلِيِّ عَلَى
الْحِجْلُ لِلرَّجُلِ وَالْتَّاجُ الْمُنِيفُ لِمَا
لَا تَسَّ لِي نَفْحَاتِي وَأَنْسَ لِي زَلِّي
فَرُبَّمَا ضَرَّ خِلٌ نَافِعٌ أَبَدًا
كَالرَّيِّقِ يَخْذُثُ مِنْهُ عَارِضُ الشَّرْقِ

* * *

الأعشى :

لَعَمْرِي لَقَدْ لَاحَتْ عُيُونٌ كَثِيرَةٌ
تُسَبُّ لِمَقْرُورَيْنِ يَصْطَلِيَانَهَا
رَضِيعَتِي لَبَانٍ ثَدْيٍ أُمَّ تَحَالَفَا
تَرَى الْجُودَ يَجْرِي ظَاهِرًا فَوْقَ وَجْهِهِ
نَفَى الدِّمِّ عَنِ آلِ الْمُحَلَّقِ جَفْنَةٌ
أَبَا مِسْمَعٍ سَارَ الَّذِي قَدْ صَنَعْتُمُ
وَأَنَّ عِتَاقَ الْعِيسِ سَوْفَ يَزُورُكُمْ
بِهِ تَنْفُضُ الْأَحْلَاسُ فِي كُلِّ مَنَزِلٍ
يَدَاكَ يَدَا صِدْقٍ فَكَفْتُ مُفِيدَةً

* * *

قتيلة بنت النضر :

يَا رَاكِبًا إِنَّ الْأَثِيلَ مَظْنَنَةٌ
بَلَّغْ بِهِ مَيْتًا فَإِنَّ تَحِيَّةً
مِنْ صُبْحِ خَامِسَةٍ وَأَنْتَ مُوَفَّقُ
مَا إِنْ تَزَالَ بِهَا الرِّكَائِبُ تَخْفُقُ

مَنِّي إِلَيْكَ وَعَبْرَةَ مَسْفُوحَةٍ
هَلْ يَسْمَعَنَّ النَّضْرُ إِنْ نَادَيْتُهُ
أُمَحَمَّدُ يَا خَيْرَ ضَنْءٍ كَرِيمَةٍ
مَا كَانَ ضَرْكَ لَوْ مَنَنْتَ وَرُبَّمَا
فَالنَّضْرُ أَقْرَبُ مَنْ أَسْرَتْ قَرَابَةُ
ظَلَّتْ سِيُوفُ بَنِي أَبِيهِ تَنْوُشُهُ
صَبْرًا يُقَادُ إِلَى الْمَنِيَّةِ مُتَعَبًا

* * *

أحمد شوقي :

سَلَامٌ مِنْ صَبَا بَرَدِي أَرْقُ
وَمَعْدِرَةُ الْبِرَاعَةِ وَالْقَوَافِي
وَلِلْمُسْتَعْمِرِينَ وَإِنْ أَلَانُو
دَمُ الثُّوَارِ تَعْرِفُهُ فَرَنْسَا
بَنِي سُورِيَّةَ أَطْرَحُوا الْأَمَانِي
فَمِنْ خِدَعِ السِّيَاسَةِ أَنْ تَغْرُوا
وَلِلْأَوْطَانِ فِي دَمِ كُلِّ حُرٍّ
وَمَنْ يَسْقِي وَيَشْرَبُ بِالْمَنَابِيَا
وَلَا يَبْنِي الْمَمَالِكَ كَالضُّحَايَا
فَفِي الْقَتْلَى لِأَجْيَالِ حَيَاةٍ
وَلِلْحُرِّيَّةِ الْحَمْرَاءِ بَابٌ

* * *

أبو محجن الثقفي :

لَا تَسْأَلِ النَّاسَ مَا مَالِي وَكَثْرَتُهُ
أَعْطِي الْحُسَامَ غَدَاةَ الرَّوْعِ حِصَّتَهُ
وَأَطْعِنِ الطَّعْنََةَ النَّجْلَاءَ عَنْ عَرْضِ
وَيَعْلَمُ النَّاسُ أَنِّي مِنْ سَرَاتِهِمْ

* * *

المتنبي :

وَمَا كُنْتُ مِمَّنْ يَدْخُلُ الْعِشْقُ قَلْبَهُ
وَأَحْلَى الْهَوَىٰ مَا شَكَّ فِي الْوَصْلِ رَبُّهُ
وَمَا كُلُّ مَنْ يَهْوَىٰ يَعِفُّ إِذَا خَلَا
إِذَا مَا لَيْسَتْ الدَّهْرُ مُسْتَمْتِعًا بِهِ
ضُرُوبٌ بِأَطْرَافِ السُّيُوفِ بَنَانُهُ
وَإِطْرَاقُ طَرْفِ الْعَيْنِ لَيْسَ بِنَافِعٍ
وَمَا يَنْصُرُ الْفَضْلُ الْمُمِينُ عَلَى الْعِدَا

* * *

الشريف الرضي :

يَا ظَبِيَّةَ الْبَانِ تَزْعَى فِي خَمَائِلِهِ
الْمَاءُ عِنْدَكَ مَبْذُولٌ لِشَارِبِهِ
هَبَّتْ لَنَا مِنْ رِيَّاحِ الْعُورِ رَائِحَةٌ
ثُمَّ أَنْشَيْنَا إِذَا مَا هَزَّنَا طَرْبُ
سَهْمٍ أَصَابَ وَرَامِيهِ بِذِي سَلَمٍ
لِيَهْنِكَ الْيَوْمَ أَنَّ الْقَلْبَ مَرْعَاكِ
وَلَيْسَ يَزِيدُكَ إِلَّا مَذْمَعِي الْبَاكِ
بَعْدَ الرُّقَادِ عَرَفْنَاهَا بِرِيَّاكِ
عَلَى الرَّحَالِ تَعَلَّلْنَا بِذِكْرَاكِ
مَنْ بِالْعِرَاقِ لَقَدْ أَبْعَدْتَ مَرْمَازَكَ

وَعَدُ لِعَيْنَيْكَ عِنْدِي مَا وَفَيْتُ بِهِ
حَكَتْ لِحَاطُكَ مَا فِي الرَّيْمِ مِنْ مِلْحٍ
كَأَنَّ طَرَفَكَ يَوْمَ الْجِرْعِ يُخْبِرُنَا
بِمَا طَوَى عَنْكَ مِنْ أَسْمَاءِ قَتْلِكَ

* * *

المتنبى :

أُرُوحٌ وَقَدْ خَتَمْتَ عَلَى فُؤَادِي
وَقَدْ حَمَلْتَنِي شُكْرًا طَوِيلًا
أَحَازِرُ أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمَطَايَا
قَدْ اسْتَشْفَيْتَ مِنْ دَاءٍ بِدَاءٍ
وَفِي الْأَحْبَابِ مُخْتَصِرٌ بِوَجْدٍ
إِذَا اسْتَبَهَتْ دُمُوعٌ فِي خُدُودٍ

* * *

السموئل :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَذْسُ مِنْ اللُّؤْمِ عِزُّهُ
وَإِنْ هُوَ لَمْ يَحْمِلْ عَلَى النَّفْسِ ضِمَمَهَا
تُعِيرُنَا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا
وَمَا قَلَّ مَنْ كَانَتْ بَقَايَاهُ مِثْلَنَا
وَمَا ضَرَرْنَا أَنَا قَلِيلٌ وَجَارُنَا
لَنَا جَبَلٌ يَخْتَلُّهُ مَنْ نُجِيرُهُ
رَسَا أَصْلُهُ تَحْتَ الثَّرَى وَسَمَا بِهِ
هُوَ الْأَبْلَقُ الْفَرْدُ الَّذِي شَاعَ ذِكْرُهُ
فَكُلُّ رِدَاءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلٌ
فَلَيْسَ إِلَى حُسْنِ الثَّنَاءِ سَبِيلٌ
فَقُلْتُ لَهَا : إِنَّ الْكِرَامَ قَلِيلٌ
شَبَابُ تَسَامَى لِلْعُلَا وَكُھُولُ
عَزِيزُ وَجَارُ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلُ
مَنْعٌ يَرُدُّ الطَّرْفَ وَهُوَ كَلِيلُ
إِلَى النَّجْمِ فَرْعٌ لَا يُنَالُ طَوِيلُ
يَعِزُّ عَلَى مَنْ رَامَهُ وَيَطُولُ

وَإِنَّا لَقَوْمٌ لَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً
يُقَرَّبُ حُبُّ الْمَوْتِ آجَالَنَا لَنَا
إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَلُّوْ
وَتَكْرَهُهُ آجَالُهُمْ فَتَطُولُ

* * *

ابن الوردي :

اغْتَزِلَ ذِكْرُ الْأَغَانِي وَالْعَزَلِ
وَدَعَ الذُّكْرَى لِأَيَّامِ الصُّبَا
إِنْ أَحْلَى عِشَّةً قَضَيْتَهَا
وَأَفْتَكِرَ فِي مُتَهَيِّ حُسْنِ الَّذِي
وَأَتَّقَى اللَّهَ فَتَقَوَّى اللَّهَ مَا
لَيْسَ مَنْ يَقْطَعُ طُرْقاً بَطْلاً
وَأَهْجُرَ الْخُمْرَةَ إِنْ كُنْتَ فَتَى
صَدَقِ الشَّرْعُ وَلَا تَرْكَنْ إِلَى
حَارَتِ الْأَفْكَارِ فِي قُدْرَةٍ مَنْ
كَتَبَ الْمَوْتَ عَلَى الْخَلْقِ فَكَمْ
وَقُلِ الْفَضْلَ وَجَانِبَ مَنْ هَزَلَ
فَلَأَيَّامِ الصُّبَا نَجْمٌ أَفْلُ
ذَهَبَتْ لَذَاتُهَا وَالْإِثْمُ حُلْ
أَنْتَ تَهْوَاهُ تَجِدُ أَمراً جَلَلُ
جَاوَرَتْ قَلْبَ أَمْرِيءٍ إِلَّا وَصَلُ
إِنَّمَا مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ الْبَطْلُ
كَيْفَ يَسْعَى فِي جُنُونٍ مَنْ عَقَلَ
رَجُلٍ يَرْصُدُ بِاللَّيْلِ زُحْلُ
قَدْ هَدَانَا سُبُلًا عَزَّ وَجَلَّ
فَلَّ مِنْ جَمْعٍ وَأَفْنَى مِنْ دَوْلُ

* * *

أبو طالب :

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ لَا وَدَّ فِيهِمْ
وَقَدْ صَارَحُونَا بِالْعِدَاوَةِ وَالْأَذَى
صَبَرْتُ لَهُمْ نَفْسِي بِسَمَرَاءَ سَمْحَةٍ
وَأَحْضَرْتُ عِنْدَ الْبَيْتِ رَهْطِي وَإِخْوَتِي
وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْعَمَامُ بِوَجْهِهِ
وَقَدْ قَطَعُوا كُلَّ الْعُرَى وَالْوَسَائِلِ
وَقَدْ طَاوَعُوا أَمْرَ الْعَدُوِّ الْمَزَائِلِ
وَأَبْيَضَ عَضْبٍ مِنْ تَرَاثِ الْمَقَاوِلِ
وَأَمْسَكْتُ مِنْ أَثْوَابِهِ بِالْوَصَائِلِ
ثِمَالُ الْيَمَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ

يُلَوِّذُ بِهِ الْهَلَاكَ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
كَذَبْتُمْ وَبَيَّتِ اللَّهُ بُزْرَى مُحَمَّدًا
وَسَلِمُهُ حَتَّى نَصَرَ حَوْلَهُ
وَيَنْهَضَ قَوْمٌ بِالْحَدِيدِ إِلَيْكُمْ

* * *

كعب بن زهير :

أُنَبِّتُ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ أُوْعِدَنِي
مَهْلًا هَذَاكَ الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةً أَلْ
لَا تَأْخُذْنِي بِأَقْوَالِ الْوُشَاةِ وَلَمْ
لَقَدْ أَقَوْمُ مَقَامًا لَوْ يَقُومُ بِهِ
لَظَلَّ يُرْعَدُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ
حَتَّى وَضَعْتُ يَمِينِي لَا أَنْزَعُهُ
إِنَّ الرَّسُولَ لَسَيْفٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ

* * *

أبو العلاء المعري :

أَلَا فِي سَبِيلِ الْمَجْدِ مَا أَنَا فَاعِلٌ
أَعِنْدِي وَقَدْ مَارَسْتُ كُلَّ خَفِيَّةٍ
وَلَمَّا رَأَيْتُ الْجَهْلَ فِي النَّاسِ فَاشِيًا
فَوَا عَجِبًا! كَمْ يَدْعِي الْفَضْلَ نَاقِصٌ
يُنَافِسُ يَوْمِي فِي أَمْسِي تَشْرِفًا
إِذَا وَصَفَ الطَّائِيَّ بِالْبُخْلِ مَادِرٌ
عَفَافٌ وَإِقْدَامٌ وَحَزْمٌ وَنَائِلٌ
يُصَدِّقُ وَاشٍ أَوْ يُخَيِّبُ سَائِلٌ؟
تَجَاهَلْتُ حَتَّى ظَنَّ أَنِّي جَاهِلٌ
وَوَا أَسَفًا! كَمْ يُظْهِرُ النِّقْصَ فَاضِلٌ
وَتَخَسُّدُ أَسْحَارِي عَلَيَّ الْأَصَائِلُ
وَعَيْرَ قَسًا بِالْفَهَاهَةِ بَاقِلٌ

وَقَالَ الشُّهَى لِلشَّمْسِ : أَنْتِ خَفِيَّةٌ
وَمَا مَوْتُ زُرٍّ! إِنَّ الْحَيَاةَ دَمِيمَةٌ
وَقَالَ الدُّجَى : يَا صُبْحُ لَوْنُكَ حَائِلٌ
وَمَا نَفْسُ جِدِّي! إِنَّ دَهْرَكَ هَازِلٌ
وَمَا خَرَّتِ الشُّهْبُ الْحَصَى وَالْجَنَادِلُ

* * *

الطغرائي :

حُبُّ السَّلَامَةِ يُبْنِي عَزَمَ صَاحِبِهِ
فَإِنْ جَنَحْتَ إِلَيْهِ فَاتَّخِذْ نَفَقاً
وَدَعْ غِمَارَ الْعُلَا لِلْمُقَدِّمِينَ عَلَى
رِضَى الدَّلِيلِ بِخَفْضِ الْعَيْشِ مَسْكَنَةً
إِنَّ الْعُلَا حَدَّثَنِي وَهِيَ صَادِقَةٌ
أَعْلَلُ النَّفْسَ بِالْأَمَالِ أَرْقُبُهَا
هَذَا جَزَاءُ أَمْرِيءَ أَقْرَانُهُ دَرَجُوا
أَعْدَى عَدُوَّكَ أَذْنَى مَنْ وَثِقَتْ بِهِ
وَإِنَّمَا رَجُلُ الدُّنْيَا وَوَاحِدُهَا
قَدْ رَشَّحُوكَ لِأَمْرِ لَوْ فَطِنْتَ لَهُ

* * *

يحيى بن سعيد :

غَذَوْتُكَ مَوْلُوداً وَعِلْتُكَ يَافِعاً
إِذَا لَيْلَةٌ أَبَتْكَ بِالشُّكُو لَمْ أَبْتَ
كَأَنِّي أَنَا الْمَطْرُوقُ دُونَكَ بِاللَّذِي
تَخَافُ الرَّدَى نَفْسِي عَلَيْكَ وَإِنَّهَا
تَعْلُ بِمَا أَجْنِي إِلَيْكَ وَتَنْهَلُ
لِشُكْوَاكَ إِلَّا خَائِفاً أَتَمَلَّمُ
طَرِقتَ بِهِ دُونِي وَعَيْنِي تَهْمَلُ
لَتَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ وَفْتُ مُوَجَّلُ

وَأَنْ لَيْسَ عَنْ وَرْدِ الْمَنَايَا مُؤَخَّرٌ
فَلَمَّا بَلَغْتَ السَّنَّ فِي الْغَايَةِ الَّتِي
جَعَلْتَ جَزَائِي مِنْكَ جَنْبَهَا وَغِلْظَةً
لِعِزٍّ وَلَا عَنْهَا لِذُلٍّ مُعَجَّلٍ
إِلَيْهَا مَدَى مَا كُنْتُ فِيكَ أَوْمَلُ
كَأَنَّكَ أَنْتَ الْمُنْعِمُ الْمُنْتَطَوِّلُ

* * *

حسان بن ثابت :

لِلَّهِ دَرُّ عَصَابَةٍ نَادِمَتْهُمْ
يَمْشُونَ فِي الْحَلَلِ الْمُضَاعَفِ نَسْجُهَا
الضَّارِبُونَ الْكَبْشَ يَبْرُقُ بَيْضُهُ
وَالْخَالِطُونَ فَقِيرَهُمْ بِغَنِيِّهِمْ
أَوْلَادُ جَفَنَةٍ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ
يُغْشَوْنَ حَتَّى مَا تَهَرُّ كِلَابُهُمْ
يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ الْبَرِيصَ عَلَيْهِمْ
بَيضُ الْوُجُوهِ كَرِيمَةٌ أَحْسَابُهُمْ
يَوْمًا بِجَلَّقَ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ
مَشَى الْجِمَالِ إِلَى الْجِمَالِ الْبُزْلِ
ضَرْبًا يَطِيحُ لَهُ بَنَانُ الْمَفْصِلِ
وَالْمُنْعُمُونَ عَلَى الضَّعِيفِ الْمُزْمِلِ
قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ
لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ
بَرْدَى يُصَفَّقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسِلِ
شُمُّ الْأَنْوَفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ

* * *

امرؤ القيس :

أَلَا عِمَّ صَبَاحًا أَثَّهَا الْطَّلُلُ الْبَالِي
وَهَلْ يِعْمَنُ إِلَّا سَعِيدٌ مُخْلَدٌ
فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِأَدْنَى مَعِيشَةٍ
وَلَكِنَّمَا أَسْعَى لِمَجْدٍ مُؤَثَّلِ
وَمَا الْمَرْءُ مَا دَامَتْ حُشَاشَةُ نَفْسِهِ
وَهَلْ يِعْمَنُ مَنْ كَانَ فِي الْعُصْرِ الْخَالِي
قَلِيلُ الْهُمُومِ مَا يَبِيتُ بِأَوْجَالِ
كَفَانِي وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ
وَقَدْ يُدْرِكُ الْمَجْدَ الْمُؤَثَّلَ أَمْثَالِي
بِمُذْرِكِ أَطْرَافِ الْخُطُوبِ وَلَا إِلَيَّ

* * *

علي بن الجهم :

لَمْ يَنْصُبُوا بِالشَّاذِيَاخِ صَبِيحَةَ الْ
نَصْبِ بِحَمْدِ اللَّهِ مِلءَ عُيُونِهِمْ
مَا أَزْدَادَ إِلَّا رَفَعَةَ بَنُكُولِهِ
مَا عَابَهُ أَنْ بُزَّ عَنْهُ لِبَاسُهُ
إِنْ يُتَذَلَّ فَلَبَدْرٌ لَا يُزْرِي بِهِ
أَوْ يَخْبِسُوهُ فَلَيْسَ يُخْبَسُ سَائِرُ
إِنَّ الْمَصَائِبَ مَا تَعَدَّتْ دِينَهُ
لَنْ تَسْلُبُوهُ وَإِنْ سَلَبْتُمْ كُلَّ مَا
هَلْ تَمْلِكُونَ لِدِينِهِ وَيَقِينِهِ

* * *

أبو تمام :

لَكَ أَقْلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بِشَبَابِهِ
لَهُ الْخَلَوَاتُ الْأَلَاءُ لَوْلَا نَجِيَّتُهَا
لُعَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لِعَابُهُ
لَهُ رِيقَةٌ طُلٌّ وَلَكِنَّ وَقَعَهَا
فَصِيحٌ إِذَا أَسْتَنْطَقْتَهُ وَهُوَ رَاكِبٌ
إِذَا مَا أَمْتَطَى الْخُمْسَ اللَّطَافَ وَأَفْرَغَتْ
أَطَاعَتُهُ أَطْرَافَ الْقَنَا وَتَقَوَّضَتْ
إِذَا أَسْتَغْزَرَ الذَّهْنَ الذِّكْيَ وَأَقْبَلَتْ
وَقَدْ رَفَدَتْهُ الْخِنْصِرَانِ وَشَدَّدَتْ

رَأَيْتَ جَلِيلًا شَأْنُهُ وَهُوَ مُزْهَفٌ ضَنْىً وَسَمِينًا خَطْبُهُ وَهُوَ نَاحِلٌ

* * *

المعري :

فَيَا دَارَهَا بِالْحَزَنِ إِنَّ مَزَارَهَا قَرِيبٌ وَلَكِنْ دُونَ ذَلِكَ أَهْوَالُ
وَعَنْتَ لَنَا فِي دَارِ سَابُورَ قَيْنَةٍ مِنْ أَلُورِقِ مِطْرَابِ الْأَصَائِلِ مِينَالُ
فَقُلْتُ : تَغْنِي كَيْفَ شِئْتَ فَإِنَّمَا غَنَاؤُكَ عِنْدِي يَا حَمَامَةَ إِغْوَالُ
فَالَيْتُ مَا تَذَرِي الْحَمَائِمُ بِالضُّحَى أَطَوَاقُ حُسْنِ تِلْكَ أَمْ هُنَّ أَغْلَالُ
فَيَا وَطَنِي إِنْ فَاتَنِي بِكَ سَابِقُ مِنَ الدَّهْرِ فَلْيَنْعِمْ لِسَاكِكَ أَلْبَالُ
فَإِنْ أَسْتَطِعَ فِي الْحَشْرِ آتِكَ زَائِرًا وَهَيْهَاتَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَشْغَالُ

* * *

امرؤ القيس :

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَتَّكِلِي
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءً بِكُلِّكِلِ
أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَنْجَلِي بِصُبْحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ
فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ بِكُلِّ مُغَارٍ أَلْفُتْلٍ شُدَّتْ بِإِذْبُلِ

* * *

أبو كبير الهذلي :

وَلَقَدْ سَرَيْتُ عَلَى الظَّلَامِ بِمَغْشَمٍ جَلَدٍ مِنَ الْفِتْيَانِ غَيْرِ مُهَبَّلِ
مِمَّا حَمَلْنَ بِهِ وَهُنَّ عَوَاقِدُ حُبِّكَ الْثِيَابِ فَشَبَّ غَيْرَ مُثْقَلِ
حَمَلْتُ بِهِ فِي لَيْلَةٍ مَزُودَةٍ كَرَهَا وَعَقَدُ نِطَاقِهَا لَمْ يُحْلَلِ
فَأَتَتْ بِهِ حَوْشَ الْجَنَانِ مُبْطَنًا سُهْدًا إِذَا مَا نَامَ لَيْلُ الْهَوَجَلِ

وَمُبَرَّأً مِنْ كُلِّ غُبْرٍ حَيْضَةٍ وَفَسَادٍ مُرْضِعَةٍ وَدَاءٍ مُغِيلٍ
وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى أُسْرَةٍ وَجْهِهِ بَرَقَتْ كَبْرَقِ الْعَارِضِ الْمُتَهَلِّلِ

* * *

الأحنف العكبري :

مَنْ أَرَادَ الْمُلْكَ وَالرَّأَى حَاةً مِنْ هَمٍّ طَوِيلٍ
فَلْيَكُنْ فَرْدًا مِنَ النَّاسِ سِ وَيَرْضَى بِالْقَلِيلِ
وَيُدَاوِي مَرَضَ الْوَحْدَةِ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ
لَا يُمَارِي أَحَدًا مَّا عَاشَ فِي قَالٍ وَقِيلِ
يَلْزَمُ الصَّمْتَ فَإِنَّ الصَّمْتَ تَهْذِيبُ الْعُقُولِ
يَنْذِرُ الْكِبَرَ لِأَهْلِيهِ وَيَرْضَى بِالْخُمُولِ
أَيُّ عَيْشٍ لِامْرِئٍ يُضْبِحُ فِي حَالٍ ذَلِيلِ
بَيْنَ قَصْدٍ مِنْ عَدُوٍّ وَمُدَارَةٍ جَهُوْلِ
وَأَعْتِلَالٍ مِنْ صَدِيقٍ وَتَجَنُّدٍ مِنْ مُلُوكِ
وَأَحْتِرَاسٍ مِنْ ظُنُونِ أَلْسَانِ أَوْ عَذْلِ عَدُوْلِ
وَمُمَاشَاةٍ بَغِيضٍ وَمُقَاسَاةٍ ثَقِيلِ
أَفٍّ مِنْ مَعْرِفَةِ النَّاسِ سِ عَلَى كُلِّ سَبِيلِ

* * *

معن بن أوس :

لَعَمْرُكَ مَا أَهْوَيْتُ كَفِّي لِرَبِيَّةٍ وَلَا حَمَلْتَنِي نَحْوَ فَاخِشَةِ رِجْلِي
وَلَا قَادَنِي سَمْعِي وَلَا بَصْرِي لَهَا وَلَا دَلَّنِي رَأْيِي عَلَيْهَا وَلَا عَقْلِي
وَأَعْلَمُ أَنِّي لَمْ تُصِيبْنِي مُصِيبَةٌ مِنْ الدَّهْرِ إِلَّا قَدْ أَصَابَتْ فَتَى قَبْلِي

وَلَسْتُ بِمَا شِ مَا حَيْثُ لِمُنْكَرٍ
وَلَا مُؤَثِّرًا نَفْسِي عَلَى ذِي قَرَابَةٍ
مِنَ الْأَمْرِ لَا يَمْشِي إِلَى مِثْلِهِ مِثْلِي
وَأَوْثِرُ ضَيْفِي - مَا أَقَامَ - عَلَى أَهْلِي

* * *

ابن زيدون :

أَمَقْتُوَلَةَ الْعَيْنَيْنِ مَا لَكَ وَالْهَاءُ
أَقْلِي بُكَاءَ لَسْتُ أَوَّلَ حُرَّةٍ
وَفِي أُمِّ مُوسَى عِبْرَةٌ أَنْ رَمَتْ بِهِ
وَلِلَّهِ فِينَا عِلْمٌ غَيْبٍ وَحَسْبُنَا
أَلَمْ تَرْكِ الْأَيَّامَ حُرّاً قَضَى قَبْلِي
طَوْتُ بِالْأَسَى كَشْحاً عَلَى مَضَضِ الثُّكُلِ
إِلَى أَلِيمٍ فِي التَّابُوتِ فَاعْتَبِرِي وَأَسْلِي
بِهِ عِنْدَ جَوْرِ الدَّهْرِ مِنْ حَكَمٍ عَذَلِ

* * *

ابن الدمينه :

قَفِي قَبْلَ وَشِكِ الْبَيْنِ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ
لِئِنْ سَاءَ نَبِي أَنْ نَلْتَنِي بِمَسَاءَةٍ
لِيَهْنِكَ إِمْسَاكِ بِكَفِّي عَلَى الْحَشَا
فَلَوْ قُلْتُ : طَأْ فِي النَّارِ أَعْلَمُ أَنَّهُ
لَقَدَّمْتُ رِجْلِي نَحْوَهَا فَوَطِئْتُهَا
وَلَا تَحْرِمِينَا نَظْرَةً مِنْ جَمَالِكَ
فَقَدْ سَرَّنِي أَنِّي خَطَرْتُ بِبَالِكَ
وَرَفَرَقَاقِ دَمْعِي رَهْبَةً مِنْ مَطَالِكَ
رِضاً لَكَ أَوْ مُذِنٍ لَنَا مِنْ وَصَالِكَ
هُدًى مِنْكَ لِي أَوْ ضَلَّةً مِنْ ضَلَالِكَ

* * *

المتنبي :

نُعِدُّ الْمَشْرِفِيَّةَ وَالْعَوَالِي
وَنَرْتَبِطُ السَّوَابِقَ مُقَرَّبَاتٍ
وَمَنْ لَمْ يَعْشَقِ الدُّنْيَا قَدِيمًا
نَصِيئِكَ فِي حَيَاتِكَ مِنْ حَبِيبٍ
وَتَقْتُلُنَا الْمُنُونُ بِلَا قِتَالٍ
وَمَا يُنْجِينُ مِنْ خَبَبِ اللَّيَالِي
وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْوَصَالِ
نَصِيئِكَ فِي حَيَاتِكَ مِنْ حَبِيبٍ

رَمَانِي الدَّهْرُ بِالْأَرْزَاءِ حَتَّى
فَصِرْتُ إِذَا أَصَابْتَنِي سَهَامٌ
وَهَانَ فَمَا أَبَالِي بِالرَّرَآيَا
وَلَوْ كَانَ النِّسَاءُ كَمَنْ فَقَدْنَا
وَمَا التَّانِيْتُ لِاسْمِ الشَّمْسِ عَيْبٌ
يُدْفَنُ بَعْضُنَا بَعْضًا وَتَمْشِي
فَإِنْ تَفَقَّ الْأَنَامَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ

* * *

زهير :

وَأَنْدِيَّةُ يَتَّبِعُهَا الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ
مَجَالِسَ قَدْ يُشْفَى بِأَحْلَامِهَا الْجَهْلُ
وَعِنْدَ الْمُقْلِينَ السَّمَا حَةُ وَالْبَذْلُ
تَوَارَثَهُ آبَاءُ آبَائِهِمْ قَبْلُ
وَتُعْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا النَّخْلُ

* * *

وَفِيهِمْ مَقَامَاتٌ حَسَنٌ وَجُوهُهُمْ
وَأِنْ جِئْتَهُمْ أَلْفَيْتَ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ
عَلَى مُكْثَرِهِمْ رِزْقٌ مَنْ يَغْتَرِيهِمْ
وَمَا كَانَ مِنْ خَيْرٍ أَتَوْهُ فَإِنَّمَا
وَهَلْ يُنْبِتُ الْخَطِيئَ إِلَّا وَشِيجُهُ

مروان بن أبي حفصة :

أَسْوَدُ لَهَا فِي بَطْنِ جَفَّانَ أَشْبُلُ
كَأَوَّلِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَوَّلُ
أَجَابُوا وَإِنْ أَعْطُوا أَطَابُوا وَأَجْزَلُوا
وَإِنْ أَحْسَنُوا فِي النَّائِبَاتِ وَأَجْمَلُوا

* * *

بَنُو مَطَرٍ يَوْمَ اللَّقَاءِ كَانَهُمْ
بِهَالِيلٍ فِي الْإِسْلَامِ سَادُوا وَلَمْ يَكُنْ
هُمْ الْقَوْمُ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا وَإِنْ دُعُوا
وَمَا يَسْتَطِيعُ الْفَاعِلُونَ فِعَالَهُمْ

الحطينة :

إِلَى الْقَائِلِ الْفَعَالِ عُلْقَمَةَ النَّدَى
يَدَاهُ خَلِيجُ الْبُخْرِ إِحْدَاهُمَا دَمًا
فَإِنْ تَخَيَّ لَا أَمَلُ حَيَاتِي وَإِنْ تَمُتْ
وَمَا كَانَ بَيْنِي لَوْ لَقَيْتُكَ سَالِمًا
رَحَلْتُ قُلُوصِي تَجْتَوِيهَا الْمَنَاهِلُ
تَفِيضُ وَأُخْرَى بِخَرُّ جُودٍ وَنَائِلُ
فَمَا فِي حَيَاةٍ بَعْدَ مَوْتِكَ طَائِلُ
وَبَيْنَ الْغِنَى إِلَّا لَيَالٍ قَلَائِلُ

* * *

شرف الدين :

إِنْ تَخُمِ طَرْفِي أَنْ يَرَاكَ
إِنِّي أَغَارُ إِذَا الْأَرَاكَ
وَيَرُوعُنِي وَاشِي النَّسِيمِ
مَا أَقْبَحَ الصَّبْرَ الْجَمِيلَ
إِنْ تَخُمِ عَيْنِي أَنْ تَرَاكَ
جَعَلْتُ قَلْبِي مَنْزِلَكَ
دَنَا إِلَيْكَ فَقَبَّلَكَ
إِذَا ثَنَّاكَ وَمَيَّلَكَ
بِعَاشِقِيكَ وَأَجْمَلَكَ
جَعَلْتُ قَلْبِي مَنْزِلَكَ

* * *

أبو العلاء المعري :

وَسَأَلْتُ كَمْ بَيْنَ الْعَقِيقِ إِلَى الْغَضَى
وَعَذَرْتُ طَيْفَكَ فِي الْجَفَاءِ لِأَنَّهُ
إِنَّ الْبَخِيلَ إِذَا يُمَدُّ لَهُ الْمَدَى
لَأَقَاكَ فِي الْعَامِ الَّذِي وَلَّى فَلَمْ
فَجَزَعْتُ مِنْ أَمَدِ النَّوَى الْمُتَطَاوِلِ
يَسْرِي فَيُضْبِحُ دُونَنَا بِمَرَاكِحِلِ
فِي الْجُودِ هَانَ عَلَيْهِ وَعَدُّ السَّائِلِ
يَسْأَلُكَ إِلَّا قُبْلَةً فِي قَابِلِ

* * *

أبو العلاء المعري :

طَرِبْنَا لِضَوْءِ الْبَارِقِ الْمُتَعَالِي
بِغَدَادٍ وَهْنًا مَا لَهُنَّ وَمَا لِي

فَيَا بَرْقُ لَيْسَ الْكَرْخُ دَارِي وَإِنَّمَا
فَهْلُ فَيْكَ مِنْ مَاءِ الْمَعْرَةِ قَطْرَةٌ
وَإِنِّي تَيَمَّمْتُ الْعِرَاقَ لِغَيْرِ مَا
فَأَصْبَحْتُ مَحْمُوداً بِفَضْلِي وَحَدَهُ
أَرْوَحُ فَلَا أَخْشَى الْمَنَايَا وَأَتَّقِي

* * *

المتنبي :

وَمَا صَبَابَةٌ مُشْتَقٍ عَلَى أَمَلٍ
وَالْهَجْرُ أَقْتُلُ لِي مِمَّا أَرَايُهُ
قَدْ ذُقْتُ شِدَّةَ أَيَّامِي وَلَذَّتْهَا
وَقَدْ أَرَانِي الشَّبَابُ الرُّوحَ فِي بَدَنِي
خُذْ مَا تَرَاهُ وَدَعْ شَيْئاً سَمِعْتَ بِهِ
لَعَلَّ عَتَبَكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ
لِأَنَّ حِلْمَكَ حِلْمٌ لَا تَكْلُفُهُ

* * *

المتنبي :

وَمَا شَرْقِي بِالْمَاءِ إِلَّا تَذَكُّرًا
إِذَا كَانَ بَغْضُ النَّاسِ سَيِّئًا لِدَوْلَةٍ
أَنَا السَّابِقُ الْهَادِي إِلَى مَا أَقُولُهُ
وَمَا لِكَلَامِ النَّاسِ فِيمَا يُرِيئُنِي
أُعَادِي عَلَى مَا يُوجِبُ الْحُبَّ لِلْفَتَى

سَوَى وَجَعِ الْحُسَادِ دَاوِ فَإِنَّهُ
وَلَا تَطْمَعُنْ مِنْ حَاسِدٍ فِي مَوَدَّةٍ
وَأَنَا لَنَلْقَى الْحَادِثَاتِ بِأَنْفُسٍ
يَهُونُ عَلَيْنَا أَنْ تُصَابَ جُسُومُنَا

إِذَا حَلَّ فِي قَلْبٍ فَلَيْسَ يَحُولُ
وَإِنْ كُنْتَ تُبْدِيهَا لَهُ وَتُنِيلُ
كَثِيرُ الرِّزَايَا عِنْدَهُنَّ قَلِيلُ
وَتَسْلَمَ أَعْرَاضُ لَنَا وَعُقُولُ

* * *

المتنبي :

كَدَعَوَاكِ كُلُّ يَدَّعِي صِحَّةَ الْعَقْلِ
تُرِيدِينَ لُقْيَانَ الْمَعَالِي رَخِيصَةً
وَلَيْسَ الَّذِي يَتَّبِعُ الْوَبْلَ رَائِدًا
وَمَا أَنَا مِمَّنْ يَدَّعِي الشَّوْقَ قَلْبُهُ

وَمَنْ ذَا الَّذِي يَدْرِي بِمَا فِيهِ مِنْ جَهْلٍ
وَلَا بُدَّ دُونَ الشَّهْدِ مِنْ ابْرِ النَّحْلِ
كَمَنْ جَاءَهُ فِي دَهْرِهِ رَائِدُ الْوَبْلِ
وَيَخْتَجُّ فِي تَرْكِ الزِّيَارَةِ بِالشُّغْلِ

* * *

المتنبي :

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تَهْدِيهَا وَلَا مَالُ
لَا يُدْرِكُ الْمَجْدَ إِلَّا سَيِّدُ فَطْنٍ
لَوْلَا الْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلُّهُمْ
وَإِنَّمَا يَبْلُغُ الْإِنْسَانُ طَاقَتَهُ

فَلْيُسْعِدِ النُّطْقُ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ الْحَالُ
لِمَا يَشُقُّ عَلَى السَّادَاتِ فَعَالُ
الْجُودُ يُفْقِرُ وَالْإِفْدَامُ قَتَالُ
مَا كُلُّ مَاشِيَةٍ بِالرَّحْلِ شِمْلَالُ

إِنَّا لَفِي زَمَنِ تَرْكِ الْقَبِيحِ بِهِ
ذَكَرُ الْفَتَى عُمُرُهُ الثَّانِي وَحَاجَتُهُ

مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ إِحْسَانُ وَإِجْمَالُ
مَا قَاتَهُ وَفُضُولُ الْعَيْشِ أَشْغَالُ

* * *

المتنبي :

وَاحَرَ قَلْبَاهُ مِمَّنْ قَلْبُهُ شَبَمُ
وَمَنْ بِجِسْمِي وَحَالِي عِنْدَهُ سَقَمُ

مَا لِي أَكْتُمُ حُبًّا قَدْ بَرَى جَسَدِي
 إِنْ كَانَ يَجْمَعُنَا حُبٌّ لِفِرَّتِهِ
 قَدْ رُزْتُهِ وَسُيُوفُ الْهِنْدِ مُغْمَدَةٌ
 فَكَانَ أَحْسَنَ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ
 أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدَبِي
 أَنَامُ مِلءَ جُفُونِي عَنْ شَوَارِدِهَا
 الْخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْيَبْدَاءُ تَعْرِفُنِي
 إِنْ كَانَ سَرَّكُمْ مَا قَالَ حَاسِدُنَا
 إِذَا رَأَيْتَ يُبُوبَ اللَّيْلِ بَارِزَةً

* * *

إيليا أبو ماضي :

قَالَ : أَسْمَاءُ كَثِيبَةٌ ! وَتَجَهَّمَا
 قَالَ : الصَّبَا وَلَيَّ ! فَقُلْتُ لَهُ : أَتَبْسِمُ
 قَالَ : أَلَّتِي كَانَتْ سَمَائِي فِي الْهَوَى
 خَانَتْ عُهُودِي بَعْدَ مَا مَلَكْتُهَا
 قُلْتُ : أَتَبْسِمُ وَأَطْرَبُ فَلَوْ قَارَنْتَهَا
 قَالَ : أَلْعِدَى حَوْلِي عَلَتْ صَنِحَاتُهُمْ
 قُلْتُ : أَتَبْسِمُ لَمْ يَطْلُبُوكَ بِذَمِّهِمْ
 قَالَ : أَلَلْيَالِي جَرَعَتْ عَيْنِي عِلْقَمًا
 فَلَعَلَّ غَيْرَكَ إِنْ رَأَاكَ مُرْنَمًا
 أَتُرَاكَ تَغْنَمُ بِالتَّبَرُّمِ دِرْهَمًا

وَتَدْعِي حُبَّ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الْأُمَمِ
 فَلَيْتَ أَنَا بِقَدْرِ الْحُبِّ نَقْتَسِمُ
 وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَيْهِ وَالسُّيُوفُ دَمٌ
 وَكَانَ أَحْسَنَ مَا فِي الْأَحْسَنِ الشِّيمِ
 وَأَسْمَعْتُ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمٌ
 وَيَسْهَرُ الْخَلْقُ جَرَاهَا وَيَخْصِمُ
 وَالسَّيْفُ وَالرُّمْحُ وَالْفِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ
 فَمَا لِحَرْحِ إِذَا أَرْضَاكُمُ أَلَمُ
 فَلَا تَظُنَّنَّ أَنَّ اللَّيْلَ يَنْتَسِمُ

* * *

قُلْتُ : أَتَبْسِمُ يَكْنِي الْجَهْمُ فِي السَّمَاءِ!
 لَنْ يُرْجَعَ الْأَسْفُ الصَّبَا الْمُتَصَرِّمًا!
 صَارَتْ لِنَفْسِي فِي الْغَرَامِ جَهَنَّمَا
 قَلْبِي فَكَيْفَ أَطِيقُ أَنْ أَتَبَسَّمَ!
 قَضَيْتَ عُمْرَكَ كُلَّهُ مُتَأَلِّمًا!
 أَأَسْرُ وَالْأَعْدَاءُ حَوْلِي فِي الْحِمَى ؟
 لَوْ لَمْ تَكُنْ مِنْهُمْ أَجَلٌ وَأَعْظَمًا!
 قُلْتُ : أَتَبْسِمُ ، وَلَيْتَ جَرَعْتَ الْعَلْقَمَا
 طَرَحَ الْكَابَةَ جَانِبًا وَتَرَنَّمَا
 أَمْ أَنْتَ تَخْسَرُ بِالْبَشَاشَةِ مَغْنَمًا ؟

علي بن عبد العزيز الجرجاني :

يَقُولُونَ لِي : فِيكَ انْقِبَاضٌ وَإِنَّمَا
أَرَى النَّاسَ مَنْ دَانَاهُمْ هَانَ عِنْدَهُمْ
وَلَمْ أَبْتَدِلْ فِي خِدْمَةِ الْعِلْمِ مُهْجَتِي
وَمَا كُلُّ بَرْقٍ لَاحٍ لِي يَسْتَفِزُّنِي
وَلَكِنْ إِذَا مَا أَضْطَرَّنِي الْأَمْرُ لَمْ أَزَلْ
أَشْقَى بِهِ غَرْسًا وَأَجْنِيهِ ذِلَّةً
وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوهُ صَانَهُمْ
وَلَكِنْ أَهَانُوهُ فَهَانُوا وَدَنَسُوا

* * *

الفرزدق :

هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءُ وَطَائِفُهُ
هَذَا ابْنُ خَيْرِ عِبَادِ اللَّهِ كُلِّهِمْ
وَلَيْسَ قَوْلُكَ : مَنْ هَذَا ؟ بِضَائِرِهِ
مَا قَالَ : لَا ، قَطُّ ، إِلَّا فِي تَشْهُدِهِ
إِذَا رَأَتْهُ قُرَيْشٌ قَالَ قَائِلُهَا :
يُغْضِي حَيَاءً ، وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ
يَكَادُ يُنْسِكُهُ عِرْفَانٌ رَاحَتِهِ

* * *

عمر أبو ريشه :

أُمِّي هَلْ لَكَ بَيْنَ الْأُمَمِ
مِنْبَرٌ لِلسَّيْفِ أَوْ لِلْقَلَمِ

أَتَلَقَّاكَ وَطَرْفِي مُطَرِّقُ
الْإِسْرَائِيلَ تَعْلُو رَايَةَ
كَيْفَ أَغْضَيْتِ عَلَى الدُّلِّ وَلَمْ
أَوْ مَا كُنْتَ إِذَا الْبُغْيُ أَعْتَدَى
رُبَّ (وَأُمُتَصِمَاهُ) أَنْطَلَقْتَ
لَا مَسَتْ أَسْمَاعُهُمْ لَكِنَّهَا

* * *

الحطيئة :

وَطَاوِي ثَلَاثٍ عَاصِبِ الْبُطْنِ مُزْمِلِ
أَخِي جَفْوَةٍ فِيهِ مِنَ الْإِنْسِ وَخُشَّةُ
وَأَفْرَدَ فِي شِعْبٍ عَجُوزاً إِزَاءَهَا
رَأَى شَبَحاً وَسُطَ الظَّلَامِ فَرَاعَهُ
وَقَالَ : هِيََا رَبَّاهُ ضَيْفٌ وَلَا قِرَى
وَقَالَ أَبْنُهُ لَمَّا رَأَاهُ بِحَيْرَةٍ :
وَلَا تَعْتَذِرْ بِالْعُذْمِ عَلَّ الَّذِي طَرَا
فَرَوَى قَلِيلاً ثُمَّ أَخْجَمَ بُرْهَةً
فَبَيَّنَا هُمَا عَنَّتْ عَلَى الْبُعْدِ عَانَةً
عِطَاشاً تُرِيدُ الْمَاءَ فَانْسَابَ نَحْوَهَا
فَأَمْهَلَهَا حَتَّى تَرَوْتَ عِطَاشَهَا
فَخَرَّتْ نَحْوَصٌ ذَاتُ جَحْشٍ سَمِينَةٍ
فِيَا بَشْرَهُ إِذْ جَرَّهَا نَحْوَ قَوْمِهِ

خَجَلًا مِنْ أَمْسِكَ الْمُنْصَرِمِ
فِي حِمَى الْمَهْدِ وَظِلُّ الْحَرَمِ
تَفْضِي عَنْكَ غُبَارَ التُّهَمِ
مَوْجَةً مِنْ لَهَبٍ أَوْ مِنْ دَمِ
مِلءَ أَفْوَاهِ الْبَنَاتِ الْيَتِيمِ
لَمْ تُلَامِسْ نَخْوَةَ الْمُعْتَصِمِ

* * *

بَيْتِهَاءَ لَمْ يَعْرِفْ بِهَا سَاكِنُ رَسْمَا
يَرَى الْبُؤْسَ فِيهَا مِنْ شَرَّاسَتِهِ نُعْمَى
ثَلَاثَةُ أَشْبَاحٍ تَخَالُهُمْ بَهْمَا
فَلَمَّا بَدَا ضَيْفًا تَشَمَّرَ وَأَهْتَمَّا
بِحَقِّكَ لَا تَحْرِمُهُ تَا أَلْيَلِيَّةَ اللَّحْمَا
أَيَا أَبَتِ أَذْبَحْنِي وَيَسِّرْ لَهُ طَعْمَا
يَظُنُّ لَنَا مَالاً فَيُوسِعُنَا ذَمًّا
وَإِنْ هُوَ لَمْ يَذْبَحْ فَتَاهُ فَقَدْ هَمَّا
قَدْ أَنْتَظَمْتَ مِنْ خَلْفٍ مِسْحَلَهَا نَظْمَا
عَلَى أَنَّهُ مِنْهَا إِلَى دَمِهَا أَظْمَا
فَأَرْسَلَ فِيهَا مِنْ كِنَانَتِهِ سَهْمَا
قَدْ أَكْتَنَزْتَ لَحْمًا وَقَدْ طَبَّقْتَ شَحْمَا
وَيَا بَشْرَهُ لَمَّا رَأَوْا كَلَمَهَا يَذْمَى

فَبَاتُوا كِرَامًا قَدْ قَضَوْا حَقَّ ضَيْفِهِمْ وَمَا غَرِمُوا غُرْمًا وَقَدْ غَنِمُوا غُنْمًا
وَبَاتَ آبُوهُمْ مِنْ بَشَاشَتِهِ أَبَا لَضَيْفِهِمْ وَالْأُمُّ مِنْ بَشَرِهَا أُمًّا

* * *

زهير بن أبي سلمى :

وَمَنْ لَمْ يُصَانِعْ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عَرْضِهِ
وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخُلُ بِفَضْلِهِ وَمَنْ يُوفِ لَا يُذَمُّ وَمَنْ يُهْدِ قَلْبُهُ
وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمَنَآيَا يَنْلَنَّهُ وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ
وَمَنْ لَمْ يَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ

* * *

البوصيري :

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانِ بِذِي سَلَمٍ أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ كَاطِمَةٍ
فَمَا لِعَيْنَيْكَ إِنْ قُلْتَ أَكْفُفَا هَمَّتَا أَيْخَسَبُ الصَّبُّ أَنَّ الْحُبَّ مُنْكَتِمٌ
لَوْلَا الْهَوَى لَمْ تُرَقْ دَمْعًا عَلَى طَلَلٍ فَكَيْفَ تُتَكَّرُ حُبًّا بَعْدَ مَا شَهِدْتَ
وَأَثَبْتَ الْوَجْدُ خَطِيئَةَ عَبْرَةٍ وَضَنَى ظَلَمْتَ سُنَّةَ مَنْ أَحْيَا الظَّلَامَ إِلَى

مَزَجَتْ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمٍ وَأَوْمَضَ الْبَرْقُ فِي الظُّلُمَاءِ مِنْ إِضْمٍ
وَمَا لِقَلْبِكَ إِنْ قُلْتَ أَسْتَفِقَ يَهُمَ مَا بَيْنَ مُنْسَجِمٍ مِنْهُ وَمُضْطَرِمٍ
وَلَا أَرَقْتَ لِذِكْرِ الْبَانِ وَالْعَلَمِ بِهِ عَلَيْكَ عُذُولُ الدَّمْعِ وَالسَّقَمِ
مِثْلَ الْبَهَارِ عَلَى خَدَيْكَ وَالْعَنَمِ أَنْ أَشْتَكْتَ قَدَمَاهُ الضَّرَّ مِنْ وَرَمِ

وَالنَّفْسُ كَالطُّفْلِ إِنْ تَهْمَلُهُ شَبَّ عَلَى
فَأَصْرَفَ هَوَاهَا وَحَاذِرْ أَنْ تُؤَلِّيَهُ

* * *

المتنبي :

مِنْ الْحِلْمِ أَنْ تَسْتَعْمِلَ الْجَهْلَ دُونَهُ
وَأَنْ تَرِدَ الْمَاءَ الَّذِي شَطَرُهُ دَمٌ
وَمَنْ عَرَفَ الْأَيَّامَ مَعْرِفَتِي بِهَا
فَلَيْسَ بِمَرْحُومٍ إِذَا ظَفَرُوا بِهِ
إِذَا صُلْتُ لَمْ أَتْرُكْ مَصَالاً لِصَائِلٍ
وَذِي لَجَبٍ لَا ذُو الْجَنَاحِ أَمَامَهُ
تَمُرُّ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَهِيَ ضَعِيفَةٌ
إِذَا ضَوْؤُهَا لَاقَى مِنَ الطَّيْرِ فُرْجَةً
وَيَخْفَى عَلَيْكَ الْبَرْقُ وَالرَّعْدُ فَوْقَهُ

* * *

يزيد بن معاوية :

وَلَمَّا تَلَاقَيْنَا وَجَدْتُ بَنَانَهَا
فَقُلْتُ : خَضِبْتَ الْكَفَّ بَعْدِي أَهْكَذَا
فَقَالَتْ وَأَلْقَتْ فِي الْحِشَا لَاعِجَ الْجَوَى
بَكَيْتُ دَمًا يَوْمَ النَّوَى فَمَنْعَتْهُ
وَلَوْ قَبْلَ مَبْكَاهَا بَكَيْتُ صَبَابَةً
وَلَكِنْ بَكَتْ قَبْلِي فَهَيَّجَ لِي الْبُكَى

حسان بن ثابت :

تَبَلَّتْ فُؤَادَكَ فِي الْمَنَامِ خَرِيدَةً
كَالْمِسْكِ تَخْلِطُهُ بِمَاءِ سَحَابَةٍ
يَا مَنْ لِعَاذِلَةٍ تَلُومُ سَفَاهَةً
إِنْ كُنْتَ كَاذِبَةً الَّذِي حَدَّثَنِي
تَرَكَ الْأَحِبَّةَ أَنْ يُقَاتِلَ دُونَهُمْ

* * *

أبو تمام :

مَرَّتْ لَنَا أَعْوَامٌ وَضَلَّ بِالْحِمَى
ثُمَّ أَنْشَتْ أَيَّامٌ هَجَرٍ بَعْدَهَا
ثُمَّ انْقَضَتْ تِلْكَ السُّنُونُ وَأَهْلُهَا

* * *

ابن الليانة :

شَكَاتْنَا فِيكَ يَا فَخْرَ الْعُلَا عَظُمَتْ
طَوَّقَتْ مِنْ نَائِبَاتِ الدَّهْرِ مِخْنَقَةً
صَرَفَتْ فِي آلَةِ الصَّوَاعِغِ أَنْمَلَةً
يَدُ عَهْدَتِكَ لِلتَّقْيِيلِ تَبْسُطُهَا
يَا صَائِغًا كَانَتْ أَلْعَلِيَا تُصَاغُ لَهُ
لِلنَّفْخِ فِي الصُّورِ هَوْلٌ مَا حَكَاهُ سِوَى
وَدِدْتُ إِذْ نَظَرْتُ عَيْنِي إِلَيْكَ بِهِ

* * *

المتنبى :

إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرْفٍ مَرُومٍ فَلَا تَقْنَعْ بِمَا دُونَ التُّجُومِ
فَطَعْمُ الْمَوْتِ فِي أَمْرِ صَغِيرٍ كَطَعْمِ الْمَوْتِ فِي أَمْرِ عَظِيمٍ
وَكُلُّ شَجَاعَةٍ فِي الْمَرءِ تُغْنِي وَلَا مِثْلَ الشَّجَاعَةِ فِي الْحَكِيمِ
يَرَى الْجُبْنَاءُ أَنَّ الْعَجْزَ عَقْلٌ وَتِلْكَ خَدِيعَةُ الطَّبْعِ اللَّئِيمِ

* * *

قطري بن الفجاءة :

لَا يَرْكَنَنَّ أَحَدٌ إِلَى الْإِحْجَامِ يَوْمَ الْوَعَى مُتَخَوِّفًا لِجَمَامِ
فَلَقَدْ أَرَانِي لِلرِّمَاحِ دَرِيئَةً مِنْ عَن يَمِينِي مَرَّةً وَأَمَامِي
حَتَّى خَضَبْتُ بِمَا تَحَدَّرَ مِنْ دَمِي أَكْنَافَ سِرْجِي أَوْ عَنَانَ لِبَاجِمِي
ثُمَّ أَنْصَرَفْتُ وَقَدْ أَصَبْتُ وَلَمْ أَصَبْ جَذَعَ الْبَصِيرَةِ قَارِحَ الْإِقْدَامِ

* * *

المتنبى :

فَوَادُ مَا تَسْلِيهِ الْمُدَامُ وَعُمُرٌ مِثْلُ مَا تَهَبُ اللَّئَامُ
وَدَهْرٌ نَاسُهُ نَاسٌ صِغَارُ وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ جُثٌّ ضِخَامُ
وَمَا أَنَا مِنْهُمْ بِالْعَيْشِ فِيهِمْ وَلَكِنْ مَعْدِنُ الذَّهَبِ الرَّغَامُ
أَرَانِبُ غَيْرَ أَنَّهُمْ مُلُوكُ مُفْتَحَةٌ عُيُونُهُمْ نِيَامُ
بِأَجْسَامٍ يَحْرُ الْقَتْلُ فِيهَا وَمَا أَقْرَانُهَا إِلَّا الْأَطْعَامُ
وَحَيْلُ مَا يَخْرُ لَهَا طَعِينُ كَأَنَّ قَنَا فَوَارِسَهَا ثُمَامُ
خَلِيلُكَ أَنْتَ لَا مَنْ قُلْتَ خَلِي وَإِنْ كَثُرَ التَّجْمُلُ وَالْكَلامُ

* * *

المتنبي :

لَا أَفْتِخَارٌ إِلَّا لِمَنْ لَا يُضَامُ لَيْسَ عَزْماً مَا مَرَّضَ الْمَرْءُ فِيهِ
لَيْسَ هَمًّا مَا عَاقَ عَنْهُ الظَّلَامُ وَاحْتِمَالُ الْأَذَى وَرُؤْيَةُ جَانِبِهِ
مُذْرِكٌ أَوْ مُحَارِبٌ لَا يَنَامُ ذَلٌّ مَنْ يَغِيطُ الذَّلِيلَ بَعِيشِ
حُجَّةٌ لَا جِيءَ إِلَيْهَا اللَّكَامُ كُلُّ حِلْمٍ أَتَى بِغَيْرِ اقْتِدَارِ
مَا لُجِرِحَ بِمَيِّتٍ إِلَّا لَامُ مَنْ يَهْنُ يَسْهُلِ الْهَوَانُ عَلَيْهِ

* * *

المتنبي :

وَفَاؤُكُمْ كَالرَّبْعِ أَشْجَاهُ طَاسِمُهُ بَانَ تَسْعِدَا وَالْدَمْعُ أَشْفَاهُ سَاجِمُهُ
وَمَا أَنَا إِلَّا عَاشِقُ كُلِّ عَاشِقٍ أَعَى خَلِيلِيهِ الصَّفِيِّينَ لَائِمُهُ
وَقَدْ يَتَزَيَّأُ بِالْهَوَى غَيْرُ أَهْلِهِ وَيَسْتَضْحِبُ الْإِنْسَانُ مَنْ لَا يُلَائِمُهُ
بَلِيْتُ بَلَى الْأَطْلَالِ إِنْ لَمْ أَقِفْ بِهَا وَقُوفَ شَحِيجِ ضَاعَ فِي الثَّرْبِ خَاتِمُهُ
كَنِيبًا تَوَقَّانِي الْعَوَادِلُ فِي الْهَوَى كَمَا يَتَوَقَّى رِيضَ الْخَيْلِ حَازِمُهُ
فَقِي تَغْرَمِ الْأُولَى مِنَ اللَّحْظِ مُهْجَتِي بِثَانِيَةِ وَالْمُتْلِفُ الشَّيْءِ غَارِمُهُ
حَيِّبٌ كَانَ الْحُسْنُ كَانَ يُحِبُّهُ فَاتَرَهُ أَوْ جَارَ فِي الْحُسْنِ قَاسِمُهُ

* * *

أبو تمام :

بِثَلَاثَةِ كَثَلَاةِ الرِّاحِ أُسْتَوَى لَكَ لَوْنُهَا وَمَذَاقُهَا وَشَمِيمُهَا
وَبِثَلَاثَةِ الشَّجَرِ الْجَنِيِّ تَكَافَأَتْ أَفْنَانُهَا وَثَمَارُهَا وَأَرْوُمُهَا
وَبِثَلَاثَةِ الدَّلْوِ أُسْتُجِيدَ لِمَاتِحِ أَعْوَادُهَا وَرِشَاؤُهَا وَأَدِيمُهَا

وَلثَلَاثَةَ أَلْقِدْرِ اللَّوَاتِي أَشْكَلَتْ
عَبْدُ الْحَمِيدِ لَهَا وَلِلْفَضْلِ الرَّبَا
أَخْيَرُهَا ذُو الْعِبَاءِ أَمْ قَيْدُومُهَا
فِيهَا وَمِثْلُ السَّيْفِ إِبْرَاهِيمُهَا

* * *

ابن القيم :

أَمَّا وَالَّذِي شَقَّ الْقُلُوبَ وَأَوْجَدَ أَلْمَحَبَّةَ فِيهَا حَيْثُ لَا تَتَصَرَّمُ
وَحَمَلَهَا جَهْدَ الْمُحِبِّ وَإِنَّهُ
لَأَنْتُمْ عَلَى بُعْدِ الدَّيَّارِ وَقُرْبِهَا
سَلُّوا نَسَمَاتِ الرِّيحِ كَمْ قَدْ تَحَمَّلْتُمْ
وَكُنْتُ إِذَا مَا أَشْتَدَّ بِي الشَّوْقُ وَالْجَوَى
أَعْلَلُ نَفْسِي بِالتَّلَاقِي وَقُرْبِهِ
أَسَائِلُ عَنْكُمْ كُلَّ غَادٍ وَرَائِحِ
أَلْمَحَبَّةَ فِيهَا حَيْثُ لَا تَتَصَرَّمُ
لِيَضْعُفُ عَنْ حَمْلِ الْقَمِيصِ وَيَأْلَمُ
أَحْبَبْنَا إِنْ غَبِثُمْ أَوْ حَضَرْتُمْ
مَحَبَّةَ صَبٍّ شَوْقُهُ لَيْسَ يُكْتَمُ
وَكَادَتْ عَرَى الصَّبْرِ الْجَمِيلِ تَفْصَمُ
وَأَوْهَمُهَا لِكِنَّهَا تَتَوَهَّمُ
وَأَوْمِي إِلَى أَوْطَانِكُمْ وَأَسْلَمُ

* * *

حافظ إبراهيم :

إِنِّي أَرَى وَفُؤَادِي لَيْسَ يَكْذِبُنِي
أَرَى جَلَالاً أَرَى نُوراً أَرَى مَلَكاً
اللَّهُ أَكْبَرُ هَذَا الْوَجْهَ أَعْرِفُهُ
رُوحاً يَحْفُ بِهَا الْأَجْلَالُ وَالْعِظَمُ
أَرَى مُحَيّاً يُحْيِينَا وَيَتَسِمُ
هَذَا فَتَى النِّيلِ هَذَا الْمُفْرَدُ أَلْعَلَّمُ

* * *

البحري :

وَمِنْ إِرْتِكُمْ أَعْطَتْ صَفِيَّةٌ مُضْعَباً
وَتُكَلُّ أَيْنِهِ مُوفٍ عَلَى تُكَلِّ نَفْسِهِ
وَعُرْوَةٌ إِذْ لَا رِجْلُهُ أَنْصَرَفَتْ بِهِ
جَمِيلَ الْأَسَى لَمَّا أُسْتُحِلَّتْ مَحَارِمُهُ
فَمَا كَانَ إِلَّا صَبْرُهُ وَعَزَائِمُهُ
وَقَدْ خَرَمَتْ عَنْهُ بَيْنَهُ خَوَارِمُهُ

بَكَى أَقْرَبُوهُ شَجْوَهُ وَهُوَ ضَاحِكٌ يُعْزِيهِمْ حَتَّى تَحْيَرَ ذَائِمُهُ

* * *

الشریف الرضی :

وَهَذَا يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ نَافَرَتْ
وَقَالَ وَقَدْ عَنَّ الْفِرَارُ أَوْ الرَّدَى :
وَمَا غَمَرَاتُ الْمَوْتِ إِلَّا أَنْغِمَاسَةٌ
رَأَى أَنَّ ضَرْبَ السَّيْفِ أَهْوَنُ مَحْمَلًا
فَعَافَ الدَّنَايَا وَامْتَطَى الْمَوْتَ شَامِحًا
بِهِ الذَّلَّ أَعْرَاقُ الْجُدُودِ الْأَكَارِمِ
لَحَى اللَّهُ أَخْرَى ذِكْرَةً فِي الْمَوَاسِمِ
وَلَا ذِي الْمَنَايَا غَيْرُ تَهْوِيمِ نَائِمِ
مِنَ الْعَارِ يَبْقَى وَسْمُهُ فِي الْمَخَاطِمِ
بِمَارِنِ عِزٍّ لَا يَذِلُّ لِحَاطِمِ

* * *

ابن عنین :

وَلَا بُدَّ أَنْ أَسْعَى لِأَشْرَفِ رُبَّةٍ
وَأَقْتَحِمَ الْأَمْرَ الْجَسِيمَ بِحَيْثُ أَنْ
فَإِمَّا مَقَامًا يَضْرِبُ الْمَجْدُ حَوْلَهُ
فَلِنْ أَنَا لَمْ أَبْلُغْ مَقَاماً أَرْوَمُهُ
وَأَمْنَعَ عَيْنِي عَنْ لَذِيذِ مَنَامِي
أَرَى الْمَوْتَ خَلْفِي تَارَةً وَأَمَامِي
سُرَادِقُهُ أَوْ بَاكِياً لِحِمَامِي
فَكَمْ حَسَرَاتٍ فِي نَفْسِ كِرَامِ

* * *

ربيعه الرقي :

لَشَتَّانَ مَا بَيْنَ الْيَزِيدَيْنِ فِي النَّدَى
فَهُمُ الْفَتَى الْأَزْدِيُّ تَفْرِيقُ مَالِهِ
فَلَا يَحْسَبُ التَّمَتُّامُ أَنِّي هَجَوْتُهُ
يَزِيدِ سُلَيْمٍ وَالْأَغَرُّ ابْنِ حَاتِمِ
وَهُمُ الْفَتَى الْقَيْسِيُّ جَمْعُ الدَّرَاهِمِ
وَلَكِنِّي فَضَّلْتُ أَهْلَ الْمَكَارِمِ

* * *

ربيعة الرقي :

بَكَى أَهْلُ مِصْرٍ بِالْذُّمُوعِ السَّوَاجِمِ
حَلَفْتُ يَمِيناً غَيْرَ ذِي مَثْوِيَّةٍ
لَشَتَّانَ مَا بَيْنَ الْيَزِيدَيْنِ فِي النَّدَى
يَزِيدُ سُلَيْمٍ سَالِمَ الْمَالِ وَالْفَتَى
فَلَا يَحْسَبُ التَّمَتُّامُ أَنِّي هَجَوْتُهُ

غَدَاةَ غَدَا مِنْهَا الْأَغَرُّ ابْنُ حَاتِمٍ
يَمِينُ أَمْرِيءِ آلِي بِهَا غَيْرِ آتِمٍ
يَزِيدُ سُلَيْمٍ وَالْأَغَرُّ ابْنُ حَاتِمٍ
أَخُو الْأَزْدِ لِلْأَمْوَالِ غَيْرُ مُسَالِمٍ
وَلَكِنِّي فَضَّلْتُ أَهْلَ الْمَكَارِمِ

* * *

حاتم الطائي :

أَمَّا وَالَّذِي لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ غَيْرُهُ
لَقَدْ كُنْتُ أَطْوِي الْبَطْنَ وَالزَّادَ يُشْتَهَى
وَمَا كَانَ بِي مَا كَانَ وَاللَّيْلُ مُلْبَسُ
أَلْفُ بِحَلْسِي الزَّادَ مِنْ دُونِ صُحْبَتِي

وَيُخَيِّ الْعِظَامَ الْبَيْضَ وَهِيَ رَمِيمُ
مَخَافَةَ يَوْمًا أَنْ يُقَالَ لَيْئِمُ
رِوَاقُ لَهُ فَوْقَ الْإِكَامِ بِهِمُ
وَقَدْ أَبَ نَجْمٌ وَأَسْتَقَلَّ نُجُومُ

* * *

حسان بن ثابت :

أَعْيُنِ أَلَا أَبْكِي سَيِّدَ النَّاسِ وَأَسْفَحِي
وَبَكِّي عَظِيمَ الْمَشْعَرَيْنِ وَرَبَّهَا
فَلَوْ كَانَ مَجْدٌ يُخْلِدُ الْيَوْمَ وَاحِدًا
أَجَزَتْ رَسُولَ اللَّهِ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا
فَلَوْ سُئِلْتُ عَنْهُ مَعَدُّ بِأَسْرِهَا
لَقَالُوا هُوَ الْمُؤَفِّي بِخُفْرَةِ جَارِهِ
فَمَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ الْمُنِيرَةُ فَوْقَهُمْ

بِدَمْعٍ فَإِنْ أَنْزَفْتِهِ فَاسْكُبِي الدَّمَآ
عَلَى النَّاسِ مَعْرُوفٌ لَهُ مَا تَكَلَّمَا
مِنْ النَّاسِ أَبْقَى مَجْدُهُ الْيَوْمَ مُطْعَمَا
عِبَادَكَ مَا لَبَّى مُلَبٍّ وَأَحْرَمَا
وَقَحْطَانُ أَوْ بَاقِي بَقِيَّةِ جُرْهُمَا
وَذِمَّتِهِ يَوْمًا إِذَا مَا تَذَمَّمَا
عَلَى مِثْلِهِ مِنْهُمْ أَعَزَّ وَأَكْرَمَا

إِبَاءَ إِذَا يَأْبَىٰ وَأَلَيْنَ شِمَةَ وَأَنُومَ عَن جَارٍ إِذَا اللَّيْلُ أَظْلَمَا

* * *

النعمان بن فضلة :

فَمَنْ مُبْلَغُ الْحَسَنَاءِ أَنَّ حَلِيلَهَا
إِذَا شِئْتُ غَتَّتَنِي دَهَاqِينَ قَرْيَةٍ
إِذَا كُنْتُ نَذْمَانِي فَبِالْأَكْبَرِ أَسْقِنِي
لَعَلَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسُوءُهُ
بِمَيْسَانَ يُسْقَى فِي زُجَاجٍ وَحَتَمِ
وَصَنَاجَةٍ تَجْدُو عَلَى كُلِّ مَنْسِمِ
وَلَا تَسْقِنِي بِالْأَصْغَرِ الْمُتَثَلِّمِ
تَنَادُمْنَا فِي الْجَوْسَقِ الْمُتَهَدِّمِ

* * *

شاعر :

صِيَامًا إِلَى أَنْ يُفْطِرَ السَّيْفُ بِالْدَمِ
أَفْطَرُ وَأَحْرَارُ الْحِمَى فِي مَجَاعَةٍ ؟
أَكْرَمُ هَذَا أَلْعِيدَ تَكْرِيمَ شَاعِرِ
وَلَكِنِّي أَضْبُو إِلَى عِيدِ أُمَّةٍ
إِلَى عِلْمٍ مِنْ نَسَجِ عَيْسَى وَأَحْمَدِ
وَصَمْنَا إِلَى أَنْ يَصْدَحَ الْحَقُّ يَا فَمِي
وَعِيدٌ وَأَبْطَالُ الْجِهَادِ بِمَأْتَمٍ ؟
يَتِيهِ بِآيَاتِ النَّبِيِّ الْمُعْظَمِ
مُحَرَّرَةِ الْأَغْنَاقِ مِنْ رِقِّ أَعْجَمِي
وَأَمَنَةٍ فِي ظِلِّهِ أُخْتُ مَرْيَمِ

* * *

المتنبي :

أَلْمَجْدُ عُوْفِي إِذْ عُوْفِيَتْ وَالْكَرْمُ
صَحَّتْ بِصَحَّتِكَ الْغَارَاتُ وَابْتَهَجَتْ
وَرَاجَعَ الشَّمْسُ نُورٌ كَانَ فَارَقَهَا
وَمَا أَخْصُصَكَ فِي بُرْءٍ بَتَهَيْتُهُ
وَرَالَ عَنْكَ إِلَى أَعْدَائِكَ الْأَلَمُ
بِهَا الْمَكَارِمُ وَأَنْهَلَتْ بِهَا الدِّيمُ
كَأَنَّمَا فَقَدُهُ فِي جِسْمِهَا سَقَمُ
إِذَا سَلِمْتَ فَكُلُّ النَّاسِ قَدْ سَلِمُوا

* * *

المتنبى :

عَلَى قَدَرِ أَهْلِ الْعَزَمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ
وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا
وَقَفَتْ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لَوَاقِفِ
تَمُرُّ بِكَ الْأَبْطَالُ كَلَمَى هَزِيمَةً
وَمَنْ طَلَبَ الْفَتْحَ الْجَلِيلَ فَإِنَّمَا

* * *

المتنبى :

إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ
وَعَادَى مُحِبِّهِ بِقَوْلِ عُدَاتِهِ
أَصَادِقُ نَفْسِ الْمَرْءِ مِنْ قَبْلِ جِسْمِهِ
وَأَحْلَمُ عَنْ خَلِيٍّ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ
وَإِنْ بَذَلَ الْإِنْسَانُ لِي جُودَ عَابِسٍ
وَمَا كُلُّ هَاوٍ لِلْجَمِيلِ بِفَاعِلٍ
فَأَحْسَنُ وَجْهِ فِي الْوَرَى وَجْهُ مُحْسِنٍ
وَأَشْرَفُهُمْ مَنْ كَانَ أَشْرَفَ هِمَّةً
لِمَنْ تَطْلُبُ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تُرِدْ بِهَا

* * *

المتنبى :

وَلَمَّا صَارَ وَدُّ النَّاسِ خِبَاءً
وَصِرْتُ أَشْكَ فِيمَنْ أَصْطَفِيهِ
جَزَيْتُ عَلَى ابْتِسَامِ بِابْتِسَامِ
لِعِلْمِي أَنَّهُ بَعْضُ الْأَنَامِ

وَأَنفُ مِنْ أَخِي لِأَبِي وَأُمِّي
وَلَمْ أَرِ فِي عُيُوبِ النَّاسِ شَيْئًا
وَزَائِرَتِي كَأَنَّ بِهَا حَيَاءً
بَذَلْتُ لَهَا الْمَطَارِفَ وَالْحَشَايَا
يَضِيقُ الْجِلْدُ عَنْ نَفْسِي وَعَنْهَا
كَأَنَّ الصُّبْحَ يَطْرُدُهَا فَتَجْرِي
أَرَاقِبُ وَقْتَهَا مِنْ غَيْرِ شَوْقٍ
وَيَصْدُقُ وَعْدُهَا وَالصَّدْقُ شَرٌّ
أَبْنَتِ الدَّهْرِ عِنْدِي كُلُّ بِنْتٍ

* * *

المتنبى :

مَنْ أَفْتَضَى بِسَوَى الْهِنْدِيِّ حَاجَتَهُ
تَوَهُّمَ الْقَوْمِ أَنَّ الْعَجَزَ قَرَّبَنَا
وَلَمْ تَزَلْ قَلَّةُ الْإِنصَافِ قَاطِعَةً
هَوْنٌ عَلَى بَصَرٍ مَا شَقَّ مَنَظَرُهُ
وَلَا تَشَكُّ إِلَى خَلْقٍ فَتُشْمِتُهُ
وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ لِلنَّاسِ تَسْتُرُهُ
غَاضَ الْوَفَاءُ فَمَا تَلْقَاهُ فِي عِدَّةٍ

* * *

المتنبى :

وَلَقَدْ رَأَيْتُ الْحَادِثَاتِ فَلَا أَرَى
يَقْقَأُ يُمَيْتٌ وَلَا سَوَادًا يَعْصِمُ

وَأَلْهَمُ يَخْتَرِمُ الْجَسِيمَ نَحَافَةً
 ذُو الْعَقْلِ يَشْقَى فِي النَّعِيمِ بِعَقْلِهِ
 وَالنَّاسُ قَدْ نَبَذُوا الْحِفَاطَ فَمُطْلَقٌ
 لَا يَسْلُمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى
 الظُّلُمُ مِنْ شَيْمِ النَّفُّوسِ فَإِنْ تَجَذَّ
 وَمِنْ الْبَلِيَّةِ عَذْلٌ مَنْ لَا يَزْعَوِي

* * *

عائض القرني :

قَفَّ فِي الْحَيَاةِ تَرَ الْجَمَالَ تَبَسَّمَا
 وَشَدَتْ مُطَوَّقَةَ الْعُرُوسِ وَرَجَعَتْ
 وَسَرَى النَّسِيمُ يَهْزُ عِطْفَ عَيْبِرِهِ
 وَتَفَتَّحَ الْأَزْهَارُ وَأَعْتَنَقَ النَّدَى
 وَالنَّبْتُ قَدْ شَقَّ الشَّرَى فَعِيُونُهُ
 وَالشَّمْسُ أَرْسَلَتْ الْأَشِعَّةَ فِي الْفَضَا
 وَشَدَتْ طُيُورُ الْأَيْكِ تَنْشُدُ فِي الرُّبَا
 وَالنَّخْلُ قَدْ تَرَكَ الْخَلِيَّةَ مُولَعَا
 وَفَرَاشَةَ الْبُسْتَانِ أَلْقَتْ نَفْسَهَا
 وَبَكَى الْغَمَامُ مِنَ الْفِرَاقِ فَشَامِتُ

* * *

أبو البقاء الرندي :

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نَقْصَانُ
 فَلَا يُغَرِّ بِطَيْبِ الْعَيْشِ إِنْسَانُ

هِيَ الْأُمُورُ كَمَا شَاهَدْتَهَا دُولُ
وَهَذِهِ الدَّارُ لَا تَبْقَى عَلَى أَحَدٍ
يُمَزَّقُ الدَّهْرُ حَتْمًا كُلَّ سَابِغَةٍ
وَيَنْتَضِي كُلَّ سِنْفٍ لِلْفَنَاءِ وَلَوْ
أَيْنَ الْمُلُوكُ ذَوُو التَّيْجَانِ مِنْ يَمَنِ ؟
وَأَيْنَ مَا شَادَهُ شَدَادٌ فِي إِرَمٍ ؟
وَأَيْنَ مَا حَارَهُ قَارُونُ مِنْ ذَهَبٍ ؟
أَتَى عَلَى الْكُلِّ أَمْرٌ لَا مَرَدَّ لَهُ
لِمِثْلِ هَذَا يَذُوبُ الْقَلْبُ مِنْ كَمَدٍ

* * *

ابن زيدون :

أَضْحَى التَّنَائِي بِدِيلًا مِنْ تَدَانِينَا
بِتُّمْ وَبِنَا فَمَا أَبْتَلَتْ جَوَانِحُنَا
نَكَادُ حِينَ تُنَاجِيكُمْ ضَمَائِرُنَا
حَالَتْ لِفَقْدِكُمْ أَيَّامُنَا فَغَدَتْ
لِيُسْقَ عَهْدُكُمْ عَهْدُ الشَّرُورِ فَمَا
لَا تَحْسَبُوا نَأْيَكُمْ عَنَّا يُغَيِّرُنَا
وَاللَّهِ مَا طَلَبْتَ أَهْوَاؤُنَا بَدَلًا
إِنْ كَانَ قَدْ عَزَّ فِي الدُّنْيَا الْلِقَاءُ بِكُمْ
غِيْظَ أَلْعِدَا مِنْ تَسَاقِينَا أَلْهَوَى فَدَعَا

* * *

مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَرْمَانُ
وَلَا يَدُومُ عَلَى حَالٍ لَهَا شَانُ
إِذَا نَبَتْ مَشْرِفِيَّاتٌ وَخِرْصَانُ
كَانَ أَبْنَى ذِي يَزِينَ وَالْغَمْدُ غَمْدَانُ
وَأَيْنَ مِنْهُمْ أَكَالِيلٌ وَتِيْجَانُ ؟
وَأَيْنَ مَا سَاسَهُ فِي الْفُرْسِ سَاسَانُ ؟
وَأَيْنَ عَادٌ وَشَدَادٌ وَقَحْطَانُ ؟
حَتَّى قَضَوْا ، فَكَأَنَّ الْقَوْمَ مَا كَانُوا
إِنْ كَانَ فِي الْقَلْبِ إِسْلَامٌ وَإِيمَانُ

وَنَابَ عَنْ طِيبِ لُقْيَانَا تَجَافِينَا
شَوْقًا إِلَيْكُمْ وَلَا جَفَتْ مَاقِينَا
يَقْضِي عَلَيْنَا الْأَسَى لَوْلَا تَأْسِينَا
سُودًا ، وَكَانَتْ بِكُمْ بِيضًا لِيَالِينَا
كُنْتُمْ لَأَرْوَاحِنَا إِلَّا رِيَاحِينَا
إِذْ طَالَمَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَا !
مِنْكُمْ وَلَا أَنْصَرَفَتْ عَنْكُمْ أَمَانِينَا
فِي مَوْقِفِ الْحَشْرِ نَلْقَاكُمْ وَتَلْقَوْنَا
بِأَنَّ نَغْصَّ فَقَالَ الدَّهْرُ : آمِينَا

* * *

صفي الدين الحلبي :

سَلِيَ الرِّمَاحَ الْعَوَالِي عَنْ مَعَالِينَا
لَمَّا سَعَيْنَا فَمَا رَقَّتْ عَزَائِمُنَا
قَوْمٌ إِذَا اسْتَخْصَمُوا كَانُوا فِرَاعِنَةً
تَدْرَعُوا الْعَقْلَ جِلْبَابًا فَإِنْ حَمِيَتْ
إِذَا أَدْعَوْا جَاءَتْ الدُّنْيَا مُصَدِّقَةً
إِنَّا لَقَوْمٌ أَبَتْ أَخْلَاقُنَا شَرْفًا
بِيضٌ صَنَائِعُنَا سُودٌ وَقَائِعُنَا
لَا يَظْهَرُ الْعَجْزُ مِنَّا دُونَ نَيْلِ مُنَى

* * *

جرير :

إِنَّ الْعُيُونَ أَلَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ
يَصْرَعْنَ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَكَ بِهِ
يَا حَبْذَا جَبَلُ الرِّيَّانِ مِنْ جَبَلِ
وَحَبْذَا نَفَحَاتُ مِنْ يَمَانِيَّةِ
كَادَ الْهَوَى يَوْمَ سَلْمَانِينَ يَقْتُلَنِي ،
لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا إِذَا انْقَطَعَتْ

* * *

الأحوص الأنصاري :

إِلَّا تَعْظُمْنِي وَتَرْفَعُ شَانِي
تُخْشَى بِوَادِرِهِ عَلَى الْأَقْرَانِ
مَا مِنْ مُصِيبَةٍ نَكَبَةٍ أَمْنَى بِهَا
وَتَزُولُ حِينَ تَزُولُ عَنْ مُتَحَمِّطٍ

إِنِّي إِذَا خَفِيَ اللَّتَامُ رَأَيْتَنِي كَالشَّمْسِ لَا تَخْفَى بِكُلِّ مَكَانٍ
إِنِّي عَلَى مَا قَدْ تَرَوْنَ مُحَسَّدٌ أَنَمَى عَلَى الْبُغْضَاءِ وَالشَّنَانِ

* * *

المعري :

عَلَّلَانِي فَإِنَّ بِيضَ الْأَمَانِي فَنَيْتَ وَالظَّلَامُ لَيْسَ بِفَانِي
إِنْ تَنَاسَيْتُمَا وَدَادَ أَنْسَ فَأَجْعَلَانِي مِنْ بَعْضِ مَنْ تَذْكُرَانِ
رُبَّ لَيْلٍ كَأَنَّهُ الصُّبْحُ فِي الْحُسْنِ وَإِنْ كَانَ أَسْوَدَ الطُّيَلَسَانِ
وَعَلَى الدَّهْرِ مِنْ دِمَاءِ الشَّهِيدَيْنِ عَلَيَّ وَنَجْلِهِ شَاهِدَانِ
فَهُمَا فِي أَوَاخِرِ اللَّيْلِ فَجْرًا نِ وَفِي أُولَيَاتِهِ شَفَقَانِ
ثَبَّتَا فِي قَمِيصِهِ لِيَجِيءَ الْخَشَرُ مُسْتَعْدِيًا إِلَى الرَّحْمَنِ
يَا بَنَ مُسْتَعْرِضِ الصُّفُوفِ بِبَذْرِ وَمُبِيدِ الْجُمُوعِ مِنْ غُطْفَانِ
أَحَدِ الْخُمْسَةِ الَّذِينَ هُمُ الْأَغْرَاضُ فِي كُلِّ مَنْطِقٍ وَالْمَعَانِي
وَالشُّخُوصِ الَّتِي خُلِقْنَ ضِيَاءَ قَبْلَ خَلْقِ الْمَرِيخِ وَالْمِيزَانِ
وَبِهِمْ فَضَّلَ الْمَلِكُ بَنِي حَوْءٍ أَوْ حَتَّى سَمَوْا عَلَى الْحَيَوَانِ

* * *

المتنبي :

إِذَا قَدِمْتُ عَلَى الْأَهْوَالِ شَيْعَنِي قَلْبٌ إِذَا شِئْتُ أَنْ يَسْلَاكُمُ خَانَا
أَبْدُو فَيَسْجُدُ مَنْ بِالسُّوءِ يَذْكُرُنِي وَلَا أَعَاتِبُهُ صَفْحًا وَإِهْوَانَا
وَهَكَذَا كُنْتُ فِي أَهْلِي وَفِي وَطْنِي إِنَّ النَّفِيسَ غَرِيبٌ حَيْثُمَا كَانَا
مُحَسَّدُ الْفَضْلِ مَكْذُوبٌ عَلَى أَثْرِي أَلْقَى الْكَمِيَّ وَيَلْقَانِي إِذَا حَانَا
لَا أَشْرَبْتُ إِلَى مَا لَمْ يَفْتِ طَمَعًا وَلَا أَيْتُ عَلَى مَا فَاتَ حَسْرَانَا

وَلَا أُسْرِ بِمَا غَيْرِي الْحَمِيدُ بِهِ وَلَوْ حَمَلْتَ إِلَيَّ الدَّهْرَ مَلَانًا

* * *

أبو تمام :

مَا أَلْيَوْمَ أَوَّلُ تَوْدِيْعٍ وَلَا أَلْثَانِي
خَلِيفَةُ الْخَضِرِ مَنْ يَرْبِغُ عَلَى وَطَنِ
دَعِ الْفِرَاقَ فَإِنَّ الدَّهْرَ سَاعِدُهُ
بِالْشَّامِ أَهْلِي وَبَعْدَادُ الْهَوَى وَأَنَا
وَمَا أَظُنُّ النَّوَى تَرْضَى بِمَا صَنَعْتُ
أَفْنَيْتُ مِنْ بَعْدِهِ فَيُضَ الدَّمُوعُ كَمَا
وَلَيْسَ يَعْرِفُ كُنْهُ الْوَصْلِ صَاحِبُهُ
وَأَلْبَيْنُ أَكْثَرُ مِنْ شَوْقِي وَأَحْزَانِي
فِي بَلَدَةٍ فَظُهُورُ الْعَيْسِ أَوْطَانِي
فَصَارَ أَمْلَكَ مِنْ رُوحِي بِجُثْمَانِي
بِالرَّقَّتَيْنِ وَبِالْفُسْطَاطِ إِخْوَانِي
حَتَّى تَطُوحَ بِي أَقْصَى خُرَاسَانَ
أَفْنَيْتُ فِي هَجْرِهِ صَبْرِي وَسَلْوَانِي
حَتَّى يُغَادِي بِنَائِي أَوْ بِهَجْرَانِ

* * *

أبو بكر الشبلي :

كَأَنَّ رَقِيبًا مِنْكَ يَرْعَى خَوَاطِرِي
فَمَا رَمَقْتَ عَيْنَايَ بَعْدَكَ مَنَظَرًا
وَلَا بَدَرْتَ مِنْ فَيِّ دُونَكَ لَفْظَةً
إِذَا مَا تَسَلَّى الْعَاذِرُونَ عَنِ الْهَوَى
وَجَدْتُ الَّذِي يُسْلِي سِوَايَ يَشُوقُنِي
وَلَا خَطَرْتُ فِي السَّرِّ مِنِّْي خَطَرَةً
وَإِخْوَانِ صِدْقٍ قَدْ سَمِعْتُ حَدِيثَهُمْ
وَمَا أَلْزَهُدُ أَسْلَى عَنْهُمْ غَيْرَ أَنِّي
وَأَخَرُ يَرْعَى نَاطِرِي وَلِسَانِي
لِغَيْرِكَ إِلَّا قُلْتُ قَدْ رَمَقَانِي
بِغَيْرِكَ إِلَّا قُلْتُ قَدْ سَمِعَانِي
بِشُرْبِ مُدَامٍ أَوْ سَمَاعِ قِيَانِ
إِلَى قُرْبِكُمْ حَتَّى أَمَلَّ مَكَانِي
لِغَيْرِكَ إِلَّا عَرَجَا بِعَنَانِي
وَأَمْسَكْتُ عَنْهُمْ نَاطِرِي وَلِسَانِي
وَجَدْتُكَ مَشْهُودِي بِكُلِّ مَكَانٍ

* * *

عروة بن حزام :

تَحَمَّلْتُ مِنْ عَفْرَاءَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ
كَأَنَّ قَطَاةً عَلَّقَتْ بِجَنَاحِهَا
جَعَلْتُ لِعَرَافٍ أَلِيمَاةٍ حُكْمَهُ
فَقَالَا : نَعَمْ نَشْفِي مِنَ الدَّاءِ كُلِّهِ
فَمَا تَرَكْنَا مِنْ رُقِيَةٍ يَعْلَمَانِهَا
فَقَالَا : شَفَاكَ اللَّهُ وَاللَّهِ مَا لَنَا

* * *

عبد الله الفيصل :

أَكَادُ أَشْكُ فِي نَفْسِي لِأَنِّي
يَقُولُ النَّاسُ إِنَّكَ خُنْتَ عَهْدِي
وَأَنْتَ مُنَايَ أَجْمَعُهَا مَشَتْ بِي
يُكَذِّبُ فِيكَ كُلُّ النَّاسِ قَلْبِي
وَكَمْ طَافَتْ عَلَيَّ ظِلَالُ شَكِّ
كَأَنِّي طَافَ بِي رَكْبُ اللَّيَالِي
عَلَى أَنِّي أَغَالِطُ فِيكَ سَمْعِي
وَمَا أَنَا بِالْمُصَدِّقِ فِيكَ قَوْلًا
أَجِئَنِي إِذْ سَأَلْتُكَ : هَلْ صَحِيحُ

* * *

مجنون ليلي :

وَأَجْهَشْتُ لِلتَّوْبَادِ حِينَ رَأَيْتُهُ
وَكَبَّرَ لِلرَّحْمَنِ حِينَ رَأَيْتِي

وَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ وَدَعَانِي
وَعَهْدِي بِذَاكَ الصَّرْمِ مُنْذُ زَمَانٍ
حَوَالَيْكَ فِي خِصْبٍ وَطِيبٍ زَمَانٍ
وَمَنْ ذَا الَّذِي يَبْقَى مَعَ الْحَدَثَانِ
فِرَاقِكَ وَالْحَيَّانِ مُؤْتَلِفَانِ

* * *

وَأَذْرَيْتُ دَمْعَ الْعَيْنِ لَمَّا رَأَيْتُهُ
فَقُلْتُ لَهُ : قَدْ كَانَ حَوْلَكَ جِيرَةٌ
فَقُلْتُ لَهُ : أَيْنَ الَّذِينَ عَاهَدْتُهُمْ
فَقَالَ : مَضَوْا وَاسْتَوْدَعُونِي بِلَادَهُمْ
وَإِنِّي لِأَبْكِي الْيَوْمَ مِنْ حَذَرِي غَدًا

حافظ إبراهيم :

وَقَدْ عَقَدْتُ هُوجُ الْخُطُوبِ لِسَانِي
عَلَى رَاحِلٍ فَارَقْتُهُ فَشَجَانِي
مِنْ الْقَلْبِ إِنِّي قَدْ فَقَدْتُ جَنَانِي
يَدُ الْمَوْتِ وَفَتِي فَأَنْتَظَرْتُ زَمَانِي
وَمَا لِي حَيْبٌ إِنْ قَضَيْتُ بَكَانِي

* * *

دَعَانِي رِفَاقِي وَالْقَوَافِي مَرِيضَةٌ
مَلِلْتُ وَقُوفِي بَيْنَكُمْ مُتَمَلِّمًا
أَفِي كُلِّ يَوْمٍ يَقْطَعُ الْحُزْنَ قِطْعَةً
تَفَرِّقُ أَصْحَابِي وَأَهْلِي وَأَخْرَتْ
فَمَا لِي صَدِيقٌ إِنْ عَثَرْتُ أَقَالَني

المتنبي :

هُوَ أَوَّلُ وَهْيِ الْمَحَلِّ الثَّانِي
بَلَغْتُ مِنَ الْعَلَيَاءِ كُلِّ مَكَانٍ
بِالرَّأْيِ قَبْلَ تَطَاعُنِ الْأَقْرَانِ
أَذْنَى إِلَى شَرَفٍ مِنَ الْإِنْسَانِ

* * *

الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ
فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِنَفْسٍ مَرَّةً
وَلَرُبَّمَا طَعَنَ الْفَتَى أَقْرَانَهُ
لَوْلَا الْعُقُولُ لَكَانَ أَدْنَى ضَيْعَمٍ

المثقب العبدى :

فَاعْرِفَ مِنْكَ غَثِّي مِنْ سَمِينِي

فَإِمَّا أَنْ تَكُونَ أَخِي بِحَقٍّ

وَالْأَفْطَرِ حَنِي وَأَتَّخِذْنِي
فَإِنِّي لَوْ تُخَالَفُنِي شِمَالِي
إِذَا لَقَطَعْتُهَا وَلَقُلْتُ : بِنِي
وَمَا أَذْرِي إِذَا يَمَمْتُ وَجْهًا
أَلْخَيْرُ الَّذِي أَنَا أَبْتَغِيهِ
دَعِي مَاذَا عَلِمْتُ سَأَتَّقِيهِ

* * *

المرقس الأكبر :

يَا ذَاتَ أَجْوَارِنَا قُومِي فَحَيِّنَا
وَأِنْ دَعَوْتَ إِلَى جُلَى وَمَكْرَمَةٍ
شُعْتُ مَقَادِمُنَا نَهَبَى مَرَاثِلُنَا
أَلْمُطْعِمُونَ إِذَا هَبَّتْ شَامِيَّةٌ
إِنْ تَبَدَّرَ غَايَةٌ يَوْمًا لِمَكْرَمَةٍ
وَلَيْسَ يَهْلِكُ مِنَّا سَيِّدٌ أَبَدًا
إِنَّا لَنُرْخِصُ يَوْمَ الرُّوْعِ أَنْفُسَنَا
إِنَّا لَمِنْ مَعْشَرٍ أَفْنَى أَوَائِلِهِمْ
لَوْ كَانَ فِي الْأَلْفِ مِنَّا وَاحِدٌ فَدَعُوا :
إِذَا الْكُمَاةُ تَنَحَّوْا أَنْ يُصِيبَهُمْ

* * *

أحمد شوقي :

بُنُو أُمِّيَّةَ لِلْأَنْبَاءِ مَا فَتَحُوا
وَلِلْأَحَادِيثِ مَا سَادُوا وَمَا دَانُوا

فَهَلْ سَأَلْتَ سَرِيرَ الْغَرْبِ مَا كَانُوا
فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ مُلْكٌ وَسُلْطَانٌ
سَرَى بِهِ إِلَهُمُ أَوْ عَادَتُهُ أَشْجَانُ
وَالْيَوْمَ دَمَعِي عَلَى الْفَيْحَاءِ هَتَّانُ
وَنِيَّارَاتٍ وَأَنْسَوَاءٍ وَعُقْبَانُ
لَوْ هَانَ فِي تَرْبِهِ الْإِبْرِيْزُ مَا هَانُوا
وَلَا زَهَتْ بَيْنِي الْعَبَّاسُ بَغْدَانُ
هَلْ فِي الْمُصَلَّى أَوْ الْمِحْرَابِ مَرْوَانُ
عَلَى الْمَنَابِرِ أَحْرَارٌ وَعِبْدَانُ

* * *

كَانُوا مُلُوكًا سَرِيرُ الشَّرْقِ تَحْتَهُمْ
عَالِينَ كَالشَّمْسِ فِي أَطْرَافِ دَوْلَتِهَا
يَا وَيْحَ قَلْبِي مَهْمَا أَتَابَ أَرْضَهُمْ
بِالْأَمْسِ قُمْتُ عَلَى الزَّهْرَاءِ أَنْدُبُهُمْ
فِي الْأَرْضِ مِنْهُمْ سَمَاوَاتٍ وَالْوَيْةُ
مَعَادِنُ الْعِزِّ قَدْ مَالَ الرَّغَامُ بِهِمْ
لَوْلَا دِمَشْقُ لَمَا كَانَتْ طُلَيْطَلَةُ
مَرَرْتُ بِالْمَسْجِدِ الْمَخْزُونِ أَسْأَلُهُ
تَغْيِيرَ الْمَسْجِدِ الْمَخْزُونِ وَاخْتَلَفْتُ

المتنبى :

وَلَوْ كَانَ مِنْ أَعْدَائِكَ الْقَمَرَانِ
كَلَامُ الْعِدَا ضَرْبٌ مِنَ الْهَذْيَانِ
قِيَامَ دَلِيلٍ أَوْ وَضُوحَ بَيَانٍ
بَغْدَرِ حَيَاةٍ أَوْ بَغْدَرِ زَمَانٍ
وَكُنَّا عَلَى الْعِلَآتِ يَضْطَجِبَانِ
رَفِيقَكَ قَيْسِيٍّ وَأَنْتَ يَمَانٍ
وَمَوْتًا يُشْهِي الْمَوْتَ كُلَّ جَبَانٍ
بِأَضْعَفِ قَرْنٍ فِي أَذَلِّ مَكَانٍ
عَلَى كُلِّ سَمْعٍ حَوْلَهُ وَعِيَانٍ
عَلَى غَيْرِ مَنْصُورٍ وَغَيْرِ مُعَانٍ

عَدُوُّكَ مَذْمُومٌ بِكُلِّ لِسَانٍ
وَلِلَّهِ سِرٌّ فِي عُلَاكَ وَإِنَّمَا
أَتَلْتَمِسُ الْأَعْدَاءَ بَغْدَ الَّذِي رَأَتْ
رَأَتْ كُلَّ مَنْ يَنْوِي لَكَ الْغَدَرَ يُتَلَّى
بِرْغَمِ شَيْبٍ فَارَقَ السَّيْفُ كَفَّهُ
كَأَنَّ رِقَابَ النَّاسِ قَالَتْ لِسَيْفِهِ
فَنَالَ حَيَاةَ يَشْتَهِيهَا عَدُوُّهُ
وَقَدْ قَتَلَ الْأَقْرَانَ حَتَّى قَتَلْتَهُ
أَتَتْهُ الْمَنَايَا فِي طَرِيقِ خَفِيَّةٍ
وَهَلْ يَنْفَعُ الْجَيْشُ الْكَثِيرُ التَّفَافُهُ

المتنبى :

بِمَ التَّعَلُّلُ لَا أَهْلٌ وَلَا وَطَنُ
أُرِيدُ مِنْ زَمَنِي ذَا أَنْ يُبْلَغَنِي
لَا تَلْقَ دَهْرَكَ إِلَّا غَيْرَ مُكْتَرِبِ
فَمَا يَدُومُ سُرُورُ مَا سُرِرْتَ بِهِ
مِمَّا أَضَرَّ بِأَهْلِ الْعِشْقِ أَنَّهُمْ
تَفَنَّى عُيُونُهُمْ دَمْعًا وَأَنْفُسُهُمْ
تَحَمَّلُوا حَمَلَتُكُمْ كُلُّ نَاجِيَةٍ
مَا فِي هَوَادِجِكُمْ مِنْ مُهْجَتِي عَوْضُ
يَا مَنْ نَعِيتُ عَلَى بُعْدِ بِمَجْلِسِهِ
كَمْ قَدْ قَتِلْتُ وَكَمْ قَدْ مِتُّ عِنْدَكُمْ

* * *

المتنبى :

صَحِبَ النَّاسُ قَبْلَنَا ذَا الزَّمَانَا
وَتَوَلَّوْا بِغُصَّةٍ كُلُّهُمْ مِنْهُ
رُبَّمَا تَحْسِنُ الصَّنِيعَ لِيَالِيهِ
كُلَّمَا أَتَبْتَ الزَّمَانَ قَنَاءَ
وَمُرَادُ النَّفُوسِ أَصْغَرُ مِنْ أَنْ
غَيْرَ أَنْ الْفَتَى يُلَاقِي الْمَنَابَا
وَلَوْ أَنَّ الْحَيَاةَ تَبْقَى لِحَيٍّ
وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَوْتِ بُدُّ

كُلُّ مَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الصَّعْبِ فِي الْأَنْفُسِ سَهْلٌ فِيهَا إِذَا هُوَ كَانَ

* * *

المتنبي :

مَعَانِي الشَّعْبِ طِيْباً فِي الْمَعَانِي
وَلَكِنْ أَلْفَتِي الْعَرَبِيَّ فِيهَا
مَلَاعِبُ جَنَّةٍ لَوْ سَارَ فِيهَا
وَقَدْ يَتَقَارَبُ الْوُصْفَانِ جِدّاً
يَقُولُ بِشَعْبِ بَوَّانٍ حِصَانِي
أَبُوكُمْ آدَمُ سَنَ الْمَعَاصِي

* * *

عائض القرني :

يَا أَرْضَ بِالْقَرْنِ مَا زِلْنَا مُحِيبِينَ
فَسَائِلِي الْغَيْمِ كَمْ أَسْقَى مِعَاطِفَنَا
لِي فِيكَ يَا دَوْحَةَ الْأَمْجَادِ مَلْحَمَةٌ
يَوْمَ الصَّبَا كَقَمِيصِ الْخَزِّ أَلْبَسُهُ
وَالرَّمْلُ لَوْحِي وَأَقْلَامِي غُصُونُ نَدَا
يَا أَرْضَ بِالْقَرْنِ لَوْ فَتَشْتَ فِي خَلْدِي
جُرْحٌ مِنَ الْحَبِّ يَا بِالْقَرْنِ مَا أُنْدَمَلْتُ
قَدْ زُرْتُ بَعْدَكَ يَا بِالْقَرْنِ كُلَّ حِمَى
فَمَا رَضِيتُ سِوَاكُمْ فِي الْهَوَى بَدَلَا
رَأَيْتُ بَارِيسَ فِي جِلْبَابِ رَاهِبَةٍ

وَأَنْتِ فِي رَيْعَانِ الْعُمْرِ زَاهِيَةٌ فِي مِيعَةِ الْحُسْنِ إِشْرَاقًا وَتَكْوِينًا

* * *

عائض القرني :

أَيُّنَ ضَيَّعْتَ عُهُودَ الْحُبِّ يَا مَنْ ضَاعَ عَنَّا ؟
 لَيْتَ أَنَّا مَا كَتَبْنَا بِدِمَاءِ الْقُلُوبِ مِنَّا
 أَلْيَالِي شَاهِدَاتُ بِالَّذِي نَالَ الْمُعْنَى
 قَدْ عَفَوْنَا عَنْكَ سَبْعِينَ مَلَامًا فَأَغْفُ عَنَّا
 أَنْتَ لَا كُنْتَ إِذَا لَمْ تَخْفَظِ الْوُدَّ وَكُنَّا
 كَمْ سَكَنْتَ الْقُلُوبَ مَخْفُوفًا بِحِفْظٍ وَسَكَنَّا
 مُرِّبِمَا شِئْتَ تَطْعُ وَأَطْلُبُ تَجِدُ مَا تَتَمَنَّى
 نَحْنُ نَأْتِيكَ أَشْتِيَاقًا وَاتَّقِ نَأْتِي
 خُذْ قَوَارِيرَ عُهُودِ مِنْ دِمَانَا وَتَحَنَّنَا
 وَأَنْحَرْنَ أَنْفُسَنَا ثُمَّ أَعْفُ فَالْتَقْصِيرُ مِنَّا
 أَنَا أَنْتَ؟ نَعَمْ، بَلْ نَحْنُ صِرْنَا كَالْمُتَنَّى
 أَهْجُرِ الْإِغْرَابَ وَالْحَنُّ إِنَّ (إِنَّا) مِثْلُ (أَنَّا)

* * *

عائض القرني :

سَلَا الْقَلْبُ مِنْ غِيدِ صَفَتْ وَحِسَانِ وَأَهْمَلَ الذِّكْرُ الْمُنْحَنَى وَعُثَانَ
 وَمَا عَادَ يُلْهِمُنِي الْأَصْبَا بِأَرِيحِهِ وَلَوْ فَاحَ بِالرَّيْحَانِ وَالنَّفْلَانِ
 شَرَبْنَا لِيَالِي الْأَصْفَوِ فِي كَأْسِ غَفْلَةٍ ثَلَاثُونَ عَامًا تَوَجَّثْ بِثَمَانِ
 فَمَرَّتْ كَأَحْلَامِ الرَّبِيعِ سَرِيعَةً فَأَيَّامُهَا فِي نَاطِرِي ثَوَانِ

بِقُوَّةِ بَأْسٍ وَاحْتِدَامِ جَنَانٍ
وَمَا لِلْفَتَى فِي رَدِّهِنَّ يَدَانِ
وَيَكْفِيكَ عِلْمًا شَاهِدُ الرَّجَفَانِ
عَلَيَّ مَقَامَاتٍ مِنَ الْهَمْدَانِي
عَلَى مَنِيرٍ تَلْقَى بِكُلِّ لِسَانٍ
تَرَكْتُ الْهَوَى وَالْمَالَ يَنْتَجِبَانِ

* * *

فَلَوْ أَنَّنِي أَرْمِي بِقَوْسٍ دَفَعْتُهَا
وَلَكِنَّ قَوْسَ الْعُمَرِ يُنْفِذُ أَسْهُمَا
وَفِي أَرْبَعِينَ الْعُمَرِ وَغَطَّ وَغَبْرَةً
فَلَا تُسْمِعُنِي وَغَطَّ قَسٌّ وَلَا تَسْقُ
فَعِنْدِي مِنَ الْأَيَّامِ أَبْلَغُ عِبْرَةٍ
وَلَمَّا اتَّخَذْتُ الْعِلْمَ خِدْنًا وَصَاحِبًا

عبد يغوث :

فَمَا لَكُمْ فِي اللَّوْمِ نَفْعٌ وَلَا لِيَا
قَلِيلٌ وَمَا لَوْمِي أَخِي مِنْ شِمَالِيَا
نَدَامَايَ مِنْ نَجْرَانٍ أَنْ لَا تَلَاقِيَا
كَأَنَّ لَمْ تَرَى قَبْلِي أَسِيرًا يَمَانِيَا
أَمْعَشَرَتِي أَطْلِقُوا لِي لِسَانِيَا
نَشِيدَ الرَّعَاءِ الْمُعْزِرِينَ الْمُتَالِيَا

* * *

أَلَا لَا تَلُومَانِي كَفَى اللَّوْمَ مَا بِيَا
أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّ الْمَلَامَةَ نَفْعُهَا
فِيَا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضَتْ فَبَلَّغْنِ
وَتَضَحَّكُ مِنِّي شَيْخَةٌ عَشْمِيَّةٌ
أَقُولُ وَقَدْ شَدُّوا لِسَانِي بِسِنْعَةٍ :
أَحَقًّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ سَامِعًا

قيس بن الملوح :

عَلَيْنَا فَقَدْ أَمْسَى هَوَانَا يَمَانِيَا
وَحُبُّبُ إِلَيْنَا بَطْنُ نَعْمَانَ وَادِيَا
عَلَيَّ الْهَوَى لَمَّا تَغْنَيْتُمَا لِيَا
أُبَالِي دُمُوعَ الْعَيْنِ لَوْ كُنْتُ خَالِيَا
بَلْخَنِيكُمَا ثُمَّ أَسْجَعَا عَلَّانِيَا

أَلَا أَيُّهَا الرُّكْبُ الْيَمَانُونَ عَرَّجُوا
أَسْأَلُكُمْ هَلْ سَالَ نَعْمَانُ بَعْدَنَا
أَلَا يَا حَمَامِي بَطْنِ نَعْمَانَ هِجْتُمَا
وَأَبْكَيْتُمَانِي وَسَطَ صَحْبِي ، وَلَمْ أَكُنْ
وَيَا أَيُّهَا الْقُمْرِيَّتَانِ تَجَاوَبَا

فَإِنْ أَنْتُمَا اسْتَطَرَبْتُمَا ، أَوْ أَرَدْتُمَا
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي مَا لِللَّيْلِ وَمَا لِيَا

* * *

مالك بن الريب :

تَقُولُ أُبْتِي لَمَّا رَأَتْ طُولَ رِحْلَتِي :
لَعَمْرِي لَيْنٌ عَالَتْ خُرَاسَانُ هَامَتِي
فَلِلَّهِ دَرِّي يَوْمَ أَتْرُكُ طَائِعَا
تَذَكَّرْتُ مَنْ يَبْكِي عَلَيَّ فَلَمْ أَجِدْ
وَأَشْقَرُ مَحْبُوكٍ يَجُرُّ لِحَامَهُ
فَيَا صَاحِبِي رَحْلِي ، دَنَا أَلَمُوتُ فَانْزِلَا
خُذَانِي فَجُرَّانِي بِبُرْدِي إِلَيْكُمَا
يَقُولُونَ : لَا تَبْعُدْ ، وَهُمْ يَذْفِنُونَنِي ،
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي ، هَلْ بَكَتْ أُمُّ مَالِكٍ
إِذَا مُتُّ فَأَعْتَادِي الْقُبُورَ فَسَلِّمِي

* * *

عبد الله بن معاوية :

وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ
وَلَسْتُ بِهَيَّابٍ لِمَنْ لَا يَهَائِنِي
فَإِنْ تَدُنْ مِنِّي تَدُنْ مِنْكَ مَوَدَّتِي
كَلَانَا غَنِيٌّ عَنْ أَخِيهِ حَيَاتُهُ
وَلَكِنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي أَلْمَسَاوِيَا
وَلَسْتُ أَرَى لِلْمَرءِ مَا لَا يَرَى لِيَا
وَإِنْ تَنَأَ عَنِّي تَلْقَنِي عَنْكَ نَائِيَا
وَنَحْنُ إِذَا مِتْنَا أَشَدُّ تَغَانِيَا

* * *

ابن الفارض :

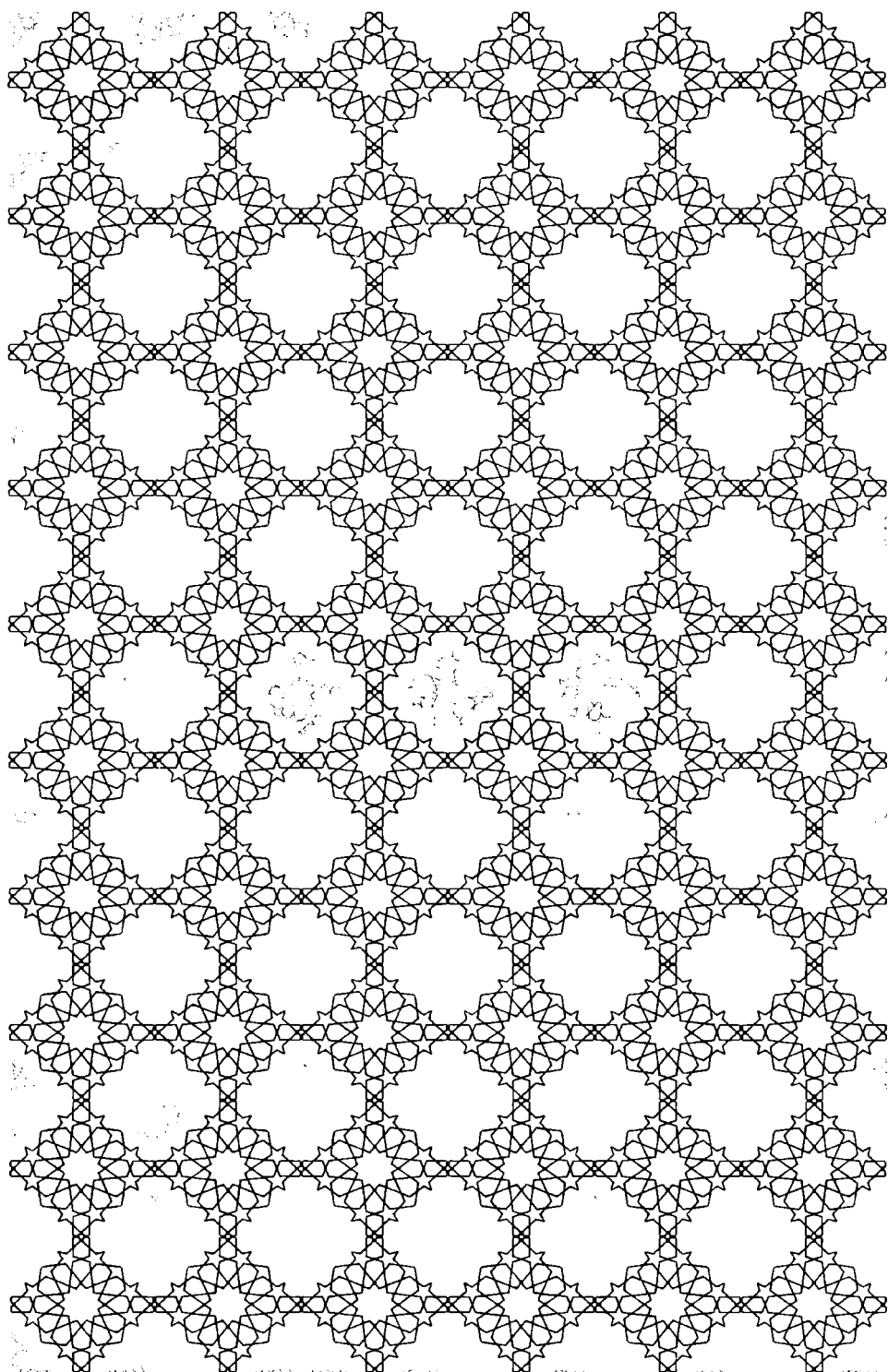
سَائِقَ الْأَطْعَانِ يَطْوِي أَلْبِيدَ طَيِّ
وَبَذَاتِ الشَّيْخِ عَنِّي إِنْ مَرَزْتُ
وَتَلَطَّفَ وَأَجِرْ ذِكْرِي عِنْدَهُمْ
كَانَ لِي قَلْبٌ بِجَزَعَاءِ الْحِمَى
فَاعْهَدُوا بَطْحَاءَ وَادِي سَلَمٍ
يَا سَقَى اللَّهِ عَقِيقاً بِاللُّوَى

المتنبي :

كَفَى بِكَ دَاءً أَنْ تَرَى أَلْمُوتَ شَافِيَا
تَمَنِّيَهَا لَمَّا تَمَنَيْتَ أَنْ تَرَى
إِذَا الْجُودُ لَمْ يُزِرْقْ خَلَاصاً مِنَ الْأَذَى
وَلِلنَّفْسِ أَخْلَاقٌ تَدُلُّ عَلَى الْفَتَى
أَقِلَّ اسْتِيْقَاً إِلَيْهَا الْقَلْبُ رُبَّمَا
خُلِقَتْ أُلُوفاً لَوْ رَحَلْتُ إِلَى الصَّبَا
وَلَكِنْ بِالْفُسْطَاطِ بَحْراً أَرْزَتْهُ
تَحَاشَ بِأَيْدٍ كُلَّمَا وَانْتَ الصَّفَا
قَوَاصِدَ كَافُورٍ تَوَارِكُ غَيْرِهِ
فَجَاءَتْ بِنَا إِنْسَانٍ عَيْنِ زَمَانِهِ
وَتَحْتَفِرُ الدُّنْيَا اخْتِفَارَ مُجَرَّبٍ

* * *

الفهارس العامة



فهرس الأبيات

أول البيت	القافية	البحر	العدد الشاعر	رقم الصحيفة
أ				
ونذمهم	الأشياء	الكامل	١ المتنبي	٤٢٦
فطب	انتهاء	الوافر	١	٦٨٠
مرحبا	البكاء	الخفيف	٧ نزار قباني	٧٠٧
ولد	ثناء	الكامل	١ أحمد شوقي	٦٧٣ - ٧١
أذكر	الحياة	الوافر	١ أمية بن أبي الصلت	٧٢
فكل	الرخاء	الوافر	١ النابغة الشيباني	٧٩
ملكنا	عظماؤها	الطويل	٤ الأبيوردي	٥٣١
كل الموارد	فيحاء	البسيط	١	٨٣
عدمنا	كداء	الوافر	٧ حسان بن ثابت	٧٠٧
يعيش	اللحاء	الوافر	١ جميل الفزاري	٧٧
أ				
لا تعذل	أحشائه	الكامل	٨ المتنبي	٧٠٧ - ٨٦ - ٦٢
الشمس	أسمائه	الكامل	١ المتنبي	٤٨
حلل	الإغراء	الكامل	١	٥٠٦
ما بنى	عفاء	الخفيف	١	٤٦٩
أ				
لك الحمد	البلاء	تفعيلة	٢٥	١٥٦
ب				
يقوم	أشيب	الطويل	١	٣٠٧
الهم	تقلب	الكامل	٤	٢٣٨

أول البيت	القافية	البحر	العدد	الشاعر	رقم الصحيفة
ليس الحجاب	تحتجب	البيسط	١	أبو تمام	٨٠ - ٥٢
إذا كنت	تعاتبه	الطويل	١	بشار بن برد	٧٧ - ٥١٤ - ٧١٥
وكم	تكذب	الطويل	٦	المتنبي	٧٢٠
يا عابد	تلعب	الكامل	١	عبد الله بن المبارك	٨٢
أضاءت	ثاقبه	الطويل	١	أبو الطمحان القيني	٨٧
وما أنا	ثواب	الطويل	١	المتنبي	٤٢٥
يجشمك	الحبيب	الوافر	٤	المتنبي	٧١٨
وفي الجسم	حراب	الطويل	١٠	المتنبي	٧٢٠
إن الغصون	الخشب	البيسط	١	صالح بن عبد القدوس	٧٨
فمن	خضاب	الوافر	١	المتنبي	٤٧٠
وأطفأت	الخطب	البيسط	٢		٥٦٦
ألا أيها	ذنوب	الطويل	٩	معجون ليلي	٥٢٤
إذا اشتملت	الرحيب	الوافر	٥	علي بن أبي طالب	٧١٧ - ٢٣٩
إذا ما	رقيب	الطويل	١	أبو العتاهية	٨١
وإن لم	ركوبها	الطويل	١	الكميت الأسدي	٧٧
وما كل	زينب	الطويل	١	مهيار الديلمي	٨١
وللسر	شراب	الطويل	١	المتنبي	٤٣٢
لعمري	شعوب	الطويل	١٠	كعب الغنوي	٧١٢
وكيف	طيب	الوافر	١	المتنبي	٨٩ - ٤٣١
على	عجائب	الطويل	١	أبو تمام	١٧٧
وإني	الغرب	الطويل	١	ابن حزم الظاهري	٤٧
جرى	غروب	الطويل	٥	معجون ليلي	٧١٦

أول البيت	القافية	البحر	العدد	الشاعر	رقم الصحيفة
ما أصدق	الغضب	البيسط	٧	عبد الله البردوني	٧١١
يكون	فيطيب	الطويل	١	معجون ليلي	٩٢ - ٣١٣
أقول	قارب	الطويل	٧	نصيب بن رباح	٧١٤
يقولون	قلوب	الطويل	١	معجون ليلي	٩٢
أعز	كتاب	الطويل	١	المتنبي	٩٣ - ٤٣٢
يزور	الكواكب	الطويل	٣	المتنبي	٥١٨
كأن	كواكبه	الطويل	١	بشار بن برد	٧٢
فإنك	كوكب	الطويل	١	النابغة الذبياني	٩٠ - ٤٤
وإن امرأ	لقريب	الطويل	١	أبو العتاهية	٧٦
حلفت	مذهب	الطويل	١	النابغة الذبياني	٨٥ - ٥٣٥
إذا أنت	مشاربه	الطويل	١	بشار بن برد	٧٤
ولست	المهذب	الطويل	١	النابغة الذبياني	٨٩
ذهب	المهرب	الكامل	١	علي بن أبي طالب	٧٥
بكيت	النحيب	الوافر	٢	أبو العتاهية	٦٠
سقانا	نصيب	الطويل	١		٢٨
وحقك	يحبه	الطويل	٨	ابن أبي الحديد	١٥٢

ب

سأغسل	جالبا	الطويل	٩	سعد بن ناشب	٥٢٠ - ٧١٥
إذا هم	جانبا	الطويل	١	سعد بن ناشب	٨٢
ارض	جانبا	مج الخفيف	٢	إبراهيم بن الأدهم	٣٩
أتيناكم	حبا	الوافر	٤		٥٧٥
سلام	حبا	الطويل	١٠	عائض القرني	٧١١

رقم الصحيفة	العدد	الشاعر	البحر	القافية	أول البيت
٧٤	١	المتنبى	الطويل	الحربا	فحب
٥٦٠	٢		الرملى	دربا	عجبا
٧٢	١	الحطيئة	البسيط	الذنبا	قوم
٤٧	٢	بديع الزمان الهمذاني	البسيط	الذهبا	وكاد
٥٢	٢	عائض القرني	الوافر	الشبابا	وتبدو
٥٨٠	١		البسيط	شربا	من زمزم
٧١٣	٨	نزار قباني	البسيط	الشهبا	يا شام
٥٦٩	٢	المتنبى	الطويل	غصبا	ومن
٧٥	١	جرير	الوافر	غضابا	إذا غضبت
٨٣	١	أحمد شوقي	الوافر	غلابا	وما نيل
٧١٢	٧	البحثري	الطويل	كذبا	فلم أر
٧١٨	٧	المتنبى	الطويل	كذبا	ومن صحب
٦٤٩ - ٧٤	١	جرير	الوافر	كلابا	فغض
٥٣١	٩	البحثري	الطويل	المجربا	وقد جربوا
٤٩	١	المتنبى	البسيط	مخشلبا	بياض
٢٣٦	٣	زياد بن عمرو	الطويل	مذهبا	إذا مذهب
٤٩	٢	المتنبى	الكامل	مغاربا	كالشمس

ب

٧٥	١	ليبد بن ربيعة	الكامل	الأجرب	ذهب
٥٧٦	٢		الكامل	الأصحاب	قم
٦٩٨	١	مجنون ليلي	الطويل	بحاجب	تبدت
٧١٤ - ٥١٤ - ٩٢ - ٦٢	٩	ابن الخياط	الطويل	بلبه	خذا

أول البيت	القافية	البحر	العدد	الشاعر	رقم الصحيفة
أزورهم	بي	البسيط	٥	المتنبي	٧١٩ - ٤٢٧
ألم تر	تطيب	الطويل	١	امرؤ القيس	٥٥٨
وصدر	جانب	الطويل	١	النابغة الذبياني	٨٤
وكننت	جانب	الطويل	٧	قيس بن الحطيم	٧١٥
أعيدوا	الحجائب	الطويل	٥	المتنبي	٧١٦
حببتي	الحطب	البسيط	١		٢٤
لك الله	خاطب	الطويل	٢		٥٨٧
كم زورة	الذيب	البسيط	٢	المتنبي	٥٧٣
أترجو	الشباب	الوافر	٢	الجاحظ	٥٨٤
ولا فضل	شعوب	الطويل	١	المتنبي	٤٢٦
العلم	الشهب	البسيط	٢	أبو تمام	٥٨٧
وزهدني	صاحب	الطويل	٣	ابن صمادح	٧١٦
وقد فارق	طيب	الطويل	٩	المتنبي	٧١٧
أجبت	العرب	البسيط	٢	أبو تمام	٥٧٠
خرجنا	غابها	المقتارب	١٠	الزبيري	٧١٧
ولا عيب	الكتائب	الطويل	١	النابغة الذبياني	٨٩
طوى	الكذب	البسيط	٦	المتنبي	٧١٩
ربي	كرب	البسيط	٤	عصام العطار	١٥١
كليني	الكواكب	الطويل	١٠	النابغة الذبياني	٧١٣
السيف	اللعب	البسيط	١٠	أبو تمام	٧١٠ - ٨٨
فقد هد	مأرب	الطويل	١	عمارة اليمني	٨٢

أول البيت القافية البحر العدد الشاعر رقم الصحيفة

بُ

أنت يا دب الرمل ١ ٥٩١
لا تعبتين عاتب مج الكامل ٧ سعيد بن حميد ٢٤٠

تُ

أرى أتلفت الطويل ٩ تميم بن جميل ٧٢٤ - ٥٢٠
بنو الحبطات الطويل ١ الفرزدق ١٧٨
نذير شامت المتقارب ٢ ١١٩
أأقاتل مولاته الكامل ٦ عمران السدوسي ٧٢٢

تَ

ويقبح تفتى الوافر ١ الألبيري ٣٥
وخف السبتى الوافر ٢ الألبيري ٣٢
الشاعرية صنعتها الكامل ١٠ الزبيري ٧٢٣
تفر فررتا الوافر ٢ الألبيري ٥٦٥
تفت نحنا الوافر ٨ الألبيري ٧٢١ - ٨٢

تِ

هنيئاً استحلت الطويل ١ كثير عزة ٩٣
صبرت استمرت الطويل ٥ عمرو بن معدي كرب ٢٣٩
وما كنت تولت الطويل ١ كثير عزة ٨١
سأشكر جلت الطويل ١ ابن الزبير الأسدي ٧١
فلولا حشرات الطويل ٤ دعبل الخزاعي ٢٣٧
رجعت حياتي الطويل ٢٣ حافظ إبراهيم ٣١٤
مدارس العرصات الطويل ٧ دعبل الخزاعي ٧٢١

أول البيت	القافية	البحر	العدد	الشاعر	رقم الصحيفة
إذا زرت	العطرات	الطويل	٧	أحمد شوقي	٧٢٣
تضوع	عطرات	الطويل	٧	النميري	٧٢٣
هل أنت	لقيت	الرجز	١	عبد الله بن رواحة	٥٦١
ما في	لمصوت	مج الكامل	٢		٦٥
علو	المعجزات	الوافر	١٠	الأنباري	٧٢١ - ٥٨٥ - ٨٨

ث

ترى	لبثوا	البسيط	١	الحلاج	٦٢

ج

وإني	أعرج	الطويل	٣	أبو دهيل الجمحي	٢٣٥
أمامك	أعوج	الطويل	١٦	ابن الرومي	٧٢٥
وإني	لجوج	الطويل	٢	أبو ذؤيب الهذلي	٢٣٥

ج

إن الأمور	ارتتجا	البسيط	٣	محمد بن يسير	٢٤٠
أخلق	يلجا	البسيط	١	محمد بن حازم الباهلي	٧٧

ج

أدرج	تلج	الرمل	٢		٢٣٩

ج

إذا الحادثات	المهج	المتقارب	٢	منصور الفقيه	٢٣٨

ح

كل بطاح	بطوح	مج الرمل	١		٥٥٩
ألا يا	تنوح	الطويل	١	أبو كبير الهذلي	٨٢

أول البيت	القافية	البحر	العدد	الشاعر	رقم الصحيفة
سأبكيك	الجوانح	الطويل	١	أشجع السلمي	٨٦
أفي كل	فتريح	الطويل	٦	عوف بن محلم	٧٢٥
مضى	مادح	الطويل	١٠	أشجع السلمي	٧٢٦ - ٥٣١

ح

لا يؤيسنك	جرحا	الكامل	١	بشار بن برد	١٨٠
طاول	جنحا	البسيط	٢		٥٨٢
لا تقل	سحا	الرمل	١		٥٧١
صبحته	مزاحا	الكامل	٢	ابن عبد المنان	٦٤٣
اذكرونا	نزحا	الرمل	١	مهييار الديلمي	٨٠

ح

الرأي	ياصباح	البسيط	٢		٢٩٦
الآن	القارح	الكامل	٢	زياد الأعجم	٦٥
ولي	قروح	الطويل	١	ابن الدمينه	٨٣

خ

من خان	الكفاح	مج الكامل	٢		٥٩٦

د

أهم	أطارد	الطويل	٧	المتنبي	٧٣٤
ومن نكد	بدّ	الطويل	١	المتنبي	٩٠ - ٤٣٠ - ٤٣١ - ٦٤٨
نموت	تجدد	الطويل	١		٥٣
عيد	تجديد	البسيط	٧	المتنبي	٧٣٥
أقل	جدّ	الطويل	٧	المتنبي	٧٣٢ - ٤٣٢
جلالك	جديد	الوافر	٨		١٥٧

أول البيت	القافية	البحر	العدد	الشاعر	رقم الصحيفة
أود	جنده	الطويل	١١	المتنبي	٧٣٥
جود	الجود	البسيط	١	المتنبي	٦٨٦ - ٤٣١ - ٨٣
واعذر	الحسد	البسيط	١	أبو تمام	٨٥
محسدون	حسدوا	البسيط	١	زهير بن أبي سلمى	٧٢
لو كان	خلدوا	البسيط	٥	زهير بن أبي سلمى	٧٢٩
أقلوا	سدوا	الطويل	١	الحطيئة	٩٣
يا ساكني	سفود	البسيط	٧	الحجي	٧٢٨ - ٦٢
أولئك	شدوا	الطويل	٣	الحطيئة	٧٣١
عودوا	شديد	المجث	٤		٣٦٨
وإن التي	صدوا	الطويل	٨	الحطيئة	٥١٦
ضدان	الضد	السريع	١	دوقلة المنبجي	٧٤
أنت	العد	الطويل	٨	الحطيئة	٧٣٢
قلوا	عدد	البسيط	٣	أبو تمام	٥١٩
اليوم	غد	الكامل	١	المتنبي	٣٦٨
بذا قضت	فوائد	الطويل	١	المتنبي	٤٣١ - ٩٣
لو كان	قعدوا	البسيط	١	زهير بن أبي سلمى	٨٨ - ٤٧
ألا إن	لجمود	الطويل	١	أبو عطاء السندي	٩٣
وبيوم	محمد	الكامل	١	حسان بن ثابت	٥٧٣
الخير	مزداد	البسيط	٢	أبو العتاهية	٣٨
وفي كل	واحد	المقارب	١	أبو العتاهية	٧٩
قوم	ولدوا	البسيط	٢	زهير بن أبي سلمى	٥٧٦
غير	ينفد	الكامل	٩	علي بن الجهم	٧٣٠ - ٢٣٧

د

٧٩	المتنبي	١	الطويل	تمردا	إذا أنت
٧٣٠	المقنع الكندي	٨	الطويل	حمدا	يعاتبني
٥١٠ - ٤٢٥ - ٩٠	المتنبي	١	الطويل	سيدا	هو الجد
٧٣٤	المتنبي	١١	الطويل	العدا	لكل
٨٩ - ٤٩	أبو تمام	١	الكامل	عمودا	نسب
٧٢٩ - ٨٦	علي محمود طه	٧	المقارب	الفدا	أخي
٢٥	دعل الخزاعي	٢	البيسط	فندا	ما أكثر
٧٢٧	الأعشى	٢٠	الطويل	قاصدا	أجدك
٥٦	أبو منصور الديلمي	١	المقارب	الواحدة	فوالله
١٥		١	الوافر	وحده	كن

د

٧٢٧	طرفة بن العبد	١٠	الطويل	أتبلد	إذا القوم
٧٥	المعري	١	الخفيف	ازدياد	تعب
٨٠	ناصر اليازجي	١	البيسط	الأسد	واعلم
٧٣٣	البارودي	٩	الكامل	أولادي	إن كنت
٩٢	النابعة الذبياني	١	الكامل	باليد	سقط
٢٨٤	البحري	١	الخفيف	البعيد	وركن
٣٠	أبو تمام	٢	الطويل	تتجدد	وطول
٥٠	المتنبي	١	البيسط	ترده	شمس
٥٢٥	الوأواء الدمشقي	٣	البيسط	تزد	قالت
٩١	طرفة بن العبد	١	الطويل	تزود	ستبدي

أول البيت	القافية	البحر	العدد	الشاعر	رقم الصحيفة
فما زالت	تغتدي	الطويل	٦	الحطيثة	٧٣١
لقد أسمعت	تنادي	الوافر	١	عمرو بن معدي كرب	٥٨١
من كان	جدوده	الكامل	٦	قرواش	٥١٨
سنعود	الحديد	الرجز	١	أكرم الشاه	٦٨٠
كل المصائب	الحساد	الكامل	١	ابن أبي عينة	٥٣٣
هم يحسدوني	الحسد	البسيط	١	الوأواء الدمشقي	٨٤
وإذا أراد	حسود	الكامل	١	أبو تمام	٨١
أنا ابن	الرد	الطويل	١	قتادة بن النعمان	٥٧
لها أحاديث	الزاد	البسيط	١	إدريس بن أبي حفصة	٨٦
صاح	عاد	الخفيف	٧	المعري	٧٣١
أمرتهم	الغد	الطويل	٧	دريد بن الصمة	٧٢٦ - ٨٧
إنما تنجح	الفؤاد	الخفيف	١	المتنبي	٤٣١
سألتك	فؤادي	الوافر	٢		٥٩٧
كأن	فؤادي	الطويل	١	الظاهري	٦٠١
جرى	كالمزاد	الوافر	١	المتنبي	١٥٠ - ٨٣
أرى	المتشدد	الطويل	١	طرفة بن العبد	٧٨
أعاذل	المنادي	الوافر	٨	دريد بن الصمة	٧٣٢ - ٥١٩
وظلم	المهند	الطويل	١	طرفة بن العبد	٧٨
تركت	الموارد	الطويل	١		٥٧٠
متى تأته	موقد	الطويل	١	الحطيثة	٨١
جرت	ميعاد	الكامل	١	الأسود النهشلي	٨١
أعيني	واحد	الطويل	١	الأرجاني	٨٨

أول البيت	القافية	البحر	العدد	الشاعر	رقم الصحيفة
وليس	واحد	السريع	١	أبو نواس	١٧٦
كل جهدي	وحدى	مع الرمل	٦		١٥٥
أيا بنة	الورد	الطويل	٣	حاتم الطائي	٧٣٣
ووجه	يتخذ	الطويل	١	طرفة بن العبد	٤٥
تمن	يجدى	الطويل	٤	المتنبى	٧٣٦
فإن كنت	يدى	الطويل	١	طرفة بن العبد	٧٩
عن المرء	يقتدى	الطويل	١	عدي بن زيد	٧٨

ذ

يا أبا	الأسد	الرمل	٢		٥٧١
من حمد	يحمد	السريع	٢		٢٥

ر

عوى	أطير	الطويل	١	تأبط شراً	٨٤ - ١٤
إذا محاسنى	أعتذر	البسيط	١	البحثري	٥٧٤
تقفون	الأقدار	الكامل	١	المعري	٧٦
وفي دون	آمر	الطويل	٣	علي بن الحسين	١١٨
أراك	أمر	الطويل	٥٤	أبو فراس	٣١٦
كأن	انكسار	الوافر	١	المتنبى	٥١
تقول	تسير	الطويل	٧	أبو نواس	٧٣٦
وعودك	تصغر	الطويل	٣	سلمان العودة	١٥١
بكيت	جدير	الطويل	٢	ابن الأحنف	٦٣
من راقب	الجسور	مخ البسيط	١	سلم الخاسر	٨٠
وأستكبر	الخبر	الطويل	١	المتنبى	٤٢٦ - ٤٨

أول البيت	القافية	البحر	العدد	الشاعر	رقم الصحيفة
وعينان	الخمير	الطويل	١	ذو الرمة	٥٦
فبشرت	الدهر	الطويل	١		٨٩
فهم	دوائر	الطويل	٣	علي بن الحسين	١١٧
فما	الذخائر	الطويل	٣	علي بن الحسين	١١٧
أماوي	الذكر	الطويل	٨	حاتم الطائي	٧٤٤
كأن	سامر	الطويل	١	عبد الملك الحارثي	٨٧
وما مات	السمر	الطويل	١	أبو تمام	٥٨٨
له منن	شكر	الطويل	١	المتنبي	١٥٠
أطاعن	الصبر	الطويل	٩	المتنبي	٧٤١ - ٥١٧
أماوي	الصدر	الطويل	١	حاتم الطائي	٩١
لعمرك	الصدر	الطويل	١	حاتم الطائي	٦٩٤
تخرب	عامر	الطويل	٣	علي بن الحسين	١١٩
كذا	عذر	الطويل	١٣	أبو تمام	٧٣٦ - ٨٨
إذا يسر	عسیرها	الطويل	٥	الحسين بن مطير الأسدي	٢٣٦
أسرت	غمر	الطويل	٨	أبو فراس	٧٣٧
رأت	الفجر	الطويل	١	المتنبي	٤٨
ومن ينفق	الفقر	الطويل	١	المتنبي	٧٥
مضى	قبر	الطويل	١	أبو تمام	٨٦
أتيأس	القدر	مج الوافر	١	أبو العتاهية	٨٢
ألا في	الفقر	الطويل	٥	أبو علي القالي	٧٤٢ - ٥٢٣
تكسب	القمر	البسيط	١	المتنبي	٥٠
وفي السماء	القمر	البسيط	١	الشافعي	٧٩

رقم الصحيفة	الشاعر	العدد	البحر	القافية	أول البيت
١١٨	علي بن الحسين	٣	الطويل	مصادر	بلى
٥٩٠		٢	الطويل	المظفر	ولم أر
١١٨	علي بن الحسين	٣	الطويل	المعاذر	أحاطت
١١٧	علي بن الحسين	٤	الطويل	مقاصر	فأضحوا
١١٧	علي بن الحسين	٣	الطويل	مكاثر	وأنت
٥٧		٢	الطويل	المناظر	وأنت
٣٠٥	أبو نواس	٣	المنسرح	مهذار	قل لزهير
٧٣٩	عدي بن زيد	٨	الخفيف	الموفور	أيها الشامت
١٥١	المتنبي	١	الطويل	النثر	دعاني
١١٨	علي بن الحسين	٣	الطويل	نحاذر	ألا لا
٧٨	العباس بن مرداس	١	الوافر	نزور	بغات
٥٦٨	أبو تمام	٣	الطويل	النصر	لقد مات
٥٦	حسان بن ثابت	١	البسيط	نور	إن يأخذ
٢٣٨	محمود الوراق	٢	الطويل	يحذر	لعمرك
٧٥	جرير	١	الكامل	يزار	لولا الحياء
٥٦١		١	الوافر	يسير	نطير
٢٣٧	عبد الله بن معاوية	٣	مج الكامل	يضره	لا تعجلن
٨٦		١	الطويل	يفسر	أحبك
٧٤٥	نزار قباني	١١	الطويل	يتقر	زمانك

ر

٥٥٩	الناطقة الجعدي	١	الطويل	أصبرا	سقيناهم
٧٤٠	امرؤ القيس	٥	الطويل	بقيصرا	بكى

أول البيت	القافية	البحر	العدد	الشاعر	رقم الصحيفة
باد	جرى	الكامل	٦	المتنبي	٧٠٩ - ٦٠
قد بلوت	حرأ	مج الرمل	٢	ابن أبي حازم	٢٧
وما حب	الديارا	الوافر	١	مجنون ليلي	٨٠
وعاجز	القدرا	البسيط	١	الفراهيدي	٢٩٧
فيما مضى	مأسورا	البسيط	٦	المعتمد بن عباد	٧٤٠
نصحتك	مرا	الوافر	١	عمرو بن معدي كرب	٧٤
فمن	يرى	المقارب	١		١٨١

ر

خذ	إيحاري	البسيط	١	عائض القرني	٧٤٦ - ٦٤
عيون	أدري	الطويل	٧	علي بن الجهم	٧٣٨ - ٩٢ - ٥٥
أنت القوي	أسفار	الكامل	٣		٥٧٥
يا صاحبي	أسمار	البسيط	٣	الشريف الرضي	٦٤
طبعت	الأكدار	الكامل	١	التهامي	٦٧٨ - ٨٨
إلى الله	الأمر	الطويل	٤	أبو العتاهية	٢٣٧
هينون	أيسار	البسيط	١	العرنيس	٧٢
بشرى	بأسرار	البسيط	١٠	البردوني	٧٤١
تضوع	بالدار	البسيط	٢	الشريف الرضي	٥٦٢ - ٩١
أشعل	بالنار	الكامل	٢		٥٩٧
المستجير	بالنار	البسيط	١		٨٧
أندري	بدر	الوافر	٢		٥٦٤
وليتها	البشر	البسيط	١	ابن عبدون	٨٦
تركن	البصير	الوافر	٢	جران العود	٣٠٦

أول البيت	القافية	البحر	العدد	الشاعر	رقم الصحيفة
أيلتنا	تحوري	الوافر	٩	مهلهل بن ربيعة	٥١٣
فلا تحسبن	ثبير	الطويل	١		٢٣٨
أضاعوني	نغر	الوافر	١	العرجي	٩٣
وقفت	الخطار	الكامل	٢		٥٨٦
دار	دار	الكامل	١	الحريري	٨٨
هم جددوا	ذي قار	البسيط	١٠	محمد بن عثيمين	٧٤٣
من تلق	الساري	البسيط	١	عبيد بن العرنديس	١٧٩ - ٧١
يا قلب	الساري	البسيط	٨	الشريف الرضي	٧٤٤
وقسمت	السري	الكامل	٤	ابن عقبة	٧٤٣
يا ساهر	السهر	البسيط	٧	المعري	٧٤١
فبارك	السور	البسيط	١		٥٨
الدهر	الصور	البسيط	٨	ابن عبدون	٧٣٨
تمتع	عرار	الوافر	١	مجنون ليلي	٩١ - ٦٢
فوالله	عمري	الطويل	٤	التهامي	٥٢٢
فيك	عمري	المديد	٤	ابن أبي الحديد	١٥٢
أقول	فالضممار	الوافر	٦	الصمة القشيري	٧٤٥
تنافس	الفقر	الطويل	٢	التهامي	٢١٣
يا بن	قار	البسيط	٢		٥٩٥
حكم	قرار	الكامل	٩	التهامي	٧٣٧
ما في	نجاريه	البسيط	١	ابن المعلم	٨٧ - ٥٠٦ - ٦٠١
وداع	ندري	الطويل	٢	مجنون ليلي	٥٨٨

أول البيت القافية البحر العدد الشاعر رقم الصحيفة

ز

صل	أبتر	الخفيف	٤	أبو إسحاق الصابىء	٧٤٢
مع الله	انهمر	المتقارب	٩		١٥٥
خذوا	البشر	الرجز	١		٥٩٦
مع الله	البصر	المتقارب	٨		١٥٣
فما أطال	السهر	السريع	١	أحمد رامي	٥٩٥ - ٨٤
وحين	القبور	المتقارب	٤		١٥٣
إذا الشعب	القدر	المتقارب	٧	أبو القاسم الشابي	٧٣٩
أتيت	المحتقر	المتقارب	١	مالك بن دينار	٦٨١
تمنى	مضر	الطويل	٦	لبيد بن ربيعة	٧٤٣
خالق	يهر	الرمل	٢	بعض بني طيء	٢٥٠

ز

ملك	بزاز	الخفيف	١	المتنبى	٤٢٧
وكلامها	المتحرز	الكامل	٢	ابن الرومي	٦٥٧

س

تبنى	تختلس	البسيط	١٣		٣٥٨

س

طب	أنساً	مع الرمل	٢	ابن أبي حازم	٢٧
عسى	بعسى	مع الوافر	٣	العكوك	٢٣٨
الكلب	الخصاسه	مع الكامل	٢	منصور الفقيه	٣٨
أنت مني	الغموسا	الخفيف	٢		٥٩٨
نسيت	النفسا	البسيط	١		٥٦٥

أول البيت القافية البحر العدد الشاعر رقم الصحيفة

س

ما في	الأدراس	الكامل	١	أبو تمام	٦٤٥
إقدام	إياس	الكامل	١	أبو تمام	٦٤٥
لا تنكروا	الباس	الكامل	٢	أبو تمام	٦٤٥
جارك	بالأندلس	الرمل	٧	لسان الدين الخطيب	٧٤٦
لو كان	بالياس	السريع	٢		٢٧
أحرام	جنس	الخفيف	١	أحمد شوقي	٨٧
والله	راسي	البسيط	١		٥٥٩
لما رأتك	الشمس	الكامل	١		٤٨
يذكرني	شمس	الوافر	١	الخنساء	٥١
وإن من	غرسه	السريع	٢	صالح بن عبد القدوس	٣٠٧
دع	الكاسي	البسيط	١	الحطيثة	٧٤
من يفعل	الناس	البسيط	١	الحطيثة	٧٤
رضاك	نفسي	الوافر	١		٥٩٥

ش

صغيري	عرش	الوافر	١	جلال الدين الرومي	٦٧٥

ص

إذا كنت	توصه	المتقارب	١	طرفة بن العبد	٧٧

ض

وإنما	الأرض	السريع	١	حطان بن المعلى	٧٣

أول البيت	القافية	البحر	العدد الشاعر	رقم الصحيفة
ع				
وتجلدي	أتضعض	الكامل	١ أبو ذؤيب الهذلي	٣٣٦ - ٨٣
إلا يكن	أوسع	الكامل	١ البحري	٥٣٤
إذا لم	تستطيع	الوافر	١ إبراهيم بن هرمة	٧٨
فردت	تطلع	الطويل	٢ أبو تمام	٤٤
والنفس	تقنع	الكامل	١ أبو ذؤيب الهذلي	٧٨
وإذا المنية	تنفع	الكامل	١ أبو ذؤيب الهذلي	٨٤
غيري	شجعوا	البسيط	٧ المتنبي	٧٥٢
لعمرك	صانع	الطويل	١ لبید بن ربیعة	٧٥
إني لأجبن	فأشجع	الكامل	١ المتنبي	٦٥
أولئك	المجامع	الطويل	١ الفرزدق	٨٥
إذا كان	مضجع	الطويل	١ ابن البديري	٨٥ - ٦٣
فبت	ناقع	الطويل	١ النابغة الذبياني	٨٤
إذا افترقوا	نجيعها	الطويل	٦ البحري	٧٥٠
أعد	يتضوع	الطويل	١ مهيار الديلمي	٩١
ولا بد	يتوجع	الطويل	١ بشار بن برد	٨٥
يا من	يتوقع	الكامل	٧ السهيلي	٧٥٢
أمن	يجزع	الكامل	١٠ أبو ذؤيب الهذلي	٧٤٨
لا تعذليه	يسمعه	البسيط	٧ ابن زريق البغدادي	٧٤٨
لا تأمنوا	ينشع	الكامل	١ عبدة بن الطيب	٣٠٦

ع

ومعصية	استماعا	الوافر	٤ القطامي	٢٩٧

رقم الصحيفة	الشاعر	العدد	البحر	القافية	أول البيت
٧٥٠	ابن زيدون	٤	الرمل	استودعك	ودع
٥٢٣	دريد بن الصمة	١٣	الطويل	رجعا	أمن
٧٥٠	أحمد شوقي	٦	الرمل	رعى	جبل
٧٢	الأعشى	١	البسيط	صرعا	أغر
٧٥١	متمم بن نويرة	٨	الطويل	فأوجعا	لعمري
٢٣٥	لقيط بن زرارة	٤	البسيط	القطعا	قد عشت
٧٤٩	الحسين بن مطير	٧	الطويل	مربعا	ألمّا
٧٥١	لقيط بن يعمر	٥	البسيط	مضطلعا	فقلدوا
٧٤٧ - ٥٨٩ - ٩١ - ٥٥	الصمة القشيري	٨	الطويل	معا	بكت
٧٥١	الصمة القشيري	٧	الطويل	معا	حننت
٩٠		١	الرمل	موضعا	قد يهون
٥٢٤	لقيط بن يعمر	١٨	البسيط	الوجعا	يا دار
٦٩٢ - ٩٢	ابن دريد	١	الرجز	وعى	وإنما المرء

ع

٥٣٠	يوسف بن لؤلؤ	٤	الكامل	بالأجرع	أحمامة
٥١	المعري	١	الطويل	المقنع	أفق
٧٤٩	قطري بن الفجاءة	٧	الوافر	تراعي	أقول
٦٠١	الشريف الرضي	١	الخفيف	بسمعي	فاتني
٥٩		٢	الطويل	مطلع	فقل
١٧٦	أبو تمام	١	الوافر	الطباع	فلو
٧٢	قطري بن الفجاءة	١	الوافر	المتاع	فما
٥٨٠ - ٣٩٣ - ٢٤	ابن نباتة	١	الكامل	شفيع	وإذا الحبيب

أول البيت	القافية	البحر	العدد	الشاعر	رقم الصحيفة
ولست	مصرعي	الطويل	١	خبيب	٥٧٨

غ

رب	يطع	الرمل	٨	سويد بن أبي كاهل	٧٤٧

ف

فإن يكن	ألوف	الطويل	١	المتنبي	٥٣٤
أملك	تختطف	البسيط	٢		٥٦٤
سعد	رشفوا	البسيط	٣		٥٧٧
حجي	الموقف	الكامل	٦	أبو سعيد الرسمى	٥٦٦ - ٣٧

ف

وما كان	خوفا	الطويل	١		٥٨

ف

عفواً	أسلافي	البسيط	١	عائض القرني	٦٣
عمرو	حندف	الرجز	١		٣٠
ولبس	الشفوف	الوافر	١	ميسون بنت بحدل	٧٥
فيا شجر	طريف	الطويل	٨	ليلى التغلبية	٧٥٣
والله	كالمكتفي	الكامل	١	محمد بن السراج	٤٣
وإني	المتالف	الطويل	٦	الطرماح	٧٥٣
يا أيها	مناف	الكامل	٨	ابن الزبعرى	٥١٦
الناس	واف	مش الرجز	٢		٣٧٠

ق

ومشتت	إخفاق	الكامل	١	ابن سنان الخفاجي	٨١
إذا ضاق	أطيق	الطويل	١	أبو الأسود الدؤلي	٧٦

أول البيت	القافية	البحر	العدد	الشاعر	رقم الصحيفة
أمطر	أغرق	الكامل	١	المتنبي	١٥١
لعمري	تحرق	الطويل	٩	الأعشى	٧٥٤
سلام	دمشق	الوافر	١١	أحمد شوقي	٧٥٥
من لم	ذائقها	المنسرح	١	أمية بن أبي الصلت	٧٧
خرس	مطلق	الكامل	١	المتنبي	٦٩٠
يا راجباً	موفق	الكامل	١٠	قتيلة بنت الحارث	٧٥٤ - ٥٢١
تلك	يصفق	الكامل	٢		٥٨٧

ق

التي	بالطلاقة	الخفيف	٤	أبو علي العنزي	٢٥٠
إن على	تندقا	الرجز	١		٢٨
فكيف	الغرانة	الطويل	١		١٧٩

ق

مساو	بالطلاق	الوافر	١	أبو تمام	١٧٨
أبعين	حالق	الكامل	٢	المتنبي	٥٥٩
وما ازدهيت	خلق	البسيط	٥	المعري	٧٥٤
لا تسأل	خلقي	البسيط	٤	أبو محجن الثقفي	٧٥٦
إذا امتحن	صديق	الطويل	١	أبو نواس	٧٧
وما كنت	يعشق	الطويل	٧	المتنبي	٧٥٦

ك

قل للوليد	أبكاك	الكامل	٨		١٥٨
بك أستجير	بحمكا	الكامل	١٤		١٥٤
إذا اشتبكت	تباكي	الوافر	١	المتنبي	٤٢٦ - ٨٩ - ٥٦

أول البيت	القافية	البحر	العدد	الشاعر	رقم الصحيفة
ويقبح	ذاكا	الوافر	٢	أبو بكر الشبلي	٥٦٧ - ٨٧
أروح	سواكا	الوافر	٦	المتنبي	٧٥٧

ك

قفي	جمالك	الطويل	١١	ابن الدمينه	٧٦٥ - ٥٢٥
يا جارة	ذكراك	الكامل	١	أحمد شوقي	٧٣
لقد لامني	السوافك	الطويل	٤	متمم بن نويره	٥٢٩
فقال	فالدكادك	الطويل	٢	متمم بن نويره	٦١
كأن	قتلاك	البسيط	١	الشريف الرضي	٨٧ - ٦٥
يا ظبية	مرعك	البسيط	٨	الشريف الرضي	٧٥٦ - ٧٩

ك

ما أقبح	أجملك	مج الكامل	١	الصاحب شرف الدين	٨٢
هبت	بريحك	مج الرمل	٢	عبد الله بن المبارك	٦١
كلما	جلالك	الخفيف	٥		١٥٣
لا هم	رحالك	مج الكامل	٢	عبد المطلب بن هاشم	٦١٩
دعنا	المعترك	الكامل	١		٥٨٣

ل

هم القوم	أجزلوا	الطويل	٢	مروان بن أبي حفصة	٥٩٣ - ٨٣
إننا لفني	إجمال	البسيط	١	المتنبي	٩٠
بنو	أشبلى	الطويل	٥	مروان بن أبي حفصة	٧٦٦ - ٥٢٨
ذكر	أشغال	البسيط	١	المتنبي	٦٩٢ - ٧٩
تعوّد	أنامله	الطويل	١	أبو تمام	٨٥
فيا دارها	أهوال	الكامل	٦	المعري	٧٦٣

رقم الصحيفة	الشاعر	العدد	البحر	القافية	أول البيت
٧٣	المعري	١	الطويل	الأوائل	واني
٦٤٤	المتنبي	١	الكامل	أواهل	لك يا
٨٨	مروان بن أبي حفصة	١	الطويل	أول	بهاليل
٦١		١	الكامل	باطل	سهر
١٥١	المتنبي	٢	الكامل	الباطل	وأما
٢٣٥	حارثة بن بدر	١	الطويل	باطله	وقل للفؤاد
٢٢٤	عبد بن الطيب	١	البسيط	تأميل	المرء
٧٣	السموع	١	الطويل	تسيل	تسيل
٤٢٥	المتنبي	١	البسيط	تنبال	وقد أطل
٧٦٠	يحيى بن سعيد	٧	الطويل	تنهل	غذوتك
٧٧	عبد الله بن المبارك	١	الطويل	جاهل	تعلم
٧٥٧ - ٧٣	السموع	١٠	الطويل	جميل	إذا المرء
٧٦٩ - ٩٠	المتنبي	٦	البسيط	الحال	لا خيل
٨٦	القطامي	١	البسيط	الخبل	والناس
٨٠	الشهرزوري	١	الخفيف	الدليل	لمعت
٩١	ليبد بن ربيعة	١	الطويل	زائل	ألا كل
٤٢٨	المتنبي	١	المنسرح	الزلزل	أبلغ
٨٦	القطامي	١	البسيط	الزلزل	قد يدرك
٩١	زهير بن أبي سلمى	١	الطويل	سائله	تراه
٨٠	أبو تمام	١	الطويل	سائله	ولو لم
٧١	أبو تمام	١	الطويل	ساحله	هو البحر
٥٠	بكر بن النطاح	١	الوافر	ظل	إذا حضر

أول البيت	القافية	البحر	العدد	الشاعر	رقم الصحيفة
ولم أر	فجميل	الطويل	١	بشر الفزاري	٧٧
لا يدرك	فعال	البسيط	١	المتنبي	٨٩
وفيهم	الفعل	الطويل	٥	زهير بن أبي سلمى	٧٢ - ٧٦٦
وأنا الذي	القاتل	الكامل	١	المتنبي	٨٤ - ٥٧
محا حبها	قبل	الطويل	١	مجنون ليلي	٣١٠
لولا المشقة	قتال	البسيط	١	المتنبي	٩٠ - ٤٣٠
يستعذبون	قتلوا	البسيط	١	أبو تمام	٨٨
تعيرنا	قليل	الطويل	١	السموئل	٧٨
وإذا أتتك	كامل	الكامل	١	المتنبي	٤٣٢ - ٦٤٤
أنبتت	مأمول	البسيط	٧	كعب بن زهير	٧٥٩
وفي الأرض	متعزل	الطويل	١	الشنفرى	٧٩
لك القلم	المفاصل	الطويل	١٠	أبو تمام	٧٦٢
بانث	مكبول	البسيط	١	كعب بن زهير	٧١
إلى القاتل	المناهل	الطويل	١١	الحطيئة	٥٢٨ - ٧٦٧
يا بيت	موكل	الكامل	٢	الأحوص	٦٤٥
وغنت	ميهال	الطويل	٥	المعري	٥٣٠
ألا في	نائل	الطويل	٩	المعري	٧٥٩
أحلامنا	نجهل	الكامل	١	الفرزدق	٧٢
وما شرقي	نزول	الطويل	٩	المتنبي	٦٣ - ٨٤ - ٥٠٧ - ٧٦٨
إذا اعتاد	الوحوّل	الوافر	١	المتنبي	٧٤
يحرمه	وصول	الطويل	١	المتنبي	٤٢٧
نحن أدرى	يطول	الخفيف	٢	المتنبي	٦٢ - ٤٢٥

أول البيت	القافية	البحر	العدد	الشاعر	رقم الصحيفة
هنالك	يغلوا	الطويل	٨	زهير بن أبي سلمى	٥٢٧
وأراك	يفعل	الكامل	١	الأحوص	٦٤٥

ل

لله	الأبطلا	الكامل	٢		٥٦٨
تلك	أبوألا	البسيط	١	النابعة الجعدي	٨٣ - ٥٧
ولذيد	أحلى	الخفيف	٥	المتنبي	٧٠٩
من شاء	إقبالا	البسيط	٢	ابن العميد	٢٢٢
أشد	انتقالا	الوافر	١	المتنبي	٤٢٩
كل دمع	تخلي	الخفيف	١	المتنبي	٤٢٦
وإني	التنقلا	الطويل	٥	أوس بن حجر	٤٠
ويكبرون	التهليلة	الكامل	١	ديك الجن	٥٧٠
واعلم	خبالاً	الكامل	١		٧٦
ومن يك	الزلالا	الوافر	١	المتنبي	٧٥
إذا كان	العقلا	الطويل	٢		٦١
كأنك	عقلا	البسيط	١	عائض القرني	٤٩
سيدي	قتيلا	الخفيف	٢		٦٢
فيك	كليلا	مج الرمل	٤	ابن أبي الحديد	١٥٢
لم ينصبوا	مجهولا	الكامل	٩	علي بن الجهم	٧٦٢
أمعفر	المصقولا	الكامل	١	المتنبي	٥٧٦
إن تحم	منزلك	مج الكامل	٤	شرف الدين	٧٦٧

ل

أعلل	الأمل	البسيط	١	الطغرائي	٧٦

أول البيت	القافية	البحر	العدد	الشاعر	رقم الصحيفة
وما صباية	أمل	البسيط	٧	المتنبي	٧٦٨
بيض	الأول	الكامل	١	حسان بن ثابت	٧١
لله	الأول	الكامل	٨	حسان بن ثابت	٧٦١
دع	البال	البسيط	١		٨١
حب	بالكسل	البسيط	١٠	الطغرائي	٧٦٠
ولست	بالنائل	المتقارب	١	المتنبي	١٧٤
تشفي	البطل	البسيط	١		٥٧٤
كدعواك	جهل	الطويل	٤	المتنبي	٧٦٩
وحالات	حال	الوافر	١	المتنبي	٤٣١
ألا عم	الخالي	الطويل	٥	امرؤ القيس	٧٦١
قبيلة	خردل	الطويل	١	النجاشي الحارثي	٧٤
وكيف	دليل	الوافر	١	المتنبي	٤٣
ابك	الرجال	الخفيف	١		٥٩٩ - ٦٠
تعالى	الرجال	الوافر	١	أبو العتاهية	١٨٠
يموت	الرجل	الطويل	١	علي بن أبي طالب	٧٦
لعمر ك	رجلي	الطويل	٥	معن بن أوس	٧٦٤
فمن	سائل	الطويل	٢		٣٣٦
يروق	الطفل	البسيط	٢	مجد الدين الطبري	٥٨٢
قد ذقت	عسل	البسيط	١	المتنبي	٤٣٢
مكر	عل	الطويل	١	امرؤ القيس	٧٤
فإن تفق	الغزال	الوافر	١	المتنبي	٤٣٠
قفا	فحومل	الطويل	١	امرؤ القيس	٦٠

أول البيت	القافية	البحر	العدد	الشاعر	رقم الصحيفة
أمقتولة	قبلي	الطويل	٤	ابن زيدون	٧٦٥
نعد	قتال	الوافر	١١	المتنبي	٧٦٥
يقولون	قتلي	الطويل	١		٥٣
فلا كتب	القنابل	الطويل	١		٥٧٧
وأبيض	للأرامل	الطويل	١	أبو طالب	٨٧
إلام	للعاقل	المتقارب	١	المتنبي	٤٢٨
طربن	لي	الطويل	٦	المعري	٧٦٧ - ٥٢٩
بقدر	الليالي	الوافر	١		٧٦
وليل	ليبتلي	الطويل	٩	امرؤ القيس	٧٦٣ - ٥١٣
وسألت	المتطاول	الكامل	٤	المعري	٧٦٧
يتوكؤون	المحفل	الكامل	٢		٥٨٦
ولقد سریت	مهبل	الكامل	٦	أبو كبير الهذلي	٧٦٣
وكم	النبل	الطويل	١		٥٩
فصرت	النصال	الوافر	١	المتنبي	٨٣
قد هيؤوك	الهمل	البسيط	١	الطغراني	٨٠
وليس	الويل	الطويل	١	المتنبي	٤٣٢
ولما	الوسائل	الطويل	٩	أبو طالب	٧٥٨
لم امتطاؤك	الوشل	البسيط	١	الطغراني	٣٦٢ - ١٨

ن

يصوت	الحجل	الطويل	٢		٥٨٢
مذبذبان	الرمال	الرملي	١		٦٧٣
من أراد	طويل	مع الرمل	١٢	الأحنف العكبري	٧٦٤

أول البيت	القافية	البحر	العدد	الشاعر	رقم الصحيفة
مرحبا	عمل	الرمل	١	السمرقندي	٦٨٠
أنا لا	القبل	الرمل	٢	ابن الوردي	٥٦٢ - ٢٢٨ - ٢١
غب	الملل	الرمل	١	ابن الوردي	٧٥
مرون	ملل	الطويل	١	جعفر بن الزبير	٨٢
في حراء	نزل	الرجز	٥		٣٠
اعتزل	هزل	الرمل	١٠	ابن الوردي	٧٥٨
م					
وإذا كانت	الأجسام	الخفيف	١	المتنبي	٩٠
لهوى	أسلم	الكامل	١	المتنبي	٦٤٧
إن كان	ألم	البسيط	١	المتنبي	٨٨
المجد	الألم	البسيط	١	المتنبي	٧٨١ - ٤٣٠ - ٨٩
مرت	أيام	الكامل	٣	أبو تمام	٧٧٥
من يهن	إيلام	الخفيف	١	المتنبي	٤٣٠ - ٩٠
أما والذي	تتصرم	الطويل	٧	ابن القيم	٧٧٨
هذا الذي	الحرم	البسيط	١	الفرزدق	٧٧١ - ٨٠
ابدأ	حكيم	الكامل	١	أبو الأسود الدؤلي	٧٨
لا تغترر	حميم	الكامل	١		٨٥
قد زرتة	دم	البسيط	٢	المتنبي	٤٢٩
لا يسلم	الدم	الكامل	١	المتنبي	٦٤٧
ليت الغمام	الديم	البسيط	١	المتنبي	٤٢٦
أما والذي	رميم	الطويل	٤	حاتم الطائي	٧٨٠
وفاؤكما	ساجمه	الطويل	٧	المتنبي	٧٧٧

أول البيت	القافية	البحر	العدد	الشاعر	رقم الصحيفة
واحرَّ	سقم	البيسط	١٠	المتنبى	٧٦٩
سلمى	السلم	البيسط	١		٢٦
بثلاثة	شميمها	الكامل	٥	أبو تمام	٧٧٧
أنا الذي	صمم	البيسط	١	المتنبى	٧٣
وما انتفاع	الظلم	البيسط	١	المتنبى	٥٤
يا من	عدم	البيسط	١	المتنبى	٨٣
ولا كتب	العرمرم	الطويل	١	المتنبى	٤٢٩
إنني أرى	العظم	البيسط	٣	حافظ إبراهيم	٧٧٨
قفي	غارمه	الطويل	١	المتنبى	٤٢٧
ولقد	غلام	الكامل	٤	أبو تمام	٥١٣
فالخيل	القلم	البيسط	١	المتنبى	٧٢
كم تطلبون	الكرم	البيسط	١	المتنبى	٤٢٧
يطيب	الكلام	الوافر	٢		٥٩٠
فؤاد	اللثام	الوافر	٧	المتنبى	٧٧٦
ما أبالي	لثيم	الخفيف	١	حسان بن ثابت	٢٢٩ - ٢٢
إنني وإن	لهم	المنسرح	١	المتنبى	٨٤
ومن إرثكم	محارمه	الطويل	٤	البحري	٧٧٨
فحي	المخيم	الطويل	١	ابن القيم	٦٥
على قدر	المكارم	الطويل	٥	المتنبى	٨١ - ٤٣٠ - ٧٨٢
لئن تركنا	ندم	البيسط	١	المتنبى	٤٢٦
فما نوب	النعيم	الوافر	٣	علي بن أبي طالب	٢٣٦
والحادثات	نعيمها	الكامل	١	أبو تمام	٧٩

أول البيت	القافية	البحر	العدد	الشاعر	رقم الصحيفة
أرانب	نيام	الوافر	١	المتنبى	٤٢٧
ومن العداوة	يؤلم	الكامل	١	المتنبى	٨٤
أنام	يختصم	البسيط	١	المتنبى	٤٣١
فقسا	يرحم	الكامل	١	أبو تمام	٥٣٣
قيامي	يستقيم	الوافر	١		٦٥٠
يجل	يسلم	الطويل	٢	المتنبى	١٥٠
ولقد رأيت	يعصم	الكامل	٧	المتنبى	٧٨٣
لا افتخار	ينام	الخفيف	٦	المتنبى	٧٧٧
ذو العقل	ينعم	الكامل	١	المتنبى	٦٤٧ - ٤٢٨

م

يقولون	أحجما	الطويل	٨	علي الجرجاني	٧٧١
أأشقى	أحزما	الطويل	٢	علي الجرجاني	٥٦٦
نجد	ارتعى	الرجز	٢	عائض القرني	٦٤
ألست	أنجما	الطويل	٢	البحتري	٥٣٥
ألجم	بالجمجمة	السريع	١		٦٤٦
وما هاج	ترنما	الطويل	٨	حميد بن ثور	٥٣٠
إلام	تصرما	الطويل	٢	ابن حيوس	٤١٤
ألا لا	حلما	الطويل	١	المتنبى	٨٢
إذا ما	الدماء	المتقارب	١	بشار بن برد	٤٦
أعين	الدماء	الطويل	٨	حسان بن ثابت	٧٨٠
فلسنا	الدماء	الطويل	١	الحصين بن حمام	٩٠
وليس	الدماء	الطويل	١	الحصين بن حمام	٦٤

رقم الصحيفة	الشاعر	العدد	البحر	القافية	أول البيت
٧٧٢	الحطيطه	١٥	الطويل	رسما	وطاوي
٧٧٠	إيليا أبو ماضي	١٠	الكامل	السما	قال السماء
٦٤٦	الحريري	١	السريع	سمسمه	سم سمه
٦٩٠		١	الخفيف	عظاما	وسلاطينهم
٧٧٥ - ٥١٥	ابن اللبانه	١٢	البسيط	عظما	شكاتنا
٦٤٦	الحريري	١	السريع	المحكمه	والمح
٦٧٤		١	الطويل	مرنما	ويا بسمة
٤٦	المتنبي	١	الكامل	مظلما	غصن
٦٤٦	الحريري	١	السريع	ملامة	ملامة
٧٨٤	عائض القرني	١٠	الكامل	همي	قف
٧٣	البحثري	١	الطويل	يتكلما	أناك
٥٨	البردوني	١	الخفيف	يسمى	من تلطي

م

٣٩٠	أبو العتاهية	٢	البسيط	أحلام	يا نفس
٦٢	جرير	١	الكامل	الأقوام	ذم
٧٧٩	الشريف الرضي	٥	الطويل	الأكارم	وهذا يزيد
٧٨٢	المتنبي	١١	الوافر	بابتسام	ولما
٣٤		١	الوافر	بالنجوم	وكننت
٧٧٣ - ٨٦	البوصيري	١٠	البسيط	بدم	أمن
٧٧٥	حسان بن ثابت	٥	الكامل	بسام	تبلت
٧٩	زهير بن أبي سلمى	١	الطويل	بسلم	ومن هاب
٧٨٣	المتنبي	٧	البسيط	بلم	من اقتضى

أول البيت	القافية	البحر	العدد	الشاعر	رقم الصحيفة
ومن لم	بمنسم	الطويل	٧	زهير بن أبي سلمى	٧٧٣
ظنوا	تحم	البسيط	٢	البوصيري	٦١٠
فازور	تحمحم	الكامل	١	عترة	٤٥
ومهما	تعلم	الطويل	١	زهير بن أبي سلمى	٧٧
هلا	تعلمي	الكامل	١	عترة	٧٣
أصادق	التكلم	الطويل	١	المتنبي	٤٢٥
ولم أر	التمام	الوافر	١	المتنبي	٤٢٩
إذا ساء	توهم	الطويل	٩	المتنبي	٩١ - ٤٣٠ - ٥٢٧ - ٧٨٢
بكى	حاتم	الطويل	٥	ربيعه الرقي	٧٨٠
لشتان	حاتم	الطويل	٦	ربيعه الرقي	٨١ - ٥٢٨ - ٥٦٣ - ٧٧٩
نحن الحنفيون	حاتم	الرجز	١		٢٤ - ٣٩٣
إذا بلغ	حازم	الطويل	٣	بشار بن برد	٥١٥
تعدو	الحامي	البسيط	١	النابعة الذبياني	٧٨
فمن	حتم	الطويل	٤	النعمان بن نضلة	٧٨١
لسان	الدم	الطويل	١	عبد الله بن معاوية	٧٦
ولم تزل	رحم	البسيط	١	المتنبي	٤٢٦
قد تنكر	سقم	البسيط	١	البوصيري	٤٣
لا تلمني	صمم	الرمل	١		٥٥٩
بسيف	ظالم	الطويل	٢	جرير	٥٨٤
وزائرتي	الظلام	الوافر	١	المتنبي	٤٢٨
تحدث	عارم	الطويل	٣	كثير عزة	٢٣٦
فطعم	عظيم	الوافر	١	المتنبي	٧٤

رقم الصحيفة	الشاعر	العدد	البحر	القافية	أول البيت
٤٢٨	المتنبى	١	الوافر	العلوم	ولكن
٧٧٤	يزيد بن معاوية	٦	الوافر	عندم	ولما
٢٩٧	أبو تمام	١	البسيط	فحم	لم يألکم
٧٨١		٥	الطويل	فمي	صياماً
٦٢٨		١	البسيط	كأيام	فالدهر
٥١	المتنبى	١	الطويل	لثامه	فلا زالت
٧٧٦ - ٥١٩	قطري بن الفجاءة	٤	الكامل	لحمام	لا يركنن
٧٧١	عمر أبو ريشة	٧	الرمل	للقلم	أمتي
٥٢٦	الشریف الرضي	٩	الطويل	اللوائم	إذا لم
٥٩١	النعمان بن نضلة	٢	الطويل	المتثلم	إذا كنت
٧٧٤	المتنبى	٩	الطويل	المظالم	من الحلم
٥١٨	المتنبى	٨	البسيط	مقتحم	لقد تصبرت
٤٣٠ - ٨٩	المتنبى	١	الطويل	مكرم	وإلا تمت
٧٧٩	ابن عنين	٤	الطويل	منامي	ولا بد
٧٧٦ - ٥١٧ - ٣١٣ - ٧٩ - ٣٤	المتنبى	٧	الوافر	النجوم	إذا غامرت
٣٠٧		١	الكامل	الهرم	وتلوم
٧٨	زهير بن أبي سلمى	١	الطويل	يندم	ومن يجعل
١٨٠		١	الكامل	ينمي	إن العصا
٥٩	البوصيري	١	البسيط	يهم	فما
م					
٥٧٨		٢	الرمل	الجسام	اغفر
٢٨٣	أبو الفتح البستي	٢	الطويل	الكرم	إذا أقسم

أول البيت القافية البحر العدد الشاعر رقم الصحيفة

ن

أحسن	إحسان	البسيط	١	أبو الفتح البستي	٧٦
لم ذا	إخوان	البسيط	١	أبو البقاء الرندي	٥٧٠
فالناس	أعوان	البسيط	١	أبو الفتح البستي	٨٥
اركبي	أمين	الخفيف	١	نزار قباني	٤٦
لكل	إنسان	البسيط	١٠	أبو البقاء الرندي	٧٨٤ - ٨١
تنكر	تهون	الطويل	٢	الأبيوردي	٣٣٤
زيادة	خسران	البسيط	٦٣	أبو الفتح البستي	٣١٩
بنو	دانوا	البسيط	١٠	أحمد شوقي	٧٩١
ما كل	السفن	البسيط	١	المتنبي	٨٩
بم التعلل	سكن	البسيط	١٠	المتنبي	٧٩٣
لها عين	العيون	الوافر	١		٩٣
يا لها	غين	الخفيف	١	ابن الخياط	٥٦
يا كم	الكفن	البسيط	١	المتنبي	٥٠٨
جراحات	اللسان	الوافر	١		٧٦
سبحان	لسان	الكامل	١٠	أبو العتاهية	١٥٧
إن ربا	يكون	الخفيف	١	الشافعي	٩٢

ن

يا قوم	أحيانا	البسيط	١	بشار بن برد	٩٢ - ٥٨
أأحبابي	الأمانة	الوافر	٤		٣٩٥
لا يسألون	برهانا	البسيط	١	رجل من بلعبر	٧١
يا أرض	تثينا	البسيط	١١	عائض القرني	٧٩٤

أول البيت	القافية	البحر	العدد	الشاعر	رقم الصحيفة
أضحى	تجافينا	البيسط	٩	ابن زيدون	٧٨٥
بغض	ثمنا	البيسط	٢	عبد الله بن المبارك	٥٨٠
ثمن	الثلثا	الرمل	٢		٥٦٧ - ٨٧
ألا لا	الجاهلينا	الوافر	١	عمرو بن كلثوم	٧٣
وإذا لم	جباناً	الخفيف	١	المتنبي	٨٩
إذا قدمت	خانا	البيسط	٦	المتنبي	٧٨٧
إذا الإيمان	دينا	الوافر	١	محمد إقبال	٦٨٨
وحسبك	راحميناً	المتقارب	١	العتبي	٥٣٤
ليسق	رياحينا	البيسط	١	ابن زيدون	١٢
كأنهم	ريحاناً	البيسط	١	المتنبي	٨٨
ونشرب	طيناً	الوافر	١	عمرو بن كلثوم	٧٢
قفي	العابرينا	الوافر	١	أحمد شوقي	٤٤
بكت	علينا	الوافر	٢	سعدي الشيرازي	٥٥
أين ضيعت	عنا	مج الرمل	٦	عائض القرني	٧٩٥
صحب	عناناً	الخفيف	٩	المتنبي	٧٩٣
شكونا	عندنا	الطويل	٢	أبو نواس	٥٩
يا ذات	فاسقيناً	البيسط	١٠	المرقش الأكبر	٩١
أتاني	فتمكنا	الطويل	١	معجون ليلي	٣٠٦
سلي	فيناً	البيسط	٨	صفي الدين الحلي	٧٨٦ - ٨٢
إن العيون	قتلانا	البيسط	٦	جرير	٧٨٦ - ٩٢ - ٥٥
إننا لمن	المحامونا	البيسط	١	بشامة النهشلي	٧٣
أتيناك	محسناً	المتقارب	٣	إبراهيم الغرناطي	٥٧٤

أول البيت	القافية	البحر	العدد	الشاعر	رقم الصحيفة
الأمر	المنى	الكامل	١	المتنبى	١٥٠
ومراد	نتفانى	الخفيف	٢	المتنبى	٤٢٨
قد كنت	هانا	البيسط	١	المتنبى	٣١١ - ٨٤
قوم	وحدانا	البيسط	١	رجل من بلعبر	٧١
إننا لقوم	يؤذينا	البيسط	١	صفي الدين الحلبي	٧١
ن					
يا عين	أحزان	الكامل	٢	أبو هلال العسكري	٥٤
ما اليوم	أحزاني	البيسط	٧	أبو تمام	٧٨٨
دم	الأفحوان	الوافر	٢		٥٧٩
والروحي	إيماني	البيسط	٢		٥٦٩
يقضى	بالحسن	البيسط	١		٨٥
القلب	بالشجن	المتدارك	١٨		٤١٦
وإذا دعوتهم	بالفرسان	الكامل	١	أمية بن أبي الصلت	٥٢
عللالي	بقاني	الخفيف	١٠	المعري	٧٨٧
وألن	بلينه	مج الكامل	٢	أبو العتاهية	٢٥٠
أنا ابن	تعرفوني	الوافر	١	سحيم الرياحي	٨٠
الرأي	الثاني	الكامل	١	المتنبى	٧٩٠ - ٥٢٦ - ٤٣٢
دقات	ثوان	الكامل	١	أحمد شوقي	٣٩٣ - ٩٢ - ٢٤
ليلتي	جمان	الخفيف	١	المعري	٧٣
بكيت	الحدثان	الطويل	٢	الأعور السلمي	٥٦
والصمت	حينه	مج الكامل	١	أبو العتاهية	٧٦
إن الكرام	الخشن	البيسط	١	دعبل الخزاعي	٨٥

أول البيت	القافية	البحر	العدد	الشاعر	رقم الصحيفة
كأن	الخفقان	الطويل	١	عروة بن حزام	٩١
وأجهشت	رأني	الطويل	٧	معجون ليلي	٧٨٩ - ٥٢١
مغاني	الزمان	الوافر	٦	المتنبي	٧٩٤
مجدد	الزمن	البسيط	١		٦٦
فإما	سميني	الوافر	٧	المتنقب العبدى	٧٩٠
ما من	شاني	الكامل	٤	الأحوص	٧٨٦
ألا إن	شفيناني	الطويل	٩	ابن الزيات	٥٢٢
لو كنت	شيبان	البسيط	١	رجل من بلعبر	٨٠
سلا	عمان	الطويل	١٠	عائض القرني	٧٩٥
لا تسل	عني	الرمل	١		٥٥٨
قالوا	العين	البسيط	٢	منصور الفقيه	٢٨٦ - ٥٨
يا قرّة	عيني	البسيط	١		٨٣
عدوك	القمران	الطويل	١٠	المتنبي	٧٩٢
دعاني	لساني	الطويل	٥	حافظ إبراهيم	٧٩٠
كأن	لساني	الطويل	٨	أبو بكر الشبلي	٧٨٨
وقد كملت	للحدثان	الطويل	١	تميم الفاطمي	٩٢
تقول	للعين	البسيط	١		٥٧
أكاد	مني	الوافر	٩	عبد الله الفيصل	٧٨٩
إذا نحن	نثني	الطويل	١	أبو نواس	١٥٠
ولله	الهديان	الطويل	١	المتنبي	٤٣١
سألتك	هواني	الطويل	٣٤		١٤٥
تحملت	يدان	الطويل	٦	عروة بن حزام	٧٨٩

أول البيت	القافية	البحر	العدد	الشاعر	رقم الصحيفة
تغطيت	يرانى	الطويل	٢	أبو نواس	٢٤
أيها المنكح	يلتقيان	الخفيف	١	النعمان بن بشير	١٧٨
وإذا لثمت	يميني	الكامل	١	عمارة اليميني	٩١
هـ					
عباد	أجراه	البسيط	١		٦١
يا من	أحاذره	البسيط	٢	المتنبي	٤٢٧
إذا تغلغل	خواطره	البسيط	١	المتنبي	٤٢٥
ومن البلوى	كنه	مج الرمل	٢	منصور الفقيه	٢٨٦
الله ربي	هو	الكامل	١	أبو مدين التلمساني	٦٨٣
هـ					
ذكر	أبياتها	الكامل	١	المتنبي	١٧٧
أما الخيام	رجالها	الكامل	١	أبو بكر الشبلي	٥٥٨
يا حبذا	شرابها	الرجز	١	جعفر بن أبي طالب	٥٦١
لا أسأل	عينها	البسيط	١	الوليد بن يزيد	٥٩
أخبروها	فداها	الخفيف	١		٥٦١
لقد نصحتك	ماها	الوافر	١		٥٥٧
وأغضض	مأواها	الكامل	١	عنتره	٥٤
والعين	يعاديها	البسيط	١	علي بن أبي طالب	٥٧
هـ					
يا فتاة	عليه	مج الرمل	٣		٥٩٩
بذكر الله	يرتجيه	الوافر	٢		٣٩٦

أول البيت	القافية	البحر	العدد	الشاعر	رقم الصحيفة
إن كنت	أنه	الرجز	١		٤٤
نحن وجه	فتوة	الرمل	٢		٤٦
أنا الذي	مرة	الرجز	١	ابن مطيع	٢٦٨ - ٢١

و

تقايس	التساوي	الوافر	٢		٥٨١

ي

كفى	أمانيا	الطويل	١١	المتنبى	٧٩٨ - ٨٧
خلقت	باكيا	الطويل	١	المتنبى	٤٣٠ - ٩٠
كلانا	تغانيا	الطويل	١	عبد الله بن معاوية	٣١
وكانت	حيا	الوافر	١	أبو العتاهية	٧٥
وتحتقر	فانيا	الطويل	١	المتنبى	٧١٩
قف	القادسية	الرمل	٥		٧٢٤
ولما	كواسيا	الطويل	١	أم حمادة الهمذانية	٨٢
ألا لا	لا ليا	الطويل	٦	عبد يغوث	٧٩٦
لك الأمر	لا ليا	الطويل	٦٢		١٤٧
نقول	ليا	الطويل	١٠	مالك بن الربيع	٧٩٦
وعين	المساويا	الطويل	٤	عبد الله بن معاوية	٧٩٧
ألا أيها	يمانيا	الطويل	٧	معجون ليلى	٧٩٦ - ٨٦
وتضحك	يمانيا	الطويل	١	عبد يغوث	٨٥

ي

فلئن سمعت	معصي	الكامل	١	ابن عبد ربه	٢٩٧

أول البيت القافية البحر العدد الشاعر رقم الصحيفة

ي

نروح	تنقضي	المتقارب	١	الصلتان العبدى	٧٧
سائق	طي	الرملى	٦	ابن الفارض	٧٩٧

ى

إلى الله	البلوى	الطويل	٥	على بن الجهم	٧٠٨
وما العز	العزى	الطويل	١		٦١
يا فؤادى	فهوى	الرملى	٨	إبراهيم ناجى	٧١٠
منك الصدود	قضى	البسيط	٥	المعري	٧١٠
إنى لأرجو	متى	الرجز	٩	أحمد البونى	٧٠٨

* * *

فهرس أنصاف الأبيات

البيت	البحر	الشاعر	رقم الصحيفة
أذكرني يا عبل أيام الصبا	الرمل	عنتره	٥٤١
أنا الذي سمتني أمي حيدرته	الرجز	علي بن أبي طالب	٥٧١
أنا الذي سمتني أمي مرحبا	الرجز	مرحب	٥٧١
تسترت من دهري بظل جناحه	الطويل	أبو نواس	٣٢٦
تنكر لي دهري	الطويل	الأبيوردي	٣٢٦
تلك المكارم لا قعبان من لبن	البسيط	أمية بن أبي الصلت	٣٢٦
ثوى طاهر الأردن	الطويل	سبط ابن التعاويذي	٣٢٧
رفيقك قيسي وأنت يمانى	الطويل	المتنبي	٣٢٦
سقى الله أرضاً لامس الوحي أرضها	الطويل		٣٥١
السيف أصدق أنباء من الكتب	البسيط	أبو تمام	٢٩٣
علو في الحياة وفي الممات	الوافر	الأنباري	٢٢٠-٢٦٩-٢٩٣
قفانك	الطويل	امرؤ القيس	٥٣٨
لقد هان من بالث عليه الثعالب	الطويل	العباس بن مرداس	١٧٧
لك يا منازل في القلوب منازل	الكامل	المتنبي	٤٣٢
مغاني الشعب طيباً في المغاني	الوافر	المتنبي	١٧-٣٦١
هممت ولم أفعل وكدت وليتني	الطويل	ضابئ البرجمي	١٧٧-١٠٠
والعيب للعين لا للشمس في النظر	البسيط		٤٣
وخير جليس في الزمان كتاب	الطويل	المتنبي	٢٨٥
يا بيت عاتكة الذي أتعزل	الكامل	الأحوص	٣٢٦
يا ظبية البان	البسيط	الشريف الرضي	٥٣٩
يا عابد الحرمين لو أبصرتنا	الكامل	عبد الله بن مبارك	٥٨٠
يشكو العيون السود قلبي والهوى	الكامل		١١٥

محتوى الكتاب

١١	المقدمة
١٣	كهف العزلة
٤٣	الشمس
٥٤	العين
٦٧	ألا يا صبا نجد
٧١	فرائد وقلائد
٩٤	رسالة عبد الحميد الكاتب للكتاب
١٠٠	كتاب ولاية
١١٢	يوسف أيها الصديق
١١٦	المقامة الوعظية للحريري
١٢٠	حوار مع الشيطان
١٢٥	نظرة في آية
١٣٢	أنا والكتاب
١٣٨	دمعة ندم
١٤٣	مع الله
١٤٥	الله جل جلاله
١٤٧	هتاف شاعر
١٥٩	الواحد الأحد

١٦٤	معجزة القرآن
١٦٩	من عائض القرني إلى الرئيس نيلسون مانديلا
١٧٤	الرسالة الهزلية
١٨٢	عاصمة الدنيا
١٨٧	دار الهجرة
١٩٣	في ظلال القرآن
٢٠٠	وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين
٢٠٥	وصايا
٢٠٨	لا بد من صنعاء
٢١٣	أقوال
٢١٦	هل تعلم له سمياً؟
٢٢١	أخلاق العلماء
٢٢٤	في وصف العيش وما تتمناه النفس
٢٢٧	في بيتك ملك
٢٢٩	خير جليس
٢٣٢	يمهل ولا يهمل
٢٣٥	الفرج بعد الشدة
٢٤١	ساس يسوس
٢٤٦	تعريف السلف للسنّة ووصيتهم بلزومها
٢٤٩	البشاشة بالإخوان والصبر على تألف قلوب ذوي الأضغان
٢٥٢	أنا سني حسيني

- ٢٥٧ إبراهيم بن طلحة والحجاج
- ٢٦٠ هنا القاهرة
- ٢٦٤ يؤتى أجره مرتين
- ٢٦٨ فرّ إلى نفسك
- ٢٧٠ ودمع لا يكفكف يا دمشق
- ٢٧٤ أقوال العظماء
- ٢٧٧ الإمام المعصوم
- ٢٨٢ الكتاب والبلغاء
- ٢٨٧ ترويح القلوب مطلوب مرغوب
- ٢٩٠ سلام على بغداد
- ٢٩٥ في المشورة
- ٢٩٨ الرجل الصاعقة
- ٣٠٥ مدح الكتب
- ٣٠٩ السحر الحلال
- ٣١٤ رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي
- ٣١٦ أراك عصي الدمع شيمتك الصبر
- ٣١٩ زيادة المرء في دنياه نقصان
- ٣٢٣ في العزلة النافعة
- ٣٢٥ أم المقامات
- ٣٢٨ لأهل الهمم
- ٣٣٤ فصبر جميل

- ٣٤١ علامة العصر
- ٣٤٧ مداواة النفوس وإصلاح الأخلاق
- ٣٥١ نقوش على البيت الأبيض
- ٣٥٨ أين هم؟
- ٣٦١ جوزاء الاستغناء
- ٣٦٣ متاع الغرور
- ٣٦٧ التوبة
- ٣٧١ لبيك يا أقصى
- ٣٧٦ طلب العلم
- ٣٧٩ حقيقة الصبر وكلام الناس فيه
- ٣٨٣ كتاب الكون المفتوح
- ٣٨٩ معنى العلم
- ٣٩٢ الحياة دقائق وثوان
- ٣٩٤ الحمامة والديك
- ٣٩٧ معرفة النفس
- ٤٠٠ مجامع الفضائل التي بتحصيلها تنال السعادة
- ٤٠٣ حفاظ الأثر
- ٤٠٨ أبطال المنبر
- ٤١٣ اندم على ذنوبك
- ٤١٨ مهبط الوحي
- ٤٢٥ الشاعر الأسطورة يخطف الأضواء

٤٢٩	آية الله (المتنبي) محبوب الجماهير
٤٣٣	نون والقلم
٤٣٩	محمد رسول الله ﷺ
٤٦١	أشرف المطالب
٤٦٨	الكلمة الطيبة
٤٧٩	اللؤلؤ المتثور
٤٩٩	أشرف وظيفة
٥٠٣	علي الطنطاوي دائرة المعارف
٥١١	أطواق الذهب
٥٣٣	الرسالة الجدية لابن زيدون
٥٣٦	الحب
٥٤٢	الجمال
٥٤٧	بركات لا إله إلا الله
٥٤٩	الله أكبر تهز الكون
٥٥١	إنما أنت منذر
٥٥٧	ثورة الكلام
٥٩٣	أهل السنة رواد الجنة
٦٠٣	الفردوس المفقود
٦٠٧	لا تحزن
٦١١	أنس الوحشة
٦١٤	مجاهدون في سبيل الله

٦١٨	سورة الفيل
٦٢١	سورة المسد
٦٢٤	البصائر والذخائر
٦٣١	تاج الملك
٦٣٨	يا بني
٦٤٣	على الهواء مباشرة
٦٥٢	أنا والكلمة الجميلة
٦٦٠	السحر الحلال
٦٦٦	تواقيع العظماء
٦٧١	لا تلحد
٧٠٥	عروس الأدب
٧٩٩	محتوى الكتاب



الدكتور عاض القرني

الله سند طمرة

كتاب انتقيته من أحسن ما كتبت ، واصطفيته من أجمل ما جمعت ، فكأنه واسطة العقد ، وبيت القصيد ، والغرة في وجه الفرس ، والتاج على رأس الملك .

فكنت أبحث في مئات الصفحات لأختار صفحة واحدة ، وأفتش عشرات المقالات لأصطفي مقالة واحدة .

وحرصت أن أجمع في « الأسطورة » بين أصالة المعنى ، وجمال المبنى ؛ بحيث تكون الفكرة رائدة ، واللفظ حسناً جذاباً .

ولأن من النفوس ما لا يرضيها إلا الأجل والأكمل .. فحرصت على طلب العزيز الغالي ، والنفيس الراقى ؛ من المعاني السديدة ، والجمل الأخاذة ، والعبارات الباهرة .

في هذا الكتاب حديث مطلق ، وكلام مسجوع ، وتنقلات من فن إلى فن ، ومن قضية لأخرى ، وكأنك في زورق إبداع .

فاقبل - رحمك الله - ما جادت به الذاكرة ، وسال به القلم على طبق من حب .

ISBN: 978 - 9953 - 541 - 40 - 2



899531541402